جامعة منتوري قسنطينة – الجزائر

العدد 40 ديسمبر 2013

ISSN 111- 505 X

مجلة العلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

Université Mentouri Constantine - Algérie

N°40 décembre 2013

ISSN 111- 505 X

Revue SCIENCES Humaines

Revue scientifique semestrielle à comité de lecture

منشـورات جـــامعة قسنطينـــة 1

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

مجلة العلوم الإنسانية

عدد 40 ديسمبر 2013

مجلة العلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة سداسية
عدد 40، ديسمبر 2013

مدير المجلة
أ/د. **عبد الحميد جكون**
رئيس جامعة قسنطينة

منسق النشر والتنشيط العلمي
أ/د. **ندير بلال**

رئيس التحرير
أ/د. **الهاشمي لوكيا**

مساعد رئيس التحرير
د. **زين الدين بن موسى**

هيئة التحرير
أ. د. ابراهيم هاروني
أ. د. عزيز لعكايشي
د. **حورية بن بركات**
أ. د. رياض بوريش
أ. د. عبد الفتاح بوخمخم
أ. د. عبد الحق بوعتروس
أ. د. سعيد كسكاس
أ. د. حسان حمادة

الهيئة العلمية
أ/د. **يسمينة شراد**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **زهية موسى**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **عبدالله بوخلخال**، *جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة*
أ/د. **عبدالرزاق قسوم**، *جامعة الجزائر*
أ/د. **مصطفى بوتفنوشت**، *جامعة الجزائر*
أ/د. **بلقاسم سلاطنية**، *جامعة بسكرة، الجزائر*
أ/د. **عبد الوهاب شمام**، *جامعة قسنطينة 2*
أ/د. **عزوز كردون**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **محمد الصغير غانم**، *جامعة قسنطينة 2*
أ/د. **الهاشمي لوكيا**، *جامعة قسنطينة2*
/د. **عبدالعزيز شرابي**، *جامعة قسنطينة 2*
أ/د. **محمود بوسنة**، *جامعة الجزائر 2*
أ/د. **ابراهيم بحاز**، *جامعة غرداية*
أ/د. **علي سعد وطفة**، *جامعة الكويت*
أ/د. **جان فرنسواغارسيا**، *جامعة نيس، فرنسا*
أ/د. **عبد الكريم بلحاج**، *جامعة أكدال، الرباط، المغرب*
أ/د. **طارق بلعج**، *جامعة تونس، تونس*
أ/د. **حسان سعدي**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **عبدالعزيز خزاعلة**، *جامعة اليرموك، الأردن*
د. **أمزيان فرقان**، *جامعة غرونبل II*، فرنسا
د. **محمود خليل أبودف**، *جامعة غزة، فلسطين*

المراسلة

مديرية النشر و التنشيط العلمي، جامعة منتوري، 25000 قسنطينة، الجزائر.
الهاتف/الفاكس: 31.81.12.78 (0) 213 // بريد الكتروني: **revue_st_a@yahoo. fr**

العنوان: طريق عين الباي، جامعة قسنطينة 1، 25000 الجزائر.

قواعد النشر بالمجلة

قواعد عامة

تنشر مجلة العلوم الإنسانية الأبحاث والدراسات العلمية، الفكرية والأدبية في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية مكتوبة باللغة العربية، الفرنسية أو الإنجليزية. وتكون المقالات مصحوبة بملخصين، إحداهما بلغة المقال والآخر بإحدى اللغتين المتبقيتين، وعدد الكلمات **150** (أو ستة اسطر أقصى تقدير)، مع ذكر الكلمات الأساسية أو المفتاحية.

كيفية تقديم المقالات

يجب ألا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة مطبوعة على آلة الكمبيوتر، على ورق 21 × 29.7 سم (A 4) وبمسافة واضحة بين السطر والسطر، وأن يترك هامش بثلاث سم على يسار الورقة.

يكتب المقال بطريقة منظمة: مقدمة، النتائج، المناقشة والخاتمة.

بعد قبول المقال يطلب من الباحثين كتابته على آلة الكمبيوتر على قرص مضغوط (CD ROM) ليسهل عملية الطباعة بواسطة الكمبيوتر.

المراجع

يجب أن تذكر المراجع داخل النص بالإشارة إلى رقمها في الفهرس بين قوسين. مثال(5) يشير إلى المصدر في قائمة المراجع و المصادر المستخدمة في البحث.

عندما يشتمل المرجع على أكثر من مؤلفين يذكر اسم المؤلف الأول متبوعا بعبارة " آخرون".

إذا كان المرجع مقالا تذكر أسماء المؤلفين، اسم المجلة ورقمها، سنة النشر وعدد الصفحات المستغلة من البحث.

بالنسبة للكتب يذكر في الإحالة إلى المرجع اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم الناشر، مكان النشر، سنة الطبع، ورقم الصفحات المستخدمة من الكتاب.

عندما يكون المرجع أشغال الملتقيات العلمية فإن الإحالة تتضمن اسم المؤلف أو أسماء الباحثين، السنة للتعريف بالملتقى، تحديد مكان وفترة الملتقى، اسم الناشر والصفحة الأولى الخاصة بمناقشة النتائج.

وسائل الإيضاح

يجب أن تقدم الجداول الإحصائية والرسوم البيانية والخرائط والصور الأصلية مستقلة عن النص في ورق A4 بشكل فردي أو جماعي مع ذكر رقم الجدول أو الشكل.

للحصول على أشكال وجداول وصور واضحة فإن استعمال الطابعة ليزر أو الحبر أمر ضروري.

يجب أن تتسم وسائل الإيضاح بالوضوح والنقاء لتسهيل عملية إعادة تصويرها.

مجلة العلوم الإنسانية

عدد 40– ديسمبر 2013

الفهـرس

□ تمظهر الرسائل في المنجز الروائي الإنجليزي والفرنسي في القرن الثامن عشر
- دراسة مقارنة -
د . ثريا عبد الوهاب العباسي 7

□ قراءة جمالية أسطورية في قصيدة "شيء من ألف ليلة" للبيّاتي
د. سامية عليوي 27

□ برنامج علاجي لتذليل الصعوبات النحوية عند المتعلمين
د. رشيد فلكاوي 53

□ سيميائية الموت في الشعر الجزائري المعاصر ما الذي تستطيع الفراشة ؟ لمالك بوذيبة أنموذجا
د. محمد كعوان 77

□ منهج الشريف الجرجاني (ت816هـ) في الكشف عن دلالة المصطلحات من خلال معجمه: (التعريفات)
أ. هدى منـاصر 109

□ أسس نظرية الأدب الإسلامي ومعالمها من خلال موسوعة مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد لأحمد الرفاعي شرفي الجزائري
د . زين الدين بن موسى 127

□ المعاجم المعاصرة لمصطلحات اللغة العربية بين إشكالية الوضع وانحصار التداول
د. محمد مشري 143

□ النظام الأسري الجزائري في ظل التغير الاجتماعي
أ. فطوم بلقبي 165

□ جاهزية الاقتصاد الجزائري للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية
د. ناجي بن حسين- أ. بوبكر صابة 177

□ مقاربة نظرية حول تطور الفكر المقـاولي
أ. صندرة سـايبي 199

□ تأثير تسيير قوة البيع على الأداء التسويقي للمؤسسة- دراسة حالة المؤسسة الفلاحية AXIUM-SPA
د. محمد بوشريبة 229

□ عوامل الصحة النفسية لدى السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر

د. العيد أوزنجة.....**245**
□ الاحتراق النفسي لدى الإطارات الجزائرية
أ. مراد خلاصي.....**285**
□ المراهق المدمن على المخدرات و الأسرة" مقاربة نسقية"
أ. نورالدين مزهود.....**321**
□ أنماط معالجة المعلومات لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية دراسة مقارنة بين التلاميذ العاديين وذوي صعوبات تعلم (الكتابة – الحساب)
د. خديجة بن فليس.....**337**
□ التنظيمات الفرنسية للجماعات الحرفية والإثنية غداة الاحتلال- حالة جماعة بني مزاب-
د. بالحاج ناصر..... **353**
□ المعتقدات في كرامات الأولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني
ياسين بودريعة..... **367**
□ التُرَب والمدافن العائليّة في تونس من القرن *17* إلى القرن *19*: ملامح تطور ممارسة جنائزية نخبويّة
أ. مبروك جباهي.....**385**
□ النساء والملكية في مدينة قسنطينة أواخر الحكم العثماني 1787-1837م
صرهودة يوسفي.....**397**
□ مدى تأثير قرارات الحكام على سلوك اللاعبين أثناء مباريات كرة القدم في الجزائر
د. رشيد محيمدات- د. أحمد رضا حمروش.....**417**
□ العلاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية.
د. مراد صحراوي- د. شريف مصطفى بورنان- أ. محمد مهدي يحي الحوري.....**427**
□ الإدارة المحلية ودورها في تطوير المجتمعات النامية
عبد الرؤوف مشري..... **445**
□ أسلوب اتخاذ القرار كمدخل معرفي لبناء عملية الاختيار الدراسي والمهني لدى تلاميذ المرحلة الثانوية
أ. عبد الحكيم بوصلب.....**465**
□ أثر الأنماط القيادية على الأداء الوظيفي: دراسة حالة مؤسسة الجرارات الفلاحية ETRAG
أ. وداد بلكرمي..... **493**

■ إن المقالات المنشورة بهذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.

Revue
SCIENCES HumaineS

SOMMAIRE

n°**40**, Décembre 2013

□ La relation familiale chez l'enfant victime de maltraitance parentale

Houria MERZOUKI……..……..…7

□ MORPHOLOGIE EN SOCIOLOGIE
Fait spatial et fait visuel en sociologie urbaine.
L'éloquence de l'évidence ?

Houria BENBARKAT…..……..……...**17**

□ LES MARQUAGES CORPORELS À L'ADOLESCENCE.
La quête identitaire : présentation d'un cas clinique

Amel DEHANE…… .....……....**39**

□ Le cadre spatio-temporel comme élément subversif dans le discours chez Tahar Djaout et Atiq Rahimi

Karim Zakaria NINI …… .....….....**51**

□ Balance des paiements, taux de change et dévaluation de la monnaie en Algérie

Farid BOUKERROU & Samira DJAALAB….. .....….....**57**

□ Etude transversale de la dynamique des qualités physiques des sportifs de haut niveau

S. ZAKI BOUNEMRI - S. REBAINE - D. MAHDAD - S. HAFIDI – N.MIMOUNI ….....**85**

□ La force de préhension chez les judokas déficients visuels

Mohamed ABDELMALEK – **Mounia KERKAR** - **Nabila MIMOUNI** …….....**99**

□ Effet de l'entrainement d'endurance sur la fréquence cardiaque, le poids corporel et les habitudes alimentaires

Ahcène KASMI - Farida MOKRANI …… .....….....**107**

□ Etude des paramètres physiques et techniques des jeunes gymnastes Algériens 6 – 8 ans.

Khaled HADDADI - Djamel ZAABOUB - Boualem SOUFFI.....….....**117**

□ Etude de la performance et du temps de réaction au 60m des sprinters de haut niveau masculin et féminin. (Championnats du monde d'athlétisme indoor 1999 - 2010)

A. BENMANSOUR – F. REBAINE- S. ZAKI BOUNEMRI - M. HACENI - S. HAFIDI D. MAHDAD …… .....….....…….....….**127**

■ Les opinions exprimées dans les articles n'engagent que leurs auteurs.

INSTRUCTIONS AUX AUTEURS

I- Généralités

La revue Sciences Humaines publie dans trois langues: arabe, français et anglais. Deux résumés doivent être fournis, l'un dans la langue de l'article, l'autre en arabe si l'article est rédigé dans une autre langue, ou en français (ou anglais) si l'article est rédigé en arabe. Les résumés ne doivent pas dépasser 150 mots. Les articles non publiés ne sont pas renvoyés à leurs auteurs.

II- Manuscrits

Les articles soumis à la publication (trois exemplaires) ne doivent pas dépasser 20 pages dactylographiées (tableaux, figures, graphiques, bibliographie,... compris) avec une large marge à gauche (3 cm), imprimé sur papier de format 21 x 29,7 cm (A4) avec interligne de bonne lisibilité. Une certaine flexibilité est permise aux auteurs, mais ils doivent organiser le texte clairement en sections telles que: Introduction, Détails expérimentaux, Résultats, Discussion et Conclusion. Les articles plus longs seront publiés par partie dans des numéros successifs, chaque partie étant déterminée par les auteurs. Il est demandé eu outre aux auteurs de bien vouloir accompagner le résumé de leurs articles de mots clés les plus complets possibles.

Dans le souci de gain de temps et de respect des échéances de publication, il est recommandé aux auteurs de prendre en charge la saisie complète de leur article sur micro-ordinateur, et de le transmettre à la revue, après qu'ils aient été avisés de l'acceptation pour publication, sous forme de fichiers sur CD.ROM, lesquels seront recopiées par les soins du service.

Toutefois, étant donné que la mise en forme finale de l'article est réalisée par P.A.O. (Publication Assistée par Ordinateur), il est demandé aux auteurs d'éviter tout formatage de leur texte. Aussi faudra-t-il éviter de le styliser.

III- Bibliographie

Les références bibliographiques citées dans le texte doivent ne comporter que le N° de la référence entre crochets (ex.: [5]). Si le nom de l'auteur apparaît dans le texte, il doit être suivi par le N° de la référence. Lorsque la référence comporte plus de deux auteurs, seul le premier est cité, suivi de "et al".

Pour les articles, la référence complète comporte les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre de l'article, le titre du périodique (en se conformant aux abréviations admises), le volume, le N° du périodique, l'année de publication et les pages concernées.

Pour les ouvrages, la référence doit comporter les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre complet de l'ouvrage, le volume, le tome, la première et la dernière page se rapportant aux résultats discutés, le numéro de l'édition s'il y en a plusieurs, le nom de l'éditeur, le lieu et l'année d'édition.

Pour les rencontres scientifiques (congrès, proceedings,...), la référence comporte les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre de la communication, l'identification de la rencontre, le lieu, la période et les pages concernées.

IV- Iconographie

Les tableaux, planches, graphiques, cartes, photographies, etc. doivent être fournis à part, en hors-texte. Ils doivent être présentés sur feuilles blanches de format A4, individuellement ou en groupe, et comporter en dessous, la mention "tableau" ou "figure" affectée d'un numéro.

Les illustrations et les figures doivent être claires, faites professionnellement et adéquates pour la reproduction: une réduction éventuelle de 50% doit conduire à une taille et une épaisseur des caractères convenables pour une bonne lisibilité. Par ailleurs, pour les figures réalisées sur ordinateur, afin que le contraste soit maximal, l'usage d'une imprimante laser ou à jet d'encre est indispensable.

Les légendes affectées de leurs numéros doivent être regroupées dans une page à part.

La présentation finale de l'article sera laissée à l'appréciation du comité de rédaction.

Revue
SCIENCES HumaineS

Semestrielle
n°40, Décembre 2013

Comité de Rédaction

Pr. Brahim HAROUNI
Pr. Azziz LAKAICHI
Dr. Houria BENBARKAT
Pr. Riadh BOURICHE
Pr. Abdelfettah BOUKHEMKHEM
Pr. Abdelhak BOUATROUS
Pr. Said KESKES
Pr. HAMADA Hacène

Directeur de la Revue
Pr. Abdelhamid DJEKOUN
Recteur
de l'Université Mentouri
Constantine

Coordonnateur de la Publication
et des Activités Scientifiques
Pr. Nadir BELLAL

Rédacteur en Chef
Pr. Hachemi LOUKIA

Rédacteur en Chef Adjoint
Dr. Zine Eddine BENMOUSSA

Comité Scientifique

Pr. Yasmina CHERAD, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Zahia MOUSSA, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdellah BOUKHELKHAL, *Université Emir Abdel-Kader, Constantine (Algérie)*
Pr. Abderazak GUESSOUM, *Université d'Alger (Algérie)*
Pr. Mostefa BOUTEFNOUCHET, *Université d'Alger (Algérie)*
Pr. Belkacem SELATNIA, *Université de Biskra (Algérie)*
Pr. Abdelouahab CHEMMAM, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Azzouz KERDOUN, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Hachemi LOUKIA, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdelhadi LAROUK, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdelaziz CHARABI, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Mohamed Seghir GHANEM, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Mahmoud BOUSSENA, *Université d'Alger (Algérie)*
Pr. Ali Saad OUATFA, *Université du Koweit (Koweit)*
Pr. Jean-François GARCIA, *Université de Nice (France)*
Pr. Abdelkarim BELHAJ , *Université Agdal, Rabat (Maroc)*
Pr. Tarek BELLAJ, *Université de Tunis (Tunisie)*
Pr. Hacene SAADI, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdelaziz KHAZALI, *Université de Yarmouk (Jordanie)*
Dr. Ameziane FERGUENE, *Université de Grenoble II (France)*
Dr. Mahmoud Khalil ABOUDAF, *Université de Gaza (Palestine)*

Correspondance et Abonnement

Direction des Publications et de l'Animation Scientifique, Université Mentouri, Constantine, ALGERIE
e-mail: **revue_sh@yahoo. fr** // Tél./Fax.: 213 (0) 31.81.87.02

ALGERIE: 400 DA le numéro, 700 DA l'abonnement annuel.
ETRANGER: 12$ le numéro, 20$ l'abonnement annuel.
Chèque à l'ordre de: Monsieur l'Agent Comptable de l'Université de Constantine.
Compte Trésor: **125.140**
Compte C.C.P.: **300008/59**
Adresse: Route Aïn El Bey, Université Mentouri, 25000 Constantine, Algérie.

Publication de l'Université CONSTANTINE1

Revue scientifique semestrielle à comité de lecture

Revue SCIENCES HumaineS

N°40, Décembre 2013

جامعة منتوري قسنطينة – الجزائر

العدد 40 ديسمبر 2013

ISSN 111- 505 X

مجلة العلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

منشـورات جـــامعة قسنطينـــة 1

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

مجلة العلوم الإنسانية

عدد 40 ديسمبر 2013

مجلة العلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة سداسية
عدد 40، ديسمبر 2013

مدير المجلة
أ/د. **عبد الحميد جكون**
رئيس جامعة قسنطينة

منسق النشر والتنشيط العلمي
أ/د. **ندير بلال**

رئيس التحرير
أ/د. **الهاشمي لوكيا**

مساعد رئيس التحرير
د. **زين الدين بن موسى**

هيئة التحرير
أ. د. ابراهيم هاروني
أ. د. عزيز لعكايشي
د. **حورية بن بركات**
أ. د. رياض بوريش
أ. د. عبد الفتاح بوخمخم
أ. د. عبد الحق بوعتروس
أ. د. سعيد كسكاس
أ. د. حسان حمادة

الهيئة العلمية
أ/د. **يسمينة شراد**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **زهية موسى**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **عبدالله بوخلخال**، *جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة*
أ/د. **عبدالرزاق قسوم**، *جامعة الجزائر*
أ/د. **مصطفى بوتفنوشت**، *جامعة الجزائر*
أ/د. **بلقاسم سلاطنية**، *جامعة بسكرة، الجزائر*
أ/د. **عبد الوهاب شمام**، *جامعة قسنطينة 2*
أ/د. **عزوز كردون**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **محمد الصغير غانم**، *جامعة قسنطينة 2*
أ/د. **الهاشمي لوكيا**، *جامعة قسنطينة2*
/د. **عبدالعزيز شرابي**، *جامعة قسنطينة 2*
أ/د. **محمود بوسنة**، *جامعة الجزائر 2*
أ/د. **ابراهيم بحاز**، *جامعة غرداية*
أ/د. **علي سعد وطفة**، *جامعة الكويت*
أ/د. **جان فرنسواغارسيا**، *جامعة نيس، فرنسا*
أ/د. **عبد الكريم بلحاج**، *جامعة أكدال، الرباط، المغرب*
أ/د. **طارق بلعج**، *جامعة تونس، تونس*
أ/د. **حسان سعدي**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **عبدالعزيز خزاعلة**، *جامعة اليرموك، الأردن*
د. **أمزيان فرقان**، *جامعة غرونبل II*، فرنسا
د. **محمود خليل أبودف**، *جامعة غزة، فلسطين*

المراسلة

مديرية النشر و التنشيط العلمي، جامعة منتوري، 25000 قسنطينة، الجزائر.
الهاتف/الفاكس: 31.81.12.78 (0) 213 // بريد الكتروني: **revue_st_a@yahoo. fr**

العنوان: طريق عين الباي، جامعة قسنطينة 1، 25000 الجزائر.

قواعد النشر بالمجلة

قواعد عامة

تنشر مجلة العلوم الإنسانية الأبحاث والدراسات العلمية، الفكرية والأدبية في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية مكتوبة باللغة العربية، الفرنسية أو الإنجليزية. وتكون المقالات مصحوبة بملخصين، إحداهما بلغة المقال والآخر بإحدى اللغتين المتبقيتين، وعدد الكلمات **150** (أو ستة اسطر أقصى تقدير)، مع ذكر الكلمات الأساسية أو المفتاحية.

كيفية تقديم المقالات

يجب ألا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة مطبوعة على آلة الكمبيوتر، على ورق 21 × 29.7 سم (A 4) وبمسافة واضحة بين السطر والسطر، وأن يترك هامش بثلاث سم على يسار الورقة.

يكتب المقال بطريقة منظمة: مقدمة، النتائج، المناقشة والخاتمة.

بعد قبول المقال يطلب من الباحثين كتابته على آلة الكمبيوتر على قرص مضغوط (CD ROM) ليسهل عملية الطباعة بواسطة الكمبيوتر.

المراجع

يجب أن تذكر المراجع داخل النص بالإشارة إلى رقمها في الفهرس بين قوسين. مثال(5) يشير إلى المصدر في قائمة المراجع و المصادر المستخدمة في البحث.

عندما يشتمل المرجع على أكثر من مؤلفين يذكر اسم المؤلف الأول متبوعا بعبارة " آخرون".

إذا كان المرجع مقالا تذكر أسماء المؤلفين، اسم المجلة ورقمها، سنة النشر وعدد الصفحات المستغلة من البحث.

بالنسبة للكتب يذكر في الإحالة إلى المرجع اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم الناشر، مكان النشر، سنة الطبع، ورقم الصفحات المستخدمة من الكتاب.

عندما يكون المرجع أشغال الملتقيات العلمية فإن الإحالة تتضمن اسم المؤلف أو أسماء الباحثين، السنة للتعريف بالملتقى، تحديد مكان وفترة الملتقى، اسم الناشر والصفحة الأولى الخاصة بمناقشة النتائج.

وسائل الإيضاح

يجب أن تقدم الجداول الإحصائية والرسوم البيانية والخرائط والصور الأصلية مستقلة عن النص في ورق A4 بشكل فردي أو جماعي مع ذكر رقم الجدول أو الشكل.

للحصول على أشكال وجداول وصور واضحة فإن استعمال الطابعة ليزر أو الحبر أمر ضروري.

يجب أن تتسم وسائل الإيضاح بالوضوح والنقاء لتسهيل عملية إعادة تصويرها.

مجلة العلوم الإنسانية

عدد 40– ديسمبر 2013

الفهـرس

□ تمظهر الرسائل في المنجز الروائي الإنجليزي والفرنسي في القرن الثامن عشر
- دراسة مقارنة -
د . ثريا عبد الوهاب العباسي 7

□ قراءة جمالية أسطورية في قصيدة "شيء من ألف ليلة" للبيّاتي
د. سامية عليوي 27

□ برنامج علاجي لتذليل الصعوبات النحوية عند المتعلمين
د. رشيد فلكاوي 53

□ سيميائية الموت في الشعر الجزائري المعاصر ما الذي تستطيع الفراشة ؟ لمالك بوذيبة أنموذجا
د. محمد كعوان 77

□ منهج الشريف الجرجاني (ت816هـ) في الكشف عن دلالة المصطلحات من خلال معجمه: (التعريفات)
أ. هدى منـاصر 109

□ أسس نظرية الأدب الإسلامي ومعالمها من خلال موسوعة مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد لأحمد الرفاعي شرفي الجزائري
د . زين الدين بن موسى 127

□ المعاجم المعاصرة لمصطلحات اللغة العربية بين إشكالية الوضع وانحصار التداول
د. محمد مشري 143

□ النظام الأسري الجزائري في ظل التغير الاجتماعي
أ. فطوم بلقبي 165

□ جاهزية الاقتصاد الجزائري للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية
د. ناجي بن حسين- أ. بوبكر صابة 177

□ مقاربة نظرية حول تطور الفكر المقـاولي
أ. صندرة سـايبي 199

□ تأثير تسيير قوة البيع على الأداء التسويقي للمؤسسة- دراسة حالة المؤسسة الفلاحية AXIUM-SPA
د. محمد بوشريبة 229

□ عوامل الصحة النفسية لدى السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر

د. العيد أوزنجة.....**245**
□ الاحتراق النفسي لدى الإطارات الجزائرية
أ. مراد خلاصي.....**285**
□ المراهق المدمن على المخدرات و الأسرة" مقاربة نسقية"
أ. نورالدين مزهود.....**321**
□ أنماط معالجة المعلومات لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية دراسة مقارنة بين التلاميذ العاديين وذوي صعوبات تعلم (الكتابة – الحساب)
د. خديجة بن فليس.....**337**
□ التنظيمات الفرنسية للجماعات الحرفية والإثنية غداة الاحتلال- حالة جماعة بني مزاب-
د. بالحاج ناصر..... **353**
□ المعتقدات في كرامات الأولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني
ياسين بودريعة..... **367**
□ التُرَب والمدافن العائليّة في تونس من القرن *17* إلى القرن *19*: ملامح تطور ممارسة جنائزية نخبويّة
أ. مبروك جباهي.....**385**
□ النساء والملكية في مدينة قسنطينة أواخر الحكم العثماني 1787-1837م
صرهودة يوسفي.....**397**
□ مدى تأثير قرارات الحكام على سلوك اللاعبين أثناء مباريات كرة القدم في الجزائر
د. رشيد محيمدات- د. أحمد رضا حمروش.....**417**
□ العلاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية.
د. مراد صحراوي- د. شريف مصطفى بورنان- أ. محمد مهدي يحي الحوري.....**427**
□ الإدارة المحلية ودورها في تطوير المجتمعات النامية
عبد الرؤوف مشري..... **445**
□ أسلوب اتخاذ القرار كمدخل معرفي لبناء عملية الاختيار الدراسي والمهني لدى تلاميذ المرحلة الثانوية
أ. عبد الحكيم بوصلب.....**465**
□ أثر الأنماط القيادية على الأداء الوظيفي: دراسة حالة مؤسسة الجرارات الفلاحية ETRAG
أ. وداد بلكرمي..... **493**

■ إن المقالات المنشورة بهذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.

Revue
SCIENCES HumaineS

SOMMAIRE

n°**40**, Décembre 2013

□ La relation familiale chez l'enfant victime de maltraitance parentale

Houria MERZOUKI……..……..…7

□ MORPHOLOGIE EN SOCIOLOGIE
Fait spatial et fait visuel en sociologie urbaine.
L'éloquence de l'évidence ?

Houria BENBARKAT…..……..……...**17**

□ LES MARQUAGES CORPORELS À L'ADOLESCENCE.
La quête identitaire : présentation d'un cas clinique

Amel DEHANE…… .....……....**39**

□ Le cadre spatio-temporel comme élément subversif dans le discours chez Tahar Djaout et Atiq Rahimi

Karim Zakaria NINI …… .....….....**51**

□ Balance des paiements, taux de change et dévaluation de la monnaie en Algérie

Farid BOUKERROU & Samira DJAALAB….. .....….....**57**

□ Etude transversale de la dynamique des qualités physiques des sportifs de haut niveau

S. ZAKI BOUNEMRI - S. REBAINE - D. MAHDAD - S. HAFIDI – N.MIMOUNI ….....**85**

□ La force de préhension chez les judokas déficients visuels

Mohamed ABDELMALEK – **Mounia KERKAR** - **Nabila MIMOUNI** …….....**99**

□ Effet de l'entrainement d'endurance sur la fréquence cardiaque, le poids corporel et les habitudes alimentaires

Ahcène KASMI - Farida MOKRANI …… .....….....**107**

□ Etude des paramètres physiques et techniques des jeunes gymnastes Algériens 6 – 8 ans.

Khaled HADDADI - Djamel ZAABOUB - Boualem SOUFFI.....….....**117**

□ Etude de la performance et du temps de réaction au 60m des sprinters de haut niveau masculin et féminin. (Championnats du monde d'athlétisme indoor 1999 - 2010)

A. BENMANSOUR – F. REBAINE- S. ZAKI BOUNEMRI - M. HACENI - S. HAFIDI D. MAHDAD …… .....….....…….....….**127**

■ Les opinions exprimées dans les articles n'engagent que leurs auteurs.

INSTRUCTIONS AUX AUTEURS

I- Généralités

La revue Sciences Humaines publie dans trois langues: arabe, français et anglais. Deux résumés doivent être fournis, l'un dans la langue de l'article, l'autre en arabe si l'article est rédigé dans une autre langue, ou en français (ou anglais) si l'article est rédigé en arabe. Les résumés ne doivent pas dépasser 150 mots. Les articles non publiés ne sont pas renvoyés à leurs auteurs.

II- Manuscrits

Les articles soumis à la publication (trois exemplaires) ne doivent pas dépasser 20 pages dactylographiées (tableaux, figures, graphiques, bibliographie,... compris) avec une large marge à gauche (3 cm), imprimé sur papier de format 21 x 29,7 cm (A4) avec interligne de bonne lisibilité. Une certaine flexibilité est permise aux auteurs, mais ils doivent organiser le texte clairement en sections telles que: Introduction, Détails expérimentaux, Résultats, Discussion et Conclusion. Les articles plus longs seront publiés par partie dans des numéros successifs, chaque partie étant déterminée par les auteurs. Il est demandé eu outre aux auteurs de bien vouloir accompagner le résumé de leurs articles de mots clés les plus complets possibles.

Dans le souci de gain de temps et de respect des échéances de publication, il est recommandé aux auteurs de prendre en charge la saisie complète de leur article sur micro-ordinateur, et de le transmettre à la revue, après qu'ils aient été avisés de l'acceptation pour publication, sous forme de fichiers sur CD.ROM, lesquels seront recopiées par les soins du service.

Toutefois, étant donné que la mise en forme finale de l'article est réalisée par P.A.O. (Publication Assistée par Ordinateur), il est demandé aux auteurs d'éviter tout formatage de leur texte. Aussi faudra-t-il éviter de le styliser.

III- Bibliographie

Les références bibliographiques citées dans le texte doivent ne comporter que le N° de la référence entre crochets (ex.: [5]). Si le nom de l'auteur apparaît dans le texte, il doit être suivi par le N° de la référence. Lorsque la référence comporte plus de deux auteurs, seul le premier est cité, suivi de "et al".

Pour les articles, la référence complète comporte les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre de l'article, le titre du périodique (en se conformant aux abréviations admises), le volume, le N° du périodique, l'année de publication et les pages concernées.

Pour les ouvrages, la référence doit comporter les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre complet de l'ouvrage, le volume, le tome, la première et la dernière page se rapportant aux résultats discutés, le numéro de l'édition s'il y en a plusieurs, le nom de l'éditeur, le lieu et l'année d'édition.

Pour les rencontres scientifiques (congrès, proceedings,...), la référence comporte les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre de la communication, l'identification de la rencontre, le lieu, la période et les pages concernées.

IV- Iconographie

Les tableaux, planches, graphiques, cartes, photographies, etc. doivent être fournis à part, en hors-texte. Ils doivent être présentés sur feuilles blanches de format A4, individuellement ou en groupe, et comporter en dessous, la mention "tableau" ou "figure" affectée d'un numéro.

Les illustrations et les figures doivent être claires, faites professionnellement et adéquates pour la reproduction: une réduction éventuelle de 50% doit conduire à une taille et une épaisseur des caractères convenables pour une bonne lisibilité. Par ailleurs, pour les figures réalisées sur ordinateur, afin que le contraste soit maximal, l'usage d'une imprimante laser ou à jet d'encre est indispensable.

Les légendes affectées de leurs numéros doivent être regroupées dans une page à part.

La présentation finale de l'article sera laissée à l'appréciation du comité de rédaction.

Revue
SCIENCES HumaineS

Semestrielle
n°40, Décembre 2013

Comité de Rédaction

Pr. Brahim HAROUNI
Pr. Azziz LAKAICHI
Dr. Houria BENBARKAT
Pr. Riadh BOURICHE
Pr. Abdelfettah BOUKHEMKHEM
Pr. Abdelhak BOUATROUS
Pr. Said KESKES
Pr. HAMADA Hacène

Directeur de la Revue
Pr. Abdelhamid DJEKOUN
Recteur
de l'Université Mentouri
Constantine

Coordonnateur de la Publication
et des Activités Scientifiques
Pr. Nadir BELLAL

Rédacteur en Chef
Pr. Hachemi LOUKIA

Rédacteur en Chef Adjoint
Dr. Zine Eddine BENMOUSSA

Comité Scientifique

Pr. Yasmina CHERAD, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Zahia MOUSSA, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdellah BOUKHELKHAL, *Université Emir Abdel-Kader, Constantine (Algérie)*
Pr. Abderazak GUESSOUM, *Université d'Alger (Algérie)*
Pr. Mostefa BOUTEFNOUCHET, *Université d'Alger (Algérie)*
Pr. Belkacem SELATNIA, *Université de Biskra (Algérie)*
Pr. Abdelouahab CHEMMAM, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Azzouz KERDOUN, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Hachemi LOUKIA, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdelhadi LAROUK, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdelaziz CHARABI, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Mohamed Seghir GHANEM, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Mahmoud BOUSSENA, *Université d'Alger (Algérie)*
Pr. Ali Saad OUATFA, *Université du Koweit (Koweit)*
Pr. Jean-François GARCIA, *Université de Nice (France)*
Pr. Abdelkarim BELHAJ , *Université Agdal, Rabat (Maroc)*
Pr. Tarek BELLAJ, *Université de Tunis (Tunisie)*
Pr. Hacene SAADI, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdelaziz KHAZALI, *Université de Yarmouk (Jordanie)*
Dr. Ameziane FERGUENE, *Université de Grenoble II (France)*
Dr. Mahmoud Khalil ABOUDAF, *Université de Gaza (Palestine)*

Correspondance et Abonnement

Direction des Publications et de l'Animation Scientifique, Université Mentouri, Constantine, ALGERIE
e-mail: **revue_sh@yahoo. fr** // Tél./Fax.: 213 (0) 31.81.87.02

ALGERIE: 400 DA le numéro, 700 DA l'abonnement annuel.
ETRANGER: 12$ le numéro, 20$ l'abonnement annuel.
Chèque à l'ordre de: Monsieur l'Agent Comptable de l'Université de Constantine.
Compte Trésor: **125.140**
Compte C.C.P.: **300008/59**
Adresse: Route Aïn El Bey, Université Mentouri, 25000 Constantine, Algérie.

Publication de l'Université CONSTANTINE1

Revue scientifique semestrielle à comité de lecture

Revue SCIENCES HumaineS

N°40, Décembre 2013

Université Mentouri Constantine - Algérie

N°40 décembre 2013

ISSN 111- 505 X

Revue SCIENCES HumaineS

Revue scientifique semestrielle à comité de lecture

مجلة العلوم الإنسانية

عدد **40**– ديسمبر **2013**

الفهـرس

□ تمظهر الرسائل في المنجز الروائي الإنجليزي والفرنسي في القرن الثامن عشر
- دراسة مقارنة -
د . ثريا عبد الوهاب العباسي **7**

□ قراءة جمالية أسطورية في قصيدة "شيء من ألف ليلة" للبيّاتي
د. سامية عليوي **27**

□ برنامج علاجي لتذليل الصعوبات النحوية عند المتعلمين
د. رشيد فلكاوي **53**

□ سيميائية الموت في الشعر الجزائري المعاصر ما الذي تستطيع الفراشة ؟ لمالك بوذيبة أنموذجا
د. محمد كعوان **77**

□ منهج الشريف الجرجاني (ت816هـ) في الكشف عن دلالة المصطلحات من خلال معجمه: (التعريفات)
أ. هدى منـاصر **109**

□ أسس نظرية الأدب الإسلامي ومعالمها من خلال موسوعة مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد لأحمد الرفاعي شرفي الجزائري
د . زين الدين بن موسى **127**

□ المعاجم المعاصرة لمصطلحات اللغة العربية بين إشكالية الوضع وانحصار التداول
د. محمد مشري **143**

□ النظام الأسري الجزائري في ظل التغير الاجتماعي
أ. فطوم بلقبي **165**

□ جاهزية الاقتصاد الجزائري للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية
د. ناجي بن حسين- أ. بوبكر صابة **177**

□ مقاربة نظرية حول تطور الفكر المقـاولي
أ. صندرة سـايبي **199**

□ تأثير تسيير قوة البيع على الأداء التسويقي للمؤسسة- دراسة حالة المؤسسة الفلاحية AXIUM-SPA
د. محمد بوشريبة **229**

□ عوامل الصحة النفسية لدى السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر

د. العيد أوزنجة.....**245**
□ الاحتراق النفسي لدى الإطارات الجزائرية
أ. مراد خلاصي.....**285**
□ المراهق المدمن على المخدرات و الأسرة" مقاربة نسقية"
أ. نورالدين مزهود.....**321**
□ أنماط معالجة المعلومات لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية دراسة مقارنة بين التلاميذ العاديين وذوي صعوبات تعلم (الكتابة – الحساب)
د. خديجة بن فليس.....**337**
□ التنظيمات الفرنسية للجماعات الحرفية والإثنية غداة الاحتلال- حالة جماعة بني مزاب-
د. بالحاج ناصر..... **353**
□ المعتقدات في كرامات الأولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني
ياسين بودريعة..... **367**
□ التُرَب والمدافن العائليّة في تونس من القرن *17* إلى القرن *19*: ملامح تطور ممارسة جنائزية نخبويّة
أ. مبروك جباهي.....**385**
□ النساء والملكية في مدينة قسنطينة أواخر الحكم العثماني 1787-1837م
صرهودة يوسفي.....**397**
□ مدى تأثير قرارات الحكام على سلوك اللاعبين أثناء مباريات كرة القدم في الجزائر
د. رشيد محيمدات- د. أحمد رضا حمروش.....**417**
□ العلاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية.
د. مراد صحراوي- د. شريف مصطفى بورنان- أ. محمد مهدي يحي الحوري.....**427**
□ الإدارة المحلية ودورها في تطوير المجتمعات النامية
عبد الرؤوف مشري..... **445**
□ أسلوب اتخاذ القرار كمدخل معرفي لبناء عملية الاختيار الدراسي والمهني لدى تلاميذ المرحلة الثانوية
أ. عبد الحكيم بوصلب.....**465**
□ أثر الأنماط القيادية على الأداء الوظيفي: دراسة حالة مؤسسة الجرارات الفلاحية ETRAG
أ. وداد بلكرمي..... **493**

□ الدور التربوي للمؤسسات العقابية في الجزائر – دراسة في اتجاهات الأحداث الجانحين - دراسة ميدانية بمركز إعادة التربية بقسنطينة
أ **مكي سهام**..... **507**

■ إن المقالات المنشورة بهذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.

جامعة منتوري قسنطينة – الجزائر

العدد 40 ديسمبر 2013

ISSN 111- 505 X

مجلة العلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

منشـورات جـــامعة قسنطينـــة 1

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

مجلة العلوم الإنسانية

عدد 40 ديسمبر 2013

مجلة العلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة سداسية
عدد 40، ديسمبر 2013

مدير المجلة
أ/د. **عبد الحميد جكون**
رئيس جامعة قسنطينة

منسق النشر والتنشيط العلمي
أ/د. **ندير بلال**

رئيس التحرير
أ/د. **الهاشمي لوكيا**

مساعد رئيس التحرير
د. **زين الدين بن موسى**

هيئة التحرير
أ. د. ابراهيم هاروني
أ. د. عزيز لعكايشي
د. **حورية بن بركات**
أ. د. رياض بوريش
أ. د. عبد الفتاح بوخمخم
أ. د. عبد الحق بوعتروس
أ. د. سعيد كسكاس
أ. د. حسان حمادة

الهيئة العلمية
أ/د. **يسمينة شراد**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **زهية موسى**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **عبدالله بوخلخال**، *جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة*
أ/د. **عبدالرزاق قسوم**، *جامعة الجزائر*
أ/د. **مصطفى بوتفنوشت**، *جامعة الجزائر*
أ/د. **بلقاسم سلاطنية**، *جامعة بسكرة، الجزائر*
أ/د. **عبد الوهاب شمام**، *جامعة قسنطينة 2*
أ/د. **عزوز كردون**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **محمد الصغير غانم**، *جامعة قسنطينة 2*
أ/د. **الهاشمي لوكيا**، *جامعة قسنطينة2*
/د. **عبدالعزيز شرابي**، *جامعة قسنطينة 2*
أ/د. **محمود بوسنة**، *جامعة الجزائر 2*
أ/د. **ابراهيم بحاز**، *جامعة غرداية*
أ/د. **علي سعد وطفة**، *جامعة الكويت*
أ/د. **جان فرنسواغارسيا**، *جامعة نيس، فرنسا*
أ/د. **عبد الكريم بلحاج**، *جامعة أكدال، الرباط، المغرب*
أ/د. **طارق بلعج**، *جامعة تونس، تونس*
أ/د. **حسان سعدي**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **عبدالعزيز خزاعلة**، *جامعة اليرموك، الأردن*
د. **أمزيان فرقان**، *جامعة غرونبل II*، فرنسا
د. **محمود خليل أبودف**، *جامعة غزة، فلسطين*

المراسلة

مديرية النشر و التنشيط العلمي، جامعة منتوري، 25000 قسنطينة، الجزائر.
الهاتف/الفاكس: 31.81.12.78 (0) 213 // بريد الكتروني: **revue_st_a@yahoo. fr**

العنوان: طريق عين الباي، جامعة قسنطينة 1، 25000 الجزائر.

قواعد النشر بالمجلة

قواعد عامة

تنشر مجلة العلوم الإنسانية الأبحاث والدراسات العلمية، الفكرية والأدبية في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية مكتوبة باللغة العربية، الفرنسية أو الإنجليزية. وتكون المقالات مصحوبة بملخصين، إحداهما بلغة المقال والآخر بإحدى اللغتين المتبقيتين، وعدد الكلمات **150** (أو ستة اسطر أقصى تقدير)، مع ذكر الكلمات الأساسية أو المفتاحية.

كيفية تقديم المقالات

يجب ألا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة مطبوعة على آلة الكمبيوتر، على ورق 21 × 29.7 سم (A 4) وبمسافة واضحة بين السطر والسطر، وأن يترك هامش بثلاث سم على يسار الورقة.

يكتب المقال بطريقة منظمة: مقدمة، النتائج، المناقشة والخاتمة.

بعد قبول المقال يطلب من الباحثين كتابته على آلة الكمبيوتر على قرص مضغوط (CD ROM) ليسهل عملية الطباعة بواسطة الكمبيوتر.

المراجع

يجب أن تذكر المراجع داخل النص بالإشارة إلى رقمها في الفهرس بين قوسين. مثال(5) يشير إلى المصدر في قائمة المراجع و المصادر المستخدمة في البحث.

عندما يشتمل المرجع على أكثر من مؤلفين يذكر اسم المؤلف الأول متبوعا بعبارة " آخرون".

إذا كان المرجع مقالا تذكر أسماء المؤلفين، اسم المجلة ورقمها، سنة النشر وعدد الصفحات المستغلة من البحث.

بالنسبة للكتب يذكر في الإحالة إلى المرجع اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم الناشر، مكان النشر، سنة الطبع، ورقم الصفحات المستخدمة من الكتاب.

عندما يكون المرجع أشغال الملتقيات العلمية فإن الإحالة تتضمن اسم المؤلف أو أسماء الباحثين، السنة للتعريف بالملتقى، تحديد مكان وفترة الملتقى، اسم الناشر والصفحة الأولى الخاصة بمناقشة النتائج.

وسائل الإيضاح

يجب أن تقدم الجداول الإحصائية والرسوم البيانية والخرائط والصور الأصلية مستقلة عن النص في ورق A4 بشكل فردي أو جماعي مع ذكر رقم الجدول أو الشكل.

للحصول على أشكال وجداول وصور واضحة فإن استعمال الطابعة ليزر أو الحبر أمر ضروري.

يجب أن تتسم وسائل الإيضاح بالوضوح والنقاء لتسهيل عملية إعادة تصويرها.

مجلة العلوم الإنسانية

عدد 40– ديسمبر 2013

الفهـرس

□ تمظهر الرسائل في المنجز الروائي الإنجليزي والفرنسي في القرن الثامن عشر
- دراسة مقارنة -
د . ثريا عبد الوهاب العباسي 7

□ قراءة جمالية أسطورية في قصيدة "شيء من ألف ليلة" للبيّاتي
د. سامية عليوي 27

□ برنامج علاجي لتذليل الصعوبات النحوية عند المتعلمين
د. رشيد فلكاوي 53

□ سيميائية الموت في الشعر الجزائري المعاصر ما الذي تستطيع الفراشة ؟ لمالك بوذيبة أنموذجا
د. محمد كعوان 77

□ منهج الشريف الجرجاني (ت816هـ) في الكشف عن دلالة المصطلحات من خلال معجمه: (التعريفات)
أ. هدى منـاصر 109

□ أسس نظرية الأدب الإسلامي ومعالمها من خلال موسوعة مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد لأحمد الرفاعي شرفي الجزائري
د . زين الدين بن موسى 127

□ المعاجم المعاصرة لمصطلحات اللغة العربية بين إشكالية الوضع وانحصار التداول
د. محمد مشري 143

□ النظام الأسري الجزائري في ظل التغير الاجتماعي
أ. فطوم بلقبي 165

□ جاهزية الاقتصاد الجزائري للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية
د. ناجي بن حسين- أ. بوبكر صابة 177

□ مقاربة نظرية حول تطور الفكر المقـاولي
أ. صندرة سـايبي 199

□ تأثير تسيير قوة البيع على الأداء التسويقي للمؤسسة- دراسة حالة المؤسسة الفلاحية AXIUM-SPA
د. محمد بوشريبة 229

□ عوامل الصحة النفسية لدى السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر

د. العيد أوزنجة.....**245**
□ الاحتراق النفسي لدى الإطارات الجزائرية
أ. مراد خلاصي.....**285**
□ المراهق المدمن على المخدرات و الأسرة" مقاربة نسقية"
أ. نورالدين مزهود.....**321**
□ أنماط معالجة المعلومات لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية دراسة مقارنة بين التلاميذ العاديين وذوي صعوبات تعلم (الكتابة – الحساب)
د. خديجة بن فليس.....**337**
□ التنظيمات الفرنسية للجماعات الحرفية والإثنية غداة الاحتلال- حالة جماعة بني مزاب-
د. بالحاج ناصر..... **353**
□ المعتقدات في كرامات الأولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني
ياسين بودريعة..... **367**
□ التُرَب والمدافن العائليّة في تونس من القرن *17* إلى القرن *19*: ملامح تطور ممارسة جنائزية نخبويّة
أ. مبروك جباهي.....**385**
□ النساء والملكية في مدينة قسنطينة أواخر الحكم العثماني 1787-1837م
صرهودة يوسفي.....**397**
□ مدى تأثير قرارات الحكام على سلوك اللاعبين أثناء مباريات كرة القدم في الجزائر
د. رشيد محيمدات- د. أحمد رضا حمروش.....**417**
□ العلاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية.
د. مراد صحراوي- د. شريف مصطفى بورنان- أ. محمد مهدي يحي الحوري.....**427**
□ الإدارة المحلية ودورها في تطوير المجتمعات النامية
عبد الرؤوف مشري..... **445**
□ أسلوب اتخاذ القرار كمدخل معرفي لبناء عملية الاختيار الدراسي والمهني لدى تلاميذ المرحلة الثانوية
أ. عبد الحكيم بوصلب.....**465**
□ أثر الأنماط القيادية على الأداء الوظيفي: دراسة حالة مؤسسة الجرارات الفلاحية ETRAG
أ. وداد بلكرمي..... **493**

□ الدور التربوي للمؤسسات العقابية في الجزائر – دراسة في اتجاهات الأحداث الجانحين - دراسة ميدانية بمركز إعادة التربية بقسنطينة
أ **مكي سهام**..... **507**

■ إن المقالات المنشورة بهذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.

Revue
SCIENCES HumaineS

SOMMAIRE

n°**40**, Décembre 2013

□ La relation familiale chez l'enfant victime de maltraitance parentale

Houria MERZOUKI……..……..…7

□ MORPHOLOGIE EN SOCIOLOGIE
Fait spatial et fait visuel en sociologie urbaine.
L'éloquence de l'évidence ?

Houria BENBARKAT…..……..……...**17**

□ LES MARQUAGES CORPORELS À L'ADOLESCENCE.
La quête identitaire : présentation d'un cas clinique

Amel DEHANE…… .....……....**39**

□ Le cadre spatio-temporel comme élément subversif dans le discours chez Tahar Djaout et Atiq Rahimi

Karim Zakaria NINI …… .....….....**51**

□ Balance des paiements, taux de change et dévaluation de la monnaie en Algérie

Farid BOUKERROU & Samira DJAALAB….. .....….....**57**

□ Etude transversale de la dynamique des qualités physiques des sportifs de haut niveau

S. ZAKI BOUNEMRI - S. REBAINE - D. MAHDAD - S. HAFIDI – N.MIMOUNI ….....**85**

□ La force de préhension chez les judokas déficients visuels

Mohamed ABDELMALEK – **Mounia KERKAR** - **Nabila MIMOUNI** ……..…....**99**

□ Effet de l'entrainement d'endurance sur la fréquence cardiaque, le poids corporel et les habitudes alimentaires

Ahcène KASMI - Farida MOKRANI …… .....….....**107**

□ Etude des paramètres physiques et techniques des jeunes gymnastes Algériens 6 – 8 ans.

Khaled HADDADI - Djamel ZAABOUB - Boualem SOUFFI.....….....**117**

□ Etude de la performance et du temps de réaction au 60m des sprinters de haut niveau masculin et féminin. (Championnats du monde d'athlétisme indoor 1999 - 2010)

A. BENMANSOUR – F. REBAINE- S. ZAKI BOUNEMRI - M. HACENI - S. HAFIDI D. MAHDAD …… .....….....…….....….**127**

■ Les opinions exprimées dans les articles n'engagent que leurs auteurs.

INSTRUCTIONS AUX AUTEURS

I- Généralités

La revue Sciences Humaines publie dans trois langues: arabe, français et anglais. Deux résumés doivent être fournis, l'un dans la langue de l'article, l'autre en arabe si l'article est rédigé dans une autre langue, ou en français (ou anglais) si l'article est rédigé en arabe. Les résumés ne doivent pas dépasser 150 mots. Les articles non publiés ne sont pas renvoyés à leurs auteurs.

II- Manuscrits

Les articles soumis à la publication (trois exemplaires) ne doivent pas dépasser 20 pages dactylographiées (tableaux, figures, graphiques, bibliographie,... compris) avec une large marge à gauche (3 cm), imprimé sur papier de format 21 x 29,7 cm (A4) avec interligne de bonne lisibilité. Une certaine flexibilité est permise aux auteurs, mais ils doivent organiser le texte clairement en sections telles que: Introduction, Détails expérimentaux, Résultats, Discussion et Conclusion. Les articles plus longs seront publiés par partie dans des numéros successifs, chaque partie étant déterminée par les auteurs. Il est demandé eu outre aux auteurs de bien vouloir accompagner le résumé de leurs articles de mots clés les plus complets possibles.

Dans le souci de gain de temps et de respect des échéances de publication, il est recommandé aux auteurs de prendre en charge la saisie complète de leur article sur micro-ordinateur, et de le transmettre à la revue, après qu'ils aient été avisés de l'acceptation pour publication, sous forme de fichiers sur CD.ROM, lesquels seront recopiées par les soins du service.

Toutefois, étant donné que la mise en forme finale de l'article est réalisée par P.A.O. (Publication Assistée par Ordinateur), il est demandé aux auteurs d'éviter tout formatage de leur texte. Aussi faudra-t-il éviter de le styliser.

III- Bibliographie

Les références bibliographiques citées dans le texte doivent ne comporter que le N° de la référence entre crochets (ex.: [5]). Si le nom de l'auteur apparaît dans le texte, il doit être suivi par le N° de la référence. Lorsque la référence comporte plus de deux auteurs, seul le premier est cité, suivi de "et al".

Pour les articles, la référence complète comporte les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre de l'article, le titre du périodique (en se conformant aux abréviations admises), le volume, le N° du périodique, l'année de publication et les pages concernées.

Pour les ouvrages, la référence doit comporter les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre complet de l'ouvrage, le volume, le tome, la première et la dernière page se rapportant aux résultats discutés, le numéro de l'édition s'il y en a plusieurs, le nom de l'éditeur, le lieu et l'année d'édition.

Pour les rencontres scientifiques (congrès, proceedings,...), la référence comporte les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre de la communication, l'identification de la rencontre, le lieu, la période et les pages concernées.

IV- Iconographie

Les tableaux, planches, graphiques, cartes, photographies, etc. doivent être fournis à part, en hors-texte. Ils doivent être présentés sur feuilles blanches de format A4, individuellement ou en groupe, et comporter en dessous, la mention "tableau" ou "figure" affectée d'un numéro.

Les illustrations et les figures doivent être claires, faites professionnellement et adéquates pour la reproduction: une réduction éventuelle de 50% doit conduire à une taille et une épaisseur des caractères convenables pour une bonne lisibilité. Par ailleurs, pour les figures réalisées sur ordinateur, afin que le contraste soit maximal, l'usage d'une imprimante laser ou à jet d'encre est indispensable.

Les légendes affectées de leurs numéros doivent être regroupées dans une page à part.

La présentation finale de l'article sera laissée à l'appréciation du comité de rédaction.

Revue
SCIENCES HumaineS

Semestrielle
n°40, Décembre 2013

Comité de Rédaction

Pr. Brahim HAROUNI
Pr. Azziz LAKAICHI
Dr. Houria BENBARKAT
Pr. Riadh BOURICHE
Pr. Abdelfettah BOUKHEMKHEM
Pr. Abdelhak BOUATROUS
Pr. Said KESKES
Pr. HAMADA Hacène

Directeur de la Revue
Pr. Abdelhamid DJEKOUN
Recteur
de l'Université Mentouri
Constantine

Coordonnateur de la Publication
et des Activités Scientifiques
Pr. Nadir BELLAL

Rédacteur en Chef
Pr. Hachemi LOUKIA

Rédacteur en Chef Adjoint
Dr. Zine Eddine BENMOUSSA

Comité Scientifique

Pr. Yasmina CHERAD, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Zahia MOUSSA, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdellah BOUKHELKHAL, *Université Emir Abdel-Kader, Constantine (Algérie)*
Pr. Abderazak GUESSOUM, *Université d'Alger (Algérie)*
Pr. Mostefa BOUTEFNOUCHET, *Université d'Alger (Algérie)*
Pr. Belkacem SELATNIA, *Université de Biskra (Algérie)*
Pr. Abdelouahab CHEMMAM, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Azzouz KERDOUN, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Hachemi LOUKIA, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdelhadi LAROUK, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdelaziz CHARABI, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Mohamed Seghir GHANEM, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Mahmoud BOUSSENA, *Université d'Alger (Algérie)*
Pr. Ali Saad OUATFA, *Université du Koweit (Koweit)*
Pr. Jean-François GARCIA, *Université de Nice (France)*
Pr. Abdelkarim BELHAJ , *Université Agdal, Rabat (Maroc)*
Pr. Tarek BELLAJ, *Université de Tunis (Tunisie)*
Pr. Hacene SAADI, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdelaziz KHAZALI, *Université de Yarmouk (Jordanie)*
Dr. Ameziane FERGUENE, *Université de Grenoble II (France)*
Dr. Mahmoud Khalil ABOUDAF, *Université de Gaza (Palestine)*

Correspondance et Abonnement

Direction des Publications et de l'Animation Scientifique, Université Mentouri, Constantine, ALGERIE
e-mail: **revue_sh@yahoo. fr** // Tél./Fax.: 213 (0) 31.81.87.02

ALGERIE: 400 DA le numéro, 700 DA l'abonnement annuel.
ETRANGER: 12$ le numéro, 20$ l'abonnement annuel.
Chèque à l'ordre de: Monsieur l'Agent Comptable de l'Université de Constantine.
Compte Trésor: **125.140**
Compte C.C.P.: **300008/59**
Adresse: Route Aïn El Bey, Université Mentouri, 25000 Constantine, Algérie.

Publication de l'Université CONSTANTINE1

Revue scientifique semestrielle à comité de lecture

Revue SCIENCES HumaineS

N°40, Décembre 2013

Université Mentouri Constantine - Algérie

N°40 décembre 2013

ISSN 111- 505 X

Revue SCIENCES Humaines

Revue scientifique semestrielle à comité de lecture

تمظهر الرسائل في المنجز الروائي الإنجليزي والفرنسي في القرن الثامن عشر - دراسة مقارنة -

د . ثريا عبد الوهاب العباسي

كلية الآداب واللّغات
جامعة الملك عبد العزيز
جدّة - السعودية

ملخص

كان للنساء دور فاعل من خلال كتابة الرسائل الروائية، حيث كن يشاركن في الحراك الأدبي و هن في منازلهن يبعثن رسائلهن إلى الصديقات وأفراد أسرهن، سواء كانت تجسد واقعًا حقيقيًا، أو متخيَّلاً. و كان من نتائج هذا التوجه أن نُشر لهن و من الروايات التي نالت إعجاب القراء في القرن17th إيفيلينا (*Evelina*) للكاتبة مدام دي أربلي/ فني بيرني*Madame d' Arblay Fanny Burney*

Abstract

The epistolary novel, in the English and French literature, reflects the social relationships, immorality, degraded behavior among some of the society segments thus it tends to criticize the community and opposing the social fact that some segments of the society lives, namely aristocrats as well as aristocrats' way of life, lavish living in terms of clothing, food and parties for fun rather than for intellectual gathering. In the same time, epistolary novels depicts how poor and destitute lives; however, such literature is rich in terms of eloquence, writing skills and imagination. Nonetheless, women were the pioneers in such literature as their role in literature is conspicuous although they were writing their topics from their homes thus sending the same to friends and family members regardless of fiction or nonfiction concepts.

Therefore, the women output of epistolary novels had received ample recognition and their work published widely thus commended highly in the 17th century.

مقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى إجراء مقاربة منهجية لأشكال تمظهر فن الرسائل في الرواية الإنجليزية والفرنسية – دراسة مقارنة- بوصفها نوعا جديدا كان لها حضور في المتن الروائي، الشيء الذي أسهم بشكل كبير في إعطائه مسحة جمالية، ولعلّ ما زاده تألّقا وتميّزا هو حضور المرأة في هذا النوع من الكتابة السرديّة والذي كان حكراً على الرجل دون المرأة لفترات زمنيّة طويلة، وهو ما يعني أنّ المرأة ليست بمنأى عن سيرورة الأحداث التي تجري في المجتمعين– الإنجليزي والفرنسي-، وهو ما انعكس جليّا عبر هذا التواصل الإنسـاني بين الأفراد، كاشفا هذه العلاقة الحميميّة بين الناس في رؤية الآخر والحياة.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

انطلاقا من هذا التصور الإبستمولوجي يسعى هذا المقال إلى الوقوف على مختلف أشكال تمظهر الرسائل، مبرزا جماليات هذا النوع من الكتابة الروائيّة، كاشفا عن أوجه التشابه والاختلاف بين الأدبين من حيث طريقة الحكي، وآليات الخطاب المتعددة في هذه الكتابة.

مفهوم الرسائل الروائية:

يؤكِّد التاريخ الأدبي، أن الأدب بوصفه ثابتا إنسانيّا، يميّز فيه عن مختلف المتغيّرات الجماعيّة للفرد والمجتمع من خلال رصد مراحل تغيّرها وتطوّرها، ويرصد فكرها السائد، و ما ينتج عنه من فعل يتجسد في السلوك. لذلك ظهرت في التاريخ الأدبي تصنيف الأدب إلى أجناس وأنواع أدبية واءمت طبيعة العصر والتغيرات الحياتية التي طرأت على المجتمع الإنساني، فكان ظهور هذا النوع الأدبي الجديد الذي أطلق عليه في الآداب الأوروبيّة: "الرّسائل الروائية "Epistolary Novels، وهو أسلوب أدبي دمجنوع الرسائل Epistle، بجنس الرواية Novel في جنس أدبي واحد، هو الرسائل الأدبية Epistolary Novels.

الرسائل الروائية هي رسائل تُكتب بأسلوب قصصي أو روائي، تتضمن عناصر سردية؛ كالوصف والحوار والشخصيات والأحداث، والمكان والزمان،... الخ. أمّا مضامينها فهي متعددة ومتباينة حسب ما يرمي إليه الكاتب من طرح يهدف إليه؛ فقد تكون نقدا أو نصائح، أو حافزا، أو تبادل آراء أو أفكار. وتعدُّ الرسائل من أساليب التواصل الاجتماعي، إلاّ أنها اشتملت على البعد المعرفي في المجتمع الأوروبي.وقد لقي هذا النوع الأدبي ذوي الفكر الذين يعبرون بالكلمة عن رؤاهم وما يطمحون إليه من تطويع الأدب ليصور الواقع الإنساني ويتماشي مع القيم والفضائل التي ينشدونها ويحفزُّون على نشرها و ممارستها في المجتمع، وقد استجابت المرأة لهذا النوع من حيث إنّه فضاء رحب للتعبير عن عواطفها وأحاسيسها، وتجسّد واقعها – إيجابياته وسلبياته- .

مصطلح الرسائل الروائية (Epistolary Novel):

تستخدم الرسائل الروائيّة أسلوبا جديدا في بنية الخطاب، وهو مغاير للأشكال التقليديّة السرديّة المعروفة (كالقصّة، والرواية، والمسرحيّة)، وعلى الرغم من ذلك تتضمن عناصر مماثلة لما عُرِفَ عن الأشكال التقليدية، كالشخصيات والزمان والمكان والأحداث والحوار الذي يظهر في تبادل الآراء والأفكار.

إنّ الرسائل الروائيّة بوصفها نوعا أدبيّا تجسّد الحياة الاجتماعيّة، وتحدد اتجاهاتها حيث إنّها أشكال أدبية تعمل داخل نظام اجتماعي، وروائي جماعية للمجتمع الإنساني في أزمنة معيّنة وأمكنة محدّدة، حيث يتفق بناؤها الشكلي ومواضيعها مع تطلعات شرائح اجتماعيّة، وعلى هذا الأساس تعمل الرسائل الروائيّة على تقديم انتقادات لبعض السلوكات الاجتماعية والأخلاقيّة التي تنتشر في المجتمع، "فأخذت الرسائل بُعداً يشير

إلى الجدّية من ناحية، والبعد عن الأساليب المتخيّلة من خلال نص الرسالة الروائي من ناحيّة أخرى، وفي ذلك تكون لغة الرسائل وعناصر بنائها الشكلي أقرب إلى الأدب الذي يصوّر الواقع عنها إلى الأدب الذي يغلب عليه الأسلوب الخيالي" (1)، وقد ظهرت هذه الرسائل في بداية الأمر في الآداب الأوروبية منذ العصور القديمة، حيث كان أوّل ظهوره لها في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكانت تلك الرسائل يتمّ تراسلها بين المهتمين بأمور دولة مصر القديمة، كذلك في سجل التاريخ رسائل بين المحاربين الذين غزوا شمال سوريا، إذ كانوا يُسمّون بالـ (hittite) في فينيقيا (phoenicia)، تداول الرسائل كان يتعلّق بتناقل معلومات حتّى ولو كانت قد صيغت بأسلوب يعتمد على الحوار بين الشخصيات (2).

في الأدب انجليزي والفرنسي ظهرت الرسائل الروائية (Epistolary Novel) ، كجنس أدبي في القرن السابع عشر، وبلغت قمة ازدهارها في القرن الثامن عشر، إلاّ أنها تعود تاريخيا إلى العصور القديمة منذ القرن الخامس عشر ق . م. (3). حيث كانت كتابة الرسائل تمارس كوسيلة للتواصل بين الأفراد و سجل للأحداث التاريخية، ومن ثم كوثيقة تعتمد عليها الدول في التعرف على أمور ذات علاقة بالدولة مع غيرها من الدول الأخرى، سواء علاقات سلم أم حرب. ولعلّ ما يعزز حضور الرسائل في العصور القديمة هو وجوده في الكتاب السادس من إلياذة هوميروس، (ملحمة الإلياذة) ما يشير إلى أنها أول رسالة كُتبت في الأدب الإغريقي، وقد دعّم هذا الرأي المؤخرون من خلال أسطورة الحصان ذو الجناحين (4) وكانت ضمن جنس أدبي كان سائدًا في الأدب الإغريقي، هو الملحمة التي تتضمن عناصر روائية كالأشخاص والأحداث والحوار والمكان والزمان ...الخ، فهي من جهة البناء الأدبي قريبة من الرواية، ومن ناحية أخرى هي تتضمن أو تحمل رسالة فيها دلالة إخبارية. (Godfrey, 1933 , p: 2)

وحيث كانت للرسائل بدايات أولية في قرون سبقت القرن الثامن عشر، فإن ظهورها في شكلها الروائي في أدب القرن الثامن عشر كان ناتجا عن التطور التاريخي نتيجة المتغيرات التي طرأت على المجتمع الغربي؛ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والفكري والأدبي، بدءًا من العصور السابقة للقرن الثامن عشر.

في بداية القرن السابع عشر، اتخذت الشريحة المثقفة من كتابة الرسائل وسيلة تعليمية. فاجتهدت في ممارسة كتابة الرسائل بهدف تنمية الكتابة الأدبية البليغة، و كانت الدراسة في المدارس تشجع الطلبة على محاكاة الإغريق والأسلوب اللاتيني في كتابة الرسائل، حيث تم إصدار صحيفة خاصّة بهذا النوع من الكتابة؛ مثل صحيفة (*Tatler* 170) (5) ، وصحيفة (*Spectator*1711) (6) ، التي أخذت تستقبل العديد من الرسائل التي تُرسل لنشرها، حتّى إنّ بعض الكتّاب يتواصلون مع بعضهم عن طريق الرسائل التي ينشرونها في الصحيفتين. وقد انتشرت هذه الظاهرة الأدبية حتّى أصبح القرن الثامن عشر يُطلق عليه عصر الرسائل بدل عصر العقلانية، ولأن الرسائل

أسهمت في إثراء الأدب، فلقد اعتبرت مصدرا من مصادر المعرفة الفكرية والأدبية التي ترصد الواقع الاجتماعي والفكري للعصر (7).

ومع حلول القرن الثامن عشر، ظهر الكثير من الأعمال الأدبية في شكل رسائل من قبل كتّاب نساء ورجال. وكان بعض هذه الأعمال رسائل حقيقية يتضمن الجوانب الفنّية للعمل السردي الذي يجنح في أحيان كثيرة إلى الرسائل الروائية.

الرسائل الروائية في الأدب الإنجليزي:

من أشهر كتّاب الرسائل الروائية، الكاتب الروائي الإنجليزي، صامويل ريتشاردسون، (Samuel Richardson) الذي يُعتبر من أشهر من صوّر الواقع الاجتماعي الإنجليزي من خلال أدب الرسائل، مصوِّرًا بأسلوبه الروائي البليغ ما يظهر في المجتمع الإنجليزي من فساد نتيجة الفوارق الكبيرة بين شرائح المجتمع، وما يبدو منتشرا بوضوح من صراع بين طبقاته، وما ينتج عن ذلك الصراع من أوجه متناقضة في السلوك والأخلاق؛ تصور الفضائل و الرذائل السائدة في المجتمع. (8) كتب رواية باميلا Pamela أو كما أطلق عليها بعض النقّاد؛ (مكافأة الفضيلة) (Virtue Rewarded) (9) والتي تُعتبر من أشهر الروايات، في القرن الثامن عشر. حيث اعتبرت مصدرا أدبيًّا للتعرف على الواقع الاجتماعي لبعض شرائح المجتمع الأوروبي، وما كان يسوده من أخلاقيات وسلوكيات خاطئة، من قبل الطبقات الأرستقراطية ضد الطبقة الوسطى. حتّى أصبحت الرواية من الأدب الرفيع الذي يُدرس في مراحل الدراسات العليا في الجامعات الأمريكية،

تتحدث الرواية عن فتاة من أسرة فقيرة تعمل خادمة في منزل عائلة أرستقراطية. تظل الفتاة رغم تعرضها لمضايقات ابن العائلة التي تعمل عندها، محافظة على الأخلاق الفاضلة. وعندما اشتد بها الأذى، بدأت تراسل والديها برسائل تحمل في مضمونها سلوكيات بعض أفراد الأسرة الأرستقراطية، وتصف أخلاقيات بعض أفرادها ومجتمع الأثرياء. حتّى عندما تغير وضع الفتاة الاجتماعي بعد زواجها من أحد أبناء الأسر الأرستقراطية، ظلّت محافظة على الفضائل والأخلاق التي ربيت عليها وحافظت عليها منذ صغرها.

رغم أن الرواية كُتبت في شكل رسائل، إلاّ أنها جسدت البناء الروائي وعناصره؛ فالشخصيات كانت متواجدة، والحدث، والمكان والزمان، والوصف والحوار، كعناصر الحكاية كانت متوفرة، وفي الغالب كان يدور حول صراع الطبقات الاجتماعية والعلاقات فيما بينها، إضافة إلى الإشارة إلى الصراع بين الأخلاق الفاضلة والأخلاق الذميمة التي تجسدت في سلوكيات بعض الشخصيات. إضافة إلى المكان والزمان، والحوار بين الشخصيات (10).

الرسائل الروائية في الأدب الروائي:

أمّا الأدب الفرنسي فقد أنتج في القرن الثامن عشر روادا بارزين في جنس الرسائل الروائية. واحتلت أعمالهم الأدبية مكانها في المجال الأكاديمي، حيث اعتبرت الرسائل الروائية مصادر ومراجع تدرّس في الجامعات ومصدر معرفة يتبادلها المثقفون، وتختزنها المكتبات، إضافة إلى أنها اعتبرت سجلاً تاريخيا يدون المتغيرات التي تحدث في المجتمع الفرنسي.

من مشاهير الكتّاب الرجال؛ الكاتب Nicholas Breton الذي ظهر له عمل أدبي في جنس رسائل قصصيّة في فرنسا عام (1603) بعنوان: " *P*oste with a Packet of Mad Letters " تضمّنت هذه الرسائل النصح للشباب في الأمور المتعلقة بشؤون الحياة اليومية، لكنّها طبعت بالطّابع الفلسفي. ثم ترجمت من الأدب الفرنسي إلى الأدب الإنجليزي في عام (1678) كذلك ورد أن من أوائل الرسائل الروائية التي ظهرت في الأدب الإنجليزي، تُرجمت من الأدب الفرنسي في سنة (1678) م. (Oxford Companion To English Literature).

ومن أشهر الأعمال التي ظهرت في الساحة الأدبية، عمل أدبي من جنس الرسائل الروائية، للكاتب الفرنسي تشارلز مونتيسكيو(Charles de Montesquieu) (-1689 1755)، بمسمى (الرسائل الفارسية) (Persian Letters) في عام *1712*. يُعد من أشهر الأعمال الأدبية التي جسدت المجتمع الفرنسي برؤية أحد الغرباء عنه. بلغ عدد "الرسائل الفارسية" 161 رسالة، تم تداولها بين عدد من شخصيات ليست فرنسية الأصل، بل فارسية، حيث تعمّد الأديب أن يصور المجتمع الفرنسي وما يتخلله من أساليب حياتية وعادات يراها الأديب لا تليق بمجتمع متحضر، من قبل شخصية غريبة ليست من الفرنسيين، ويهدف مونتيسكيو من مضمون الرسالة نقده للمجتمع الفرنسي في القرن الثامن عشر، حيث صورت الرواية ما كان يسوده من فساد اجتماعي بين طبقات المجتمع الفرنسي رغم أن الشخصيات كانت فارسية، وعنوان الرسائل فارسية، إضافة على وجود بعض الملامح التي تشير إلى عادات المجتمع الفارسي، خاصة الرسائل التي كانت بين أوزبك (Uzbek) أحد الشخصيات البارزة، وبين زوجته روخصانة (Roxana). صنّف النقاد هذه الرسائل بأنها هجاء لاذع للمجتمع الفرنسي، إلاّ أنها تأخذ طابع التّسلية الممتعة، صادرة من قبل شخصيات غير فرنسية، الأمر الذي يضاعف من قسوة النقد الذي وجهه مونتسكيو لما كان سائدًا في المجتمع الفرنسي من انحراف وفساد. (11)

افترض الكاتب شخصيات فارسية تعيش في فرنسا، صورت المجتمع الفرنسي وما كان يسوده من تفاوت بين طبقاته الاجتماعية، في الواقع المعيشي وما يترتب عليه من أخلاقيات وسلوك اجتماعي، ثم يرسل هذه الصور عن المجتمع الفرنسي إلى زوجته في بلاد فارس، حيث تستمر المراسلات بين أوزبك (Uzbek) وزوجته روخصانة (Roxana). (12)

من الملاحظ أن مواضيع الرسائل تميل إلى نقد المجتمع، ورفض الواقع الاجتماعي بشكل عام وعلى وجه الخصوص، الواقع الذي تعيشه بعض الطبقات الاجتماعية ذوات المستوى الأرستقراطي، كما تتضمَّن تفاصيل الحياة التي تعيشها تلك الطبقات الأرستقراطيّة، ووصف مظاهر الحياة المترفة التي تتمثّل في البذخ في الملبس والمأكل وحضور الصَّالونات الأدبيَّة للظُّهور فقط، وليس للملتقيات الفكريَّة والأدبية. والشعور بالاستعلاء من خلال هذه المظاهر على الطبقة المتوسطة. (13)

إسهاما ت المرأة الأوروبية في جنس الرسائل الروائية:

في القرن الثامن عشر، ظهر العديد من أسماء الكاتبات الإنجليزيَّات والفرنسيَّات الّلاتي اشتهرن بكتابة الرسائل؛ تارة كروايات في شكل رسائل، وتارة أخرى رسائل متبادلة بين شخصيتين (الشخصية المرسِلة، والشخصية المرسل إليها). إلاّ أن الرسالة تتضمن مواضيع وأحداث وأماكن وأزمنة، وورود أسماء لأشخاص عديدين، يشكلون الحراك للأحداث الواردة في الحوار، رُغم أن الرسالة يُفعِّل مضامينها شخصيتين فقط، تتبادلان المراسلات، بذلك لم تكن المرأة بمنأى عن هذا الحراك الأدبي واستثمار نوعًا أدبيًا يتناسب من طبيعتها الأنثوية. فشاركت بالكتابة الروائية في شكل رسائل، وأثرت ساحة الأدب والمكتبات بنتاج أدبي رفيع المستوى. وقد كانت البدايات الأولية لدخول النساء مجال الكتابة، كانت تتمثّل في كتابة الرسائل في الصحف، إلاّ أن كتاباتهن – كما ورد عن بعض الكتّاب الرجال - كانت محاكاة لما يكتبه الروائيون الرجال، (14) ذلك لأن المجتمع الرجولي لم يكن يرغب في الاعتراف بكتابات النساء في مجال الأدب عامّة، والرسائل الأدبية. إلاّ أنهن في البداية لم يكن يشكلن خطورة على الكتّاب الرجال، لكن رغم ذلك فقد استطاعت النساء اقتحام مجال الإبداع الأدبي، ففي العصور الوسطى لعبت النساء دورا في الكتابة كسكرتيرات أو ناسخات، و كان من نتيجة ذلك أن أصبحن ماهرات في كتابة الرسائل، فاتخذنها وسيلة للتواصل بينهن وللتعبير عن واقعهن ومتطلباتهن الحياتية وما يعانينه من صعوبة الحياة، إلاّ أن الرسائل لم تأخذ آنذاك الطابع الأدبي، وهكذا كان لعمل النساء في مجال كتابة الرسائل أن منحهن المقدرة في كتابة الرسائل الخاصة، وليست الرسمية، التي تطورت فيما بعد إلى جنس روائي، لأنها ارتكزت على عناصر الرواية.

إسهام الكاتبات الإنجليزيات في جنس الرسائل الروائية:

يؤكد التاريخ الأدبي ظهور كاتبات نساء كاتبات بقرن تقريبًا قبل تطور نوع الرسائل الروائية على يد الكاتبين:دانيال ديفو(1731 – 1660) Daniel Defoe وصامويل ريتشاردسون (1761 – 1689) Samuel Richardson اللذان كانا يُعتبران المؤسسان الحقيقيان لجنس الرواية الإنجليزية عامة والرسائل الروائية خاصّة، هما الكاتبتان: (89- 1640 phraBehn) و *(1664)* Margaret Cavendish وكانت معظم مواضيع رسائلهما تدور حول الحياة الأسرية؛ والزواج والأمومة، ووضع المرأة . *(see 272).*

Olga 1997,A phraBehn تمتلك من القيم والنشاط الفكري والاجتماعي ما أهلها لتصبح من رموز المجتمع الإنجليزي، ورُغم أنها من الطبقة المتوسطة، إلاّ أنها استطاعت أن تشارك جنبا إلى جنب مع الرجل في مجال الكتابة الإبداعية، والتعبير عن حقوقها في حرية التعبير، والعيش الكريم. (15)

رُغم أن البداية لظهور بعض من هؤلاء الكاتبات كانت بجهود فردية وغير منتظمة، في منتصف القرن السابع عشر إلاّ أنه في أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر، كان للمرأة ظهور واضح ومنظّم، وذلك بتشكيل مجموعة من الكاتبات أطلقت على نفسها اسم ذوات الجوارب الزرقاء(The Bluestockings). (16)

لعبت هذه المجموعة النسائية دورًا بارزًا في إيجاد حراك أدبي في الوسط النسائي، من خلال الصالونات الأدبية التي كن يدرنها، و تحفيز العنصر النسائي عامّة على الكتابة الأدبية عبر الرسائل التي اتسمت بالحكمة والأمانة في ما يكتبنه من مواضيع وأفكار أو التعبير عن واقعهن الاجتماعي.

كما وردت الإشارة إلى أن بداية ظهور الكاتبات في الأدب الإنجليزي، كان بالكاتبة أفرا بين (A phraBehn 1640 -89) التي اشتهرت برسائلها الروائية: "رسائل عائليّة بين رجل نبيل وأخته "بعنوان:(Letters Between a Nobleman and his Sister) *نشرت في عام 1683م.* ، تُعالج فيها قضايا أسرية تتعلق بالوضع الاجتماعي ومشاكل الإرثفي الأسرة. لها العديد من المؤلفات، ظهرت في قالب مسرحي، وبعضها في شكل الرسائل.(الأعمال الأدبية التي كتبتها أفرا بين (A phraBehn)، تتناول مواضيع حياتية وأسرية، وأمور تتعلق بالمجتمع. كالزواج بالإكراه، والكتابة عن الوالدين والأبناء، وغير ذلك من المواضيع. (17)

Fanny Burney (1752) التي لاقت قصَّتها (إفيلينا) Evelina شهرة ليس في الأدب الإنجليزي فحسب، بل في الآداب الأوروبّيّة، كانت تجسد إمكانات المرأة الإنجليزية ومهاراتها الكتابية التي استطاعت عن طريقها أن تعبر عن أفكارها و مشاعرها.[17].

حيث كوّنت لنفسها مجتمعًا أنثويًّا تمثّل كما رأينا في المجموعة التي أطلقت على نفسها اسم الجوارب الزرقاء (The Bluestockings) لتدخل من خلالها مجال الكتابة الأدبية، وتشارك المجتمع بما تنتجه من إبداع أدبي تمثّل في الرسائل التي كانت تتبادلها فيما بينها، سواء كانت تتضمن حقائق أو أمورًا متخيَّلة. وكانت معظم الرسائل كما وردت الإشارة إليه، تتضمّن مواضيع أسرية أو تعبيرا عن واقع المرأة أو مطالبة بحقوق لم تنلها في المجتمع، وفي كل ذلك تضمين لقدراتها الكتابية وإمكاناتها الأدبية، واستطاعتها الفكرية للخوض في مجال الإبداع الأدبي.

كتبت السيدة ميري ورتلي مونتيجيوLady Mary Wortley Montagu[18]رسالة لابنتها بعنوان: To the countess of Bute "تحثها على التحصيل العلمي، مؤكدة لها أن أفضل

ما يحققه الإنسان هو فهم المعرفة التي يدرك بها الإنسان الفرق بين الأشياء وما لها من قيمة، ومبينة أن التعليم في الصغر يساعد على زيادة الوعي،وأن السعادة تكمن في المعرفة، والمعرفة تتحقق بالتعلم، واللغة هي مصدر التعلم".[19]

الأفكار الواردة في الرسالة تدل على ما كانت تتمتع به المرأة الإنجليزية في القرن الثامن عشر من طموح ووعي لتنال حقها في التعلم والحصول على المعرفة من مصادرها المتعددة، والتي من أهمها التعلّم، وهو الذي يبدو واضحًا من خلال الرسائل التي توجهها سيدات المجتمع الإنجليزي لبناتهن، أو قريباتهن، أو حتّى الصديقات، وحثهن على التعلُّم، ليتمكن من المشاركة الفاعلة في المجتمع، ليس في إطار الأسرة و ما تتطلبه من إسهام، إنما لتدخل مجالاً أوسع من نطاق الأسرة، مجالاً تثبت فيه إمكاناتها واستطاعتها في بناء المجتمع سواء بسواء مع الرجل.

كذلك كتبت الكاتبة الإنجليزية إليزا بيث مونتيجيو (1720) Elizabeth Montagu) أو كما كانت تلقب ملكة الجوارب الزرقاء، (The Queen of Bluestockings) رسالة تضمنت وجهة نظرها في الحياة وفي الواقع الذي تعيشه المرأة الإنجليزية، كما عبرت عن فكرها ورؤيتها في الإنسانية عامّة: [20]

رغم بساطة المواضيع التي كانت تتضمنها رسائل الكاتبات، إلاّ أن المرأة الإنجليزية استطاعت أن تنافس الكتّاب الرجال في المجال الأدبي، حيث أثرت المكتبات بما كانت تنشره من رسائل وأعمال أدبية، كما أوجدت لنفسها مناخا تجذب إليه مشاهير الكتّاب والشعراء، في الصالونات الأدبية التي كانت تلعب دورًا كبيرا في انتشارها وإدارتها.

وبالتالي، فبعد أن كانت منعزلة عن المجتمع الفكري والأدبي الذي يرتاده الكتاب الرجال، حين كان الاعتقاد السائد في المجتمع الإنجليزي والفرنسي، أنه من غير اللائق أن تظهر المرأة في أماكن مفتوحة في المجتمع مع الرجال، أو تقوم بأعمال تنافسية فكريا وأدبيا مع الرجال. خلقت لنفسها مجتمعا حققت فيه ذاتها من خلال الكتابة في جنس الرسائل الروائية.

هكذا كان للمرأة حضور بارز في ساحة الأدب، وكان أكثر فاعلية من خلال كتابة الرسائل الروائية، التي واءمت طبيعة ظروفهن الاجتماعية آنذاك، حيث كن يشاركن في الحراك الأدبي و هن في منازلهن يوجهن رسائلهن التي تمت صياغتها في قالب روائي، و كان من نتائج هذا التوجه للمرأة أن ظهر العديد من الكاتبات اللّاتي نُشرت لهن روايات صِيغت في شكل رسائل. حيث كانت الرسائل الأسلوب الأدبي الذي استطعن أن يعبرن من خلاله عن واقعهن وطموحهن.[21] رُغم أنهن كن يعانين من قيود تحد من حريتهن في التعبير عن آرائهن، لذلك اتخذن من الرسائل وسيلة يشاركن بها في مجال الأدب، وكان لهذا الفعل أثر كبير في الخروج من عزلتهن ليشاركن فكرًا

وفعلاً في في الحراك الفكري والأدبي.كما ساهمت كتاباتهن بتوعية المجتمع بمختلف شرائحه لمواكبة المتغيّرات الحياتيّة والفكريّة في المجتمع الأوروبي، بشكل عام وعل وجه الخصوص في المحيط النسائي. ففي الوقت الذي لعبن فيه دورا في إيجاد حراك فكري من خلال نتاجهن الأدبي المتمثِّل بشكل خاص في كتابة الرسائل، كان لظهور هذا النوع الأدبي (الرسائل الروائية) يُعد بمثابة جسر تعبر منه إلى فضاء حرية التعبير عن واقعها الاجتماعي وظروفها الحياتية، حيث واءمت نوعية جنس الرسائل مع طبيعة المرأة الأنثوية في التواصل مع مثيلاتها النساء في الواقع الحياتي، وكذلك للتعبير عن همومها ومشاكلها وطموحها، حتّى أصبح جنس الرسائل الروائية جسرا تعبر المرأة من خلاله إلى الآخر عن طريق رمزية التواصل الكتابي، فكانت الرسائل من ناحية وسيلة التواصل، ومن ناحية أخرى نوع أدبي وظّف لمعالجة أمور حياتية من خلال عرضها بشكل أدبي توفرت فيه عناصر الأسلوب الروائي؛ الأحداث، الشخصيات، المكان والزمان،

استمر هذا النوع من المخاطبات الروائية حتّى أواخر القرن الثامن عشر، سائدا بين طبقة الكتّاب والكاتبات الروائيين وخاصّة في الروايات المفرطة في العاطفة والإحساس بالواقع الحياتي الذي يحتاج إلى تغيير للأفضل، حيث كان للكلمة دور كبير في تحقيق هذا التغيير الذي لعبت فيه المرأة الإنجليزيّة دورا بارزا، وذلك بمشاركاتها في التأليف الأدبي الذي يعالج أمورًا حياتية للمجتمع الإنساني، حيث وجدت فيه مجالاً خصبا لممارسة نشاطها الفكري والأدبي دون حرج أو اعتراض من المجتمع، معبّرة عن آلامها وآمالها وطموحاتها التي تسعى إليها لتحقيق ذاتها في مجتمع لم يكن يمنحها حقّها في الحياة الفكريّة والأدبيّة.

بذلك استطاعت المرأة الإنجليزية أن تساهم بكم كبير من إنتاج أدبي رفيع المستوى يجسد واقعها الاجتماعي، ويصور طموحها لمستقبل تصبح فيه مشاركة بفاعلية في الإبداع والإنتاج الأدبي؛ تمثل بداية في مسيرتهن الأدبية التي سجلن فيها بأسلوب غير مباشر، واقعهن الحياتي، و أثبتن اقتدارهن في الكتابة في مختلف الأجناس الأدبية؛ في الشعر والقصة والرواية، بعضها واقعي والآخر خيالي، إلاّ أن نوع الرسائل واءمت ظروفهن الاجتماعية، وطبيعتهن الأنثوية، حيث يرصدن واقعهن الاجتماعي ومعاناتهن، وطموحهن في رسائل يتم تداولها بين الصديقات أو القريبات في قالب روائي يُصاغ بأسلوب قد يدخل فيه الخيال. إلاّ أن هذه الرسائل الروائية رصدت الكثير من المعلومات عن المجتمع الغربي، بصفة عامة وواقع المرأة الغربية على وجه الخصوص. هذا الرصيد المعرفي عن واقع المرأة في المجتمع الإنجليزي أصبح مصدرا يستقي منه الكتاب الرجال معلومات تغذي نتاجهم الأدبي. وذلك لأن الكاتبات كن يسلطن ضوء أعمالهن الأدبية على الأحداث التي يعشنها، ولكن لم تخلو كتاباتهن من الرصيد الفكري والمعرفي، إضافة إلى المواضيع ذات العلاقة بالتاريخ والتراث.

رغم أن مضمون الرسائل كانت تركز على حياة الكاتبات وواقعهن الذي يعشنه، والعلاقة الأسرية بين المرأة والرجل سواء أما أو أختا أو زوجة؛ وما يشعرن به من معاناة ومجاهدة نفسية في مقاومة الواقع الذي يعشنه من سوء معاملة الرجال وتضييق حريتهن في التعبير، إلاّ أنهن مع كل ذلك كن يتمتعن بطموح كبير لتحسين أوضاعهن في المجتمع، واستثمار قدراتهن الكتابية لهذا الغرض. وليثبتن اقتدارهن الكتابي الذي يجسد واقعهن الحياتي. يقول جون جوليانوس، Goulianos ,Joan: " لم يكن غريبا على المرأة بعد أن استطاعت أن تكتب في مواضيع مختلفة، أن تتباين أصواتهن تجاه قضاياهن؛ فتارة بصوت غاضب، وتارة أخرى ساخر لأوضاعهن، وتارة خائف. هذه المشاعر لم تكترث الكاتبات من أن تتناولها في أعمالهن الأدبية. ولم يكن ذلك غريبا، وذلك لأن من يرصد مواضيع الكاتبات بدأ من مارجريت كيمب، حتى مارجريت كافيندش، وصولا بفرجينيا وولف خلال حقب من العصور، كانت مواضيع الكاتبات تدور حول محاولات عديدة لإظهار الحقائق، وما يطمحن إليه". (Goulianos , 1973, P, xix) .

كان من الواضح أن النساء يؤثرن الكتابة في نوع الرسائل الروائية، لأن نوع الرسائل بطبيعة بنائها الأدبي ومدلولها الذي يشير إلى بعدين لهما أهميتهما في طبيعة المرأة؛ هما: رسالة تتضمن مدلول التواصل مع الآخر؛ للتعبير عن ما يجول بخواطرهن، أو شرح الواقع الذي يعشنه، أو إيصال أفكارهن في شئونهن الحياتية. ثانيا: الروائية؛ ومدلولها يرمي إلى الإخبار بالشيء أو التعبير عنه، وهي بذلك تعمل على تبادل الفكر و المشاركة في تناول الأمور المتعلقة بالمرأة في المجتمع الأوروبي، سواء كانت مضامين الرسائل حقيقية كتبادل معلومات بين صديقات، أو أنها ممزوجة بالخيال الأدبي. حتّى أن الرسائل الروائية أصبحت مصدرًا للمعلومات عن المجتمع الأوروبي، خاصة وضع المرأة.

هكذا كانت الرسائل المتبادلة بين النساء الكاتبات والكتّاب الرجال، ظاهرة أدبية بلغت أوج تطورها في القرن الثامن عشر، حتّى أصبحت نوعًا أدبيًّا متميّزًا ومعروفًا في الساحة الأدبية والنقدية. تمثِّل هذا النوع الأدبي، رواية باميلا لريتشارسون، التي تعتبر نموذجًا فريدًا لنوع الرسائل الروائية. وكان لعنصر المرأة دور بارز وهامٌ في جعله نوعًا أدبيًا مشهورًا في ذلك العصر. سواءً كانت إحدى شخصيات الرسائل، أو كانت هي الكاتبة، وهو ما تؤكِّده الدراسات النقدية والتاريخية (Perry, 1943 ,15 وغيرهما، مما يدل على أن النساء الكاتبات كن الأوائل في ممارسة الكتابة في هذا النوع الأدبي، وبالتالي سجلن أسماءهن في سجل التاريخ الأدبي. يقول بيري: "أن ما كتب في جنس الرسائل الروائية قبل ريتشاردسون بلغ 72 مؤلف روائي، كتبها كتّاب رجال، و54 رسالة روائية كتبت بواسطة النساء.(Perry, 1943 , 17) و في ذلك إشارة إلى دخول المرأة بفاعلية قوية في مجال كتابة الرسائل، خاصة وأن أعمالهن الأدبية تتسم بقيمة نوعية وعددية كبيرة، الأمر الذي يبرر ما يقال بأن المرأة لعبت

دورًا كبيرًا في تطوير جنس الرسائل الروائية في الأدب الإنجليزي، في الشكل والمضمون.

إسهامات الكاتبات الفرنسيات في الرسائل الروائية

لم تكن المرأة الفرنسية في إسهاماتها الكتابية في جنس الرسائل الروائية أقل من المرأة الإنجليزية ، فقد لعبت دورًا بارزًا في إثراء الساحة الأدبية من خلال كتاباتها للرسائل الأدبية، والتي بدأت بمحاولاتها في مجال الترجمة، حيث كانت تهدف من الترجمة أن تصل إلى مستوى تعليمي يمكنها من الكتابة، من ناحية، و من ناحية أخرى، أن تشارك بكتاباتها وبما تحصلت عليه من معرفة لآداب الإغريق والرومان الحراك الفكري والأدبي في المجتمع الفرنسي، خاصة الطّبقة المثقّفة ، إضافة إلى أنها من خلال ممارستها للترجمة كانت تهدف إلى طرح مواضيع تتعلق بالمرأة ووضعها الاجتماعي والفكري اللذان كانت المرأة الفرنسية تسعى إلى تحقيقهما من خلال مشاركاتها الكتابية. [22]سواء ما قامت به من ترجمات، أو كتابة الرسائل الشخصية التي كان يتم تبادلها فيما بين الصديقات أو أفراد أسرهن. وكانت مواضيع تلك الرسائل تبدو أنها مواضيع شخصية بين الشخصيات في الرسائل، إلاّ أنها كانت تهدف إلى تصوير المجتمع الفرنسي في القرن الثامن عشر، إضافة إلى وضع المرأة وما كانت تطمح إليه من مكانة في المجتمع، خاصّة في الجانب العلمي والفكري والأدبي. وقد ظهر العديد من الأسماء التي برزت في كتابة الرسائل الروائية في الأدب الفرنسي، وأخذ ظهور أسماء الكاتبات اللاّتي برعن في كتابة الرواية في قالب رسائلي يتوالى مثل؛ مدام دي ديفاند(1697)Madame du Deffand-1697 ،مدام دي باري (Madame du Barry1780) Marie Jeanne Riccoboni 1713-1792 Fransois,Graffigny (1695 – 1758) وغيرهن من نساء القرن الثَّامن عشر اللّاتي اشتهرن في كتابة الرسائل، وساهمن بدور كبير في إثراء جنس الرسائل الأدبية. وكانت الكاتبات الفرنسيَّات يتعرّضن لطرح مواضيع تتعلّق بوضع المرأة في المجتمع الفرنسي بهدف معالجة ظروفهن الحياتيّة ومشاكلهن أو المطالبة بحقوقهن في المجتمع أو التعبير عن طموحهن وآمالهن في مجتمع كان ينظر للمرأة نظرةيقل فيها التقدير أو الاعتراف بقدراتها الفكريّة والأدبيّة، وإسهامها الفعلي في الكتابة الأدب[23]حيث استطاعت المرأة الفرنسية من خلال كتابة الرسائل، أن تظهر اقتدارها في الكتابة الأدبية، خاصّة كتابة الروايات، وأنواع أخرى من الأساليب الفكرية والأدبية؛ كالأسلوب الدرامي والوصفي والروحي والفلسفي، والتي كانت في الغالب من الأساليب التي برع فيها كبار الكتّاب الرجال.

تُعتبر مدام دي فاند *M*adame du Deffand من أشهر كاتبات الرسائل الفرنسيات. وصِفت رسائلها بالحيوية ورصد الوقائع الحياتية، إضافة إلى أنها اتسمت بسمة الإمتاع لأنها تتضمن مواضيع مسلية في عرضها للوقائع الحياتية. رسائلها التي وجهتها للكاتب هوراس ولبول Horace Walpole الذي كانت تربطه بها علاقة فكرية وصداقة حميمة، كانت تجسد جانبا من شخصيتها التي تتسم بالحكمة، و حرية التعبير في كتاباتها

عن الحياة الاجتماعية والفكرية، وكانت بذلك تصور المجتمع الفرنسي في القرن الثامن عشر. التواصل الفكري الاجتماعي عبر السائل بين مدام دي فاند والكاتب ولبو هوراس وغيره من كتّاب القرن الثامن عشر، كان له قيمته الملحوظة في الوسط الاجتماعي والأدبي، حيث منحت رسائلها هؤلاء الكتّاب مُناخا اجتماعيًّا وفكريًّا الذي يميلون إليه، خاصّة وأن مدام دي فاند كان لها صالونها الأدبي الذي لعب دورًا كبيرًا في خلق هذا المُناخ، ولذلك اعتبرت رسائلها من أميز المؤلفات التي جسدت الأساليب الكتابية. (Bernier ,27).

ولذلك اعتبرت رسائل مدام دي فاند؛ ذات قيمة أدبية وتاريخية رغم ما يتخللها من أسلوب يعبر عنها شخصيا، إلاّ أنها قد تعبر أيضًا عن بعض الشرائح النسائية كذلك، لذلك النقاد اعتبروها لوحة فنية رسمت بالكلمات تجسِّد الواقع الاجتماعي الفرنسي، مثال على هذا التوجه في رسائلها؛ رسائلها التي كانت توجهها لفولتير الفيلسوف الفرنسي *Voltaire* فقد كانت تتضمن رأيها بوضوح تجاه فلسفة فولتير بل كثيرًا ما كانت تعارضه في بعض الأفكار التي كان يتبنّاها في فلسفته، والتي كانت في غالبها نقدا للمجتمع الفرنسي، وما كان سائدًا فيه كبعض الممارسات الممثلة في التضييق على حرية التعبير.

في رسائلها لفولتير تظهر جانبا من شخصيتها المرحة التي تنظر للأمور بمنظور يتسم بالمرونة في معارضة الجانب الآخر، وتميل إلى الاهتمام بالأسلوب الأدبي والبلاغي في كتابة الرسائل، حيث توازن بين مضمون الرسائل والصياغة الفنية الأدبية في لغة الرسائل، فهي رغم تواصلها مع أشهر الكتّاب والفلاسفة في المجتمع الفرنسي، و مشاركاتها الفكرية والأدبية معهم من خلال صالونها الأدبي الذي يحضره كبار الفلاسفة والكتّاب، و ما قيل عنها أنها في رسائلها تميل إلى إظهار الجانب الشخصي، إلاّ أن عددا كبيرًا من النقّاد يؤكدون أن رسائلها تُعتبر مصدرًا لرصد الحياة الفكرية في القرن الثامن عشر في الأدب الفرنسي [24]

ويعتبر الكاتب هوراس ولبول، من أبرز الكتّاب الذين أشادوا برسائل مدام دي فاند، وقد كان صديقًا حميما لها ، وكانت رسائلهما تتضمّن الكثير من المواضيع والأفكار الهامة سواء كانت شخصية أو عن المجتمع الفرنسي، أو عن الفكر والأدب، رغم وجود بعض الاختلاف في آرائهما تجاه بعض المواضيع والأمور عامّة وعنهما بصفة خاصّة [25]

أشاد النُّقاد بأسلوب رسائل مدام دي فاند وتميزها في الصياغة الفنية وكذلك مضمون الرسائل التي ترصد جوانب متنوعة من المواضيع عن المجتمع الفرنسي في القرن الثامن عشر، وإن كانت في الظاهر تبدو وكأنها تتحدث عن شخصها وهي تحاور الشخص الذي تخاطبه في الرسالة، أشار إلى هذا الأسلوب؛ الناقد ليونيل ديويست (Lionel Duisit) مبينًا أن لمدام دي فاند أسلوب مميز ومطور في المواضيع التي

تتناولها في حواراتها التي تتضمنها رسائلها. [26]كان الأسلوب البلاغي في صياغة الرسائل من الأمور التي نالت جانبا كبيرا من الطرح النقدي الذي وجهه النقاد لكتابات مدام دي فاند، في تحليلهم لرسائلها، وذلك لإبراز القيمة الجمالية في لغة الرسائل، وهي أحد الجوانب التي كانت مدام دي فاند توليها اهتمامها.

كما كان لصالون مدام دي فاند الذي كانت تديره في منزلها دور كبير بدت آثاره واضحة في جانبين: أولاً: شارك في خلق حراك فكري وأدبي في المجتمع الفرنسي؛ الذي لعبت ظاهرة الصالونات الأدبية التي تديرها نساء مثقّفات وكاتبات، دورًا كبيرًا ظهرت أبعاده في استقطاب مشاهير الكتّاب الفرنسيين الرجال الذين كانوا يرتادونها؛ وكان صالون مدام دي فاند من أبرز هذه الصالونات، بسبب أن من كانوا يرتادونه هم من مشاهير الفكر والفلسفة, أمثال: مونتيسكيو، (Montesquieu) دولامبيرت، (d'), Alembert ديديرو، (Didero) فولتيرMarmontel(Voltaire) مارمونتيل, وغيرهم من مشاهير الكتّاب والفلاسفة. ثانيًا: ثراء كتاباتها الأدبية عبر الرسائل التي كانت تتراسل تمارسها مع أصدقائها الكتّاب والكاتبات، والتي كانت بمثابة توثيق لما كان يُطرح من لمواضيع وأفكار في الصّالون.

ولكن ما نتج عن انتشار ظاهرة الصالونات الأدبية في المجتمع الفرنسي، أثر في جنوح بعض من رواد صالون مدام دي فاند، حيث بدأ يقل عدد أعضاء الصالون من الكتّاب والفلاسفة، إضافة إلى وفاة بعضهم ، كذلك تقدم عمر مدام دي فاند كان له أيضا دور في خفوت نشاط صالونها الأدبي. إلا أن الكاتب ولبول هوراس إخلاصا لمدام دي فاند قام بالاحتفاظ بالرسائل من خلال طباعتها ونشرها[27]

الخـاتمة

من الملاحظ أن الدور الذي لعبه جنس أدب الرسائل، في تجسيد صور عن المجتمع، و عن واقع الإنسان الحياتي، أثبت أن نوع الرسائل كان أقرب الأساليب الأدبية وألصقها لطبيعة الإنسان، فهي وسيلة تواصل والتقاء بين الأفراد، و من ثم وسيلة تقارب؛ لما تتسم به عناصرها من حيث البناء والمضمون من سهولة التناول ووضوح التعبير. فالرسائل الروائية بنيت على وجود شخوص قد تكون حقيقية أو مُتخيَّلة؛ تتبادل الأفكار والمشاعر.

مواضيع الرسائل تميل إلى نقد المجتمع في بعض أوجه الحياة الاجتماعية، ونقد سلوك بعض الطبقات، خاصّة الطبقات الأرستقراطية، كما تتضمَّن تفاصيل الحياة التي تعيشها المرأة الأرستقراطيّة، ووصف مظاهر الحياة المترفة التي تتمثّل في البذخ في الملبس والمأكل وحضور الصَّالونات الأدبيَّة للظُّهور فقط، وليس للمشاركة الفكريَّة والأدبية. لكن في المقابل تصور الرسائل الروائية شرائح أخري من النِّساء يعشن حياة بسيطة، بل قد تكون أحيانا قاسية، رغم أنهن يتمتّعن بقدرات فكريّة ومهارات في الكتابة، لكنّهن لا يستطعن أن يصرّحن بمتطلّباتهن إلاّ بأسلوب غير مباشر فكان ذلك

عن طريق الكتابة برسائل أخذت شكلاً أدبيًا[28] فقد كان بعض من هؤلاء الكاتبات يصدرن أعمالهن الأدبية بأسمائهن، لكن بعضًا من الكاتبات كن يصدرن مؤلفاتهن تحت أسماء مستعارة، أو يخترن صفة لهن فقط؛ مثال السيدة، (By a lady) . ولكن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، تقبل المجتمع الإنجليزي والفرنسي ككاتبات رسميات، وأصبح بعض منهن يعتمدن على دخلهن من التأليف وما يحصلن عليه من بيع أعمالهن الأدبية. (Halsband, 1976,55)[29]

بعقد مقارنة بين الرسائل الروائية في الأدب الإنجليزي والفرنسي، نلاحظ أنه لا يوجد اختلاف كبير في البناء الشكلي أو في مضمون الرسائل الذي يصور مجتمعين متقاربين في أوجه حياتية كثيرة، و يعود ذلك التّقارب إلى أنهما يلتقيان في أوجه عديدة؛ تاريخيا واجتماعيا وفكريًّا، فالمجتمع الأوروبي عامّة، ومنهم المجتمع الإنجليزي والفرنسي تأثروا بالفلسفة الإغريقية، خاصة في العصر الكلاسيكي وعصر النهضة وعصر التنوير الذي نحن بصدد دراسته؛ فحاكوا الإغريق في التعبير عن الفكر وحرية الرّأي، وكان ذلك التّأثر ناتج عن عصر النهضة الذي تأثر فيه الفكر الأوروبي بالفلسفة الإغريقية، إلاّ أن المجتمع الإنجليزي اختلف عن المجتمع الفرنسي في ما يتعلق بحرية التعبير، حيث كان الإنجليز أكثر حرية، وكان هذا الأمر يظهر بوضوح في المواضيع التي يتضمنها الأدب بصفة عامّة والرسائل الروائية على وجه الخصوص، ولعل هذا الأمر هو الذي دفع بعض الكتاب والفلاسفة الفرنسيين يذهبون إلى عاصمة الإنجليز (لندن) باحثين عن مساحة الحرية للتعبير عن أفكارهم وفلسفاتهم ويطلقوا لإبداعاتهم العنان في طرحهم الفكري والأدبي. و كان البعض الأخر من الأدباء الفرنسيين، يستخدم رموزا في رسائله تشير إلى واقع المجتمع الفرنسي، و ما ينتشر فيه من أساليب وطرائق ينتقدها الكاتب، فيرمز لها بأشخاص أو أماكن أو حتى مجتمعات غير المجتمع الفرنسي، كما في رسائل مونتيسكيو (الرسائل الفارسية) لكي يعبر بحرية عن انتقاده للمجتمع الفرنسي وما ينتشر في من سلوكيات وأخلاقيات غير لائقة في رأي الكاتب، كذلك كان الروائي صامويل ريتشاردسون مؤلف رواية باميلا التي صوّر فيها المجتمع الإنجليزي و ما يسوده من أساليب خاطئة من قبل الطبقات الأرستقراطية؛ كالاستعلاء على الطبقة الوسطى، والتفاخر بما يمتلكون من ثراء مادي ومستوى اجتماعي، وما يترتب على ممارسة تلك الأساليب من مظاهر اجتماعية ينتقدها ذوي الفكر والأدب، فيصوروها في كتاباتهم بغية الحد منها، واستبدالها بأساليب حياتية تليق بإنسانية الإنسان، ينتج عن ذلك بث القيم التي يرتقي بها إنسانيًا وفكريًّا.

هوامش المادّة العلمية:

1- (Godfrey,Frank Singer, the epistolary novel, p;6-7) .

2- The epistolary novel: its origin, develoment, decline, and residuary influence, by godfrey frank, philadelphia, 1993. P: 01.

3- (Godfrey,Frank Singer, the epistolary novel, p; 1 -2) .

4- Residuary Influence ,by Godfrey Frank Singer, Philadelphia, 1933. P: 1-2

5- The Oxford Companion English Literature, p, 965

6- The Oxford Companion English Literature, p, 925 -26

7- ظهرت أسماء كتاب في جنس الرسائل الروائية؛ منهم: Marie Arouet Voltaire(1694 - 1778) , Jean Jacques Rousseau(1712 -78), Charles Louis Montesquieu(1689 - 1755) , Diderot, Denis, (1713 -1784) Alexander Pop(1688 -1744), Samuel Johnson (1784 – 1709),Samuel Richardson (1689 -1761), Joseph Addison(1672 -1719), John Dryden**,**

8- صمويل ريتشاردسون *Samuel Richardson*من كتاب جنس الرسائل الروائية، الكاتب الإنجليزي *1689 -1761*ومن مؤلفاته التي تجسد هذا النوع الأدبي روايتا باملا*Pamela*(1740) تعتبر من أبرز الأعمال الأدبية التي تُدرَّس في الجامعات الأمريكية والأوروبية حتَّى يومنا هذا. فالرواية تصور الواقع الأخلاقي للمجتمع الغربي الذي ساده الفساد في القرن18th صاغها في رسائل كتبت من قبل بطلة الرواية باملال بطلة الرواية باملا التي كانت تعمل خادمة عند إحدى سيدات انجلترا، وكانت تتحدّث في رسائلها عن السيدات الإنجليزيات ذوات الطّبقة العالية وكيفية الحياة المترفة التي تعيشها هذه الشريحة من النساء.

وتعتبر رواية باميلا من أبرز الأعمال الأدبية التي تُدرَّس في الجامعات الأمريكية والأوروبية حتَّى يومنا هذا. وهي تصور الواقع الأخلاقي للمجتمع الغربي الذي ساده الفساد في القرن الثامن عشر، صاغها في شكل رسائل. Godfrey *Frank Singer, The Epistolary Novel, Philadelphia Press, 1933,P33*

امتدت شهرته إلى فرنسا، فاستعمله جان جاك روسّو Jean Jacques Rousseau في روايته(هيلوويز الجديدة) *la Nouvelle Héloïse* و تشارلز دي مونتيسكيو *Charles. de Montesquieu* (1689- 1755) وهو من أشهر الكتّاب الفرنسيين الذين اشتهروا بكتابة الرسائل القصصيّة في الأدب الفرنسي في القرن الثّامن عشر. أشهر أعماله الأدبية "الرسائل الفارسيّة" *Persian Letters* وهي عبارة عن 161رسالة كتبت في قالب قصصي من قبل شخصيّات افترضها الكاتب في قالب روائي، معظم شّخصيّات الرواية ليسوا من المجتمع الفرنسي، بل من بلاد فارس يتراسلون مع بعضهم مشيرين في رسائلهم إلى نواقص المجتمع الفرنسي وسلبيّاته، يهدف مونتيسكيو في هذه الرسائل إلى نقد المجتمع الفرنسي في القرن الثّامن عشر.أنظر *Master plots, volume*, 8 , p, 4607

9- "Pamela", or "Virtue Rewarded" is a romantic tale that created, in effect, the epistolary form of the novel. Richardson's obvious absorption in preaching a moral does not hold =our attention today, but the work is valuable for the picture it presents of life in the eighteenth century and of the code of morals to which people then held. The device of letter writing to tell a story does not always stand up under the test of reality, but its failure is more a matter for amusement than for condemnation. Richardson was a pioneer of the English novel, and he wrote with a moral earnestness and innocence of =technique impossible for the modern writer.(See: Master Plots, Revised Edition, Edited by Frank N. Magill Volume 8, Salem Press 1967 P: 4472)

10- ورد تقييم نقدي لقصة باميلا Pamela أن المؤلف ريتشاردسون Richardson منح قصته قوة باستعمال أسلوب الرسائل القصصية، يقول:

Frank N, Magill :"The strength of the plot structure lies in Richardson's epistolary form which, its shortcomings notwithstanding, does convey a degree of realism. Letters are normally a means for the relation of one's common factual doings, and they presuppose an actual writer and an actual reader .See:Master plots , volume 8Editted by, Frank N, Magill, Salem Press, Englewood Cliffs, New Jersey 07632, P4475

11- Although the writing is in a formal mode in keeping with the status of the correspondents, Montesquieu's tone and style never become stiff or artificial. The satire is by turns muted in the mellowness of friendly correspondence and proclaimed in the harshness of international criticism…. In spite of Montesquieu's title, the aim of writing is not a sociological pictureof life in a Pesian harem. It is a subtle, accurate satire of French society pointing up the decadent attitudes and loose morals from 1712, in the last years of the reign of Louis xiv and the reign of Philip Due de Orleans, during the minority of Louis xv. (Master plots , volume 8, p: 4607) .

12- Yes, I have deceived you, I had ledaway your aunuchs … and I have known how to turn your frightful seraglio into a place of pleasure and delight. …How could you think that I was such a weakling as to imagine there was nothing for me in the world but to worship your caprices; that while you indulged all your desires, you should have the right to thwart me in all mine? I have remodeled your laws upon those of nature; and my mind has always maintained its independence Master plots vol 8, p4608

13- تشير نظرية "الطبقة الفراغية" التي جاء بها عالم الاجتماع الأمريكي Fablen إلى أن المترفين من أبناء الطبقات العليا يحاولون بكل جهدهم أن يتّخذوا من المظاهر والشّعائر الخارجية ما يميزهم عن أبناء الطّبقات الدنيا، فهم يحرصون على أن تكون مظاهرهم معقّدة وملابسهم وأدواتهم غالية الثّمن لكي لا يستطيع الفقراء منافستهم عليها. أنظر: ضياء خفيّر، ثنائيات مقارنة، ص 200

14- In the beginning they [women] copied men, and saw through men's eyes, because – here and elsewhere – they assumed that men's dicta and practice in life and art were their only possible guides and examples, women to – day take up every form of fiction attempted by men because they assume that their powers are as great, their right to express themselves equally varied(Brimley Johnson, The Women Novelist, p:150) A bluestocking is n educated intellectual women, The term most often refers to a specific group of 18th century intellectual and learned women led by the hostess and critic Elizabeth Montegu (1720 – 1800) who later called; " The Queen of the Blue" The of bluestocking including : Elizabeth Vesey (1715 – 1791) , HasterChapone (1727 - 1801) Elizabeth Carter (1717 -1806), Hannah More (1745 – 1833), and Frances Burney (1762 – 1840), Ann Yearsley (1753 – 1806) Catharine Macaulay (1731 -1791) Mary Moser (1744 -1819) Anna Seward (1742 -1809), HasterChapone (1727 – 1801) Angelica Kauffman (1741 – 1807), Frances Bossawen (1719 -1805) Mary Wollstonecraft (1759 -1797).(Mary Manly)1663 – 1724(See Ethel Rolt

كما رصد معجم الكاتبات الإنجليزيات .(Wheeler, Famous Blue –Stocking, p. 23
- *1762*والأمريكانيات عددا من الكاتبات، منهم على سبيل المثال لا الحصر:

1689 (*Lady Mary Wortley Montagu*)مونتيجيو *إليزا بيث*، *Elizabeth Montagu(1720*Dorothy *Osborne* ،*Emily EdenIsabella Bird*

AphraBehn, Fanny Burney, Eliza Hawood, Elzabeth Montagu, Lady Mary Wortly, Isabella Bird ، *Hannah More – 1800* *وقد رصد هذا القاموس* 467 كاتبة إنجليزية وفرنسية. *Writers 1660 American British and See : A dictionary Of*

15- Mrs .Behn was a middle – class woman with all the plebeian virtues of humour ,vitality and courage ; a woman forced by the death of her husband and some unfortunate a adventures of her own to make her living by her wit . she had to work on equal terms with men. She made , by working hard , enough to live on. The importance of that face outweighs anything that she actually wrote for here begins the freedom of the mind, or rather the possibility that in the course of time the mind will be free to write that it likes… AphraBehn proved that money could be made bya agreeable qualities. Woolf 95 – 97)

16- Elizabeth Montagu , واحدة من *the bluestockings*:كتبت رسالة عن صديقة لها تقول

I really believe she was just some like Eve before she ate the apple, at least she answers to Milton's description of her. She would have preferred her husband's discourse to the angles. I am afraid you and I my dear friend should have entered some metaphysical disquisitions with the angel, we are not so perfectly the rib of man as woman ought to be (See 800 Years of Women's Letters ,p: xiv)

17- The Forc'd) Marriage, The Amorous Prince, Like Father, Like So British And n, The Emperor of the Moon The History of the Nun ,The Counterfeit Bridegroom

See A dictionary of British and American Women Writers 1660 - 1800, P;43

18- Fanny Burney, one of the talented and gifted writers, says In the following letter: "I am now writing in the pleasantest place belonging to this house. It is called sometimes the "Look out" as ships are observed from hence, and at other times the cabin. It is at the end of a long garden that runs along the house. I always spend the evening , sometimes all the afternoon, in this sweet cabin , except sometimes , when unusually thoughtful. I prefer the garden . I cannot express the pleasure .I have in writing down my thoughts , at the very moment – my opinion of people when I first see them, and how I alter or confirm myself in them. There is something to me very unsatisfactory in passing year after year without even a memorandum of what youndid . And then, all the happy hours I spend with particular friends and favorites would fade from my recollection" (d, Arbly 226)

19- Lady Mary Wortle Montagu is well known for her lively interest in intellectual and social concerns, particularly women's right and education. Her lively correspondence appears in various letters of her literary works. In this letter she gives unusual advice on the need for developing interests, since even a rich woman is 'destined' for retiring life.

20- Dear child, You have given me a great deal of satisfaction by your account of your eldest daughter, I am particularly pleased to hear she is a good arithmetician; it is the best proof of understanding; the knowledge of numbers is one of the chief distinctions between us and brutes. If there is anything in blood, you may reasonably expect your children should be endowed with an uncommon share of good sense. MrWortly's family and mine have both produced some of the greatest men that have been born in England. I will therefore speak to you as supposing Lady Mary not only capable, but desirous of learning ; in that case by all means let her be indulged in it. You will tell me I did not make it a part of your education: your prospect was very different from hers. As you had much in your circumstances to attract the highest offers, it seemed your business to learn how to live in the world , as it is hers, to know how to be easy out of it. … Learning, if she has a real taste for it, will not only make her contented, but happy in it. No entertainment is so cheap as reading , nor any pleasure so lasting, She will not want new fashions, nor regret the loss of expensive diversions, or variety of company, if she can be amused with an author, in her closet. To render this amusement complete, she should be permitted to learn the languages. (see 800 Years of Women's Letters p: 11)

21- I *am well situated for airing being on the edge of a turnpike road, and the said road commands* as good a prospect as any in this part of the country, but the amenity of our southern

countries is not to be found here. The people here are little better than savages, and their countenances bear the marks of hard labor and total ignorance. Our pitmen are literally as black as a coal; they earn much more than laborers, their children get a shilling a day at 9 or 10 years old, but they are so barbarous and uncultivated. …" (see: *Irving*, 1955, 53)

22- It had many functions: to inform; to instruct (children, even monarchs at times); to entertain family and friends with descriptions of society or daily life(by writers as amusing as Madame de Sévigné and Fanny Burney); to keep up relationships (a female quality) ; to convey news, to recount travels, to give advice on many issues, from personal to public; to explore psychological problems, often with wisdom and insight, before counseling was
thought of; to keep in touch, to offer love and express caring (se800 years 0f Women's Letters, p:ix

23- French Women in the eighteenth century, used translation to educate themselves, and participate publicly in the literary and scientific debates of their time. Their practice of translation was in fact linked to gender issues they sought to address an attempt of their position in society. See (Women writers and Translation in Eighteenth- century France, by Marie–Pascal Pieretti, The French Review,vol,75,No 3, February, 2002, p: 474)

24- The women letter – writers' ability to use many types of discourse is evident. They include the conversational, the descriptive, the dramatic, the caring, the spiritual – some of which may be termed "feminine" and rational, philosophical discourse, … since it was too frequently the preserve of males in power, …With many women, skill in using the pen to persuade was highly developed.

25- نموذج من رسائل مدام دي فاند:

En Effet, les lettres de la marquise, chef d'œuvre de grâce, foisonnant de récits alertes, constituent une mine de renseignements sur de nombreux événement et personnes. De plus, elles forment non seulement une chronique, la transcription d'une actualité individuelle; elles représentent la transformation d'une réalité quotidienne dans un temps écoulé'. Elles ne diront jamais assez puisqu' une lettre est toujours si incomplète et une vie si complexe que toute interprétation la viole '.(see Klerks, 1961, p: 9-10)

26- النموذج التالي من رسائلهما يوضح بعضًا من آرائهما:

Je n'attendrai point que j'aie reçu une lettre de Londres pour vous écrire: nous sommes convenus que j'en passerais mon envie aussitôt qu' ' elle me prendrait (Walpole, Vol. III, p. 10.).
Vous me ferez in plaisir extrême de ne me laisser rien ignorer de tout ce qui vous intéresse; notre correspondance ne saurait être trop intime... (Walpole, Vol. III, p. 22.).
Notre correspondance deviendra pénible et très peu satisfaisante si vous ne mettez pas pied à terre, et si vous ne répondez pas bêtement à toutes mes bêtises (Walpole, Vol. III, p. 32.).
Je ne comprends pas comment j'étais tombée à user d'un langage que j'ai toujours fui et proscrit, et que vous aves toute raison de détester. Voilà donc un nouveau baptême, et nous allons être l'un et l'autre bien plus à notre aise (Walpole, Vol. III, p. 146.).
En ne faisant rien, en ne disant rien, et même en ne pensant rien (car il est à propos d'aller jusque-là), on évite de déplaire, on se procure de la tranquillité à soi-même, on ouvre les lettres on revoit sans craintes et sans terreurs, on est sûr de n'y rien trouver qui choque, on s'en tient là, parce qu'à toute force on se passe de ce qui fait plaisir. (Walpole, Vol. III, p. 295)

27- Les appréciations de Mme du Deffand sur les œuvres ressemblent en quelque manière à celle de son correspondant. Aussi ses opinions les mieux développées se présentent-elles sous la forme orale presque toujours dans un contexte dialogue. Pour que sa conviction se fasse jour, il faut que son impression personnelle s'oppose d'une apologie,… (see Lionel Duisit 39)

يقول أوليفر بيرنير (Olivier Bernier):

Walpole wasfinally able to do hisfriend justice. By publishing her letters, he made sure that " long after the reputation of her salon had faded, Mme du Deffand would be remembered gratefully by all those who find pleasure in a lively mind and a sharp pen" (Bernier, 1981, 34)

28- These Letter are valuable for many reasons, including the range in the earlier centuries women's correspondence of topics discussed, and variety of styles. They show women using one of the few forms of writing open to them with wit and skill. Already matches the expressiveness if not erudition of mens'. By the sixteenth century their scope has increased and they use the more complex, gravely formal discourse of Tudor age, to draw attention to female needs . Lively conversational modes developed in the eighteenth century, when women were famed for their wit and political acumen. They prefigure the direct, sometimes colloquial registers of today. This wealth demonstrated that a tradition of female letter-writing has existed for at least eight centuries. (see 800 tears of Women's Letters, by OLGA KENYON, Sutton Publishing Limited, 1997, P:ix Introduction

29- بعض من هؤلاء الكاتبات كن يصدرن أعمالهن الأدبية بأسمائهن، لكن بعضًا من الكاتبات كن يصدرن مؤلفاتهن تحت أسماء مستعارة، أو يخترن صفة لهن فقط؛ مثال السيدة،(By a lady) هذه الظاهرة استمرت حتّى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر. أي حتى عصر جين أوستين (Jane Austin) في إنجلترا و مدام دي ستال (Mme de Stael) في فرنسا. ولكن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، تقبل المجتمع الإنجليزي والفرنسي ككاتبات رسميات، وأصبح بعض منهن يعتمدن على دخلهن من التأليف وما يحصلن عليه من بيع أعمالهن الأدبية. (See, Halsband , 1976, 55)

مقاربة نظرية حول تطور الفكر المقـاولي

ملخص

نحاول من خلال هذا المقال عرض و تحليل مختلف النظريات التي تناولت المقاولية من خلال الرجوع إلى الجذور التاريخية لمصطلح المقاولية، انطلاقا من دراسة القدم منها وصولا إلى الأحدث. لذلك نتطرق في عنصر أول للمقاولية في العصور الوسطى وهي الفترة التي لم يبدأ بالكتابة والبحث في مجال المقاول والمقاولية، ثم نتطرق في عنصرين آخرين للمدارس التي تناولت تحليل المقاول على أنه مجابه للأخطار و مجدد وذو قرار جيد، وذلك ضمن نظريات كل من كونتيون، نايت وشامبيتر وساي .ثم يتم الجمع بين نظريات نايت و ميزس وكل النظريات السابقة في فكرة أن المقاول هو محرك و منشط للسوق، و أنه فرد يقظ.

و في عنصر آخر نتطرق للمقاول في النظريات الحديثة، يأتي على رأسها بيتر دروكر الذي يؤكد أن روح المقاولة هي سلوك و ليست ملامح أو صفات شخصية لفرد ما.في حين يؤكد كاسون أن سلوك المقاول بعيد عن التكميم، وقد يعود تفسير ذلك للمدرسة السلوكية، وهنا وجدنا أن ماك ليلاند كان أبرز المنظرين في هذه المدرسة، وحاول بذلك تحديد الرغبة في تحقيق الذات كأهم عامل مفسر لسلوك المقاول.ثم تنتهي الدراسة إلى فترة الثمانينات التي يشهد فيها مصطلح المقاولية اهتماما كبيرا تترجم في تعدد الأبحاث حولها ضمن مختلف العلوم والتخصصات الاجتماعية والإنسانية...

أ. صندرة سـايبي

كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير
جامعة قسنطينة 2
الجزائر

Résumé

Dans cet article, nous essayons d'analyser les différentes théories ayant pour objet l'entrepreneuriat. La première partie traite de l'entrepreneuriat dans le moyen âge. En second lieu, il est question de la théorie de Knight et de Mises, ainsi que de toutes les théories développées autour de l'idée que l'entrepreneur est un individu lucide, un moteur et un stimulateur du marché. Enfin, nous présentons la conception de l'entrepreneur selon la théorie moderne, dominée par Peter Drucker, qui soutient que l'entrepreneuriat est, avant tout, un type de comportement, qui ne se réduit pas aux caractéristiques ou qualités personnelles d'un individu.

مقدمة

عرف البحث والتكوين في مجال المقاولية منذ سنوات قليلة خلت إقبالا كبير من طرف العديد من الفاعلين كهيئات المرافقة، المؤسسات الكبيرة، هيئات التعليم العالي والمدارس العليا، وتعددت بذلك الدراسات التي بحثت في تعريفها وتحديد سبل تشجيعها في المجتمع.

Enfin, nous présentons la conception de l'entrepreneur selon la théorie moderne, dominée par Peter Drucker, qui soutient que l'entrepreneuriat est, avant tout, un type de comportement, qui ne se réduit pas aux caractéristiques ou qualités personnelles d'un individu.

ورغم تعدد الأدبيات الوفيرة التي تدرس المقاولية فلا يوجد هناك تعريف مقبول من طرف الجميع، فالتعاريف التي أعطيت بقيت تابعة لطبيعة التخصصات التي اهتمت بها، وكذا التحولات الثقافية والاقتصادية التي شهدتها الدول، والتي أثرت على نشاط مجتمعاتها، فالتغيرات السياسية والتكنولوجية والديموغرافية دفعت المقاولين إلى تبني مواقف جديدة واكتساب مهارات أكثر تلاؤما مع طبيعة وحدة التعديلات والتطورات التي تطرأ على محيطهم.

وارتبط مفهوم المقاول أيضا، بحاجة النظرية الاقتصادية إلى نموذج نمطي يمكن من تقديم شرح عام لآلية عمل اقتصاد سوق. فالفكر المقاولي يعتمد على حقيقة أن التنمية الاقتصادية هي نتاج للمبادرة الفردية، وتعدد النظريات وكثرة الانقسامات بين مختلف مدارس الفكر الاقتصادي والذي أدى لغياب نظرية للمقاول تحظى بالإجماع داخل المجتمع العلمي. فمنذ مجيء ساي تمكننا من تقسيم نظريات المقاول إلى نمطين: النمط الأول وصفي والثاني سلوكي، والذين جمعا ليضعا وصفا للملامح الشخصية للمقاول، كالوقار في بعض الأحيان، والتذمر أحيانا أخرى إزاء التطورات الرأسمالية، وهنا يطرح التساؤل الجوهري التالي: ما هي الأدوار الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن أن يلعبها؟ ما هي النظرات الموجهة إليه، وكيف ينبغي النظر إليه؟

والإجابة عن هذا التساؤل ستمكننا من إبراز مدى إسهام تاريخ الفكر الاقتصادي في تطور مفهوم المقاول الذي مر بفترات من التغييرات الاجتماعية الكبيرة ميزت القرون الماضية من تاريخنا. كما نحاول من خلال هذه المساهمة إعادة النظر في النظرية الاقتصادية للمقاول، من أجل تحديد تطور المفهوم في ظل تنوع المدارس الفكرية، وكذا المساعدة على فهم أفضل لصور وأشكال المقاول في بداية الألفية الثالثة. و من هذه الزاوية يتشابه عملنا هذا مع المغامرة، أو السفر إلى أماكن معروفة وموثقة، من خلال العودة إلى المصادر الأصلية لولادة المصطلح ثم عرض التطور النظري له، وهذا ما يعمق من فهمنا ومعارفنا للمقاول.

1. المقاول في العصور الوسطى

رغم أن المقاولية بدأت تأخذ اهتمام ملفت للانتباه عند مختلف المختصين في السنوات القليلة الماضية، لكننا نجد أن هذا المصطلح له جذور تاريخية تعود لأزمنة بعيدة لم يتم فيها بروز مصطلح المقاولية أو على الأقل نتوئه كمفهوم يستحق الاهتمام والدراسة، وسميت هذه الفترة من قبل الباحثين في بعض الأحيان "بما قبل التأريخ للمقاولية " والتي نعرضها كما يلي:

1.1. المقاول التاجر و المغامر

قسم النشاط الاقتصادي في القديم إلى قسمين؛ القادة والأتباع، أما حاليا فتتحدد موهبة المقاول في القيادة.

كما انحصر المقاول في هذه الفترة ضمن صف التجار والعسكريين إلى جانب صفة النبل التي يحملها، أي القائد العسكري الكفء، لأن الحروب عادة ما تقوم لأسباب اقتصادية، فالجنرال الذي يقوم بتحديد و تنفيذ إستراتيجية ناجحة في الحرب يتحمل مخاطر معتبرة توقعا منه لجني أرباح اقتصادية.

ويضع التجاريين أنفسهم في مجال الخطر الذي يشبه إلى حد كبير وضعية العسكريين، حيث تتوافق وظيفة التاجر و المغامر عند نفس الفرد.

فماركوبولو **(Marco Polo)** مثلا كان مغامر يبحث عن تأسيس تجارة نشطة نحو الشرق، والتي تتمثل في تصوره في البحث عن أرض تحمل الجديد والسحر الإنتاجي، وهنا هل يمكن اعتباره مقاولا؟

ومع هذا فالشجاعة في الأعمال لا تعادل شجاعة خوض الحروب، لذا كان الفلاسفة القدامى ينظرون للتاجر بشكل جد متدني. وهنا نجد أن أرسطو قد حدد فعلا مكانة التاجر داخل المجتمع، و لكن لم ينظر له على أنه ذو مكانة عالية، على العكس فينظر له على أنه فارًا من الخوف و من معاناة المجتمع وانتقاداته وجشعه.

وتبعا لأرسطو فإن التجارة الرابحة تقسم نفسها إلى عوامل مختلفة منها الإدارة المنزلية وتجارة التجزئة، كما اعتبر التاجر بأنه غير طبيعي حيث يهيئ لنفسه وسيلة لكسب المال على حساب الآخرين، و بالفعل فقد كان اهتمام اليونانيون يتجه نحو الحفاظ على الوضع الراهن لتفسير النشاط الاقتصادي في إطار لعبة يكسب فيها شخص ويخسر الآخر، وهي الفكرة التي هيمنت وسيطرت إلى غاية القرن الثامن عشر، ومن هذا المنظور فإن التجارة لم تسهم في تحقيق رفاهية المجتمع، بل أن قرون التجربة التي أجريت حول السوق ينبغي أن يكون لها فكر يخالف ذلك، حيث من الملاحظ استمرار هذه الفكرة لحد وقتنا الحالي، فالربح الذي يعتبر عائد للمقاولية يبقى مشتبه فيه و خاصة في ذهن الكثير من الأفراد وخاصة المتعلمين منهم، و هذا ناتج جزئيا عن قدم التفكير الغربي ومساواته لرجل الأعمال مع "الشبح"، أي الفرد الذي يترك أثارًا و لكنه غير ظاهر للعيان.

2.1. الأشكال المبكرة للمنظمات التجارية

إن الميل للتأكيد على أهمية قرارات الفرد في تحديد طبيعة إستراتيجية النشاط الاقتصادي تتوقف على مدى اتساع النوع السائد لتنظيم المؤسسة، ففي القديم كانت تأخذ التجارة مكانها ضمن وحدات صغيرة النطاق نسبيا يبقى فيها رأس المال المطلب

الأساسي، لذا تنشأ علاقة بين الرأسماليين و التجار المغامرين تتحدد في العقود التي يقومون بإمضائها.

في بداية السنة 1000، أصبح من العرف إقراض المال بمعدل فائدة 20% في شكل عقد يعرف بالعقد التبادلي، و يكون فيها القرض مؤمن بإحكام من طرف العقار.

في أواخر القرن الثاني عشر كان الشكل الأكثر انتشارا للاستثمار التجاري يتجسد في القرض البحري (الشركات البحرية)، و التي تتمثل في اتفاقيات تعاونية بين المسافرين والمستثمرين في إطار شراكة تجمع بينهما، وهنا غالبا ما تكون الفوائد المسددة أكبر لأن أخطار الغرق و القرصنة تظهر لدى المقرض بدلا من التاجر، وحسب رايموند روفر **(Raymond Roover)** فإن الشريك المسافر يشرع في سفر مخطر، فينجز أعماله و يخاطر بحياته مقابل تلقي الربع (4/1) فقط من نتيجة هذه الأعمال، في حين أن حصة الأسد أي الثلاثة أرباع (4/3) الأخرى تذهب للشريك المستثمر، ومن خلال شرح ريموند روفر نجد أن الرأسماليين يحصلون على عائد أكبر لأن الحياة كانت غير مكلفة (رخيصة) ورأس المال نادر.

وكانت البندقية تعتبر أكثر المدن الأوروبية النشطة في مجال التجارة في القرن الثامن عشر، وكانت العقود الأكثر انتشارا تعرف بعقود الزمالة **(Colleganze)** وتبعا لهذه العقود فإنه ينبغي على الرأسمالي توظيف وكيل ويعده بمنح الربع (4/1) من الأرباح، في حين ينبغي على التاجر المغامر **(Enterprising)** أن يمنح هذه الأموال المستثمرة لعدة أفراد آخرين، في القرن الرابع عشر كان يؤمن الأموال من قبل التجار والمغامرين (**Routledge**) في إطار شروط تتبع معدل الفائدة السوقي تحت شكل عقد يعرف بـ"الزمالة المحلية **(Local Colleganza)**، و في إطار تجارة الحاويات قد يصبح أحيانا رأسالمال مركزًا في ظل كل شركات الأعمال، و بهذا الشكل يمكن التوقع بحجم الخسائر الناجمة عن هذا الرأسمال، و هذا ما أثبتته الوثائق التجارية القديمة.

في حين نجد أن فريتز ريليش **(Fritz Redlich)**، يضع في القرون الوسطى تفسيرًا للعائد المرتفع لرأس المال أو فيما يعرف بخطر الربا، حيث في ذلك الزمن كانت الكنيسة تفرض على رجال الأعمال دفع معدل فائدة عادل عند اقتراض رأس المال من سوق القروض، وبالتالي يجبر المقاولين على دفع عقوبة جزاء التماس القروض من طرف الكنيسة.

فقد كان الكتاب الاقتصاديون الأوائل عبارة عن كهنة لاهوتيين ينشطون داخل الكنيسة، وبهذا الصدد يرى ريموند أنه نتيجة لأخذ الأخلاق في الحسبان وبجدية في أبحاثهم، حصرت اهتماماتهم في بعض الإشكاليات، نجد من بينها المقاولية.

3.1. حقوق الملكية و الوظيفة المقاولية

هناك عنصرين مختلفين متعلقين بالمقاولية يمكن استخلاصهما من خلال الرجوع إلى أدبيات العصور القديمة و العصور الوسطى، وهما:

أولا؛ اعتبار التاجر مغامرًا صفة جد مألوفة خلال القرون القديمة، أما العنصر الثاني فإن نجاحه يتوقف على كيفية قدرته على التغلب على المخاطر والعراقيل القانونية والهيئية، ويعرض الكثير من كتب هذه الأدبيات العلاقة بين الخطر والمقاولية، لذا يتعين علينا الإشارة إلى العوامل الهيئية والقانونية التي تخفف من حدة المخاطر.

فالمقاولون (سواء حديثًا أم قديمًا) يعملون في ظل وجود محيط هيئي، و التي تمثل أحيانا شكل من أشكال جهود تحفيز المقاولية، و بالتالي يمكن القول أنه هناك "مقاول سياسي" لأنه هو من ينفق جهود من أجل تغيير هياكل الهيئات والممارسات حتى يستفيد منها هو بنفسه.

فالشكل الأول للمقاولية ينطوي على تحمل المخاطر وعلى المبادرة الفردية المتواجدة في ممارسات القرون الوسطى المتعلقة بجمع الضرائب والرسوم الزراعية، فكانت ضريبة المزارع في القرون الوسطى أحد أهم المزايدات الناجحة الخاصة بمبالغ الضرائب التي يمكن تجميعها، والميزة تكون للملك الذي يستثمر خارج تجميع الضرائب يمكن أن يجمع مداخيل ضريبية أقل مما يقوم بها في امتياز جمع الضرائب، و تطبيق الرسوم الزراعية يعود إلى عهد اليونانيين أو إلى عهد أقدم من ذلك.

ورغم أن هدف خلق الأرباح يبقى الحافز الأساسي للمقاولين للمبادرة، إلا أنه لا يشكل شرط كافي لممارسة نشاط المقاولية، بل ينبغي أن يكون المقاول مسؤولا أيضا على ضمان اكتساب شرعيته، تضمنها بعض ممارسات الهيئات على مستوى الاقتصاد الوطني والتي قد تؤدي إلى تشجيع مستوى الأنشطة المقاولية، و خاصة منها ما يلي:

أ. وضع اقتصاد حر ومفتوح يسمح بالمساواة في القدرة على اقتناص الفرص المقاولية.

ب. ضمان الملكية فيما يخص الممتلكات المكتسبة قانونًا.

ج. استقرار التطبيقات الخاصة بهذه الهيئات والتي تعمل على تجسيد كل من النقطة (أ) و (ب) السابقتين.

وقد يكون انتشار وديمومة الرسوم الزراعية كنشاط مقاولي يرجع إلى الضمان الكبير الذي تلعبه الرسوم المقاولية في كونه تاجر مغامر، أين تكون فيه السلع والبضائع عرضة للحرق أو السرقة، وأخطار العواصف وكل الأشكال الأخرى للأخطار و الدمار التي تكون فيها الأرباح تعكس المجهود المبذول والتوقعات المرتبط بالمسار المتبع.

2. مدرسة كونتيون نايت و شامبيتر

يعتبر كل من كونتيون وشامبيتر من أهم المفكرين الاقتصاديين الذين اهتموا بمعاجلة المقاول و تحديد دوره في الاقتصاد، و يمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

1.2. اللأكادة عند كونتيون

دخل مفهوم المقاولية على النشاطات الاقتصادية في مطلع القرن الثامن عشر على يد ريتشارد كونتيون **(Richard Cantillon)** الذي يعتبر أول اقتصادي اهتم بالمعالجة النظرية للمقاول، و ذلك في سنة 1730. حيث أن هذا الرجل الايرلندي البنكي الذي عاش خلال القرن الثامن عشر، أول من أعطى تعريفا لمواصفات المقاول ومكانته الاجتماعية و وظيفته في كتابه **Essai sur la nature du commerce en générale** الذي كتبه بين سنتي 1716 و 1734 و لم ينشر إلا في سنة 1755 أي بعد 21 سنة ، بل أن كونتيون لم يكن معروفا حتى لدى زملائه في نفس الجامعة التي كان يُدَرِس بها.

ونجد أن كونتيون قد خصص كل الفصل الثامن من هذا الكتاب لتحديد خصائص هذا المقاول، حيث يذكر أن:

« المقاول هو ذلك المزارع الذي يقدم وعدًا للمالك بتسديد مبلغ من مال ثابت يتناسب وقيمة المزرعة أو الأرض – لنفترض أنه يساوي قيمة المنتجات في الأرض – دون أن تكون له أي دراية بمستوى الأكادة الخاصة بالمزايا التي يمكن أن يحصل عليها من هذه المجازفة. ويقوم باستخدام جزء من هذه الأرض لتغذية الأغنام و الأبقار ولإنتاج البذور...، وذلك حسب ما ترشده إليه أفكاره، دون أن تكون له أي دراية بحجم النقود التي سيجنيها ».

وفي إطار آخر يحدد المهن التي يمكن أن تجعل منه مقاولا، حيث يمكن أن يكون تاجرًا مشتري للصوف يصنع منها الملابس، أو بائع للملابس أو صاحب مناجم أو بناء للعمارات، أو صاحب محل صنع الحلويات والأمر الذي يجمع بينهم هو أنهم يشترون بمبلغ معلوم ويبيعون أو يقومون بعمل غير معلوم الدخل.

لينهي هذا الفصل من الكتاب بمبدأ مهم يتمثل في أن ملاك الأراضي هم الوحيدين التابعين طبيعيا للدولة. أما البقية فهم مستقلين عنها إما أن يكونوا مقاولين أو يقوموا بالرهان. وأن كل مقايضة و دوران لنشاط الدولة هو مبني على قيادة من طرف روح المبادرة لهؤلاء المقاولين.

أما نحن فنشير إلى أن كونتيون ركز في معالجته على صورة التجارة ليعكس بذلك عنوان كتابه، على عكس الفيزيوقراط الذين ركزوا على الزراعة.

1.1.2. صورة المقاول المجازف عند نايت (Knight)

يأخذ نايت تعريف كونتيون في الحسبان، ويقدم بذلك نمطين من الأفراد؛ أفراد **يحبون مجابهة الخطر** و آخرون **يحبون معاداة الخطر.**

إن خلق مؤسسة يعني تقبل تحمل مخاطر مالية، و مهنية (وليس أبدًا ضمان للعمل)، وأخرى عائلية وجسدية وحتى نفسية، سيما إن فشل المشروع لذا تحاول النظريات الراهنة حصر وتشكيل الخيارات المقاولية، من خلال حساب اقتصادي يعتمد

على الاحتمالات، وهنا تبرز ضرورة الأخذ بعين الاعتبار **معيار الخطر واللأكادة،** وهذين المصطلحين الأخيرين لا يعنيان نفس الشيء ولاسيما عند نايت الذي يعتبر هو المرجع في التفريق بين الخطر واللأكادة، وهذا بدوره يؤثر على طبيعة القرار الذي يتخذه المقاول، فبالنسبة له إن اتخاذ القرار في ظل الخطر يستوجب الأخذ في الحسبان عدم أكادة الحصول على الأرباح، والتي يتوقف تقديرها على اعتقادات ومعارف المقاول.

2.1.2. شامبيتر و صورة المقاول المجدد

نجد في النظرية الشمبيترية أن المقاول هو ليس مجابه للأخطار و لكنه مجدد، حيث يعرف المقاول على أنه القائد والمحتوي، فهو إذن يختلف عن من هم محتوون أو التابعين، فهو له ميزة القـائد ويضع نفسه في جو الفردية والعقلانية. كما يعمل على كسر الجمود والخمول والتقليد والروتين، ويعرفه شامبيتر أيضا بتبيان صفاته الخاصة، وعدائه للتبعية أي:

1. تنبؤاته مكيفة و ليست محددة و دقيقة الحدوث،
2. تجارب تقوم على أساس العادات و ليست مبنية على المستجدات و العفوية،
3. حسابات مبنية على التفاؤل و ليست على تصور الخيال،
4. سلوكات روتينية تهدف إلى الحيطة مما يخفيه عالم اللأكادة و ليست سلوكات مبنية على التجديد تهدف إلى الاستجابة لنفس متطلبات عالم اللأكادة.

وبالتالي فإن تواجد الأفراد المجددين على مستوى السوق هو الذي يحدث التغيير، و يبعث سيرورة خلق الثروة والتنمية الاقتصادية، لذا نجد أيضا أن شامبيتر يرفض فكرة والراس **(Walras)** عن المقاول الذي يرى بأن هدف هذا الأخير هو على الأقل الوصول إلى نقطة التعادل (لا ربح ولا خسارة). وكذا يرفض في نفس الوقت تعريف مارشال **(Marshall)** للمقاول على أنه له وظيفة واحدة تنحصر في إدارة الأعمال أو المناجمنت، حيث يرى بأن المقاول مهمته أوسع من ذلك.

ويؤكد على أن المقاول هو مصدر لتحريك الدورات الاقتصادية، ويخلق ظروف تستوجب وضع سياسات على مستوى الاقتصاد الكلي تعمل على إحداث الاستقرار.

وحسب شامبيتر دائما إن فكرة اعتبار المقاول فردًا مجددًا لا تنحصر على مستوى السوق فقط. بل أنه يؤثر حتى على صورة التاريخ والتحولات الاجتماعية و الثقافية، وهو كذلك الفرد الذي يبادر مهما كان النظام الاقتصـادي والسياسي السائد، سواءً كان النظام اشتراكيًا أو رأسماليًا أو حتى عشائري (قبلي). و مع هذا فهو لا يحمل نفس الصفات التي سادت القرن التاسع عشر إذا ما قورنت مع نظيرتها التي حملها عند ظهور المؤسسات الكبيرة مع بداية القرن العشرين. حيث أن هذه الفترة شهدت تركزًا

كبيرًا للشركات، و كان ينبغي فيها على المقاول الذي يريد احتواء كل شيء أن يحمل صفة المنظم و المنسق.

و صورة القائد الفردي هذه تعود حتمًا إلى تطور الرأسمالية و التي تتحول تدريجيا بشكل أو بآخر إلى ما يعرف **بتطور رأسمالية الدولة** حيث نجد في كتابه **Capitalisme Socialisme et Démocratie** تنبؤ **بنهاية الرأسمالية التقليدية و ظهور نظرية الدولة المقاول**.

فالدولة كمقاول ستقوم بثورة على مستوى الزراعة مثلا من خلال الدفع بعملية التحديث على مستوى السياسات الزراعية، و كذا التوسط على مستوى الصناعة من أجل توجيهها إلى التجديد أو مرافقتها من خلال إحداث سياسات استثمارية في البنى التحتية.

وبالتالي فإن نظرية كونتيون و نايت وشامبيتر تعالج إذن الخطر واللأكادة والتجديد، فالوظيفة الأولى للمقاول هي تسيير اللأكادة أما الثانية فهي التجديد من أجل التوسط في حركية تصحيح السوق ونخلص إلى أنه للمقاول صفتين، فهو لا يخاف تحمل الخطر وهو محفز، إذ أنه يبحث على أن يكون الأول، ولهذا السبب فليس بالضرورة أن يثر على مستوى السوق فقط، أو ما عبر عنه بالدولة المقاول، أما الصفة الثانية فتتمثل في تجنيدهم ومنحهم كل مواردهم مقابل معدل ثابت ثم يقومون ببيع سلع و خدمات **بسعر غير أكيد.**

وبالتالي تحمل المقاول للمخاطر وإقباله على المجازفة في إطلاق مجموعة من النشاطات يسهم في توفير إمكانات للحصول على الثروة وتوزيع الملكية، وبالتالي فالمقاولين هم مصدر للتـوازن بين الإنتـاج و الحاجات.

3. ساي و خلفائه فيما بعد: المقاول المسير للموارد

بعد النظريـات السـابقة أتت فيمـا بعد إسهـامات المدرسة الفرنسيـة لكـل من كونديـاك **(Condillac.)** و تـورغـو **(Turgot)** ثـم ساي **(Say)** حيث أننا نجد ساي في كتـابه **Traité d'économie Politique** الذي كتب سنة 1803 يبرز أن المقاول هو نواة السيرورة الاقتصادية، أو يرى أنه عادة ما يكون مالكًا لرأس المال أو لجزء منه، الأمر الذي يضمن له عملية الانطلاق.

ويرى أيضا أنه غالبا ما يخلط الاقتصاديين الإنجليز في معنى الربح. فالعائد الذي يحصل عليه المقاول من صناعته يكون نتيجة لموهبته **(Talent)**، فينبغي التفريق هنا بين ربح الصناعة و ربح رأس المال. فالذي يملك نسبة أكبر من رأس المال في المؤسسـة لا يعني أنه أكثر موهبة والأصل أن كل الأرباح التي تحققها المؤسسة وربح

رأس المال و ربح الأمـوال المقترضة هي أرباح حققها المقاول ، لأنه هو من أخذ في الحسبان كل حظوظ الإنتاج سواء كانت سيئة أم جيدة.

وبالتالي فقد حدد دور المقاول في **العملية الثانية** في نشاط أي صناعة، والمتمثلة في **تطبيق المعارف المكتسبـة** بغرض إنتاج منتوج قابل للاستهلاك. حيث يوضح في كتابه **Catéchisme d'économie politique** أن المقاول يقوم بعدة عمليات في عمله. و تتمثل في **امتلاك المعارف** التي تمثل قاعدة النشاط الذي يريد أن يقوم به، ثم بعد ذلك **يجمع الموارد و الإمكانات** التنفيذية الضرورية من أجل **خلق منتوج** ما. ثم في الأخير **يشرف على التنفيذ.** و حسب رأيه فإن هذه المعارف تتمثل في تحديد طبيعة الأشياء التي يسيرها أو يوظفها مثل الأذواق والقوانين الطبيعية التي يمكن أن تساعده على ذلك. ويحصل المقاول على هذه المعارف من المراجع، لهذا ركز ساي على ضرورة تجديد هذه المعارف.

بالإضافة إلى ذلك يصنف ساي المقاول إلى ثلاثة فئات؛ **مقاولين في صنـاعة الزراعـة** (المزارعين مستغلي المناجم، ملاك الأراضي، مستغلي المحاجر، البحارين...) معتبرً المقاول هو من يعمل لحسابه، أما الذي يعمل كأجير فمن يقوم بتسديد أجره هو المقاول.

أما الصنف الثاني فيتمثل في **مقاولي الصناعة المعملية،** وهم المقاولين الذين يعملون لحسابهم الخاص وينتجون منتوج متواجد مسبقا ومضاف عليه تجديدات ترفع من قيمة هذه المنتوجات، وهذا لا يعني أن هذا الصنف يشمل ذلك المقاول الذي **يجمع عددًا كبيرًا من العمال** بل قد يكون **نجـارًا** يصنع نوافذ وأبواب. أو حادًا أو دهانًا للعمارات... وهنا ليس من الضروري أن يكون المقاول مالكًـا للأدوات، فقد يكون المقاول هو نفسه الأجير.

أما الصنف الأخير فيتمثل في **مقاولي الصناعة التجارية** هم الذين يقومون بتحويل المنتجات من طرف للآخر، من خلال القيام ببيعها (نفس الوضعية تم شراؤها بها)، فتصبح في متناول الأفراد الذين يرغبون في الحصول عليها سواء جيء بها من بلد لآخر أو قاموا بتحويلها من بلدة لأخرى في نفس البلد.

ومن خلال هذا نلاحظ أن ساي أعطى قالبًـا جديدًا خاص بالمقاول، قد لا يختلف كثيرًا عما ذكره كونتيون، لكننا نجد أنه أسهم بشكل كبير في وضع إطار له واصفًا إياه **بالمنسق في عملية الإنتاج**.

إن نظرية ساي غالبا ما تكون مجتمعة مع صورة المسير للموارد، إذن فهي نظرية تعزز نظرية تورغو التي تجعل من المقاول الفردي محور كل أنظمة الإنتاج والتوزيع، أو الذي يفضل تشغيل أمواله في الصناعة ليحصل على عائد أعلى مما لو أقرضها لفرد آخر مقابل الحصول على فوائد.

وهذا الوصف في المدرسة الفرنسية يفسر دون شك أهمية أعمال كورسال الذي اتفق تماما مع ساي في مجال تسيير المؤسسة، حيث كتب أول معالجة تطبيقية لتسيير المؤسسة، ويكون بذلك أحد مؤسسي الإدارة الحديثة للمقاولين في منتصف القرن التاسع عشر.

وقد أطلق كل من ساي و كورسال و لوري **(Leroy-Beauli)** نظرية تعرف بـ **Austro-américain** للمنظمات تبرز أن أصالة النظريات الاقتصادية للمنظمات تتمثل في الربط بين نظرية المقاول و نظرية المنظمات.

ونتيجة لكون النظريات التي جاءت بها المدرسة الفرنسية قامت بتقليص بُعد المقاول إلى درجة اعتباره **مقاول مسير للموارد ومنسق**، يثبت كولمان **(Koolman)** أن الضعف الرئيسي لنظرية ساي هو **ضعف معالجته لدور المقاول**. حيث كانت ملاحظاته جد قليلة فيما يخص العلاقة بين أنشطة المقاول و سيرورة تراكم رأس المال من جهة، وعدم التأكيد على الدور التجديدي للمقاول من جهة أخرى، بل بالعكس فقد أخذ المقاول فقط من منظور **المنسق**.

ومع هذا فحصر المقاول في صورة مسير للموارد في المدرسة الفرنسية ليس تمامًا بالأمر الصحيح، حيث أن المقاول يعرف أيضا بأنه ذو حكم جيد في نشاطه التسييري داخل المنظمة مثما أكدته النظرية التوماسية **(Théorie thomiste)**، وتأكيدًا على ذلك نجد أن ساي في كتابه **Traité d'économie politique** في سنة 1803 يدعم الميزة الأساسية للمقاول الناجح ذو الحكم الجيد.

وتأتي روح القيادة هذه بعيدة عن المهارات العقلانية، فهي مغذاة من طرف المعارف الفردية و من الفطرة، أي يمكن أن يكون كل **الأفراد مقاولين**، لأن كل فرد يمكن أن يكون له حكم جيد في مجال خاص ومحدد على مستوى السوق.

ويقود ذلك إلى تدعيم فكرة عدم ضرورة ملكية المقاول لرأس المال إمكانية اجتماع هذين الأمرين في شخص واحد.

فوظيفة المقاول تختلف إلى حد كبير عن وظيفة منح و توجيه رؤوس الأموال. إذ أنه يعيد توزيع الموارد نحو الاستعمالات التي يراها المستهلكون بأنها أكثر تطلبا. وبالتالي فهو يؤثر على عملية إعادة توجيه الأموال في كل قرار من قراراته نحو مشاريع وتقسيم للثروات. لذا قد يلجأ إلى إقناع أصحاب رأس المال لدعمه في تأسيس مشروعه.

ومن أجل أن يكون قرار المقاول جيدًا، ينبغي تواجد ثلاثة عناصر، يلخصها ساي في:

1- ضرورة امتلاك المقاول للكفاءات المعنوية الجيدة للنشاط الذي يرغب في مباشرته؛

2- ضمان أن يكون هناك رأسمال للمؤسسة يضمن لها انطلاق للنشاط؛

3- مجابهة الخطر والصدفة الذي يرتبط بمؤسسته، وكذا نتائج اللأكادة المرتبطة بما سيتحصل عليه من فوائد.

وللتقليل من كل هذه الأخطار واللأكادة والقدرة على اتخاذ القرار الجيد، يقوم المقاول بتعلم أصول الاقتصاد والتسيير، أي ينبغي أن يتحكم جيدًا في فن المقاولة **(L'art d'entreprendre)**، أو بعبارة أخرى فن العمل و التوظيف **(L'art d'employer)** الأحسن لرأسالمال والعمل.

ونخلص إلى أن علـوم إدارة الأعمال هي علوم هذا الفن المتمثـل في **التوليف (Combinaison) والإدارة فالمقاول** هو إذن الذي **يدير (Dirige) ويسير (Gère)** و ليس مجدِد فقط. ففضلا عن إتقانه للقدرة على توظيف و استغلال رأسالمال ينبغي أن ينجح في الرفع من مردودية العمل.

ففن المقاولة لا يمكن أن يتوقع له ديمومة الحياة إذا ما دخل هذا المقاول في صراعات مع موظفيه، فمن المهم إذن أن تؤسس قراراته بناءً على كل ما يجري من أنشطة تخص المؤسسة (معرفة المنتجات، وضعية الكمبيالات المالية...).

ومن أجل معرفة ما هو المنتوج الذي ينبغي إنتاجه، من المفترض أن يقوم المقاول بتقييم رغبات المستهلكين، ويستبِق عملية تقديرها وتطورها. وبالتالي فإن ساي وكورسال هما من أعلنـا بطريقـة أو بأخرى عن مدلول التسويق. وفي نفس الفكرة وحسب ساي دائمًا ينبغي على المقاول أن يعرف طبيعة المنتوج الذي يريد إنتاجه.

في هذا الإطار يعتمد المقاول على خبرته الشخصية ومهارات ومعارف الباحثين والعلماء والمهندسين. ثم يقوم بالتنبؤ ليس بالإنتاج فقط، لكن حتى بالتمويل والمردودية. ثم ينبغي أن يقوم بالقيادة. وحتى والتنسيق الذي لم ينس.

وبالتالي فوظيفة المعرفة، والتنبؤ، والتنظيم، والأمر، والتنسيق، والرقابة...تنبهنا إلى أن هنري فايول **(Henry Fayol)** هو مدين لساي. وحسب هذا الأخير ينبغي على المقاول أن يقوم باستعمال مراجع حول الاقتصاد السياسي، تعمل على نشر معارف أساسية مبسطة تكون ضرورية له لكي يكون له حكم جيد، وبالفعل شهدت سنة 1829 نشر **ثلاثون مرجع حول الموضوع**، حتى أن كريستيان جيرارد **(Christian Gerard)** مدير المحافظة الوطنية للفنون والمهن بفرنسا قام بنشر كتب حول **ترقية المبادئ الأساسية للتنظيم الصناعي**. كما دفع ذلك إلى فتح أول **مدرسة خاصة عليا للتجارة سنة 1819.**

إن النظرية التي قدمها ساي في هذا الاتجاه تحمل شكل الإيجابية الصناعية من خلال استبدال المقـاول بمديـر الأعمـال **(Managers) الـذي تشكـل ضـمن علـوم التسيير و العلوم الدقيقة (تايلورTaylor..).**

وإذا ما تتبعنا المدرسة الفرنسية نجد أن المقاول لا يمكن أن يكون له حكم جيد إذا ما اكتفى فقط بحفظ ودراسة الاقتصاد والتسيير، وبالتالي فالرسالة التي أراد أن يمررها رواد هذه المدرسة هو أن القرار أو الحكم الذي يتبناه المقاول هو ليس مؤسس على العلم فقط، وإنما أيضا على حسِه في عالم إدارة الأعمال في المجال العملي.

وبالتالي فإن هذه المدرسة لها وضعية متدرجة يمكنها بشكل أو بآخر القيادة إلى الاعتقاد **أن علوم إدارة الأعمال** يمكن أن تُعلَم بذلك كيفية القدرة على الحصول على حكم جيد. وهذا الأمر غير ممكن حيث تبرز النظرية التوماسية للحذر في عالم يتسم بعدم الأكادة أن المعرفة لا يمكن أن تكون حلا يحول دون الخطأ في اتخاذ القرار أو الحكم، بل يجب أن ترافقها أيضا القدرة على تخيل ما يحدث مستقبلا واستغلالها في الفرصة المناسبة.

أي ينبغي معالجة و دراسة كل حالة بحالة من أجل تجنب الفشل في اتخاذ القرار، و بهذا فإن المدرسة الفرنسية لا تعتبر المقاول مسيَر للموارد و إنما فردًا له القدرة على الحكم الجيد على الأعمال حاضرًا و مستقبلاً.

4. نظرية ميزس Mises متأصلة من المدرسة الفرنسية

إن نظرية و ميزس جد قريبة من المسلمة الفرنسية وتلك المواضيع المقترحة من طرف ساي، فهي تهتم إذن بتحديث النظرية الفرنسية، وتعميم نتائجها من خلال التعريف الفوري للمقاول على أنه فاعل (Acteur) وترفق نفس التحليل الخاص بالوظائف الثلاثة للمقاول، فهو يسير الأكادة (نايت)، و ينظم الإنتاج (ساي)، ويجدد (شامبيتر). ثم تمدد ذلك للقول أن ساي و نظريته للحكم الجيد تعرف المقاول على أنه فرد يقظ.

ونجد أن ميزس في تقديمه للسوق يعرف المقاول على أنه محرك السوق و منشط له، و أن المستهلكين هم السادة الملاك، الذين يضمنون الأرباح للمقاولين تبعًا لتنبؤاتهم الجيدة بالأعمال.

فبالنسبة له، للمقاول وظيفة خاصة تتمثل في تحديد كيفية استغلال موارده الإنتاجية، ويقوم بتجنيدها من أجل تحقيق غايات خاصة، و ذلك بغرض تحقيق هدف شخصي يتمثل في الاستحواذ على الثروات وتعظيمها. لكن هذا لا يمكنه من تجاوز قانون السوق، و بالتالي فهو لا يمكنه النجاح إلا من خلال خدمة أفضل المستهلكين، وهذا ما يجعل من ربحه متوقف على قيادة الزبائن له.

وحسب ميزس فإن العلوم الاقتصادية ليست لها نظرة فردية عن المقاول وإنما تنظر له على أنه وظيفة خاصة، و هذه الوظيفة ليست عبارة عن مواصفات خاصة لمجموعة معينة من الأفراد، بل إنها لا تفارق أي نشاط لأي فاعل. ولا يتوقف ميزس في نقده لرؤية النظرية الاقتصادية للمقاول عند ذلك بل يضرب لنا أمثلة عن المقاول يعطي فيها نظرة أوسع قد تخالف بشكل أو بآخر ما تم التطرق إليه مسبقًا، أو على الأقل تكمله.

حيث نجد أنه بالنسبة لأصحاب رأس المال عندما يقدمون أموالهم، لا ينتظرون سوى استردادها، في حين أن المقاول يجني أرباحًا تعادل مائة بالمائة، أما في حالة الخسارة فأصحاب رأس المال هم من يتحملونها كاملة. و في هذه الحالة أصحاب رأس المال هم من يتحملون المخاطر، وبالتالي ينبغي اعتبارهم مقاولين افتراضيين. أي بالنسبة لميزس أي فرد يمتلك وسيلة من وسائل الإنتاج، سواء قام باستغلالها هو بذاته أو أي شخص آخر فهو مقاول.

وبالنسبة لنا نجد أن ميزس قد أفضى بالكثير من التعميم الذي قد يسيء بشكل أو بآخر أو يقلل من شأن نشاط المقاول، وبالتالي تحريف نظرية تورغو وكذا شامبيتر، مما يقلل من شأن نظرية المقاول في إطار النظرية العامة للنشاط الاقتصادي. ومع هذا فلا يمكن تلافي أن نظرية ميزس قد أشارت لفكرة أن المقاول هو فرد يقظ وهو ما تركز عليه النظريات الحالية للمقاول، حيث هو دائمًا متفطن لفرص الأرباح غير المستغلة من طرف الفاعلين وهو الحال بالنسبة للمقاول المجدد عند شامبيتر.

وبهذا الخصوص يجتمع كل من كونتيون وساي ونايت وكورسال على أن النشاط المقاولي لا يكون في عالم تسوده المخاطر، و إنما في عالم يسوده عدم الأكادة.

5. المقاول و اليقظة Alterness

عرف المقاول في النظريات على أنه ذلك الفرد الذي لديه سرعة في انتهاز فرص الربح التي لم تستغل بعد على مستوى السوق. حيث بالرجوع إلى التطور الزمني نجد أن المقاول عند شامبيتر الذي يُعرف بتقديمه لتكنولوجيا جديدة أو تطور تقني جديد هو عبارة عن فرد استغل فرصة لم تنتهز من قبل الآخرين قبل كل شيء، وإن كان شامبيتر قد قلص معرفة المقاول إلى معرفة تقنية نجد أن ميزس ونايت قد قاما بتحديد هذه المعرفة في المعرفة المكتسبة مع الوقت. وبسبب أن هذه المعرفة قد تكون متوفرة لدى الجميع ولهم القدرة على اكتسابها، فإن المقاول ليس له شيء استثنائي يقدمه، فهو فقط فرد يرى ما لا يمكن للآخرين رؤيته في فرصة ما.

وبالتالي فاليقظة لفرص الربح تصبح إذن " علامة من صنع المقاول "، فهذا الأخير هو يقظ لثلاثة أنماط من الأرباح؛ أرباح التجديد، أرباح التحكيم وأرباح المضاربة. و لكل شكل من أشكال الأرباح هناك صورة من صور المقاول المجابه للأخطار عند نايت وصورة المقاول الذي يقوم بالتحكيم عند كايرزنر. ومن هذا المنظور فإن المقاول هو ذلك العون الذي يحصل على ربح و يتحمل المخاطر، وقد طرح كايرزنر فكرة أن المقاول هو الفرد الذي ينتهز فرص لا يراها الآخرون و في سنة 1973 حاول الإجابة عن تساؤل رئيسي يشغل علوم الاقتصاد وعلوم التسيير وهو كيف للمقاول أن يحدد فرصة ربح على مستوى السوق؟ وذلك من أجل تعريف طبيعة المقاول و تأكيد فكرة ميزس التي تشير إلى أن المقاول هو ذلك الفرد الذي لديه رؤية أبعد و أسرع من العامة.

ولهذا نجد أن نظرة كونتيون للمقاول على أنه قوة توازنية النقطة المفضلة عند كايرزنر (Kirzner). و تعتبر النظرية الخاصة بالمقاول التي جاء بها هذا الأخير أحد النظريات الأكثر أصالة، حيث أن تركيزه على فكرة فهم ميكانيزمات السوق بغية التحكم في الوقت و معرفة كل تفاصيله، تعتبر العنصر المجدد في المدرسة النمساوية.

إضافة إلى ذلك فإن المقاول عند كايرزنر هو فرد يقظ يعمل في محيط يتسم بعدم الأكادة التامة، حيث أن المقاولية لا تقتصر على استغلال الفرص المربحة فقط، بل استغلال جميع الفرص الإنتاجية، وأن بروز روح المقاولية لدى الأفراد يفترض قدرتهم على تصحيح الأخطاء و القدرة على التخيل و التجريب، ولا تقتصر مهمة المقاول على منطق المضاربة و لكن تتعداها إلى القدرة على التعلم والتوقع و التخيل والإقناع. كما يشير كايرزنر في آخر فكرة له عن يقظة المقاول « هي مفهوم قابل للامتداد بما فيه الكفاية حتى يغطي فكرة جذب المضاربات الخاصة بالفرص الموجودة فقط، بل أيضا جذب المضاربات المتعلقة بالفرص التي تكون معرفة ومحددة في الزمن المناسب والتي تكون مؤسسة على الإبداع والتخيل ».

6. المقاول في ظل النظريات الحديثة (بيتر دروكر، كاسون، ماك ليلاند)

إذا ما عدنا إلى كل الاقتصاديين المعاصرين نجد أن شامبيتر هو الوحيد الذي ركز على دور المؤسسة في الاقتصاد. و رغم أن كل الاقتصاديين يعلمون جيدًا مدى أهمية الدور الذي يلعبه المقاول في الاقتصاد، إلا أنهم يعتبرون أن روح المقاولة هي ظاهرة " ما فوق اقتصادية " **(Méta-économique)** والتي تؤثر بعمق على الحياة الاقتصادية دون أن تشكل جزءًا منها، و هؤلاء الاقتصاديون يتبنون نفس الموقف تجاه التكنولوجيا. وذلك ما جعلهم لا يمتلكون أية وسيلة لشرح ظهور روح المقاولة عندما ظهرت في القرن الثامن عشر (18)، و التي تعاود الظهور اليوم أيضا. وكذا سبب حصر بروز هذه الظاهرة في بلد معين أو ثقافة معينة، والظواهر التي تفسر كون روح المقاولة هي ليست بالدرجة الأولى ظاهرة اقتصادية. فالأسباب الحقيقية تعود إلى التغيرات في القيم، والرؤى، والمواقف، وكذا التغيرات الديموغرافية والهيئية (مثلا إنشاء بنك الأعمال بألمانيا و الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1870). ومن هذا المنطلق سنعرض أهم النظريات الحديثة التي تناولت تفسير روح المقاولة لدى الأفراد.

1.6. المقاول عند بيتر دروكر (Peter Drucker)

يعطي بيتر دروكر في مرحلة أولى تفسيرا لبروز روح المقاولة كنتيجة للتغيرات التي طرأت على التعليم. كما أن ظاهرة المقاولين تبرز كحدث ثقافي و نفساني أكثر مما هو حدث اقتصادي و تكنولوجي، ومع هذا ومهما كانت أسباب الظهور فتبقى التأثيرات اقتصادية بالدرجة الأولى و قبل أي شيء آخر.

وسبب حدوث هذه التغيرات في المواقف والقيم وفيما يليها كل التغيرات التي حدثت على مستوى السلوكات يعود إلى **التكنولوجيا**. وهذا ما عبر عنه بيتر دروكر فيما بعد

بالمناجمنت، حيث يعتبر أن بروز ظاهرة المقاول في الولايات المتحدة الأمريكية أصبح ممكنا بسبب تطبيقات المناجمنت:

- على مستوى المؤسسات الصغيرة، وليس مثلما كان يعتقد من طرف الجميع خلال السنوات القليلة السابقة، أن المناجمنت هو مجند فقط للأعمال الكبيرة،

- على المؤسسات غير التجارية، مثل مجال الصحة، التعليم...حيث أن أغلبية المسؤولين يربطون كلمة مناجمنت بالأعمال فقط،

- بالأنشطة التي كانت وبكل بساطة لا تعتبر مؤسسات مثل مطاعم الأحياء،

- وكذا بالتجديد النظامي **(Innovation Systématique)**، أي البحث عن فرص جديدة و استغلالها والتي تلبي متطلبات وحاجات الأفراد.

ولقد تبين لنا مما سبق أن ساي أشار في بداية القرن التاسع عشر إلى أن المقاول هو **" الذي يقوم بتغيير الموارد الاقتصادية من مستوى إنتاجي ذو مردودية معينة إلى مستوى أعلى منه."**

لكن بيتر دروكر يرى بأن هذا التعريف لا يوضح بالفعل **ما هو المقاول؟** ويؤكد بالفعل أن ساي هو من قام بخلق مصطلح المقاول، ولكنه في آن واحد لم يفرق بينه و بين روح المقاولة.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية غالبًا ما يعرف المقاول على أنه **" الشخص الذي يخلق مؤسسة صغيرة "**. حسب دروكر هذا التعريف خاطئ، لأنه وحسب رأيه هل يمكن اعتبار الأشخاص الذين يقومون بفتح أو إنشاء مطعم بسيط مقاولين؟ والجواب هو لا **!!!** لأنهم وعلى الرغم من تحملهم للمخاطر ، تبقى هذه الأخيرة بسيطة، لأن النشاط تم تجريبه سابقًا، والعملية تتمثل فقط في تقليد ما تم تجريبه والتأكد من مردوديته سابقًا و تطبيقه فيما بعد، وبالتالي هل يمكن اعتبار هؤلاء فعلا مقاولين رغم أنهم قاموا فعلا بإنشاء مؤسسة جديدة؟

لكن إذا قام هذا المطعم بتطبيق آليات جديد للإنتاج و تحليل العمل...و غيرها، أي تطبيق المناجمنت، ففي هذه الحالة يعتبر صاحب هذا المطعم مقاولاً.

صحيح أن كل المؤسسات الصغيرة المنشأة حديثًا لها العديد من النقاط المشتركة، لكن لا يكفي أن تكون صغيرة وجديدة حتى تعبر عن مقاول. فالمقاولون لا يمثلون إلا أقلية من المؤسسات المنشأة حديثًا، أي أقلية تقوم بخلق شيء جديد، ومختلف، والذي يفرض تغييرًا و تحولاً في القيم.

إضافة إلى ذلك فروح المقاولة لا تتجسد في المؤسسات الصغيرة والجديدة فقط، بل نجدها متجلية أيضا في المؤسسات الكبيرة و القديمة على حد السواء. كما ولا يمكن اعتبار كل المؤسسات غير التجارية مجسدة لروح المقاولة، فالأقلية التي تعبر فعلا عن المقاول هي التي تشمل جميع المواصفات وتعلم مدى أهمية المشاكل التي تعترض

المؤسسات الخدمية، فالشيء الذي يجعل من صاحبها مقاولاً هو شيء جد خاص ومختلف عن الآخرين. وإذا كان الأنجلوساكسون يعرفون روح المقـاولة بالمؤسسات الصغيرة والجديدة فالألمان يربطونها **بالسلطة و الملكية** وهو أمر أكثر تعقيدًا.

فـ **Untermemer** ترجمة أدبية ألمانية لكلمة المقاول التي جاء بها ساي، هو الفرد الذي يمتلك ويدير مؤسسته. ويستعمل هذا المصطلح قبل كل شيء للتفريق بين المالك **(Patron)** الذي يمتلك مؤسسته والمدير **(Directeur)**.

هذا ويضيف دروكر أن المقاول ليس عبارة عن **" رأسمالي "** رغم أنه بحاجة إلى رأس المال مثلما تحتاجه جميع الأنشطة الاقتصادية، فهو من يجابه الخطر وبطريقة جد عادية، والمقاول ليس موظف بل قد يكون موظِّف، أو فرد ما يعمل بمفرده ولصالحه الخاص.

ثم يشير بيتر دروكر إلى أن روح المقاولة ليست عبارة عن ملامح و صفات خاصة بفرد ما أو هيئة ما. و من خلال خبرته خلال عشرون سنة في المجال المهني يورد دروكر أنه لم يصادف شخصية واحدة للمقاول، بل أنه صادف أفراد ذوي شخصيات متنوعة جدًا تظهر خلال سيرورتهم المقاولية.

و الأفراد الذين يبحثون عن الأكادة التامة يحتمل بشكل كبير أن لا يكونوا مقاولين جيدين، و لكن هذا لا يمكن أن يظهر بشكل كبير في نوع خاص من الأنشطة مثل السياسة، أو مركز قيادة في الجيش أو قيادة الباخرة و في ظل كل هذه الأنشطة هناك الكثير من القرارات التي تتخذ في ظل عدم الأكادة.

فكل من يتخذ قرار ما يحتمل أن يصبح مقاولاً، فروح المقاولة هي سلوك و ليست ملامح أو صفات و أساسياتها ذات قاعدة مفاهيمية و نظرية أكثر مما هو حدس.

و يضيف بيتر دروكر أن كل المجالات التطبيقية تستند إلى نظريات حتى ولو كان رجل الميدان لا يعي ذلك. و الأمر سيان بالنسبة لروح المقاولة التي تستند إلى النظريات الاقتصادية و نظريات علم الاجتماع. و هذه الأخيرة تعتبر أن التغيير هو أمر جد طبيعي. فهي تعتبر أن المهمة الكبرى للمجتمع والاقتصاد هي خلق شيء مختلف، أو بالأحرى القيام بشيء أحسن مما كان سابقا، وهو ما أتى به سابقا ساي حينما أكد منذ 200 سنة أن المقاول هو من يخرب فيخلق شيء جديد، و ورد أيضا عند شامبيتر أنه الفرد الذي يضع أمرًا مخربًا مبدعًا.

وأشار دروكر أن ساي كان معجبا بأفكار آدم سميث وهو من قام بترجمة ثروة الأمم إلى اللغة الفرنسية في سنة 1776، وقد كرس الكثير من مجهوداته للعمل على نشر الأفكار والمفاهيم السياسية لآدم سميث، لكن إسهامه الفعلي في الفكر الاقتصادي هو خلق مصطلح المقاول و روح المقاولة وتحريرها من الاقتصاد الكلاسيكي. وأصبحت بذلك غير متلائمة مع المذهب الكلاسيكي الذي يثمن ما جيء به سابقًا،

وهو نفسه ما تبحث عن إثباته كل التيارات الكبرى للنظرية الاقتصادية إلى حد يومنا هذا، وعلى سبيل الذكر النظرية الكينزية و نظرية فريدمان واقتصاديو العرض.

كما أشار أن المذهب الكلاسيكي يرتكز على جذب الحد الأقصى للموارد المتواجدة ويبحث عن خلق حالة من التوازن، فلم تتمكن من الاهتمام بالمقاول وأسندته إلى العوامل الخارجية كالمنـاخ والزمن والدولة والسياسة، وأيضا التكنولوجيا. وعلى الرغم من أن الاقتصادي التقليدي وبعيدًا عن كل عبارة " المدارس " والأشكال الأخرى من "isme" التي لا تتجاهل تواجد وأهمية العوامل الخارجية إلا أنها غير تابعة لنفس العالم فلا تدخل في نموذجه و معادلاته و تنبؤاته.

و بالنسبة إلى بيتر دروكر دائما كان كارل ماركس (**Karl Marx**) من بين أكبر البارعين الذين تطرقوا لإشكالية التكنولوجيا، و أول من أرَخ للتقنية فلم يتمكن من إدخال المقاول وروح المقاولة للنظام الاقتصادي. فبالنسبة لماركس كل التغيرات الاقتصادية تحدث نتيجة للتعديلات التي تمس مستوى العلاقات و السلطة والملكية، أي تغيرات " سياسية " والتي تعتبر من وجهة نظره متأتية من خارج النظام الاقتصادي بأتم معنى التعبير.

لكن ساي اهتم و قبل كل شيء بالجانب الاقتصادي، والموارد الاقتصادية، و من هذا المنظور لا يعتبر التعليم نشاط من الأنشطة الاقتصادية، وأن المعايير الاقتصادية وبالتأكيد ليست الأفضل للحكم على إنتاجية التعليم وحسب رأيه المصادر التعليمية هي ذات طبيعة اقتصادية.

لكن روح المقاولة لا تنحصر في المجال الاقتصادي، بل يندرج ضمن جميع الأنشطة المتواجدة، ونعلم أيضا أن روح المقاولة تبرز على مستوى جميع الأنشطة مثل الطب، فقد يكون هناك نشاطين مختلفين لكن من زاوية روح المقاولة فإنها تواجه نفس المشاكل و تستعمل نفس الأدوات...وغيرها.

فالمقاول يدرك أن التغيير هو المعيار الاعتيادي و مؤشر للصحة الجيدة، و ليس بالضرورة من يقوم بالتغيير. وعلى العموم هذا أيضا ليس دوره، فالواقع يعرف المقاول و المقاولية كالتالي: « المقاول من يبحث عن التغيير، و يعرف كيف يتفاعل معه ويستغله كفرصة ».

كما أن روح المقاولة تقحم قدرا كبير من **الخطر**، والخسائر المتوقعة هي مرتفعة جدًا، و حظوظ النجاح أو حتى البقاء تكون ضعيفة، في قطاعات مرئية للتجديد أكثر من التكنولوجيا، أو الكمبيوتر أو هندسة الجينات مثلا. وبالتالي فروح المقاولة ترتكز على مبدأ واحد وهو مهما كان نشاط المقاول سواء عبارة عن مؤسسة جيدة قائمة بذاتها أو إدارة خدمة حكومية غير تجارية، أو يسير إدارة تابعة للدولة، أو منظمة غير حكومية، فالأمر سيان. فالقواعد هي نفسها بالتقريب. ومع هذا ينبغي تحضير دليل لنظم التسيير،

فالمؤسسة المتواجدة من قبل والمؤسسات الجديدة والمؤسسات التابعة للخدمات الحكومية لا تعاني من نفس المشاكل.

فالمؤسسة القديمة تعرف كيف تسير وبالتالي تواجه صعوبات تكون أقل مما هو عليه بالنسبة للمؤسسات الجديدة، ولهذا يبقى عليها تعلم كيفية التجديد، والمؤسسة الجديدة أيضا ينبغي عليها أن تقوم بالتجديد لكن من الضروري لها أن تتعلم كيف تسير. أما بالنسبة لمؤسسات الخدمات الحكومية فتعاني من مشاكل وأخطاء من نوع آخر.

6 .2. المقاول عند مارك كسون (Mark CASSON)

يشير مارك كاسون في بداية كتابه إلى أنه لا توجد بعد أي نظرية ممتازة أعدت لتفسير ظاهرة المقاولية، أو حتى لتعطينا تعريفًا للمقاول، فقد تم التخلي عن هذا المجال من طرف الاقتصاديين لصالح علماء الاجتماع، و علماء النفس والمختصين في العلوم السياسية، و زيادة على ذلك نجد نظرية عن المقاول في كل مسار من العلوم الإنسانية عدا العلوم الاقتصادية.

ويعود ذلك إلى فرضيتين رئيسيتين، تستند الأولى إلى فكرة الحصول على المعلومات المتبناة من العلوم الاقتصادية المستقيمة الرأي، أي المدرسة النيوكلاسيكية للفكر الاقتصادي، فالنموذج النيوكلاسيكي البسيط يفترض أن أي فرد يمكنه الحصول على المعلومات الضرورية لاتخاذ قراره. أما الفرضية الثانية فتشير إلى أن اتخاذ القرار هو تطبيق ميكانيكي بسيط للقواعد الرياضية المثالية، و هذا ما يجعل من اتخاذ القرار عملية تافهة و يحول دون تحليل دور المقاول في اتخاذ قرار استثنائي.

والعكس في المدرسة الاقتصادية النمساوية، والتي تنظر للمقاول بنظرة أكثر جدية و موضوعية، أي نظرة فلسفية تمنع كل النظريات التنبؤية للمقاول فهي تورد أنه إذا كان فرد ما يحوز على معلومات ضرورية من أجل اتخاذ قرار للتنبؤ بسلوكات المقاولين ينبغي أن يتخلى عن هذه السيرورة النظرية حتى يكون هو نفسه مقاولا. كما يفترض المنظرون أنه يمكن إعطاء رد الفعل الممكن على مستوى السلوك الذي يتسبب في تغليط التوقعات. أضف إلى ذلك عدم إمكانية تطبيق هذا التحليل إلا بالنسبة للتوقعات بالنجاح، و يكون بذلك من الصعب تطبيقه على التنبؤات بالفشل، و يتمثل القصور الآخر المرتبط بهذا التحليل في اعتماد القوانين الاقتصادية على تحليل الظواهر في شكل مجموعة واحدة لمجتمع يتكون من عدة أفراد، حيث من الممكن التنبؤ بسلوك مجموعة من المقاولين، في حين قد يستحيل التنبؤ بسلوك كل فرد على حدا، وهذا ما أدى إلى غياب تحديد حواجز الدخول إلى مهنة المقاول. ومثلما أدت بدورها إلى عدم تمكن المنظرين من المجانسة في التنبؤات. و في النهاية، وحتى إن كان من المستحيل التمكن من التنبؤ، فإنه يمكننا دائما تشكيل نظرية للمقاول (نظرية يمكن أن تراجع

انطلاقا من المعطيات التاريخية، و الاستفادة مما جيء به). ويركز كاسون على العوامل التالية:

- تحليل النظريات الاقتصادية،
- التنسيق،
- المعلومات و تكلفتها.

ورغم ثراء كل هذه النظريات و الإسهامات، فإنه ليس من السهل إدخال عناصر عقلانية في السلوك المعقد للمقاول، وهذا يعتبر من الانتقادات الهامة التي أبرزها الاقتصاديون، حيث لم يتمكنو من تطوير العلوم الاقتصادية ولا من خلق علوم السلوك الاقتصادية الخاصة بالمقاول. وهنا نجد أن مارك كاسون يعود إلى حدود ما هو قابل للتكميم في العلوم الاقتصادية، وبذلك يكون قد رفض وضع نموذج كمي وقبول النموذج الكيفي الذي زاد من حدود العلوم الاقتصادية في مجال المقاولية، وهذا ما يقود عالم المقاولية إلى الرجوع للمدرسة السلوكية من أجل فهم أكبر لسلوك المقاولية.

3.6. المقاول في المدرسة السلوكية

أول من يبرز في هذه المدرسة هو ماكس ويبر (**Max Weber**) والذي قام بتحديد نظام القيمة كعامل أساسي يفسر سلوك المقـاولين على أنه سلوك يقوم على أساس الاستقـلالية و تملك السلطة، وهو مـا يجعـل دورهم يختلف عن دور مديـر المؤسسة. و لكـن و دون شك يعتبر ماكليلاند (**Mc Clelland**) أول من أعطى الدفع للعلوم السلوكية للولوج إلى عالم المقاول.

1.3.6. نظرة ماكليلاند للمقاول

في سنة 1950 طرح إشكال في الاتحاد السوفياتي، وهو هل أن الرجل السوفياتي يمكن أن يكون بديل وخليفة للرجل الأمريكي؟ وهذا ما قاد ماكليلاند للعودة إلى التاريخ من أجل تفسير السؤال " لماذا " الذي يرتبط بالحضارات. وكنتيجة لذلك لاحظ من خلال هذه الدراسة الجادة في سنة 1961 أنه هناك عدة عوامل تفسر ذلك، لكن الأهم هو بروز " الفرد البطل " في كل الأدبيات، ثم تأتي الأجيال اللاحقة والتي تعتبر هذا البطل كنموذج يؤثر على سلوكهم.

ويتصف هؤلاء الأبطال بقدرتهم على القفز على الحواجز، و رفضهم لفكرة تواجد حدود تحول بينهم و بين الهدف الذي يرجون بلوغه. وحسب ماك ليلاند فإن الأفراد الذين ينشؤون تحت هذا التأثير تتشكل لديهم رغبة قوية في تحقيق الذات، ويشتركون كثيرا في هذه النقطة مع رغبات المقاول. لكن و رغم هذا فنجد أن ماك ليلاند لا يعرف المقاول بنفس الطريقة التي يعرض بها أدبيات المدرسة السلوكية، وقدم التعريف التالي:

« المقاول هو فرد يسهر على مراقبة إنتاج غير موجه لاستهلاكه الشخصي، فمثلا يعتبر مسير وحدة إنتاجية للحديد في الاتحاد السوفياتي مقاولا ».

في الواقع ركز ماك ليلاند في دراسته على مسيري المؤسسات الكبيرة، ورغم أن دراسته مرتبطة بشكل كبير بالمقاولية فإن كتاباته لا توضح أي علاقة بين الرغبة في تحقيق الذات، و الانطلاق والمضي قدما أو حتى إنشاء مؤسسة. و نشير إلى أن ماكليلاند قام أيضا بتحديد الرغبة في تملك السلطة كصفة من صفات المقاول، رغم أنه لم يعطيها أهمية كبرى مثل بقية العوامل الأخرى. كما أنه كانت هناك العديد من الأبحاث التي اهتمت بدراسة الرغبة في تحقيق الذات. وأنه لم يتم التوصل إلى نتائج فعلية يمكن أن تترجم علاقة هذا العامل بنجاح المقاول.

في حين هناك من وجد أن الرغبة في تحقيق الذات وحدها غير كافية من أجل إنشاء مؤسسة، و آخرون اعتبروا أن هذا العمل لوحده كفيل بإنشاء المؤسسة، و هنا نجد أن تيمون **(Timmons)** قد اكتشف أن الأفراد الذين اتبعوا سلسلة من برامج التكوين تهدف إلى تنمية رغبتهم في تحقيق الذات قاموا بإنشاء مؤسسة بمعدل أكبر مما عليه الحال بالنسبة لبقية الأفراد.

أما غاس **(Gasse)** فقد لاحظ تضييق ماكليلاند لأبحاثه وحصرها على مستوى القطاعات الاقتصادية فقط. و تبدو لنا هذه الملاحظة جد واقعية، لأن الرغبة في تحقيق الذات تبرز تبعًا للقيم السائدة في مجتمع ما.

فمثلا لم يكن هذا العامل بارزا بشكل كبير في الاتحاد السوفياتي سابقا الذي يعتمد على الشيوعية، وكذا في أوروبا الإقطاعية التي سيطر عليها النبلاء، و في القرن الرابع عشر كان أيضا من الصعب أن يلعب الفرد في كيبك دور مؤثر في سلمية الهيئات الكاثوليكية. و إضافة إلى ذلك فمن أجل أن تلعب الرغبة في تحقيق الذات دورًا هاما في التأثير على المقاولية وإنشاء المؤسسة، ينبغي أن تتمكن القيم الاجتماعية من التثمين الكافي لمعدلات نجاح الأعمال، وبالتالي جذب الأفراد الذين لديهم رغبة كبيرة في تحقيق الذات.

وقد لاحظ كل من غاندر **(Gunder)** في سنة 1969 و كانكل **(Kunkel)** في سنة 1965، و غاس في سنة 1982 أن عدالة نظرية الرغبة في تحقيق الذات لماكليلاند غير كافية، لأنها لا تأخذ بعين الاعتبار تأثير الهياكل الاجتماعية على التوجهات الفردية. حيث أنه من الصعب تفسير وشرح خيار إنشاء مؤسسة أو نجاح مقاول انطلاقا من رغبته في تحقيق ذاته فقط. أما الانتقاد الثاني الموجه لنظرية الرغبة في تحقيق الذات لماكليلاند فيرتكز على **البساطة**، حيث حاول تفسير تطور رفاهية مجتمع ما بعاملين أساسيين فقط هما:

- الرغبة في تحقيق الذات،
- و الرغبة في تملك السلطة.

لكن يعتبر من الصعب تفسير السلوكات من خلال عامل أو عاملين فقط سواء تعلق الأمر بالأفراد أو بالمؤسسات، وهنا نجد أن كارل ماركس ركز على دور الإيديولوجيات، في حين ركز ماكس ويبر وتاوني **(Tawney)** على الإيديولوجية الدينية

والعقائدية، أما بيدو **(Budeau)** وفاشي **(Vachet)** على الإديولوجية الليبيرالية، لكن كينيدي **(Kennedy)** و روزينبرغ **(Rosenberg)** وبريدزل **(Pridzel)** سنة 1986، و توينبي **(Toybee)** أبرزوا تعدد العوامل التي تفسر تطور المجتمعات والحضارات. كما أشار بروخو **(Brockhaus)** إلى أن الرابط الذي يجمع بين المؤسسة الصغيرة و الرغبة في تحقيق الذات هو جد قوي رغم أنه لم يمكن إثبات ذلك،غير أن ماك ليلاند و بالتأكيد أبرز أن الإنسان هو منتوج اجتماعي وهذا ما يمكننا من التفكير بأن الأفراد يحاولون إعادة تشكيل نموذجهم الخاص بهم.

وفي هذا السياق، نحن نعلم أن دور النموذج يتم شرحه في ظل عدة حالات لاتخاذ قرار لإنشاء مؤسسة، و يمكننا أيضا التفكير بأن الأمور متساوية، فكلما زاد عدد المقاولين في مجتمع كلما زاد عدد نماذج المقاولين، مما يؤدي بدوره إلى زيادة عدد الأفراد الذين يقومون بمحاكاة هذه النماذج، أي اختيار المقاولية كمسار مهني.

2.3.6. مدرسة الميزات والمواصفات

بعد ماكليلاند، سيطر السلوكيون على تخصص المقاولية لفترة عشرون سنة، أي إلى غاية بداية سنوات الثمانيات (1980)، وقاموا بالبحث عمن هو المقاول؟ وما هي صفاته؟

واتسعت بذلك أفكار هؤلاء الباحثين في هذا المجال وما ساعدهم في ذلك هو استعانتهم بالمناهج المعتمدة في التخصصات الأخرى، و التي تمنح صحة وموثوقية أكبر، وجاءت هذه الحركة كنتيجة للدراسات التي أجريت على العديد من المواضيع حول المقـاولين، وهذا ما نتج عنه آلاف الأبحاث التي أعطت عدة مواصفات للمقاولين، والجدول التالي يوضح الأكثر تداولا منها:

جدول (01): مواصفات المقاول الأكثر تداولا من طرف المختصين في علم السلوك

مواصفات المقاول	خصائص الصفات
مجدد	**الرغبة في تحقيق الذات**
قائد إداري	**قادر على الاستيعاب**
له قدرة على مواجهة الأخطار المحتملة	**الثقة في النفس**
	المشاركة على المدى الطويل
الاستقلالية	**التساهل مع الغموض و اللأكادة**
الإبداع	**المبادرة**
الطاقة	**التعلم و التمهين**
المثابرة	**استعمال الموارد**
الأصالة	**الحساسية تجاه الآخرين**
التفاؤل	**العدائية**
الاتجاه نحو تحقيق النتائج	**الميول إلى خلق الثقة**
المرونة	**استخدام النقود كقياس للأداء**

الدهاء	

المصدر: Louis Jacques Fillion, Op.Cit, p.136.

ورغم اعتماد هذه الأبحاث على مناهج غير مقبولة فقد أسفرت عنها نتائج عديدة ذات متغيرات متعددة و متناقضة في الغالب.

وليومنا هذا لم يتم التمكن من إعداد تعريف سيكولوجي علمي خاص بالمقاول فقط، وهذا نتيجة للعديد من الأسباب التي تفسر هذه الظاهرة. ومن بين هذه الأسباب الأساسية نجد تباين العينات، فمثلا إذا أخذنا بعين الاعتبار الوظيفة الأصلية للمقاول نجد أنها تتطور عبر الزمن، و التي تنعكس بدوها على صفاته. فإذا أخذنا بعين الاعتبار عينة تشمل مقاولين قاموا بإنشاء مؤسستهم منذ سنتين فإننا لا نحصل على نفس مواصفات المنشئين إذا ما أخذنا عينة تشمل مقاولين قاموا بإنشاء مؤسسة منذ عشرون (20) سنة، كذلك أن التكوين و التشغيل الذي يتم داخل المؤسسة يؤثر أيضا على هذه المواصفات.

إضافة إلى ذلك ينبغي الأخذ بعين الاعتبار الدين و المعتقدات و القيم السائدة في الوسط التربوي، و كذا ثقافة العائلة...وغيرها في التأثير على روح المقاولة للفرد. هذا دون أن ننسى أن كل باحث يقدم تعريفا خاص به للمقاول والذي يختلف عما قدمه الآخرون، حيث هناك من يعرفه على أنه الفرد الذي يخلق مؤسسة، وبالنسبة لآخرين هو الذي يخلق مؤسسة تكون قد وصلت إلى مرحلة التوسع. في حين أنه بالنسبة للمدرسة الشمبيترية فنجد أن المقاول هو الشخص الذي يأتي بالتجديد.

ولحد الآن لم نتمكن من الوصول إلى نقطة يمكن من خلالها تقييم الأفراد و التأكيد على إذا إمكانية أن يصبحوا مقاولين في المستقبل أم لا. لكن و مع هذا يمكننا القول أنه إذا كان فرد ما يمتلك مواصفات و كفاءات خاصة جدًا فهو عبارة عن فرد مقاول، حتى لو لم يتم التمكن من تحضير نموذج علمي خاص بمواصفات المقاول، حيث حدد الباحثون المعالم الأساسية التي لا يمكن تلافيها و التي تبين من هم الأفراد الذين من المحتمل أن يصبحوا مقاولين و تمييزهم عن غيرهم. وسمحت بذلك هذه الأبحاث التي أجريت حول المقاول على الحث على تمرنه لاكتساب المواصفات التي تجعله مقاولا ناجحا.

ولقد أبرز لورين و دوسول **(Lorrain et Dussault)** في سنة 1988 أن السلوكات هي أكثر العوامل قدرة على التنبؤ بنجاح المقاول من الملامح الشخصية، وبعد أن عرفت مدرسة فكر الملامح الشخصية انتصارًا كبيرًا فقد بدأت حاليًا بالاختفاء، وكان هناك مفكرون آخرين نجد من بينهم كيتس **(Kits)** وفريس **(Vries)** سنة 1985 واللذان يعتبران أن المقاولين هم أشخاص غير مكيفون مع محيطهم ويرغبون في إنشاء مؤسستهم الخاصة، وهذا ما أثبتته العديد من الأبحاث الأخرى حيث يرون أن المقاولين لا ينشئون مؤسستهم انجذابا لفكرة العمل لحسابهم الخاص، وإنما ذلك يكون ذلك كرد فعل لمجال العمل الذي يتلاءم معهم.

هذا وقد لاحظ باحثون آخرون أن درجة " العصبية "تكون مرتفعة عند المقاول أكثر مما هو عليه الحال بالنسبة لبقية الأفراد. ويمكن تفسير ذلك بأن طبيعة أنشطة المقاول تقود إلى حالات لا توازن شخصية ثابتة، كما أننا غالبا ما لاحظنا ضرورة وجود ثبات عاطفي من أجل التعامل " كمقاول ". في الحقيقة ما يمكن استنتاجه هو أن ملامح وصفات المقاول يمكن أن تتلخص فيما يعرف بالفرد الاجتماعي، حيث أن الإنسان هو ابن بيئته، وقد أبرز العديد من الباحثين بأن المقاولين يعكسون مواصفات الزمن والمكان الذين تطوروا ونموا فيه، ومن وجهة النظر السلوكية للمقاول، تظهر المقاولية كظاهرة جهوية، حيث تخضع لعوامل ثقافية، ولحاجات منطقة جهوية تؤثر على السلوكات. حيث يقوم المقاولون باستيعاب هذه الحاجات و دمجها وترجمتها، وهذا ما ينعكس على ردود أفعالهم في إنشاء مؤسستهم، وأكيد أنه في عصر وسائل الإعلام الالكترونية تمارس المؤسسات الكبيرة تأثير كبير يتجاوز حدود مناطقهم الجهوية أو حتى حدود بلدهم. هذا ونجد أن أكثر العلاقات ترددا هي التي تكون بين المقاولين المحليين، وهو ما يعكس بشكل جيد ثقافة الوسط الذي أتوا منه، وهذا ما يجعلهم ناقلين للثقـافة الجهوية والتي يكونوا هم بذاتهم تطوروا فيها، وترد هنا أيضا فكرة المقاولية العرقية.

وأشارت العديد من الأبحاث إلى أنه إذا كان هناك مقاول من بين أفراد العائلة فإن ذلك يشكل دافع لهم إلى إتباع نفس الاتجاه، وعندما يصبح الفرد مقاولا فإن ذلك يقوده إلى ممارسة و تطوير بعض المواصفات، فمثلا يجب أن يكون الفرد عنيد و مبدع إذا ما أراد الإبقاء على أعماله، وإذا كان يتعلم من خلال ممارسة نشاط ما فإن ذلك يلعب دورًا هامًا في التأثير على مواصفات المقاول فمثلا يمكن أن نرى مقاولا يقوم ببرمجة مشاريع يطمح لتجسيدها، ومن وجهة النظر هذه نجد أن المقاول يستمر في التعلم من مهنة تجعله يتطور في أنشطة، مثلما يحدث بالنسبة لفرد ما يقوم بتحديد حاجات للتعلم، فلا ينبغي للمقاول أن يعلم ما الذي ينبغي عمله فقط، بل ينبغي أن يتعلم من أجل أن يستطيع فعل ذلك. فمثلا يعتبر روتر **(Rotter)** أن القدرة على الاستيعاب هي صفة مكتسبة.

ويتضح ذلك جليا في حالة تقلص الفرد لمنصب القائد، أين ينبغي عليه ممارسة بعض التأثيرات على الأفراد الذين يخضعون له من أجل الوصول إلى الأهداف المرجوة، وهذا ما يثبت أن وضعية القائد موجودة وستتطور، والقدرة على الاستيعاب هي صفة غالبا ما نجدها متوفرة لدى المقاول، أو هي عبارة أصلا عن مهارة يكتسبها تدريجيا لتسمح له بتجسيد تصاميمه.

وعموما، نحن نعلم جيدا أن للمقاولين الناجحين درجة عالية من القدرة على الاستيعاب، وهذا لا يعني أن هذه الصفة خاصة بالمقاولين فقط، بل نجدها متوفرة لدى العديد من فئات القادة و الأفراد الناجحين. كما لاحظ أيضا بعض الباحثين أن للمقاول حاجة كبيرة لمراقبة محيطهم.

في الختام و فيما يتعلق بالأبحاث المرتبطة بسلوك المقاول، يمكننا القول أنه لم يتم الوصول إلى حد الآن إلى إعداد تعريف علمي خاص بمواصفاته الأمر الذي يسمح بدوره بالتحديد الدقيق للمقاول المحتمل، و هذا لا ينفي أنه هناك العديد من صفات روح المقاولة التي تسمح لفرد ما بممارسة هذا النشاط، هذا وتبدو دراسة سلوك المقاول مقتصرة على السلوكيون فقط. في الواقع أن الأبحاث تتجه شيئا فشيئا إلى ميادين أخرى، مثل الكفاءات المكتسبة الضرورية لأن يكون الفرد مقاولا، وكذا نماذج التعلم الشخصية و التنظيمية المكتسبة، والتي تسمح بالتكيف مع تطور النشاطات المرتبطة بممارسة مهنة المقاول.

7. إننتشار المقـاولية

ساعد تعدد النظريات التي تناولت دراسة المقاول في العلوم الاقتصادية أو علوم التسيير أو العلوم السلوكية على الاهتمام المتزايد بالمقاول، حيث شهدت سنوات الثمانينات (1980) اتتشار واسع للأبحاث في مجال المقاولية على مستوى جميع تخصصات العلوم الإنسانية والإدارية تقريبا، و كان هناك حدثين هامين أبرزا هذا التحول؛ يتمثل الحدث الأول في نشر أول " موسوعة " حول وضعية المعارف المرتبطة بمجال المقاولية والثاني هو تنظيم أول مؤتمر حول هذا التخصص الجديد ويجرى في نهاية كل السنة الجامعية، وقد عُرِف آنذاك ببابسون (Babson).

في الواقع، إن القراءات التي نقوم بها حول محتويات وقائع المؤتمر السنوي مثل الذي أجراه بابسون و المعنون بـ « حدود البحث في مجـال المقاولية » وكذلك تلك المتعلقة بـ (Conseil international de la petite entreprise) CIPE يمكن أن يسمح لنا باستخراج المواضيع الأكثر ترددا خلال انعقاده. لذا تم استخراج خمسة وعشرون (25) موضوعًا الأكثر شيوعًا في هذا المجال من خلال الرجوع إلى المحتويات (البيبليوغرافيا) الأكثر شمولا والتي تم نشرها في هذا المجال.

ومن المهم الإشارة إلى أن تطور تخصص المقاولية هو مختلف عن تطور باقي التخصصات الأخرى، حيث كانت هناك عدة أبحاث أغلبها انطلقت من ثقافة و منطق المناهج المتبناة من طرف كل تخصص إعطاء اهتمام لدراسة المقاولية والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة. ولقد تم حيازة أول شهادة دكتوراه في هذا المجال في بداية الثمانينات (1980)، ولكن أكثر الباحثين الذين اهتموا بهذا المجال ذوي تخصصات بعيدة عن المقاولية، ولم تكن هذه الأخيرة الحقل الأساسي الذي كانوا يعملون على دراسته، بل أن أنشطتهم البحثية والتعليمية المرتبطة بالمقاولية كانت تشكل ملحق لأنشطتهم الرئيسية.

ولكن ازدادت فيما بعد أعداد الباحثين شيئا فشيئا، و بدأ بذلك تسخير وقت واهتمام أكبر للبحث في مجال المقاولية. هذا وشيئا فشيئا بدأت تتزايد اهتمامات الدول حول الأبحاث التطبيقية والنظرية في هذا المجال، وذلك استجابة لتطور حاجات الطلاب و الزبائن حول المقاولية، وكان من الضروري تواجد عدد معتبر من الأساتذة

والباحثين الذي ينبغي عليهم معرفة المقاولية والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة. إضافة إلى ذلك فإن إدماج واعتماد تخصص المقاولية في التخصصات الأخرى وخاصة العلوم الإنسانية والعلوم الإدارية يشكل ظاهرة فريدة من نوعها والتي لم يحدث مثلها من قبل في التكوين النموذجي لأي تخصص آخر في مجال العلوم الإنسانية، والجدول الموالي يبين الاهتمامات الكبيرة للبحث في مجال المقاولية:

جدول (02): مجالات البحث حول المقاولية

الزبائن	المواضيع	المختصين	المناهج
- النظام السياسي	- السياسات الحكومية - التنمية الجهوية	- علماء الاقتصاد - علماء الاجتماع	-كميـة
- المقاولون - المقاولون المحتملون - المعلمين	- مواصفات المقاول - الوسط المقاولي	- علماء السلوكات - علماء الاجتماع - علماء الأنثربولوجيا	-كمية و كيفية
- المقاولين - المقاولين المحتملين - المعلمين - مجلس المقاولين	- تطبيق الأعمال - نشاطات التسيير - التمويل - القائد الاداري - التفكير الاستراتيجي	- علوم التسيير	- كمية و كيفية

المصدر: **Harold P. Welsch**, Entrepreneurship: the way ahead, Routledge, New York, 2004, p.35.

وبالتالي فإننا نلاحظ أن كل التخصصات السياسية والاقتصادية والخاصة بعلوم التسيير قامت بمعالجة جانب من جوانب المقاولية، اعتمادا على أسس كمية وكيفية محددة، وتتنامى اليوم الأبحاث في هذا المجال وتتشعب إلى حد عدم القدرة على تعدادها وحصرها.

خـاتمة

لقد ورد فيما سبق أن هناك خلط كبير في مجال المقاولية لأنه لا يوجد إجماع حول تعريف المقاول، ولا توجد معايير يمكن من خلالها تشكيل نموذج، ويمكننا أيضا تقديم وجهة نظر معاكسة وهي بروز فكرة أن المقاولية أصبحت من بين المواضيع النادرة التي تجذب المختصين من بين الأعداد الكبيرة للتخصصات التي تجلب الباحثين للولوج إلى مجال تحدث فيه تقاطعات بين عدد كبير من التخصصات، لهذا كان هناك تبادل واختبار للعلاقات التي تربط بين مختلف التخصصات التي اهتمت بهذا المجال، و

أصبحت كمثال يقتدى به في باقي التخصصات، و انتشر بذلك تساؤل حول الطريقة التي عملوا بها للوصول إلى ذلك. ورغم وجود خلط كبير عندما نحاول المقارنة بين التعاريف التي أعطيت للمقاول في مختلف التخصصات، إلا أننا لا نجد إجماع واسع فيما يتعلق بالملامح والمواصفات المعطاة للمقاول من طرف الباحثين الذين يعملون ضمن التخصص الواحد.

وغالبا ما يتم الجمع في العلوم الاقتصادية بين المقاول و التجديد، و ينظر له على أنه " المحرك الكهربائي" للتنمية، أما في العلوم السلوكية فتعطى الصفة الإبداعية للمقاولية، أما المهتمين بدراسة إنشاء المؤسسات، فهناك الآلاف من العناصر التي قد تمكن من التنبؤ بنجاح المقاول مستقبلا والتي أصبحت عبارة عن قيم، حيث أن تعدد وعمق الخبرة المكتسبة من طرف المقاول المحتمل في القطاع الذي يريد أن ينشط فيه تبقى من أهم العوامل.

وباختصار، فإن مجال المقاولية أثار تقريبا اهتمام باحثي كل تخصصات العلوم الإنسانية منذ سنوات الثمانينات (1980)، والخلط الذي قد يظهر فهو نتيجة لاختلاف منطق و ثقافات كل تخصص، لذا يمكننا التفكير في أن المقاولية يمكن أن أصبحت في العشرية أحد المحاور التي تجمع مجمل تخصصات العلوم الإنسانية، لأنها من بين المواضيع النادرة التي استطاعت جذب عدد معتبر من الباحثين في العديد من التخصصات.

أي أن حقل المقاولية هو جد واسع ومتسع، ينبغي أن يضم الكثير من الباحثين و لا سيما باللغة العربية، لذا أدعوا كل الباحثين إلى التوجه نحو هذا العلم الناشئ في بلدنا و في البلدان العربية و الذي عرف تطور كبير في الدول الأنجلوسكسونية أولا، ولاحقا في الدول الفرنكوفونية.

فالمادة العلمية النظرية الآن أصبحت متواجدة وبكثرة، لكن ما هو صحيح من دراسات تطبيقية على مستوى هذه الدول ليس حتما صحيح بالنسبة لبلدنا، لذا ينبغي أن نتعمق في العوامل التي تدفع بالمقاول إلى الخوض في مغامرة إنشاء مؤسسة دون غيره.

الهوامش

* و في اللغة العربية تغيرت الترجمة العربية **(Entrepreneur)** ثلاث مرات خلال العقود الماضية، فقد كانت **منظم** ثم **مقاول** ثم تحولت إلى **ريادة**، فترجم علماء الاقتصاد الأوائل المصطلح إلى المنظم لكونهم ركزوا على مهارة التنظيم و في إقامة الشركة، ثم ترجم إلى مقاول الذي كان يعني آنذاك مؤسسي شركات البناء، ثم لاحظوا أن

المواصفات التي يحملها هؤلاء الفرد لا تنطبق على قطاع البناء فقط بل نشمل الأفراد الذين يقدمون على إنشاء شركات في جميع القطاعات، و الذين يحملون صفات خاصة، فأطلقوا عليهم اسم رائد أو ريادي أعمال. و بالنسبة إلينا سنحتفظ بكلمة المقاول كترجمة سليمة وصالحة لكل الأزمنة، فالاقتصاديين العرب ركزوا على الترجمة و أهملوا المعنى، فالمنظم هو المنظم و رائد الأعمال يحمل صفة فقط من صفات المقاول و هي الريادة، لكن المقاول هو من يحمل كلا من هاتين الصفتين، و ينبغي أن نحتفظ به كما تم الاحتفاظ بمصطلح Entrepreneur باللغتين الفرنسية و الانجليزية، و في كل مرة كان المعنى هو الذي يتطور مع متطلبات الاقتصاد و ليست الترجمة، أو إدراج مصطلحات جديدة. كما أننا سنلاحظ من خلال التعاريف اللغوية العربية أن المقاول هو الأنسب، و لم نجد أي تعريف لغوي لمصطلح رائد الأعمال ضمن القواميس.

- Thomas GREBEL and all, An Evolutionary approach to the theory of Entrepreneurship, june 2001, cité in: http://www.wiwi.uni-augsburg.de/vwl/institut/paper/206.pdf , 19/07/2012.

-Robert F Hébert, Albert N Link, A History of Entrepreneurship, Routedge, 2010, p.02.

[1] Ibid.p.04.

- Richard CANTILLON, Essai sur la nature du commerce en générale, Institut nationale d'étude démographique, Paris, 1952, pp. II-VII.

- Ibid. p.28.

- و الذي نعني به في الغالب المؤسسة. أي أن Entreprise يشير هنا الكاتب إلى المخاطرة و المجازفة بمصطلح = مجازفة = مؤسسة (حاليا).Entreprise

- Ibid. p.29.

-Ibid. p.33.

- Philippe FONTAINE, « Classical political economy between two fires: Jean-Baptiste SAY and Frank.H NIGHT, cité in: History of political economy, Vol 31, Issue 1, Spring 1999, pp. 6-9 (PP -28)

- A. EBNER, « Institutions. entrepreneurship and the national government: an outline of the Schumpeterian theory of state », cite in : Journal of Economic Behavior and Organization, Vol 59, 2006, p.505 (pp: 497-515)

-Joseph A SCHUMPETER, The theory of economic development, Harvard University Press, Cambridge, 1961, pp.76-77.

- A EBNER, Op.Cit, p.497.

-Lucette LE VAN-LEMSELE, « L'éternel retour du nouvel entrepreneur », cité in : Revue française de gestion, N° 70, Septembre/Octobre, 1988, p.134 (pp.134-140).

يعتبر ساي أول من أدخل عملية تدريس الاقتصاد في فرنسا و توفي سنة 1932.

- Jean-Baptiste SAY, Traité d'économie politique, éditions Calmann-Lévy, Paris. 1972. p.XII.

- Ibid. p.357.

- Jean-Baptiste SAY, Catéchisme d'économie politique, Maison Mame, Paris, 1972, pp.46-60.

أي فن.Artالنشاط هنا يسميه

- Ibid. p.48.
- Industrie agricole.
- Industrie manufacturière.
- Industrie commerciale
- Thomas GREBEL and all, Op.cit, p.4.
- M.Turgot, Mémoires sur le prêt à l'intérêt , Froullé librairie, Paris, 1789, p.67.

- FONTAINE et MARCO, « La gestion d'entreprise dans la pensé économique française », cité in: Revue d'économie politique, N° 103. Juillet/Août, 1993, p.580 (pp. 557-598)
- G. RIBEIL, « Courcelle-SENEUIL. fondateur du management moderne des entreprises au milieu du XIX siècle », cité in: J.P BOUILLON et B.P LECURY (eds), L'invention de la gestion: Histoire et pratique , l'Harmattan, Paris, 1994. p.33.
- François FACCHINI, « Le rôle de la firme dans la coordination », cité in: Revue Française de gestion, VOL 32/165, 2006, pp.105-124.
- G KOOLMAN, « Say's conception of the role of the entrepreneur », cité in: Economica, Vol 38, August, 1971, p.281 (pp.269-286).
- Jean-Baptiste SAY, Traité d'économie politique, Op.Cit, p.300.
- KOOLMAN, Op.Cit, p.32.
- Ibid. p.276.
- François FACCHINI, « L'entrepreneur comme homme prudent », Op.Cit, p.32.
- Jean-Baptiste SAY, Catéchisme d'économie politique, Op.Cit, p.304.
- Jean-Baptiste SAY, Traité d'économie politique, Op.Cit, p.138.
- Jean-Baptiste SAY, Catéchisme d'économie politique, Op.Cit, p.18.
- Ibid. p.18.
- Lucette LE VAN-LEMSELE, Op.Cit, p.138.
- Ludwig VON MISES, Abrégé de l'action humaine: Traité d'économie, traduction de Garard DREAN, Edition des Belle lettres, Paris, 2004, p.22.
- Ibid, pp.149-150.
- S VEN KARTARAMA, « The distinctive domain of entrepreneurship research », cité in: Advances in entrepreneurship – Firm emergence and growth, Vol 3, 1997, pp.118-119.
- François FACCHINI, Op.Cit, p.30.
- Célestin MAYOUKOU, Entrepreneuriat et innovation, l'Harmattan, Paris, 2007, pp.55-57.
- Peter DRUCKER, Peter Drucker on the Profession of Management, Harvard Business School Press. Boston, 2003, p.53.
- Peter DRUCKER, innovation and entrepreneurship. practice and principles, Elsevier Ltd, Burlingron, 2006, p.19.
- Peter DRUCKER, Les entrepreneurs, traduit de l'américain par Patrice HOFFMAN, l'Expension, Hachette, Paris. 1985. p.47
- Ibid, p.49.
- Ibid, p.51.
- Peter DRUCKER, Les entrepreneurs, Op.Cit, p.52.
- Ibid, p.53.
- Mark CASSON, L'entrepreneur, traduit par Pierre JENABLANC, Economica, Paris, 1991, p.09.

- Louis Jacques FILLION, « Le champ de l'entrepreneuriat : Hitorique, évolution, tandances », cité in : Revue internationale PME, presse de l'Université de Québec, Québec, Vol 10 N°2, 1997, p.136 (pp.129-172).
- Emanuel Jehuda De Kadt, Sociology and development, Cox and WyamLtd, London, 1979, p.2.

** قدمت الأدبيات الاقتصادية في بداية سنة 1980 التفسير التالي: « تترجمت الأزمة الاقتصادية والاجتماعية إلى البحث عن نماذج اجتماعية جديدة، و الحاجة إلى أبطال جدد، أو إلى قيمة الأكيدة التي كانت متواجدة في الماضي، أي العودة إلى صورة أزمة 1930. فبدأت عملية التخلص من المؤسسات الكبرى ذات القطاعات غير المربحة، أدى إلى اتجاه الجميع إلى المؤسسات الصغيرة وإنشاء المؤسسات». ويعكس النقاش حول المقاولية استعادة استغلال روح المقاولية الذي يسمح بتضاعف عدد المؤسسات الجديدة بهدف التمكن من إعطاء نفس جديد لاقتصاد السوق.

[1] لاطلاع أكثر ارجع للموقع الالكتروني:www3.babson.edu

*** الأنثربولوجيا هو علم الإنسان أو علم الأناسة له جذوره الفكرية في كل من العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية. وتتعلق أسئلته الأساسية، "ما الذي يميز *الإنسان؟*" "من هم أسلاف *الإنسان* الحديث؟" "ما هي صفاتنا الجسدية؟" "كيف نتصرف؟" "لماذا هناك تباينات وخلافات بين المجموعات المختلفة من البشر؟" "كيف أثر الماضي التطوري *للإنسان* في التنظيم الاجتماعي والثقافة؟" و هكذا دواليك. بينما علماء الأنثروبولوجيا المعاصرين لديهم ميل إلى التخصص في الحقول الفرعية التقنية، حيث يتم توليف البيانات الخاصة بهم والأفكار بشكل أكبر حول إطار وتقدم جنسنا البشري، كما يشير مصطلح الأناسة "الأنثروبولوجيا" في أسلوب التعبير العام في معظم الأحيان إلى الأنثروبولوجيا الثقافية، وهي دراسة ثقافة ومعتقدات وممارسات البشر. في الجامعات الأميركية، يتضمن غالبا قسم الأنثروبولوجيا ثلاثة أو أربعة حقول فرعية، منهم الأنثروبولوجيا الثقافية وعلم الآثار، علم الإنسان البيولوجي والانثروبولوجيا اللغوية. ومع ذلك، في جامعات في المملكة المتحدة، وجزء كبير من أوروبا، كثيرا ما تكون هذه الحقول موجودة في أقسام منفصلة.

تأثير تسيير قوة البيع على الأداء التسويقي للمؤسسة
دراسة حالة المؤسسة الفلاحية AXIUM-SPA

ملخص

انطلاقا من دراسة القدم منها وصولا إلى الأحدث. لذلك نتطرق في عنصر أول للمقاولية في العصور تعتبر المؤسسة أداة للتنمية الاقتصادية بتلبيتها لاحتياجات المجتمع من سلع و خدمات، وذلك من خلال خلق وتطوير منتجات جيّدة، تحديد سعر عادل واختيار أفضل شبكة للتوزيع مدعومة بسياسة اتصالية فعالة. لكن كل هذه المجهودات ستضيع سدى إذا لم تتوفر على قوة بيعية مُنظمةُ ومُهيكلة بشكل صحيح لإنجاح مسعاها التسويقي الذي يعمل على إيجاد التوافق بين حاجات العملاء ومنتجات المؤسسة. نهدف من هذه الدراسة الإحاطة بأهمية تسيير قوة البيع على أداء المؤسسة التسويقي التي تعتمد على رجال بيع أكفاء يعملون على تحسين صورتها لدى الزبائن.

د. محمد بوشريبة

كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية
جامعة قسنطينة 2
الجزائر

مقدمة

يُعرف التسويق على أنه مجموعة من الأنشطة والجهود المتكاملة التي تؤدي إلى تدفق وتوجيه السلع والخدمات التي تشبع حاجات ورغبات الأفراد من خلال عملية التبادل التي تحقق أهداف جميع الأطراف (1). وعلى هذا الأساس، يتوجب على كل مؤسسة إتباع التوجه التسويقي الذي يمدها بمختلف المعلومات الخاصة بالسوق والمستهلكين، ويسمح لها بتحديد نقاط القوة والضعف التي تمكنها من تحديد الأهداف التي تصبوا إلى تحقيقها من خلال استهداف أسواق معينة وإتباع إستراتيجية المزيج التسويقي بتحديد

Résumé

L'entreprise est un outil de développement économique qui satisfait les besoins d'une société en biens et services, grâce à un prix juste et un réseau de distribution, soutenu par une politique de communication efficace.

La présente recherche met l'accent sur l'importance d'une force de vente bien organisée et correctement structurée à même de rentabiliser ces efforts et de garantir une meilleure compatibilité entre les besoins des clients et les produits de l'entreprise.

واستخدام مبدأ ما يعرف بـ (4P): المنتوج، التسعير، التوزيع والترويج.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

بفعل الظروف البيئية الراهنة ومع ازدياد حدّة المنافسة، أصبحت المؤسسات مدعوة للإهتمام أكثر بقوتها البيعية كوسيلة ليس فقط للحفاظ على بقائها واستمراريتها، بل لضمان تطورها وتحقيق أهدافها. ويعتبر البيع الشخصي أو ما يعرف بقوّة البيع، من أكثر عناصر المزيج الترويجي (2) فاعلية وتأثيرا على قرار الشراء النهائي للمستهلك لأنه يعمل على إيجاد التوافق بين حاجات الزبائن ومنتجات المؤسسة. وحتى يتحقق لها ذلك، على المؤسسة امتلاك موارد بشرية مُتميزة، كُفئة (معرفة، مهارة وسلوكا) ومُدربة بشكل يسمح لها باستيعاب الزبون والتواصل معه بوضوح والإصغاء إليه جيدا لفهم حاجاته ومعرفة سلوكه من أجل إرشاده وتقديم النصح له. لذلك، ومن أجل تحقيق أهدافها التسويقية بالكفاءة والفعالية المطلوبة، عليها تحسين أداء رجال البيع لديها التي تعتبرهم همزة وصل محورية بينها وبين عملائها نتيجة الاتصال المباشر، لأن نجاح نشاط المؤسسة لم يعد يقتصر على جودة منتجاتها فحسب بل من خلال كفاءة هؤلاء (أي رجال البيع) في التأثير على سلوك المستهلكين.

انطلاقا مما سبق، جاءت هذه الدراسة للخوض في آليات تسيير قوة البيع كأسلوب حديث يواكب التطورات الجديدة في مفهوم التسويق مع إبراز أهميته والمرتكزات الأساسية التي يقوم عليه الأداء البيعي حتى يُمكّن المؤسسة محل الدراسة من تحسين أدائها التسويقي. وعليه، تهدف هذه الورقة البحثية الإجابة على التساؤل الرئيسي الآتي: ما مدى تأثير تسيير قوة البيع على الأداء التسويقي لمؤسسة AXIUM الفلاحية. ويستند الباحث إلى افتراض أساس مؤداه: **(أن التسيير الجيد لقوة البيع سيزيد من كفاءتها وبالتالي في تحسين الأداء التسويقي للمؤسسة).**

تكمن أهمية الدراسة في الدور الفعال الذي أصبح يلعبه رجال البيع في تحديد السياسة التسويقية للمؤسسة كونه الوسيط النهائي بينها وبين الزبون ومدى فعاليتها لإقناعهم وحثهم على الشراء. وهذا لن يحصل إلا من خلال التسيير الجيد لقوتها البيعية، لذلك تم اختيار المنهج الوصفي التحليلي من أجل الوصف الشامل والدقيق لواقع تسيير قوة البيع في مؤسسة AXIUM الفلاحية بغرض جمع البيانات والمعلومات الضرورية لتحليلها ثم الإفادة منها لفهم ذلك الواقع و تفسيره باستخدام القابلة الشخصية مع مختلف مسؤولي المصالح بالإضافة إلى التحليل التوثيقي لعمل رجال البيع.

أولا: الإطار المفاهيمي لقوة البيع وآليات تسييرها

تعتبر قوة البيع من أكثر عناصر المزيج الترويجي فعالية في توسيع دائرة التبادل وحلقة الإنتاج على السواء. ولفهم طبيعة قوة البيع بوضوح سنختار أهم التعاريف التي تناولت أهم جوانبه.

1- تعريف قوة البيع

يحمل مدلول قوة البيع عدة تسميات: البيع الشخصي، مندوب المبيعات، رجال البيع، شبكة البيع، الترويج المباشر...، ويقصد به الاتصال الشخصي المباشر بين ممثلي المؤسسة والعميل المستهدف لتقديم المنتوج له وتوفير كافة المعلومات التي تساعد على إقناعه وحثه على اتخاذ قرار الشراء (3)، فهو إذن مجموعة من الأشخاص التابعين للوحدة التجارية الموكلين بالاتصال الشخصي مع المشتري الحالي أو المحتمل من أجل بيع منتجات المؤسسة وأحيانا خدمات ما بعد البيع (4).

2- أهمية قوة البيع

تتجلى أهمية قوة البيع في المزايا التي تحققها هذه الأخيرة للمؤسسة حتى تساعدها لبلوغ أهدافها المسطرة التي لا تستطيع تحقيقها إلا بمساعدة رجال بيع مؤهلين، وتتمثل هذه الأهمية فيما يلي (5):

- ✓ قوة البيع مسؤولة عند انجاز وتنفيذ إستراتيجية التسويق لكونها الإدارة التنفيذية في السوق والمسؤولة عن علاقة المؤسسة مع المستهلكين؛
- ✓ من خلال قوة البيع يمكن التعرف على رد فعل المستهلك اتجاه المنتوج ووجهة نظره، وبالتالي معرفة كيفية إقناعه وحثه على الشراء؛
- ✓ تعد الجهود التسويقية المبذولة في عملية البيع الشخصي أقل ضياعا مقارنة بما هو عليه بالنسبة للحملات الإعلانية التي يمكن أن تصل إلى أشخاص ليسوا بذي علاقة مباشرة ؛
- ✓ إمكانية استخدم أكثر من وسيلة للإقناع، حيث أن أسلوب البيع ومعاملة الزبون ولغة التخاطب وكيفية التأثير عليه يمكن أن تعدل بسهولة وبسرعة لموافقة عقلية المشتري. (6)

3- أهداف قوة البيع

بعد أن يحدد مدير التسويق أهداف سياسة الاتصال التسويقي سوف يعتمد على مهارة قوة البيع الذي سيخصص لها أهداف خاصة بنشاطها الترويجي، بحيث تكون هذه الأهداف محددة بدقة وبشروط مقبولة ومحددة الوقت والمكان. ومن أهم تلك الأهداف نذكر:

- خدمة الزبائن الحاليين والبحث عن عملاء جدد؛
- مساعدة بعض العملاء على إعادة بيع السلع المشتراة؛
- إبلاغ العملاء عن التغييرات التي تطرأ على السلع؛
- الاحتفاظ بمستوى معين من المبيعات.

عادة ما يتم تقسيم أهداف قوة البيع إلى أهداف نوعية وأخرى كمية (7)

4- مهام قوة البيع

تتولى قوة البيع عملية البيع والترويج في نفس الوقت، لذلك فإن مهامها توضع على أساس السوق المستهدف من طرف المؤسسة. ويترتب عن ذلك دور رجال البيع الذين يقومون بالعديد من المهام إلى جانب تحقيق المبيعات. يمكن تلخيص تلك المهام فيما يلي:

- البحث عن زبائن جدد La prospection
- الاتصال بالزبائن La communication
- العرض البيعيLa vente (بعرض السلعة وشرح خصائصها ومميزاتها)
- الرد على الاعتراضات (السعر، الجودة، الخدمات المرفقة...)
- الخدمات الملحقة (لضمان وفاء الزبون) Service après-vente

5- تنظيم وهيكلة قوة البيع

5-1. العناصر المكونة لقوة البيع

يمكن التمييز في تكوين قوة البيع إلى ثلاثة عناصر رئيسية،وهي على النحو الآتي (8):

✓ **الأعوان المستقلون عن المؤسسة**: وهم يمثلون قوّة البيع الخارجية وينقسمون إلى قسمين: التجار والوكلاء:

o **التجار**: ينقسمون إلى نوعين: تجار التجزئة (الذين يبيعون سلعا و/أو خدمات إلى المستهلك الأخير) وتجار الجملة (الذين يبيعون سلعا و/ أو خدمات إلى أشخاص يستخدمونها لإنتاج سلع أخرى أو إعادة بيعها لأشخاص آخرين؛

o **الوكلاء:** ليست لهم ملكية السلع التي يتولون بيعها وفي المقابل يتقضون عمولة مقابل الدور الذي يؤدونه في توزيع المنتجات. وهم على ثلاثة أصناف: وكيل البيع، وكيل المنتج والسمسار.

✓ **السواح الوكلاء العارضونVRP** (9) :هم موظفون متخصصون يعملون لصاح مؤسسة أو عدَة مؤسسات؛

✓ **الأعوان المتخصصون:** وهم موظفون تحدد لهم المؤسسة ما سيفعلونه وكيف، يمكن أن يكلفون بأعمال أخرى غير البيع لهم عائد مضمون بحد أدنى يتكون من شقين احدهما ثابت والآخر متغير.

5-2 تنظيم قوة البيع

هناك ثلاثة أساليب يمكن اعتمادها في تنظيم هيكل قوة البيع، وهي الأكثر استخداما من قبل المؤسسات (10):

- **القوّة البيعية على أساس جغرافي**: تكون القوّة البيعية مسؤولة عن كل الأنشطة الضرورية لبيع المنتجات إلى زبائن المؤسسة في المناطق الجغرافية المختلفة التي تمثل أسواقها والتي تتعامل معها. ومن مزاياه : انخفاض تكلفة التنقل مع إمكانية قياس كفاءة رجل البيع في خدمة المنطقة البيعية المخصصة له؛
- **القوة البيعية على أساس المنتج**:يستخدم في المؤسسات الصناعية التي تتمتع بتكنولوجيا عالية ومنتجات معقدة، والتي تتطلب معرفة متخصصة فضلا عن الخبرة التكنولوجية عند إجراء عمليات البيع لإدارة الحوار البيعي الفني التخصصي بشكل دقيق؛
- **القوة البيعية على أساس السوق**: وهو التنظيم الذي يعتمد على نوعية العملاء. فهناك المستهلكين النهائيين، والمستهلكين الصناعيين (الذين يشترون السلع لاستخدامها في عمليات إنتاج أخرى)، وهناك المشتري الحكومي ومنشآت إعادة البيع . ومن مزاياه : يصبح رجال البيع أكثر إلماما باحتياجات العميل ومشاكله مع تحقيق وفورات في تكاليف البيع؛
- **التنظيم المركب**: ويستخدم عندما تبيع المؤسسة عدد كبير من السلع لعدد من العملاء غير المتمركزين جغرافيا، وهو تنظيم يجمع بين التنظيمات الثلاثة السابقة الذكر.

3-5 حجم قوة البيع: حجم قوة البيع هو نتيجة العلاقة بين عدد الزيارات اللازمة للزبائن الحاليين أو المحتملين وعدد الزيارات التي يمكن لرجل البيع القيام بها، وذلك باحترام التوازن الذي يتوافق بين الموارد والأهداف على اعتبار أنه كلما كان حجمها كبيرا كلما زادت تكاليفها ولكن في الوقت نفسه تساعد على تغطية أفضل للسوق (11) . هناك عدة طرق يمكن للمؤسسة اعتمادها لتحديد حجم قوة بيعها:

- الطريقة التي تعتمد على عبئ رجل البيع (12): والتي تعتمد على عدد الزيارات اللازم تحقيقه في السنة لفئة من الزبائن والتي يمكن حسابها على النحو الآتي:

عدد رجال البيع = عدد الزيارات الإجمالية اللازمة خلال السنة/عدد الزيارات السنوية لكل بائع

- الطريقة المبنية على العلاقة الخطية بين رقم الأعمال وعدد رجال البيع (13) بحيث يتم تقدير رقم أعمال المؤسسة والمبلغ المتوسط للمبيعات المحققة خلال السنة من طرف البائع ثم تقسيم الرقم الأول على الثاني للحصول على عدد رجال البيع الواجب تشغيله.

عدد رجال البيع =رقم الأعمال السنوي التقديري / المتوسط التقديري للمبيعات المحققة من طرف البائع خلال السنة.

6- هيكلة قوة البيع (14)

6-1 التعريف بأدوار رجال البيع

يستخدم مصطلح رجل البيع للدلالة على الشخص الذي يمارس المهام والأنشطة البيعية من خلال الاتصال المباشر مع العملاء الحاليين والمرتقبين بغرض إقناعهم على شراء السلعة أو الخدمة (15).

وبالنظر لأهمية موقع رجل البيع في العملية البيعية، فهذا يعني أن دوره ليس مجرد إتمام عمليات البيع بنجاح وإنما يتوقف عليه دور كبير في مد المؤسسة بالمعلومات حول المنتجات ومدى استجابة العملاء في خطوط الشراء لها وما تحتويه من قيمة. وعليه يمكن حصر أهم تلك الأدوار فيما يلي (16):

- يساهم في دراسة السوق والتنبؤ بحجم المبيعات المتوقع، وبالتالي في قرارات الإنتاج والمشتريات؛
- يساهم في تطوير السلعة في ضوء احتياجات المستهلك والمنافسة الخارجية؛
- يساهم في بيع المنتجات وتحويلها إلى سيولة لتمويل الدورات المتتالية؛
- يساهم في تحصيل مستحقات المؤسسة لدى العملاء التي تمثل المصدر الرئيسي لتمويل الأنشطة؛
- يعتبر معايير وضع المؤسسة التنافسي من خلال إعطائه معلومات وإرشادات وتوصيات للتطوير والتحسين المستمر.

6-2 تصنيف رجال البيع

يختلف تصنيف رجال البيع وتحديد أنواعهم تبعا لطبيعة النشاط الذي يمارسونه. فعند النظر لطبيعة المهام التي يقوم بها رجل البيع ومستوى المهارة المطلوب منه إتقانها، فإنه يمكن تصنيفهم إلى فئات (17):

- الباحثون عن الصفقات: هم رجال بيع يقومون بالعمل في السوق بحثا عن العملاء المرتقبين وإتمام العمليات البيعية لهم؛
- متلقو (جامعو) الطلبيات: تكون مهمتهم استلام طلب العميل ثم تنفيذه دون القيام بأي مجهود بيعي؛
- مقدمو الخدمات البيعية: يتمثل الدور الرئيسي لهذه الفئة بتقديم الخدمة والمشورة الفنية للعملاء لما يتمتعون به من خلفية فنية مع مستوى عالي من التعليم؛
- ناقلو الطلبيات: مهمتهم توصيل الطلبات للمتعاملين مع المحافظة بنفس مستوى الخدمة وتوقيتها (موزعو الصحف مثلا)؛
- مروج المبيعات: هم رجال بيع يقومون بزيارة متاجر التجزئة مهمتهم عرض المنتجات في أماكنها وحل بعض المشكلات المتعلقة بعرض وترويج المبيعات؛
- البائعون المبشرون: مهمتهم التبشير بالمنتجات الجديدة وصنع عملاء المستقبل بتنمية علاقات طويلة الأجل.

3-6 مقومات البائع الناجح

هناك بعض السمات والمقومات التي تميز رجل البيع الناجح نذكر أهمها على النحو الآتي:

- الأمانة والقدرة على زرع الثقة؛
- الرغبة في البيع (18)؛
- التحكم في إدارة الوقت وتنظيم الأولويات؛
- حسن التعامل مع المتعاملين؛
- الرغبة في التعلم وتطوير الذات؛

7- تسيير قوة البيع

يتم تسيير قوة البيع بالبحث عن رجال البيع واختيارهم وتدريبهم وتحفيزهم وتقييم أدائهم:

1-7 توظيف رجال البيع: يسبق عملية التوظيف، تحديد الصفات التي يجب على رجال البيع امتلاكها بالإضافة إلى طبيعة المهام المسندة ثم تحديد مصادر الحصول عليهم (19):

- تحليل الوظيفة البيعية: لمعرفة الأعمال والمهام المطلوب تأديتها من قبل رجال البيع؛
- تحديد المؤهلات: أي مقدار المعارف والمهارات العملية والشخصية الواجب توافرها لشغل الوظيفة (20)؛
- توصيف عمل رجال البيع: بتدوين هذه الأوصاف وكتابتها في سجلات تحفظ إلى حين الحاجة إليها، والتي يمكن إسنادها إلى مدير الموارد البشرية للمؤسسة
- تحديد مصادر الحصول على رجال البيع: هناك مصدران، مصادر داخلية وأخرى خارجية:

✓ المقصود بالمصادر الداخلية هو اعتماد المؤسسة على رجال البيع المتاحة داخل المؤسسة والتي تتوفر فيهم شروط ومتطلبات الوظيفة بإتباع عدة طرق:الترقيات، النقل الوظيفي، الإعلان الداخلي، رجال البيع السابقون؛

✓ تلجأ المؤسسة إلى المصدر الخارجي للتوظيف بسبب اقتناعها بضرورة تفعيل ديناميكية جديدة لقوتها البيعية بجذب رجال بيع متميزين قادرين على تأمين قوة الدفع المميزة والمطلوبة بإتباع عدة طرق: الإعلانات في الصحف، مكاتب التوظيف، الجامعات والكليات والمعاهد المتخصصة، الإعلان عبر الانترنيت.

- الاختيار والتعيين: وتأتي بعد الانتهاء من تحديد المرشحين لشغل الوظائف البيعية المطلوبة، ونظرا لأهمية هذه المرحلة يجب القيام بعدة إجراءات نذكرها كالتالي:
  - فرز طلبات المترشحين للتأكد من الشروط والمؤهلات المطلوبة؛

- الإعداد لإجراء المقابلات للتعرف على الخصائص الشخصية للمترشحين (21)؛
- اختبار المترشحين (شفهي، تحريري)، ثم اختبار الحالة الصحية؛
- تجميع كافة المعلومات عن المتقدمين في الخطوات السابقة لإجراء تقييم نهائي ثم اتخاذ قرار التعيين.

2-7 تكوين وتدريب رجال البيع

تعتبر عملية التكوين والتدريب ضرورة حيوية لتسيير قوة البيع نظرا لتعدد مهام رجل البيع (تحقيق المبيعات، البحث عن زبائن جدد، جمع المعلومات، إقناع الزبون، كتابة التقارير، متابعة الطلبيات...) للاستجابة لتطلعات وانتظارات الزبائن.

- **تحديد أهداف وموضوعات البرنامج التدريبي**

عند تصميمها لبرنامج تكوين وتدريب قوتها البيعية على رجال البيع أن يصبحوا قادرين على:

- المعرفة الجيدة بثقافة المؤسسة (تاريخها، إمكانياتها، نمط التنظيم، قيمها...)
- المعرفة الجيدة بكيفية صنع المنتجات وتركيبها وما هي الوظائف التي تؤديها هذه المنتجات في مختلف الاستخدامات؛
- المعرفة الجيدة بزبائن المؤسسة وميزات المنافسة (القدرة على التمييز بين الزبائن، حاجاتهم، دوافعهم وعاداتهم الشرائية)؛
- القدرة على تقديم منتجات المؤسسة بأسلوب فعال من خلال عرض دليل البيع؛
- القدرة على تحقيق أفضل النتائج في أقصر وقت ممكن وكيفية توزيع الوقت على العملاء.

ما تجدر الإشارة إليه، أن عملية تكوين وتدريب رجال البيع يعهد بها عادة إلى مديري المبيعات أو إدارة التدريب الداخلية أو الجهات الخارجية والمراكز الاستشارية، وهذا بحسب حجم المؤسسة وعدد رجال البيع الذين يحتاجون إلى التدريب.

- **خطوات البرنامج التدريبي** (22):

- تحديد اجتياجات التدريب: يصبح التدريب أمرا ضروريا عند ظهور عدم رضا الزبائن، تحديث هيكل التنظيم، انخفاض المبيعات، الإسراف والتبذير، انخفاض الإنتاجية، المشاكل الصحية...؛
- وضع الخطة التدريبية: وهي تتضمن: تحليل الوظيفة، تحديد الأهداف الرئيسية للتدريب، اختيار المتدربين، إعداد البرنامج التدريبي؛
- اختيار طريقة التدريب: يمكن التمييز بين طريقتين من طرق التدريب البيعيي:
  - طرق التدريب الفردي، بإتباع طريقة الخطوات الأربعة المعروفة (التحضير للتدريب، عرض التدريب، تطبيق ما تعلمه، المتابعة).

- طرق التدريب الجماعي، بإتباع عدة أشكال: المحاضرات، استعمال الوسائط التكنولوجية مثل التلفزيون، الفيديو...، المناقشات العامة، تقمص الأدوار، دراسة حالة معينة، المحاكاة.

- تقييم البرنامج التدريبي: الغاية منه زيادة وتطوير فاعلية البرامج التدريبية إضافة إلى تزويد المديرين بمعلومات واضحة حول تقدم عملية التدريب باتجاه تطوير كفاءة الأداء رجال البيع حسب الخطة التدريبية؛

- متابعة التدريب:لمعرفة السبل الكفيلة أو التقنيات المستخدمة في ثبات و تطوير فكرة التدريب لغرض زيادة المهارات والمعرفة و الوعي لدى البائع.

3-7 تحفيز قوة البيع

لجذب رجال البيع المميزين يجب أن يكون لدى المؤسسة خطة مكونة من عدة محاور: جزء ثابت، جزء متغير، تعويض نفقات العمل والتحفيزات الايجابية.

إن إدراك إدارة المبيعات لأهمية العامل المالي في حياة رجال البيع يستدعي منها مراعاة الطريقة التي تختارها لتحسين أدائهم وتمتين ولائهم بضمان الشروط الآتية: ديمومة الدخل، تشجيع القدرات التي تحقق أفضل النتائج، تحري العدالة في تحديد الأجور والتحفيزات.

- **الجزء الثابت (المرتب)**:وفقا لهذه الطريقة فإن المؤسسة تقوم بدفع مبلغ معين لرجل البيع مقابل الأنشطة والمهام التي يقوم بها أثناء فترة زمنية يتفق عليها الطرفان بغض النظر على الجهود المبذولة أو ما يحقق من مستوى المبيعات في نهاية الفترة. الهدف من هذه الطريقة ضمان دخل ثابت حتى في فترات نقص النشاط مما يخلق نوع من الاستقرار والطمأنينة، كما يتيح لإدارة المبيعات حرية أكبر في تحديد وتعديل النشاطات المسندة لمندوبيتها بصورة أسهل كنقل رجال البيع من منطقة إلى أخرى (23)؛

- **الجزء المتغير(العمولة):** تحدد عادة كنسب مئوية من قيمة مبيعاته الصافية، كما تحدد أحيانا على أساس مبلغ معين عن كل وحدة مباعة، وقد تكون العمولة تصاعدية فترتفع نسبتها بعد أن تصل مبيعات رجل البيع حدا معينا، كما أن نسبتها قد تختلف في المنشأة الواحدة بين سلعة و أخرى أو بين مجموعة من السلع الأخرى. هذه الطريقة تُشعر رجال البيع بدرجة أكبر من الاستقلال نتيجة ربط العمولة بين جهده ودخله (24) ، كما تسمح باجتذاب رجال البيع الأعلى كفاءة والذين يفضلون في العادة هذه الطريقة بسبب ارتباطها بالنتائج المحققة وهم يشعرون بقدرتهم على تحقيق نتائج أفضل وبالتالي دخل أكبر؛

- **النظام المختلط (مرتب ثابت وعمولة):** يُستخدم هذا المزيج عادة عندما يكون الحجم المباع متعلق بتنشيط رجال البيع مع تمكين المؤسسة من القيام بمراقبة معينة

على نشاط رجال بيعها خاصة الغير مرتبطين بالبيع مباشرة، كذلك يسمح بتجنبها تحمل أعباء البيع المجمدة في فترات الكساد مع ضمان لرجل البيع جزءا من دخله؛

- **تعويض النفقات:** التي تمكن رجال البيع من القيام بمجهودات بيعيه التي يراها لازمة؛
- **الايجابيات الملحقة:** كالإجازات المدفوعة، أو المرضية، التقاعد والتأمين. بالإضافة إلى التحفيزات المعنوية.

4-7 تقييم أداء رجال البيع:

إن الغرض من تقييم أداء رجال البيع هو التعرف على درجة مساهمتهم في تحقيق أهداف المؤسسة من خلال مطابقة الأداء الفعلي مع الأداء المتوقع والمخطط له، بحيث يتم تحديد الانحرافات حال وقوعها ومحاولة معالجتها والتخفيف من آثارها باستخدام الرقابة الدائمة والتوجيه المستمر.

- **أهداف التقييم:** يمكن استخدام نتائج تقييم أداء رجال البيع لتحقيق الأغراض التالية (25):

- التعويض لرجال البيع بناء على أداء كل منهم، مما يشكل حافزاً لهم على بذل مزيد من الوقت والجهد؛
- تحديد مدى حاجة رجال البيع للتدريب؛
- استخدام نتائج تقييم الأداء كأساس للترقية؛
- استخدام نتائج تقييم الأداء بوضع معايير جديدة تساعد في تطوير عمليتي الاستقطاب والاختيار مستقبلاً.

- **طرق التقييم:**

- تحليل سجلات المبيعات وتقارير رجال البيع ومقارنتها بالأهداف البيعية المحددة؛
- مقارنة أداء رجال البيع بالحصص البيعية (يوميا، أسبوعيا، شهريا) من طرف مشرفي المبيعات ؛
- الملاحظة الشخصية من جانب مديري المبيعات؛
- التحليل بالنسب (معدل التغطية السوقية، ويقيس نسبة تغطية رجل البيع لإجمالي عدد المشترين في المنطقة)؛
- تقدير كفاءة من خلال ملء استمارات خاصة توضع فيها درجات لمجموعة من الصفات والإنجازات التي استطاع رجل البيع أن يحققونها؛
- آراء العملاء في رجال البيع (طريقة تعاملهم).

ثانيا: واقع تسيير قوة البيع في المؤسسة الفلاحية -AXIUM-SPA

1. التعريف بالمؤسسة: هي مؤسسة اقتصادية ذات أسهم تم إنشاؤها ببلدية عين السمارة – قسنطينة- في سنة 2004 برأس مال يقدر بـ 20.000.000 د.ج وبـ 50 موظف.

تتمثل أهداف المؤسسة فيما يأتي:

- تحسين نظم الإنتاج لإمداد المزارعين بما يحتاجونه من مواد والدعم التقني لهم؛
- تنويع الموارد من الحبوب وتطوير المنتجات الغذائية؛
- تحقيق مصداقيتها في السوق بكسب الزبائن باعتبارهم شركاء.

تمتلك المؤسسة تشكيلة كبيرة من المنتجات تسمح لها بالوصول إلى أكبر فئة من المستهلكين. منها من يباع مباشرة ومنها ما يتم إعادة إنتاجه ثم بيعه: منتجات الحبوب (القمح الصلب، القمح اللين، الشوفان أو الخرطال، العدس)، والآلات الفلاحية (الحصادات والجرارات بمختلف أنواعها).

2. الهيكل التنظيمي لقوة البيع: هناك قوة بيع داخلية وأخرى خارجية

- قوة البيع الداخلية: ويمثلها قسم التقييم و قسم الآلات الفلاحية.

- قوة البيع الخارجية: تعتمد المؤسسة على الوسطاء (تجار الجملة وتجار التجزئة) لإيصال منتجاتها للزبائن وذلك من أجل الاعتبارات الآتية:

✓ **تجار الجملة**: شراء الآلات الفلاحية وتجميعها وبيعها لتجار التجزئة، احتفاظهم بالآلات لوقت معين يعني تحملهم جزءا كبيرا من تكاليف التخزين، بالإضافة إلى ذلك فإن دفع تاجر الجملة لقيمة المشتريات يساعد المؤسسة على التخطيط الجيد والفعال لعمليات الإنتاج والتسويق؛

✓ **تجار التجزئة**: لشراء المحاصيل الزراعية (البذور) والبقوليات.

3. تنظيم قوة البيع: تعتمد مؤسسة AXIUM SPA على التنظيم المركب على أساس المنتج وعلى أساس جغرافي .

لقد اعتُمد هذا التنظيم حسب مدير المؤسسة للأسباب الآتية:

- تنوع واختلاف المنتجات التي تبيعها؛
- تنوع المناطق التي توزع إليها المنتجات؛
- تنوع رجال البيع ذوي الاختصاص لكل نوع من المنتجات على حدى.

4. مهام رجال بيع المؤسسة: أوضحنا سابقا أن من بين المهام الرئيسية لرجل البيع هو البحث عن العملاء الجدد. وهو ما لاحظناه مطبقا فعلا داخل المؤسسة (العميل بالنسبة للمؤسسة هو الفلاح وأصحاب الأراضي الفلاحية) بحيث تبيع للفلاحين البذور والآلات الفلاحية وبالمقابل تشتري منهم محصول القمح والعدس ثم بيعها للمستهلك النهائي. كما يقوم رجال البيع بمهمة الإرشاد والنصح لتمتين ثقة الفلاحين في المؤسسة.

5. تسيير قوة البيع

- **عمليةالتوظيف:** أوكلت مؤسسة AXIUM عملية اختيار رجال البيع للقسم التقني كون إطاراته يمتلكون المؤهلات المطلوبة التي تمكنهم من التحديد الدقيق لاختيار المواصفات المطلوبة لشغل الوظيفة. من بين طرق التوظيف التي اعتمدتها المؤسسة نجد:

✓ اعتمادها على المصادر الداخلية لأنها تجد في ترقية رجال البيع ما يوافق حاجاتها لأنهم الأعرف بثقافة المؤسسة والبيئة المحيطة بها من موردين وزبائن. وقد لاحظنا أيضا أن أغلب رجال البيع هم مساهمي المؤسسة وتربطهم علاقة بميدان الفلاحة؛

✓ نادرا ما تعتمد المؤسسة على المصادر الخارجية (في حالة الحاجة القصوى من خلال عقد محدد المدة)، بحيث يتم الإعلان هذه الوظائف عن طريق موقعا الإلكتروني أو من خلال مكتب التوظيف L'ANEM بإتباع الخطوات الآتية: تلقي بطاقة المعلومات الشخصية والمهنية، دراسة محتوى هذه البطاقات من حيث الشهادات والخبرة المهنية، مقابلة المترشحين ثم التوظيف.

- **عملية التدريب:** بما أن مؤسسة AXIUM متخصصة ببيع الآلات الفلاحية و المحاصيل والأدوية الزراعية فهي دائمة البحث عن كل ما هو جديد، لذا فهي في تدريب متواصل لرجال بيعها بما يتوافق ونشاطها التسويقي وذلك من خلال تعريفهم بتنوع المنتوجات وتطورها، إكسابهم مهارات الاتصال مع الفلاحين بأسلوب واضح وبسيط لتحسين صورة المؤسسة. من أهم الطرق التي تستعملها المؤسسة: المحاضرات، الندوات، التدريب الذاتي.

- **تعويض رجال البيع:** تعتمد مؤسسة AXIUM على نوعين من الأجور: الأجر الثابت والعمولة أما التحفيزات المعنوية فليس لها أثر داخل المؤسسة.

- **تقييم الأداء**: ما يجدر الإشارة إليه أن المؤسسة يتم على أساس الملاحظة فقط من طرف رئيس الدائرة التجارية.

تعتبر قوة البيع من أهم الوظائف التسويقية التي توليها المؤسسة أهمية كبيرة لأن قدرتها على إنتاج السلع و الخدمات تكون محدودة ما لم يصاحبها جهد تسويقي يتولاه رجال بيع أكفاء من خلال توزيع المنتجات التي تشبع حاجات الزبائن بالسعر المناسب في المكان المناسب وفي الوقت المناسب.

لذا وجب على المؤسسة حسن تنظيمها وتسييرها من توظيف وتدريب ومراقبة وتقييم حتى تحقق أهدافها المطلوبة.

من خلال دراسة هذا الموضوع يمكننا إبداء أهم الاستنتاجات والتوصيات التي نراها ضرورية بالنسبة للمؤسسة محل الدراسة:

- **النتائج:**

✓ قوة البيع هي مجموع الأشخاص الناشطين في المؤسسة والذين يقومون بالاتصال المباشر مع الزبون لتعريفه بالمنتجات وإقناعه بشرائها؛

✓ تقوم المؤسسة بتسيير قوة بيعها من خلال الاختيار المناسب والتدريب الفعال لها وتعويضها بشكل يناسب المجهودات التي تقوم بها؛

✓ تعتبر المؤسسة أن نظام التحفيز يطبق في المؤسسات الكبيرة والعملاقة، وهو بنظرها يؤدي برجل البيع مع مرور الوقت إلى الملل وترك العمل؛

✓ إن الأداء الجيد للقوة البيعية يؤدي بالضرورة إلى تحسن وتطور أداء المؤسسة التسويقي.

- **التوصيات:**

✓ على مؤسسة AXIUM لاهتمام أكثر بقوة البيع التي تمتلكها لان دورها لا يقتصر على بيع المنتجات فقط؛

✓ الاختيار الموضوعي لرجال البيع لأنهم سيمثلون صورة المؤسسة؛

✓ العمل على تسيير قوة البيع بشكل يضمن للمؤسسة تحسين أداءها التسويقي؛

✓ العمل على اختيار إستراتيجية فعالة لقوة البيع تتوافق مع أهداف المؤسسة؛

✓ الاهتمام بمجال التسويق بإعطائه قيمة أكبر؛

✓ وضع نظام تحفيزي لتنشيط قوة البيع؛

✓ وضع أسس علمية ومنهجية لتدريب وتحفيز وتقييم أداء رجال البيع.

الهوامش

1. Philip Kotler, Bernard Dubois, Marketing management, 9é Ed. Publi-Union, Paris, 1997,p4

2. المزيج الترويجي (أو الاتصال التسويقي) هو عملية تعريف المستهلكين بالمنتج وخصائصه ووظائفه ومزاياه وكيفية استخدامه وأماكن وجوده بالسوق وأسعاره، بالإضافة إلى محاولة التأثير على سلوك المستهلك وحثه وإقناعه على الشراء بإتباع مجموعة من العناصر: الإعلان، العلاقات العامة، الإشهار وقوة البيع.

3. محسن فتحي عبد الصبور، أسرار الترويج في عصر العولمة، مجموعة النيل العربي،2000، ص103

4. Lendrevie. J., Lévy. J., Lindon. D., , Mercator, 7ème édition, Dalloz, Paris,2003, p 463.

5. إحسان دهش جلاب وهاشم فوزي دباس العبادي، التسويق وفق منظور فلسفي ومعرفي معاصر ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2010، ص ص 541-540.

6. صلاح الشنواني، الإدارة التسويقية الحديثة :المفهوم والإستراتيجية، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،2004، ص 351.

7. Hamon.c, Lezin.P, Touller.A, Gestion et management de force de vente, Ed Dunod, Paris 2000, p230.

8. محمد صالح المؤذن، مبادئ التسويق، دار الثقافة للنشر و التوزيع عمان، 2008، ص ص 398 -407.

9. V.R.P : **V**oyageur **R**eprésentant et **P**lacier

10. ثامر البكري ، الاتصالات التسويقية والترويج، دار الحامد للنشر والتوزيع عمان 2006، ص ص 269 -274.

11. Jacques Orsoni, Jean-Pierre Helfer, Sophie Debern, Les bases du Marketing ,5éme édition, édition éducapôle Gestion, Paris, 2006 , p208 .

12. Yves Chirouze., Le marketing, OPU, 1990, pp 90-91.

13. كورتل فريد، مدخل للتسويق، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع عمان،2012، ص ص 2017-2019 .

14. جرى العرف على استخدام صيغة التذكير (رجال البيع) لأن هذه المهنة كانت حكرا على الرجال دون النساء حتى وقت قريب. مؤخرا تم إحلال مصطلح (القوة البيعية، أو موظفو البيع) محل رجال البيع حتى يشمل التعريف النساء اللائي يزاولن هذه المهنة.

15. أحمد شاكر العسكري، التسويق- مدخل استراتيجي- ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2000،ص 76
16. علي فلاح الزعبي ، إدارة الترويج و الاتصالات التسويقية ، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان ،2008، ص ص 109- 111.
17. أحمد شريف العاصي، الترويج والعلاقات العامة، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص ص 245-247
18. سيد سالم عرفة، إدارة المبيعات والبيع الشخصي، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص ص 123-124
19. زاهد عبد الحميد السامرني؛ سمير عبد الرزاق العبدلي ، إدارة المبيعات والبيع الالكتروني، دار إثراء للنشر والتوزيع، عمان 2010 ، ص ص 87-101.
20. حسبHeinz Goldman الذي أجرى دراسة على حوالي 800 مندوب مبيعات و1000 من رجال البيع رتب 12 صفة يجب توافرها في رجال البيع من بينها: إتقان تقنيات البيع، قدرة التنظيم والاتصال والانضباط في العمل، امتلاك حس الأعمال والطموح وحسن المبادرة والفصاحة في الكلام، المظهر الخارجي والتقديم... Ph.Kotler, B.Dubois, Marketing management, Op-Cit, P697
21. محمد فريد الصحن، قراءات في إدارة التسويق الدار الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص163.
22. محمد عبد النبي الطائي إدارة المبيعات، دار اليازوري للنشر والتوزيع ،2009، ص ص 209-230.
23. ثابت عبد الرحمان إدريس وجمال محمد المرسي، التسويق المعاصر، ا الدار الجامعية للنشر، لإسكندرية،2005، ص 387
24. مصطفى زهير، التسويق وإدارة المبيعات، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت، 1984، ص304.
25. علياء الجهني، إدارة المبيعات والبيع الشخصي www.kau.edu.sa

عوامل الصحة النفسية لدى السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر

ملخص

يتناول المقال عوامل الصحة النفسية لدى السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر، ويسعى للإجابة على التساؤلات البحثية التالية: ما حال السيكولوجيين العياديين الحاملينِ لعِبء تدريس مقررات علم الصحة النفسية في المعاهد المتخصصة والساهرين على البحث العلمي؟

- ما المَنَاخُ النفسي للسيكولوجيين الحاضرين في العيادات النفسية والرافعين للواء الاستشارة النفسية الفنية في العديد من مؤسسات إعادة التربية ودور الإصلاح وتأهيل المسعفين ؟

وما المستوى الصحي النفسي للعياديين الممارسين في المجالات التربوية الصناعية والوافدين عليها مستقبلا؟

د. العيد أوزنجة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الجزائر2
الجزائر

Résumé

Les psychologues praticiens algériens sont-ils dotés des capacités psychologiques et des compétences professionnelles leur permettant de mener à bien leur tâche ? C'est à cette question que nous tentons de répondre, sachant que cette tâche est multidimensionnelle : elle consiste non seulement à évaluer et diagnostiquer les troubles psychologiques et comportementaux de leurs patients, à les aider à bien les gérer, mais aussi à effectuer des recherches pratiques.

مقدمة

وقفت خلاصة الخلفية الصحية النفسية : عبد القادر زكية2000 ،Hollnager 2000 ، موسى رشاد2001، زهران حامد 2002، *Dickerson,R 2002*، سعيد سرور 2003 ، Nietzel, M. *2003*، صديق 2004 *Moos R., & Holahan, C.2004*، عمر بن علي2005، ياس Yes 2005، لينا باليستريار2006 .Fréderique F.Berger 2006، سامر 2007،*Chen J. 2007* ، المشابقة 2008، *Payne-Brian 2008*، أماني رفعت 2009، مجبددي محمد 2010. على قيام الاستفهامات التالية:

- ما حال السيكولوجيين العياديين الحاملينِ لعِبء تدريس مقررات علم الصحة

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013

النفسيـة في المعاهد المتخصصة والساهرين على البحث العلمي؟

- ما الْمَنَاخُ النفسي للسيكولوجيين الحاضرين في العيادات النفسية والرافعين للواء الاستشارة النفسية الفنية في العديد من مؤسسات إعـادة التربية ودور الإصلاح وتأهيل المسعفين ؟

- ما المستوى الصحي النفسي للعياديين الممارسين في المجالات التربوية الصناعية والوافدين عليها مستقبلا؟

ومما أُقِيمَ إِسْتِفْسارًا، بَاتَ الاعتراف بحقيقة بديهية مؤداها : أن السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر ، لا يمتلك سمات الصحة النفسية السليمة الْمُسَلَّمِ بها سَلَفًا والمحدَّدَة على هَدْيِ دراسات أكاديمية وبحوث نفسية دقيقة وشـاملة (دفرج1982 . DESFARGES ساماشر SAMACHER1990 ، قديح 1993 وبلميهوب 1994، المشابقة 2008).يمكن أن نُؤَسّسَ على فحـواها اعترافا بمن نعرفهم ونسميهم سيكولوجيًا مزاولا الإسعاف العيادي .

وتأسيسا لما سلف دحظه يذهـب الدَّارِس وفرقـة الباحثين، (آيزينك EYSENK 1952، صمويل ماغريوس 1974، لويـس مليكـة 1977، دسفرجرس 1982 DESFAGERS، بنستين BENSTEIN 1980، محمد نجاتي 1980، عطوف محمود ياسـين 1981، إبراهيم قشقوش1982 ،عباس عـوض 1988 ،ميخائيـل أسعـد1991 ،جمال حمزة 1993) إلى إستحالة قيام الأساليب العملية (الممارسة) بذاتها فإنـه يظل من الضروري أن يَجْتَبِيَّ صدق الخلفية العيادية والنـتائج الاختباريـة (لويس مليكة 1977، زهران حامد 2002، مجبددي محمد 2010) التي تستند عليها الأطر النفسية الفنية للخدمة العيادية في بلادنا.

وعليه يَأْمُـلُ الباحث أن تلهمه الدراسة الاستكشافية الاخْتِبَارِيَّة ببعض الحكمة والرشاد، في تناوله سمـات الصحة النفسية لدى السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر، عِلْمًا أن السمة هي تركيبة مصدرية في الشخصية ، تشكل سلوك الأخصـائي معافاة وسلامة، وأن اضمحلالها ِعلَّة، وَ تَنَحّـيا(تلاشيها)وَبَالاً وَضُرًّا، وَاعْتِمَالُها نذيرٌ لسـوءِ توافقٍ.

من خلال ما وقف الباحثون (رمزية الغريب 1970، عبد القادر زكية2000 دوفلو1988DUFLOT ، شاكو1984 SHAKOW ، ساماشر 1990 SAMACHER) على تحديد السمات الشخصية والمهنية اللازمة لإعداد السيكولوجي العيادي الْمُقْتَدَرِ على المراس السريري في قوائم مفتوحة قابلة للمراجعة والإثراء.(أماني رفعت 2009)

ومن خلاصة الدراسة الاستكشافية والاستطلاعية التتبعية 2003/1988، للبحث القائم ، انشغل الباحث بمجموعات من السيكولوجيين العياديين، يظهر سلوكهم لأَوَّلِ

وَهْلَةٍ، عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الصّحَةِ والسَّوَاءِ، ولا تَشِعُّ صِحَّتُهُمْ النفسية، بأي من تلك اللُّزُمَاتِ الخَاصَّةِ الْبَلِيغَةِ في دلالتها عن الاضطراب النفسي فَالإِعْتِمَالُ بَادٍ في الأَعَمِّ مَأْلُوفٌ لاَ تُنْبِئُ مظاهره بالْخُطُوبِ والْعُسْرِ ، ولكنه لا يَتَمَثَّلُ إلى أَدَوَاتِ التَّقْوِيمِ التَّشْخِيصِي المُبْتَذَلَةْ، ولا يتيسَّر له أن يرْعَى سلوكه في نطاق الموقف المتواجد فيه.إلا أن الملاحظة الحسّية الراقية والمُؤَوَّلَة، لهؤلاء السيكولوجيين إذا اسْتَدَامَتْ كَشَطَتْ عن سَقَمٍ يَتَوَاصَلُ نَذَرُهُ، مُبَلِّغاً عن غِيَابَةِ مشكلة حَرِجَةٌ أعمق في دلالتها النفسية بين ذلك الْوَعَث السُّلُوكِيُّ الْجَلِيّ .

وإن استبصر الباحث شخص حال بعض الأخصائيين، ممن لا تستقر حياتهم على سواء ولا تدنو إلى نضج ومعافاة ولا ترسو على هدف، وباتوا عناصرهدم لأنفسهم ومكوك أذى لغيرهم (هؤلاء قلما يعنى أحد ببحثهم، بل قلما يعنى أحد بأن بهم علة على الإطلاق (صبري جرجيس1975،SAMACHER-1990 ، أمل 2001).

وإذا بالالتباس الذي سمى هّينا غدا مر كبا شدة بالمدة وحينئذ عسر الفرج في النفس ونزل القنوط بالصدر.

تبصر الباحث في أن الاضطرابات السلوكية لا تتجلى بغتة ولكنها نتاج حتمي لموقف ضاغط وصراع جواني يفصحا عن اعتلال صارخ نخرعافية السيكولوجي، برغم مايبدي أصحابها من سلامة وما يعلنون من معافاة.(صبري جرجيس 1975، مصطفى زيور 1996، سعيد سرور2003).

إن دراسة عوامل الاعتمال النفسي لدى السيكولوجي العيادي في عليته وفي أعراضه وفي أساليب تناوله وفي نتائجه (برلس1973 perles، صديق 2004) لنذيرا لأولئك الذين يَعُونَ هذه الدلائل بالتبصرالعيادي النافذ في سلامة سمات صحته النفسية من **الانشراح/ القنوط، مركز الضبط الداخلي/الخارجي، الكفاية النفسية العيادية/ الهزال النفسي العيادي، المسؤولية العيادية المهنية/ الحنثية المهنية (اللامسؤولية)، الأمن الاقتصادي/العسر الاقتصادي، المهارة العيادية/ الاكداء العيادي، الاحتراق النفسي/السلامة (الطمأنينة) النفسية، التفاؤل/التشاؤم، العلاقات الأسرية/التوحدية العلائقية، تقدير الذات /احتقار الذات.**

وأن برنامجا علاجيا يكفل الإشراف الصحي النفسي المحكم للسيكولوجي العيادي، لضرورة عاجلة من ضرورات الإنقاذ، بل هو الأمل عينه، الأمل المنوط به الانشراح النفسي لهذا الأخصائي العيادي محل الدراسة بالبحث.(فيصل الزراد1984، ساماشر SAMACHER 1990، عمر بن علي 2005).

<u>أهداف االبحث:</u>

أملت طبيعة البحث ضرورة تحديد أهدافه قصد التعمق فيه و التدقيق في سبل تنفيذه فحل هدفا كشفيا برهانيا وظيفيا في التالي:

1. تعديد وتحديد المنبّئات التي تحكم ظهورالصحة النفسية في سمات سلوكية، وذلك بالوقوف على مجموعة العوامل اللازمة لدفع الصحة النفسية وتنميتها كفالة.

2. الخروج ببناء تصور نظري متين يحكم تفسيرعوامل الصحة النفسية (في تطرفها واعتدالها) لدى السيكلوجي العيادي الممارس في الجزائر.

أ- الخروج بأداة سيكولوجية فارقية ذات حساسية فائقة، وقدر كبير من التصنيف و التنبؤ والتشخيص لعوامل المعافاة ولزم العلة التي تتبدى في السلوك.

ب- الوقوف على خريطة نفسية توضيحية، (صفحة نفسية) أومبيان نفسي دقيق موجز لتحديد السمات بالعوامل الكمية، للصحـة النفسية، أي وصف وتحليل للترتيب الهرمي لهذه السمات.(جاسم الخواجه 1996، مجبدي محمد 2010).

إشكالية البحث:

عمد الباحث الصيغة التقريرية الاستقرائية الخبرية في صياغة المشكلة قيد الدراسة بالبحث (المليجي 2001) ورسي على الصيغة الاستفهامية التي ساعدته إلى الاهتداء لمصادرات تتسع لتنظيم وتفسير دينامية وقائع السلوك العلي بنقيضه، و التي بدت مبثوثة متغايرة، إلاّ أن اللوازم ألفت بين عوامل جوانب النشاط النفسي السقيم سؤلا قائما:

1) أ للصحة النفسية سمات محددة تحكمها لابد من توافرها في السيكولوجي العيادي حتى يتعافى؟

2) هل تناول سمات الصحة النفسية ـالمحددة كعوامل بحثية،كافية لتوضيح بناء العملية النفسية للسيكولوجي العيادي؟

3) هل الصحة النفسية لدى السيكولوجي العيادي دالة لمنبئاتها؟

4) هل تتطلب مستويات المراس العيادي سمات صحة نفسية سليمة لا بد من توافرها في السيكولوجي، كشرط - للنجاح في المما رسة العيادية؟

5) هل عين السيكولوجي العيادي على أساس مجموعة من الضوابط النفسية المرنة ، الكاشفة والمتجّددة ومستحدثات الواقع السريري الجزائري؟

6) هل يرجع تسرب السيكولوجي العيادي العليل والممارس، إلى كونه يمتلك عوامل الصحـة النفسية إلى حد أوفر أو أقل من المطلوب؟

7) هل هناك بعض من السيكولوجيين -المنجذبين للمهنـة- يجـب ثنيهم عن الممارسة أو منعهم عنها ؟.

8) أ يعد التدوير المائل أكثر كفاءة فى إبراز معالم البناء البسيط ؟.

مسلمات البحث:

1) الصحة النفسية محمدة بشرية مست المجتمعات، المتمدينة والمتدنية .

2) الصحة النفسية ليست حكرا على جنس ولا على سن معّينين، وإن كانت تكتمل عند الراشدين.

3) إن الصحة النفسية السليمة هي المعافاة والخلو من العلة والاضطرابات النفسبدنية (موسى رشاد2001، محمد سليمان بني خالد 2009).

4) ضرورة تصور ومقاربة سمات الصحة النفسية وفق قوانين الفروق الفردية في أساليب التدبير.

5) إن السيكولوجي العيادي يشبه نوعيا كل البشر، ولكنه يتباين عن غيره من المعتلين في درجة انتظام سمات صحته النفسية، بصورة تمكنه أكثر من سواه على المعافاة.

6) إن مقاييس الصحة النفسية، تلزم مصمميها وتجبر مطبقيها التحقق من صدقها التجريبي، بهدف الدنو من حقيقة ذلك السّلوك السّليم كما يحدث في الحياة.

7) إن قياس الصحة النفسية في تطرفها واعتدالها دالة لعواملها.

فرضية البحث

خلص الباحث إلى أن القضايا القائمة أعلاه أفكار منتصبة لجنبات مشاهدات علية (هنا وهنا1976، ميخائيل أسعد1991، المطيري2005)، وتقارير لفعالية مصادر ملاحظات للقضية في لحم جوانب المشكلة بالسيكولوجي العيادي. حدد لوازمها بوضوح إلا لتحمل المعنى المقصود لها بقابلية للمراجعة والاختبارية في صيغ قوالب استدلالية عاملية مع قيام المعية والوجوب.

فغدت المشكلة سمات الصحة النفسية لديه عوامل يمتلكها، وبناء نفسي دينامي يكونه، يستلزم تفسيرا عن طريق دعواه، في واقع ذهني علمي منسوج حول تقنية معينة، لفكرة تحمل في تصميم بنائها معالم الطريقة التجريبية التي تتبع في اختبار صدقها (مصطفى سويف1969،بيتيني1985BITINI، الجعافرة 2003).

آثر الباحث التصميم التجريبي الممكن التحقيق (مصطفى سويف 1968، علام 2002). الذي يعتمد إطارا نظريا متينا لجوانب الواقعة، ودراسات سابقات مؤسسة للملاحظات ودراسة كشفية استطلاعية مصوغة مغلفة بتنزيه يقينها، وقوة إصابتها سميتها الفرضية التي تنفخ الروح في جهود الباحث الاختبارية والتي ستنفتح إلى نتائج على مستوى كبار من الأهمية.

وعليه صاغ الباحث الفرضية بصدد طبيعة المشكلة كالتالي:

- ترتبط عوامل الصحة النفسية حسب أهميتها الرتبية في بلورة الصحة النفسية (تطرفا واعتدالا) لدى السيكلوجي العيادي ارتباطا مائلا-.

مفاهيم البحث:

يعتبر الباحث التحديد المفهومي موقف استثارة نظرية لتصوره المعرفي للصحة النفسيه مراما فكريا منيرا للواقعة و عناصر تركيبتها لعوامل المعافاة لدى السيكولوجي والمتولدة عن صحّة الوقائع السلوكية قيد البحث كفرضية تتضمنها خصائص مؤكدة عبر استقراء استدلالي لإدراك هذه التركيبة كنتائج مستخلصة لنسيج نظري قائم عبر المفاهيم البحثية التالية:

1. مفهوم الشخصية :

وقف الباحث على أن تعريف الشخصية سعي بالعملية الارتقائية للذات كجوانب باطنية قصية لعمليات تنظيمية تكاملية رئيسة في تفسير نمو وديناميةتركيب الشخصية .

حيث يتفق المحدثون من علماء النفس الشخصية: Allport&Odbert1936 Norman 1963 .Eyse& Eysenck 1969. Goldberg 1976.Costa & McCrae 1985 Digman 1988. Peabody & Goldberg 1989. Peabody & Goldberg 1989 Osterdrof & John 1990. Borkenau 1990. John1990 . McCrae 1992 عبد الخالق 1993 .Mac-Donaldl 1995 ، بدر الأنصاري 2000 ، *أبو العيش هيا سليمان 2008*) على أنها ذلك النمط السلوكي الثابت المركب ، من تنظيم متميز وفريد لمجموعة من الوظائف العقلية والنفسية والفزيولوجية المتفاعلة معا، والتي تحدد أسلوب الاستجابة والطريقة المميزة في المواءمة مع البيئة والتكيف والمحيط والتوافق مع النفس (عبد الخالق 1993، بدر الأنصاري 2000، عبد الوهاب أحمد خطاب2009).

ومنه يستخلص الباحث أن الشخصية نمو نظام متكامل وتفاعل لجهاز ديناميكي متطور وَتَبَلْوُرٍ لِلْسِّمات العريضة والأساسية، كمعينٍ تشخيصيٍ لمدى سلامتها ومرونتها التوافقية عبر البناء العاملي متعدد الأبعاد في الموقف، ومنه يقرّ أن:

1/ الشخصية نسق ثابت ودائم للتفاعل داخل الفرد.

2/ يرتسم هذا التناغم معنىً تنبئيًّا لأسلوب توافق الفرد وبيئته.

3/ الشخصية السليمة عَلَم مُحَصّلة تَوَافُقِ التَّفَاعُلِ الدينامي داخلها، وأن اعتمالها ضُرٌّ يِنْخُرُ عَافِيَتِهَا .

2. السمــة :Le Trait

ذهب(لازاروس1989 lazaros ، ،كراش Krache 1992و مجبدي محمد 2010) بالسمة مفهوما استعداديا نفسياو وصفيا، وعلم استجابة مترابطة أو متشابهة وموقفية، تعكس قدرا من نسخ سلوك الفرد بأسلوب محدد.

ويقر الباحث تعدد تعاريف السمات تبعا لتباين أطرهم النظرية واهتماماتهم بتناول بناء الشخصية في دراساتهم .

يتفق (أولبورت ، هول و لندزى 1971، الشربيني 2001) في أن السّمة نظام نفسي عصبي عام خاص بالفرد القادرعلى نقل المنبهات المتعادلة وظيفيا، وعلى توجيه السلوك التعبيري والتوافقي، ومنه يرى الباحث في السمة حقيقة خالصة للتنظيم النفسي في الشخصية .

وذهب (كاتل1943 Cattell) بالسمة حصيلة استجابية متراصة وحيدة المعنى والتسمي والمعالجة. (Cattell & Scheier 1961)

ويتفق الباحث و(السيد غنيم 1975 وزهران 2002)في أن السمة خاصية ثابتة نسبيا في الشخصية ، وهى بعد عاملي.

اتجه (جيلفورد1959) بالسمة جانبا تمييزيا نسبى الوام فارقي في تصنيفه الأفراد.

وتناول "آيزنك" 1953 السمات مفهوما نظريا مجردا ومحددا سلوكيا وصفيا عاما وثابتا نسبيا، يستدل عليه من مظاهره السلوكية كأفعال قابلة للتبلور(نعيم الرفاعي 2005)

ويذهب (عبد الخالق 1994، موسى رشاد2003 مجبدي 2010) بالسمة صفة موقفية قارة نسبيا، تمييزية متفارقة بين الأفراد. في الموروث منها والمكتسب، في جوانبها البدنية أوالمعرفية أو الانفعالية .

وأقر أنصار نظرية السمات بدعم التوجه السيكومتري أن سمات الفرد تبلور البناء النفسي للشخصية، والمشع للسلوك، فتستشف عوامل هذا البناء باعتماد بطاريات مقاييس الشخصية الثابتة والصادقة، ومعالجتها إحصائيا باستعمال منهج التحليل العاملي للمعطيات قيد التناول.(بدر الأنصاري 2000، كمال الشناوي 2006)

3- العرض Le Symptome

يقر الباحث العرض بالمظهرالذاتي لِلْاِعْتِلاَل مُنْبَجِسًا عن رَضَضٍ بذات المصاب، فَيَنْتَصِبُ نَذِيرًا لعملية مرضية قائمة مؤكدة بِشَكَاوَى مُئِنَّة تسمح ببناء خطة علاجّية.

وخلص الباحث من رُؤَى التحليلية النفسية في تشكيلها العرض حلا وسطا بين الرغبة المكبوتة وما تمليه عناصر الكبت اندفاعا حيث يقع التمثل الاندفاعي في الممنوع والمكبوت القابعين في اللاّشعور برقابة الأنا .

وانتهى بالعرض واقعة ذاتية ونذيريُومِئ باضطراب وظيفي يحمل حدثاً ذَاتِياً غير منطقي، بديل لتصور أمر ممنوع مكبوس مُصَوّرًا لِقِنَاعِ التمثُلات المصطبغ برضى تعويضي لرغبة لاشعورية ، دون إيقاض الرقيب ـ في إرضاء المتطلبات الدفاعية، كما يمثل هذا الرضا الثنائي قدرة مقاومة العرض. (P.Perrineau.1997).

4-البعد:La Dimension

يتفق الباحث و(جلفورد1952) في أن أبعاد الشخصية تتمركز على سمة ثنائية القطب (Bipolar)، وأن كل سمة صحيّة نفسيّة لها مقلوبها على نهايتي الخط المستقيم، ومنه استنتج:

- أن بعد المعافاة مفهوم مجّرد، لمخطط رمزي يَنْسَابُ تَدَرُّجًا عبر مستويات بَيْنِيَّةٍ تمكّن الباحث من فهم سواء الشخصية.

- أن البعد ارتسم متصلا (Continuum) يشغل فيه عناصر عينة البحث مراكز تتوزع فيها بطريقة حَسُومَةٌ، أي أن الْبُعْدَ ثنائي التقاطب يجمع بين الجانب الصحي والعليل.

- أن البعد يشير الى مجموعة من الصور السلوكية التي تمتد بين: الانشراح و القنوط، وعليه فالمستويات القريبة من الطرف الافتراضي الموجب تمثل السيكولوجيين المتكاملين، وأن المستويات التي تتجه نحو القصي الفرضي السالب، تمثل النفسانيين هزيلي التوافق، ذلكم الأخصائيون المستحقون لكفالة نفسية.

مما سلف تناوله يذهب الباحث بالبعد النفسي أقرب صورة ذهنية يتمثلها عن الكيفية التي يَبْنِي بها معلوماته عن الواقع الصحي النفسي في تطرفه واعتداله، ومنه يتخذ البعد مسافة أو مستقيما يمتد بين قصبين (نقطتين)، فهو يسري من معلم يمثل أكبر قدر من الوجود إلى أدنى دَرَكَةِ تَلاَشِيه وأنَّ الْبَوْنَ بين النقطتين متدّرج، يَنْتَصِبُ عليه المفحوص المسترشد درجة تحدد له موضعا على هذا البعد.

5 - مفهوم العامل Le Facteur:

يؤكد الباحث أن العامل مصطلحٌ إحصائيٌ محددٌ مشيرا إلى خصائص واضحة متعددة وتركيبية تستمد عناصرها من مفاهيم ومعالجات متعددة، حيث يرى أنّ الاعتبار المنهجي المتعلق بتحديد العامل ودلالته هو مبعث الأهمية في معناه السيكولوجي الضّمني والصريح.بحيث يكون ميسورا الانتقال البين من إثبات رياضي دقيق لعامل على رسم تقريري لوجود نفسي صريح لوظائف صحية نفسية.

وعليه يقر الباحث المعنى السيكولوجي للعامل تعبيرا عن الوصف العاملي تصويرا مفهوميا صحيّاً نفسياً بصورة دقيقة قائمة.

كما تؤكد(انا ستازيAnastasi1938 وصفوت فرج 1980) تعبيرا متينا للنزعة الارتباطية كعلاقات بين منبئات الصحة النفسية السريرية.

ويؤكده الباحث تركيبة نقلة بناء عاملي متبلورا في مضمون معافاة سيكولوجية منصبة.بوضوح شديد في أسلوب تلخيصي نوعي شاسع مثله ترابط مقاييس المنبئات المائلة.(أوفرلOverall1964)

حيث نتصورها في علاقات خصائص(منبئات) مشتركة بينها. تلكم هي العوامل قيد البحث لمفردات سلوكية واقعية قابلة للملاحظة والقياس والتكميم.

ومنه فمنبئات الصحة النفسية لدى السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر، كيانٌ محسوسٌ واقعيٌ من مظاهره في تطرفها واعتدالها.

وبهذا أوجد الباحث اللُّحْمَة بين المعاني والدّلالات النفسية والعوامل محل الدراسة باعتبار العامل يتضمن دلالة سيكولوجية لغرض مؤداه ميل (استقلالية) الصحة النفسية لدى السيكولوجي، يؤدي إلى إعطاء المنهج المعتمد كل خصوبته وإغناء إمكانيات استثمار خصائصه قصد التوصل إلى الحل العاملي التلخيصي والنهائي- وفقا لما يستلزمه أسلوب التحليل العاملي المعتمد بالبحث- بقدر من التباين المشترك ذو الدلالة البينية من المنظور السيكولوجي، وبلوغ البحث الصلة الوطيدة بين المستخلص من عوامل صحية نفسية ،وبين الإطار المرجعي للمعافاة النفسية للسيكولوجي العيادي الممارس، الذي انطلقنا منه وسعينا من خلاله.

1/5التحليل العاملي قيد البحث :

ذهب الباحث بالتحليل العاملي وصف وتصنيف منبئات (القدرات العقلية والسمات) في مجال الصحة النفسية لدى السيكولوجي العيادي.

ووقف على العامل كدالة رياضية وصفية و تلخيصية لمصفوفة من معاملات الارتباط المبدئية، و تمثل الحقيقة الصحية النفسية جيدا، ولأن العامل يستمد جذور المعنى السيكولوجي من معطيات الدراسة الاستكشافية التي استهَّل بها التناول، وبقدر ما في هذه المنبئات من دقة بقدرما في العامل المستخلص من صدق في التعبير السيكولوجي.

ويستشفُّ الباحث العوامل من خلال معالجتة لمأتين وسبعة وسبعين (277) وحدة من بنود اختبار الصحة النفسية التي تقيس المعافاة النفسية . ويعد هذا العامل دليلا على قيام نسق تميزه خصائص مشتركة نقية ، ويتوقف هذا النقاء الذي يعبر عنه على سببين ركنين وهما:

1. دقة التصميم التجريبي الذي تبنى فيه المْقَاييسْ ْمُتَعَدّدَةِ الْمُنَبِئَات لِرُوزِ **اللَّوَازِم** العشرة **(10)** .وتضمن مفهوم التصميم التجريبي لبحث الدقة في القياس، و حسن اختيار الأداة و اِجْتِبَاءِ عينات الاستكشاف، والاختبار والتجربة ومدى تجانسهما.

2. أدى تعدد بنود الاختبار إلى الوقوف على حصيلة استجابية واحدية البعد،تبعا لاستقلالية العوامل، حيث ارتسم تشبع البند بوجود تشبع درجته على عامل فقط، لأن الدرجة حملت قدرا من التباين على عامل واحد.

ويعتبر العامل القائم بالدراسة فرضا إحصائيا ، يحاول البحث أن يجيب عنه بانتصاب السؤال التالي :

ما هو عدد المفاهيم الذي ينظم بناء ووصف الواقعة الصحية النفسية ؟

اعتمد الباحث التحليل العاملى منهجا إحصائيا لاجْتِبَاءِ بيانات التّناول القائم، فتعالقت بتشّبعات مَثَّلَتِ الارْتِبَاطَاتِ التلخيصّيةِ في صورة تصنيفات مَائِلَةٍ .وتولّى الباحث فحص هذه الارتباطات التصنيفية وَاسْتَشَفَّ ما بينها من خصائص مشتركة وفقا للإطار النَّظرى المعتمد بالبحث والمنطق العلمى الذي سعى بخطواته.

استهّل الباحث التحليل العاملي على أساس تصنيف **86 متغيرا** ويحمل كل **بند** من بنود الاختبار لمأتين وسبعة وسبعين (**277**) قدرا من التباين الواعد بإنتاج عوامل متنوعة،في مصفوفة ارتباطية تحمل قدرا وافرا من الخصوبة الصحية النفسية و المعبر عنه في عدد من المكونات الأساسية.(صفوت فرج 2003)

وبدأ التحليلُ العامليُّ بحساب الارتباطات بين عدد من المتغيرات أو السمات (10) قيد البحث نحو: الانشراح ، تقدير الذات، العلاقات الأسرية ، مركز الحزم، الأمن الاقتصادي والكفاية العيادية السريرية، مثلا . وحصل على مصفوفة ارتباطات بين هذه السمات لدى عينة قوامها خمس مائة وخمسين (550) سيكولوجيا عياديا ممارسا.

ومنها تقدم الباحث بعد ذلك لتحليل هذه المصفوفة الارتباطية تحليلا عامليا ليصل إلى أقل عدد ممكن من عوامل Factors الصحة النفسية، تمكنه من التعبير عن أكبر قدر من التباين واستخلاص الأسس التصنيفية العامة بين هذه المنبئات.

6- الصحة النفسية:

يقر الباحث أن الصحة النفسية السليمة والاعتلال النفسي حالتان مستقّلتان متناقضان، يجب تصورهما نموذجان (طوباويان) وعليه فالمَعْلمُ الحسن للشخصية طموحا نرتضيه وسعيا نصبو بلوغه.

إذ أن الآدمي يجمع بين منبئات الصحة النفسية السليمة، وأعراض الاعتلال النفسي مع سيادة أحدهما، بل الأكثر غرابة من ذلك قد تتحقق إبداعات الفرد في ظل اختلاله النفسي.

ومنه يخلص الباحث أن الصحة النفسية ليست الخلو من أعراض العلة، وتتضمن:

1- **الفعالية**: وهي توجيه السلوك نحو حل المشكل والتقليل من الضغوط الانفعالية بالتغلب على المخاوف واتخاذ أساليب التدبير الإيجابية.

2- <u>الكفاءة</u> : وهو الاقتصاد في الطاقة النفسية لاستجابات توافقية دون دفاعات انفعالية مكلفة .

3- **<u>الاستبصار</u>:** وهو التدبير الإيجابي الذي يعكس الواقع في استجابة متماسكة ناضجة، تشع برغبة المرونة في التعديل، حين مواجهة الصراع وإحباطات الموقف.

ونافلة التناول، يقر الباحث أن الصحة النفسية السليمة هي الوقوف على عوامل المناعة النفسية الدينامية، التي تربط سمات سلوكية منفصلة في كُل دينامي يضفى معنىً على المعافاة النفسية عبر الحياة في مواقفها، مقدراً ما يحتاج إليه الفرد من طمأنينة نفسية وحماية ووقاية من العناصر التي تشكل خطراً عليه.

<u>7-السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر.</u>

السيكولوجي العيادي الممارس هو الأخصائي النفسي الذي تخرج من كلية العلوم الإنسانية، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، وتخصص في دراسة الصحة النفسية السليمة والعليلة وهو النفساني المرخص له من وزارة التربية ، وزارة الصحة والسكان أو وزارة التضمان الوطني، وتسري عليه أحكام نظم ممارسة مهنة النفساني العيادي وأخصائي الصحة النفسية.

ويشترط فيمن يرخص له بممارسة المهنة أن يكون:

1. جزائري الجنسية.
2. غير محكوم بجناية أو بجنحة مخلة بالشرف والأخلاق العامة.
3. حاصلا على المؤهلات العلمية والخبرات العملية وغيرها من الشروط المنصوص عليها في هذا النظام.

أ- كما يطلب فيمن يرخص (مهني نفساني عيادي) ما يلي:

1. أن يكون حاصلا على الشهادة الجامعية الأولى (اللسانس) في علم النفس العيادي، أو ما يعادلها من كلية أو جامعة معترف بها من الجهات المختصة:

* على أن تتضمن متطلبات الشهادة تدريباً عملياً في برنامج الدراسة.
* أن يكون قد اكتسب خبرة عملية لا تقل عن خمس سنوات من أحد مراكز التّدريب المعترف بها من الوزارة بعد حصوله على هذه الشهادة.

2. وأن يكون حاصلا على الشهادة الجامعية الثانية (الماجستير) أو ما يعادلها في علم النفس العيادي والصحة النفسية من كلية أو جامعة معترف بها من الجهات المختّصة لحاملي الشهادة الجامعية الأولى.
3. وأن يكون حاصلا على الشهادة الجامعية الثالثة (الدكتوراه) أو ما يعادلها في علم النفس العيادي أو الصحة النفسية من كلية أو جامعة معترف بها من الجهات المختصة على أن تتضمن متطلبات الشهادة تدريباً عملياً في برنامج الدراسة.

التناول المنهجي في البحث:

فضّل الباحث التناول الاختباري السميولوجي العاملي بهدف الوصف والتصنيف كخلفية قياسية تأسيسية لِلَمِّ منبئات المعافاة النفسية لدى السيكولوجي العيادي الممارس بالجزائر، ومنه يصبو بناء الأداة التشخيصية التنبؤية بتصور واضح قصد الوقوف على العوامل النقية بصياغة فرضيات تحدد أسس البناء النظري حسب مسلك تجريبي عيادي.

ميدان البحث:

فرضت طبيعة البحث استشفاف مواقف الخدمة النفسية الاسعافية عبر المجالات الاستشفائية الفحصية العيادية والعيادات الطبية والنفسية وكذا المراكز الطبية النفسية ومراكز النقاهة بالجزائر والمؤسسات الصناعية والتربوية.

فترة البحث:

أقيم هذا البحث في مواقف دافعية مناسبة (أحمد عبد الخالق1985) في بحر 1980 إلى 2010 وكان التوزيع الزمني حسب المراحل المنهجية التالية:

1. الدراسة الاستكشافية لجمع المعلومات والتحليل النقدي 1980/ 2003.
2. بناء التصميم البحثي بجانبيه النظري والعملي
3. الجزء الإجرائي:

أ- القيام بالدراسة الاستكشافية 2003./ 2004.
ب- بناء أداة البحث وتقنينها 2004 -2007.
ت- تحليل نتائج البحث النهائي 2009 /2010.

المجال البشري (عينة البحث)

يُشَكِّلُ المجال البشري من السيكولوجيين العياديين الممارسين القوة الفنية للخدمة الصحية النفسية، ولقد أسست منافذ مهارية للاستفادة من هذه القوة ،حيث ارتكزت على تحديد أدوارها السريرية في مجالات ممارسة الخدمة النفسية.

جدول رقم (01) يمثل مجتمع البحث من السيكولوجيين الممارسين في الجزائر عبر عَيِّنَاتِه الْمَرْحَلِيَّة

التسلسل	التعيين		العينة	الجامعات والأقسام /الكليات/الأقسام	المراكز الاستشفائية الإستشفائية	مراكز التكوين التوجيه/التربوية	الشيخوخة مراكز	مراكز التأهيل	مراكز الطفولة المسعفة	إعادة التربية مراكز	القياسية التقنينية المرحلة	الإجراء القياسي التقنيني
	الوظيف العمومي											
	ذ	إ										
I	42	58	100	36	25	13	02	08	07	09	I	استطلاع آراء الخبراء

الدراسة الاستكشافية	II	08	08	10	09	19	38	51	143	72	71	II
دراسة شعبية الفقرات	III	07	06	09	10	18	32	52	134	58	76	III
حساسية الأداة	IV	09	08	08	10	16	104	134	273	153	120	IV
الثبات/ الاتساق	V	08	07	12	18	31	98	124	316	156	160	V
الثبات/التجانس	VI	09	12	17	21	25	82	97	263	143	120	VI
الثبات/التكافؤ	VII	06	11	18	19	29	46	78	207	101	106	VII
الثبات/الاستقرار	VIII	07	09	15	16	25	49	84	205	101	104	VIII
أنواع الصدق	IX	32	40	65	78	89	137	153	594	299	295	IX
المعايير	X	21	28	31	43	47	100	118	388	199	189	X
الدراسة النهائية	XI	17	30	36	39	44	88	126	380	167	213	XI
مجموع العينة		133	166	229	265	356	803	1051	3003	1507	1496	ع

أداة قياس عوامل الصحة النفسية لدى السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر.

كما استعان الباحث بالأداة طريقة صادقة في جمع العوامل الصحية النفسية وأن بناءها المتناسق لعلمَ خلاصة استشفاف أراء المختصّين وَدِلَّ مصداقية دراسة اختبارية.

يَتَبَصَّر الباحث في خِضَمَّ الحصيلة الاختبارية تقويما لمدى الصدق المرجعي التجريبي لإسهام هذه العوامل في دفع وتطوير الصحة النفسية في تطرفهاواعتدالها.

التقنيات الإحصائية:

تستلزم طبيعة البحث تصنيف التقنيات الإحصائية التالية:

- اعتمد الباحث معامل ارتباط ألفا Alpha (لكرنباخ)بهدف ضبط ثبات المتغيرات ودراسة مدى تباينها.

كما استعان به في الاستدلال القياسي للمتغيرات، واعتمده في مدى أَتساقها الداخلي وفي تمييزها وفي مدى تجانسها.

يمثل الجدول رقم (2) استخلاص المسار القياسي لصنوف ثبات اختبار عوامل الصحة النفسية لدى السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر

يمثل الشكل المبيان النفسي Scatter gram للسيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر على منبئات الصحة النفسية قيد التعيير

	طريقة القياس	عدد الحصص	عدد النسخ	فروض (نوع الثبات)	المعادلة	معامل القياس الحقيقي R	نسبة القياس الحقيقي R2	الانحراف المعياري	تباين الخطأ	نسبة الخطأ المعياري المقاس	نسبة التباين	الجذر الكامن	النسبة التراكمية
1	الاتساق بين البنود Consistence inter-item	واحدة	نسخة واحدة	التجانس Homogénéité	Alpha Cronbach	0.96	0.92	11	معايير المحتويات	2.20	29.0	5.580	29.0
2	صورتين متكافئتين Forme parallèle	واحدة	نسختين متكافئتين	التكافؤ équivalence والاستقرار معأstabilité	Kuder R, 21	0.98	0.94	12	معايير زمنية فاصلة	2.60	27.5	5.520	56.5
3	إعادة الاختبار retest test	أكثر من واحدة	نسخة واحدة	الاستقرار والتنبؤStabilité	Spearman Rank Order	0.97	0.86	13	معايير زمنية معينة	3.43	24.5	5.460	81.0
4	التجزئة النصفية Bissection	واحدة	صورتين متكافئتين	الاتساق الداخلي Cohérence interne	Spearman Brown	0.97	0.82	15	معايير المحتويات	4.5	19.0	5.340	100

الدرجة الخام	الدرجة المعيارية	الدرجة التائية	الدرجة الجيمية	المستوى	الكفاية النفسية العيادية المهنية	المهارة النفسية العيادية	المسؤولية المهنية العيادية	الطمأنينة النفسية	تقدير الذات	الضبط الداخلي	العلاقات الاسرية	الامن الاقتصادي	التفاؤل	الانشراح
19	114.27	64.27	07.84	63.56			*					*		
18	110.00	60.00	07.00	63.99						*				*
17	105.72	55.70	06.14	41.50				*					*	
16	101.45	51.40	05.28	33.46					*		*			
15	97.18	47.20	04.44	25.61										
14	93.00	43.00	03.60	19.38										
13	88.70	38.70	02.74	15.19										
12	84.40	34.40	01.88	14.67										

نتائج التناول التحليلي العاملي:

يمثل الشكل المبيان النفسي Scatter gram للسيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر على عوامل الصحة النفسية محل البحث

القنوط	التشاؤم	العسر الاقتصادي	التوحدية الاسرية	مركز الضبط الخارجي	تحقير الذات	الاحتراق النفسية	الحنثية المهنية العيادية	الاكداء النفسية العيادية	الهزال النفسي لعيادي المهني	المستيني	الدرجة الجميعة	الدرجة الثانية	الدرجة المعيارية	الدرجة الخام
										81.31	07.30	61.50	111.50	19
										71.13	06.50	57.50	107.50	18
										61.08	05.70	53.50	103.50	17
										35.95	04.92	49.60	99.6	16
										35.95	04.02	45.10	95.10	15
										22.93	03.34	41.70	91.70	14
										12.11	02.64	37.70	87.70	13
										11.59	01.74	33.70	83.70	12

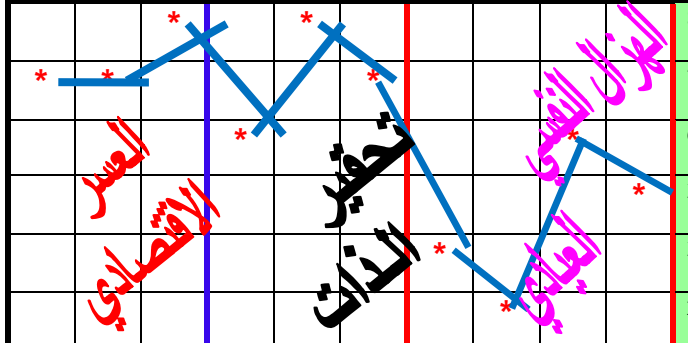

الصفحة النفسية لعينة البحث

من التبصر في نتائج البحث ومن استقراء الصفحة النفسية لمناخ سريرة السيكولوجي الممارس في الجزائر.الشكل (1).

إنتصب **عامل الهزال النفسي العيادي المهني** عاملا بارزا يحتل الأهمية الأولى في الترتيب العاملي تدعيما الضُّعف السريري للممارس .

أدت نتائج الهزال النفسي العيادي للسيكولوجي الممارس أنه في تصلب وعُسْر تطبيق مبادئ الخدمة النفسية العيادية، بانجاز غَثّ غير فعال، يمكن قياسه و ملاحظته.

حيث لم يبد السيكولوجي امتلاكه السلوك العيادي الذي يتضمن المهارات العلمية التقنية السريرية، كما لم يظهر قدراته الأدائية، فتلاشت التوقعات الضامنة لتحقيق الوقاية العلاجية للضرير.

ظهر السيكولوجي العيادي ضيق الخلفية المعرفية النفسية العيادية، هزيل مهاراتها المراسية، غث الكفاءة السريرة الوقائية العلاجية ، وعديم الكفاية الانتاجية العيادية، التي أبانت:

- هُزالَ بعده الأكاديمي المعرفي، اللازم لتَمْكِينِه من ممارسة خِدْمته بفعالية.
- ضعف بعده الأكاديمي الحالي لهشاشته.
- عدم مقدرته على استخدام اتجاهات السلوك الأدائي النفسي العيادي.

وأكد (وليم وول1952،ووليامس1970، وأبو العمرين إبتسام2008)على أن الإعداد الْهَيّن والتَّكْوين الغَثُّ يُنْبُوعَا الْإِعْتِمَالَات النفسية المهنية. وشخصت جماعة (كومار 1963، بيردان1964، وزياد حمدان1982، أماني محمد رفعت قاسم 2009) أن الهزال الأكاديمي المعرفي مُنْسَلٌّ من تلاشي المهارات السريرية المهنية كأهداف للكفاية النفسية العيادية .وهي الواقعة المثلجة، التي رُفِعَت الأصوات لها(بوردين1969 ، وحمدان زياد 1982) مُبَلِّغة بأن برامج اعداد السيكولوجي العيادي غير كفيلة.

وأرجعت ثلة (توج1967،ونادية شريف1977، وصلاح أحمد، تورانس 1981، مراد1988، الداهري صالح حسن2005،عبير فتحي الشرفا2009) هشاشة السيكولوجي الى غياب الدافع المعرفي لديه الأمر الذي حط من التمثل النفسي العيادي للسيكولوجي الممارس.

وبَيَّنَ الموقف الوقائي العلاجي النفسي العيادي أن ممارسيه لم يحدثوا التبلورات الصحية في نزلائهم المفحوصين، ومن ثمة لم تبرز معالم كفاءتهم.وهذا ماانْتَهَتْه فرقة تايلور 1968،وماسلو1970،السيد محمد أبو هاشم 2004) بأن الهزال النفسي المعرفي من وضع زيغ الميول وجوع الحاجات ،ومنها الكساح المعرفي وضعف الانجاز، كالانقطاع عن العطاء السريري ،وفقر الآداء مع تغيره الى الأسوء دون محاولة تعديله.

تُظْهِر النتائج أن استجَابِيَّة السيكولوجي العيادي لمدى تَمَلُّكِه الكفاية، لم تبن على استرتيجية أسلوب النظم المراسية، المحددة لاستخلاص أبعاد الكفايات المهارية ، وكذلك تملكه الكفايات المهارية الأساسية اللازمة التي ينبغي على السيكولوجي إكتسابها بالقدر الذي يرضى عنه هؤلاء النفسانيون.

وانتهى(الهولي 2006) إلى أن هذا الموقف التكفلي النفسي يُظْهِر الواقع الهزِلِ، في غياب الكفايات النفسية العيادية المتطلبة في السيكولوجي قيد البحث، كما أبرزت (الهولي 2004)الضعف الصارخ في كيفية أداء الخدمة النفسية العيادية.

وأكدت النتائج غياب الكفاية النفسية العيادية الشخصية في السيكولوجي كمجموعة ومهارات سريرية يطمح النفساني الممارس أن تتوفر فيه كأخصائي جيدٍ، إذ يمكن ملاحظتها وقياسها بهدف تحقيق الهدف التكفلي على أفضل صورة ممكنة، نحو:

- حبه للنازلين من المفحوصين وحبه لمهنته.
- قدرته اللفظية الحوارية التعبيرية في كسره الخمول والروتين.
- إظهار الكفاءة المهنية الفنية العيادية والاستعداد الشخصي لهذه المهنة خدمة الأفراد.
- حبه للانفتاح على الخبرة مع التجديد بالاكتشاف.
- أن يكون نشطا مرحاً، خفيف الروح، لترك النازل الضرير، متفائلا مبتسما.

بينت النتائج ضيق بُعدِهِ المعرفي العيادي، المتجلي في غياب فرص التجديد، وتواري القدرة على اتخاذ القرارات الحكيمة، وإقحامه في ضيق معرفي أكرهه محاولة فهم سلوك المسترشد العميل، مع الافتقار إلى مبادرة تنبيهية، لاستظهار ما حصله من مرونة فكرية عيادية تساعده بلوغ حالة من الاتزان الانفعالي والتوافقي المهني، وبث ما يحتضنه من نضج وجداني واتزان نفسي، وزف مالديه من مهارات اجتماعية متنوعة تمكنه من التفاعل مع الأولياء، ناهيك عن رِفْقِه بالنزلاء وقدرته على العطاء، ومساعدتهم بكل صدق وصبر، بحيث يُفْرِد لهم فرص التعبير عن مشاعرهم ورغباتهم، بل يَبْتَعِد القسوة في تهذيبه وفي نصحه وفي كفالته، إذ يعتمد الإثابة والمدح في دفعهم القيام بنشاطاتهم، ذالكم هو البعد الأخلاقي الذي لم يتجلَّ في تقبله والتزامه بقواعد المراس العيادي، والاعتزاز بالانتماء إليها كسيكولوجي عيادي ممارس.

ومن التبصر في النتيجة، تجلت الكفاية الأدائية السريرة مُبَلِّغَة، غثاثة فِعْلِيَّة للكفالة، وتثبيت خبرات نفسية اسعافية لم تُوصله مستوى التمكن السريري. وفي هذه الحالة يشعر السيكولوجي بالتهديد والتسريح لا محالة مادام عدم الاستقرار يؤانسه، فهو يعيش التوتر القريني للعوز لعدم استبصاره وضعف توقعه وادراكه لذاته حسب ما ذهب إليه (بن ديوره،1989).

وخلصت نتائج البحث **بالإِكْدَائية النفسية العيادية:** رُدْهَة مَحْو فنيات المراس العيادي نظرا لِعَوزٍ سريريٍّ وغياب فعالية .فتراه يظهر عسر توظيف في أدواره العيادية وذلك لما حصله من مجانبة المعرفة وما لاقاه من صعوبات بمستوى متدني في تأدية خدمة الأفراد، وأرجع (بوزيون 2004، وزيتون2005) الوهن النفسي العيادي إلى اضمحلال الفنيات العملية، وتَثَاقُل بُزوغ براعة المقدرة العيادية، وترددٍ في توظيف الخلفية المعرفية النفسية.

وأوصى فريق (حمودي منصور 2001.وظريف فرج 2003. وبوزيون 2004. وبوراسة2008) بُوجُوب توافر المهارة التي تمكِّن السيكولوجي من إسعاف الضَّرِير ورعاية حالات الشذوذ.

كما نبه (براين،2008) إلى افتقار السيكولوجي الممارس إلى فن الإلمام الشامل بمعرفة السلوك السيكوباتي.وكما أقر (جوزيف بوانيه،2008) خسوف المهارة المهنية للسيكولوجي القيادي مع تثاقل الجوانب المهارية المعرفية، كمهارة العلاقة ، مهارات تفهم الدور، المهارات التأثيرية ومهارة تقديم الخدمة والرعاية الحية النفسية للمسعف.

وذهب الباحث بالْإِكْدَائِيَّة النفسية العيادية، إلى عدم فاعلية الممارسة التي تعيق السيكولوجي من أداء خدمته النفسية (خطاب2005) بإيقاع تصلُّب عيادي، ولا بدِقَّة وسهولة (أحمد زكي1988)

وأكدت(الخفاف2002) أن الهشاشة العيادية المراسية تحقق أهْزَل انجازٍ وتساهم في كف مستوى أدائه الخَدَمِيّ النفسي.

وذهب (سعيد ،2003) بالاكدائية هُزال كفاية أدائيَّة في المهارات النفسية العيادية، تتسم بالتشنج وتلاشي الدقة في تنفيذ الأداء العيادي بفعالية.

فأين الجزاء الأدائي للسيكولوجي من الممارسة المهنية العيادية، ومدى توافر المهارة العيادية المهنية (بوراسة شنتال،Bourassa chantal2008) التي تركز على المهارات النفسية العيادية المهنية وعلى تنمية مهاراتهم لتحقيق الأهداف العلاجية ؟.

كما أكدت (باين براين Payn Brayn 2008) على ضرورة امتلاك السيكولوجي العيادي مهارات معرفية تأثيرية كافية في التعامل مع النازلين من المسترشدين .

تظهر النتائج ضَعْضَعَة المهارة النفسية العيادية في مُمَارِسِيها قيد البحث، هذا الفن المهني، الذي يتطلب مهارات ذاتية، وأخرى فنية مراسية مهنية، تَنْبَجِس من مُحَصِّلة الخلفية النفسية العيادية ونُظُمِها التطبيقية التقنية، والمعتمدة على الإعداد والتدريب المستمرين.

كما برز التفاوت في مستوى مراس السيكولوجي العيادي في الجزائر، حيث ارتبطت مهارته المراسية، بنوعية قدرته على توظِيفِه الهَزِيل للخلفية السريرية-لتحقيق هدفه المهني- وفي محاولة تطبيقه أسس الصحة النفسية السليمة، ومايتطابق منها مع طبيعة الموقف النفسي العيادي. وتتجلى في ميله الاختياري لسُبُل التدخُّل السريري وفي هُزَاله على تطبيقه بفعالية وأداء مُتَمَيِّزَيْن، انْتَصَبَت المهارة النفسية العيادية لدى ممارسيها محل البحث، بِمُجَانَبة المعرفة المتجددة للسيكولوجية الحديثة، وهشاشته علىِ مَراسِ أدائه، فيظهر سلوك هذا النسق التعلمي المعقد.

تتفق نتيجة البحث وما ذهبت (سكينة بوراري2007) في أن السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر، جَانَبَ المحاور الرئيسة المكونة للمهارة، كمهارة الحاجة إلى نمو الذات المهنية، مهارة التأثير في الآخرين، ومهارة التخطيط، واستفاء البيانات

والقياس.فَتَعَرَّى السيكولوجي الممارس وَبَاتَت هِمَّته في أن لا يَقْوَى على الرسم الأدائي لتلك المهارات:

1. الدعم، المساعدة، او الوقاية والإنهاء.
2. تطوير برامج الكفالة وتنفيذها بما يحسن من حال النزلاء.
3. مساعدة النزلاء على تنمية مهارات التوافق مع الأنساق التي توفر لهم خدمات الرعاية الصحية النفسية.

ومن هذا الحال وما شَابَهَه من مواقف عيادية، تؤكد (سكينة2007) على أهمية تنمية مهارات المراس الاسعافي لديه في ميادين الرعاية الصحية النفسية، كما أوصت بأهمية تَعْدِيدِ وتحديد العناصر الفعالة والممكنة في دفع مهارات النفساني المراسية وبلْوَرَة انجازه العيادي. وأوصت (أماني رفعت قاسم ،2009) بقيام مهارة توفير المساعدة النفسية للنزلاء من المسعفين، وإشعاره بالحب والتقدير، وتقديمهم الإفراغ الوجداني تعبيرا عن المعاناة .

وقف (حمدي منصور، 1998) على حضور **الحنثيـة المهنيـة** بخُسُوفِ العلاقة الدالة بين المسؤولية والأداء النفسي العيادي في كل الحالات الفردية.والمتمثل في الإلمام الشامل بجوانب الْإِعْتِمَال النفسي وإقناع الضرير بأسباب الاضطراب واعتماد الزيارات الميدانية .

والخلاصة أنه كلما غابت المسؤولية المهنية النفسية السريرية كلما انطفأت رغبة السيكولوجي العيادي الممارس في تنمية مهاراته.

وحدد (رشاد أحمد عبد اللطيف2005) الحنثية المهنية للسيكولوجي العيادي في اهمال الاعتمال ذِهْنِيَاً وَسُلوكيا، كما استعرض المهارات النفسية ، الواجب توافرها فيه ،قصد كِفْلِ الْعَلِيلِ نحو مهارة توجيه التفاعل ،مهارة إِسْتِبَانَةِ المعلومات وتقويمها والمهارة المهنية والنفسية التطبيقية.

وأظهرت النتائج أن السيكولوجي العيادي يمتلك الشعور بالحنثية ، ويفتقر لقدرة تحملها، ذلكم المُنَبِّئَيْن اللذين أَضْعَفَا تحصيله لعوامل الصحة النفسيـة .الْمُنْبَجِسَة تَجْلِيَّة لمدى نَهَمِه في إهماله لما يُعْهَد إليه من مُهِمَّاتٍ عيادية ،بما يَسْتَبْصِـره شُعُورًا بالسخط عن ذاته وَيَسْتَجْلِب له كراهية الزُّمَلَاء والنُّزَلَاء من المْرُاَجِعِين النّفْسِيين.

ويذاع هذا المعنى لدى جماعة (عثمان السيد أحمد1996، حمدي منصور1998، الغامدي 2005) إذ ترى في شعور السيكولوجي بلا مسؤولية مهارة نفسية في تَجَشُّم مَشَقَّات ما يُنْسَب اليه من ضعف إنجاز مُهَلْهَلٍ، مما يزيد سِلْبِيَّتَه في تحقيره لذاته و تدعيم هَوْلِ الخوف لديه، وَارْتِسَامِ عدم احترام زملائه له، وكذا نُزَلَائِه المفحوصين في المؤسسات قيد البحث .

وأكدت (إبتسام 2010) أن المراس على عدم تحمل المسؤولية يزيد في شعور السيكولجي العيادي احتقارا وارتجافا وَتَعَلُّقُماً بالحياة. وأردفت بأن النفساني غير المتحمل للمسؤولية المهنية يتصف بعدم النضج، التَّبَعِيَّة، الخيالية، الانفعالية، عدم تحقيق الذات، الشعور بالإنهاك والشقاء والخوف والاستخفاف في تحقيق سعادة كِفْلِه.

حيث يَسِمُه (سيد عثمان 1973) بالشخص غير المتكامل،لا يستثمر ما لديه من مهارات ، بعيدا عن تحقيق ذاته، أنه عليل النفس ضرير البدن.كما وصفه (عبد السلام عبد الغفار 1973).أنه فردا سليم النفس جديرا بتحمل المسؤولية ،صبي في اختياراته ،متجنب مسؤولية ما يترتب عنه من عواقب.

من استقراء الباحث للنتائج تظهر مسؤولية السيكولوجي العيادي الممارس مسؤولية غير مهنية أخلاقية.إنها مسؤولية بعيدة عن فكر الواجب، باعتبار أن السيكولوجي محل البحث غير موهوب الإرادة ولا معتمد الهوية. يتوقع مراسه العيادي من خلفيته المعرفية الهزال لواجباته المهنية، ومنه تتجلى معاناة تحمل مسؤولية سلوكه. لأنها عليقه بتوجه تصوره وَبِمَلَكَةِ مبادرته حين الضرورة الموقفية العيادية .

إن مسؤولية السيكولوجي محل البحث، مسؤولية متدرجة، مبنية على التعرف (لكان Lacan 2001) والاختيار الحر. وتفترض رباطا نفسيا واجتماعيا بين السابق واللاحق في موقف المراس .

فالمسؤولية العيادية المهنية تعتمد التكوين والتأثير، وتتطلب امتلاك الذات التي تستلزم التناغم المهني الاجتماعي، أي فرصة استبصار النفساني ذاته في الآخر(الزَّمِيلِ والنَّزِيلِ)، وذلك بمعرفة هَذَا الآخر .

ومن منظور السجل التحليلي تَقُودنا المسؤولية المهنية الى الجْزَاءِ بحسب طبيعة موقف المراس.حيث تَنْتَصِب تعبيرًا عن دينامية الرباط العيادي المهني لِلْتَوَاصُل الذي تستجيب من خلاله. استجابة عكرة غير متَنَاغُمٍة مع الذات، ومتنائية احترامها للالتزامات، فصار مِلْؤُها تَرَبُّع الْعِلَّة النفسية السقيمة للسيكولوجي العيادي الممارس. وأن صِنْوَان هذه الواقعة يُضْعِفُ الأنا وَيُنْبِئ باللامسؤولية، وانحلال الرباط السريري المهني، حيث يَرْتَخِي وَيَتَكَسَّر (مختار حمزة،1993).

خلص حمدي منصور1998 إلى قيام علاقة سالبة دالة بين الحنثية (اللامسؤولية) العيادية المهنية والأداء السريري، والتي ممثلة في ضيق الإلمام الكافي بالواقعة النفسية، وفي ضعف حجية إقناع العميل بأسباب الصعوبة أو الاضطراب النفسي.

وكلما انبسطت الحَنَثِيَّة كلما قلت رغبة السيكولوجي الممارس في تنمية مهارته العيادية، وأدائه الاسعافي في مجالات الخدمة النفسية.

وأكد (باين، براين1998Payne, Brian) على ضرورة إلمام السيكولوجي الممارس بالمسائل القانونية الخاصة، بتقديم المساعدة وخدمات العلاج والرعاية الصحي النفسية.

وتوصي (رشا أحمد عبد الخالق2008) السيكولوجي الممارس على اعتماد أسس أخلاقيات المهنة في مراحل التدخل مع العملاء.

كما تلح (أماني رفعت قاسم2009) على تحمل السيكولوجي العيادي مسؤوليته في توجيه النظام الأسري وذلك بما يدعم الوقاية والعلاج لعناصرها، وتعديل أساليب استجاباتهم في المجال المهني الاجتماعي والمعاشي.

ومن **استقراء النتائج** خلص الباحث بالحنثية المهنية عيشا لإنطفاء الدافعية وعدم التفاعل الذين يعيقان إشباع الحاجة النفسية(العماري2002). وذهب بها زيغ إدراك لمهامه، بغمرة اللامبالاة وبغياب تمثل للواقعة المحتملة، ورفض تبعاتها دون قصد. ويتفق (جيرسون 1995، وونيدزل 1991والعامري2002) من أن السيكولوجي الممارس أخل بالقواعد المهنية والواجبات الأخلاقية لمراسه.

ومما سبق ينتهي الباحث وما أقرته (إبتسام 2010)من ترافق تحقير الذات وضعفها والتنصل للمسؤولية العيادية، فتراه غير مستبصر نتائج أعماله غير متمثل للأهداف ينوي بلوغها (السعفان2006). ويردف (الغامدي 2005) أن السيكولوجي في هذا الموقف لاينعم بعافية نفسية كما يفتقر إلى التوحد بجماعته المرجعية المهنية ولا يقوى على الالتزام بمسؤوليته الاجتماعية المهنية(ابتسام2010).

ودعم هذا التوجه (هندرشون 1981.وهارسون1992.) وذهبوا بأن المسؤولية تناغم وأصالة وواجبات وقرارات قد تظهر في غير حاملها لعدم التزامه بتحمل تبعات إعماله، تململه الذاتي المترجم بعدم الإخلاص للواجبات المهنية الأخلاقية (الزغبي2004).

تتفق جماعة (فرايدنيجر1994، وماسلاش1981،التبال 2000 ، عسكر2000، وعبد الله جاد محمود2005) في أن الاحتراق النفسي إجهاد نفسي انفعالي بدني واتجاه سلبي نحو الوظيفة والزملاء والنازلين، فتراهم رصدوها في التبلور السلبي للإنجاز (بيلج2006).

ووصف كاهيل 1988،ويوسف جمعة 2006) السيكولوجي المحترق نفسيا ، بعيشه الغبء المهني المتزايد بتواصلية ضحلة، نقص كفاءة، إنهاك مستمر، إعياء وإحساس بالتعب. حيث تبدو عليه ضعضعة في النفس، التوتر ،فتور الهمة، عدم الرغبة في مباشرة العمل، الميل إلى العزلة، إبداء الاتجاهات السلبية والانسحاب من جماعة السعي السريري ويفسر (البتال 2000)هذا الموقف بردة الفعل الطبيعية لتصاعد الإجهاد النفسي عن الحد المحتمل وذلك لنفاذ صبره.

ويؤكد(إندرس Endres1996) أن عناصر الخدمة النفسية يَبُثُّون ضغطا نفسيا، ووقف على اشتراكهم في القلق والضغط النفسيين. ويقر (عبد الله جاد محمود،2005) أن الضغوط النفسية تستهل إحساس السيكولوجي بالاحتراق النفسي (Hurrell 1987) وهو مؤشراً مميزاً لجوانب الضغوط النفسية والسلوكية والفسيولوجية (محمد 1999).

وأدت الضغوط الجوانية والبرانية التي تعرض لها السيكولوجي إلى اسْتِنْزافه الجسمي البدني والانفعالي، وتجلت أهم مظاهرها في فقدان الاهتمام بالمفحوصين وتَبَلُّد المشاعر، ونقص الدافعية، والأداء النَّمطي للممارسة، ومقاومة التغير وفقدان الابتكارية. وافتقاد الدَّعم الاجتماعي وضُعْف مهارات التوافق وزيادة احتمالية الوقوع في الاحتراق النفسي

أظهرت النتائج أن مجمل أعراض الاحتراق النفسي التي تعرض لها السيكولوجي الممارس كانت بَدَنِيَّة، نفسية، وسلوكية اجتماعية، فتفاعلت كلها، في شِكِّيلِ عِبْءٍ وجُهد أَثْقل كاهله، مما ينعكس سلباً على صحته وسلامته النفسية، وتجعله مُعرضاً للإصابة بالأمراض النفسية البدنية، وظهور المشكلات والأزمات في حياته المهنية والأسرية، والشعور بفقدان التعاطف والتواصل مع زملائه وُسْتَرْشديه، فأمسى مَيَّالا للعزلة والانسحاب من الأنشطة والمشاركات الاجتماعية، والشَّكْوى من الخدمة النفسية وغياب الشعور بالسَّعَادة والمتعة في أداء وظيفته، مما يُؤَثِّر على أداء رسالته الإنسانية.

أشارت (عزيزة محمود سالم ،1977) إلى إن اتجاهات السيكولوجي العيادي ترتبط نحو مادته بإعداده الأكاديمي، وأن الاتجاهات العيادية انعكاس لوجهة نظره أو معتقداته نحو المراس السريري وعلاقة النفساني بالمسترشد .

وتؤكد ملاحظة أساسية في أغلب التناولات لِقَضية اتجاهات السيكولوجي، تذهب إلى التَدَنِّي بعد التخرج وممارسة الخدمة النفسية بسبب العوائق التي يجدها الممارسون في مجال عملهم، والتباعد بين الرؤية المسطَّحة في أذهانهم والواقع المتجسد كما يلمسونه بعد ممارسة المهمة النفسية .

ومن التمعن في النتائج استنتج الباحث أن التغير في اتجاهات السيكولوجيين النفسية والعيادية، يظهر أنه كلما زاد عدد سنوات الخبرة لدى السيكولوجي فإنا اتجاهاتهم لا تَهْتَم ببرامج النمو المهني والتدريب، بل يتركز الاهتمام نحو الوظائف الفَحْصية ويقْلُّ الأداء في مهام الكفالة .

ومع التأكيد على أهمية السيكولوجي في جميع المستويات المراسية فإن الدور الذي يؤديه في مرحلة الفحص الكشفي، يعتبر دوراً رئيسا في العملية الوقائية العلاجية العيادية والنفسية، باعتبارها مرحلة حرجة محددة في تبلور مآل المناخ النفسي العلاجي، في تطرفه واعتداله في بُرْئِه وفي عِلَّتِه، وإذا كان نجاح الخدمة العيادية يتوقف على قيام السيكولوجي الممارس بدوره المنوط به، فان توفيق النفساني في القيام بمسؤولياته وقفٌ على اتجاهه نحو مهنة الكفالة النفسية، ومدى رضاه عن هذه المهنة .

توصلت النتائج إلى معرفة العلاقة الارتباطية بين الصحة النفسية لدى عينة السيكولوجيين الممارسين والاحتراق النفسي لديهم. فقد تم حساب معامل ارتباط (بيرسن، Person Correlation) بين درجات إجابات عينة البحث الحالي من السيكلوجيين الممارسين على كل من مقياس الاحتراق النفسي ومقياس الصحة النفسية والبالغ عددهم 100سيكوجيا عياديا مستمرا بالخدمة النفسية العيادية الفعلية. بلغت قيمة معامل إرتباط بيرسن المحسوب بهذه الطريقة (0.98) وهو معامل ارتباط جيد، وهو يعني إنه كلما زاد مستوى الاحتراق النفسي أصبحت الصحة النفسية، اعتلالا نفسيا، أي أكثر سلبية .

فتيقَّن الباحث أن تتداخل واقعة الاحتراق النفسي للسيكولوجي الممارس مع وقائع أخرى متشابكة ومنها اتجاهات السيكولوجي العيادي نحو المهنة، والرضا الوظيفي، وكفايته العيادية .

ولا مراء في أن الضُرَّ النفسي هو المحدد الأساسي لمدى تحمله للمهنة وضغوطها النفسية والبدنية وبالتالي للاحتراق النفسي الذي يواجهه .وثمة اتفاق على أن السر في نجاح السيكولوجي في مراسه هي اتجاهاته الصحية النفسية الإيجابية نحو مهنته، لأن هذه الاتجاهات هي القاعدة التي ينبني عليها معظم نشاطات الخدمة النفسية . كما أن الاتجاهات الصحية الموجة نحو سبل فعالية الكفاءة العيادية هي مفتاح التنبؤ بنمط المناخ المهني الاجتماعي الذي سوف يؤكده السيكولوجي في ردهة التكفل النفسي، وأن الاتجاهات الصحية النفسية الإيجابية هي وتد السعي السريري .

من تناول المعنى النفسي للنتائج، انتهى الباحث بأن الاحتراق النفسي هو تلك أعراض الإجهاد النفسي والبدني التي فجرتها ضغوط المهنة على السيكولوجي، فَبَلْوَرت نظرة هُزَالٍ صحي نفسي تُبْرِقُه سلبية اتجاه مهني عَلِيلٍ ،بحيث يمكن ملاحظتها بوضوح. في أن النفسانيين الممارسين والمُلْفَحِين بالاحتراق النفسي أكثر انشغالاً في الاتصال السلبي بزملائهم والمناقشات العقيمة عن الطقم الإداري .

فالسيكولوجيون العياديون يشعرون بالوهن النفسي البدني والإجهاد العاطفي والرغبة في تَنَائِي مؤسسة التكفل النفسي ـ والوقاية العيادية ــ التي يسعون بها معافاة، فكثيرا ما يشعر المسعف بالإنهاك العاطفي فَتَتَعَسَّر مُخَالَطِيَّتِه العمل أو في البيت، وعندما تُفْرَض النزاعات الحتمية ، فمن المتوقع المبالغة في ردة الفعـل والانفجار العاطفي أو حلول العَدَاء الشَّديد. ومقاطعة الزملاء والأصدقاء والأحبة وأعضاء العائلة. فترانا نحُدَقّ ضحايا الاحتراق النفسي يحتمل أن ينسحبوا اجتماعياً وينعزلوا بعيداً عن الناس وينطوون على ذواتهم .

فكيف إذا صار الحال والسعي العيادي ،لما ترتبط به من أهمية التعامل اليومي مع النازلين (معافين ومعلولين) وبمختلف فوارقهم ؟ فهنا يُسْتَهَلُّ ما من بَوَاكِرِ لَفْحَ الاحتراق النفسي لدى السيكولوجي الممارس، شَاخِصاً في اتجاهه السلبي نحو خدمة

الأفراد التي يمُاَرسها. إنها لمُضِرَّة بسعيه المراسي وبعلاقته بمسعفيه وبنزلائه وبمحياه النفسي الاجتماعي.

تشير نتيجة البحث أن مستوى الاحتراق النفسي لدى عينة البحث من السيكولوجين العيادين مرتفعا، حسب زيادة درجة أبعاد :

1. الإجهاد الانفعالي
2. تبلد الإحساس
3. الانجاز الشخصي.

فيدل ذلك على ارتفاع درجة الاحتراق النفسي، ويرجع هذا إلى وطأة الضغوط الشديدة والرسمية التي يُكَابدها منتسوبو المؤسسات العيادية النفسية وأي خطأ مهني فيها يكون عُرضة مباشرة للمسائلة القانونية، الأمر الذي يَحُدُّ من مستوى الانجاز العيادي الشخصي.

ومن الجدول(1) يظهر التماثل بين زملاء الكفالة العيادية، ويرجع ذلك إلى سقف التوقعات المتماثل بين عناصر عينة البحث من السيكولوجيين الممارسين ذكورا وإناثا.

ويلاحظ أن تقارب المستوى التعليمي لأفرادها جعلهم متشابهين في الإجهاد الانفعالي وهم أقل شعور بأهمية ما ينجزونه على الصعيد التكفلي العيادي، فهم أكثر إحساس بالتَبَلُّد في مجال المراس حيث أن درجاتهم في الاحتراق تُؤَهلهم إلى مستوى أعلى من الاحتراق في هذا الْبُعْدِ.

فكانت درجة الاحتراق النفسي مرتبطة بقوةٍ دالةٍ مع الأمن الاقتصادي الذي يشير إلى تقارب صارخ بين الفئة الاقتصادية في مجمل الدخل الشهري ، فالعينة جميعها أكثر احتراقا.

ويظهر أن عينة البحث تواجه حجم ضغوط متساوي البُثِّ والانتشار في شدته وحِدَّتِه وفي شكله. فالعينة أظهرت سخطا (عدم الارتياح) وبرودا بعدم رغبة في الاقبال على العمل، كما تُؤْثِر العينة هَجْر هذه المؤسسات، مما يُنْذِر بنسبة كاملة قوية في عدم الرَّغْبَة في الاستقرار المهني مُحَبِّذِين التحول والانتقال لأعمال أخرى.

انها لشهادة قوية على أن العمل العيادي والسعي السريري النفسيين، يوفران ظروفا سيئة للاطارات الكادحة به، وهذا دِلُ قيام سمة الاحتراق النفسي الْكُبَار لدى فئة السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر، لشدة طاقة المواجهة لتلك الضغوط، فيدفع ثمنها في أعراض فيزيولوجية ونفسية.

يلاحظ من نتيجة المصفوفة المائلة أن قيمة **تحقير الذات**.0.98874 قوية وهذا يعني أن مستوى تقديـــر الذات لدى العينة منخفضاً،كما يدل على عدم وجود فروق بين السيكولوجيين والسيكولوجيات.أي أن أداء عناصر العينة على مقياس تقدير الذات

ضعيفة ـ كما يدل على عدم وجود فروق بين السيكولوجيين والسيكولوجيات ذات دلالة إحصائية.

يدرك أن المتوسطات متماثلة ولمعرفة اتجاه الدلالة تم حساب الانحرافات ، وهذا يعني أن مستوى تقدير الذات ضعيفا لدى كل أفراد العينة. وللتأكد من عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين المتوسطات تم استخدام تحليل التباين المشترك. فترى أن السيكولوجي الممارس يعيش توترا جسديا كبيرا جراء ضواغط نفسية انفعالية سلبية، أثَّرت على البدن، فهو أكثر توتراً عضلياً.

فالعينة ركزت فقط على النواحي السلبية من شخصياتهم، الأمر الذي انعكس سلباً على مشاعرهم، ناهيك عن غياب سبل الاسترخاء، بهدف خفض التوتر، وبقيت العينة حبيسة الضغوط النفسية والانفعالية.

فقد أقر (محمد محمد2005) أن الضغوطات النفسية والانفعالية السلبية تؤثر على البدن، ومنه هدفت تمارين وحركات الاسترخاء، لخفظ التوتر الجسدي عندهم ، الذي ينعكس عليها بالراحة والمعافاة النفسية السليمة.

كما بحثت هذه الفعاليات عناصر عينة من السيكولوجيين والسيكولوجيات في احتقارهم لذواتهم، من خلال نظرتهم السلبية لأنفسهم، وهذا ما دعمه (محمد خالد الطحان2008 و Rogers1995) في أن تقدير الذات الواطئ يتبلور من خلال غياب التفاعل الاجتماعي والتخلي واللاتجاوب وعدم المؤازرة الذي ولد في السيكولوجي الممارس، محل البحث، الشعور بالتهديد وعسر التعبير عن مشاعره وأفكاره، مما انعكس سلباً على المحطات النَّمَائِيَّة العيادية، لتشكيل شخصيتها المهنية السريرية، فتراها مكبوتة المشاعر مضطربة المزاج والبدن، منهكة المناعة النفسية، الأمر الذي زادها الشعور بالوهن وعدم الأهمية، في الميدان العيادي نتيجة شعورها بالتخلي وعدم التجاوب وهذا أدى إلى زيادة ضعف تقديرهم لذواتهم، وهذا ما يؤكده (ملحم سامي 2001) من أن الافتقاد إلى دعم واهتمام الآخرين وهذا يعرضه إلى الشعور بتقدير الذات المنخفض، إذ أن مكونات تقدير الذات لدى السيكولوجي الممارس هي ما يتمتع به من تقدير واهتمام من المحيطين.

وأكد (قايد 2005) أن هناك علاقة جوهرية سالبة بين الاضطراب النفسي، وكل من الضبط السلبي الذاتي لعدم المساندة الاجتماعية.

ونافلة القول أن الباحث اتفق و(روزنبيرج 1965 Rosenberg) في أن للسيكولوجي تقدير منخفض متدني لذاته فهر رفض لها وعدم رضاه عنها، من زاوية المعايير السائدة في وسطه المهني الاجتماعي.

كما يتساوق الباحث وتوجه (كوبر1976 Cooper Smith) من أن تقدير الذات في التعبير عنها بإدراكها ووصفها، والتعبير عنها سلوكيا بالإفصاح ملاحظة خارجية.

ويتدرج الباحث وما ذهبا إليه (زيلر Zelar1969) من أن السيكولوجي يظهر درجة وَطِيئَة من التكامل قوبلت بدرجة ضعيفة من تقدير الذات، وهذا ما حَدَّهَا من أن تؤدي خِدْمتها النفسية في إطارها المرجعي المهني الاجتماعي والعيادي، بدرجة منخفضة من الكفاءة العيادية في موقفها السريري الأسري، الذي أظهر السيكولوجي مُكَبَّلاً فاقد ثقة الأهل، شاغراً بعدم الانتماء وسوء التقدير، وعدم المسؤولية، الأمر الذي هَزَّلَ تقديره لذاته، لضيق علاقاته، والأشخاص ذوي الأهمية السيكولوجية لديه، بل ظل يظهر ميول عصبية وتَرَدُد في العلاقات الاجتماعية، فهم أكثر احتراساً، قائمين وَاجِهَة دفاعية لشعورهم بالرفض وعدم الرضا عن الذات.

أظهرت نتائج مركز الضبط الخارجي أن موقع التحكم في سلوك السيكولوجي كما يدركه وكما يقيسه عبر الدرجة الخارجية المرتبطة. فكانت البرانية منها ،في أن السيكولوجي العيادي الممارس صار مُتَخَنِّثا غير متحملا لمسؤولية أفعاله ،معتقدا أنه يفتقد التحكم في مصيره الخاص. وأن الضبط يَكْمُن في خارجه وليس بَيِدِه. حيث يَعْزُو فشله ونجاحه إلى قوة خارجة عنه.

ومنه خلص الباحث إلى أن إدراك السيكولوجي للتحكم في المواقف العيادية خارجيا. وحين قياس مصدر الحزم لدى السيكولوجي الممارس أضحى برانيا وأصبحت الدرجة على الاختبار مرتفعة قوية دالة عند مستوى 0.001 بين القنوط ومركز الضبط الخارجي.

وخلص الباحث أنه كلما ارتفعت الدرجة على عوامل اختبار الصحة النفسية، تكون هناك ثقة أبلغ لدى السيكولوجي الممارس في مركز تحكمه الخارجي ، ويصبح علم سلوك اعتلال، وتتفق هذه النتيجة وما انتهاه (بدر الأنصاري ،1998).

إن إيمان السيكولوجي العيادي بأن ما يحدث له محكوما خارجيا، بالصدفة وبالقوى البرانية . وإذا تَمَحَّصْنا في بنائه الشخصي، فإن ادراكاته تشير إلى تحكمه في الأحداث خارجيا.وتعزو سلوكه إلى القضاء والقدر والحظ. وأن الظروف الخارجية مسؤولة عن نتائج سلوكه.

ويرى الباحث أن هذا الاعتقاد يعبر عن مدخل فوضوي للحياة، وهو وصف للمجتمع غير الكفء، كما يعد توجها معرفيا للاعتقاد في الفرصة أو الحظ في حل مشاكل الممارس السيكولوجي، المتصف بضعف فاعلية الكفاية العيادية المراسية، وبالتالي يَتَطَابق موقفه والافتراض الذي يذهب في العزو الخارجي للتدعيمات، يرتبط بالسلبية ، وأن من المجالات العليقة بتفسير درجات مقياس مركز الحزم (الجواني/ البراني) لها علاقة بالضبط الخارجي على مقياس عوامل الصحة النفسية في البحث.

إذ يبدو السيكولوجي الممارس في الجزائر، يَشْعر أن ما يحدث له هو نتيجة لقوى، ليست في نِطَاق ضَبْطِه، بل يرجع لقوى برانية، فهو يَتَحَجَّجُ في عَزْوِه لأن يكون سلبيا، غير طموح ومُتَمَلْمل.

وتتفق النتيجة وما خلص إليه (الزهراني 2005) في أن الضبط الخارجي للسيكولوجي قيد البحث، يرتبط بدرجة المسؤولية العيادية المهنية التي يدرك هذا الممارس أنه لا يمتلكه على الأحداث في حياته العيادية الوظيفية.

يظهر من النتائج أن أحداث الحياة النفسية العيادية للنفساني المسعِفِ لا تتوقف ولا تعتمد على سلوكه، ولا على هزاله النفسي العيادي ولا على اكدائة السيكولوجي السريري ،بل هي محددة بعوامل خارجية عن ذاته ونطاقه.

العلاقات الأسرية/ (التوحدية الأسرية)

وأبرزت نتيجة العلاقات التوحدية قيام فُتُور العلاقات الأسرية لاختلال في توازن الأسرة الأمر الذي لا يساعدها البَتَّة على بقائها والاستمرار في رسالتها، ببناء الحياة الزوجية. وتنظيم البناء الاجتماعي للأسرة ونشر الوعي الأسري (بدرية عبد الله العرضي2008).

أبان (جوزيف Joseph وبواريه Poirier 2008) أنه غالبا ما تمر العلاقات الأسرية المُتَدَنِّيَة بممارسة الإذلال النفسي من طرف الْعَائِل، وذلك لفترات طويلة، مما يكون على درجة كبيرة من السلبية على الصحة النفسية.

كما أوصت (أماني رفعت قاسم 2009) باعتماد مهارة توفـير المساعدة النفسية، لمن يعاني من الإجهاد النفسي الاجتماعي في الأسرة، مع العمل بإشعاره بالمرغوبية الأسرية، والإشادة بقدراتهم، في كِفْلِ بعضهم البعض مع زرع الأمل في النفوس لاستمرار الدفء الأسري.

وذهبت (أماني2004) إلى اعتماد السيكولوجي مهارة تغيير الافتراضات السلبية، وتصحيح للفهم الخاطئ للمواقف المقررة للمشاحنة الأسرية، كما يجب أن يبنيَّ النفساني الممارس مهارة حل النزاعات الأسرية، بالارتباط الوجداني، والمساندة وتدعيم الروابط الأسرية الوجدانية، ودعم التواصل الايجابي بالتقليل من الخلافات، وكذلك باعتماد مهارة تقديم النَّصيحة، دون الأفكار، بل تقديم البدائل المناسبة في الوقت والأسلوب اللائق.

وذلك بالبعد عن العنف كأسلوب استجابي سلبي في علاقات التفاعل الأسري، مع الإقرار السلبي للعائل اتجاه الأفعال العنيفة.

ارتسم الانغلاق وعدم الفهم الموقفي في المجال الأسري وَقُطِّع الاعتماد المتبادل بين عناصرها، وبُعْثِرَت وحدات هذا النسق الاجتماعي، وهبَّ تفاعل وجدانها في غياب منطق الحقوق والواجبات الخاصة بكل عنصر فيها.

ومنه نستنتج أن منافذ المعاضدة الأسرية الاجتماعية سُدَّت مع الاتساق القائم، وفي إطار هذا التَّصَدُّع تفهم طبيعة العلاقة الأسرية القائمة والممارسات المنسوبة داخل هذا النسق الأسري للتعامل.

واجهت التحليلية النفسية قَبَع التَّطْمِيس الانفعالي،ذلك هو مكان التَّنْفِيس الوجداني، حيث تكهرب المناخ النفسي الاجتماعي، وقام التَّعْبير عن المشاعر في ضوء تَصَدُّع قيام علاقاته المهنية مع النسق الكلي للأسرة ، الذي قبع التأثير المباشر وَاهِماً أمامه.

ذهب التصور النظري للعلاقات الأسرية، الى محاولة فهمها بغرض توجيهها، وقايةً وعلاجاً.فكان من واجبه إيجاد أسلوب بديل لِعَضد عناصر التبادل الأسري لتخفيف أثر الضاغط المُنْتَصَب، بدفع تَدْبِيرِها مواجهة الموقف ومُتَنَائِينَ القطيعة .

وترى السلوكية في هذا الموقف ٱلأُسَري المشحون، المُبَادَرة بتجديده بهدف تعديله وتقويمه، وذلك بالتعرف على المعنويات السلبية لهذه المعتقدات والممارسات، عَلَّه يتدارك الانعكاسات المَشِينَة قبل وقوعها(طريف شوقي فرج 2003).

أبانت نتائج **العسر الاقتصادي** إخفاق السيكولوجي في تحقيق حاجته إلى الأمن الاقتصادي ،الموقف الذي أعاق ديناميتة العيادية (جبر1996) ودخل في عُصَابِية مَحَولة الإشباع والبحث عن المودة، والبعد عن الاحباطات.

حيث تشير النتائج أن السيكولوجي العيادي يعاني من تَدَنِّي الشعور بالأمن الاقتصادي المتمثل بعدم القدرة على إشباع حاجاته، وأنه يعيش انجراف تهديدٍ، مُحْبِطٍ يُشْعِر بِهَطْل الخطر، وفقدان الطمأنينة (زهران2002) والسكينة وارتسام الخوف، وغياب الثقة والسلامة والاطمئنان. الأمر الذي يدعماه (Perlis 1973 ومحمد نادي أقرع 2005) من أن المصادر المادية الشخصية، تُثَبِّطُ عزيمة الفرد وَتُرْبِكُه وَتُحْجِمُه عن تحقيق أهدافه.

يظهر من الجدول (19)، أن الشعور بالعسر الاقتصادي حَصَّل على 0.98799 فقد نالت فقراته على ارتباط بيني مرتفع ، ذلك دِلُّ الشعور بالأمن الاقتصادي المتدني.

كما يتضح غياب فروق إحصائية دالة، في معاملات استجابات عينة البحث، تعزى لمتغير الجنس وذلك لأن مستوى الدلالة قوي.

ومن النتيجة يظهر أن للسيكولوجي العيادي الممارس عُسْرٌ اقتصاديٌّ ضاغطٌ، يفوق قدرته على التحمل، ويبقى هذا الاستعداد النَّزِيفِي كامناً لا يستطيع مُكَابَدَته، فقد يَفْقِدُه سلامة صِحَّتِه النفسية، والحقيقة إن استمر الحال أطول ستَحُدُّ من إنجاز السيكولوجي، مما يفضي والحال هذه إلى تدني فاعلية ونوعية خدمته النفسية بالإضافة إلى الإنهاك والإعياء السيكوسوماتي.

ويتفق الباحث و(Rotter 1970 ونصيف 2001) في أن السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر، لم يستطع ضبط سلوكه وتعديله نحو الأحسن لِهُزَالِ المكافأة (الأجر) مع عدم تعويضها بالبدائل المحفزة الجديدة، ولا الإفصاح عن التوقعات التي تقوده إليها، مما يعد تثبيطا لسلوك الأمن الاقتصادي، الأمر الذي قد يحدث كفاً في مراسه السريري العيادي.

واستخلص الباحث ما ذهب اليه (تورانس1968 Torrance، وزهران حامد 2002) في أن قيام العسر الاقتصادي لدى السيكولوجي، قد أرجعاه إلى عدم قيام أهمية الأمن الاقتصادي تعالقا بغياب الثقافة المشجعة لنوع محددات السلوك كنشاط يُولَعُ به السيكولوجي الممارس، وأن شدة هذا السلوك والفوارق في المكافآت الممنوحة، تَحُدُ من الدور الاسعافي المفروض عليه.

ويرى الباحث أن هناك حقيقة مؤداها أن عدم تمتع السيكولوجي الممارس بقدر مناسب من الكفاية الاقتصادية، يجعله لا يقبل على الحياة المهنية ولا يضطلع بدوره التكفلي، وذلك لغياب الاطمئنان على حياته، وحياة من يعولهم، ناهيك في غياب المساعدات المادية التي تَقِيه وأسرته من الوقوع في الصراع النفسي، الذي يحرمه من التمتع بالصحة النفسية السليمة.

حيث أكد الباحث و (عبد المجيد عبد الرحيم 1969 ورضوان جميل2002) الدور المحدد للأمن الاقتصادي، وما يحسه السيكولوجي الممارس من غياب ما يكفي حاجته الاقتصادية، حيث يعتبر من مثيرات عدم الإحساس بالأمن.

وينفرد (عبد الرحمان1969) في تقرير آثار غياب الأمن الاقتصادي وما يحدثه من مخاوف نفسية في حياة السيكولوجي، كما يعد من الأسس التي تَضْرُبُ تحقيق الصحة النفسية له.

ولهذا نَبَّه (عبد العزيز القوصي، وزهران محمد عبد السلام1989) إلى ضرورة توفر الحد الكافي من القُوت حتى يَشْعُر النفساني بالاطمئنان وتنائي الصراع والبعد عن الاضطرابات النفسية حيث تربط مستلزمات التوافق النفسي المهني الاجتماعي بحضور دَخْلٍ أدنى من متطلبات الأسرة وحاجياتها. وترى (رمزية الغريب 1960 وزهران حامد2009) تحتم توفر هذا الحد الأدنى في الدَخْلِ، وخاصة إذا ما أصيب عَائِل (السيكولوجي) هذه الأسرة بعجزٍ فسيترتب عليه تفككها، وتلاشي أفرادها لغياب عوامل صحتها النفسية.

وخلص (عبد العزيز سلامة 1970) إلى أن التمتع بمستوى من الاستقرار والأمن الاقتصادي يع من أهم العوامل التي تحقق للسيكولوجي العيادي التمتع بالصحة النفسية والانشراح ويجنبه مشاعر العجز والعوز.

ومما سبق يخلص الباحث أن السيكولوجي يعيش عدم الانسجام،حيث يرى في الحوافز المادية المقررة مصدراً من العقاب وأن هناك هُوَّة واسعة بينه وبين غير المشتغلين في الصحة النفسية. إذ يعيش التفكك والشعور بعدم الرضا مع أفراد أسرته، كحالة حَفْزٍ سَلْبِيٍّ أو توتر غير سوي لحالة مهنية اجتماعية يلازمها تَعَثُّر الحل، لأن ما يتوقعه السيكولوجي العيادي الممارس وما يرتضيه بعيداً عما يحصل عليه، أي أن هناك تفاوتاً في مستوى الإشباع، وهذا ما تؤكده نظرية التفاوت المتعددة.

تُظْهِر المعاملات الإرتباطية0.98456 القوية للتشاؤم أن عينة السيكولوجيين من الذكور ولإناث تتسم بالتشاؤم.ويُبَيّن التَّدَانِي النسبي لاقتراب معاملات السيكولوجيين والسيكولوجيات في المستوى العالي من التشاؤم/ التفاؤل، فيما تتجلى معاملات السيكولوجيين قوية متطابقة من معاملات السيكولوجيات في التشاؤم المعتدل، أي أن أفراد عينة البحث يتموقعون على وسط متصل التشاؤم / التفاؤل أي أن لديهم درجة معتدلة (واقعية) في متصل السمة قيد الدراسة .

ومن الخلفية النظرية الْمُتَبَنَاة تَشِيع سمة التشاؤم/ التَّفَاؤُل في العينة قيد الدراسة بالبحث ,فتراها شُخِّصَت بكمٍ حُسُومِي يُمْكِن رَصْد سريان السمة في اختلاف تدرج مستوياته وَتَمَأيز السيكولوجيين عبره وبداخلها في فلك ما حصلوه من ضُرٍّ.

وعليه يُفَسَّر تمركز جل عناصر العينة في وسط الْمُتَّصِل الكمي لسمة التشاؤم / التفاؤل بأنه يسقط تصورهم الواقعي للمعاش النفسي المهني الْمُحْبَط والذي يَشِعُّ بمستوى الْعِلَّة النفسية القاصرة التي تَنْخَر غالبية السيكولوجيين، وهذا ما أكدته دراسة (المشعان 2000 ،Lennings 2000 وبدر الأنصاري2003) في ما وقفت عليه بِتَعَالُق التشاؤم- الواقعي- بِبسقم الْمَحْيَا النفسي.

فأما معاملي تطرف التفاؤل /والتشاؤم لهما نَظْرَة مُجَانَبَة وَاقِعِيَّة الْمَعَاشِ .

فالسيكولوجي المُغَالِي تَفَاؤُلا يتوقع حلول الْأَعْظَم الموجب، والنفساني المبالغ تَشَاؤُما يَتَوَجَّس خِيَفَة المكروه، التَّعِس والمُتَطَيّر المنتظر. فذياك الموقفين المجنحين يورثانهما هشاشة مناعة نفسية بدنية، (الأنصاري 2003).

ويتوسم منظور الدليل الإحصائي للصحة النفسية في سواد السيكولوجيين، .وذلك لتلاشي الفوارق بينهم ضمن المستوى المتوسط للمتصل الرقمي لسمة التشاؤم،ويتفق هذا وما انتهاه ،(الحميري،2003).

ويترقب (الأنصاري،2003) في بواقيهم المعفاة السيكوسوماتية، للتبعثر المتطرف في سمتهم التفاؤلية التفاؤل/ لصالح السيكولوجيات.

ويرى الباحث في العافية النفس بدنية مفهوما صحيا يرنو الى بسط سمة القبول الذاتي عنها حالة بلوغ الأمثل.

يتفق الباحث وما خَلَصَاه (بلحيك و عبد الخالق،1999) من أن الاضطراب النفسي استعداد مُعَاش خَائِر، لكونه حالة متطرفة .والمتوسم في المصابين، تجنح السلوك ضمن البون الطبيعي بارهاق.

وقف الباحث على أن الإحباط يؤثر في الصحة النفس بدنية للسيكولوجي ويسرع اعتلالها من شفائها، بالْحَدِّ من كفاءة جهازه المناعي.كما يقوم كعامل مُسَرّع ، يَنْشُط عندما تضيق به السبل وتتقطع به الوصال .

وبينت النتائج على أن التشاؤم توجه عِلّي نحو الحياة .كما هو تفسير سلبي مرغوب عنه لإحداثها ودعم لتوقع سلوك مَشِين(القنوط).ومنه يحدث التفاعل على ضوء قانون الأثر، (la Loi de l'Effet).

ومن منظور التدبر يتعاظم اعتماد المقنوط، للتشاؤم أسلوبَ مُوَاجهةٍ خامدٍ، بالتخطيط لحل أعصب المشاكل. وذلك باعتماد التوكيد والتدخل، مستندا بكل ما يدعم وعيه بالصعوبة. فالتشاؤم على حد تَوَجُّه (سيلجمان) يرتبط بسلبية الجوانب الصحية النفسية.

كما ارتبط التشاؤم طرديا والأداء الوظيفي المهاري العيادي ، هذا ما وقف عليه (عثمان الخضر2000) في فحص العلاقة الطردية بين المهارة السريرية وسمة التشاؤم، كتوجه عام نحو الحياة وتوقع شامل لما يمكن أن يحدث مستقبلا .

وَتُجَلي النتائج أن القنـوط يرتبط ا بالأسلوب السلبي للتنشئة الاجتماعية الأسرية المتبع مع الأبناء، ويتطورمن خلال تبلور المناخ الأسري، بما له من خواص محددة .

وأكد (عبد الخالق،1988) الرباط القوي بين العلة النفسية والقنوط، حيث ظهر ذلك في التقدير الذاتي الواطي للشعور بالكآبة والحزن .

حيث توجد علاقة قوية بين القُنُوط وضعف التحصيل الأكاديمي، واعتمادا العلاقة بين المنبئين، ظهر الارتباط جوهريا بين العجز الأكاديمي العيادي والقُنُوط. وكان منبئ دافع الإنجاز هو الأداء على ضوء الضعف ،الذي تحثه الرغبة في الفشل فتراه ارتباطا دالا بالقُنُوط، تلكم هي الصورة لتوقع التَّثْبِيت والفشل، ويتجلى حائل الإنجاز في السعي المانع والرادع ـ للسيكولوجي العيادي الممارس ـ إلى بلوغ العلاج بخيبة واحجام واقعيين.

أبدت النتائج أن السيكولوجي العيادي بَانَ عن العافية والسعادة الإنسانية وَتَدَنَّى إلى القنوط النفسي بدلاً من جودة الصحة النفسية أو الحياة السعيدة.

فقد أظهرت التطبيقية بجلاء(McMahon, Darrin M. 2006) في مجال القُنُوط ، صيغة الخلل في مناخ البنية النفسية العيادية السيكولوجي بدلاً من التعامل مع أنماط وبدائل التميز والصواب والإيجابية داخل تركيبة هذه الشخصية. وقد صاحت توجهات سيكولوجية مبكرة في المجال حاولت رَأْبَ هذا التطرف. فقد أفاد (وليام جيمس 1902) بأن القُنُوط هو عين الحياة السيكولوجيه الشاذة.ثم طور التوجه الإنساني (أبراهام ماسلو، وكارل روجرز وإيريك فروم) عبر نظريات وتطبيقات ناجحة تتضمن التأكيد على تحقيق وتنمية الانشراح.

ويظهر من النتيجة أن الطبيعة الصحية (نحو العلاقات، الهوايات، الاهتمامات والترفية) للسيكولوجي العيادي لم تخبر الحياة المهنية الممتعة أو السارة أو المبهجة فالحاصل أن الممارس جَانَبَ النَّعيم، ولم يستمتع بمذاق المشاعر والانفعالات الإيجابية باعتبارها جزءا من محياه الصحي النفسي المهني.

وتؤكد جماعة (كاهمان Kahneman2005)أن السيكولوجي العيادي الممارس لم يستمتع بالتأثيرات الإيجابية للانغماس، الاستغراق، والتدفق الذي يشعر به النفساني المعافا عندما يندمج بصورة مثالية في سعيه النفسي المفضل. ويحدث هذا الموقف عندما تتسق قدراته مع مهمة خدمة الأفراد التي يقوم بها أو يندمج فيها، كشعوره بالثقة وهو ينجز المهام التي يكلف بها.

وتؤكد بحوث (2006، *Mihály* Csíkszentmihályi) في مجال ما يعرف بالحياة ذات المعنى (الهادفة) أو حياة الانتماء إلى الآخرين .أن السيكولوجي العيادي الممارس لم يستمد حسًا إيجابيًا من طيب حياته، ولم يَتَرَشَّف ذوق الحياة النفسية المهنية وَجَوْدَتِهَا من الانتماء، من وجود معنى أو قيمة لمحياها ومن وضوح الغرض من عيشها، ومن الإحساس بأنه عنصرا فعالا يسهم في تطوير الصحة النفسية السَّلِيمة. وَيُشَارك في رُسُوِّ نفس أَحَب وأكثر دوامًا من ذواتهم وأَنْبَل من نُظُمِ اعْتِقَادَاتِهِم.

وذهب(نعمان ،2007) بالقُنُوط دلا على مدى التمتع بالصحة النفسية العليلة. وأن فقدانه المعافاة خمول وتجنب وعدم الرغبة في العيش. فترى التشاؤم كساه وتَوَقُّع الشر غمره وتَوَجُّس المَكْرُوه اعْتَرَاه. فَأَرْدَاه ساخطا على واقعه النفسي المهني، لم يتقبل ذاته، فهو يشعر بالقنوط.

ويؤكد هذا الموقف (محمد حسن غانم ،2002) أن القُنُوط مرتبط بالشك والتَّبَرُّم ورفض الحياة ، إلا أن محى السيكولوجي محل البحث احباطات، صراعات، وقلق أنتابه نتيجة انفعالات. وذلك بناء على الموقف النفسي المهني الضاغط والمتقلب الذي نَغَّصَ عليه سعادته وانشراحه. فدفعه إلى العُزلة وقصور العلاقات والشعور بالوحدة النفسية المهنية، حيث تصَدَّرَها الشعور بالقنوط والتشاؤم (بنت مهني السبيعي2008)، ناهيك عن إحساسه القهري بالعجز نتيجة الشعور بالوحدة الانفعالية الاجتماعية التحولية المؤلمة، وعيش طيبة الأمل والصراعات والاحباطات، التي أشعرته باللامبالاة والإهمال والمرارة والأسى، الموقف الذي يؤكده(عزه عبد الكريم مبروك2007) أن شعور السيكولوجي بهذا الْعُصاب يَنْبُع من خوفه من المستقبل المجهول، الذي يتربص به، وينتظر أسرته.

ويتفق الباحث و(الأنصاري2001) في أن القنوط سمة لحالة شخصية السيكولوجي الممارس، حيث سبغت تركيبته الذهنية والنفسية بمناخ خانق احتوى اعتقاده المتطرف.

حيث احترق هذا التصور الذاتي مغالاة في قيام المواقف الإيجابية ،أكثر مما يحدث في الواقع .كما يتوجس خيفة .حدوث الحسبان السلبي .أقل مما يحدث في الواقع .الأمر الذي يؤول بحصول غير المحمود عقباه .فتعتريه الأكدار وتعتل صحته السيكوسوماتيه.

يرتبط هنا القنوط بالتوقع السلبي غير الواقعي .فينفح التشاؤم والقلق والوساوس القهرية والحزن والشكوى.

فقد يبلغ الإحباط والاستعداد للإضطرابات النفسية البدنية ، وممارسة الاعتلال يقعدهم ضحية لأكدار وأسقام متعصية ،أو لحوادث قهرية.تلكم هي النزعة إلى التشاؤم غير الواقعي لأحداث الحياة المهنية مستقبلا.

إذ يلتقي الباحث و(الأنصاري ،2001) في أن التشاؤم يهزل من توقعات السيكولوجي قيد البحث للأحداث المعاشة مستقبلا .

وكان الحاصل أن طغى عليه الشعور الزائف بالقدرة على التحكم السريري . وأن شدة الاهتمام بتهويل احتمالات الخطر والقابلة لمس الضرر موقف زاده قلقا.إذ رسخ اعتقاده في نفخ إصابته بحدوث المكروه،مقارنة بغيرهم من مهني النفس والخدمة السيكولوجية.

فترى أن نزعتهم إلى الأنانية ،أثرت في اعتقادهم بتهزيل احتمالية إصابتهم بالاضطرابات السيكوسوماتية. ومنه فالباحث يرى الحدث خطأ معرفي في السيكولوجي الممارس شوه تمثيله الذهني .جراء احتمالية سوء تقديره في استعداده للاضطرابات.

خلص الباحث إلى أن السيكولوجي محل التناول أبدى فشلا في احترام واتباع الإحترازات الوقائية التي تقيه من التعرض لفخ الأكدار النفسية البدنية. فكان دفاعه أنه محصن من الأذى جراء وعث توقعه ، بإلحاق الأذى غيره ، ودونه.

أظهرت النتائج أن السيكولوجي العيادي الممارس في الجزائر أبدى تحيزا للتشاؤم مفسرا:

1/ ذلك أن السيكولوجي يقدم سلوكا دفاعيا للأنا .

2/ إبراز شدة التحصين وقيام المناعة سلوكا لتخفيف القلق.

3/يبدي خطأ في التقدير وفي التصور، لميله التمركز، حول ذاته صادا وجهة الأخر.

4/ دعم تمركزه حول ذاته ، باعتقاده في احتمال إصابته بالاضطرابات السيكوسوماتية.

5/ يهزل التشاؤم ، بالاهتمام بتخفيض احتمالية التهديد والإجابة بالإختلالات البدنية.

6/ تثبتت نزعة التشاؤم المتطرفة لديه ،نظرا لاعتقاده بأن فرص إصابته بالهزال الصحي النفسي، نتيجة سعيه المهني الاجتماعي، أكبر مما كان عليه في المراحل الدراسية السابقة.

7/ إن قابلية الإصابة بالضر النفسي، كما يدركها السيكولوجي العيادي لمؤشر

صارخا على هشاشة عافيته النفسية. وأن اعتقاده بقابلية الإصابة بالوبال النفسي لخطيئة ودربا من اللاتوافقية.

فمن مجال خدمة الأفراد ومعافاة المضطرب، أعلن السيكولوجي عن تحيز تفاؤله، أي تشاؤمه المتطرف. ذلك لتوجسه وريبته السبل المحصنة لديه.

8/ تناءى السيكولوجي الممارس الإحترازات التي تقلل من إصابته، نحو عدم التدخين، الكسل والخمول والنشاط الرياضي والأكل الصحي المتزن وبعد المنغصات.

خاتمة

من وحي الدراسة الاستكشافية الاستطلاعية والبحث العاملي القياسي أولا .ومن تناول معلم الصفحة النفسية العيادية المراسية لواقعة عوامل الصحة النفسية لدى السيكلوجي العيادي:

انتصب عامل **الهزال العيادي** ،وارتسم عامل **العسر الإقتصادي** ،وقبع عامل **القنوط** صرحا سيكولوجيا عليلا لتآلف زملة أعراض سمات تحتية متعلقة بإدراك نفسي سلبي سيمانتي هش ، شخص الملمح المعرفي الشخصي للعيادي الممارس الهزيل الغث .

وعليه ظهر السيكولوجي عاجزا في إحداث التغير الموجب في سلوك الأفراد وإكسابهم خبرات حياتية تبلورهم نحو الأفضل وتمكنهم من المستحدث بخلق اتجاهات وميول وقيم صحية نفسية تبلغهم المعافاة.

وجملة القول أن النظر في واقع المراس العيادي كان استخلاص لمنبئات مناسبة- عليقة بالموضوع قيد البحث- ارتسمت في ترتيب بناء عاملي شاخص في صيغة إحصائية عارضة لما يسبب هذا التسلسل الرتبي .

وللارتفاع بمعرفة التصور العيادي كان التدبر المنهجي أساس استدلال منسق يهدف ربط المبادئ بالنتائج قصد فحص طبيعة وحدود وتمايز المنبئات العيادية المراسية المقدمة في إطار البرهنة تفسيرا إختباريا.

استوجبت نافلة الدراسة بالبحث دعم الفرضية البديلة في التالي:

ترتبط عوامل العلة النفسية حسب أهميتها الرتبية في بلورة الاضطراب النفسي لدى السيكولوجي العيادي ارتباطا مائلا.

المراجع

أولاً: مراجع البحث بالعربية:

- أبو العمرين ابتسام 2008 مستوى الصحة النفسية للعاملين بمهنة التمريض في المستشفيات الحكومية بمحافظات غزة وعلاقته بمستوى أدائهم، رسالة ماجستير، كلية التربية ، الجامعة الإسلامية ، غزة.
- أبو العيش هيا سليمان 2008 القدرة التنبؤية للتغيرات السيكومترية والديموغرافية بالصحة النفسية لدى عينة من معلمات لواء الرمثا. رسالة ماجستير. جامعة اليرموك، الأردن .
- أماني محمد رفعت قاسم 2009 نحو برنامج مقترح لتنمية المهارات ا لمهنية للأخصائيين الاجتماعيين في العمل مع حالات العنف الأسري. مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية.العدد26، ج1.جامعة حلوان، كلية الخدمة الاجتماعية.
- حمزة الزيودي 2007 مصادر الضغوط النفسية والاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة في محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات، قسم الارشاد والتربية الخاصة- كلية العلوم التربوية-
- خالد بسندي 2008. مصطلح الكفاية وتداخل المفهوم في اللسانيات التطبيقية. المجلة الأردنية في اللغة العربية وأدابها المجلد5، العدد 1.
- رمزي جابر 2007 دراسة تقويمية لظاهرة الاحتراق النفسي للمدرس، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي عشر ، العدد الأول.
- زياد الطحاينة 2007 مستويات الاحتراق النفسي لدى حكام الألعاب الرياضية في الأردن وعلاقتها ببعض المتغيرات، وقائع المؤتمر العلمي لدول الثاني، جامعة اليروك الأردن.
- زياد بركات 2010. فعالية المعلم في ممارسة مهارة طرح الأسئلة للسفية واستقبالها والتعامل مع اجابات الطلبة عليها. جامعة القدس المفتوحة. منطقة فولكوم التعليمية فلسطين.
- سكينة بوراري 2008 العنف الأسري من المسار الدولي إلى الواقع العربي، دار الجنوب للنشر، تونس.
- سميرة عرابي 2007 الاحتراق النفسي لدى مدربي كرة القدم بالأردن، مركز الكتاب والنشر ط/1 القاهرة مصر
- شوقي كرم عمارة أبو بكر الاحتراق النفسي للمعلمين ذوي النمط أ وعلاقته بأساليب مواجهة

دروبر2007 المشكلات، جامعة الفيوم، كلية التربية، علم النفس التربوي والصحة النفسية ، مصر.

- عبد الوهاب أحمد خطاب2009 تأثير الايقاع الحيوي النفسي على بعض المهارات النفسية والأداء الممارس لكرة السلة، مجلة علوم التربية الرياضية، العدد4 المجلد2

- عبير فتحي الشرفا 2009 الذات المهنية للمرشدين النفسيين في العمل والارشادي التربوي، بقطاع غزة

- العنابي حسناء والعياصرة علي2007. الاتصال المؤسستي في الفكر التربوي بين النظرية والتطبيق .ط1 دار الحامد للنشر والتوزيع .عمان الأردن

- العيد فقيه 2005 أهمية الصحة النفسية للطالب الجامعي " دراسة ميدانية لواقع الصحة النفسية لدى طلاب جامعة تلمسان – الجزائر " مجلة جامعة دمشق – المجلد (23) العدد الثاني 2007 , دمشق , سوريا .

- محمد سليمان بني خالد 2009 مركز الضبط وعلاقته بمستوى التحصيل الأكاديمي لدى طلبة كلية العلوم التربوية. مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)المجلد السابع عشر،العدد الثاني.الأردن.

- مجبدي محمد 2010 سمات الشخصية وانعكاساتها على اتجاهات اللاعبين نحو النشاط البدني والدافعية للانجاز الرياضي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة

- المرواني نايف محمد 2009 التوافق النفسي والتوجيه التربوي والمهني، ط1 مكتبة الخانجي القاهرة

- نصر علي 2010 الحاجة المعرفية والشعور بالذات لدى طلبة الجامعيين دراسة استكشافية,المجلة الأردنية في العلوم التربوية ,المجلد 6 العدد4 .

- هند كابور2010. مهارات اتصال المدير بمعلميه من وجهة نظر المعلم وعلاقتها بكفاءة المعلم الذاتية. دراسة ميدانية في مدارس مدينة دمشق الرسمية. الحلقة الأولى. تعليم أساسي. كلية التربيةن جامعة دمشق. مجلة جامعة دمشق. المجلة26.

ثانيا: مراجع البحث باللغة الأجنبية

Betoret. D. (2006). *Stressors, Self-Efficacy, Coping Resources and Burnout among Secondary School Teachers in Spain. Educational Psychology, 26 (4), 519-539*

Bourassa Chantal : (2008) *child welfare workers practice in cases involving domestic violence, university de Moncton, child abuse review. Vol 17 (3) .*

Byrne, Peter, (2006),	*Stigma of mental illness and way of diminishing it. Advance in psychiatric treatment, 6.*
Chen J., (2007).	*Locus of control and three components of commitment to change. Personality & individual differences. 42, (3) pp. 503-512*
Chemouni Jacquy (2005)	*psychosomatique de l'enfant et de l'adulte. Armand Colin .R.Debret1937*
Damasio، 2005	*l'erreur de Descartes. La raison des émotions. Paris. Odile Jacob*
Gabert François (2005)	*le système immunitaire, comprendre le fonctionnement du système immunitaire.*
Gifford D., & Briceno, p., (2006).	*Locus of control academic achievement, and retention in a sample of university first year student, Journal of college admission,191, p.18-.*
Joseph Poirier G: (2008)	*violence in the family, including lethal outcome, Forensic Psychology and neuropsychology for criminal and civil cases*
Lindo, J.L.M, et al. (2006).	*Mental Well-being of Doctors and Nurses in two Hospitals in Kingston, Jamaica, West Indian Medical Journal*
Moore M., (2006).	*Variations in test anxiety and locus of control orientation in achieving and underachieving gifted non gifted school students. DAI- A.G 7/02, p 462.*
Payne, Brian k: (2008)	*Domestic violence and criminal justice training needs of social service workers, journal of criminal justice . Vol 36 (2).*
Payne-Brian 2008	*Domestic violence and criminal justice training need of social service works, journal of criminal justice, vol36?mai2008/ p190-197.*

الاحتراق النفسي لدى الإطارات الجزائرية

ملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف مستوى الاحتراق النفسي و شيوعه بين الإطارات الجزائرية على الأبعاد الثلاثة لمقياس الاحتراق النفسي لماسلاش Maslach Burnout Inventory (MBI) . اعتمد البحث على عينة عرضية، قوامها 324 فردا بين الإطارات بخمسة مؤسسات وطنية اقتصادية بولاية قسنطينة بشرق الجزائر. طبق عليهم مقياس*(MBI)*.

تمت معالجة البيانات المحضرة ببرنامج *EXCEL* عن طريق برنامج التحليل الإحصائي للعلوم الاجتماعية *(SPSS)* النسخة 20. وأفضت النتائج الرئيسة إلى ما يلي:

يعاني الإطارات بفئاتهم الثلاث (العليا، الوسطى، والقاعدية) من مستوى احتراق نفسي يتراوح بين المتوسط والمرتفع بأبعاده الثلاثة (الاستنزاف الانفعالي، تبلد المشاعر، والشعور بالنقص في الإنجاز الشخصي).

أ. مراد خلاصي

كلية العلوم الاجتماعية
جامعة أم البواقي
الجزائر

Résumé

L'objectif de la recherche est d'explorer la prévalence du *burnout* et son ampleur chez les classes socioprofessionnelles de cadres algériens.

L'enquête a été réalisée au moyen du test d'inventaire de *Burn out* de Maslach (*Maslach Burnout Inventory*), auprès d'un échantillon de trois cent vingt quatre (324) cadres exerçant dans le secteur industriel dans la wilaya de Constantine.

Le résultat global de l'analyse statistique, effectuée grâce au SPSS 20, est que les cadres souffrent d'un niveau de *burnout* entre moyen et élevé, et ce, dans les trois dimensions de l'échelle MBI.

مقدمة

تعتمد أي منظمة مهما كان نوعها من أجل نجاح مشروعها الاقتصادي على موارد ثلاثة مالية، تكنولوجية، و بشرية لا يمكن الاستغناء عن أحدهما مهما كانت الأحوال.

فالمال هو أساس الموازنة الاقتصادية للمنظمة ومصدره معلوم لديها قد يلجأ المسيرين في بعض الأحيان إلى الاقتراض من البنوك لإعادة التوازن المالي للمنظمة،أما الموارد التكنولوجية وهي عبارة عن الآلات والمعدات تشترى حسب الحاجة إليها، ويمكن اتخاذ قرار استبدالها في أي لحظة بناءًا على اهتلاكها (Amortie) حين ينتهي عمرها الافتراضي،أو بسبب التقدم التكنولوجي.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013

خلافا للموردين السابقين تتمثل الموارد البشرية في رأس مال المنظمة من الكفاءات التي تميزها عن غيرها من المنظمات في نفس المجال الاقتصادي، و هي تزداد خبرة كل يوم بل كل ساعة و بالتالي تزداد كفاءة المنظمة معها و تزداد قدرتها التنافسية في السوق.

والموارد البشرية لا تقترض كالمال حين نفتقدها، ولا تهتلك كالآلة فترمى ويؤتى بغيرها،فهي توظف بهدف الاحتفاظ بها أكبر مدة ممكنة في المنظمة عن طريق تحفيزها وتنميتها بشتى الطرق المتاحة (سياسة الأجور، التكوين، فرص الترقية، الخدمات الاجتماعية، وسائل الترفيه ...).

لكن السلوك الإنساني من الصعب التحكم فيه بل حتى التنبؤ به، فقد يحدث وأن يأتي أكفأ الإطارات باستقالة دون سابق إنذار تخسر من خلاله المنظمة مجموعة من الكفاءات ممثلة في شخصه، لا يمكن تعويضها من سوق العمل لأنها " منتوج المنظمة" ولا يمكن أن تصقل في غيرها.

ومواكبة للتطور التكنولوجي تتنوع و تتفاقم المشاكل الاجتماعية في المنظمات، فظاهرة التغيب عن العمل (L'absentéisme)، وإمكانية حساب الساعات الضائعة في العمل مؤشر معلوم عن خطورة هذه الظاهرة، و الغائب عن العمل يمكن معاقبته بطريقة أو أخرى و هي طريقة ردعية من أجل تعديل السلوك التنظيمي.

الأخطر من هذا معاناة المنظمات من ظواهر يصعب عليها التحكم فيها، فمن ضمن المصطلحات المتداولة حديثا (Le Présentisme) ومعناه الحضور الجسدي للفرد داخل المنظمة وغيابه ذهنيا عن العمل لأسباب غير ظاهرة للعيان.

تغييب الذهن عن الجسد لا نجدها إلا في الاحتراق النفسي كما يشير Freudenberger حين يعرف المحترقين نفسيا " يستنفذون طاقاتهم الداخلية وكأنهم تحت طائل اللهب الذي لا يترك خلفه إلا فراغا كبيرا، ولو تراءى لنا، أن المظهر الخارجي يدل على عكس ذلك "

(Canoui, P., Mauranges, 2001,P.6)، ويسبب الاحتراق النفسي إجهاداً حاداً ومزمناً وهو" نتاج اختلال في التوازن بين موارد الشخص المتمثلة في (تقدير الذات،الفعالية المهنية والدعم الاجتماعي) ومتطلبات العمل (الحمل السيكولوجي المتزايد للعمل،ضيق مجال اتخاذ القرار،سرعة وتعقيد العمل) (Cherniss ,1980 ,in line).

إن الإطارات هم أهم الفئات السوسيومهنية داخل المنظمة من الصعب إيجاد البديل لهم حين افتقادهم نهائيا، فما بالنا حين يصيرون هيكلا بلا روح، فلا هم غائبون نتخذ الإجراءات اللازمة على صعوبتها لتعويضهم و لا هم حاضرون لتأدية مهامهم.

مشكلة الدراسة

تفرض المنظمات ذات الطابع الاقتصادي أو الخدماتي من خلال قوانينها الداخلية و تنظيمها الرسمي حدوداً على السلوك الإنساني ليتخذ شكلا مختلفا عن ذلك السلوك الذي يحدث داخل أطر أخرى كالأسرة أو الشارع أو المدرسة.

ويعد فهم السلوك الإنساني داخل التنظيم أمراً ضروريا لمن يهتم بالمنظمات، لأنه المحرك الأساسي لها، والعنصر الأهم من ضمن عناصرها، ففهم سلوك العامل أو الإطار يساعد على معرفة دوافع ذلك السلوك والتنبؤ به حتى يمكن تعديله للأحسن وتوجيهه بطريقة إيجابية، خاصة وأن حل الكثير من مشكلات العمل تحتاج إلى فهم عميق لدوافع الموارد البشرية وحاجياتها المادية، الاجتماعية وحتى النفسية.

للمورد البشري عاملا بسيطا أو إطارا كان دوافع وحاجات يسعى دائما لتلبيتها في بيئته المهنية، ومن المفترض أن يجد الرضا المنشود إذا ما تمّ إشباعها، فيتحسن إنتاجه كما وكيفا " فلا معنى للحياة دون عمل، وحين يصبح العمل مصدرا للكثير من الإحباط وعدم الرضا تختنق الحياة وتموت" Albert Camus (Pines et al ,1982,p. 87)

ولا يمكن للبيئة المهنية المتمثلة عادة في المؤسسة الاقتصادية أن تلبي كل حاجات مواردها البشرية لأنها تختلف من فرد إلى آخر تبعا لتنوع وكثرة الموارد البشرية التي توظفها المنظمة، بل على العكس من ذلك، قد يواجه البعض ضغوطات وظروف مثبطة لأداء مهامهم على أكمل وجه، تمثل الظروف المهنية القسط الأكبر منها المتمثلة في محيط العمل مثل **الظروف الفيزيقية للعمل** Les Contraintes Physiques (الضجيج، الإضاءة، التهوية، الرطوبة..) و ظروف العمل الكيميائية أو مسببات الأمراض المهنية (الغبار الجراثيم، مواد كيمائية..) وهي التي يكون جسم العامل عرضة لها.

من ناحية أخرى هناك **ظروف العمل التنظيمية** L'organisation du travail وهي طريقة العمل في حد ذاته (محتوى العمل وطريقة القيام به، الشدة، التكرار، وتحديد المهام، والتدرج الهرمي للسلطة، واتساع ومحدودية اتخاذ القرارات مقارنة مع حجم المسؤولية، العلاقات الإنسانية والقانون الداخلي للمنظمة، وأوقات العمل والراحة...).

وظروف العمل التنظيمية، مقارنة بمحيط العمل تمس الجانب النفسي والذهني للفرد إذ نطلق عليها في هذه الحالة مصطلح المجهدات المهنية (Les Stresseurs).

وتعاني المؤسسات خصوصا الاقتصادية من تكاليف باهظة ناجمة عن المشاكل الصحية لمواردها البشرية متمثلة في تدني ساعات العمل الفعلية للعمل من جراء الغياب عن العمل المبررة أو المرضية أو حوادث العمل، والشيء الملفت للانتباه أن أسباب الغياب عن العمل في الجزائر لا تأخذ بعين الاعتبار المشاكل النفسية مثل الإجهاد المهني وما يترتب عنه من أمراض مزمنة كالسكري أو ضغط الدم أو حتى أمراض

القلب و كلها اثبت العلم أن لها خلفية سيكولوجية و تكاليفها جد مرتفعة مقارنة بحوادث العمل مثلا.

تأسست في فرنسا سنة 1996 الهيئة الأوروبية للصحة والأمن في العمل AESST (Agence Européenne pour La Sécurité et La Sante au Travail) ووظيفتها جعل أماكن العمل في أوروبا آمنة وصحية وأكثر إنتاجية، كشفت أبحاثها الأولى بأن الإجهاد المهني يمس عاملا من ضمن ثلاثة بأوروبا وهو أمر خطير (Tourmann, 2008, p.126) .

وحسب دراسة قام بها (T.Cox et E. Grial-Gonzalez) في دول الاتحاد الأوربي سنة 2000 وجد أن من 50% إلى 60% من مجموع أيام العمل الضائعة لها علاقة بالإجهاد. (Tourmann, 2008, p.1027)

وقد اجتهد العلماء في دراسة الإجهاد في العمل من خلال البحوث والدراسات وقد " نشرت حوالي أربعين دراسة عبر العالم أقرت بأن الإجهاد في العمل من عوامل الإصابة بأمراض الشرايين والقلب والضغط الدموي" (Schnall PL,and all, 1994 ,p.381).

وحين تبلغ الاضطرابات التنظيمية ذروتها تزداد معاناة الأفراد داخل التنظيم إلى حد الانتحار في بعض الأحيان مثلما حدث في فرنسا عند عملاق الاتصالات France Télécom ، حيث انتحر 22 عامل بداية من سنة 2008 إلى نهاية 2009، إضافة إلى 13 محاولة انتحار لأسباب تنظيمية قامت بها المؤسسة، حيث أقدمت على تقليص حوالي 1500 منصب عمل خلال ثلاث سنوات (France-telecom ,en ligne) والانتحار هو أقصى درجات الاحتراق النفسي، وأول حالة كانت عند اليابانيين وأطلقوا عليه اسم (Karoshi) أي الموت من العمل نتيجة تعرض العامل لضغوطات مهنية تنظيمية أو ذات طابع علائقي، تتسبب له في إحباط شديد بعد أن يمر بعدة مراحل أولها الإجهاد Le stress.

والاحتراق النفسي مرحلة يصل إليها الفرد نتيجة زيادة في وتيرة الضغوط المتواصلة حتى تتسبب له في الانهيار والإرهاق وهي سمات تظهر على سلوك وتصرفات الفرد.

والمقصود بالاحتراق النفسي هو الاستجابة السلبية البدنية والنفسية لدرجة عالية من الإجهاد والإرهاق التي يتعرض لها الفرد نتيجة للضغوط التي تواجهه في عمله وحياته التي تعوقه عن أداء وظائفه و مهامه بشكل طبيعي.

عرف كل من (Schaufeli et Enzmann) الاحتراق النفسي بأنه: « حالة سلبية مستديمة مرتبطة بالعمل تصيب أفراد عاديين، تنتابهم حالة من الإنهاك العام

والإجهاد، مع إحساس بانخفاض الإمكانيات والرغبة في العمل إضافة إلى اعتقاد راسخ لديهم بوجود تعطل في العمل » (Alastair Coull and all, p.2007, En ligne) ويعرفه ماك براید (Mc Bride) بأنه : "استنزاف جسمي وانفعالي بشكل كامل بسبب الضغط الزائد عن الحد ، وينتج عنه عدم التوازن بين المتطلبات والقدرات ، بحيث يشعر الفرد أنه غير قادر على التكامل مع أي ضغط إضافي في الوقت الحالي مما يؤدي للاحتراق النفسي(لميعه محسن،2011، ص،7) .

يحدث الاحتراق النفسي نتيجة ضغوط العمل النفسية الناجمة عن تضارب الأدوار وازدياد حجم العمل، ويصيب عادة الذين لديهم رؤية مثالية لأداء الأعمال والاضطلاع بالمسئوليات المهنية، كما يرتبط بالمهام التي يتعذر على الشخص تحقيقها، " يعاني الشخص المحترق من تعب وإحباط مصاحب لانهيار مرده الارتباط الشديد بهدف سامي أو علاقة أو دور لم يتحقق منه الشيء المتوقع " (Freudenberger et Richelson ,1980, en ligne).

ويرافق الاحتراق النفسي عدم توافق بين طبيعة العمل وطبيعة الإنسان الذي ينجز ذلك العمل. وكلما زاد التباين بين هاتين البيئتين زادت درجة الاحتراق النفسي الذي يواجهه الموظف أو العامل في مكان عمله،" فالاحتراق النفسي هو عبارة عن ظاهرة نفسية يتعرض لها المهنيون نتيجة عدم قدرتهم على التكيف مع ضغوط العمل مما يؤدي إلى شعورهم بعدم القدرة على حل المشكلات ، وبالتالي فقدان الاهتمام بالعمل والشعور بالتوتر النفسي أثناء أدائه" (البدوي،2000، ص.25). وأشارت ماسلاش Maslach إلى أن جذور وأساس الاحتراق النفسي يكمن في مجموعة عوامل تتركز في الظروف الاقتصادية والتطورات التكنولوجية والسياسة الإدارية لتنظيم العمل.

تعرف كل من ماسلاش و جاكسون Maslach& Jackson الاحتراق النفسي بأنه"إحساس الفرد بالإجهاد الانفعالي، وتبلد المشاعر، وانخفاض الإنجاز الشخصي" (Maslach.Christina, Jackson.Susan E, 1981,in line).

وتعرفان **الإجهاد الانفعالي** Emotional Exhaustion بأنه " فقدان الفرد الطاقة على العمل والأداء، والإحساس بزيادة متطلبات العمل"،أما **تبلد المشاعر** Depersonalization حسبهما فهو شعور الفرد بأنه سلبي وصارم، وإحساسه باختلال حالته المزاجية " والبعد الثالث **الشعوربانخفاض الإنجاز الشخصي** Lower Personal Accomplishment فتعرفانه بأنه "إحساس الفرد بتدني نجاحه، واعتقاده بأن مجهوده يذهب سدى" (Maslach ,Jackson,1981, en ligne).

وقد حدد كل من ماسلاش وليتر (Maslach&Leiter) مجموعة عوامل تنظيمية مؤسساتية تؤدي إلى الاحتراق النفسي لدى الموظفين والعاملين في بعض الشركات والمؤسسات والهيئات والمنظمات، **ضغوط مهنية** يشعر الموظف من جرائها بأن لديه

أعباء كثيرة مناطة به، وعليه تحقيقها في مدة قصيرة جدا ومن خلال مصادر محدودة وشحيحة.

فالكثير من المؤسسات والشركات سعت نتيجة التطور التكنولوجي، إضافة إلى الأزمات الاقتصادية المتتالية إلى الترشيد من خلال الاستغناء عن أعداد كبيرة من الموظفين والعمال، مع زيادة الأعباء الوظيفية على الأشخاص الباقين في العمل، ومطالبتهم بتحسين أدائهم وزيادة إنتاجيتهم.

فالكثير من المؤسسات والشركات سعت نتيجة التطور التكنولوجي، إضافة إلى الأزمات الاقتصادية المتتالية إلى الترشيد من خلال الاستغناء عن أعداد كبيرة من الموظفين والعمال، مع زيادة الأعباء الوظيفية على الأشخاص الباقين في العمل، ومطالبتهم بتحسين أدائهم وزيادة إنتاجيتهم.

ومحدودية صلاحيات العمل هي أحد المؤشرات التي تؤدي إلى الاحتراق النفسي، وهو عدم وجود صلاحيات لاتخاذ قرارات لحل مشكلات العمل. وتتأتى هذه الوضعية من خلال وجود سياسات وأنظمة صارمة لا تعطي مساحة كافية من حرية التصرف واتخاذ الإجراءات المناسبة من قبل الموظف لاتخاذ طرق جديدة في أداء عمله،أما **قلة التعزيز الايجابي** فيظهر عندما يبذل الموظف جهدا كبيرا في العمل وما يستلزم ذلك منه ساعات إضافية وأعمال إضافية دون التفاتة من المشرفين و لو معنوية يكون ذلك مؤشرا آخر عن المعاناة والاحتراق الذي يعيشه الموظف.

تقصد ماسلاش **بانعدام الاجتماعية بأن** الموظف يحتاج أحيانا إلى مشاركة الآخرين همومه و أفراحه من أجل التنفيس، لكن بعض الأعمال تتطلب انفصالا فيزيقيا في المكان وعزلة اجتماعية عن الآخرين، حيث يكون التعامل أكثر مع الأجهزة والحواسيب وداخل المختبرات والمكاتب المغلقة.

عدم الإنصاف والعدل: يتم أحيانا تحميل الموظف مسؤوليات لا يكون في مقدوره تحملها. وعند إخلاله بها يتم محاسبته. وقد يكون القصور في أداء العمل ليس تقاعسا من الموظف، ولكن بسبب رداءة الأجهزة وتواضع إمكانياتها ومحدودية برامجها، إضافة إلى إمكانية عدم وجود كفاءات تقنية مقتدرة لأداء الواجبات المطلوبة.

صراع القيم: يكون الموظف أحيانا أمام خيارات صعبة، فقد يتطلب منه العمل القيام بشيء ما والاضطلاع بدور ما ولا يكون ذلك متوافقا مع قيمه ومبادئه.

ويعتبر عمل الإطارات الأقرب إلى ما وصفته ماسلاش فيما سبق فتحمل المسؤولية، الالتزام بتحقيق النتائج و التنسيق بين الأتباع، وتنفيذ الأوامر الفوقية، تتطلب كل ذلك، والأهم من من كل هذا مقاومة الضغوط المهنية الهائلة، فقد يكون الإجهاد والاحتراق النفسي نتاج طبيعي لمهنة التأطير.

والإطارات الوسيطة أو الوسطى(les cadres intermédiaires) والتي يقصد بها الباحث الإطارات التي تقع بين عمال التحكم و الإطارات المتوسطة (les cadres moyens) ينطبق عليها ما سبق ، فهم حديثو العهد بالمؤسسة من خريجي الجامعات يريدون إثبات كفاءاتهم وقدراتهم المهنية، يتلقون أوامر فوقية وينفذونها دون مناقشة، رغم معارضة عمال التنفيذ لها باعتبارهم أكثر خبرة منهم في الميدان فيقعون في صراع بين عدم قابلية تحقيق الأهداف ميدانيا وضرورة تنفيذ الأوامر الفوقية وهذا ما عبرت عنه ماسلاش بـ"محدودية الصلاحيات في العمل" أي ضيق مساحة اتخاذ القرارات،وهي نتاج للسياسات الصارمة التي تحد من صلاحيات الإطار وهذا ما يشكل عامل من عوامل الاحتراق النفسي.

كما تعتبر الإطارات الوسيطة حلقة الوصل بين سياسات التخطيط التي يقوم بها الإطارات المتوسطة والسامية لأهداف المؤسسة والتنفيذ الميداني لهذه الأهداف التي تكون على عاتق عمال التحكم والتنفيذ تحت إشراف الإطارات الوسيطة، وغالبا ما يتحمل هؤلاء عواقب عدم بلوغ الأهداف المسطرة من فوق دون إعطاء مساحة للتصرف واتخاذ القرار.

وتكون الأهداف المسطرة محددة بفترة زمنية لا يجب تجاوزها مع محدودية الإمكانيات البشرية والتكنولوجية لتحقيق الأهداف، الشيء الذي يضع الإطار تحت ضغط شديد من أجل إثبات ذاته وكفاءته للمسئولين، مع عدم قابلية الأهداف المسطرة للتنفيذ ميدانيا، وهذا عامل آخر من عوامل الاحتراق النفسي الذي عبرت عنه مسلاش: بـ "أعباء كثيرة ، مدة قصيرة، مصادر محدودة وشحيحة" (Maslach. C. 1993, p.32).
ورغم هذا يبذل هؤلاء الإطارات مجهودا متزايدا من أجل تحسين صورة الذات فيقومون بساعات إضافية، ويحاولون بشتى الطرق تحقيق الأهداف، فان تحقق شيء منها كان ذلك واجبهم ولا يشكرون عليه، وهذا ما عبر عليه كل من ماسلاش وليتر "بقلة التعزيز الإيجابي أما إذا كانت النتائج سلبية فيتحملون عواقبها رغم المجهود المبذول والظروف غير المواتية (غياب مساحة لاتخاذ القرار كافية، قلة الموارد وضيق الوقت، مع محدودية صلاحيات العمل...) فيؤنبون على ذلك.

وغياب التعزيز الايجابي يولد لدى الفرد الشعور بالإنهاك والتعب وعدم القدرة على إنجاز المهام، وعدم القدرة على التركيز الذهني والعملي والتردد واضطراب النوم والأرق والصداع وهبوط ضغط الدم، بالإضافة للحساسية المفرطة تجاه الآخرين بالعدوانية" ، وهذا مؤشر آخر للاحتراق النفسي أشارت إليه كل من ليتر وماسلاش (Maslach, Christina & Michael P. Leiter ,1997,p.122).

ومنه نجد هذه الفئة من الإطارات لها خصوصيات معينة، فهم حديثو العهد بالمؤسسة مقارنة بباقي الإطارات، ومنذ دخولهم المؤسسة وهم يبحثون عن المكانة اللائقة ويحاولون دوما إرضاء مسئوليهم ببذل المجهود المتواصل دون أخذ قليل من الراحة ،ولديهم طموحات عالية جدا لتحقيق الذات،كما أنهم لا يعارضون الأوامر

الفوقية، ولكن سرعان ما يصدموا بالصور الإدراكية غير المتوقعة فقد ينتظرون التعزيز الايجابي طويلا بدون تحقيقه، ويلهثوا وراء تحقيق أهداف مثالية دون بلوغها، كما يكتشفون نظرة الآخرين لهم وقد تجلت دون تلقي الدعم المنتظر منهم،الشيء الذي يثبط من عزائمهم ويدخلهم في مرحلة جديدة من الانزواء والإرهاق الشديد إضافة إلى الأرق والإحساس بعدم جدوى مواصلة المجهود إلى أن يصلوا إلى مرحة الإجهاد وهو بوابة لبلوغ الاحتراق النفسي .

والمجهدات المهنية المسببة للاحتراق النفسي حسب ماسلاش وليتر وغيرهم التي ظهرت تدور حول حمل العمل المتزايد،ضيق حرية التصرف في العمل وانعدام التعزيز الايجابي ،إضافة إلى الوقت غير الكافي لتحقيق الأهداف.

بمعنى، المطالبة بتحقيق أهداف عالية في وقت قصير دون السماح للإطار بحرية التصرف مع عدم تلقي الدعم المناسب قد يخلق وضعية مجهدة للإطار تتطلب منه بذل المزيد من الجهد و استنزاف طاقة إضافية للتغلب عليها و يثبت ذاته و كفاءاته في العمل للمشرفين،فهل للاحتراق النفسي وجود بين الإطارات الجزائرية و ما مدى انتشارها؟ وما هو مستوى الاحتراق النفسي لديهم؟

الإطـار النظري للدراسة

I. الاحتراق النفسي

يتمثل الاحتراق النفسي في الإحساس بفراغ داخلي رهيب يعيشه الفرد بعدما استنزف كل قواه الجسدية دون تعزيز يذكر، يصير يتحرك بطريقة آلية خالية من أي إحساس اتجاه الآخرين و يرى كل مجهوده يذهب سدى دون تحقيق الأهداف المرجوة منه،إنه الاحتراق النفسي الذي يظهر عند الفرد بسبب تأثير ضغوطات العمل الذي يتعرض لها وتؤثر في اتجاهاته بشكل سلبي، يمكن تشخيصه بوضوح من خلال سلوكه أثناء العمل وعلاقته مع الآخرين .

فالاحتراق النفسي" استنزاف جسمي وانفعالي بشكل كلي، بسبب الضغط المتزايد ، وينتج عنه عدم التوازن بين متطلبات العمل و قدرات الفرد، بحيث يشعر بأنه غير قادر على التعامل مع أي ضغط إضافي مما يؤدي إلى الاحتراق النفسي،و يعاني الشخص المحترق من تعب و إحباط مصاحب لانهيار مرده الارتباط الشديد بهدف سامي أو علاقة أو دور لم يتأتى منها الشيء المنتظر " (Freudenberger et Richelson, 1980, en ligne) .

ومصطلح الاحتراق النفسي أو الإهتلاك النفسي عند البعض الآخر يقابله **بالفرنسية** (Épuisement professionnel) التي تعني الاستنفاذ (Action d'épuiser, de mettre à sec) أو الاستهلاك حتى النهاية (d'user jusqu'au bout) بمعنى إفراغ البئر من الماء puiser le puitsأي استنفاذ الطاقة كليا في العمل.

وبالانجليزية يقابل الاحتراق النفسي فعل (to burn out) ومعناه في الفرنسية (se consumer)الإفناء والإهتلاك أو الاحتراق بالنار تماما مثل تآكل الشمعة عن طريق الاحتراق.

ومصطلح le burn out مستعار من الصناعة الفضائية l'aéronautique الذي يوصف حالة المركبة الفضائية التي تعاني من الاحتراق الكلي للطاقة الشيء الذي يؤدي إلى ارتفاع كبير في درجة الحرارة التي قد تتسبب في انفجارها.

بالنسبة لكل من برنار ودوكات Bernard et Duquette " هو تجربة نفسية سلبية يحياها الفرد لها علاقة بإجهاد عاطفي مزمن سببه العمل مع الآخرين" (Canoui. P, Mauranges A, 2001, p.19) ، وفي نفس السياق ترى ماسلاش " بأن عدم قدرة الفرد على التأقلم مع الإجهاد المزمن يمثل المنبع الرئيسي للاحتراق النفسي" (Maslach, 1998,p. 68).

وعرفه Freudenberger بأنه " مجموعة من ردود نفسية سلبية متعلقة بالضغوط المستمرة في محيط العمل "(Freudenberger,1975,p.166, en ligne) ،عرفته كل من ماسلاش و ليتر Maslach&Leiter بأنه "تغيرات في اتجاهات وسلوك الفرد نحو العمل، وكذلك تغيرات في حالته البدنية تتمثل في الإجهاد الانفعالي، بل ويصل الأمر به إلى انخفاض في إنجازه الشخصي" .(Bilge F.,2006, en ligne) أما بالنسبة لشوفلي و أنزمان (Schaufeli et Enzmann) فيريا بأن الاحتراق النفسي هو " حالة نفسية سلبية في العمل تظهر عند الأفراد الأسوياء تتسم بإعياء شديد و إجهاد حاد مع الشعور بتدني المردود أو الانجاز الشخصي و انخفاض الدافعية و تنامي سلوكيات مهنية مضطربة تجاه العمل. هذه الحالة النفسية تتطور تدريجيا ويمكن أن تظل خفية لفترة طويلة على الشخص المصاب،و هي نتاج عدم التوازن بين التوقعات المهنية وحقيقة العمل في الميدان و تزداد عادة من خلال استراتجيات خاطئة للمجابهة Coping. " (Schaufeli WB, Enzmann D. 1998, en ligne)

" هو تناذرSyndrome سيكولوجي يمكن أن يظهر لدى المشتغلين مع الآخرين، كاستجابة لمجهدات انفعالية وعلائقية موجودة منذ وقت طويل في مكان العمل." (Burgel ,and all. 2005,p. 33)

ترى بيناس Pines أن الاحتراق النفسي يتسم" بحالة من التعب الجسمي و العاطفي والذهني يؤدي إلى حالة من الوهن العام وانطفاء المشاعر(exténuation émotionnelle)، إحساس بتدني القدرات و فقدان الأمل مع تنامي السلوكيات السلبية تجاه العمل وتجاه نفسه" (Viviane , 2001, en ligne) .

يرى الباحث بأن الاحتراق النفسي مرتبط بإجهاد مهني مزمن يتمثل في مجهدات مهنية حاضرة طوال الوقت في مكان العمل،تضغط على الفرد الذي يحاول بشتى

الطرق مجابهة هذه المجهدات تارة لتقليل من مفعولها و التهرب منها تارة أخرى عن طريق استراتجيات المجابهة لتجنبها،مستعملا طاقته من يوم إلى آخر إلى حد الاستنفاذ، و كل هذا محاولة منه للتأقلم مع الوضعيات المجهدة.

II. أسباب حدوث الاحتراق النفسي

الاحتراق النفسي هو « نتاج اختلال في التوازن بين موارد الشخص (Ressources Personnelles) المتمثلة في (تقدير الذات،الفعالية المهنية،الدعم الاجتماعي) و متطلبات العمل (الحمل السيكولوجي المتزايد للعمل،ضيق مجال اتخاذ القرار،سرعة و تعقيد العمل) (Cherniss ,1980, en ligne)، هذا ما يؤدي إلى « عدم القدرة على حل المشاكل الراجعة إلى فقدان الإحساس بالجدوى من العمل» (Bernier, D ,1995,p .45) فالاحتراق النفسي هو اضطراب في القدرة على التأقلم لدى الشخص نتيجة استنفاذه لطاقته في مجابهة إجهاد مزمن، يؤدي إلى فقدان الأمل في التغلب على مجهداته في غياب الدعم الاجتماعي للمشرفين و رفاق العمل.

وحسب كوبير Cooper" تتمثل أسباب الإجهاد في عوامل متعلقة بنشاط العمل نفسه ،عوامل نفسو- اجتماعية، و عوامل تنظيمية." (Cooper, C.L, 1985,p . 625, en ligne) نفس العوامل نجدها في الاحتراق النفسي باعتباره "عدم القدرة على التأقلم مع إجهاد مزمن" أما بالنسبة لكرزاك يرى أن " متطلبات العمل لوحدها لا تستطيع أن تتسبب في الإجهاد بل تدخل عوامل أخرى مثل غياب الدعم الاجتماعي (الرفاق والمشرفين) " (Karasek,1979 ,p. 285).

III. أبعاد الاحتراق النفسي:

"الاحتراق النفسي هو مجموعة من الأعراض أو التناذر syndrome يتصف بإعياء انفعالي، تبلد للمشاعر وإحساس قوي بتدني القدرة على تحقيق الإنتاج الشخصي". (Maslach & Jakson 1981 ,p.29, en ligne) فأعراض الاحتراق النفسي تتمثل في الركائز الثلاثة حسب النظرية المتعددة الأبعاد (multidimensionnelle) لمسلاش وجاكسون(1981).

إذا الاحتراق النفسي يرتكز على ثلاثة أبعاد هي:

الاستنزاف الانفعالي- L'épuisement émotionnel

تعتبر "ماسلاش" الاستنزاف الانفعالي بمثابة " البعد الأساسي الذي يرتكز علية الاحتراق النفسي والتعبير الأكثر وضوحا لهذا التناذر، يشعر الفرد خلاله بفراغ انفعالي صارخ وتدني كبير للطاقة مع عدم القدرة على التركيز،إضافة إلى الشعور بالإحباط وغياب الدافعية في العمل،كما يعتبر الاستجابة القاعدية أو الأولية للإجهاد بعد أن يشعر الفرد بأنه استنفذ طاقتة ولا يستطيع الاستمرار في مجابهة المجهدات أكثر من ذلك (Maslach C ,and all. 2001, en ligne)"

ولا يمكن التخلص من هذا الإعياء العاطفي المرتبط بالإجهاد بمجرد الركون للراحة بل يزداد الفرد تعبا و إرهاقا كلما ازدادت المجهدات ضغطا، الشيء الذي يجعله غير قادر على التعبير عاطفيا و انفعاليا، فيتسم سلوكه بالبرودة و تبلد المشاعر تجاه الآخر.

"داخليا يشعر الشخص بفراغ راجع لاستنفاذ الطاقة لديه، الشيء الذي يجعل من الصعب عليه التواصل عاطفيا مع الآخر"(Canouï P, Mauranges A. ,2001p.64) ، الأمر الذي" يدفعه إلى الابتعاد عن الآخر(مصدر الإجهاد) انفعاليا في العمل" (Maslach C. 2003, p. 191, en ligne).

تبلد المشاعر - La dépersonnalisation

تبلد المشاعر (La dépersonnalisation ou la déshumanisation) أي عدم الإحساس بالآخر يمثل البعد الثاني للاحتراق النفسي " له علاقة بالبعد العلائقي في العمل وهو استجابة سلبية أو مبالغة في الابتعاد العلائقي" (Maslach, Schaufeli, Leiter 2001,p.399, en ligne) وهو نتاج البعد الأول، فنظرا لتدني الطاقة الداخلية أو قلتها الراجع للاستنزاف الانفعالي لا يجد الشخص ما يجابه به الآخر منبع الإجهاد في الكثير من الحالات فيلجأ إلى الابتعاد عنه (Le détachement de l'autre) فيبني تدريجا حاجز يعزله عن الآخرين، فتتبلد مشاعره ويصبح الآخرون "مجرد أشياء (إستراتيجية هروب من أجل التأقلم)، بمعنى أن ينقطع الشخص انفعاليا وعاطفيا عن محيطه حماية لذاته من المجهدات التي لم يستطع مجابهتها لنفاذ الطاقة لديه.

و يتجلى هذا البعد من خلال الحساسية المفرطة تجاه مشاكل الآخرين والذي يظهر في السلوك العدائي المتسم بالجفاء و العنف مع الآخرين. (Canouï P, Mauranges A., p, 2001 ,P .123) هذا البعد يستعمله الشخص " كإستراتيجية للمجابهة Coping من أجل تسيير المتطلبات الداخلية أو الخارجية المهددة لذاته " (Cordes C, Dougherty T, 1993,p .630).

الشعور بتدني الانجاز الشخصي الانجاز الشخصي La diminution de l'accomplissement personnel

هي مرحلة " التقييم الذاتي للاحتراق النفسي ، في هذه المرحلة يبدأ الشخص بإنقاص في قيمة كل ما تعلق بشخصه، يشك في إمكانياته و يفقد الثقة في نفسه مع تأنيب شديد لها الشيء الذي يؤدي إلى تدني النتائج فيتملكه الشعور بالفشل". Maslach)

(and all ,2001,p, 398 ومن مظاهر هذا البعد التغيب عن العمل أو الحضور الجسدي في العمل(absentéisme et /ou présentisme)،أخطاء مهنية وهروب كلي من العمل (désinvestissement au travail) ،أو العكس في بعض الأحيان تفاني كلي لكنه غير مجدي في العمل (Surinvestissement au travail) (Truchot ,2004,p .56)

IV. أعراض الاحتراق النفسي

ينطلق العلماء لتحديد أعراض الاحتراق النفسي من أبعاده الثلاثة:الاستنزاف الانفعالي،تبلد المشاعر والشعور بنقص الانجاز الشخصي:

1. أعراض عاطفية (وجدانية) symptômes affectifs

نفاذ الطاقة الانفعالية للشخص بسبب انخفاض القدرة على التحكم الانفعالي وثورات الغضب اليومية ينتج عنه مزاج سيئ وحزن شديد مع تهيج غير عادي وحساسية مفرطة مصحوبة ببرودة عاطفية، قد نطلق عليها مرحلة "لا تمايز العاطفي" أين يسود عدم الاكتراث بالآخرين (l'indifférence).

2. أعراض معرفية symptômes cognitifs

الشعور بالدونية واليأس،الفشل والتقدير السلبي للذات مع التأنيب الدائم للضمير يمكن أن تصاب لقدرات المعرفية للشخص (فقدان القدرة على التركيز والانتباه، اضطرابات في عملية التذكر، ضعف القدرة على اتخاذ القرارات، وفقدان القدرة على تحمل الإحباط).

ومن الناحية العلائقية (تصور سلبي للعلاقة بالآخر، تشاؤم غير مبرر، إحباط، قلق، الإسقاط على الآخرين، حيل دفاعية ذهانية يمكن أن تظهر).

3. أعراض جسمية (بدنية) symptômes physiques

يغمر المصابين بالاحتراق النفسي إحساس دائم بالنقص في الانجاز رغم المجهود المتجدد الذي يبدلونه،يعانون من التعب الحاد والأعراض الجسمية الأكثر شيوعا (آلام الرأس، لتقيأ، آلام المفاصل، خفقان القلب،تعرق،اضطرابات جنسية، أرق، اضطراب في العادة الشهرية عند النساء).

- أعراض سيكوسوماتية مثل: القرحة المعدية، الربو، داء السكري، التهاب المفاصل.

_ أعراض فسيولوجية مثل: الضغط الدموي، ارتفاع الكلسترول في الدم، تدني حاسة اللمس (Maslach,1979,p .27)

4. أعراض سلوكية symptômes comportementaux

يتخذ المصاب بالاحتراق النفسي سلوكا دفاعيا يظهر من خلال الشدة والصرامة مع الآخرين إضافة إلى المقاومة الشديدة لأي تغيير، لأن كل تغيير يعني له بدل مجهود إضافي للتكيف،انخفاض النشاط لديه بشكل كبير أو العكس زيادة كبيرة في النشاط ولكنه غير مجدي hyperactivité inefficace (Dejours,1998,p.45).، كما يتسم بالاندفاعية المفرطة والتأخر في اتخاذ القرارات.

-اضطرابات في سلوك الأكل: الشراهة في الأكل أو فقدان الرغبة في الأكل (gourmandises ou anorexie).

بالنسبة للعلاقات الإنسانية فتتسم بالتراجع مع سلوك آلي خال من العواطف والأحاسيس، إضافة إلى سلوك عدائي أو دفاعي يميل إلى الهروب والانعزال الاجتماعي.(Freudenberger HJ, 1974,p. 167)

أما على مستوى أعراض الدافعية (Symptômes motivationnels) فيتسم سلوك المصاب بالابتعاد عن المحيط الاجتماعي الذي يؤدي إلى الانعزال الاجتماعي (distanciation sociale) .

لا أريد لا أستطيع (Ne plus pouvoir, ne plus vouloir) هذا حال صاحب الاحتراق النفسي، تغيب عنه الدافعية في العمل يستسلم لظروفه (مجهداته)، ويتصور نفسه مختلف عن الآخرين(Maslach and all,2001,P . 297).

V. مراحل حدوث الاحتراق النفسي

ينتاب الشخص صداع متكرر خصوصا قبل الذهاب إلى العمل وأثناء القيام به، الإحساس بعدم القدرة على أداء المهام المناطة به في العمل، تدني الدافعية مع الحضور الجسدي فقط في موقع العمل، انه الإحساس بثقل العمل والإعلان على الدخول في المرحلة الأولى من الاحتراق النفسي .

فالاحتراق النفسي لا يظهر بطريقة مفاجئة بل يتدرج في الظهور لفترة قد تدوم من 5 إلى 10 سنوات وهذا حسب شدة المجهدات التي تمارس الضغط على الفرد و بنية شخصيته، أي قدرته على الصمود و مقاومة الإجهاد. ومن هنا يمر الشخص بثلاثة مراحل لبلوغ احتراق نفسي تام، مرحلة الحيرة أو الغموض (La confusion)، مرحلة الإحباط (Frustration)، مرحلة فقدان الأمل (Le désespoir).

1. مرحلة الحيرة أو الغموض la phase de confusion

يبدأ الشخص تحت ضغط المجهدات المهنية في بلورة صور إدراكية مليئة بالخوف و القلق و أحاسيس غامضة عن كل ما يدور حوله مع خوف غير مبرر، تتسم هذه المرحلة بآلام متكررة للرأس مع الأرق ، قلة النوم و استنفاذ جزئي للطاقة.

2. **مرحلة الإحباط la phase de frustration**

كلما زادت المجهدات شدة و انخفضت حالة المقاومة لدى الشخص من جراء نفاذ الطاقة لديه من يوم إلى آخر، يصير الفرد إلى حالة من الإحباط و الغضب الشديد المصاحب لشعور عدم القدرة على التغلب على هذه الحالة من القلق غير المبرر،فتتتالى في هذه المرحلة الاضطرابات الجسمية التي تزيد من متاعب الشخص.

3. **مرحلة فقدان الأمل la phase de désespoir**

أخيرا تأتي مرحلة فقدان الأمل يتيقن حينها الشخص بان مجهوده لم يجد نفعا وذهب سدى، وأن العمل أصبح بلا معنى، تحيط به المشاكل من كل صوب، الانهيار العصبي يتعقبه و بأنه أصبح خارج اللعبة ، فيصبح غير صالح للعمل.

وضع كل من فرودنبيرغ ونورث (Freudenberger&North) اثني عشر مرحلة يمر بها الفرد للوصول إلى الاحتراق النفسي:

أ- الإفراط في وضع الأهداف العالية والإرادة من أجل إظهار الإمكانيات المميزة عن الآخرين يتحول شيئا فشيئا إلى وساوس تتملك الفرد.

ب- الإفراط في وضع الأهداف العالية يتطلب من الفرد بذل الكثير من الجهد والوقت المضاعف.

ت- يصبح مستوى الإشباع عند الفرد عالي جدا ،بمعنى استحالة الإشباع.

ث- يبدأ الفرد بالوقوف على وضعياته المتأزمة و تبدأ عملية الكبت لديه.

ج- يتخلى الفرد عن احتياجاته واهتمامات الخارجة عن العمل من جراء غياب الإشباع، هذا التخلي عن العالم الخارجي للعمل ليس شعوري،يظهر في هذه المرحلة الإعياء والإرهاق، عدم التسامح وانخفاض المرونة (la flexibilité) في المعاملات تميز فكر و سلوك الفرد.

ح- يشعر الفرد في تياهان وعدم القدرة في التحكم في السلوك، يحاول إخفائه بمختلف الحيل الدفاعية.

خ- التغير السلوكي يزداد حدة و يصبح من الصعوبة إخفائه،يلجأ الفرد إلى السلوك الدفاعي لتفادي الانتقادات،والابتعاد النفسي عن وضعيات العمل المجهدة.

د- عملية تأنيب الذات تبدأ في الظهور،إضافة إلى نسيان الحاجيات ذات الأولوية لديه.

ذ- يبدأ الفرد في هذه المرحلة بفقدان الثقة في الذات مع الإحساس بعدم نفعه في أي شيء،الشعور بالخوف و الخضوع، عدم الإحساس و عدم الاهتمام بالآخرين سمة

هذه المرحلة مع تراجع روح المبادرة وانعدام الدافعية (Freudenberger& North,1992 , en ligne)

اعتمد الباحث على مقياس **" الاحتراق النفسي لماسلاش وجاكسون "** لقياس مستوى الاحتراق النفسي لدى الإطارات.

مقياس الاحتراق النفسي(MBI) لماسلاش وجاكسون Maslach & Jackson

أعدت ماسلاش وجاكسون هذا المقياس عام (1981) لقياس الاحتراق النفسي في مجال الخدمات الإنسانية والاجتماعية،و تقيس النسخة الأولى التي أعدت سنة 1981 الاحتراق النفسي بأبعاده الثلاثة مستوى الاحتراق النفسي على شقين (التكرار والشدة)، أما في النسخة الثانية لسنة 1986 تخلت الباحثتان عن شق الشدة في المقياس والاحتفاظ بالقياس على مستوى التكرار فقط.

ترجم هذا المقياس إلى العديد من اللغات منها العربية على يد كل من زايد البتال(2000)، ونصر يوسف (1996) وفاروق عثمان (2001)، ودواني وزملاؤه (1989)، ومقابلة وسلامة (1990)، والوابلي (1995)، وإلى الفرنسية من قبل جولان ديوون وريجون تيسيي (Guylaine Dion & Rejean Tessier) من جامعة لافال Université Laval، وكانت درجات صدق المقياس الأصلي (الأمريكية) عالية: الاستنزاف الانفعالي 0,90، تبلد المشاعر0,79، وبعد الشعور بنقص الانجاز الشخصي 0,71 (Maslach & Jackson, 1981 ,pp.99-113 , en ligne).

وقد استخدم الباحث النسخة الفرنسية المترجمة من طرف جولان ديوون وريجون تيسيي والتي كانت درجت صدق بنودها مرتفع: الاستنزاف الانفعالي 0,88، تبلد المشاعر0,63، وبعد الشعور بنقص الانجاز الشخصي 0,78 (Rejean Tessier, 1994 , Guylaine Dion &220) .

وللتأكد من صدق هذه النسخة على المجتمع الجزائري، قام الباحث في بداية الأمر بترجمتها إلى اللغة العربية، ثم تجريبها على مجموعة من الإطارات ، إلا أنه لاحظ أن عينة التجريب لم تتجاوب جيدا مع النسخة المعربة لصعوبة فهم المصطلحات التي يحتويها باللغة العربية. ومنه قام باستعمال النسخة الفرنسية بعد التأكد من صدقها و ثباتها.

ويتكون مقياس ماسلاش للاحتراق النفسي من (22) عبارة موزعة على ثلاثة أبعاد (انظر الجدول رقم 1):

1. بعد الاستنزاف الانفعالي:

تمثله تسعة بنود (1،2،3،6،8،13،14،16،20) وتتراوح نتائجه ما بين 0-54.

2. بعد تبلد مشاعر:

يتكون من خمسة بنود (5،10،11،15،22) وتتراوح نتائجه ما بين 0-30.

3. بعد الشعور بنقص الانجاز الشخصي:

تمثله ثمانية بنود(4،7،9،12،17،18،19،21)، وتتراوح نتائجه ما بين 0-48.

جدول رقم (1): توزيع عبارات مقياس MBI على أبعاده الثلاثة

الأبعاد	العبارات								المجموع
الاستنزاف الانفعالي	1	2	3	6	8	13	14	16	20	9
تبلد المشاعر	5	10	11	15	22	/	/	/	/	5
الشعور بنقص الإنجاز	4	7	9	12	17	18	19	21	/	8

وتتم الاستجابة لكل عبارة من هذا المقياس من خلال سبعة بدائل، تقابل كل منها درجة معينة كما يلي:

صفر =أبدا، 1 = بضع مرات في السنة، 2 = مرة في الشهر، 3= بضع مرات في الشهر، 4 = مرة كل أسبوع، 5 = بضع مرات في الأسبوع، 6 = كل يوم تقريبا

ويعتبر الاحتراق منخفضا إذا تحصل الفرد على درجات منخفضة في البعدين الأول والثاني، ودرجة مرتفعة في البعد الثالث، ويكون الاحتراق معتدلا عندما يتحصل الفرد على درجات متوسطة في الأبعاد الثلاثة، بينما يكون الاحتراق مرتفعا، إذا تحصل الفرد على درجات مرتفعة في البعدين الأول، والثاني ومنخفضة في البعد الثالث.

الدراسة السيكومترية للمقياس:

من أجل التأكد من صدق وثبات أداة الدراسة، قام الباحث بتطبيق المقياس على عينة الدراسة الاستطلاعية التي تكونت من 124 إطارا تم اختيارهم بطريقة عشوائية من مؤسسة سونالغاز والشركة الوطنية للتبغ والكبريت، والجمارك وضباط الدرك الوطني، وإطارات من مديرية التكوين المهني ، وتبين الجداول رقم (1، 2، 3، 4،5) خصائصها من حيث الجنس، والعمر، والمستوى التعليمي، والفئات السوسيو مهنية، وكذا سنوات الأقدمية في العمل.

جدول رقم (2): خصائص عينة الدراسة الاستطلاعية حسب الجنس

المتغير	الفئات	العدد	%

الجنس	ذكر	102	82,25%
	أنثى	22	17,75%
	المجموع	124	100%

واستعمل في معالجة البيانات النسخة (20) من البرنامج الإحصائي الخاص بالعلوم الاجتماعية (Statistical Package for Social Sciences) SPSS .

- **الصدق** Validité

للتأكد من صدق المقياس اعتمد الباحث على الاتساق الداخلي أو ما يسمى بالصدق الداخلي للمقياس، الذي يعتمد على حساب درجة الارتباط (معامل بيرسون Pearson) بين الأبعاد الثلاثة للمقياس (الاستنزاف الانفعالي، تبلد المشاعر، الشعور بنقص الانجاز الشخصي) والدرجة الكلية للمقياس، إضافة إلى حساب درجة ارتباط (معامل بيرسون) كل فقرة من فقرات المقياس بالبعد الذي تنتمي إليه.

جدول spss رقم (3): ارتباط الدرجة الكلية لمقياسMBI بدرجات أبعاده

Corrélations MBI

		MBI	Epuisement émotionnel	Dépersonnalisation	Accomplissement personnel
MBI	Corrélation de Pearson	1	,871**	,682**	,417**
	Sig. (bilatérale)		,000	,000	,000
	N	124	124	124	124
Epuisement émotionnel	Corrélation de Pearson	,871**	1	,609**	,008
	Sig. (bilatérale)	,000		,000	,930
	N	124	124	124	124
Dépersonnalisation	Corrélation de Pearson	,682**	,609**	1	-,142
	Sig. (bilatérale)	,000	,000		,117
	N	124	124	124	124
Accomplissement personnel	Corrélation de Pearson	,417**	,008	-,142	1
	Sig. (bilatérale)	,000	,930	,117	
	N	124	124	124	124

**. La corrélation est significative au niveau 0.01 (bilatéral).

من خلال ما يوضحه الجدول رقم (3)، نلاحظ أن ارتباط مختلف أبعاد مقياس الاحتراق النفسي بالدرجة الكلية للمقياس دال إحصائيا عند مستوى دلالة 0,01؛ حيث قدر معامل ارتباط بعد الاستنزاف الانفعالي بـ0,87، وبعد تبلد المشاعر بـ0,68 وبعد نقص الشعور بالانجاز الشخصي بـ0,41. مما يعني أن مقياس MBI يتمتع بمستوى مقبول من الصدق الداخلي من حيث ارتباط الأبعاد بالدرجة الكلية.

- ارتباط أبعاد بالبنود

الاستنزاف الانفعالي

يبين الجدول رقم (4) أن معاملات ارتباط الفقرات التسع لبعد الاستنزاف الانفعالي بالدرجة الكلية على هذا البعد تتراوح بين 0,50 و0,75، وهي دالة عند مستوى دلالة 0,01، الأمر الذي يعكس اتساقا داخليا مقبولا لهذا البعد.

الجدول رقم (4): معاملات ارتباط فقرات بعد الاستنزاف الانفعالي بالدرجة الكلية للبعد

البعد	رقم الفقرات	1	2	3	6	8	13	14	16	20
الاستنزاف الانفعالي	درجة الارتباط	0,550**	0,575**	0,633**	0,551**	0,751**	0,659**	0,536**	0,630**	0,502**
	مستوى الدلالة	0,01	0,01	0,01	0,01	0,01	0,01	0,01	0,01	0,01

- تبلد المشاعر

أما معاملات ارتباط الفقرات الخمس لبعد تبلد المشاعر بالدرجة الكلية على هذا البعد فيظهر من خلال الجدول رقم (5) أنها تراوحت بين 0,50 و0,67، وهي كلها دالة عند مستوى دلالة 0,01؛ أي أن هذا البعد يتمتع بدرجة مقبولة من الاتساق الداخلي.

الجدول رقم (5): معاملات ارتباط فقرات بعد تبلد المشاعر بالدرجة الكلية للبعد

البعد	الفقرات	5	10	11	15	22
تبلد المشاعر	معامل الارتباط	0,559**	0,625**	0,571**	0,503**	0,675**

	مستوى الدلالة	0,01	0,01	0,01	0,01	0,01

- نقص الشعور بالانجاز

نلاحظ أن معاملات ارتباط الفقرات الثمانية لبعد نقص الشعور بالانجاز الشخصي حسب الجدولين (6) كلها دالة عند مستوى دلالة 0,01، وتراوحت بين 0,47 إلى 0,71، ما عدا الفقرة 19 التي كان معامل ارتباطها (0,27). مما يعني أن بعد نقص الشعور بالانجاز الشخصي يتميز بدرجة مقبولة من الاتساق الداخلي.

الجدول رقم (6): معاملات ارتباط فقرات بعد نقص الشعور بالانجاز الشخصي بالدرجة الكلية للبعد.

البعد	الفقرات	4	7	9	12	17	18	19	21
نقص الشعور بالانجاز الشخصي	الارتباط	0,547**	0,655**	0,554**	0,470**	0,593**	0,713**	0,270**	0,493**
	مستوى الدلالة	0,01	0,01	0,01	0,01	0,01	0,01	0,01	0,01

- **الثبات fiabilité**

لحساب ثبات مقياس الاحتراق النفسي MBI، اعتمد الباحث على طريقة التطبيق مرة واحدة على عينة الدراسة الاستطلاعية، ثم التأكد من الاتساق الداخلي للمقياس من خلال حساب معامل ألفا كرونباخ.

يظهر الجدول رقم (7) أن معامل ألفا كرونباخ قدر بـ 0.746، وهي قيمة تعكس قدرا معتبرا من الاتساق الداخلي لمقياس الاحتراق النفسي MBI .

الجدول رقم (7): ارتباط الأبعاد الثلاثة بدرجة المقياس ألفا كرمباخ(الثبات)

Statistiques de fiabilité MBI	
Alpha Cronbach	Nombre d'éléments
,746	4

عينة الدراسة

بينت الدراسة الاستطلاعية واطلاع الباحث المسبق كمسير سابق للموارد البشرية بأن نسبة تواجد الإطارات بمختلف مستوياتهم بالمؤسسات الاقتصادية وحتى الخدماتية قلة لا تكاد تتعدى نسبة 20% من مستخدمي المنظمة، ونظرا لصعوبة إيجاد

مؤسسات تسمح بإجراء الدراسة الميدانية فيها، فقد اضطر الباحث للاعتماد على أسلوب العينة العرضية للوصول إلى أقصى عدد ممكن من الإطارات.

وعليه، تمثلت عينة الدراسة في 341 فردا، تمثل نسبة 75,77% من المجتمع الأصلي، تتوزع على مختلف مؤسساته كما يبينه الجدول (8)، وتتكون من ثلاث فئات سوسيو مهنية (إطارات، إطارات متوسطة، إطارات عليا).

الجدول رقم (8): توزع أفراد العينة على مؤسسات المجتمع الكلي للدراسة

الشركة الوطنية للتبغ و الكبريت SNTA	وحدة السجائر	49	
	وحدة الشمة	47	
	وحدة الدعم و الصيانة	38	
المؤسسة الوطنية لوسائل الأشغال العمومية ENMTP	SOFAR (CCA)	45	
	SOMATEL(CPG)	41	
الشركة الوطنية للكهرباء و الغاز SONELGAZ	المديرية الجهوية	49	
	مديرية علي منجلي		
	مركز الانتقاء التوجيه		
ENTRAC (SONACOM)	المؤسسة الوطنية للجرارات	42	
CNL	الصندوق الوطني للسكن	16	
CACOBAT	الصندوق الوطني للتأمين على البطالة بسبب الأحوال الجوية لعمال البناء و الأشغال العمومية	14	
	المجموع	**341**	

للتأكد من صحة الفرضية الأولى قام الباحث بتفريغ نتائج مقياس الاحتراق النفسي لماسلاش، كل بعد على حدا بالاستعانة ببرنامج EXCEL لاستخراج درجة مستوى الاحتراق النفسي (منخفض، معتدل، مرتفع) لكل فرد من أفراد العينة وللمستويات الثلاث (الاستنزاف الانفعالي، تبلد المشاعر، نقص الشعور بالانجاز الشخصي)، ثم تفريغ النتائج في برنامج SPSS لمعالجتها إحصائيا وكانت نتائج ذلك على الشكل التالي:

أولا: بعد الاستنزاف الانفعالي Épuisement émotionnel

يعاني الإطارات بفئاتهم الثلاث من مستوى احتراق نفسي يتراوح بين المستوى المعتدل والمرتفع على بعد **الاستنزاف الانفعالي.**

أظهرت نتائج مقياس الاحتراق النفسي MBI بالنسبة لبعد الاستنزاف الانفعالي معاناة 273 فردا من العينة من احتراق نفسي تراوح بين المستوى المعتدل والمرتفع بنسبة **80,05 %** من عينة الدراسة (341 فردا)، فأتى 119 فردا منهم على مستوى احتراق نفسي مرتفع بنسبة **34,89 %** ، و154 فردا على مستوى احتراق نفسي معتدل أي بنسبة **45,16 %**، بينما جاءت البقية 68 فردا في مستوى احتراق نفسي منخفض أي بنسبة **19,94 %** (أنظر الجدولين 9 ،10).

الجدول رقم (9): مستوى الاحتراق النفسي لأفراد العينة على بعد الاستنزاف الانفعالي

بعد الاحتراق النفسي	نسبة الاحتراق النفسي للإطارات لأبعاد مقياس MBI					
الاستنزاف الانفعالي	**مستوى احتراق منخفض**		**مستوى احتراق معتدل**		**مستوى احتراق مرتفع**	
	(0–17)		**(18–30)**		**أكثر من 30**	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%

34,9	119	45,2	154	19,9	68	

جدول spss رقم (10): مستوى الاحتراق النفسي لأفراد العينة على بعد الاستنزاف الانفعالي

Épuisement émotionnel					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	Burnout élevé	119	34,9	34,9	34,9
	Burnout modéré	154	45,2	45,2	80,1
	Burnout bas	68	19,9	19,9	100,0
	Total	341	100,0	100,0	

كان لفئة الإطارات النصيب الأكبر من الاحتراق النفسي لبعد الاستنزاف الانفعالي على المستويين المعتدل والمرتفع حيث بلغ عددهم 131 إطارا. (55 مستوى مرتفعا، 76 مستوى معتدلا) وهذا بنسبة **47,98 %**، أخيرا جاء 36 إطارا على مستوى احتراق نفسي منخفض.

أتت فئة الإطارات السامية في المرتبة الثانية وكان عددهم على المستويين المعتدل والمرتفع 84 فردا أي بنسبة **30,76 %**، و22 إطارا ساميا على المستوى المنخفض لهذا البعد.

أما عن فئة الإطارات المتوسطة جاء عددهم ضئيلاً مقارنة بالفئتين السابقتين من الإطارات، فعلى المستويين المعتدل والمرتفع للاحتراق النفسي. لقد بلغ عددهم 58 فردا بنسبة **21,24 %**، و10 إطارات متوسطة على المستوى المنخفض لبعد الاستنزاف الانفعالي (انظر الجدول11).

جدول spss رقم (11): مستوى الاحتراق النفسي لدى الإطارات بمستوياتهم الثلاث على بعد الاستنزاف الانفعالي

		Epuisement émotionnel		
		Effectif	Moyenne	%
Burnout élevé	cadres	55	36,85	45,4%
	cadres moyen	28	38,52	21,0%
	cadres supérieurs	36	40,19	33,6%

	S/TOTAL	119	38,52	100,0%
Burnout modéré	cadres	76	23,77	46,5%
	cadres moyen	30	24,33	21,6%
	cadres supérieurs	48	24,67	31,9%
	S/TOTAL	154	24,26	100,0%
Burnout bas	cadres	36	11,75	55,1%
	cadres moyen	10	12,05	13,1%
	cadres supérieurs	22	13,04	31,8%
	S/TOTAL	68	12,28	100,0%
	TOTAL	341		

وبالتالي فمجموع 273 فرد بنسبة **80,05%** من أفراد عينة الدراسة (341 فردا) محترقين نفسيا على المستويين المعتدل والمرتفع موزعين على الفئات الثلاث (إطارات131، إطارات متوسطة 58، إطارات سامية 84) مقابل 68 فردا بنسبة **19,94%** جاء مستوى احتراقهم منخفض، الأمر الذي يؤكد هذه الفرضية الجزئية على بعد الاستنزاف الانفعالي، أي **يعاني الإطارات بفئاتهم الثلاث من مستوى احتراق نفسي يتراوح بين معتدل ومرتفع على بعد الاستنزاف الانفعالي.**

ثانيا: بعد تبلد المشاعر Dépersonnalisation

بالنسبة لبعد تبلد المشاعر أظهرت نتائج مقياس الاحتراق النفسي MBI معاناة 249 فردا من عينة الدراسة من احتراق نفسي تراوح بين المستوى المعتدل والمرتفع بنسبة **73,02%** من أفراد العينة، فتحصل 139 فردا منهم على مستوى احتراق نفسي مرتفع بنسبة **40,76%**، و110 فردا على مستوى احتراق نفسي معتدل أي بنسبة **32,25%**، بينما تحصلت البقية 92 فردا في مستوى احتراق نفسي منخفض، أي بنسبة **26,97%** (انظر الجدولين 12، 13)

الجدول رقم (12): مستوى الاحتراق النفسي لأفراد العينة على بعد تبلد المشاعر

بعد الاحتراق النفسي	**نسبة الاحتراق النفسي للإطارات لأبعاد مقياس MBI**

مستوى احتراق مرتفع		مستوى احتراق معتدل		مستوى احتراق منخفض		تبلد المشاعر
12 فأكثر		(11-6)		(5-0)		
النسبة %	العدد	النسبة%	العدد	النسبة%	العدد	
40,8	139	32,3	110	27,0	92	

جدول spss رقم (13): مستوى الاحتراق النفسي لأفراد العينة على بعد تبلد المشاعر

Dépersonnalisation					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	élevé	139	40,8	40,8	40,8
	modéré	110	32,3	32,3	73,0
	bas	92	27,0	27,0	100,0
	Total	341	100,0	100,0	

بلغ عدد فئة الإطارات المحترقين نفسيا على بعد تبلد المشاعر على المستويين المعتدل والمرتفع 121 إطارا(67 مستوى مرتفعا، 32 مستوى معتدلا) وهذا بنسبة **48,59%**، في حين جاء 46 إطارا على مستوى احتراق نفسي منخفض.

وبلغ عدد فئة الإطارات المتوسطة 52 فردا(32 مستوى مرتفعا، 20 مستوى معتدلا) أي بنسبة **21,68%**، وجاء 16 إطارا متوسطا على مستوى احتراق نفسي منخفض.

أما فيما يخص فئة الإطارات السامية، فقد بلغ عدد المحترقين نفسيا على بعد تبلد المشاعر على المستويين المعتدل والمرتفع 76 فردا(40 مستوى مرتفعا، 36 مستوى معتدلا) وهذا بنسبة **30,52%**، وجاء 30 إطارا ساميا على مستوى احتراق نفسي منخفض على بعد تبلد المشاعر (انظر الجدول 14).

جدول spss رقم (14): مستوى الاحتراق النفسي لدى الإطارات بفئاتهم الثلاث على بعد تبلد المشاعر.

Dépersonnalisation		Effectif	Moyenne	%
élevé	cadres	67	16,17	48,2%
	cadres moyens	32	17,03	23,0%

	cadres supérieurs	40	16,71	28,8%
	S/TOTAL	139	16,64	100,0%
modéré	cadres	54	8,4	49,1%
	cadres moyens	20	8	18,2%
	cadres supérieurs	36	8,27	32,7%
	S/TOTAL	110	8,22	100,0%
bas	cadres	46	2,85	50,0%
	cadres moyens	16	1	17,4%
	cadres supérieurs	30	2	32,6%
	S/TOTAL	92	1,95	100,0%
	TOTAL	341		

وبالتالي فإن 249 فردا بنسبة **73,02%** من أفراد العينة (341 فرد) محترقين نفسيا على المستويين المعتدل والمرتفع بمستوياتهم الثلاثة (إطارات121، إطارات متوسطة 52، إطارات سامية 76) مقابل 92 فردا بنسبة **26,97%** من أفراد العينة جاء مستوى احتراقهم منخفض، الأمر الذي يحقق هذه الفرضية الجزئية على بعد تبلد المشاعر، أي **يعاني الإطارات بفئاتهم الثلاث من مستوى احتراق نفسي يتراوح بين معتدل و مرتفع على بعد تبلد المشاعر.**

ثالثا: بعد نقص الشعور بالإنجاز الشخصي Accomplissement personnel

أظهرت نتائج مقياس الاحتراق النفسي MBI بالنسبة لبعد نقص الشعور بالإنجاز الشخصي معاناة 251 فردا من العينة من احتراق نفسي تراوح بين المستوى المعتدل والمرتفع بنسبة 73,60% (182 فردا منهم على مستوى احتراق نفسي مرتفع بنسبة 53,37%، و69 فردا على مستوى احتراق نفسي معتدل أي بنسبة 20,23%)، بينما جاءت البقية 90 فردا في مستوى احتراق نفسي منخفض أي بنسبة 26,39% (انظر الجدولين 15 ،16).

جدول رقم (15): مستوى الاحتراق النفسي لأفراد العينة على بعد نقص الشعور بالإنجاز الشخصي.

بعد الاحتراق النفسي	نسبة الاحتراق النفسي لدى الإطارات لأبعاد مقياس MBI					
نقص الشعور بالانجاز الشخصي	مستوى احتراق منخفض		مستوى احتراق معتدل		مستوى احتراق مرتفع	
	40 فأكثر		(39-34)		33 فأقـــل	
	العدد	النسبة%	العدد	النسبة%	العدد	النسبة %
	90	26,4	69	20,2	182	53,4

جدول spss رقم (16): مستوى الاحتراق النفسي لأفراد العينة على بعد نقص الشعور بالإنجاز الشخصي.

Accomplissement personnel					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	élevé	182	53,4	53,4	53,4
	modéré	69	20,2	20,2	73,6
	bas	90	26,4	26,4	100,0
	Total	341	100,0	100,0	

وبلغ عدد فئة الإطارات المحترقين نفسيا لبعد نقص الشعور بالإنجاز الشخصي على المستويين المعتدل والمرتفع 128 إطارا(93 مستوى مرتفعا، 35 مستوى معتدلا) وهذا بنسبة 50,99%، 49 إطاراً على مستوى احتراق نفسي منخفض.

كما بلغ عدد فئة الإطارات المتوسطة 53 فردا(40 مستوى مرتفعا، 13 مستوى معتدلا) أي بنسبة 21,11%، 21 إطارا متوسطا على مستوى احتراق نفسي منخفض.

أما فئة الإطارات السامية، فقد بلغ عدد المحترقين نفسيا على بعد نقص الشعور بالإنجاز الشخصي على المستويين المعتدل والمرتفع 70 فردا(49 مستوى مرتفعا،21 مستوى معتدلا) وهذا بنسبة 27,88%، 39 إطارا ساميا على مستوى احتراق نفسي منخفض(انظر الجدول17).

جدول spss رقم (17) مستوى الاحتراق النفسي لدى الإطارات بفئاتهم الثلاث على بعد نقص الشعور بالإنجاز الشخصي.

		Accomplissement personnel			
		Effectif	Moyenne	Ecart-type	N % colonne
élevé	cadres	93	24,60	9,36	51,09%
	cadres moyens	40	25,57	8,73	21,90%
	cadres supérieurs	49	25,48	9,61	26,92%
	S/TOTAL	182	25,22		100,0%
modéré	cadres	35	34,96	9,99	50,72%
	cadres moyens	13	36,00	8,47	18,84%
	cadres supérieurs	21	36,81	8,56	30,44%

	S/TOTAL	69	35,92		100,0%
bas	cadres	39	43,67	8,70	43,33%
	cadres moyens	15	42,66	6,91	16,66%
	cadres supérieurs	36	43,45	8,35	40%
	S/TOTAL	90	43,26		100,0%
	TOTAL	341			

وعليه، فإن 251 فردا بنسبة **73,60%** من أفراد عينة الدراسة، محترقون نفسيا على المستويين المعتدل والمرتفع بمستوياتهم الثلاثة (إطارات 128، إطارات متوسطة 53، إطارات سامية 70)، مقابل 90 فردا بنسبة **26,39%** جاء مستوى احتراقهم منخفضا، الأمر الذي يؤكد الفرضية الجزئية على بعد نقص الشعور بالإنجاز الشخصي، التي مفادها **يعاني الإطارات بفئاتهم الثلاث من مستوى احتراق نفسي يتراوح بين مستوى معتدل و مرتفع على بعد نقص الشعور بالإنجاز الشخصي**.

وتلخيصا لنتائج أبعاد الاحتراق النفسي بالنسبة للفئات السوسيو-مهنية الثلاث(إطارات، إطارات متوسطة، إطارات سامية) نورد ما يلي:

- بعد الاستنزاف الانفعالي

مسَ الاحتراق النفسي على المستوى **المرتفع** 57 من الإطارات و28 من الإطارات المتوسطة، و34 من الإطارات السامية، وعلى المستوى **المعتدل** مسَ الاحتراق النفسي76 من الإطارات و30 من الإطارات المتوسطة، و 48 من الإطارات السامية، بمجموع **273** فردا وبنسبة إجمالية تمثل **80,05%** من أفراد عينة الدراسة **(341 فردا)**، مقابل **68** فرد بنسبة **19,94%** من الأفراد جاء مستوى احتراقهم النفسي **منخفضا** على هذا البعد. (انظر الجدول18، والرسم البياني رقم 1).

- بعد تبلد المشاعـر

مسَ الاحتراق النفسي على المستوى **المرتفع** 69 من الإطارات و31 من الإطارات المتوسطة، و39 من الإطارات السامية، على المستوى **المعتدل** مسَ الإحراق النفسي 54 من الإطارات و20 من الإطارات المتوسطة، و36 من الإطارات السامية، بمجموع **249** فردا وبنسبة إجمالية تمثل **73,02%** من أفراد عينة الدراسة **(341**

فردًا) مقابل **92** فرد بنسبة **26,97%** من الأفراد جاء مستوى احتراقهم النفسي **منخفضا** على بعد تبلد المشاعر. (انظر الجدول18، و الرسم البياني رقم 1).

- بعد نقص الشعور بالإنجاز الشخصي

مسَ الاحتراق النفسي على المستوى **المرتفع** 91 من الإطارات و43 من الإطارات المتوسطة، و48 من الإطارات السامية،على المستوى **المعتدل** مسَ الإحراق النفسي 35 من الإطارات و13 من الإطارات المتوسطة، و21 من الإطارات السامية، بمجموع **251** فردا و بنسبة إجمالية تمثل **73,60%** من أفراد عينة الدراسة مقابل **90** فردا بنسبة **26,39%** من الأفراد جاء مستوى احتراقهم النفسي **منخفضا** على بعد نقص الشعور بالإنجاز الشخصي (انظر الجدول18، و الرسم البياني رقم 1).

جدول رقم (18): مستوى الاحتراق النفسي لعينة الدراسة حسب الفئات السوسيو مهنية

	Épuisement émotionnel		Dépersonnalisation		Accomplissement personnel	
	Burnout élevé	Burnout modéré	Burnout élevé	Burnout modéré	Burnout élevé	Burnout modéré
Cadres	57	76	69	54	91	35
cadres moyens	28	30	31	20	43	13
cadres supérieurs	34	48	39	36	48	21
TOTAL	119	154	139	110	182	69

رسم بياني رقم (1): مستوى الاحتراق النفسي لعينة الدراسة حسب الفئات السوسيومهنية

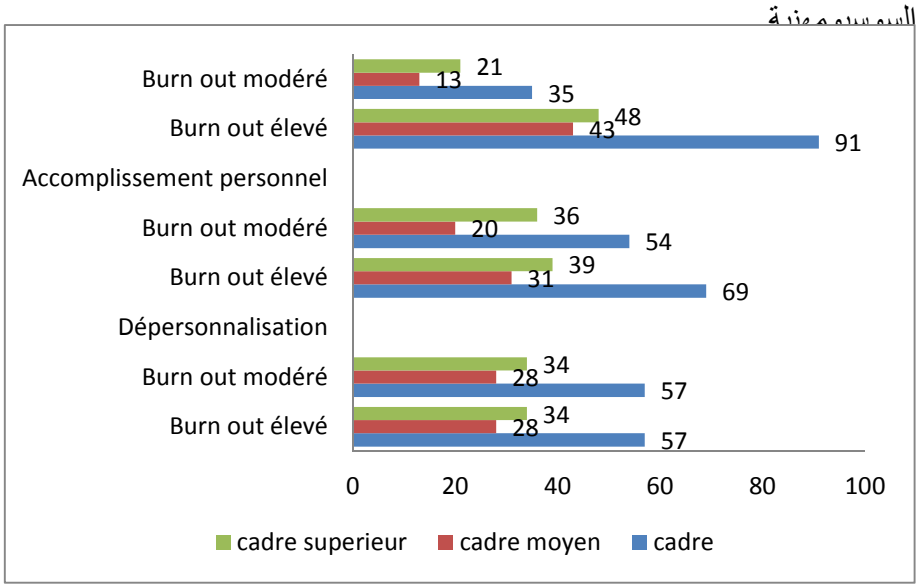

وبالتالي فالنسب المسجلة **(**بنسبة **80,05%** على بعد الاستنزاف الانفعالي، ونسبة **73,02%** على بعد تبلد المشاعر، ونسبة **73,60%** على بعد تبلد نقص الشعور بالإنجاز الشخصي**)**، تؤكد معاناة الإطارات بفئاتهم الثلاث من مستوى احتراق نفسي يتراوح بين المعتدل ومرتفع على مقياس«MBI» لماسلاش Maslach بأبعاده الثلاثة (الاستنزاف الانفعالي، تبلد المشاعر، الشعور بالنقص في الإنجاز الشخصي).

دلت نتائج الدراسة على وجود ظاهرة الاحتراق النفسي بين الإطارات الجزائرية - عينة الدراسة- ووجود علاقة بينها وبين عدم الاهتمام بالموارد البشرية من خلال معاناتها من مجهدات مهنية (حمل سيكولوجي مرتفع، ضيق في حرية اتخذ القرار، تدني الدعم الاجتماعي) وهي كلها أمور تتعلق بتسيير الموارد البشرية.

ومنه يوصي الباحث زملائه الباحثين بإجراء دراسات عن الموارد البشرية في إطار السلوك التنظيمي من خلال الظواهر التي تمس الصحة النفسية في العمل كالإجهاد والاحتراق النفسي باعتباره مثبطات السلوك ومعوقات الإنتاج داخل المنظمة.

كما يوصي الباحث المدراء والمسؤولين عن القطاع الاقتصادي خصوصا بالاهتمام بالموارد البشرية في المؤسسات وخصوصا من الجانب النفسي والاجتماعي، لأن الأيام الضائعة في العمل أكثر من السويعات الحقيقية المنتجة من جراء إصابة إطاراتنا بأمراض مهنية غير مرئية، تتسبب في خسائر جمة للاقتصاد الوطني وتخفض من العائد الإجمالي الخام للدولة.

المراجع و المصادر

1. أحمد محمد عوض بني أحمد (2007)، الاحتراق النفسي والمناخ التنظيمي في المدارس، دار الحامد،الطبعة الأولى، عمان.
2. البتال زايد بن محمد(2000)،الاحتراق النفسي: ضغوط العمل النفسية لدى معلمي ومعلمات التربية الخاصة، ماهيته- أسبابه- علاجه، سلسلة إصدارات أكاديمية، التربية الخاصة، الرياض،العربية السعودية.
3. الجمالي فوزية عبد الحميد، عبد الحميد سعيد حسين(2003)، مستويات الاحتراق النفسي لدي معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة واحتياجاتهم التدريبية بسلطنة عمان، دراسات عربية في علم النفس، مجلد 2، عدد1، عمان.
4. السمادونى، السيد إبراهيم ، (1990) ، إدراك المتفوقين عقليا للضغوط والاحتراق النفسي في الفصل المدرسي وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والبيئية،المصرية للدراسات النفسية، الجزء الثاني، القاهرة.
5. الوابلي ، سليمان محمد سليمان(1995)، الاحتراق النفسي ومستوياته لدى معلميالتعليم العام ، كلية التربية ، جامعة أم القرى،السعودية.
6. جمعة سيد يوسف (2004)، إدارة ضغوط العمل، نموذج للتدريب والممارسة الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
7. رجاء محمود أبو علام، (2006)، مناهج البحث في العلوم النفسية و التربوية، دار النشر للجامعات،القاهرة.
8. سيزيلاجي ووالاس، (1987) ،السلوك التنظيمي والأداء،دار النشر (Scott,Foresman and Company)، ترجمة جعفر أبو القاسم أحمد.
9. صلاح الدين محمد عبد الباقي (2002)، السلوك الفعال في المنظمات.،دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية،مصر.
10. -عبد الرحمن بن محمد سليمان،محمود،محمد (2007) ،الإحصاء التطبيقي ،العبيكان للنشر و التوزيع،الرياض،السعودية.
11. عسكر علي (2000) ، ضغوط الحياة و أساليب مواجهتها،دار الكتاب الحديث ،القاهرة.
12. فاروق السيد عثمان(2001)، القلق وإدارة الضغوط النفسية، دار الفكر العربي، القاهرة.
13. معمرية بشير(2002)،القياس النفسي وتصميم الاختبارات النفسية،منشورات شركة بتنيت،باتنة،الجزائر.
14. مقدم عبد الحفيظ (1993) ،الإحصاء والقياس النفسي والتربوي،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون،الجزائر.

15. الاوسي علي ابراهيم محمد(2009)،الاحتراق النفسي لدى مديري ومديرات المدارس الثانوية وعلاقته ببعض المتغيرات ،مجلة الفتح ،فيفري 2009،عدد 38،.جامعة ديالى.

16. -الزيودي محمد حمزة (2007)،مصادر الضغوط النفسية والاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة في محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة جامعة دمشق – المجلد23- العدد الثاني،سوريا.

17. -اللامي عبد الله حسين ، مسلام جبار صاحب، م.محازم موسى،(2005): السمات الشخصية و علاقتها بالاحتراق النفسي لدى مدربي كرة القدم، مجلة علوم التربية الرياضية، العدد الأول،المجلد الرابع، جامعة بابل،العراق.

18. النمر،سعود محمد(1994)،دراسة تحليلية لاتجاهات العاملين نحو مستوى ضغط العمل في القطاعين العام والخاص في المملكة العربية السعودية،المجلة العربية للإدارة،المجلد (16)، العدد(2)،المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة.

19. عسكر علي ،جامع حسن،الأنصاري محمد(1986)،مدى تعرض معلمي المرحلة الثانوية في دولة الكويت لزيادة الاحتراق النفسي، المجلة التربوية،العدد العاشر،المجلد الثالث، كلية التربية، جامعة الكويت.

20. لوكيا الهاشمي (2002). الضغط النفسي في العمل: مصادره، آثاره وطرق الوقاية، مجلة أبحاث نفسية وتربوية، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، جامعة قسنطينة،الجزائر.

21. مقابلة، نصر يوسف،(1966) العلاقة بين مركز الضبط والاحتراق النفسي لدى عينة من المعلمين، مجلة علم النفس، عدد39 ، السنة العاشرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الرسائل الجامعية

22. لميعه محسن محمد الشيوخ (2011)،الاحتراق النفسي لدى المعلمة وعلاقته بالاتجاه نحو مهنة التعليم (دراسة ميدانية على معلمات ثانويات مدينة القطيف بالمملكة العربية السعودية)،رسالة ماجستير في علم النفس،قسم العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك،السعودية.

23. الحيدري ،محمد سليمان(1995)،العلاقة بين الضغط النفسي و الرضا الوظيفي لدى العاملين في بنوك القطاعين العام والخاص بمدينة الرياض،رسالة ماجستير ،كلية التربية،جامعة الملك سعود،الرياض، السعودية.

24. النوشان، علي محمد(2003)، ضغوط العمل وأثرها على عملية اتخاذ القرارات: دراسة مسحية على القيادات الادارية في عدد من الأجهزة الأمنية والمدنية في مدينة الرياض،رسالة ماجستير،جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض،السعودية.

25. إياس راجح تميم (2011)، العلاقة بين الاحتراق النفسي والذكاء الانفعالي لدى العاملين في الرعاية الاجتماعية، دراسة ميدانية في دور الرعاية الاجتماعية الرسمية

والأهلية في محافظة دمشق، رسالة ماجستير في علم النفس، قسم الإرشاد النفسي كلية التربية جامعة دمشق.

26. بن زروال فتيحة (2011)، أنماط الشخصية وعلاقتها بالإجهاد (المستوى، الأعراض،المصادر، واستراتيجيات المواجهة،رسالة دكتوراه علوم في علم النفس العيادي،جامعة قسنطينة،الجزائر.

27. حسام محمود زكي علي (2008)،الإنهاك النفسي وعلاقته بالتوافق الزواجي وبعض المتغيرات الديموغرافية لدى عينة من معلمي الفئات الخاصة ، رسالة ماجستير في التربية، جامعة المنيا ، مصر.

28. نايف بن فهد التويم(2005)،مستويات ضغوط العمل وسبل مواجهتها في الأجهزة الأمنية،رسالة ماجستير في العلوم الإدارية،قسم العلوم الإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،السعودية.

29. -نوال بنت عثمان بن احمد الزهراني(2008)،الاحتراق النفسي وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى العاملات مع ذوي الاحتياجات الخاصة، رسالة ماجستير في الإرشاد النفسي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

30. القرني علي بن شويل(2000) ،الإعلام والاحتراق النفسي دراسة عن مستوى الضغوط المهنية في المؤسسات الإعلامية في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود ، الرياض/faculty.ksu.edu.sa/alkarni/الاعلام%20والاحتراق%20النفسيdoc.

http://www

31. الزيود نادر فهمي (2003)،إستراتيجيات التعامل مع الضغوط النفسية لدى طلبة جامعة قطر وعلاقتها ببعض التغيرات،مجلة رسالة الخليج العربي العدد 99،قطر.

www.abegs.org/sites/Research/DocLib2/2-99.doc

32. السبيعي،شبيب منصور(1999)،أثر ضغوط العمل على أداء ضباط الشرطة:دراسة مسحية تطبيقية على ضباط شرطة الرياض، قسم العلوم الادارية،جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،السعودية.

nauss.edu.sa/Ar/DigitalLibrary/ScientificTheses/Master/18.../default.asp

33. دخان نبيل كامل، الحجار بشير إبراهيم (2005)، الضغوط النفسية لدى طلبة الجامعة الإسلامية و علاقتها بالصلابة النفسية لديهم، مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإنسانية المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، الجامعة الإسلامية -غزة فلسطين.-

www2.iugaza.edu.ps/ar/periodical/articles/أ.%20بشير%20الحجار.pdf

المراجع باللغة الأجنبية

34. Alis D, Dumas M.et Poilpot-Rocaboy G. (2010), Risques et Souffrances au travail,Paris, Dunod.

35. Andre, Christophe et Lelord François (2000), L'estime de soi. Paris, Odile Jacob

36. Baudelot Christian et Callac Michel, (2003), Travailler pour être Heureux, Fayard.2003

37. Bernier, Diane., (1995), La crise du burnout. comment vaincre le syndrome de l'épuisement professionnel, Les éditions Internationales , Alain Stanké , Paris.

38. Bloch, H.and all (1997). Dictionnaire fondamental de la psychologie, Larousse, Paris

39. Bouchet H.(1998),« Que font les cadres ? », *dans (* Kergoat J., Boutet J., Jacot H.et Linhart D., *Le monde du travail, édition* la Découverte, Paris.

40. Burke Rory .J. & Richardsen AM. (1996), Stress, burnout, and health. Handbook of stress, medicine and health, CRC press,1996.

41. Bruchon-Schweitzer M., (2002), Psychologie de la santé , Modèles, Concepts et méthodes, Paris Dunod.

42. Canoui Pierre et Mauranges Aline. (2001),Le syndrome d'épuisement professionnel des soignants, de l'analyse du burnout aux réponses. 2ème edition Paris: Masson.

43. Cherniss Cary, (1995), Beyond Burnout: Helping Teachers, Nurses, Therapists and Lawyers Recover From Stress and Disillusionment, Rutledge Editor.

44. Dejours, C. (1998), Centralité ou déclin du travail ? In : Keogat, J., Boutet, J., Jacot, H.et Linhart, D. (1998),Le monde du travail, Paris : éditions La découverte.

45. Delbroock M. (2003),Le burn-out du soignant, la demande psychologique, de la latitude décisionnelle et du soutien social du «Job Content Questionnaire » de Karasek : résultats de l'enquête nationale SUMER », Santé Publique , editions de Book Université ,France.

46. Doron, R. et Parot, F. (1998). Dictionnaire de psychologie, PUF. Paris.

47. Freudenberger**.**HJ.(1987),L'épuisement professionnel : la brûlure Interne,Gaëtan Morin Editeur, Montréal, Québec.

48. Hellemans C.et Karnas G., (2000), Satisfactions et souffrances au travail, Dans Le stress professionnel: quels liens entre les contraintes au travail et les stratégies de coping ?,L'Harmattan, Paris.

49. Johnson.J & Hall E (1988),Job strain, work place social support, and Cardiovascular disease : a cross-sectional study of a random Sample of the Swedish working population. American Journal of Public Health.

50. Maslach,C.(1993), A multidimensional perspective in professional burnout: Recent developments in theory and research. Series in applied psychology: Social issues and questions., Philadelphia, PA, US: Taylor & Francis.

51. Maslach, Christina & Michael P. Leiter (1997), The Truth About Burnout: How Organizations Cause Personal Stress and What To do About It. San Francisco: Jossey-Bass Publishers.

52. Maslach,Susan E. Jackson,Michael &P. Leiter, (1997),Evaluating Stress, Maslach Burnout Inventory Third Edition, The Scarecrow Press, Inc. Lanham, Md., London 1997.

53. Pines Ayala M,Aronson et Kafry D.(1982),Le burnout: Comment ne pas se vider dans la vie et au travail, ed.Le Jour,Montréal.

54. Rey, A. et Rey-Debove (1992). Le petit Robert. Le Robert,Paris.

55. Selye H.,(1974),Stress, the reconstruction of the working life,Basic Books,New York.

56. Selye, H. (1956). The stress of life. New York : McGraw-Hill,(dans: Mangen Marie Helene (2007),étude du Burn Out Chez Les Médecins Généralistes Luxembourgeois, Thèse Doctorat En Médecine, N°2007pa0g019,Faculté de médecine Pierre et Marie Curie.

57. Sillamy N. (1983). dictionnaire usuel de psychologie, Bordas, Paris.

58. Thevenet M., (2000), Le plaisir de travailler, favoriser l'implication des personnes, Paris, Editions d'organisation.

59. Truchot, D. (2004).Epuisement professionnel et Burnout : Concepts, modèles et interventions, Dunod, Paris.

60. Veil C. (1959), «Primum non nocere ».Les états d'épuisement. Le concours médical, vol 6,n° 6, ,New York.(dans : Mangen Marie Helene (2007),étude du burn out chez les médecins généralistes luxembourgeois, Thèse Doctorat en médecine, N°2007pa0g019,Faculté de Médecine Pierre et Marie Curie.

المراهق المدمن على المخدرات و الأسرة" مقاربة نسقية"

ملخص

يتطرق هذا المقال إلى المقاربة النسقية الأسرية في تفسيرها لإدمان المراهق على المخدرات ولقد تضمن جملة من المفاهيم على صلة مباشرة بالنظريات القائمة خلف هذه المقاربة ومنها أساسا النظرية النسقية الأسرية والسبرنطيقة ونظرية التواصل والنظرية العامة للأنساق وتم توظيف مجموعة من المصطلحات النسقية لتفسير إدمان المراهق على المخدرات منها الخرافة الأسرية و النماذج المرضية العبر جيلية والتشوهات التي تصيب عمليات التواصل بداخل النسق الأسري ولقد حاولنا تكييف النماذج النظرية النسقية وإسقاطها على الأسرة الجزائرية التي تعاني مشكلة إدمان أحد مراهقيها على المخدرات.

أ. نورالدين مزهود

كلية علم النفس وعلوم التربية
جامعة قسنطينة 2
الجزائر

Résumé

Dans cet article est exposée l'approche systémique explicative de la toxicomanie chez l'adolescent. Un ensemble de notions y sont traitées, en relation avec les principales théories sous-jacentes à cette approche, telles que la théorie systémique familiale, la théorie générale des systèmes, la cybernétique et la théorie de la communication. En outre, ce modèle théorique systémique n'est pas considéré comme tel, mais adapté à la situation de la famille algérienne dont l'un de ses adolescents souffre de toxicomanie.

مقدمة

يشكل إدمان المراهق على المخدرات أحد أعقد المشكلات الصحية والاجتماعية لما له من أثار مدمّرة على الفرد والمجتمع و ما يزيد المشكلة خطورة هو محدودية نجاح بروتوكولات التكفل بها سواء النفسية منها أم الطبية مع الارتفاع المستمر في عدد المتعاطين لهذه المواد على كثرتها و تنوعها ولقد أولى العلماء على اختلاف مشاربهم اهتماما بالغا بالموضوع و كان لعلم النفس من ذلك باع طويل من خلال مختلف النماذج النظرية التي قدّمها على امتداد أكثر من نصف قرن محاولة منه الوقوف على الأسباب الكامنة من وراء هذا الاضطراب في حين كانت المقاربة البيو عصبية ترى في الإدمان نتاج خلل بيو كيميائي يجعل الفرد ذا هشاشة تحفّز لديه الاستعدادات للإدمان .

أمّا التحليل النفسي فيرى أن الإدمان هو نتيجة اضطرابات نفسية نشأوية أين تلعب الصدمات والاحباطات المبكّرة أدوارا رئيسة في الدفع بالفرد إلى الإقبال على تعاطي

© جامعة قسنطينة1 ، الجزائر 2013.

المخدرات لتحقيق الإشباع و تجنب الألم وبذلك يحقّق أحد ركائز الحياة النفسية (مبدأ اللذة) ولكن الوسيلة في ذلك منحرفة إلا أنّ هذه المقاربات ومن خلال تقنياتها العلاجية لم تفلح في السيطرة على الظاهرة و التي أصبحت بمثابة مشكل للصحة العمومية على المستوى العالمي مما يطرح الكثير من التساؤلات عن وجود أبعاد أخرى لم تأخذ بعين الاعتبار سواء على المستوى النظري أم العلاجي، وعليه يرى العلماء أنّ البعد الأسري للظاهرة التي نحن بصدد ذكرها هو بعد جوهري في تكوينها و يشكل هذا الإقرار لب المقاربة النسقية الأسرية سواء في بعدها النظري أم العلاجي لتبقى الأسرة من هذا المنظور الوحدة الأساسية و هي الحاضنة الأساسية لكل عمليات التنشئة الاجتماعية التي تحول الإنسان من كائن بيولوجي إلى كائن نفسي ثقافي اجتماعي. لذلك لا يمكن مقاربة الإنسان خارج هذا النطاق أي النسق والذي يمتاز بجملة من الصفات الدينامية والبنيوية بحيث أن النسق منظم ومنفتح ومعقد ويشكل التواصل روحه التي لا يمكن الاستغناء عنها كما أنّه في تغير مستمر مع الحفاظ على استقراره وهويته وهذا يعني أنّ النسق له توجهان متناقضان من جهة ضرورة التغيير ومن جهة أخرى ضرورة الحفاظ على الاستقرار ولا يتسنى الجمع والتوفيق بين هذين التوجّهين إلا من خلال مجموعة من الآليات التعديلية لعل أهمها ما يطلق عليه بالتغذية المرتدة والأسرة من هذا المنظور ينطبق عليها ما ذكرناه على الأنساق العامة وأنّها تعمل انطلاقا من هذه القوانين السبرنطيقية والتواصلية وأن الاضطرابات المرضية التي تصيب فردا من أفرادها أنما هي في الحقيقة اضطرابات تخص الأسرة من هذا المنطلق لا يكون التكفل بالفرد ناجعا إلا من خلال وضعه في إطاره النسقي الأسري

أهم المفاهيم المقترنة بالإدمان على المخدرات

الإدمان على المخدرات مفهوم متعدد الأبعاد ما أفرز العديد من التعاريف إذ أنّه حل اليوم مفهوم التبعية "addiction" محل الإدمان على المخدرات "toxicomanie" كما نجد في الكثير من المؤلفات حول ظاهرة الإدمان مصطلح التصرفات الإدمانية " conduites additives " ويدخل ضمن هذا المصطلح كل من تعاطي المخدرات والكحولية واللعب المرضي القمار والجوع المرضي و القهم العقلي وما هو متفق عليه إن كل حالة إدمان تولد لا محالة تبعية و خضوعا نفسية وجسدية dépendance et Assuétude لمستحضر طبيعي أو تركيبي

ولقد جاء في القاموس الانجليزي Webester's new international dictionary إن الإدمان هو علاقة التبعية والخضوع لمستحضر ذي انتحاء نفسي يستحوذ على الفرد ويجعله دائم البحث عنه، و في السياق نفسه ذهب (Olievenstein.1982) إلى اعتبار الإدمان ذلك الاستعمال اليومي أو الشبه يومي لمستحضر ذي انتحاء نفسي ثم الانتقال الى مستحضرات أخرى إلى أن يصبح مرهونا لها.

أمّا المنظمة العالمية للصحة وبوصف الإدمان على المخدرات مشكلا يخص الصحة العمومية لم تتخل عن تعريفه وإبراز الأبعاد والعواقب الناجمة عنه حيث جاء في تعريفها للمصطلح على أنّه حالة نفسية وفي بعض الأحيان فيزيولوجية تنجم عن التفاعل بين الفرد المتعاطي والمستحضر دي الانتحاء النفسي ما يؤدي إلى تغير في السلوك علما أن المدمن قد يرتبط بعدة مستحضرات في آن واحد Valeur et (Matysiak,J.c 1999) كما تجدر الإشارة بهذا الصدد إلى مصطلح لا يقل أهمية كونه يرتبط وظيفيا بالإدمان وهو الفطام الذي غالبا ما يؤدي إلى أعراض مرضية تعبر عن المعاناة النفسية التي يتذوقها بمجرد التفكير في الإقلاع ويعاني الألم إذا أقدم على ذلك من تلقاء نفسه مما يستوجب عليه طلب المساعدة و التكفل لتحقيق ذلك تحت رقابة علاجية.

أما من الناحية اللّغوية فقاموس "Le Grand Larousse " يرجع أصل مصطلح الإدمان على المخدرات Toxicomanie إلى الكلمة اليونانية التي تتركب من مفردتين وهما Toxikon والتي تعني التسمم و Mania التي تعني هوس وبجمعهما يصبح المعني هوس التسمم أمّا مصطلح التبعية Addiction فقد استعمل من طرف الرومان في مجال القضاء للدلالة على الرجل الذي فقد مركزه الاجتماعي بفعل دين يعجز عن سداده فيصبح عبدا للدائن ويطلق عليه Addicté Fernandez et Catteeuw,M,p2OO2,p.19

النظريات الرئيسية في مقاربة ظاهرة الادمان

نظريتي التحليل النفسي والمعرفية

يعد الإدمان على المستحضرات ذات الانتحاء النفسي مشكلا جديا وذلك لما يطرحه من تحديات على مختلف النظريات التي تتعدد مقارباته للظاهرة وبالرجوع إلى التحليل النفسي يرى إن الإدمان لا ينطبق عليه فكرة إن كل مرض مربوط ببنية مرضية عصابية أو دهانية أو منحرفة مما يعني إن الإدمان يخرج عن هذه القاعدة ويقول (Bergeret 1981,P.17) «لا وجود لأية بنية نفسية عميقة وثابتة خاصة بالمدمن بل إنّ أيّ واحدة منهم قد تكون مصحوبة بتصرفات تبعية» بل إن المدمن إضافة إلى التبعية للمخدرات يعاني من اضطراب عصابي أو دهاني وهذه الحالات يطلق عليها بالتشخيصات المزدوجة كما أنّ المدمن على المخدرات قد لا يعاني من أي اضطراب ماعدا الإدمان على المخدرات هذه الحالات المختلفة تطرح تساؤلات حول ماهية القوى اللاشعورية التي تحفز الإدمان أما فيما يخص المقاربة المعرفية فترد الإدمان على المخدرات إلى التشوهات التي تصيب الرسيمات المعرفية المخزونة في الذاكرة الطويلة المدى "Beck" التي تتحول إلى معتقدات لا عقلانية ذات شحن وجداني مركزة حول الآثار السحرية للمستحضر ذي الانتحاء النفسي.

النظرية النسقية الأسرية

قبل التطرق إلى الإدمان على المخدرات لدى المراهقين من منظور نسقي يجدر بنا ذكر معالم المقاربة السالفة الذكر للظواهر النفسية المرضية.

تعد النظرية النسقية نتاج ثلاثة ميادين علمية و هي السبرنطيقة التي تعني علم التحكم والبرمجة ورائدها(Wiener) والنظرية العامة للأنساق Vanbertalanffay التي تهتم بكل ما يتعلق بعمل الأنساق باعتباره نظاما مبنيا على التواصل و القدرة على تعديل ذاته و نظرية التواصل Bateson التي كشفت مدى أهمية المعلومة في عمل كل نسق بيولوجيا كان أو إنسانيا أو اجتماعيا تحدد المعلومة دلالة الوضعية الإنسانية وما أعمال مدرسة " ببالو ألتو" فيما يخص الإدهنة الطفلية إلاّ خير شاهد على أهمية التواصل في تحديد السلوكيات المرضية بداخل الأسرة وأي تشوه يصيب عملية التواصل يؤدي بالضرورة إلى إفراز اضطرابات نفسية والأسرة من هذه الزاوية عبارة عن مجموعة من العناصر في علاقات تفاعلية غير منتهية بحكم قانون المفعول الارتجاعي " Rétroaction" كما تتميز الأسرة كنسق باحتوائها سلفا على غايات متساوية "Equifinalite " تسعى إلي تحقيقها خلال مختلف **دورات حياتها** مع امتلاكها القدرة على تعديل ذاته بذاته "Autorégulation" حسب ما تفرضه الظروف الداخلية و المحيطة وذلك بواسطة ميكنيزمات **التعديل** التي تضم كل من **المفعول الارتجاعي** السالب والايجابي، والأنساق بالضرورة مفتوحة ما يمكنها من تبادل المعلومة والطاقة مع وسطها و يسمح لها بتحقيق التطوّر والتغير المستمر وبذلك فالأسرة حسب هذه المقاربة تعد نسقا بامتياز ينطبق عليها ما ينطبق على الأنساق بصفة عامة. وينسب في علم النفس المرضي الأسري الاضطراب للأسرة وليس للفرد فيقال **عرض أسري** بدل عرض فردي والعرض من هذه الزاوية مهما كان فإنه بمثابة مؤشر عن مدى الصعوبات التي تواجه الأسرة في حياته النفسية الاجتماعية يطلق على هذه الصعوبات مصطلح عسر الاشتغال الأسري " Le Dysfonctionnement Familial" من خلال هذه المعطيات ترى مختلف مدارس العلاج الأسري أن السبيل الوحيد في معالجة أي عرض يكمن في فهم الكيفية التي تشتغل بها الأسرة كنسق تواصلي تحكمه مجموعة من القواعد و بهذا ينصب البحث على الأسرة باعتباره (كل) فإذا كانت مثلا عملية التواصل يشوبوها خلل ما كأن تقع في الأنماط المتطرفة من التواصل على غرار التواصل المفارقة " communication paradoxale"الذي يفضي إلى وضع النسق الأسري بأكمله في وضعيات صعبة و مستحيلة ينجم عنها الدفع بفرد أو أكثر من الأسرة نحو الأمراض العقلية كما هو الحال في الأسر ذات الأطفال الخلويين "Autiste" وما أعمال باتسون (Bateson)(وفات سلفيك Watzlavick) في هذا الشأن إلاّ أحد النماذج عن ذلك والأسرة بوصفها امتدادا طبيعيا لأسرة أصلية سبقتها وترتبط بها عن طريق الانتماء والهوية الأسرية التي تنتقل من جيل إلى جيل عبر الخرافة الأسرية و النماذج السلوكية عبر الجيلية كل هذه العوامل تأثّر على حال الأسرة الراهن وذلك عبر مجموعة من الميكنيزمات اللاّشعورية العديدة نسرد منها ممارسة التأنيب على المراهق لكي

يتحمل مسؤولية أسرية ويأخذ بذلك مكان الأب و يجبر على ذلك بداعي الولاء مما يحقق للأسرة ما يطلق عليه بالتضحية (كبش الفداء) الذي يعد من الآليات الرئيسية في إدخال الأسرة في عالم الاضطرابات العقلية عموما والإدمان على المخدرات بوجه خاص كما أن للخرافة الأسرية ذات المحتويات المنحرفة والمتناقلة من جيل إلى جيل دورا فعّالا في تعزيز عمليات تماهي المراهقين لمحتوياتها و الدفع بهم إلى تجسيدها في سلوكيات منها تعاطي المخدرات.

إن فهم كيفية اشتغال الأسرة كنسق يساعدنا في رسم الطريق الذي يشقه عرض إدمان المراهق على المخدرات بداخل الأسرة ويقول كفافي ع،1999، ص 190 «على المعالج أن يعرف خصائص النسق الأسري إضافة إلى ضرورة معرفته لطبيعة القواعد في النسق الأسري ومدى مرونتها ووضوحها ونصيب النسق الأسري من الاتزان وميكنيزمات الحفاظ عليه بما في ذلك التغذية الرجعية».

كيف تشتغل الأسرة ؟

الأسرة نسق يتسم بالتفاعل والتواصل المستمر فيما بين الأفراد المكونين له وبيئته، وبذلك تحقق الأسرة المبدأ النسقي الذي مفاده أن الكل أكبر من أجزائه أي إن الأسرة ليست مجموع الأفراد المكونين لها بل إنها أكبر من ذلك. والأفراد المكونين للأسرة تربطهم علاقة تأثير وتأثر مما يجعلها مسرحا لعمليات تفاعل نفسية واجتماعية وتواصلية معقدة فضلا عن ما تحمله الأسرة من غايات ثابتة تسعى إلى بلوغها من خلال بعض الآليات منها الفعل الارتجاعي الذي يمكنها من تحقيق التكيف مع مختلف الأحداث التي تمر بها ولا تفقد توازنها واستقرارها واللّذين يعدان من أهم شروط بقاء الأنساق على قيد الحياة و يقول Caille,P, 1985,p.42 « شأن الأسرة ككل نسق حي تحدث تغييرا وتحويلا للعناصر المكونة لها وبالتالي تتحول هي بدورها من دون أن تفقد هويتها وأهدافها « ولكن في الكثير من المواقف تلجأ الأسرة إلى تعديل سلوكيات أفرادها حسب مبدأ التوازن والاستقرار واللذين إن أصبحا هما الغاية في حد ذاتهما بغض النظر عن الكيفية و الثمن مقابل ذلك تدخل الأسرة في الانحراف مما يجعلها أسرا غير سوية تعاني عسر الأداء الأسري وذلك هو موضوع علم النفس العيادي الأسري.

الإدمان على المخدرات من منظور نسقي أسري

رصد الباحثون العديد من العوامل التي تؤدي إلى إحداث اضطرابات في مختلف الوظائف الأسرية الذي يفضي إلى تشوهات خطيرة تمس اشتغال الأسرة ما يجعلها بيئة مثالية لإنتاج الانحرافات و الأمراض باختلاف أشكالها وأنماطها وتقول كل من(Angel.s et Angel , p 2005,p.27) «وجب أن يكون واضحا أنه ليس بالإمكان

إيجاد العلاقة السببية للإدمان على شاكلة حادث ما يرد إلى الطفولة بل إن العديد من العوامل قد تؤدي إلى الشيء نفسه على غرار الصدمات والحرمان العاطفي والإهمال والاعتداءات الجنسية إلى غير ذلك من العوامل» وما يهمنا في هذا المقام هو أن الإدمان باعتباره سلوكا غير سوي ليس من السهل معرفة العامل المباشر الذي يؤدي إليه، بل إنّه ليس مطلوبا من منظور أسري البحث عن ذلك لأنه وبكل بساطة لا يمكن أبدا الوصول إليه ولكون الأسرة نسقا مفتوحا يحتوي على عمليات تواصلية غير متناهية ما يجعل منها نسقا بالغ التعقيد ويصبح البحث عن السبب غاية لا يمكن إدراكها وعوض ذلك يكون البحث موجها نحو ما يسمى بشبكة العلاقات الأسرية التي إذا تمكنا من فهم عملها يصبح بالإمكان تغير تفاعلاتها وبالتالي السيطرة على السلوك المنحرف والتأثير عليه مهما كان هذا السلوك إدمان على المخدرات أو خواف أو خلوية. إنّ تصرفات الأسرة المختلفة ليست فقط حصيلة العوامل الآنية بل إن لتاريخ الأسرة المتمثل في الأحداث الماضية دور فعال في تحديد سلوك الأسرة الآني والذي يبرز من خلال العوامل الجيلية التي عمل عليها كثيرا العالم و المعالج ناجي (Nagy) وهي عوامل تمتد جذورها في تاريخ الأسرة ولديها من القدرة البالغة في التأثير على العلاقات وأنماط التواصل بداخل الأسرة وهي كفيلة بتحفيز الكثير من الاضطرابات النفسية بصفة عامة والإدمان على المخدرات بصفة خاصة ويتم ذلك عبر آليات نفسية أسرية لا شعورية غالبا ما تكون عبارة عن "دين أسري يتم تسديده من خلال التضحية بأحد أفرادها والحافز النفسي في ذلك هو وجوب الطاعة و الولاء من طرف المراهق المعين اتجاه أسرته وأن الفرصة سانحة ليظهر مدى ولائه و طاعته وغالبا ما يكون سلوك المراهق هذا مدفوع بفعل مناخ أسري يضغط عليه في تجاه تقديم نفسه فداء و يكون ذلك على حساب مستقبله ويتجلى هذا السلوك من خلال إقدامه على أخذ مركز الأب أو إن البنت تأخذ مركز الأم وما يلاحظ في الغالب أن ما يلي هذه الخطوة هو التوقف عن الدراسة والشروع في مزاولة عمل ما بدافع وجوب مساعدة الأسرة لأن الأب أصبح متقاعدا ولا يمكنه تلبية حاجيات الأسرة أو أنّه كحولي لا يستطيع تحمل مسؤولياته الأسرية مما يستوجب عليه أخلاقيا فعل ذلك بدل الأب وبذلك تتغير مورفولوجية الأدوار الأسرية ما يفرز علاقات جديدة بحيث تصبح الأدوار على أثر هذا معكوسة مع ما يرافق ذلك من تغيرات على جميع الأصعدة و لعل أول تظاهر لهذه التغيرات يكمن في توقف المراهق عن إبداء سلوكياته المعتادة والمتمثلة في حراكه المتواصل قصد الحصول على قدر من الاستقلالية و بناء ذاته كشخص متفرد له خصوصيته و حدوده التي يشعر من خلالها بهويته و بنوع من الانفصال الوجداني عن الأسرة عوض هذه الحركية التي تأشر على أن المراهق والأسرة على حد السواء هما في صيرورة سوية فإنّه يصبح يبدي سلبية تقارب المرضية إلى حد تشبيهه إنه أصبح بدون روح مع كل هذه التغيرات على سلوك المراهق تقوم الأسرة عبر الأم أو الإخوة أو الأب وحتى الأقارب والجيران بمدح سلوك المراهق والثناء عليه كأن يقال إنه رجل و ليس طفلا إنه قوي إنه متخلق هذه السلوكات تعد من الاستراتيجيات التي تحاول الأسرة من خلالها المحافظة على

الدور الجديد للابن المعين (الضحية) وبذلك تجرده من كل خصوصياته كمراهق له حاجات نوعية هذه العلاقة التي تصنف بالمرضية تجعل من المراهق مجرد شيء وبالتالي حرمانه من التعبير عن ذاته وبالأخص عن ألمه واحباطاته وما يزيد المشكلة تعقيدا تماهي المراهق مع هذا الدور من منطلق الولاء ما يضعه في وضعية علائقية منخفضة Position Basse وتأخذ الأسرة كنسق وضعية علوية " Position Haute" مع عدم التبادل على هذه الوضعيات مما يفضي إلى تصلب في الوضعية التواصلية بل إن كل النسق يصبح متصلب إلى درجة أنه يلغي المراهق الضحية كفرد له حاجات نفسية واجتماعية بل يصبح ما تريده الأسرة فقط هو ما يجب أن يكون عليه المراهق وتعتبر هذه الوضعيات من أخطر أشكال الاختلالات التي تصيب النسق الأسري إذ تتسبب في إلغاء ما يطلق عليها الحدود الجلية والتي هي في واقع الأمر حدود تفصل الأجيال عن بعضها وتسمح بالتطور و التغير بداخل الأسرة ولكن تميّع هذه الحدود بين الآباء والأبناء يجعل من الأسرة عبارة عن كتلة واحدة غير متمايزة وذلك يعني تقلص في فرص الأسرة لبلوغ سبل النمو والتطور مما يوحي أن أفرادها بالضرورة غير ناضجين يعانون شتى أنواع الألم النفسي الذي يكون بمثابة مصدر توتر لأسرة كنسق الشيء الذي يدفعها للبحث عن الآلية للتقليل من التوتر وتخفيف الألم ولا يكون أمام هذه الأسر المضطربة من مخرج سوى الوقوع في الاستراتيجيات المرضية كآلية تعديل وما حالات الدفع بالمراهق إلى أخد دور الأب إلا واحدة من هذه الاستراتيجيات التي تدل على مدى الاختلال الوظيفي الذي تعانيه هذه الأسر وإنها غير قادرة على التكيف والتغير ولا تستجيب مع ما يصيب أفرادها من معاناة نفسية بطريقة ايجابية وأفضل مثال على ذلك حالات المراهقين المدمنين على المخدرات الذين يصبحون صمام الأمان لهذه الأسر من الانفجار أما على مستوى المراهق فإن السبيل الوحيد لديه هو البحث عن وسيلة لتخفيف وإزالة الألم الذي يعانيه و بفعل انحراف الأسرة كنسق عن المسار السوي وتضحيتها به فيلجأ للتعاطي المواد ذات الانتحاء النفسي كآلية تخديرية للألم النفسي الناتج من افتقاده قدرة التعبير عما بداخله من احباطات و مكبوتات وفي مثل هذا النموذج الأسري يأخذ المستحضر المخدر مكانة بداخل النسق الأسري ويصبح له دور بداخلها فبالإضافة إلى كونه يخفف من ألم المراهق ويعطيه الحرية التي لا يستطيع بلوغها لأنه واقع تحت الالتزامات التي أخذها على نفسه وذلك لكونه كبش الفداء كما أنّ المستحضر ذي الانتحاء النفسي يسهم في تحقيق هدف استراتيجي وهو إبقاء المراهق خاضع وتابع للأسرة وتحجيم محاولات الاستقلالية والانفصال التي تعد خطرا نسقا وليس صدفة أن المدمنين هم أشخاص يمتازون بشدة الارتباط بأسرهم والملاحظات العيادية في هذا الصدد تؤكد ما نذهب إليه في هذا المقام .

كما أن لتاريخ الأسرة من منظور نسقي تأثيرا شديدا على أفرادها وعلى الحالة الصحية للأسرة بمفهومها الواسع ويبرز مدى أهمية هذه الجوانب من خلال ما يطلق عليه في أدبيات العلاج الأسري النسقي بالنماذج العابرة للأجيال وهي تلك الأنماط

السلوكية التي تنتقل من جيل الى جيل وتطبعه بها مما يستوجب الأخذ بعين الاعتبار هذه العوامل خلال عملية التكفل بالأفراد ذوي السلوكيات المرضية عموما والإدمان على المخدرات بالخصوص علما أن الإنسان من أكثر الكائنات تمسكا بالحياة الأسرية لأنها الملاذ الذي يؤمن الأمان من الخوف والقلق وبذلك تأخذ الحياة الأسرية مكانة وجودية و عليه لا يمكن التفكير في الشرط الإنساني خارج حقيقة وجوده بداخل أسرة هذه الأخيرة تمارس تأثيرا على سلوك أفرادها يمتد إلى أجيال وأجيال كما أن شكل التنظيم الأسري و طبيعة التواصل ومدى تفتح أو تصلب البنية الأسرية هو الذي يحدد مستقبل أفرادها أي الأطفال والمراهقين كونهم أفرادا تحت الوصاية حتى يتمكنون من تحقيق الاستقلالية و الانفصال واكتساب هوية والمراهق هو الشخص الأكثر حساسية بحكم المراهقة التي يكون جوهرها هو ارتفاع وتيرة النزعة لتحقيق نوع من التباعد عن الوالدين و إبداء معارضة لقانون الأب ومحاولة إبراز مدى اختلافه عنهما كل هذه السلوكيات هي من صميم أزمة المراهقة و التي تعتبر بمثابة دورة حياتية للأسرة لها من الأهمية في تحديد مستقبل المراهق و الأسرة على حد السواء ولكن طريقة معايشة الأسرة للمراهقة تختلف من واحدة إلى أخرى وذلك حسب خصوصية كل واحدة في هذا المجال يلعب تاريخ الأسرة دورا محوريا في تحديد دينامية التفاعلات بداخلها ونخص بالذكر ما يطلق عليه بالنماذج السلوكية المرضية العابرة للأجيال و التي إن وجدت فإنها تلعب أدوارا سلبية في حياة الأسرة وتعرضها لما يطلق عليه بسوء الأداء الوظيفي.

النماذج السلوكية المرضية العابرة للأجيال و الإدمان

الأسرة نظام ذو بنية فيزيائية حقيقية و شبكة تواصل إلا أن أهم ما يميزها هو تلك الامتدادات العمودية والتي من خلالها تبقى في اتصال مع ما يطلق عليه بالأسر الأصلية السابقة بل إن اتصال الأسرة قد يمتد إلى عدة أجيال سابقة وما يقول المختصون في هذا الميدان إن انتقال سلوك ما قد يمتد على مدى ثلاثة أجيال الأمر الذي ينطبق على الأسرة الجزائرية التي حرصت على بقاء تقاليدها العريقة المتميزة في هذا السياق بمنح كل عضو من أعضائها مقام و دور معينين مؤسسة بهذه الكيفية شبكات تواصل يعرف كل عضو الأسلوب الذي يجب تبنيها للاحتفاظ باستمرارية الدينامية العلائقية وبذلك يكون لنماذج السلوكية المرضية عبر الجيلية مساهمة كبيرة في إرساء تنظيمات أسرية ذات منحى مرضي ويحدث ذلك لكون الأسر الأصلية قد عانت من صعوبات وإشكالية علائقية بسب هذا العامل أو ذاك و تفشل هذه الأسر في غالب الأحيان في تسيير الأزمات التي تصيبها لأنها تفتقد الإمكانات النفسية والمرونة اللازمة لذلك وتزيد نسبة الفشل إذا تعلق الأمر بمواضيع ذات حساسية كأن تكون محظورة اجتماعيا ما يجعل من مناقشتها أمرا عسيرا إن لم يكن مستحيلا والأسرة ككيان نفسي اجتماعي مطبوع بتمثيلات المخيل الاجتماعي اضافة الى امتلاك بطارية من ميكنيزمات التعديل الذاتي والخافضة لضغط الناتج من مختلف حالات التهديد و الاجهاد ولكن غالبا ما تكون الاستراتيجية الدفاعية غير كافية

لإزالة ما أصاب الأسرة من أزمة بل تكتفي هذه الميكنيزمات بتخفيف الضغط أما المشكلة فتظل مطروحة و تحمل الأسرة كونها نسقا ميكنيزمات التعديل الذاتي التي توظف بالضرورة أثناء فترة الأزمات كي تقلل من تأثيرات الأزمة التي أصابتها ولكن ليس بالمستوى الذي يجعل من الإشكالية النفسية المطروحة على الأسرة محلولة تماما وفي هذا الشأن تجدر الاشارة من منظور جيلي أن الحادثة عينها قد تفقد أو تكبت في مستويات نفسية عميقة جدا لكن ما يطفو على السطح هو الآلية الدفاعية المستعملة لمعالجة المشكلة الأصلية ويعد الادمان على المخدرات من بين السلوكات التي ترفضها الأسرة بل تذهب الى حد كتمانها كآلية للاحتفاظ بواجهة تدل على الاستقرار والتماسك فالأسرة التي تتعرض لمشكلة من هذا القبيل لا يكون لديها الكثير من البدائل في معالجة القضية لأنها ترتبط بتمثيلات اجتماعية تتجاوز أفق الأسرة وترتبط بقيم لها علاقة وطيدة بالأركان النرجسية المكونة للأسرة كهوية وكذلك للأفراد المكونين لها فمفهوم الشرف عند الأسرة الجزائرية له من العمق في نفسية الفرد والأسرة على حد السواء ما يجعل منه عنصرا نشوئيا ولبنة في البناء النرجسي لهذه الأخيرة لذلك إن القضايا المتعلقة بالإدمان تكون من العناصر التي تحدث أثارا عميقة و عنيفة على الأسرة لما لها من دلالات تمس بشرف الأسرة و قيمها انطلاقا من هذا فإن الإدمان على المخدرات إذا ما حل بساحة الأسرة فإنّه يحمل بوادر فك البناء الأسري الذي يؤدي الى بروز صراعات علائقية قد تكون في مستوى شعوري أو غير شعوري يتعذر على الأسرة فهمها وحلها بطريقة تضمن استمرار استقرارها و نموها كهدفين استراتيجيين لها. يحمل السلوك الإدماني على المخدرات من العنف و الصدمية ما يجعل الأسرة تبدي عجزا في معالجته لذلك غالبا ما تلجأ إلى استعمال استراتيجيات دفاعية تقترب أكثر إلى الإنكار وفي السيناريو الذي ذكرناه تلجأ الأسرة إلى الكتمان الذي يعد من الاستراتيجيات الدفاعية الأكثر استعمالا والأكثر كلفة للاقتصاد النفسي لأسرة والكتمان كآلية دفاعية هو محاولة فصل اللغة كأداة للتواصل عن فعل ملموس يصنف أنّه عمل إجرامي في معايير وثقافة المجتمع أو الأسرة وفي حال الإدمان على المخدرات فإنّ الاستراتيجية الدفاعية الأسرية تلجأ الى الانشطار le clivage الذي يعد من الميكنيزمات التي تدخل ضمن دائرة الانكار وهو غير كفيل بتطهير وإزالة ما نتج من ضرر على النسق الأسري بل على العكس سيكون بمثابة عامل يزيد من تأجيج الألم والمعاناة كونه لا يسمح للأسرة وأفرادها من التعبير عن ذواتهم وعن ما أصابهم لإيجاد فضاء للتفاعل البيني كفيل بتحفيز استراتيجيات أكثر فعالية ونفعية في معالجة ما يصيب النسق الأسري من مشاكل ومعوقات.

الكتمان باعتباره إستراتيجية دفاعية تهدف إلى الحفاظ على الأسرة ولكن هذه الغاية جد مكلفة من الناحية الاقتصادية النفسية ومن أثار الكتمان على الدينامية الأسرية التي وقعت من خلال فرد أو أكثر من أفرادها في الإدمان إنّه يتحول من كونه حادثا إلى سر أسري لا يتداول حتى داخل الأسرة نفسها ليصبح بمثابة الموضوع الذي لا

يعبر عنه ولكن يفصح عنه في جميع تصرفات أفراد الأسرة والإدمان باعتباره عرضا أسريا "un symptôme " جاء لكي يضمن استقرار الأسرة ثم إنه سرعان ما يتحول من حدث إلى سر مما يلزم أفراد الأسرة أخلاقيا إلى الإبقاء عليه كذلك وإنّ أي بوح يعد بمثابة خيانة لكن و بمرور الأجيال فإنّ الحادث سوف ينسى وما ينتقل كنموذج سلوكي أو ضابط لسلوك داخل الأسرة هو مجموعة من القواعد و الصفات التي تكون ملزمة لأفراد الأسرة في تصرفاتهم وسلوكاتهم الاجتماعية بل إنه تصبح لدي بعض الأفراد بمثابة طبع " caractère " والمشكلة من الناحية الإكلينيكية الأسرية أن هذه النماذج السلوكية التي انتقلت من جيل إلى جيل هي نماذج غير متكيفة و مرضية ووجودها ضمن موروث الأسرة النفسي والاجتماعي يكون بمثابة عامل خطر حقيقي في أحداث تفاعلات مرضية بداخل الأسرة والتي سيكون أحد أفرادها أو أكثر ضحية لذلك، إن النموذج السلوكي العبر جيلي و الذي وظف من أجل معالجة صعوبة بعينها ولكونها إستراتيجية دفاعية غير فعالة مثال ذلك الكتمان والذي كما قلنا هو عبارة عن وضع حاجز يمنع الأسرة كنسق حي ومتفاعل من إيجاد بدائل سلوكية وتواصلية صحيحة و النتيجة أن الكتمان يصبح نموذجا مؤطرا لسلوكيات الأسرة الأصلية وبما أنه مشكل غير محلول فإنه يعبر إلى الأجيال التالية ليكون بذلك عاملا من العوامل المساعدة في إرساء علاقات مرضية بداخل الأسرة بحيث تورث الأسرة الأصلية للأسرة الحالية صفة كتمان الألم وعدم محاولة التعبير عن الذات والمشاركة لأنه حسب قيم الأسرة الأصلية التعبير عن الذات ومحاولة الإفصاح عن ما يعتري النفس من ألم وهم يعد شيئا سلبيا ومسيئا للأسرة والفرد على حد السواء إنّ وجود مثل هذا النموذج السلوكي المرضي يجعل من أفراد الأسرة و خاصة أولئك الذين يكونون في مراحل هشاشة كفترة الطفولة والمراهقة عرضت إلى الوقوع في أتون الاضطرابات النفسية فالمراهق الذي يجد نفسه في مرحلة أهم ما تتميز به هو سيل من الضغوطات داخلية ذاتية وخارجية وسطية ويكون مجبرا على إيجاد التوفيقات بينها فهو من جهة أصبح يطوق إلى الاستقلالية عن سلطة الآباء والتطلع إلى مراكز وأدوار أسرية واجتماعية تجعله راشدا لكن وبفعل النماذج السلوكية المرضية التي ورثتها الأسرة وورثتها لأسباب نفسية أسرية الغاية منها الحفاظ على الاستقرار فإن المراهق بداخل هذه الأسر لا يستطيع التعبير أو البوح عن الصعوبات الوجدانية والعلائقية التي يصادفها في وجهه وما أكثرها ما يجعل منه يتألم بمفرده امتثالا للقواعد و القيم الأسرية التي ذكرناها إن هذه الأسر تكون عاجزة عن بناء ما يطلق عليه بالتحالفات الأسرية و التي تأتي كاستجابة لطلب خاص قصد معالجة وضعية نفسية معينة بل إن هذه الأسر لا تعترف بمعاناة المراهق ما يجعل منه يواجه جل الصعوبات و المعاناة و الإحباطات بمفرده وهذا يحول المراهقة نفسها الى ألم نفسي حاد لا يمتلك المراهق في مواجهتها الوسائل الفعالة و المتكيفة مما يحدث آثارا سلبية على نموه و يجعل منه فردا هشا للغاية ذا قابلية أن يقدم نفسه كبش فداء أو أن يكون عرضا أسريا من خلال إلباسه اضطراب ما أو إدمانا على المخدرات و بتعبير آخر يكون المراهق في مثل هذه الأسر المرشح المثالي لتقبل

عرض إدماني ليمكن الأسرة من الاستمرار ولو على حساب المراهق و ذلك هو منطق النسق.

إن هذا النموذج الأسري يعتبر الأكثر نمطية في إفراز التعاطي على المخدرات عند المراهقين لأنه من الناحية الإكلينيكية فالأسرة وعبر عملية التنشئة تمارس ضغطا على أفرادها يتم عبر آليات عديدة منها ما هو ناعم كتأثير عبر الإيحاء والمدح ومنها ما هو خشن كالتعنيف والتأنيب ومنها ما يتم عبر عمليات اشتراطيه كأن تشترط الأسرة عبر خطابها وسلوكاتها أنّ الطفل المثالي والذي يستحق حب والديه وإخوته هو الذي يتصف كما كان آباؤه وأجداده دائما بالتحفظ وعدم استعراض مشاعره وأحاسيسه حتى و إن كان يتألم وأنه لا يبوح بأي شيء. هذا النموذج من الأسر التي تعد ضحية نماذج سلوكية مرضية انتقلت عبر الأجيال و تحمل في طياتها موروثا و قضايا لم تجد لها الأسر الأصلية حلا فتدفع بها الى الأجيال الأخرى وتشبه هذه العملية بحال الفرد الذي وجد نفسه يحمل في يده شيئا ساخنا فيضطر إلى نقله من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى بدل أن يرميه حتى لا يحرقه كذلك هو الحال بالنسبة لنماذج السلوكية المرضية العبر جيلية ما يجعل هذه الأسر على درجة من الجمود وفقدان الحيوية والنماذج السلوكية المرضية العبر جيلية تتصف بالتكرارية إلى ما لا نهاية أي أنها ذات توال مغلق وأنه لا يمكن أن نحمل فردا بعينه بإبقائها بل إن هذه النماذج تكون في مستوى لا شعوريا والأسرة كنسق فقط من يتحمل مسؤوليتها ونجلب الانتباه أن المثال الذي ضربناه وكيف أن حادث معين في تاريخ معين تتصرف معه الأسرة باستراتيجية غير فعالة كاختيار الكتمان وفرضه على أفراد الأسرة و تخوين كل من يبوح به و يتحول عبر الأجيال إلى قالب سلوكي يطبع أفراد الأسرة المعنية و في مثالنا فإن أفراد الأسرة الذين ورثوا هذا القالب يصبحون أفرادا يميلون إلى الكبت وعدم إظهار المشاعر والانعزال مما يجعلهم أفراد ذوي هشاشة نفسية أمام تجارب الألم وهذا يجعلنا نفكر أنّه وأتناء مختلف دورات الحياة بداخل الأسرة وخاصة أثناء فترة المراهقة وما تسببه من صعوبات مختلفة تخص الهوية والجنس وإثبات الذات فإن المراهق لا يملك من الإمكانات النفسية لمواجهة مثل هذا وبذلك يكون مرشحا مثاليا للإقدام على التعاطي لتقليل من الألم الناتج عن مختلف الإحباطات وما دام أن الأسرة كنسق لا تستطيع إدراك المشاكل والاضطرابات النفسية التي تعانيها إنما سببها هو تلك النماذج السلوكية العبر جيلية والمحاطة بكثير من الخرافات التي تجعل منها مقدسة ما يعطيها الفرصة لتكرر والظهور من جيل الى جيل إلا أن تقطع هذه العلاقة إمّا بواسطة علاج أسري نسقي أو عن طريق التباعد الجيلي .

الخرافة الأسرية وعلاقاته بالسلوكيات الإدمانية عند المراهقين

تتأثر الأسرة كبنية ونسق متكامل لما يطلق عليه بالخرافة الأسرية التي توجه التفاعلات بداخل الأسرة وفي هذا السياق تكون هذه الخرافات ذات محتوى يحث على تقمص سلوكيات واتجاهات منحرفة تدفع بأفراد الأسرة وبطريقة لا شعورية إلى تلك السلوكيات وتعمل هذه الخرافة من خلال الأقصوصة الأسرية التي تكرر في

المناسبات أو حتى بدون ذلك و يكون محتواها يدور حول تمجيد أحد الأجداد الذين تعرف عنه الحكمة والشجاعة وعليه تنسج الخرافة إن هذا الجد كان يتعاطى الحشيش وإن دوافع التعاطي كانت قصد خدمة الآخرين وأنه رأى في المنام ملكا أجاز له ذلك ولأبنائه وأحفاده هذه الخرافة الأسرية بوجودها داخل الفضاء الأسري فإنها تسهم في إنتاج أفراد متعاطين و المراهق يعتبر من المرشحين المثاليين لذلك كونه أكثر حساسية لكل ما هو هوية أسرية و تميز وإن الأسرة تشبهه دائما بالجد وفي ذلك إيحاء ضمني للمراهق بتقمص تلك الشخصية التي نسجت حولها الخرافة والأسرة الجزائرية تميل في سلوكها لتقديس كل ما له علاقة بالأجداد وهذا يعني أن نفسية الأسرة الجزائرية مبنية على تمجيد الأجداد و التقليل من شأن الأبناء ويلاحظ ذلك من خلال الخطاب بحيث ومهما كان الموضوع يقول الرجل كان في وقت أبي أوجدي ثم يشرع في وصف واقع الحال بالإيجابية المطلقة بينما يصف واقعه وواقع الأبناء بالسلبية المطلقة وهذا يدل من الناحية النفسية أن الأسرة الجزائرية تتعامل مع الواقع بانشطارية واضطهادية بحيث إنّ الماضي موضوع مثالي أمّا الحاضر فهو موضوع سيء ويمكن اعتبار هذه القاعدة تدخل في المكونات النفسية للأسرة الجزائرية و التي يمكن البناء عليها أثناء البحث العيادي في مشكلة الإدمان أو اضطرابات أخرى أي إنّ هناك استعدادا نفسيا لدى الأسرة والفرد لاعتقاد كل ما هو من بالماضي أو له علاقة بالأجداد وعليه فان بعض الخرافة الأسرية تحمل في طياتها رسائل تحث على الانحراف ما يجعل من بعض أفراد الأسرة وخاصة المراهقين شديدي الانبهار ببعض السلوكات المنحرفة والتي يحققون من خلالها رغبات آبائهم هذا الجو يجعل من الأسرة وبوجود أي مثير يوحي بالتهديد أو الضغط عليها تدفع باتجاه تسجيل تصرفات منحرفة مثل الإدمان على المخدرات لأنه كما هو معروف في المقاربة الأسرية النسقية فالأسرة تعمل دائما للحفاظ على استمراريتها و استقرارها وأنّ أي تهديد لهذين المبدأين فإن الأسرة تجند كل إستراتيجيته لذلك حتى وإن كانت الإستراتيجية غير سوية من قبيل عرض إدماني لأنّ الأسرة ترى أن السلوكات ذات النزعة نحو الاستقلالية هي تهديد لكيانها والحث على التعاطي إلى حد الإدمان يضمن بقاء المراهق ضمن الأسرة وبذلك تصبح هي المدمن الحقيقي على المستحضر من خلال المراهق ويقول في ذات السياق (Bernard et al,1989,p.146) « إن استعمال المواد الانتحائية أثناء المراهقة يعد بمثابة مؤشر عن الصعوبات التي تواجهها الأسرة وأنها ملزمة بإعادة صياغة القواعد و الوظائف أمام الذهاب المحتمل لأحد أبنائها والذي يعتبر خطرا عليها» إن فترة المراهقة تعد فعلا فترة صعبة على الأسرة لأنها وطوال الوقت كان تنظيم الأسرة يدور حول الوالدين والأبناء كأطفال و لكن وخلال المراهقة تصبح الأسرة تعيش وضعية اجهادية مستمرة مفادها أن المراهق يتمرد عن سلطة الآباء لذلك نجد أغلب الآباء في الأسرة الجزائرية أثناء طلب المساعدة يقولون إننا لا نعرف كيف نتعامل معهم إننا لا نفهم ماذا يريدون أرشدونا كيف نتصرف نعم إنها وضعية نفسية فيها الكثير من الصعوبات كون الآباء يعبرون عن قلق حقيقي وإنّ التنظيم الأسري و القواعد الحاكمة أصبحت غير صالحة خاصة بالنسبة للأسر ذات التوجه نحو الانغلاق

والتصلب التي من خصائصها العجز عن احتواء التغيرات المصاحبة لمختلف دورات الحياة والتي تستلزم تغير في القواعد حتى تتمكن من مواكبة التغييرات المسجلة وأفضل مثال على ذلك المراهقة فالأسر التي تمتاز بالمرونة تتعامل مع المراهق بكفاءة عالية فيها التفهم والإصغاء والمواساة والمرافقة فيجد المراهق في أسرته ملاذا يهدئ من روعه و يخفف قلقه وفضاء يعبر فيه عن صعوباته و تطلعاته مما يزيد من قوة الترابط بداخل الأسرة وبذلك يحقق المراهق قدرا كبيرا من تحقيق ذاته واكتساب هوية متناسقة مع الهوية الأسرية وبذلك يسير المراهق في طريق العبور إلى سن الرشد بأمان بينما الأسرة المتصلبة فهي قليلة التسامح لا تقبل التغير بأي شكل من الأشكال بل إنها تواجهه بشتى الطرق من أجل الحفاظ على السكون والاستقرار مما يجعلها بيئة مثالية للاضطرابات العقلية ولعل أبسط مثال على مدى مشاكل هذه الأسر أنها لا تسمح لأفرادها بالانفصال عنها و العيش باستقلالية والدراسات في هذا الميدان تثبت أن المدمنين وذوي السلوكيات التبعية هم أشخاص مرتبطون بأسرهم حتى إلى أعمار متأخرة (Brusset,B et Caillé,p,1989).

خرافة الأسرة السعيدة و الإدمان على المخدرات عند المراهق

صنف علماء العلاج الأسري النسقي أربعة أنواع من الخرافات عند أسر المدمنين وهي الأكثر تكرارا وظهورا في مختلف الاضطرابات النفسية والعقلية والخرافات هي كتالي:

- خرافة التناغم الأسري
- خرافة الانبهار بالانحراف
- خرافة التسامح
- خرافة وجوب وجود الغائب
- خرافة الأسرة السعيدة.

مع التذكير أن هذه الخرافات الأسرية تتكرر مجتمعة عند أسر المدمنين أو يظهر بعض منها فقط و يكمن دورها في إفراز وتعزيز سلوكات إدمانية عند فرد من أفراد الأسرة و خاصة المراهق لما للمراهقة من خصوصية نفسية تكمن في طابعها الأزمي و الهشاشة النفسية المترتبة عنها. إنّ الخرافة تكون بمثابة آلية نسقية تمكن الأسرة من الحفاظ على وضعية علائقية معينة وإنّ أيّ تهديد لهذه الوضعية فهو تهديد للاستمرار و بقاء الأسرة باعتباره نسقا من توظيف ميكنيزمات لتحقيق ذلك والعرض الإدماني هو إحدى هذه الآليات ونأخذ مثالا عياديا على ذلك من خلال خرافة التناغم الأسري و التي فحوها أنّ الأسرة المعنية هي أسرة تمتاز كونها سعيدة و أفرادها متحابين ومتفاهمين و يعيشون في سعادة لذلك لا يمكن أبدا إن فردا من أفرادها يفكر في الخروج والانسحاب منها وإذا حدث فإنّ هذا الفرد يجب إرجاعه إليها بشتى الوسائل هذا النموذج من الأسر أين يعيش أفرادها ضمن خرافة أسرية ليست بالضرورة صحيحة بل إنها ما تعتقده الأسرة أي خرافة فحواها أن هذه الاسرة تعيش في تناغم

وسعادة مثالية ولقد سجل المعالجون الأسريون إن هذا النوع من الخرافات يتردد كثيرا عند أسر المدمنين على المخدرات لتصبح الأسرة تعيش في حالة إنكار للواقع وبذلك تشتغل هذه الأسر و تسير شؤونها فقط من خلال خرافة الأسرة السعيدة التي يتمتع أفرادها بكل شيء وأنهم ليسوا بحاجة لأحد خارج أسرهم و بذلك فكل ما يتعارض مع الخرافة الحاكمة للأسرة فهو مرفوض وغير معترف به وبذلك تصبح هذه الأسر تعيش في حالة جمود ما يقلل من فرص أفرادها على التطور والنمو النفسي والاجتماعي الجيد و يجعل منها أسرا منغلقة حدودها سميكة ما يفرض عليها حالة عزلة وانطواء وعدم تبادل الخبرات والتجارب مع الوسط إن الأسر بهذه المواصفات النسقية النفسية والمترتبة عن خرافة أسرية يمكن نعتها بالمرضية تكون وسط مثالي للإفراز الإدمان على المخدرات و اضطرابات أخرى كذلك إن هذه الأسر وبفعل العزلة التي تفرضها على نفسها فإنه غالبا ما تعاني من ما يطلق عليه النسقيون بالتعمية الأسرية وهو ما يجعلها لا تكتشف ان ابنها المراهق يتعاطى المخدرات وحتى إن اكتشفت الأمر فإنها ستتصرف بطريقة غير مناسبة وبالتالي إبقاء المشكل على حاله وأفضل مثال على ذلك بعد أن تكتشف الأسرة أن ابنها مدمن مخدرات يكون رد الآباء من خلال التقليل من خطورة المشكلة وأنّ الأسرة كانت سعيدة إلى أن ظهر هذا المشكل أي إنها تواصل في إنكار أية مسؤولية و إن لا مشكلة بداخل الأسرة وأنّ كل ما يحتاجه المراهق موجود فتزيد من انغلاقها على نفسها وترجع ذلك السلوك الإدماني إلى الآخرين خارج الأسرة هذا النوع من الخرافة الأسرية أي التناغم الأسري هي الأكثر تكرارا لدى أسر المدمنين وبوجودها فإنّ الأسرة تصبح تعيش في إنكار للواقع لأنها تشتغل حسب فكرة التناغم أي أن آي شيء يتناقض مع هذه الخرافة فان الأسرة لا تعترف به بذلك فالمراهق المدمن بهذه الأسر لا يكتشف أمره لأن الأسرة تعاني من التعمية وان اكتشفت ذلك فإن سلوكها سيكون غير متكيف ولا يساعد على حل المشكلة.

المراجع باللغة الفرنسية

1. Albernhe K, Albernhe T, Les thérapies familiales systémiques, Masson, 3éd, 2008, Paris.
2. Angel S et Angel P, Les toxicomanes et leurs familles, Armand Colin, 2005,Paris.
3. Bergeret J, Toxicomanie et Personnalité, P U F, 1982, paris.
4. Brusset B et Caille, L'anorexique et Le Toxicomane et Leur Famille, ESF,1989,Paris.
5. Chelbi M, El Mesrad Glossaire Français Arabe à l'usage de l'étudiant en psychologie,2éd, Dar El Faiz,2009,Constantine.
6. Coslin PG, Les Conduites à risque à L'adolescence, Armand Colin, 2003, Paris.
7. Valeur M et Matysiak C, Les addictions, dépendance, toxicomanies: repenser la souffrance psychique, Armand colin, 2008, paris.
8. Yatchinovsky A, L'approche Systémique, ESF, 1999, Paris.
9. Watzlavick P, et al, Une logique de La communication, Point Essais,1972,Paris.
10. WatzlavickP, La Réalité de la réalité, coll. Point Essais,1978,Paris.

المرجع باللغة العربية

كفافي علاء ، الإرشاد و العلاج النفسي الأسري ، دار الفكر العربي القــاهرة 1999.

أنماط معالجة المعلومات لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية
دراسة مقارنة بين التلاميذ العاديين وذوي صعوبات تعلم (الكتابة – الحساب)

ملخص

تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن الفروق بين التلاميذ العاديين ونظرائهم من التلاميذ الذين يعانون من صعوبات تعلم الكتابة والرياضيات في متغير معرفي مهم وهو أنماط معالجة المعلومات ، وقد أجريت الدراسة على عينة مكونة من 70 تلميذ بالمرحلة الابتدائية تم اختيارها بطريقة قصدية، واعتمدت الباحثة على مجموعة من الأدوات البحثية لاختبار فرضيات الدراسة (الملاحظة،المقابلة، الاختبارات التحصيلية، اختبار الذكاء المصور، بطارية كوفمان للتقييم النفسي المعرفي).

د. خديجة بن فليس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية
جامعة باتنة
الجزائر

Abstract

The aim of this study is to investigate the différences in treatment informations types among 4th ;5th year pupils in primary schools .
Observation.interviews and tests are used in the study to compare normal pupils with those who show dyscalculia and dysgraphia
Results show the following :
-there is significant difference in sequential treatment between the three groups.
-there is significant difference in simultanous treatment between the three groups.
-there is no significant difference in composite treatment between the three groups.

مقدمة

يعتبر المخ العضو الأكثر أهمية في الجهاز العصبي وهو بمثابة المحرك الأساسي لجسم الإنسان، ذلك أنه مسؤول عن الأنشطة الحركية والفكرية والانفعالية والوجدانية والسلوكية التي يقوم بها الإنسان في موقف معين، وبتعدد المواقف والمثيرات تتعدد السلوكيات والأنشطة، لذلك يعتبر السلوك الإنساني على درجة كبيرة من التعقيد، وقد يعود ذلك إلى تعقد تركيب المخ ووظائفه. ولقد حظي هذا الأخير بأبحاث ودراسات كثيرة من طرف علوم متعددة سواء ما تعلق منها بالعلوم الطبية العصبية أو العلوم النفسية المعرفية، حيث حاولت التعرف على النواحي

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013

التشريحية للمخ و حقيقة نشاطه وأهم الوظائف المعرفية التي تؤديها كل منطقة من المناطق المكونة له و ذلك باستخدام تقنيات و تجهيزات خاصة كالتصوير الإشعاعي أو الرنين المغناطيسي...الخ، وقد توصلت في أغلبها إلى أن المخ يتكون من الناحية التشريحية من ثلاث مناطق رئيسة هي: منطقة المخ الأمامي، منطقة المخ الأوسط ومنطقة المخ الخلفي، حيث تنمو هذه المناطق و يزداد تعقدها وتنظيمها عبر المراحل النمائية المختلفة التي يمر بها الإنسان ، تحتل منطقة المخ الأمامي معظم الدماغ وهو يتكون من مجموعة من العناصر(المهاد، تحت المهاد، مركز النشاط الأساسي...الخ) وأهمها على الإطلاق النصفان الكرويين اللذان تغطيهما من الخارج القشرة المخية والتي تتحكم في عمليات التفكير والوظائف الحسية والحركات الإرادية. (الزيات، 1998: 80)

ورغم أن النصفين الكرويين يبدوان متناظرين نسبيا، إلا أن التخصص الوظيفي لكل منهما يختلف عن الآخر، فالنصف الدماغي الأيمن يختلف في وظائفه وأنماط نشاطه عن النصف الدماغي الأيسر كما أثبتت مختلف الدراسات بأن نصف الدماغ الأيمن يتحكم في الجانب الأيسر من الجسم، و نصف الدماغ الأيسر يتحكم في الجانب المعاكس من الجسم،و يتصل النصفان الكرويين(الدماغين) بشكل مباشر من خلال الألياف العصبية للجسم الذي يضمن انتقال مختلف المعلومات من نصف دماغي إلى آخر.(أسعد،1996:41)

كما ينقسم نصف المخ من الناحية التشريحية إلى أربعة فصوص تختص بوظائف محددة و متكاملة و هذه الفصوص هي: الفص الجبهي، الفص الجداري الخلفي، الفص الصدغي، الفص القفوي. ولقد أجريت الكثير من التجارب و الدراسات المعملية التي حاولت التعرف على التخصص الوظيفي للنصفين الدماغيين سواء من خلال تخريب بعض المناطق في الدماغ أو استئصالها أو أية طريقة أخرى. ويعتبر الطبيب الفرنسي مارك داكس Marc Dax 1836 أول من بحث في مدى مسؤولية النصفان الدماغيين عن أنشطة الجسم.(الزيات، 1998: ص99)

ثم جاءت بعده أعمال بول بروكا Paul Broca (1824-1880) وكارل فرنيك Karl Wernicke (1884-1905) والأب الروحي لعلم النفس العصبي كارل سبينسر لاشلي Karl Spenser Lashley (1890-1958) وغيرهم من الباحثين الذين اهتموا بالوظائف المتخصصة لكل نصف دماغي، وأشهر الأعمال في هذا الميدان ما يعرف بتجارب المخ المنشطر Split-Brain والتي أسفرت على نتائج مذهلة من بينها: أن القدرة على التصور البصري المكاني تتمركز في النصف الكروي الأيمن، بينما توجد المهام اللغوية في النصف الكروي الأيسر، كما أن معالجة المعلومات في هذا النصف تكون تحليلية(جزئية-جزئية)، أما في النصف الأيمن فتكون كلية إجمالية، وقد يسيطر النصف الدماغي الأيمن على معظم العمليات والأنشطة لدى الفرد فيعرف بالأعسر Gaucher وقد يحدث العكس فيصبح الفرد أيمنا Droitier ، وفي حالات نادرة نسبيا

يتآزر عمل النصفان الدماغين فيعرف الفرد بالأضبط Ambidextre ، وتتضح هذه السيطرة من خلال تفضيل استخدام يد معينة دون الأخرى، كل ذلك يسمى بالسيادة أو الجانبية الدماغية (أنماط معالجة المعلومات) والتي تلعب دورا رئيسا في عملية التعلم، فأي خلل أو اضطراب في وظائف هذين النصفان الدماغيين يؤدي إلى ظهور صعوبات في التعلم تنعكس على أداء المتعلم و سلوكه.

وفي هذا المجال يذهب عالم النفس العصبي الأمريكي س.ت.أورتون Samuel Orton إلى أن صعوبات التعلم المتعلقة بالقراءة والكتابة هي اضطراب ناشئ من تأخر النضج نتيجة إخفاق أحد نصفي كرة الدماغ في السيطرة على النمو اللغوي للطفل (فيلوتينو،1987: 18). وتتفق معه في هذا الرأي الكثير من الدراسات، حيث ترى باتمان(Bateman،1967) أن عدم القدرة على التعلم " صعوبة التعلم " ترجع إلى ما يسمى بنقص السيطرة المخية (سليمان، 2002: 156)،كما يشير كيم وريد (Kim Reid ،1981) إلى وجود علاقة بين اضطراب وظائف نصفي المخ (الأيمن والأيسر) وصعوبات التعلم. (كشك ،2002 : 15)

أما (سعاد الفوري ،2003) فترى أن الاختلاط في الجانبية المخية يهيئ و يمهد لوجود صعوبات التعلم واستمرارها، كما يضيف أحمد مهدي (مصطفى، 2002 :272) أن استخدام التلاميذ لأنماط معالجة معلومات غير مناسبة هو سبب رئيس في وجود صعوبات التعلم لديهم.

وانطلاقا من كل ما سبق تأتي هذه الدراسة التي تهدف إلى المقارنة بين التلاميذ العاديين وأقرانهم ممن يعانون صعوبات تعلم كل من الكتابة و الرياضيات وذلك في متغير معرفي على درجة كبيرة من الأهمية وهو أنماط معالجة المعلومات عند هؤلاء التلاميذ .

- تساؤلات الدراسة : يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل التالي:

- هل توجد فروق في أنماط معالجة المعلومات بين التلاميذ العاديين وأقرانهم الذين يعانون من صعوبات تعلم الكتابة و الرياضيات؟.

- فرضيات الدراسة : يمكن صياغة فرضيات الدراسة فيما يلي:

1. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في نمط المعالجة المتتابعة بين التلاميذ العاديين ونظرائهم من ذوي صعوبات تعلم الرياضيات والكتابة.

2. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في نمط المعالجة المتزامنة بين التلاميذ العاديين ونظرائهم من ذوي صعوبات تعلم الرياضيات والكتابة.

3. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في نمط المعالجة المركب بين التلاميذ العاديين ونظرائهم من ذوي صعوبات تعلم الرياضيات والكتابة.

- أهداف الدراسة : تهدف الدراسة الحالية إلى ما يلي:

- المقارنة بين أنماط معالجة المعلومات لدى الأطفال العاديين ونظرائهم من الأطفال ذوي صعوبات التعلم (كتابة-رياضيات).

- الكشف عن أكثر أنماط معالجة المعلومات شيوعا بين أطفال المرحلة الابتدائية.

- تحديد مصطلحات الدراسة :

-أنماط معالجة المعلومات :

وتعرف بتسميات متعددة منها: السيطرة الدماغية، الجانبية الدماغية، أنماط معالجة المعلومات وكلها تعني تفضيل استخدام نصف دماغي معين في العمليات العقلية المتعلقة بمعالجة المعلومات.

تعريف تورانس : ويعرفها بول تورانس (Torrance ، 1982) بأنها "ميل الفرد إلى أن يعتمد على أحد نصفي المخ أكثر من الآخر في معالجة المعلومات الواردة إليه" ، ويستخدم هذا المصطلح للدلالة على ميل الشخص إلى التفكير والتصرف وفقا لخصائص جانب أو نصف واحد من الدماغ أكثر من الجانب الآخر (ماكجي ، 2000: 137).

تعريف صلاح أحمد مراد: السيطرة الدماغية هي: "استخدام أحد النصفين الكرويين الأيسر أو الأيمن أو كليهما معا في العمليات العقلية أو السلوك" (مراد، 1982: 117).

كما يشير هذا المفهوم إلى:"استخدام أحد النصفين الكرويين للمخ (الأيمن أو الأيسر) أو كليهما معا (المتكامل) في العمليات العقلية الخاصة بمعالجة و تجهيز المعلومات" (يوسف،2007: 28).

وبصورة عامة هناك ثلاث أنماط منها:

أ- النمط الأيمن (نمط المعالجة المتزامنة): و يقصد به مدى استخدام التلميذ لوظائف النصف الأيمن من المخ، هذا الاستخدام الذي ينبني أساسا على المعالجة الكلية للمعلومات.

ب- النمط الأيسر(نمط المعالجة المتتابعة): و يقصد به مدى استخدام التلميذ لوظائف النصف الأيسر من المخ ، هذا الاستخدام الذي يستند إلى المعالجة التحليلية للمعلومات .

ج-النمط الأضبط (نمط المعالجة المركب): و يقصد به مدى استخدام التلميذ لوظائف النصفين الأيمن و الأيسر بالتساوي.(المعالجة الكلية +المعالجة التحليلية).

إجرائيا: يحدد النمط الأيمن بالدرجة التي يتحصل عليها المفحوص على سلم العمليات العقلية المتزامنة، ويحدد النمط الأيسر بالدرجة التي يتحصل عليها المفحوص

على سلم العمليات العقلية المتتابعة. ويتحدد النمط الأضبط بالجمع بين درجة المعالجة المتزامنة والمتتابعة.

- صعوبات تعلم الكتابة:

هي تلك الصعوبات التي يواجه فيها التلاميذ أو الأطفال مشكلات متداخلة مثل عدم القدرة على الاحتفاظ بالأفكار وترابطها أو مشكلات في الصياغة اللغوية النحوية والصرفية أو رداءة في الخط وتناسقاته أو رسما إملائيا مخطوءا أو إدراكا خاطئا للمسافات بين الحروف والكلمات مما يجعل إمكانية قراءة ما هو مكتوب أمرا صعبا والذي يترك أثرا بالغا على تحصيلهم الدراسي. ".(كامل ،2006: 51)

تعريف " ويرهولت " Wearhalt :صعوبات الكتابة هي تلك المشكلات التي تظهر لدى الأطفال في شكل اضطرابات في: وضع الجسم أثناء الكتابة، حجم الأحرف المكتوبة، التناسق بين شكل الأحرف والكلمات، استقامة الأحرف حيث تكون غير متناسقة، سرعة الطفل في الكتابة.

وصعوبات الكتابة أو سوء الكتابة هي عسر أو اضطراب الكتابة الذي يعكس اضطرابا في العديد من المهارات أو القدرات الأخرى.(الزيات ،1998: 516)

وعليه يعرف التلميذ ذو صعوبات تعلم الكتابة بالتلميذ الذي يلاقي صعوبات في تعلم الكتابة السليمة وذلك بمعزل عن مستواه العقلي ، وإجرائيا تحدد صعوبات تعلم الكتابة بالصعوبات التي يقيسها اختبار التحصيل في الكتابة والإملاء .

- صعوبات تعلم الرياضيات:

لقد قدمت الدراسات المختلفة في علم النفس العصبي وصفا لحالات بعض الأطفال الذين يعانون من صعوبات في الحساب ، فمثلا جتمان Guttman 1936 وصف حالات أطفال يظهرون صعوبات في الترميز (مثلا ثلاثة آلالاف ومئتين وثمانية وعشرون) وكذلك اضطرابات نوعية في القيام بالعمليات الحسابية . Rondal, (Seron,2003:p839) و تعرف هذه الصعوبات على أنها :

- تعريف البطاينة وآخرون: عدم القدرة على استيعاب المفاهيم الرياضية وإجراء العمليات الحسابية والتي قد ترجع إلى اضطراب أو خلل في الوظيفة النمائية والذي قد يحدث نتيجة لخلل جيني وقد يحدث بعد الولادة نتيجة الكدمات أو إصابات في المخ. (البطاينة وآخرون،2005 :171)

تعريف لوكارسون Lokerson : صعوبة بالغة في فهم واستخدام الرموز أو العمليات الضرورية للنجاح في الرياضيات .(زيادة،2006: 25)

- **تعريف ليرنر Lurner:** اضطراب القدرة على تعلم المفاهيم الرياضية وإجراء العمليات الحسابية المرتبطة بها.(حافظ،1998:ص80)

وعليه يعرف التلميذ ذو صعوبات تعلم الرياضيات بالتلميذ الذي يلاقي صعوبات في تعلم الرياضيات والحساب وذلك بمعزل عن مستواه العقلي ، وإجرائيا تحدد صعوبات تعلم الرياضيات بالصعوبات التي يقيسها اختبار التحصيل في الرياضيات.

- المرحلة الابتدائية : وهي المرحلة التي تبدأ من ست سنوات وتنتهي عند 11سنة ، وتتضمن خمس مستويات (من الأولى إلى الخامسة)، تتوج بالانتقال إلى المرحلة الإكمالية . حسب التشريع التربوي الجزائري .

وإجرائيا حددت عينة الدراسة بتلاميذ السنة الرابعة والخامسة إبتدائي .

- منهج الدراسة :

لقد اعتمدت الباحثة على المنهج العلّي المقارن في هذه الدراسة كونها ستتناول الفروقات الموجودة بين عينتين (عينة ذوي صعوبات التعلم و عينة التلاميذ العاديين) في متغير معرفي هام وهو : أنماط معالجة المعلومات للوقوف على تأثيره من عدمه في خلق صعوبات تعلم لدى التلاميذ خاصة في مادتي الرياضيات والكتابة في المرحلة الابتدائية.

والمنهج العلّي المقارن نوع من أنواع المنهج الوصفي التي تستخدم في الدراسات عند تعذر إجراء المنهج التجريبي ،وهو يهدف إلى المقارنة بين الظواهر ثم يدرس أوجه الشبه والاختلاف بينها ليصف العوامل التي تكمن وراءها (فان دالين ،1987: 339).

حدود الدراسة: تتحدد الدراسة الحالية بالحدود التالية:

أ- الحدود الجغرافية: تتحدد الدراسة جغرافيا بمجموعة من المدارس الابتدائية الواقعة بولاية باتنة شرق الجزائر والمقدر عددها بخمس إبتدائيات.

ج- الحدود البشرية: حيث تضم عينة هذه الدراسة مجموعة تلاميذ في المرحلة الابتدائية من التعليم في المستويين الرابع والخامس.

عينة الدراسة:

تنقسم عينة الدراسة إلى ثلاث عينات فرعية هي:

8-1- عينة التلاميذ العاديين: وقد تم اختيار هؤلاء التلاميذ بطريقة مقصودة بالاعتماد على محك التحصيل الدراسي، حيث تم اختيار التلاميذ ذوي المستوى الدراسي المتوسط أقل من 10/07 ، وأكثر من 10/05 ، وتم استبعاد التلاميذ المتفوقين، ويقدر حجم العينة بالنسبة للمجتمع الأصلي ب: 62% وقد بلغ عددها 35 تلميذ وتلميذة .

- عينة التلاميذ ذوي صعوبات التعلم: والتي تم اختيارها أيضا بالطريقة الغرضية المقصودة وقد انقسمت إلى:

أ- عينة ذوي صعوبات تعلم الرياضيات.

ب- عينة ذوي صعوبات في تعلم الكتابة

وقد تم تشخيصها خلال دراسة استطلاعية بتطبيق المحكات التالية:

- محك التباعد بين التحصيل والذكاء : أي مدى التباعد أو الانحراف بين درجات الاختبارات التحصيلية واختبار الذكاء .

- محك الإستبعاد : من خلال استبعاد كل تلميذ يعاني من اضطرابات سمعية أو بصرية ،اضطرابات انفعالية ، نقص فرص التعلم ، والتخلف العقلي .

حيث بلغ عدد أفراد عينة التلاميذ ذوي صعوبات الكتابة:: 35 تلميذ منهم 16 تلميذة . أما بالنسبة للتلاميذ ذوي صعوبات تعلم الرياضيات فقد بلغ العدد :35 تلميذ منهم 14 تلميذة. وبالتالي فالعدد الكلي:70 تلميذ وعليه يقدر حجم العينة بالنسبة للمجتمع الأصلي ب: 50 % .

- الأدوات المستخدمة في الدراسة:

لقد اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على مجموعة من الأدوات اشتملت على ما يلي:

- شبكة الملاحظة : والتي قامت الباحثة ببنائها قصد التعرف على أهم الخصائص المميزة للتلاميذ الذين يعانون من صعوبات الرياضيات والكتابة وقد تضمنت شبكة الملاحظة مجموعة من المحاور تمثلت في :

- وضع الجسم والورقة .
-سرعة الطفل في الكتابة .
-استقامة الأحرف.
-إتباع السطر.
-مقروئية الكتابة .
-استخدام أدوات الكتابة والمظهر العام لورقة الكتابة .
-إنتاج الخطوط.
-شكل الحروف والكلمات.

- المقابلة : لقد قامت الباحثة بسلسلة من المقابلات النصف موجهة مع المعلمين و المعلمات في مختلف المستويات الدراسية الموجودة في المرحلة الابتدائية (من السنة الأولى ابتدائي إلى غاية السنة الخامسة ابتدائي) وذلك بغية التعرف على أكثر المستويات الدراسية التي توجد بها نسبة عالية من التلاميذ الذين يعانون في تعلم كل من الكتابة والرياضيات و بالتالي تبنيها كعينة للدراسة.

- الدفاتر المدرسية : بعد تحديد العينة محل الدراسة، قامت الباحثة بالإطلاع على مختلف الدفاتر المدرسية للتلاميذ الذين يعانون من هذه الصعوبات للتعرف على الملمح الدراسي لهم .

- استمارة المستوى الاقتصادي والاجتماعي: من تصميم الباحثة والغرض الأساسي منها هو التعرف على الظروف المعيشية لكل تلميذ من التلاميذ الذين يعانون من هذه الصعوبات وقد شملت ما يلي: بيانات عامة، المستوى التعليمي للوالدين،الحالة الصحية للوالدين، الوضعية العائلية للوالدين، الدخل الشهري للعائل، ظروف السكن ...

-اختبار الذكاء المصور لأحمد زكي صالح : يعد هذا الاختبار من النوع غير اللفظي الجمعي، وقد استخدمته الباحثة للتعرف على المستويات العقلية لأفراد العينة وبالتالي تطبيق محك التباعد الخارجي بين الذكاء والتحصيل. وقد تم التأكد من خصائصه السيكومترية في البيئة الجزائرية حيث بلغ معامل الصدق التمييزي ت=12.06، في حين بلغ معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية بعد تصحيح الطول =0.77

-اختبارات تحصيلية في مادة الرياضيات : والتي قام بتصميمها مجموعة من المعلمين من مدارس ابتدائية بولاية باتنة – الجزائر بالتعاون مع الباحثة، والغرض منها هو استخدامه كمحك تمييزي بين التلاميذ العاديين وذوي صعوبات تعلم الرياضيات وكذلك لاستغلال درجاته في تطبيق محك التباعد. وقد تضمنت 3 تمارين ومسألة يشمل هذا الاختبار على كل الدروس الملقاة خلال الفصل الأول من السنة الدراسية 2008-2009 التي يواجه فيها أغلب التلاميذ صعوبات.وقد تم التأكد من خصائصه السيكومترية: حيث تم حساب الصدق بطريقة الاتساق الداخلي ،وحساب معامل الثبات من خلال طريقة إعادة التطبيق .

- اختبارات تحصيلية في مادة الكتابة والإملاء : : قام بتصميمه أيضا مجموعة من المعلمين من إبتدائيات بولاية باتنة بالتعاون مع الباحثة قصد التمييز بين التلاميذ العاديين و ذوي صعوبات تعلم الكتابة.

وهو يتضمن فقرة تحتوي على أهم الدروس في مادة اللغة العربية التي يواجه فيها التلميذ صعوبات, وهي نفس الفقرة التي استخدمت مع المستويين الرابعة والخامسة) نظرا للتشابه في الدروس بين المستويين. وقد تم التأكد من خصائصه السيكومترية : حيث تم حساب الصدق بطريقة الاتساق الداخلي، وحساب معامل الثبات من خلال طريقة إعادة التطبيق .

- بطارية أنماط معالجة المعلومات لكوفمان وكوفمان: وتعرف ببطارية الفحص النفسي للطفل (K.ABC) وهي تقيس الذكاء والمعارف لدى الأطفال البالغين من العمر من سنتين ونصف إلى غاية12 سنة ونصف، كما أنها موجهة للتقييم النفسي والعيادي والتربوي للأطفال ذوي صعوبات التعلم. تستند هذه البطارية إلى نماذج ونظريات في علم النفس المعرفي والعصبي خاصة ما يتعلق منها بسلوك حل المشكلات و أنماط

معالجة المعلومات (تتابعية- متزامنة)، ومن أشهر تلك النماذج نموذج لوريا luria (1966-1979...) وآخرون، الذين توصلوا إلى أن كل نصف دماغي له نمط خاص في معالجة المعلومات، فالمعالجة التحليلية التتابعية من اختصاص النصف الأيسر، في حين أن المعالجة الكلية المتزامنة يختص بها النصف الأيمن، تطبق البطارية بصورة فردية، متوسط زمن التطبيق هو 45 دقيقة.

و تتكون هذه البطارية من أربعة سلالم عامة هي:

أ) العمليات العقلية المتتابعة: Processus séquentiels

ب) العمليات العقلية المتزامنة: Processus simultanés

ج) العمليات العقلية المركبة:Processus mentaux composites

د) المعارف: Connaissances

كما تتكون بطارية K.ABC من 16 اختبارا فرعيا موزعة على السلالم السابقة الذكر كما يلي: (kaufman,1998: 38-45)

تم التأكد من الخصائص السيكومترية للبطارية في البيئة الجزائرية من خلال حساب معامل الصدق التمييزي للاختبارات الفرعية، وحساب معامل الثبات عن طريق إعادة التطبيق على عينة قدرت ب50 طفل في عمر 11 سنة .

- الأساليب الإحصائية المستخدمة:

لقد استعانت الباحثة بالأساليب الإحصائية التالية وهي الأكثر مناسبة لنوعية الفروض ونوعية البيانات المستخدمة في الدراسة الحالية:

- قيمة اختبار التباين F.

-الخطأ المعياري للفرق بين المتوسطين: معامل توكي

-النسبة الحرجة (التائية)

- عرض نتائج الدراسة :

- عرض نتائج الفرضية (1): والتي تنص على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ (العاديين– ذوي صعوبات الكتابة – ذوي صعوبات الرياضيات) في نمط المعالجة المتتابعة.

جدول (2) يوضح نتائج تحليل التباين

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	التباين	قيمة ف

بين متوسطات المجموعات	89.06	2	44.8	34.72
داخل المجموعات	131.8	102	1.29	

القراءة الإحصائية للجدول:

يتضح من خلال الجدول بأن قيمة **ف** المحسوبة ف = 34.72 **و**بالرجوع إلى قيمة ف الجدولية نجد أن تساوي 3.07 عند مستوى 0.05 و 4.79 عند مستوى 0.01 ،وبما أن قيمة ف المحسوبة أكبر من قيمة ف الجدولية فهذا يدل على أنها دالة إحصائيا عند مستوى 0.01 . وبالتالي توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ (العاديين- ذوي صعوبات الكتابة- ذوي صعوبات الرياضيات) في نمط المعالجة المتتابعة و عليه فالفرض الصفري لم يتحقق.

وبما أن قيمة ف دالة إحصائيا عند مستوى 0.01 لابد من البحث عن الدلالة بين كل متوسطين من المتوسطات الثلاثة باستخدام الأداة الإحصائية HSD (اختبار توكي).

ويمكن توضيح قيم ق بين المتوسطات في الجدول التالي:

جدول (3) يوضح قيمة ق بين كل متوسطين في نمط المعالجة المتتابعة

المجموعات	قيمة ق	الدلالة عند 0.05	الدلالة عند 0.01
العاديين- صعوبات الرياضيات	7.36	X	X
العاديين- صعوبات الكتابة	4.21	X	X

القراءة الإحصائية للجدول :

يتضح من خلال الجدول بأن قيمة ق المحسوبة دالة إحصائيا عند المستويين مقارنة بقيمة ق الجدولية 3.41، مما يدل بأن التلاميذ العاديين قد تفوقوا في نمط المعالجة المتتابعة (م=5.06) على التلاميذ ذوي صعوبات تعلم الرياضيات (م= 3.66) و صعوبات تعلم الكتابة (م= 4.24)

عرض نتائج الفرضية (2): و التي تنص على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ (العاديين- ذوي صعوبات الكتابة- ذوي صعوبات الرياضيات) في نمط المعالجة المتزامنة.

جدول (4) يوضح نتائج تحليل التباين

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	التباين	قيمة ف
بين متوسطات المجموعات	156.80	2	78.40	7.11
داخل المجموعات	1564.85	102	15.34	

القراءة الإحصائية للجدول:

يتضح من خلال الجدول بأن قيمة **ف** المحسوبة ف = 7.11 وبالرجوع إلى قيمة ف الجدولية و التي تساوي على التوالي: 3.07، 4.79 عند المستويين 0.05-0.01 نجد أن قيمة ف المحسوبة أكبر من قيمة ف الجدولية مما يدل على أنها دالة إحصائيا عند هذين المستويين، وبالتالي توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ (العاديين- صعوبات الكتابة- صعوبات الرياضيات) في نمط المعالجة المتزامنة وعليه فالفرض الصفري لم يتحقق.

وللبحث عن الدلالة بين كل متوسطين من المتوسطات الثلاثة على حدى تم حساب قيمة ق بينها والتي تم توضيحها في الجدول التالي:

جدول (5) يوضح قيمة ت بين متوسطات المجموعات في نمط المعالجة المتزامنة

المجموعات	قيمة ت	الدلالة عند 0.05	الدلالة عند 0.01
العاديين- صعوبات الرياضيات	2.96	X	X
العاديين- صعوبات الكتابة	2	X	

القراءة الإحصائية للجدول :

يتضح من خلال الجدول بأن قيمة ت المحسوبة دالة إحصائيا عند المستويين مقارنة بقيمة ت الجدولية 1.96 -2.58 ، مما يدل بأن التلاميذ ذوي صعوبات تعلم الرياضيات (م=18.54) و صعوبات تعلم الكتابة (م=17.69) قد تفوقوا في نمط المعالجة المتزامنة على التلاميذ العاديين (م= 16.60).

- عرض نتائج الفرضية (3): و التي تنص على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ (العاديين- ذوي صعوبات الكتابة- ذوي صعوبات الرياضيات) في نمط المعالجة المركب.

جدول (6) يوضح نتائج تحليل التباين

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	التباين	قيمة ف
بين متوسطات المجموعات	74.55	2	37.27	2.02
داخل المجموعات	1879.50	102	18.42	

القراءة الإحصائية للجدول:

يتضح من خلال الجدول بأن قيمة **ف** المحسوبة ف = 2.02 وبالرجوع إلى قيمة ف الجدولية والتي تساوي على التوالي: 3.07، 4.79 عند المستويين 0.05-0.01 نجد أن قيمة ف المحسوبة أصغر من قيمة ف الجدولية مما يدل على أنها غير دالة إحصائيا عند هذين المستويين، وبالتالي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ (العاديين- صعوبات الكتابة- صعوبات الرياضيات) في نمط المعالجة المركب وعليه فالفرض الصفري قد تحقق.

- مناقشة النتائج :

يتضح من خلال نتائج الفرضيات بأن النمط المسيطر لدى التلاميذ العاديين هو النمط الأيسر على حساب النمط الأيمن أو المتكامل الذي لم يظهر تماما لدى أفراد العينة وذلك بالمقارنة مع التلاميذ ذوي صعوبات تعلم الكتابة و الرياضيات الذين سيطر لديهم النمط الأيمن، هذه النتائج جاءت متسقة مع نتائج دراسات أخرى مثل دراسة هويدا غنية 2002، جيهان العمران 2006، موريسن Morrison 1990، جوجينغ و آخرون، أوبرزت و آخرون 1996، في حين تعارضت مع نتائج دراسات أخرى كدراسة بوين وهيند Bouen & Hyned 1988.

إذن بصورة عامة يستخدم التلاميذ أساليب مختلفة في إدراك المعلومات والتعامل معها، هذا الاختلاف يرتبط بالتفضيل الخاص بكل فرد الذي يرتبط بدوره بالسيطرة المخية لديه (أيسر- أيمن- متكامل) وكل تفضيل من التفضيلات يعتمد على نمط معين في معالجة المعلومات، فالمعالجة المتتابعة للنصف الأيسر تعتمد على النظام الزمني في المعالجة، وتكون العناصر فيها غير قابلة للمسح في وقت واحد بل في تسلسل وترتيب منطقي، بينما المعالجة المتزامنة تقوم على أساس معالجة المعلومات المستقبلة بصورة كلية وفي وقت واحد للوصول إلى حل المهمة ،وعليه يمكن اعتبار نمط معالجة المعلومات لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم مصدرا رئيسا في تفسير هذه الصعوبات، حيث يختلف التلاميذ ذوي النمط الأيسر منهم عن ذوي النمط الأيمن. فيفضل ذوي النمط الأيسر الفحص الدقيق للتفاصيل لذا يستغرقون وقتا أطول في الاستجابة، في حين يفضل ذوي النمط الأيمن النظرة الكلية للأشياء التي تستغرق وقتا كبيرا مما قد يفسر اختلاف هؤلاء التلاميذ في سرعة و دقة إنجاز المهام التعليمية.

وبالنسبة للرياضيات و الكتابة نجد أن الأطفال ذوي صعوبات التعلم في هذه المواد يفتقدون إلى المهارات الأساسية اللازمة لتعلمها و التي سبق التطرق لها في الجانب النظري و يكون ذلك نتيجة الضعف المتراكم لديهم بدءا من المرحلة الأولى من التعليم، و الأمر هنا لا يتعلق بطبيعة المادة التي يقوم كل نصف دماغي بإجراء العمليات المعرفية عليها و لكن طبيعة معالجة كل نصف لهذه المادة، مما يؤكد بأن النمط المعرفي للطفل قد لا يتطابق مع أسلوب المعلم مما يجعله غير قادر على الاستفادة من المعلومات التي يقدمها المعلم نتيجة الأسلوب الذي يستخدمه في تقديم المعلومات.

وفي هذا الشأن يشير ولفولك و نكوليش(Woolfolk & Nicolish , 1980) إلى أنه في ضوء نظرية تجهيز ومعالجة المعلومات، لكي يتعلم الأطفال فإنه يجب عليهم أن يستقبلوا المعلومات أولا، ثم يقوموا بتجميع الوحدات المنفصلة من المعلومات وعمل وصلات بينها ثم التعبير عن تلك المعلومات (المخرجات) (يوسف،2007 : 99). وبين الاستقبال والتجميع والتعبير يقوم الأطفال بعمليات التحليل والتركيب والاسترجاع للمعلومات المستقبلة (كلمات، أرقام، أشكال)، و بالتالي فالأطفال الذي يعانون من صعوبة في أي عملية من عمليات معالجة المعلومات السابقة سوف يعانون من صعوبات في التعلم نتيجة استخدامهم لإستراتجيات أو أنماط معالجة غير مناسبة، وقد يرجع ذلك إلى عدة عوامل من بينها التنشئة الأسرية، الوراثة....الخ. ولعل النظام التربوي و البرامج التعليمية أكثر هذه العوامل تأثيرا كونها قد لا تتلاءم مع النمط الذي يستخدمه التلميذ في معالجته للمعلومات، فإذا كانت معالجة المعلومات الرياضية تتم على مستوى النصف الأيسر، والكتابة تتطلب تآزر عمل النصفين الدماغين فكيف يمكن لطفل يعالج المعلومات بطريقة مختلفة أن ينجح في تعلم هذه المهارات، وهذا يؤكد حاجة التلاميذ إلى أسلوب تعليمي متكامل يعمل على تنشيط عمل النصفين الدماغيين معا سواء من خلال أساليب التدريس أو بناء المناهج التعليمية، وفي هذا الصدد يذكر جاردنر Gardner 1991 أن من أسباب صعوبات التعلم بالمدارس هو أن معظم الأنشطة و الأنظمة التعليمية لا تتلاءم مع نمط معالجة المعلومات التي يستخدمها بعض التلاميذ. (يوسف،2007: 155).

كما تشير أغلب الدراسات ومنها دراسة هويدا غنية 2002 إلى أن معظم مدارسنا تعلم نصفا واحدا فقط من المخ وتهمل النصف الآخر، حيث أن إستراتيجيات التدريس بالمدارس الحالية تعمل على تنمية النصف الكروي الأيسر فقط وذلك من خلال تركيز الأنشطة التعليمية على اللغة و التفكير المنطقي والرياضي والسببي.

مما دعا البعض إلى وصف المدرسة بأنها مؤسسة تعليمية يسارية العقل (يوسف،2007: 155) تركز على تنمية التفكير التحليلي والمنطق والخطي والمتتابع في مقابل التفكير الكلي والحدسي والفني والمتزامن، وبالتالي فالمتعلمين الذين يعالجون المعلومات بطريقة تعتمد على وظائف المخ الأيمن سوف يكونون في خطر وليس لديهم

القدرة على التعلم وتعتبر المدرسة الحالية مكان إحباط و فشل لهم، ومن هنا تنشأ لديهم صعوبات في تعلم بعض المواد الدراسية .

ويمكن في الأخير أن نؤكد ما قاله جراح الأعصاب الياباني تسونودا Tsunodo في كتابه المعنون "العقل الياباني" " أن الثقافات المختلفة بأنظمتها التعليمية المتنوعة تؤثر على الطرائق التي يستخدم من خلالها الأفراد عقولهم" .

خاتمة

لقد توصلت الكثير من الدراسات التي أجريت حول فئة ذوي صعوبات التعلم والعمليات المعرفية لديهم إلى وجود اضطراب في بعض هذه العمليات مما دفع هؤلاء الباحثين إلى الاستنتاج بأن الاضطراب الذي يحدث على مستوى العمليات المعرفية سواء تعلق الأمر بالانتباه أو الإدراك أو الذاكرة ....الخ هو المصدر الأساسي لتفسير ظهور صعوبات التعلم لدى هذه الفئة في واحدة أو أكثر من المهارات الأساسية: قراءة، كتابة، حساب.

وقد حاولت هذه الدراسة بدورها التعرف على مدى مسؤولية الاضطراب الذي يمكن أن يصيب إحدى العمليات المعرفية على ظهور صعوبات تعلم الكتابة و الحساب لدى أطفال المرحلة الابتدائية خاصة في مستوياتها الأخيرة و ذلك من خلال المقارنة بين أداء الأطفال العاديين وأداء ذوي صعوبات تعلم الكتابة و الحساب على بعض هذه العمليات (نمط معالجة المعلومات)، و قد توصلت الباحثة إلى وجود فروق جوهرية في الأداء في هذه العملية بين الأطفال العاديين و نظرائهم من ذوي صعوبات التعلم لصالح الأطفال العاديين، مما حذا بها إلى الاستنتاج بأن الاضطراب الذي قد يصيب نمط معالجة المعلومات سبب رئيس في ظهور صعوبات التعلم لدى هؤلاء الأطفال.

ورغم هذه النتائج إلا أن الأسباب الكامنة وراء ظهور صعوبات التعلم لدى الأطفال في المرحلة الابتدائية مازالت بحاجة إلى كثير من الدراسة والتحليل باستخدام أساليب ومناهج مختلفة لأن تحديد الأسباب بدقة يعني صدق التشخيص و بالتالي بناء برنامج تعليمي علاجي مناسب لهذه الفئات.

قائمة المراجع المستخدمة

1) **الكتب:**

أ) باللغة العربية:

1- الزيات، فتحي (1998) – صعوبات التعلم- الأسس النظرية والتشخيصية والعلاجية- (ط$_1$)، مصر، مكتبة النهضة المصرية .

2- البطاينة، أسامة محمد وآخرون(2005) – صعوبات التعلم(النظرية والتطبيق) – (ط1)، الأردن، دار المسيرة للنشر.

3-أسعد، ميخائيل(1996)- السيكولوجية العامة- ط1،دار الجيل ، بيروت.

4- حافظ، نبيل عبد الفتاح (1998) – صعوبات التعلم و التعليم العلاجي – مصر، مكتبة زهراء الشرق.

5- فان دالين، ديوبولد (1986)– مناهج البحث في التربية وعلم النفس– ترجمة نوفل،محمد نبيل وآخرون، (ط1)، مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية .

6-زيادة ، خالد(2006)- صعوبات تعلم الرياضيات – مصر، إيتراك للطباعة والنشر.

7- كامل، محمد علي (2006) – صعوبات التعلم الأكاديمية بين الاضطراب والتدخل السيكولوجي – الجزء الثالث، مصر، دار الطلائع للنشر.

8- ماكجي ، آن وآخرون(2000)– التفكير الايجابي – ترجمة على إصلاح، د.ط ، القاهرة مركز الخبرات المهنية للإدارة.

9- يوسف، سليمان عبد الواحد (2007) – المخ وصعوبات التعلم – (ط١)،القاهرة ،مكتبة الأنجلو المصرية.

ب- باللغة الفرنسية:

1- Rondal, J.A. et Seron, x (2003) – troubles du language : (Bases théorique, diagnostic et rééduction) – Edition Pierre Mardaga, Belgique.

2- Kaufman,Alain et Kaufman,Nadine(1993)-Batterie pour l'examen psychologique de l'enfant :manuel d'interprétation ,édition ECPA,paris.

2- المجلات:

- سليمان، السيد عبد الحميد(2002)-فاعلية برنامج في علاج صعوبات الإدراك البصري وتحسين مستوى القراءة لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم- مصر، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية، جامعة حلوان.

- فيلوتينو، ف.ر(1987) – عسرة القراءة – الكويت، مجلة العلوم، المجلد3، العدد6.

- مراد، صلاح أحمد وآخرون(1982)– أنماط التعليم والتفكير لطلاب الجامعة وعلاقتها بالتخصص الدراسي – مصر ، مجلة كلية التربية، المنصورة، العدد 5.

- مصطفى، أحمد مهدي (2002) – بعض العوامل النفسية والعقلية والاجتماعية المؤثرة في صعوبات التعلم – مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد110.

3- الرسائل والمذكرات:

- كشك، رضا عبد الستار(2002)- فعالية برنامج إرشادي في خفض حدة النشاط الزائد لدى أطفال الروضة- مصر، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ،جامعة الزقازيق.

التنظيمات الفرنسية للجماعات الحرفية والإثنية غداة الاحتلال
- حالة جماعة بني مزاب-

ملخص

يهدف هذا المقال إلى تبيين بعض حيثيات السياسة التي اتبعتها الإدارة الفرنسية اتجاه التنظيمات العثمانية للطوائف الحرفية والإثنية، بعد سقوط مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830، هذه الطوائف التي لم تجد من جهتها خيارا غير التعامل مع الاحتلال الذي أصبح أمرا واقعا لا بد من التكيّف معه، لكن زعاماتها وقعت في تناقضات كبيرة جراء الدور الجديد الذي أصبحت مجبرة على القيام به. وعندما لم تعد الإدارة بحاجة إلى هذه التنظيمات، نسفتها واستغنت عنها بشكل نهائي.

د. بالحاج ناصر
جامعة الوادي
الجزائر

Résumé

Cet article présente quelques aspects de la politique adoptée par l'administration française en Algérie, pendant les premières années de l'occupation, envers une catégorie très active de la société algéroise, la *Djemaa* des Mozabites. Il consiste aussi à analyser les réactions de ces *Berranis* à cette politique.

سيكون التركيز في موضوع التنظيمات الحرفية على جماعة بني مزاب، خاصة خلال الفترة الزمنية الممتدّة في ما بين 1830 و1838، وذلك اعتمادا على الوثائق الأرشيفية التي يحويها مركز أرشيف ما وراء البحار بأكس آن بروفانس (Aix-en-Provence) بمرسيليا بفرنسا، وهذه الوثائق عبارة عن تقارير إدارية رسمية متبادلة بين الحاكم العام (Gouverneur général) والأنتوندون سيفيل (Intendant Civil) أي القائم بالأعمال المدني، وكذلك بين أمين جماعة بني مزاب والحاكم العام. وتوجد هذه الوثائق أساسا في علبتين أرشيفيتين تحت رقم F80-557 و-F80 556. وهذه الوثائق مكتوبة باللغة الفرنسية، والنصوص المقتبسة منها في هذا العمل

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2013.

مترجمة، وفي الملاحق نماذج عن النصوص الأصلية.

لقد اعتمد على محتوياتها جلّ الدارسين لموضوع الطوائف المهنية، ومنهم المرحومة الدكتورة عائشة غطاس في رسالتها للدكتوراه[1] ، إنما في حدود ضيّقة بالنسبة لها، ذلك أنّ الوثائق التي تحويها العلب المذكورة تعود إلى سنوات 1832 وما يليها، في حين أنّ المرحومة توقّفت في دراستها في سنة 1830. أمّا روني ليسباس (René Lespès)[2] فقد اعتمد أساسا على محتوى هاتين العلبتين في دراسته المنشورة سنة 1925 حول طائفة بني مزاب، والتي تناول فيها بعض الجوانب دون أخرى من علاقة الأمين بإدارة الاحتلال، وهو ما لا يقدم صورة كاملة عن الموضوع كما سيأتي بيانه في ثنايا المقال.

كما تتوفّر وثائق أخرى في غاية الأهمية توجد في العلبة رقم 1H2، وهي تعود إلى سنوات 1832 و1834، لم يتمّ التطرق إليها من قبل الدراسات السابقة على حد علمنا.

ليس الهدف من هذا البحث دراسة التنظيمات الإدارية الفرنسية للطوائف الحرفية فحسب، ذلك أنّ بعض الدراسات قد تطرقت إليه، رغم قلّتها[3]، بل إنّ الهدف المبتغى، هو تبيين أهداف وغايات الإدارة من تلك التنظيمات، من خلال نموذج جماعة بني مزاب، التي كانت واحدة من أهمّ الطوائف الإثنية البرانية بمدينة الجزائر في 1830. كما يسعى البحث إلى تبيين كيفية تعامل أفراد الطائفة المدروسة مع هذه السياسة، ونتائجها عليهم. لكن قبل الخوض في الموضوع، يبدو من اللازم تقديم لمحة عن وضعية جماعة بني مزاب في مدينة الجزائر قبل الاحتلال، أي في عهد الأتراك العثمانيين.

1- جماعة بني مزاب قبل 1830 والامتيازات الاقتصاديّة الخاصّة

تواجَدَ بنو مزاب في مدن التلّ عموما منذ أزمنة بعيدة يصعب تحديدها[4]. وفي مدينة الجزائر الحديثة انتظم بنو مزاب في التنظيم المؤسّساتي للمدينة في فئة "البرانيّة". و"البرانيّة" مصطلح أطلق على الوافدين الذين ينحدرون من خارج المدينة التي يوجدون بها، والتي يقصدونها لأجل العمل. في الغالب يترك البرانيّة عائلاتهم في المدن والواحات البعيدة التي ينتمون إليها، ومنهم من يتزوّج بمقرّ نشاطه –بالمدن الكبرى– فيندمجون بذلك في مجتمعاتها.

وقد مارس هؤلاء العمال النشطين حرفا عديدة، حيث يذكر بيليسييه[5] أنّ الـ"كثير من المزابيين يستقرون بالجزائر لسنوات عديدة، وكان لهم تحت الداي احتكار الحمامات والطواحين والجزارات، وهم أشخاص يتميّزون بفعّاليّة ومثابرة وذكاء ونزاهة فائقة"[6].

فعن مهنة الجِزارة مثلا، يذكر ديبوا أنّ هؤلاء العمّال النشطين كانوا في عهد ما "الجزّارين الوحيدين في المدينة"[7]. ومن جهته فونتير دو بارادي، يؤكّد احتكار بني مزاب لنفس المهن، ويذكر عن الطواحين مثلا، أنّ بني مزاب كانوا يملكون "طواحين رحى تديرها البغال أو الجمال، خمسة وعشرون منها خاصة بهم، كلّ واحدة منها تنتج أكثر من ثلاثين دفعة في اليوم"[8]. ويذكر نفس المصدر أنّ المزابيين كانوا يُموّلون مدينة الجزائر بالكثير من مواد "البقالة" (épicerie) التي يجلبونها من المناطق الداخليّة [9].

يعتبر كتاب "قانون أسواق مدينة الجزائر" من أهمّ مصادر هذه المرحلة، يبيّن بوضوح طبيعة النشاطات الاقتصادية لبني مزاب في مدينة الجزائر، ومعرفة مكانتهم الحقيقيّة، والامتيازات التي تمتّعوا بها، فبالنسبة لمهنة "الكوّاشة" مثلا: "اشتكى بنو مزاب من الجيجليّين وطالبوا بأن يبقى لهم حقّ القيام بطحن الحبوب للعسكر مثلما كان العمل جاريا في السابق وبالكميّة التي تكفي حاجاتهم وما زاد عن ذلك يباع. فأجابهم بابا حسن إلى ذلك"[10].

وكان من أغراض الإيالة من وراء منح بني مزاب امتيازات اقتصادية، هو تنشيط المبادلات الاقتصادية في البلد، وهو ماذكره الشويهد بوضوح حين تطرق إلى الهدف من سنّ القانون الخاص بموزّعي البقر والغنم، بقوله: "وذلك تحفيزا لهم على إعمار السوق"[11]. وبمدينة المديّة كان أيضا لبني مزاب المستقرّين بها، أولويّة شراء السلع المأخوذة كضرائب من القوافل الصحراوية، ولكن بالسعر الذي يحدّده الباي[12]. وكانت الامتيازات التي تتمتع بها أية طائفة حرفية، محترمة من طرف الطوائف الأخرى[13].

وكان بنو مزاب كغيرهم من البرانية يمثّلهم "أمين"، وكان ذو حظوة خاصّة لدى حكّام الإيالة، يتمّ تعيينه على أساس مكانته المعنوية بين أعضاء طائفته، والتي يستمدها من ثروته الشخصية وخبرته وحنكته[14]. أما مهامّه الأساسية فتتمثّل فيما يلي:

متابعة شؤون جماعته المهنية وحتى الاجتماعية، وجمع الضرائب عنهم للبايليك، والوساطة بينهم وبينه. حلّ الخلافات المهنية التي تقع بين أعضاء طائفته، وكذلك منع المنافسة غير النزيهة بين أعضاء الجماعة، والتبليغ لدى القاضي بالمتحايلين لتحديد العقوبة اللازمة عليهم، كما يتدخل لحلّ الخلافات مع الطوائف المهنية الأخرى. ومن مهامه أيضا: الإشراف على التقسيم العادل للمواد الأولية بين الورشات، وذلك حسب الحاجة والإمكانيات. التنسيق مع سلطة البايليك في تحديد أسعار منتوجات أعضاء طائفته، والمساهمة في تحديد رواتب العمال والحرفيين بها[15].

ورغم طابعه الاقتصادي، إلا أن نظام الطوائف الحرفية كان الهدف منه أيضا "المراقبة السياسيةـالإدارية للأعضاء. [فهو] ملحق إداري بالبايليك"[16]، وهذا طبعا بالنسبة لفئة البرانية التي كانت تعتبر إحدى فئات مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، إلى جانب كل من الأتراك، الكراغلة، الأندلسيين، اليهود، الحضر والأشراف.

2- التنظيمات الإداريّة الفرنسيّة وأهدافها بعد 1830

بعد احتلال مدينة الجزائر، رأت إدارة الاحتلال أن تحافظ على نظام الطوائف الحرفية والإثنيّة بالمدينة، وذلك بمقتضى قرار إداري صادر بتاريخ 14 جويلية 1830[17]، وقد شمل هذا القرار جماعة بني مزاب وجماعة البساكرة كتجربة أوّليّة، ثم تمّت توسعته لاحقا ليشمل الطوائف الأخرى كما سيأتي.

لكن، لعلّ أهمّ ما قامت به الإدارة الاستعمارية اتجاه الطوائف الحرفيّة في البداية، هو أنّها وسّعت من صلاحيّات "أمين الجماعة"، أكثر ممّا كان يتمتّع به من قبل، وذلك في جباية الضرائب على بني عمومته خصوصا! لكن ما هو الغرض من وراء ذلك؟ وما هي نتائجه؟

كانت إدارة الاحتلال في السنوات الأولى التي تلت سقوط مدينة الجزائر بحاجة إلى توفير كل جهد ممكن في مراقبة الأهالي، وذلك نظرا لانشغالها بمواجهة البلاد المضطربة، وكان أمناء الحرف والجماعات إحدى قنوات الاتصال بفئات هامة ونشيطة من السكان، حيث كان مجموع عدد البرانية في مدينة الجزائر سنة 1833 حسب الإحصائيات الفرنسية: 1700 شخص، ووصل عددهم سنة 1838 بعد أن تمّ تشكيل الطوائف البرانية الأخرى: 3382، منهم: 629 مزابي. وبذلك كان بنو مزاب يشكّلون ثاني أكبر طائفة بعد القبائل الذين كان عددهم 1580 شخص[18]، لذلك سعت الإدارة إلى احتوائهم باعتماد نظام البرانية الذي خلفته الإدارة العثمانية، وتعيين أمناء على جماعاتهم بقرار 14 جويلية 1830 المذكور.

لقد أصبح على أمين الجماعة أن يقدّم خدمة خاصّة إلى الإدارة التي عيّنته، حيث أصبح مجبرا على القيام بمهمة "الإخبار" عن كلّ ما يتعلق بالأفراد المنضوين تحت سلطته، أي جماعة بني مزاب المتواجدين بمدينة الجزائر، والذين كانوا من العناصر التي ساهمت بعدد معتبر من المتطوعين في صدّ الهجوم الفرنسي على المدينة سنة 1830، حيث يذكر سيمون بفايفر الذي كان شاهد عيان على ما وقع من أنّ "أمين المزابيّين [قَدِم] مع حوالي أربعة آلاف، وبذلك أصبح الجيش الجزائري بإضافة حرس الآغا أفندي وسكان الجزائر الذين تواصلوا إلى المعسكر على دفعات كبيرة يضمّ خمسين ألف رجل على الأقلّ"[19].

لذلك سعت الإدارة الفرنسيّة إلى مراقبة هذه العناصر التي كانت من أشد المقاومين للاحتلال. كما سعت الإدارة إلى استغلال هذه العناصر من جهة أخرى، عن طريق

استثمار علاقاتها التجارية مع القبائل التي تقطن المناطق الداخلية للبلاد الجزائرية، حيث كان بنو مزاب يتحكّمون في خطّ تجاري هام، بدليل ما نقلته العديد من المصادر، ومنها ما قاله بيليسييه سنة 1836، عند حديثه عن تجارة المزابيّين بمدينة الجزائر: "يمكننا لاحقا بواسطتهم، جلب تجارة أهاليهم المارّة بتونس وطرابلس"[20]. ويذكر بيليسييه اتجاهات التجارة الصحراوية للمزابيين وهي: غدامس، بورنو، تمبكتو، وكلّ السودان، حيث يروّجون السلع التي يحضرونها من هذه الأقطار عبر تونس وطرابلس[21].

وعليه حاولت إدارة الاحتلال استغلال شبكة العلاقات التي نسجها تجار بني مزاب وما ينتج عنها من تنوع الأخبار حول تطوّرات الأمور في دواخل الجزائر في هذه المرحلة الانتقالية الحسّاسة. ولذا خططت الإدارة لاستمالة أمناء الطوائف وكانت التجربة مع بني مزاب فعقدت معهم شبه تحالف مفاده توسيع صلاحيّاتهم على بني عمومتهم أعضاء الجماعة مقابل خدمات تتمثل في إخبار السلطات وضمان الأمن والرقابة على الجالية، عن طريق تسجيل الوافدين على المدينة والخارجين منها، وحق فرض الغرامات على الذين لا يذعنون للأوامر التنظيمية الجديدة التي تخوّل للأمين بأن يسجن أو ينفي كل عضو من جماعته يرفض الخضوع لسلطته.

هذا الدور الخاصّ الذي أصبح يقوم به الأمين من جهة، وتوسيع صلاحياته من جهة أخرى، أدّى إلى سوء العلاقة بينه وبين أعضاء جماعته، حيث تمرّدوا عليه ورفضوا الخضوع له! وحسب الوثائق الأرشيفية المعتمدة في هذه الدراسة، فإن الخلافات بين الأمين وأعضاء الطائفة أخذت تبرز منذ سنة 1832 على الأقل. ولكن الوثائق لا تكشف عن سبب التمرد الذي وقع في هذه السنة، والذي يُرجّح أن يكون بسبب محاولة الأمين استغلال صلاحياته المُوسّعة، بالرفع من قيمة الضريبة المحددة على أعضاء جماعته، ثم استصدار قرار السجن والنفي في خصوص الذين رفضوا الانصياع لأوامره، مما أدّى بهم إلى التمرّد عليه.

وعند وقوع هذا التمرد، طُرحت القضية على الحاكم العام، والذي قام في 24 نوفمبر 1832 بمراسلة جماعة بني مزاب حول القضية، حيث جاء في المراسلة ما يلي: "سعادة الجنرال الكبير لوديك دوروفيقو (Duc de Rovigo) بلغه يوم التاريخ [كذا] أن الناس انتع [كذا] بني مزاب راهم [كذا] عاصيين على حضرة سي مولود بن احمد أمينهم ولم يسمعوا الأوامر". وأمام هذا الوضع أكّد الحاكم العام مساندته التامّة لهذا الأمين الذي كان قد سجن بعض رؤوس التمرد من أعضاء جاليته المزابيين، حسب ما تقضيه صلاحياته مثلما يؤكّده الحاكم العام كالآتي: "فلذلك سعادته راهو [كذا] فوض الأمر إلى مولود الأمين المذكور أن يرمي في الحبس ويضرب العصا وينفي كلّ من يكون من بني مزاب مخلّط أو مفسد أو يحبّ يقيم الهرج والمرج ضدّ الأمين أو بين جماعته" وأن "لا يعترض أحد البتة للأمين".

ثمّ يؤكّد الحاكم العام أمره على "جميع بني مزاب أن يسمعوا ويطيعوا أوامر وأحكام مولود أمينهم". لكنّه من جهة أخرى "يأمر مولود أيضا أن يحكم في جماعته بالحق والعدل والحذر ثم الحذر على من يعمل بالخلاف" فإذا حدث تمرّد، فـ"الأمين لازم عليه أن يعرفنا عن من لا يطيعه أو يعصاه [كذا] من جماعته لأنّهم ملزومين بطاعته وإكرامه واحترامه (...)"[22].

يبدو أن عقوبة السجن التي سلّطها الأمين على أعضاء جماعته كان فيها الكثير من التعسف، حيث تجاوزت السنتين مثلما تثبته مراسلة جماعة بني مزاب إلى الحاكم العام بتاريخ 31 ديسمبر 1834: "واليوم هذا الناس محبوسين من غير إذنك واليوم احنا [نحن] ناس البلاد ما نعرف من يحبس بالحق من غيرك". ومثلما يظهر كذلك من هذا النص، فإن الأمين كان يصدر قرار السجن دون العودة إلى الحاكم العام.

ثم طالبت من الحاكم العام الإفراج عن المسجونين "هذا الناس راهم مظلوم ظلم كبير [كذا] ولا نقدر على هذا الناس راهم قليلين [فقراء] ما عندهم شيء، وهذا الحرام ارماها عليهم الأمين الكبير انتعهم" [كبيرهم][23] واليوم أنت تحكم بينهم بالحق، والسلام"[24].

ونظرا للتجاوزات التي كانت تقع من طرف الأمين، وعندما عزمت الولاية العامة في الجزائر إعادة تنظيم الطوائف الحرفية سنة 1835، رأت جماعة بني مزاب تذكير إدارة الاحتلال بالوضع "الصحيح" الذي يرون أنّه يجب أن يكونوا عليه، وهو الوضع الذي كان قائما قبل الاحتلال، حيث راسلوها بتاريخ "الثالث والعشرين صفر عام 1251هـ" بيّنوا في مراسلتهم أنّ ما كانوا يحظون به من مكانة لدى الأتراك العثمانيين، كان بفضل دورهم في الدفاع عن مدينة الجزائر عندما جاءت "طائفة السبنيول وأرادوا أخذ بلدة الجزائر (...)"، وكان مقابل ذلك أن أجاب الأتراك على مطالبهم وهي حسب أصحاب الرسالة: "طلبنا البيع والشراء في صنعتنا وكذلك لا يتصرف فينا أحد" أي في شؤونهم الداخلية "لا بقتل ولا بحبس ولا بتعزير ولا غير ذلك حتى إذا حكموا أحدا من جماعتنا فإنهم يأتوا به إلى أميننا وهو يتصرّف فيه كيف يشاء (...) ومن جملة ذلك أن جميع الحمامات بيدي بني مزاب (...)". كما بيّنوا له إحدى صلاحيات الأمين، وهي أن "يأخذ عادته من الجماعة سواء كان حانوت أو حمام أو غيره من بني مزاب"، وفي الأخير أشهدوا على صحة ما يقولون عددا من أعيان مدينة الجزائر، منهم "السيد علي الحفاف (...) وبشهادة الحاج محمد أمين البساكرة (...)"[25].

لم تحدث إدارة الاحتلال تغييرات كبيرة على نظام طائفة بني مزاب، حيث أصدرت قرارها بتاريخ 01 جويلية 1835، وأهمّ ما جاء فيه أنّ مهمّة الأمين تكمن خاصّة في: "المراقبة البوليسية لبني مزاب المقيمين بمدينة الجزائر"، كما أنّ المزابيّين الذين يدخلون إلى مدينة الجزائر ويخرجون منها، يتوجّب عليهم إعلام الأمين بذلك "وبأسباب

مغادرتهم للمدينة"[26]. كما حدّدت المادة 03 من نفس القرار قيمة الضريبة السنوية التي يجبيها الأمين عن أعضاء جماعته والتي قدرت بـ12000 بوجو.

أما الأمين فيكون تعيينه من طرف الحاكم العام على الجزائر من بين ثلاثة مرشحين، باقتراح من الأمين المنتهية صلاحياته، والغرض واضح من هذا وهو ضمان ترشح أمناء يسيرون نفس سيرة سابقهم في خدمتهم للإدارة.

لكن السياسات المنتهجة من طرف إدارة الاحتلال اتجاه طائفة بني مزاب، كانت كلّ مرّة تؤدّي إلى نتائج وخيمة على مستوى الطائفة، فقد أدّى تدعيم سلطة الأمين إلى قيامه بتجاوزات في حقّ أعضاء جماعته، وكانت السلطات الرسمية تتغاضى عن ذلك - مثلما تثبته المراسلة التي سيلي عرضها- مقابل ولاء الأمين لها، حيث لم يكن يهمّها غير ذلك.

تغليب المصلحة الخاصة للأمين، أدّى إلى تمرّد أعضاء جماعته عليه، مثلما يذكره تقرير موجّه إلى الحاكم العام: "إنّ أمين المزابيين باحمد القهواجي، أصبحت سلطته غير معترف بها، لقد تحدّاه أربعة من بني مزاب (...) أمس ورفعوا أيديهم عليه، ولذلك فهو يطلب معاقبتهم. (...) إنّ هذا الشخص شديد الولاء لنا (...) بشكل يجعلنا لا نشكّ فيه. هناك مؤامرة تحاك ضدّه لتعويضه، لذلك فإنّه من غير اللائق سياسيا الاستغناء عن خدمات هذا الرجل (...) ومن المحتمل كما ذكر سابقا أن هذا الأمين يكون قد دفع أموالا إلى بعض الأشخاص ليرشحوه لهذا المنصب (...)"[27].

وبالفعل، وقفت الإدارة إلى جانب الأمين، حيث أصدر الحاكم العام بالاتفاق معه، قرارا بنفي بني مزاب المشوّشين من مدينة الجزائر، وذلك ما يظهر من خلال رسالة غير مؤرّخة من الأمين باحمد القهواجي إلى الحاكم العام، يقدّم له فيها أسماء المتمرّدين عليه، جاء فيها ما يلي: "مثلما طلبتم مني سيدي، دونكم أسماء المزابيين الذين رفضوا الاعتراف بسلطتي، والذين تسبّبوا في اضرابات مسّت بالأمن العام، وأسماؤهم كالآتي: ابراهيم بن باحمد، باحيو بن شريف، ابراهيم بن بكلي، عبد العزيز.

سترون سيدي الحاكم العام عندما يتمّ نفي هؤلاء الأفراد الأربعة، كيف سيسود الاستقرار بين أعضاء الطائفة (...). خادمكم المخلص باحمد القهواجي أمين بني مزاب"[28].

حسب تقرير آخر، كان ثلاثة من هؤلاء الأشخاص "زعماء قبائلهم"[29] في مدينة الجزائر، والمقصود بالقبيلة هنا جماعة المدينة الواحدة من مدن مزاب، وبالرغم من مكانتهم إلاّ أن الإدارة وقفت مع الأمين باحمد القهواجي، وذلك رغم تهديد العديد من بني مزاب بالتضامن مع زعمائهم والخروج من مدينة الجزائر[30].

ونتيجة لذلك أرسل جماعة من بني مزاب برسالة إلى الحاكم العام بتاريخ "أول رجب عام1251[هـ]" (02 نوفمبر 1835 في النسخة الفرنسية للرسالة) يشتكون فيها من الأمين المعيّن على رأس جماعتهم، وطلبوا من المارشال كلوزيل بأن يبدّل "الأمين الموجود الآن" واعتبروا ذلك خدمة كبيرة يقدّمها لهم، "وإلاّ فيبقى الهرج والتخليط على حاله" (ولعلّ هذا دليل على وقوع اضطرابات بسبب تمرد بني مزاب على أمينهم) وبرّر أصحاب الرسالة ذلك بأنّ "هذا الأمين أحمد القهواجي لا يصلح ولا يليق بيك وبينا [كذا]، لأنّه رجل يحب يعرّينا [كذا] ويأخذ مالنا ظلما". وهذا بيان واضح على الابتزاز الذي أصبح الأمين يمارسه على أعضاء جماعته بعد أن أطلقت الإدارة يده عليها.

ثم كذّبت جماعة بني مزاب في نفس الرسالة ما ادّعاه الأمين من أنّهم "ضربوه وأهانوه وغيره (...) ولكن لأجل أنّهم ما أحبوه ولا أعطوه مطلوبه جزاه [كذا] هو ضربهم وشكى بهم بالكذب وحبسهم بالباطل (...) واليوم نطلب من الله ومنكم أن تقولوا [أي: تقيلوا] الأمين المذكور وتردّ لنا المسمى الحاج (...)[31] لأنه من كبرائنا ويعرف أكثر العرب وأهل البلد ومحبوب منّا ومنهم"، وسبب حبّهم له حسب نفس الرسالة هو: "لأنّه عادل يخاف الله ويعمل الحقّ والخير مع الفقير والمظلوم، وحين يرجع أمين علينا ترتاحوا من زقانا [أي: صراخنا] وشكوانا (...)"[32].

تظهر في نهاية الرسالة إشارة هامة إلى أحد الأدوار التي كان يقوم بها أمين الطائفة، وهو الدور الاجتماعي، ففي نص الرسالة جاء في تبرير طلب أعضاء الطائفة بإعادة الأمين السابق الذي تم تغييره، بأنّه "عادل يخاف الله ويعمل الحقّ والخير مع الفقير والمظلوم".

ولعلّ أهمية الجانب الاجتماعي للتنظيمات الإثنية والحرفية، هو الذي جعل بني مزاب والبساكرة يتمسكون بهذا التنظيم، الذي كان يحقّق التأطير الاجتماعي لأفراد الطائفة، حيث تضمن لهم الشغل، والمسكن بالتبَع (ففي الغالب كان العمّال يقيمون في محلّ العمل التابع "للمعلّم" أو ربّ العمل)، كما تسهل عملية التكافل بين الأعضاء، خاصة مع تزايد عدد العمال البرانية في الجزائر، بسبب الحركية الاقتصادية لمدينة الجزائر، عكس الأرياف التي كان تعاني من اضطرابات السنوات الأولى للاحتلال، ففي سنة 1838 كان عددهم 3382 عامل، وبلغ سنة 1839 مجموع 5243 عاملا مُوزّعين كالآتي: قبائل زواوة: 2829، مزابيون: 703، بساكرية: 814، زنوج: 408، قبائل مزيتة: 273، أغواطيون: 116. ثم بلغ مجموع عدد البرانية سنة 1844 إلى 9670 عاملا، وفي 1849 وصل الرقم إلى 10742 عامل[33].

وبالعودة إلى الجانب الاجتماعي للتنظيم الحرفي ومهام الأمين، فإن إدارة الاحتلال لم يكن يهمّها ذلك كثيرا، بقدر ما كان يهمّها الوفاء لها ومراقبة الجماعة، حيث لم تكن تجاوزات الأمين في استخلاص الضرائب هي وحدها سبب اضطراب جماعة بني

مزاب وتمرّدهم على أمينهم، بل إنّ الولاء المبالغ فيه للإدارة من طرف الأمين باحمد القهواجي، جعله في نظر جماعته خارجا عن الملّة الإسلامية، حيث نعته أحد المزابيين الناقمين عليه في مدينة الجزائر بـ"الكافر" و"المسيحي"، ممّا دفع بالأمين إلى رفع القضية على الأنتوندون سيفيل، والذي بدوره رفعها إلى الحاكم العام، فأجاب هذا الأخير طلب الأمين باحمد في 11 نوفمبر 1835 في رسالة "إلى الأنتوندون سيفيل بالجزائر" جاء فيها ما يلي: "لقد أعلمتموني في تقريركم المرسل في الثامن من الشهر الجاري، أن أمين المزابيين طلب السماح له بالمعاقبة عن طريق الضرب [الجلد] للمدعو بوزيزي، الذي قال للعديد من أعضاء جماعته [بما فيهم الأمين]: إنكم لستم مسلمين، أنتم مسيحيون، لأنكم خدام المسيحيين. تجب في حق هذا الشخص عقوبة صارمة، (...) وأدعوكم بعدها إلى إعلامي بالنتيجة"[34].

نجحت إدارة الاحتلال الفرنسي في سياستها تجاه الطوائف والجماعات الإثنية كما يبدو، وحقّقت أهدافها من جرّاء تعاونها مع الأمين في السيطرة على الجماعة، رغم المشاكل التي وقع فيها الأمناء من جرّاء سوء تسييرهم لشؤون الطائفة، وما يؤكّد ذلك بوضوح، التقرير الذي أرسلت به وزارة الحرب الفرنسية إلى الحاكم العام سنة 1837 والذي جاء فيه ما يلي: "سيدي الحاكم العام، فكّر مجلس الإدارة في عدّة مناسبات في إعادة تنظيم طوائف كلّ من المزابيين والبساكرة، والسود، والأغواطيّين، وقبائل مزيتة. وأنتم من جانبكم كنتم قد أصدرتم على وجه العجلة في 4 جوان الأخير قرارا يقضي بتكوين طائفة القبائل في مدينة الجزائر. لقد درست بدوري بكلّ عناية هذا القرار، وكذلك المشاريع المقدّمة إلى المجلس في جلسته بتاريخ 22 ديسمبر 1836، وكذا قراراته المتخذة في 17 ماي الفارط و 3 جويلية 1837 حول أمين بني مزاب. هذه الدراسة جعلتني أقتنع بضرورة تأسيس مختلف الطوائف الأخرى، وبدون تأخّر".

وفسّر التقرير ذلك، بأهمّية الدور الذي يؤدّيه الأمين في ضمان مراقبة دقيقة لأفراد جماعته، و"جباية الضرائب عنهم"، وتطبيق العقوبات عليهم خاصّة "في حالة الإدانات التي يكون فيها إفراط (...)"[35]، فإصدار العقوبات والأوامر بالسجن كان يتم من طرف الأمين، وهو ما طالب التقرير الآنف الذكر بالإبقاء عليه.

ولهذا وسّعت إدارة الاحتلال نظام الطوائف، وذلك بمقتضى قرار الحاكم العام الصادر بتاريخ 31 جانفي 1838، وبمصادقة الملك الفرنسي لويس فيليب، أقرّ إعتماد الطوائف القائمة وإنشاء طوائف جديدة وهي كلّ من: "القبائل، البساكرة، المزابيين، قبائل مزيتة، الأغواطيين، والسود". وحدّد القرار مهمّة أمناء الطوائف بدقّة كالآتي: "المراقبة البوليسية لأعضاء الطائفة (...) والفصل في النزاعات التي تقع بينهم" والتي لا تؤدّي إلى ضرر جسدي. و وضع القرار في يد الأمناء أدوات لتطبيق سلطتهم وهي: "أولا: التغريم؛ ثانيا: السجن؛ ثالثا: العقوبات الجسدية المقررة من طرف التشريع السائد في البلد [الجلد]".

كما جاء في المادة الرابعة من القرار أنّه على الأمناء: "الإخبار عن كل فرد من أفراد جماعته يرى أنّه يشكّل خطورة معيّنة". كما يتعيّن على الأمناء باستمرار، تقديم سجلّ بأسماء أعضاء الطائفة وأرقامهم التسلسلية في الطائفة ومِهنهم، والقبائل التي ينتمون إليها. وكذلك يقدّمون سجلاّ آخر بالقرارات التي اتخذوها اتجاه أعضاء جماعاتهم. هذا بالإضافة إلى دفاتر خاصة بكل أعضاء الطائفة، حيث يقيّدون فيها تحركات كلّ فرد، تاريخ مغادرته وتاريخ عودته، ولا يجب التأخر عن الإبلاغ عن تاريخ العودة بأكثر من 24 ساعة، وإلاّ فإنّ صاحبها يتعرّض للتغريم. وجاء في المادة 14 أنه لا يسمح لأي شخص ينتمي إلى الفئات المذكورة بالاستقرار في الأقاليم التي تقع تحت سيطرة الفرنسيين، إذا لم يكن اسمه مسجّلا لدى الأمين، ولديه دفتر ورقم خاص به. كما أصبح كل فرد يدفع عند مغادرته رسما قدره فرنكان، وعند عودته يدفع رسما بـثلاثة فرنكات، ثم ألغي هذا النظام وفرض مكانه رسم سنوي قدره فرنكان اثنان.

أمّا عن أجرة الأمناء، فقد حدّدها القرار سنويّا فيما بين 900 و1500 فرنكا، حسب أهميتهم، هذا بالإضافة إلى جزء من ناتج الغرامات ورسوم المغادرة والعودة. أما الكاتب فيتقاضى أجرة تتراوح ما بين 600 و720 فرنك، والشواش ما بين 480 و600 فرنك.

كما تضمّن القرار في المادة 22 منه، مبدأ المسؤولية الجماعية على أعضاء كل طائفة، عندما يقوم أحدهم أو بعضهم بمخالفة، وعند عدم تحديد الشخص المرتكب للخطأ من قبل جماعته، فإن كل الطائفة تدفع الغرامة على قدر الخطأ المرتكب[36].

يبيّن هذا القرار أهداف الإدارة الفرنسية الاستعمارية بوضوح، وهي المراقبة البوليسية، والقمع السياسي لكلّ من يعمل في غير صالحها، أو يشكّل خطرا عليها، هذا إلى جانب العائدات الماليّة الهامّة التي كان الأمناء يستخلصونها عن أعضاء طوائفهم في الحالات المذكورة آنفا. ورغم التجاوزات التي كانت تقع من الأمناء في حق أعضاء جماعاتهم، مثلما قام به أمين بني مزاب سنة 1834 من سجن عشرة أشخاص من الجماعة لأنّهم رفضوا دفع الضريبة التي طالبهم بها[37]، إلاّ أنّ الإدارة وقفت إلى جانب الأمناء الذين أصبحوا أداة من أدوات تنفيذ سياستها.

أحدثت إدارة الاحتلال العديد من التعديلات على نظام الطوائف الحرفية في مختلف مدن التل الجزائري، وذلك بمقتضى قرارات ومراسيم عديدة مثل قرار 08 جانفي 1845، قرار 16 فيفري 1847، مرسوم 05 مارس 1847، مرسوم 23 سبتمبر 1850 ... الخ. وعندما تمكّنت الإدارة من التحكّم المباشر على المناطق المحتلّة، وكذلك بعد تراجع العائدات المالية للأمناء[38]، وعندما أصبح بالإمكان الاستغناء عن هؤلاء "الأمناء" الوسطاء ، أصدرت مرسوم 25 سبتمبر 1868، ثم قرار 22 جانفي 1873[39]، اللذان نصّا على إلغاء نظام الطوائف البرانية بشكل نهائي.

الخاتمة

احتفظت السلطات الفرنسية في بداية الاحتلال بنظام الطوائف الحرفية، في إطار استراتيجية واضحة، وهي أن هذا التنظيم وبغض النظر عن دوره الاقتصادي، فهو يضمن للإدارة المراقبة الدقيقة لتحركات جماعات البرانية بمدينة الجزائر. في الواقع كان هذا التنظيم يخدم كذلك أعضاء الطوائف الحرفية، لأنه لم يكن بالنسبة لهم مجرد تنظيم اقتصادي فحسب، بل كان يؤطرهم اجتماعيا كذلك، حيث استمر أعضاء فئة بني مزاب مثلا، في التكفل بأعضاء جماعتهم الذين تعرضوا لأزمات مثل المرض أو غيره[40]. لذلك حرصوا في مراسلاتهم مع الإدارة على المطالبة بضمان السير الحسن للتنظيم، وعدم تقديم المصلحة الشخصية للأمين على حساب مصلحة الجماعة، لأن الأصل أن يسهر هذا الأخير على شؤون جماعته، لا أن يضرّ بهم.

لكن، كان احتفاظ سلطات الاحتلال بالتنظيمات الحرفية مؤقتا ولفترة انتقالية كما سبق تبيينه، وعندما أصبح غير مُجدٍ بالنسبة لها، قضت عليه مثلما قضت على فئة الحضر، ولو بطريقة أخرى، وكان ذلك بسبب "ضياع ثروة الملاكين الذين قادتهم المضاربات النهِمة إلى فقدان ثروتهم العقارية (...) ومنافسة الصناعات الأروبية للصناعات التقليدية، ممّا أدّى بهذه إلى الخراب (...) وهكذا فقد الملاّكون والصنّاع ثروتهم وافتقدوا نتيجة الاحتلال. وكانوا يمثلون أساس المجتمع الحضري. وقد سرى هذا القانون الاجتماعي على مختلف المدن رغم أن المدينة المتأثرة الأولى به هي العاصمة"[41]. وبهذا يقدم هذا المقال صورة لنتائج السياسة المتّبعة من طرف سلطات الاحتلال تجاه سكان المدن، ولاسيما الفئات النشيطة بها.

الملحق

رسالة جماعة من بني مزاب إلى الحاكم العام كلوزيل للمطالبة بتغيير الأمين بتاريخ "أول رجب عام1251[هـ]" (02 نوفمبر 1835 في النسخة الفرنسية للرسالة)[42].

قائمة المراجع

(1)- غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 - 1830، رسالة دكتوراه دولة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000 - 2001. نشر سنة 2007، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار.

(2)-Lespès R. Quelques documents sur la corporation des Mozabites d'Alger dans les premiers temps de la conquête، Revue Africaine, 1925, pp 197-218.

(3)- أنظر خاصة:

مروش لمنور، البرانية في العهد العثماني وفي بداية الاحتلال الفرنسي، منظمة العمل العربية، المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل، الندوة العلمية الثالثة من 21 إلى 26 فبراير 1981، الجزائر.

(4) -Shaw Tomas, Voyage dans la régence d'Alger, Marlin Editeur, Paris, 1830, p 328.

(5) - بيليسييه (Pellissier de Reynaud Eugène) (1800-1858)، دبلوماسي، مؤرخ، وإداري، اشتغل بالجزائر العاصمة في بداية الاحتلال.

(6) - Pellissier de Raynaud, Annales Algériennes, Anselin et Guautier – Laguionie, Paris, 1836, pp. 466-467.

- أنظر كذلك:

Shaler W., Esquisse de l'Etat d'Alger, Traduit de L'Anglais par: Bianchi M. X., Librairie Ladvocat, Paris, 1830, p. 116.

(7) -Esquer G., Collection de document inédits/Dubois T., Mémoire sur Alger, 1809, p. 133.

(8) -Venture de Paradis, Alger au XVIII ème siècle, Fagnan, Adolphe Jordan, Alger, 1898, note n°1, p. 210.

(9) -Ibid.

أنظر كذلك:

Esquer G., Collection de documents inédits/Boutin, Reconnaissance des villes, …, 1808, p. 73

(10) - الشويهد عبد الله بن محمد، قانون أسواق مدينة الجزائر، تحقيق: الدكتور ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 2006، ص 69.

(11) - الشويهد عبد الله بن محمد، قانون أسواق ...، مصدر سابق، ص 63.

(12)- Federmann Henri et Aucapitane Henri, « Notices sur l'histoire et l'administration du beylik de Titeri », in : R.AF., n° 11, 1867, p.214.

(13) -Houari Touati, Les corporation de métiers à Alger à l'époque ottomane, Revue d'histopire maghrebine, n° 47-48, Décembre 1987, p275.

(14) -Houari Touati, Les corporation de métiers Op. Cit., p. 273.

(15)-Houari Touati, Les corporation de métiers Op. Cit., p.p. 273-275.

(16)-Houari Touati, Les corporation de métiers Op. Cit., p279.

(17)-Pellissier de Raynaud, Annales Algériennes, Anselin et Guautier – Laguionie, Paris, 1836, T. I, p. 79.
(18) -C.A.O.M., Fond : FM, Série : F80, Carton : 556.
(19) - بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخيّة عن الجزائر، تق. وتع. أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 80.
(20) -Pellissier de Raynaud, Annales Algériennes, Houari Touati, Les corporation de métiers Op. Cit., T. II, p. 467.
(21)-Pellissier de Raynaud, Annales Algériennes, Houari Touati, Les corporation de métiers Op. Cit., p. 466.
يذكر Dubois كذلك أن تجارة بني مزاب تتجه إلى غدامس عن طريق بلاد الجريد:

Esquer G., Collection de document inédits/Dubois T., Mémoire sur Alger, 1809, p. 133.
(22)-C.A.O.M., Zone générique : alg, Fond: gga, Série : H, Carton : 1H2.
(23) - يبدو من صيغة الجمع في الكلمة كبيرهم، أن الرسالة من جماعة وادي مزاب وليس من الجماعة في مدينة الجزائر.
(24)-C.A.O.M., Zone générique : alg, Fond: gga, Série : H, Carton : 1H2.
(25) -C.A.O.M., Fond : FM, Série : F80, Carton : 557.
(26) -Ibid.
(27)-Ibid
Lettre au Gouverneur Général, Alger le: 01 Mars 1835.
(28) -C.A.O.M., Fond : FM, Série : F80, Carton : 557.
(29)-Ibid
Intendant Civil, Lettre au Gouverneur Général, Alger le: 04 Mai 1835.
(30) -C.A.O.M., Fond : FM, Série : F80, Carton : 557:
Le secrétaire par intérim de l'Intendant Civil, Lettre au Gouverneur Général, Alger le: 17 Mai 1835.
(31) - الإسم غير واضح تماما.
(32) - C.A.O.M., Fond : FM, Série : F80, Carton : 557. أنظر نسخة من المراسلة في الملحق.
(33) - سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، عالم المعرفة، 2009، ج.1، ص ص 107-108.
(34) -C.A.O.M., Fond : FM, Série : F80, Carton : 557:
Lettre à L'Intendant Civil, le: 11 Novembre 1835.
(35) -C.A.O.M., Fond : FM, Série : F80, Carton : 557:
Ministre Secrétaire d'Etat de la Guerre, Lettre au Gouverneur Général, Paris le: 20 Août 1837.
(36) - أنظر النص الكامل لقرار 31 جانفي 1838 في المصدر التالي:

Moniteur Algérien (Journal officiel de la colonie), n° 325: 09 Février 1838.
(37) -C.A.O.M., Fond : FM, Série : F80, Carton : 557:

Lettre d Gouverneur Général à L'Intendant Civil, le: 29 Novembre 1834.

(38) - مروش المنور، البرانية في العهد العثماني ...، مرجع سابق، ص 11.

(39)-Houari Touati, Les corporation de métiers Op. Cit., p279.

(40) -C.A.O.M., Fond : FM, Série : F80, Carton : 556.

(41) - سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية ...، مرجع سابق، ج.1، ص 88.

(42) – المصدر: .C.A.O.M., Fond : FM, Série : F80, Carton : 557.

المعتقدات في كرامات الأولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني

ملخص

أردت من خلال هذه المقالة أن أعالج معتقدات مجتمع مدينة الجزائر في الأولياء. حيث عرفت الجزائر ظاهرة الأولياء و الأضرحة خاصة في العهد العثماني و هذا بسبب انتشار أفكار خاطئة حول قدراتهم الخيالية في معالجة العديد من المشاكل سواء كانت عضوية أو اجتماعية أو نفسية، فقد تحولت هذه الأضرحة مزارا لطلب الشفاء من الحمى و الجنون و كذا طلب المساعدة في الزواج و غيرها. وقد وردت في عقود المحاكم الشرعية – حيث العقلانية القانونية- العديد من الإشارات التي تبين نظرة الناس في المدينة إلى الأولياء لذا كانت هذه العقود المصدر الأول لهذه المقالة إضافة إلى المصادر والمراجع الأخرى.

ياسين بودريعة

جامعة البويرة
الجزائر

عرف العالم الإسلامي ظاهرة الأضرحة والأولياء منذ العهود الأولى للإسلام وقد زاد انتشارها في العهد العثماني حيث كانت الجزائر من بين المناطق التي انتشرت فيها هذه الظاهرة حتى أن العديد من مدنها أصبحت معروفة باسم أشهر وليها مثل مدينة سيدي الهواري بالنسبة لمدينة وهران وسيدي بومدين الخاص بمدينة تلمسان وغيرهما. أما مدينة الجزائر فقد عرفت باسم سيدي عبد الرحمن نسبة إلى أشهر أوليائها عبد الرحمن الثعالبي. وقد انتشرت بين أهالي المدينة خرافات وأساطير غريبة حول قدرة هؤلاء الأولياء في العديد من الأمور منها حماية المدينة والقدرة على شفاء المرضي وحل بعض المشاكل الاجتماعية كالزواج مما أضفى عليهم هالة كبيرة جعلت منهم أشخاصا فوق العادة بما أنهم أناس صالحون ومباركون في نظر المجتمع، وبعد وفاتهم ومن شدة تعلق الناس بهم يبنون عليهم

Résumé

Cet article traite des croyances de la société algéroise dans les capacités thaumaturges des saints de la ville, surtout à l'époque ottomane, et ce, en se basant sur des documents d'archives.

Ce qui retient l'attention est que ces croyances se retrouvent dans les transactions consignées dans les actes notariés des *mahakim*, hauts lieux de la rationalité juridique.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

قبورا غير عادية أصبحت بمثابة مؤسسات لها مسميات عديدة كالأضرحة أو الزوايا أو المزارات و غيرها.

وقد خصصوا لها أوقافا[1] حتى تستطيع القيام بنشاطاتها الاجتماعية و الدينية كالصدقات على الفقراء والتعليم والإيواء والاحتفال ببعض المواسم مثل مناسبة المولد النبوي الشريف وعيدي الفطر والأضحى وغيرها. كما ساهمت هذه الأوقاف في دفع أجور العمال الذين يعملون بهاته الأضرحة و كذا ترميمها مما ساهم في استمرارها ولولا دخول الجيش الفرنسي إلى المدينة و الذي قام بتدمير العديد منها نتيجة توسعة المدينة لبقيت ربما إلى غاية اليوم نظرا لتعلق الناس بها.

أردت في هذه المقالة أن أجمع قدر الإمكان أهم المعتقدات الموجودة بين أفراد مجتمع مدينة الجزائر انطلاقا من الأرشيف، حيث أصبح الأرشيف يوفر لنا معطيات مهمة حول مختلف المواضيع التاريخية وفيما يخص موضوعنا فالقراءة المتأنية بين ثنايا العقود يوضح لنا بعض الجوانب المتعلقة بهذه المعتقدات ففي عقود الوقف نجد أن من بين الأسباب الرئيسية للأوقاف على الأضرحة هو نيل بركة أصحاب هذه القبور مثل عبارة"نفعنا الله به" أو "المستغاث به"، بالإضافة إلى الأرشيف تم الاعتماد على بعض المصادر والمراجع سواء المحلية منها أو الأجنبية.

1- اعتقادات أهل مدينة الجزائر في الأولياء الصالحين

1-1 اعتقادات أهل مدينة الجزائر في الأولياء الصالحين

رافق انتصار الجزائريين على العديد من الحملات الأروبية بعض العوامل الطبيعية التي ساهمت في ألحاق خسائر فادحة في صفوف المهاجمين. نذكر في هذا الشأن حملة شارلكان على مدينة الجزائر عام 1541 التي شهدت عاصفة كبيرة أثناء المعركة أدت إلى تعطيل حركة جيش الإسبان و كذا تحطيم عدد كبير من السفن مما جعل الإسبان ينهزمون أشر هزيمة[2]. كل هذا ساهم في تعزيز اعتقاد الجزائريين بوجود حماية إلهية لمدينتهم حتى أصبحوا يطلقون عليها الجزائر المحمية بالله تعالى أو الجزائر المحروسة و في نظر مجتمع مدينة الجزائر فإن هذه الحماية الإلهية إنما جاءت بفضل الأولياء المدفونين بها كعبد الرحمن الثعالبي و عمار التنسي و سيدي منصور وغيرهم و في هذا الشأن كتب أحد الشعراء قصيدة مطولة يمدح فيها انتصار الجزائريين على حملة الدانمارك في سنة 1184هـ/1771م حيث كانت عدة أبيات منها مخصصة لمدح الأولياء ومما جاء فيها:

جات بنين الروم قبلهـــا جا للبحر وقال له اطمـــا
هاج البحر كسر سفونهم وابقأت غير الواح عايمه
عبد القادر حـرمها الكفـا هو الّى يرعـاهـــا[3]

إنّ هذا الاعتقاد بقدرة الأولياء جعلهم ينسجون حولهم خرافات وأساطير فكلما انتصر الجزائريون في معركة من المعارك ضد الهجمات الأوروبية إلاّ وظهرت

أسطورة تمجد إحدى الشخصيات ومن الأمثلة أسطورة "بوڤدور"[4] الذي عاصر حملة شارلكان عام 1541م و مفادها: أنّه أثناء المعركة ذهب هذا الولي إلى الميناء وحمل معه مجموعة من الأواني الخزفية وبدأ بتكسيرها الواحدة تلو الأخرى وكلما كسّر آنية تحطمت سفينة من سفن العدو ومن ثم أصبح يسمى "بوڤدور" أو "بوالقدور" ولما توفي أضحى قبره الذي يقع قرب زاوية محمد الشريف الزهّار مزارا، كما أنه من بين الخرافات التي تناقلها الناس خلال هذه الحملة أن ضريح أبي التقي كان مضيئا أثناء ليلة المعركة[5]، وقد بلغ الجهل بالناس أنهم كانوا حينما يرون العدو ينبشون قبور الأولياء ويأخذون عظامهم ويقصدون البحر لكي يضربونه فيهيج البحر ويحطم سفن العدو.

2-1 الاعتقاد ببركة الأولياء

لقد صاحب الأولياء سكان مدينة الجزائر في حياتهم اليومية فقد كان تأثيرهم كبيرا عليهم في مختلف النواحي الاجتماعية ولم يقتصر التأثير على فئة معينة بل كان على كل الفئات فقيرة أو غنية جاهلة أو متعلمة و نرى أن حمدان بن عثمان خوجة وهو أحد سكان المدينة المثقفين و الميسورين يعتقد ببركتهم وحرمة قبورهم ، حيث يقول: "...أنّ المرابطين يعلمون الناس الأخلاق و يفسرونها بقدر المستطاع كما يعلمونهم الصلاة ويهدونهم إلى مكارم الأخلاق، ومقابل ذلك يجنون الطاعة المطلقة، ويعتقد السكان أنّ كل دعائهم مقبول عند الله الذي يؤمنون بقداسته وجلاله.."[6]، وفي موضع آخر وفي مذكرته إلى وزير الحربية الفرنسي سنة 1833، يحلل حمدان خوجة مكانة الأولياء فيقول: "....مقتضى ديننا وسياستنا احترام الأولياء واحترام تربتهم، ولو كان عليه قصاص شرعي، لا نخرجه من التربة بل نترصد خروجه بنفسه احتراما لذلك الولي، وتعظيما لمن أطاع الله فهي بمنزلة الجوامع في الاحترام واشتراك الناس في زيارتها والاحتماء بها..."[7] ويعبر مورقان Morgan عن هذه العلاقة بين الأفراد والمرابط "الولي"، من خلال بعض السلوكيات التي يقوم بها الناس اتجاه الأولياء مثل تقبيل أيديهم عند التسليم عليهم[8].

إنّ هذا التأثير من طرف الأولياء ساهمت فيه الأساطير المنسوبة إليهم كما قلنا سابقا حيث زادت في شعبيتهم والاعتقاد الخرافي بقدسيتهم، ومن بين هؤلاء، الأولياء والي داده، سيدي منصور، امحمد بوقبرين و سيدي بوڤدور وغيرهم، حيث أصبحت أضرحتهم مزارات لنيل البركة، كما كان الفقراء في مدينة الجزائر عندما يطلبون الصدقة يستغيثون بأحد الأولياء من أمثال عبد القادر الجيلاني دفين بغداد كأن يقول "صدقة بجاه سيدي عبد القادر"[9]، وقد سببت هذه الكلمة الكثير من المشاكل للشحاذين الذين كانوا كثيرا ما يتلقون صفعات لأن الفرنسيين كانوا يظنون أنهم يستغيثون بعدوهم الأمير عبد القادر[10].استنادا إلى رواية دوفولكس Devoulx، كانت النساء الفقيرات تحلفن بسيدي هلال لاعتقادهن بأنه الوحيد الذي يزيد من قوتهن[11].

امتد هذا التأثير إلى مؤسسة الوقف فقد قام السكان بتأسيس أوقاف على أضرحة هؤلاء الأولياء طلبا للأجر والبركة، حيث رافقت عقود الحبس بعض الأدعية مثل"نفعنا

الله ببركاته أمين" أو " نفعنا الله ببركاته و بركة أمثاله"، كما أنّ هذه الأدعية عادة ما تذكر شخصية الولي وتعرف به بذكر مهنته أو وظيفته و مثال ذلك: "... فيرجع الحبس المذكور على الولي الصالح الإمام العالم ...سيدي فلان نفعنا به أمين ". هذا و الملفت للانتباه أنّ عبد الرحمن الثعالبي كان هو الأكثر طلبا للبركة و تنوعا في الدعاء في التحبيس وهذا لكثرة من حبس عليه وتنوع فئاتهم الاجتماعية ، وقد رأينا من المفيد نقل بعض هذه الأدعية المرفقة في وثائق التحبيس الخاصة بالأضرحة، فمنها وقفية الحاج علي[كذا] بن ناصح والمؤرخة في سنة 1224هـ/1809م و مما جاء فيها ما يلي: "...فإن انقرض الجميع يرجع ذلك وقفا على ضريح الولي الصالح القطب الرّباني سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله به أمين... "[12]، و في وقفية دومة بنت أحمد المؤرخة في سنة 1825م فقد أرفقت في وقفيتها الدعاء لها و لجميع المسلمين وقد جاء على هذا النحو: "... ووقفت جميع قزانها من النحاس على ضريح الولي الصالح الغوث الناصح أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته و بركة أمثاله أمين..."[13]، ومن الوثائق التي وصفت عبد الرحمن الثعالبي العلامة والمفسر وغيرها ما جاء في وقفية الحاج مصطفى بن الحاج محمد وهي مؤرخة سنة 1191هـ/1777م "... والنصف الآخر على ضريح العالم العلاّمة المفسر المحدث المؤلف الشيخ الربّاني الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي"[14] وهناك نوع من الأدعية التي تستغيث بالولي منها ما جاء في وقفية الحاج أحمد و المؤرخة سنة 1175هـ/1761م: "...على ضريح الولي القطب الربّاني الناصح ، الشيخ البركة المستغاث به في حالتي السكون والحركة سيدي عبد الرحمن الثعالبي.. "[15] و في الأخير نذكر ما جاء في إحدى الوثائق وهي عبارة عن مجلس علمي عقد في ضريح عبد الرحمن الثعالبي ومؤرخة في سنة 1108هـ/1696م ومما جاء فيها: "...و عقد لهما بسبب ذلك مجلس علمي بجامع الشيخ البركة المتبرك به و بضريحه ذي العناية و الجاه القطب الربّاني العارف بالله أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله به و ببركاته و أفاض علينا من أنواره بجاه سيدنا محمد وآله و صحبه... "[16]. وفي الأخير نورد بعض ما جاء في وقفية السيد محمد أبي العباس البكوش، على ضريح عمر التنسي سنة 1031هـ/1621م: ".....فإن انقرض جميعهم و لحق بالله وضيعهم و رفيعهم رجعت الأزواج الترابية[17]المذكورة حبسا على زاوية الشيخ الرباني العارف بالله تعالى المتبرك به السيد عمر التنسي قدس الله سره و نفعنا الله به و بأمثاله.... "[18]

إن الإعتقاد ببركة أولياء مدينة الجزائر لم يقتصر على أهلها بل امتد إلى زوارها حيث كان العديد من زوارؤ المدينة يزورون أحد هذه الأضرحة من أجل نيل بركتها ففي هذا الشأن ذهب التمغروطي ضريح عبد الرحمن الثعالبي عند زيارته لمدينة الجزائر و قد ذكر ذلك في كتابه حيث جاء كلامه على هذا النحو""... وكل هؤلاء خارج باب الوادي زرناهم و تبركنا بهم رحمهم الله ..."[19] و ورد في إحدى قصائد الشاعر التلمساني ابن المسايب أحد شعراء القرن 18، ما يحث على زيارة ضريح عبد الرحمن الثعالبي حتى ينال زائره البركة:

قم يتنحل[20] اللبيبان[21] للجزائر أدخل فرحان
شوف سيدي عبد الرحمن بركته ينفعنا بها[22]

ونشير إلى أنّ غالبية أضرحة مدينة الجزائر كانت عبارة عن زاويا للعلم وملاجئ للغرباء لذا كان أكثر نزلاء هذه المنشآت من أهل العلم و رجال التدريس و في هذا الشأن ورد تحت قلم المؤرخ مولاي بالحميسي: "... كان رجال التدريس في مختلف الفنون هم الأكثر من بين النزلاء لما كان لمدينة الجزائر من إشعاع ثقافي تركه الولي الصالح تدعمه هياكل الاستقبال للغرباء و الطلبة..."[23] .

3-1 الاعتقاد بقدرتهم على شفاء المرضى

امتد تأثير أضرحة هؤلاء الأولياء إلى مجال الصحة حيث أصبحت أضرحة الأولياء في اعتقاد الناس مصدرا للشفاء يقصدونها طلبا للشفاء من مختلف الأمراض سواء كانت عضوية كمرض الحمى و التهاب العين والعقم، أو عقلية كالجنون والعين و الحسد[24] و كذلك المشاكل الاجتماعية كالزواج وحفظ العلاقة الزوجية و غيرها . على هذا الأساس نجد في نظر الكثير من فئات المجتمع أن كل ضريح يختص في علاج مرض معين أو حل إشكال اجتماعي ما ومن الأمثلة على ذلك نجد أن ضريح علي الزواوي يشفي الحمى و العقم كما يقوم بحل مشاكل اجتماعية خاصة منها حفظ العلاقة الزوجية[25]. أما ضريح يحي الطيار فكان ينتظر منه الشفاء من الحمى و"المس" إذ يكفي للمريض أن يستحم بالماء الموجود في منبع ماء هناك ، ثم يبيت في الضريح، حيث يتم استنطاق الجن وإجباره على الخروج من جسم المريض، ولا يكتمل العلاج إلا بزيارة ضريح سيدي الأكحل الموجود بالقرب من ضريح يحي الطيار[26]. أما ضريح سيدي فليح الموجود في مقبرة عبد الرحمن الثعالبي فقد كانت البنات تزرنه لطلب الزواج حيث يطفن به ويرددن: " سيدي فليح! سيدي فليح! أعطيني زوج وأعطيك عشرة سوردي"[27] أمّا ضريح سيدي يعقوب فقد كان مزارا للمسلمين واليهود على السواء حيث كان يعتقد أنه يشفي كل الأمراض و منها طرد الجن[28]، أما ضريح عبد الرحمن الثعالبي فقد كان في مقبرته شجرة خروب كبيرة يعتقد أنّ أوراقها تشفي الحمى[29] وأنّ الأمراض العضوية تشفى بمجرد الزيارةو في ما يخص الأمراض المعقدة والتي تأتي من العين أو الجن فتتطلب وجود ما يعرفون "بالطالب" أو المرابط فهو حسب هايدو نوع من المرابطين الذين تعلموا حرفة السحر والشعوذة[30] فهو الذي يقوم بتحضير العلاج المناسب[31] وفي هذا الشأن يرشد المريض إلى الضريح المناسب لمرضه حيث ينصحه بأخذ بعض اللوازم معه منها النقود وتعيين لون و نوع الذبيحة التي يجب التضحية بها وعادة ما تكون هذه الذبائح من الدجاج أو الأبقار أو الكباش أو المعز. فالدم فيشربه الجن وأما اللحم فيطبخ ويوزع على الزائرين للضريح[32]. كما يقوم المرابط بعلاج الأمراض بكتابة تعزيمة وهي عبارة عن كتابة كلام مبهم يخطونة في قماش ويضعونها على رقاب الأطفال وحديثي الولادة وكذا على رقاب النساء اللواتي يعانين الاضطهاد من طرف أزواجهن. أما كيفية تحضير "الأدوية" فتتم حسب

هايدو بمخدرات مخلوطة بالضفادع وأظفار الذئاب وبراز القردة وأنياب الخنازير وغيرها[33]، وقد جاء في وثيقة عهد الأمان عام 1162هـ/1748م أنّ هؤلاء المرابطين أولياء صالحين و هم موجودون في كل العالم حيث يجب إتباع نصائحهم وتعزيمتهم لأنها مصدر النجاح[34].

إن هذه الممارسات التي جعلت مجتمع مدينة الجزائر يطلب الشفاء من الأولياء هي معتقدات راسخة إلى غاية اليوم، و قد انتشرت هذه الممارسات خاصة في العهد العثماني نتيجة قلة العناية الصحية و كذا قلة الأطباء وقتئذ حيث نجد أن الحكام لم يشجعوا تعلم مهنة الطب و المداواة بالطرق الحديثة بل تركوا المداواة بالطرق التقليدية أو الاعتماد على الشعوذة والسحر والزيارات أو الاستعانة بالتمائم التي يعدها "الطلبة"[35].

2- مواعيد زيارة الأضرحة و الطقوس المرافقة لها

لقد لعبت أضرحة الأولياء بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني دورا كبير ا في حياة وسلوك عدد كبير من أفراد مجتمع مدينة الجزائر، فزيادة الأضرحة والنشاطات التي كانت تقوم بها في هذا العهد ساهم في تعلق الناس بها و زيارتها في مواعيد مختلفة، سواء للدعاء أو طلبا الشفاء أو للوفاء بنذر ما. والغريب أنّ سكان مدينة الجزائر لا يكتفون بالأولياء فقط بل يبحثون عن أي مكان مقدس، قد يكون هذا المكان عينا أو شجرة، وغيرها، كما أنهم لم يكتفوا بزيارة أضرحة مدينة الجزائر بل أنهم كانوا يزورون بعض الأضرحة خارج المدينة مثل ضريح علي بن المبارك دفين مدينة القليعة و ضريح أحمد بن يوسف المليانى دفين مدينة مليانة[36]، حيث كانوا يجتمعون في ضريح عبد الرحمن الثعالبي قبل أن يشدوا الرحال إلى تلك الأضرحة[37]، كما أنهم حينما يقومون بالدعاء، يدعون و يتبركون بالأولياء الآخرين على هذا النحو: ".. ونفعنا ببركاته و بركة أمثاله أمين.. "[38]. ويعتقد المترددون على هذه الأمكنة بأن لها قدرات مختلفة، أي لكل منها شيء خاص بها وبركات باهرة تمكنها من شفاء العاقر والمريض والمجنون. و بالتالي يختلف المترددون على هذه الأمكنة باختلاف أهدافهم ومقاصدهم و تعكس هذه المعتقدات ما كان يحظى به هذا الولي في حياته، فقد كان الأولياء عموما يحظون بأكبر الاحترام حيث أنّ الناس يقومون بتقبيل أيديهم ويدعونهم للضيافة في منازلهم، كما حرصوا على أكل ما يتبقى من طعام في الصحن الذي أكل منه الولي لاعتقادهم ببركة الطعام الذي أكل منه، كما تعكس هذه المعتقدات ما نسج حول بعض الأولياء من أساطير غريبة والتي ذكرنا بعضها مثل أسطورة والي داده، و سيدي بوقدور، و سيدي بتقة،...كل هذا أدى إلى شهرة هؤلاء الأولياء، وقد كان الولي الأكثر شهرة في مدينة الجزائر هو عبد الرحمن الثعالبي، لما كان له باع في العلم،و التفسير و التصوف وما تركه من مؤلفات كثيرة بالإضافة إلى الكرامات التي كانت له مثل المرائي التي رآها في منامه، منها رؤيته للرسول صلى الله عليه وسلم[39]، مما جعل من الناس يبنون عليهم قبورا تختلف عن الناس العاديين حيث نجد أنّ الولي يدفن في

قبر مرتفع يوضع فوق تابوت من الخشب أو يبنى عليه شكل مستطيل مثل التابوت الخشبي ويغطى هذا التابوت بزربية، وأعلام مختلفة الألوان كل هذا يسمى الضريح، هذا الضريح تبنى عليه قبة وهي عبارة عن بناء مربع ذو سقف منتفخ ويسمى هذا البناء بالإضافة إلى القبة، المزار، أو المقام[40]...وغيرها من الأسماء.

وزيارة الأضرحة يومية وفي أي وقت، حيث يستطيع الفرد أن يتوجه للضريح إما بمفرده أو مصحوبا بأحد أفراد عائلته أو صديق، متى شاء لكن في مدينة الجزائر عرفت بعض الأضرحة أياما خاصة لزيارتها وهذا راجع للنشاطات التي تقام في الأضرحة في يوم معين دون الأيام الأخرى، مثل الصدقات الأسبوعية التي كان يقيمها ضريح عبد الرحمن الثعالبي كل ليلة جمعة بالإضافة إلى الطعام المتمثل في الكسكس باللحم[41]، كما أن عدد الأضرحة الكبير جعل من المستحيل زيارة كل الأضرحة في يوم واحد خاصة لما نعرف أن بعض الأمراض في اعتقاد الناس لا تشفى إلا بزيارة أكثر من ضريح، مثل الزيارة التي تقام حول ضريح سيدي يحي الطيار، ثم ضريح سيدي الأكحل.

وفي أثناء الزيارة كانت تقام طقوس معينة في هذه الأضرحة، تعكس هدف الزيارة، سواء لطلب الشفاء، أو لطلب حل مشكلة ما، حيث عادة ما ترافق هذه الزيارات ذبح الدواجن وتعرف "بالنشرة"[42]، أو ذبح حيوانات أخرى كالبقر، أو الكباش، أو المعز، وغيرها، حيث أنّ بعض الأضرحة كانت تستخدم شخصا لذبح مختلف الحيوانات التي يتم جلبها إلى الضريح وكانت تعطى له أجرة شهرية ومن الطقوس التي كانت تقام في الأضرحة، الطواف حول الضريح و استعمال البخور والشموع، والغسل والشرب من الماء الموجودة هناك سواء كان بئرا أو ماء عنصر، لاعتقاد الزائرين أن هذه المياه مباركة و لها قدرة خاصة في الشفاء[43].

أما الزيارات الجماعية فلا يمكن أن تتم إلا بمواعيد محددة و هذه المواعيد تسمى "الموسم" أو "الحضرة" أو "الركب"، والذي هو عبارة عن احتفال ديني يحتفل به الناس في وقت معين، ويستوجب استخدام أزياء معينة ومراسيم خاصة، وقد يحرص بعض الناس على تناول أطعمة خاصة تعبيرا عن فرحتهم[44] كما أنّ الموسم هو التقاء جماعي لأتباع الطريقة، أو الأوفياء للولي للمشاركة في الحفل أو للتعبير عن انتمائهم للجماعة، وهو نوعان:

- الموسم الريفي: وهو حفل يقام في الريف، يذهب خلاله الزوار إلى القبة بشكل جماعي، يكون هذا الحفل مرفوقا بممارسات و نشاطات طقسية كالتضحية بكبش أو ثور، و يكون الأكل جماعيا، حيث يجتمع مجموعة من الأشخاص حول الأكل، ومن أسباب تنظيم مثل هذه "الزردات " هو الدعاء عند هذه المزارات لتحسين المحاصيل الزراعية[45].

- الموسم الحضري: عادة ما يشارك فيه أتباع الطريقة أو "الإخوان" الذين يأتون في جماعات، تمارس خلاله ألعاب طقسية من طرف الإخوان، كما تحتوي على نذور دموية تكون في غالب الأحيان من الكباش أو الثيران، أو من الدجاج[46].

لكن هذه الزيارات في كثير من الأحيان تعكس النشاطات التي تقوم بها هذه المؤسسات، والتي بدورها تعكس المداخيل أو قدرتها المالية على إقامة مثل هذه النشاطات كالاحتفالات بالأعياد الدينية، منها على الخصوص الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه و سلم، هذا وقد نقل ابن عمار صورا عن ما يقع بمدينة الجزائر عند الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، منها نظم الشعر والقصائد وقراءتها في شكل مديح، و زيارة المساجد و الأضرحة وفيما يلي النص الكامل لما قاله ابن عمار كما ورد في مخطوط نحلة اللبيب: "..هذا وقد جرت عادة أهل بلادنا الجزاير حرسها الله من الفتن و حاكها من الدواير انه إذا دخل شهر ربيع الأول انبرى من أدبايها و شعرايها من إليه الإشارة و عليه المعول إلى نظم القصايد المديحيات و الموشحات النبويات ويلحنونها عن طريق الموسيقى بالألحان المعجبة ويقرؤونها بالأصوات المطربة ويصدعون بها في المحافل العظيمة والمجامع المحفوفة بالفضلاء والرسلا و النظيمة من المساجد و المكاتب والمزارات وهم في أكمل زينة و أجمل زي..."[47]، كما كانت هناك مناسبات أخرى يحتفل بها، تتمثل في الأعياد الدينية كعيدي الفطر و الأضحى وعاشوراء وليلة الإسراء و المعراج و فيها يقوم المستخدمون في بعض الأضرحة بتحضير طعام خاص بالمناسبة، وهو عادة ما يتمثل في الكسكس باللحم ويقومون بتوزيعه على الفقراء، وهناك بعض الأضرحة الغنية مثل ضريح عبد الرحمن الثعالبي يقوم بتوزيع الطعام على الفقراء أسبوعيا كل ليلة جمعة.

3-الظواهر الاجتماعية المتعلقة بالأضرحة

3-1-مكانة الأولياء لدى أهل مدينة الجزائر

إلى جانب الأوقاف و الزيارات هنالك نشاطات أخرى تعبر عن مكانة الأولياء لدى أهل مدينة الجزائر منها التحيات التي يقدمها رياس االبحر عند خروجهم من مدينة الجزائر و عند عودتهم أيضا، فمن عادة رؤساء المراكب الجهادية أنهم يوم السفر يودعون الأمير، وبعد الخروج يذهبون لزيارة الولي الصالح القطب الناصح سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله به، ثم يذهبون لزيارة الولي الصالح سيدي علي العباسي، ومن هنالك يذهبون مقابلة لباب الجهاد يودعون و كيل الخرج، ثم يذهبون لمراكبهم[48]، وبعد خروجهم إلى البحر يطلقون ثلاث طلقات مدفع واحدة لتحية الداي، و البقية لتحية الأولياء الذين يكنون لهم الاحترام الكبير[49]، ومن بين الأولياء الذين يقومون بتحيتهم بطلقة مدفع عند الخروج عبد الرحمن الثعالبي الذي كان يعتبر حامي المدينة، بالإضافة إلى سيدي فرج الذي يقومون بتحيته بعد ما يتجاوزون الميناء باتجاه غرب مدينة

الجزائر، كما يحيون سيدي بتقة، وسيدي محمد الشريف، وسيدي يعقوب، وسيدي بوقدور، ووالي داده[50]، ومن خلال ما سبق ننقل قائمة أضرحة الأولياء التي كانت تتم تحيتها بطلقات مدفع، وهم عبد الرحمن الثعالبي، وسيدي بتقة، إبراهيم البحري[51]، و علي العباسي، سيدي يعقوب[52]، وعبد الرحمن بوقدور، و سيدي فرج، و والي داده.

و قد كان من بين الطقوس التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون عند الإبحار تفريغ بعض قلال الزيت في البحر، كما كانوا يقومون بإشعال الشموع فوق المدافع و هذا لتهدئة البحر.! كما كانوا يجلبون معهم بعض قطع القماش أو الأعلام من الأضرحة خاصة منها المشهورة ويضعونها إلى جانب العلم الجزائري وهذا اعتقادا منهم بجلب الحماية لهم و مساعدة لهم على الانتصار على الأعداء[53]، كما كان الرايس يشاور أحد المرابطين عندما يهم بالخروج إلى البحر ليخبره ما إذا كانت البشائر تدل على الخير و البركة و ليطلب منه المساعدة الروحية[54].

بعد العودة كان الرياس دائما يتذكرون الأولياء حيث يروي لنا روكفيل و هو أحد أسرى مدينة الجزائر في القرن 17م، كيف أن رياس البحر: "....عندما يعودون يأتون بالغنائم فيشعلون الشموع بالأضرحة و يقومون بالصلاة لقد رأيتهم يفعلون مثل هذه الحركات..."[55]، و قد كان من عادتهم أيضا عند العودة من البحر تقديم هدايا لبعض الأضرحة فالريس حميدو الذي قام بأسر سفينة برتغالية سنة 1799م وبعد عودته إلى المدينة قام بتقديم أحد الأسرى كهدية إلى ضريح عبد الرحمن الثعالبي[56].

3-2-الحرص على الدفن قرب الأولياء

لقد حرص سكان مدينة الجزائر على تأمين قبور في أضرحة بعض الأولياء وذلك بشرائها في حياتهم ليدفنوا فيها بعد مماتهم، و يرجع هذا الحرص لاعتقاد بعض الناس بأن الدفن قرب الولي يوفر له الحماية في الآخرة، حيث وردت كتابة في إحدى القبور الموجودة في ضريح عبد الرحمن الثعالبي تقول: " أنا في حماك وحمى القرآن "[57]، كما يعتقد بعض الناس أن الدفن قرب الولي يجعله يشاركه في قداسته و في هذا الشأن يقول هاينريش فون مالتسان: "...وكانت تلتف حول ضريح الولي قبور كثيرة من قبور المسلمين كالتفاف الكتاكيت حول الدجاجة فهم يظنون أنهم بهذه الطريقة الصوفية يشاركون الولي في قداسته..."[58] على هذا الأساس نلاحظ أنّه كان لمعظم الأضرحة مقابر خاصة للدفن، ويبدو أنّ الدفن فيها يتم بشراء القبور، حيث نجد أنّ من بين المداخيل المتحصل عليها لفائدة ضريح عمر التنسي، هي المداخيل التي تأتي من بيع القبور[59]، و في هذا الشأن وردت في بعض عقود التحبيس أخبارا عن أناس قاموا بتأمين قبورا بداخل أضرحة بعض الأولياء أو حتى المقابر التابعة لهذه الأضرحة، و هذا حتى يدفنوا فيها، منها ما ورد في وقفية السيدة فاطمة بنت عبد الله زوجة القايد

والي سنة 986هـ/1588م و التي قامت بتأسيس حبس خيري أشتمل على بيت و غرفة تقع بحومة جامع سيدي رمضان لصالح سيدي رمضان و اشترطت أن تدفن بضريح سيدي رمضان إن توفيت بمدينة الجزائر مثلما جاء في نص الوقفية: "...فالبيت حبسا على جامع سيدي رمضان و الغرفة المحبسّة على روضة الشيخ سيدي رمضان المذكور الذي هو مدفونا فيها اللصيقة بجامعه المذكور و على أن تدفن المحبسة بروضة الشيخ إن توفيت بالبلد...."[60]، أما السيد أحمد العطار فقد حرص على شراء قبر بضريح أحد الأولياء قبل وفاته وقد ورد ذلك في وثيقة تصفية إرثه و مما جاء فيها: "... توفي السيد أحمد العطار السكاكري ابن الحاج محمد العمراني نسبا عن زوجه الزهرا بنت الحاج[كذا] ووصى بثلث مخلفاته[كذا] يصرف منه في مئونة تجهيزه من كفن ودفن وصدقات و ختمات... وشراء قبر بضريح الشيخ البركة محمد بن عبد الرحمن الكاين بالحامة نفعنا الله ببركاته و بركة أمثاله أمين..."[61]، وهذه الوثيقة مؤرخة سنة 1845م.

و في وثيقة أخرى أوقف السيد محمد بولكباشي ابن مصطفى جميع العلوي الذي بسقيفة الدار المذكورة الراكب على إسطبلها أولا على نفسه وبعد وفاته يخرج شطر غلته في كل سنة لمن يقرأ حزبين اثنين من القرآن كل صبيحة ختمة في كل شهر على قبره بداخل القبة المبنية على ضريح الشيخ سيدي الجيلاني..."[62] هذا يدل على أنّ السيد محمد بولكباشي كان قد أمّن قبرا داخل قبة عبد القادر الجيلاني[63]بمدينة الجزائر.

أما السيدة [كذا] ابنة قائد الباب و في وثيقة مؤرخة سنة 1199هـ/1784م، فقد أوصت قبل وفاتها بإخراج جزء من أموالها لشراء ملك يحبس على قبرها الموجود بضريح عمر التنسي، و تكون الأموال المحصل عليها من كراء تلك الملكية أجرة لمن يقرأ على قبرها حزبين من القرآن كل شهر، و قد جاءت هذه الوصية على هذا النحو: ".. المرحومة[كذا] بنت قايد الباب كما أوصت في قايم حياتها بإخراجه من متروكها ويشترى بذلك ملكا و يحبس على ضريحها الكاين بسيدي عمر التنسي نفعنا الله به ، ويقبض كراء ذلك من يقرأ على ضريحها المذكور حزبين من القرآن العظيم في كل شهر.."[64]، و هناك من كان يوصي عادة قبل الوفاة بثلث ممتلكاتهم لصرفها في تجهيزهم وشراء الكفن و شراء الطعام للصدقة و أجرة ختم القرآن وغيرها، وهذا كله ليدخل في ميزان حسناته، ولأهمية مثل هذه الوثائق لتفسير ظاهرة الأضرحة بمدينة الجزائر رأينا نقل بعض ما جاء فيها على سبيل المثال لا الحصر، فقد جاء في وقفية السيد عمر خوجة "... أشهد الآن السيد عمر خوجة المذكور شهيديه على نفسه انه حبّس و أبّد ووقف لله تعالى جميع جلسة الحانوت المذكورة لجريان العمل بذلك ابتداء على نفسه مقلدا في ذلك بعض أيمة المذهب[كذا] أبي حنيفة[كذا] ثم بعد ذلك ترجع جميع الجلسة المذكورة على من يقرأ بجبانته على قبره الكاين خارج باب عزون [كذا] حزبين من كلام الله عز وجل حزب بالصبح، وحزب وقت العصر في كل يوم على الدوام و الاستمرار تحبيسا تاما مؤبدا... ›› هذه الوثيقة مؤرخة في أوائل شعبان من عام

1220هـ/1805م[65]،كما حبست خدوجة بنت السيد علي أمين العطارين "جلسة حانوت معدة لصنعة الحرارين القريبة من مسجد بتشين على من يقرأ على قبرها بالجبانة الكاينة خارج باب[كذا] أحد أبواب الجزائر كل يوم حزبين من كلام الله" هذه الوثيقة مؤرخة في أوائل محرم من عام 1218هـ/1803م[66].

إنّ هذا النوع من الوثائق يفسر بشكل كبير ظاهرة الأضرحة في مدينة الجزائر خاصة منها أضرحة الأولياء المشهورين و نقصد هنا "الأضرحة الزوايا" مثل ضريح عبد الرحمن الثعالبي و ضريح عمر التنسي، و ضريح محمد الشريف الزهّار فالاعتقاد ببركة هؤلاء الأولياء جعل الناس يرغبون في الدفن في أضرحتهم ونلاحظ أنّ أكثر الناس حرصا على الدفن بالأضرحة هم صفوة المجتمع من حكام وعلماء و أغنياء، لهذا نجد الحكام يحرصون على الدفن بضريح عبد الرحمن الثعالبي لما له من شهرة و بركة في اعتقادهم، فقد دفن علي باشا داي الجزائر[67]في ضريح عبد الرحمن الثعالبي بأمر من خليفته حسين داي[68]، وقد سارت السلطات الاستعمارية على نفس المنوال لما قامت بنقل رفات العديد من الأولياء إلى ضريح عبد الرحمن الثعالبي منهم والي دادة و سيدي منصور، وغيرهم[69].

3-3-حرمة الأضرحة في مدينة الجزائر:

أصبحت للأضرحة في العهد العثماني هيبة خاصة حيث ساهم الحكم العثماني في تعزيز هذه الهيبة لدرجة أنّه كان الابن القاتل لأبيه لا يحاكم إذا لجأ لضريح ما [70]، وقد كان الفارون من الملاحقات يلجئون إلى أقرب ضريح و هم يصرخون " شرع الله" فإذا دخلوا الضريح نجوا من الملاحقة مهما كانت الجريمة المرتكبة[71]، والسبب في عدم الاقتحام هو اعتراف الولاة والعامة بحصانة حمى الضريح، لاعتقادهم بقدرة الأولياء على تسليط غضبهم على كل من يهين حماهم[72]، وحتى السلطة لم تقتحم الأضرحة بل كانت تقوم بحصارها في حالة ما إذا كان اللاجئ إليه شخص خطير كأن يكون مجرما، أو ثائرا، ويبقى اللاجئ سجينا في الضريح ولو مات جوعا، لكنها لا تجرأ على اقتحامه[73]، و قد كان العبيد السود من بين الفئات الاجتماعية اللاجئة للأضرحة هربا من أسيادهم خاصة ضريح عبد الرحمن الثعالبي وهناك يقومون بالشكوى إلى وكيل الضريح من سوء المعاملة، و كان الوكيل يقوم بالتحقق من سبب الهروب فإن لم يكن مقنعا يقوم يعيدهم إلى أسيادهم[74].

ولم يقتصر اللجوء إلى الأضرحة على العامة فقط بل تعداه إلى مسئولين كبارا في الدولة منهم الدايات و البايات. عندما عمت الفوضى في المدينة حاول مصطفى باشا الهروب إلى ضريح والي داده غير أنه وجده مغلقا، لأنّ الموظفين بالضريح لما سمعوا بالفوضى التي حدثت بالمدينة قاموا بإغلاقه فقتل الداي سنة 1805م[75]، كما أنّ الريس

حميدو لما فشل في إحدى الغزوات، تم القبض عليه و أثناء الطريق حاول الهروب إلى ضريح عبد القادر الجيلاني ليحتمي به إذ كانت له حصانة كغيرها من الأضرحة[76]. أما باي التيطري "مصطفى الوزناجي" الذي كان محل نقمة من الداي حسن ففي سنة 1792 لما قدم إلى مدينة الجزائر علم بأنّ الشواش يبحثون عنه فالتجأ إلى ضريح أحد الأولياء فنجا من الموت و لكن تمّ عزله من منصبه و عين بدله باي آخر[77]و تحدث الزياني الذي زار الجزائر في القرن الثامن عشر عن الباي حسن الذي كان قبل تعيينه في منصبه منفيا في تلمسان، فقد شكاه باي قسنطينة إلى الداي فوّجه من يأتي به فاحتمى بضريح عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر ووقعت فيه الشفاعة من الموت فنفي إلى تلمسان[78]، كما أنّ الحاج السعدي الذي كان يعمل مزوّارا[79]غضب عليه الداي حسين في إحدى المرات فاضطر إلى الهرب و الاحتماء بضريح عبد الرحمن الثعالبي فنجا من العقاب ونتيجة لهذا قام بعتق جميع عبيده، وقد وقعت هذه الحادثة في نوفمبر 1829م[80].

الخاتمة

تميز العهد العثماني في الجزائر بانتشار الأضرحة التي كانت عبارة مزارات لفئة كبيرة من مجتمع مدينة الجزائر وهذا لأهداف مختلفة كطلب الشفاء و البركة و الحماية غيرها حيث اختص كل ضريح بتحقيق مطلب من هاته المطالب في نظر الناس. وقد كان عدد الأضرحة معتبرا في المدينة حيث كان أشهرها ضريح عبد الرحمن الثعالبي الذي يعتبر حامي المدينة في نظر المجتمع وقتئذ، حيث كانت فئات المجتمع تقوم بتحبيس الأملاك عليها مما جعل لها مصادر مالية جعلتها تقوم بأنشطتها المختلفة منها إحياء الأعياد الدينية كالمولد النبوي وعاشوراء وكذا الصدقات على الفقراء والمساكين وإيواء المشردين و غيرها من الأنشطة الخيرية والاجتماعية.

إن شهرة و تعلق الناس بضريح ما يرجع بالأساس شخصية صاحبه في حياته سواء كانت هذه الشخصية علمية كعبد الرحمن الثعالبي أو نسجت عليها أساطير كشخصية بو القدور وبعد الوفاة بنيت عليها أضرحة أصبحت بمثابة مزارت لأغراض مختلفة كما رأينا سابقا، من هنا نسجت حول هذه الأضرحة أو الأولياء خرافات وأساطير حول قدرتهم على فعل أشياء متعددة كحماية المدينة والشفاء و حل المشاكل الاجتماعية وغيرها مما ذكرناه سابقا هذه الأشياء أصبحت من المعتقدات لدى فئة كبيرة من مجتمع مدينة الجزائر.

قائمة المراجع

1 -للمزيد عن موضوع أوقاف أضرحة مدينة الجزائر أنظر:

-بودريعة ياسين، أوقاف الأضرحة و الزوايا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2007.

2 -خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة الدكتور محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 201

3- لقد نقل أحمد توفيق المدني هذه القصيدة لكنه حذف المقاطع الخاصة بالأولياء، أنظر:

- المدني، أحمد توفيق. محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766م-1791م)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص 144-147، أنظر أيضا:

- FAGNAN, E. Un chant Algérien du XVIII siècle, in revue africaine, tome 38, année 1894 .

4-هكذا يسميه أهل مدينة الجزائر واسمه عبد الرحمن توفي سنة 988هـ/1590م

5- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، 1510-1541، ترجمة جمال حمادنة ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ، ص 120.

6- حمدان بن عثمان. المرآة، تعريب وتحقيق الزبيري محمد العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 57.

7-التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر، و تونس، وليبيا 1816-1871، الطبعة الثانية، مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان 1985، ص 103.

8-MORGAN, J., Histoire des états barbaresques qui exercent la piraterie contenant l'origine des révolutions et l'état présent des royaumes d'Alger, de tunis,de tripoli et de maroc. Traduit de l'anglais,tome 2, paris.MDCCVII.p93.

9-RINN. L, Marabout et khouan étude sur l'Islam en Algerie, Adolphe Jourdan, Libraire de l'Académie, 1884, p 176 .

10- هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، الجزء الأول الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1973، ص 53.

11-DEVOULX, A.,(Les édifices religieux de l'ancien alger),in revue africaine,année1865, p443.

12- المحاكم الشرعية، علبة 2/6 وثيقة 20، من الآن فصاعدا سنرمز عند التهميش للمحاكم الشرعية ب (م.ش،ع)

13- م.ش.ع2/14(50).

14 - م.ش.ع2/133-134(2)

15- م.ش.ع84-85-86(67).

16- م.ش.ع89(13).

17- 10 زويجات ترابية تعني 100 هكتار و بالتالي فزويجة ترابية تعني 10 هكتارات

18 -م.ش.ع4(33).

19 - التمغروطي علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية، الطبعة الحجرية ، ص139.

20 -يقصد بها تفتح

21-يقصد بها الأبواب

22-أبو عبد الله محمد بن أحمد، ديوان ابن مسايب، إعداد و تقديم، الحفناوي أمقران سحنوني، و أسماء سيفاوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 102.
23- بالحميسي مولاي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، منشورات المجلس العلمي للإتحاد الوطني للزوايا الجزائرية ، الجزائر، نوفمبر 2003، ص 31
24- BEN CHOAIB, A., (Les marabouts guérisseurs), in revue africaine, tome 51, année 1907, p 252.
25- Haëdo, D. "Topographie et histoire générale d'Alger", traduction de dr monnerau et A.berbrugger, présentation de Jocelyne dakhlia, éditions bouchene, 1998., 119, voir aussi:
26- DERMENGHEM, É, Le culte des saints dans l'islam maghrébin, Gallimard, 1954., p 109.
27- Ibid., p 125.
28- ROZET, M., Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupe par l'armée française en Afrique du nord, tome 2, et tome 3, paris,Bertrand, 1833, p 141.
29- BERAUD, H., La mosquée de sidi Abd Er Rhaman, Alger, 1891, p 6.
30- Haëdo, D., Op.cit, p 121.
31- DERMENGHEM, É., Op.cit, p 130.
32- BEN CHOAIB, A, Op.cit, p 253.
33- Haëdo, D., Op.cit, p 121.
34- DEVOULX, A., (Ahad aman, ou règlement politique et militaire), in revue africaine, tome 4,année 1859-60, p 214.
35-شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ/1519-1830م أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر جامعة الجزائر، 2006، ص 287.
36-هو أحمد بن يوسف الراشيدي عالم صوفي مشهور المتوفى سنة 931هـ/1524م، ولد بقلعة بني راشد بين مدينة غليزان ومعسكر، تنتمي أسرته إلى بني مرين المغربية أخذ العلم في مدينة تلمسان، وبجاية، ومن شيوخه العلامة أحمد زروق، كان من بين المعارضين لسياسة الزيانيين خاصة أثناء تحالفهم مع الإسبان ضد الأتراك، قام بتأسيس زاوية في رأس الماء بوادي الشلف وكوّن بها المريدين وقام بالرحلة إلى المشرق واتصل بالعلماء من مختلف الأصقاع، كوّن عددا من أتباعه جماعة أصبحت تعرف "باليوسفية" التي انحرفت عن الدين وقد تبرأ منها أحمد بن يوسف و قاومها، لما توفي دفنه ابنه محمد بن مرزوقة بمدينة مليانة وبنى له باي وهران محمد الكبير ضريحا ومسجدا في القرن 18م، وأصبح قبره مزارا كبيرا.
37 -"... و قد كان ذلك في وقت شد الرحال من أهل الجزاير لزيارة هذا القطب بمليانة كما قد كانت عادتهم المعروفة في ذلك كل سنة حسبما هو المعهود أيضا في كثير من مزارات الأولياء بالإقليم الجزايري ...أنظر:
- علي بن أحمد بن موسى، ربح التجارة و مغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة، مخطوط تحت رقم 3251، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.، ورقة1
38-أنظر على سبيل المثال: م.ش.ع14/2(50).
39- مجهول، روية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، مخطوط تحت رقم 1546، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.

40-يقصد المكان الذي مرّ أو استراح فيه الولي، هذا ما يفسر إقامة قباب في عدد كبير من المدن الإسلامية للشيخ عبد القادر الجيلاني اعتقادا من سكانها [انه مرّ من تلك الأمكنة، رغم أنّ المعلومات التاريخية تقول أنه لم يخرج من آسيا.

41 -هناك معطيات مهمة في مجموعة من سجلات البايلك تشير إلى مداخيل و مصاريف ضريح عبد الرحمن الثعالبي أنظر:

-سجلات البايلك، رقم 86-314-355-356.

42- تعني إبعاد الشر فهي مشتقة من كلمة نشر، التي تعني أشاع ، أذاع، شفى ، أبرأ، و هي عبارة عن تعويذة بواسطتها يبطل السحر، والأضحية يجب أن تكون من الدواجن، لأن الأضحية الأخرى تسمى الأضحية الإبراهيمية للمزيد أنظر:

43-DERMENGHEM, É., Op.cit, P 123.

44-يونس عبد الحميد، معجم الفلكور، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1983، ص 196.

45- DERMENGHEM, É., Op.cit. p 127.

46-Ibid., p 123

47 - ابن عمار الجزائري، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مخطوط تحت رقم 2757، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر، ص 20.

48- الزهّار، أحمد شريف. مذكرات نقيب الأشراف، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط 2 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980، ص61.

49-PARADIS, V, d., Alger au XVIIIè siècle, 2ème édition, Bouslama, Tunis 1981,p42.

50 -كورين شوفاليه، مرجع سبق ذكره ص87

51- اسمه الحقيقي إبراهيم السلامي، أي أنه من مدينة دار السلام ببغداد جاء إلى مدينة الجزائر حوالي القرن 14م مع والي دادة و محمد بوفالة دفين مدينة المسيلة، بعدها ذهب إلى الصحراء ووصل إلى مدينة تنبكتو بعدها عاد إلى الشمال و استقر مدة هناك حيث لما عرف السكان هناك بفضله و أنه من الأولياء زوجوه بإحدى بنات علي سعادة "بوسعادة"، بعدها ذهب إلى مكة و لما عاد إلى مدينة الجزائر توفي في المرسى حيث دفن في المكان الذي توفي فيه، وقد أقام له خير الدين ضريحا فأصبح مزارا، فأصبح منذ ذلك الوقت يعرف بضريح سيدي إبراهيم البحري، سيد الميناء، للمزيد أنظر:

-ZAHAR CHERIF., (Sidi brahim patron des marins repose au port d'Alger), Alger revue, octobre 1956, pp 45-47.

52-كان ضريح سيدي يعقوب يقع في أقصى شمال باب الوادي، وكان هذا الضريح مغطى بقبة وتتبعه جبانة.

53-BELHAMISSI, M., Histoire de la marine algérienne(1516-1830), ENAL,Alger, 1986, p 94.

54-وولف، جون ب، الجزائر و أروبا، ترجمة و تعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص 195.

55-ROQUEVILLE., Relation des mœurs et de gouvernement des turcs d'Alger, paris,1675.p 27.

56- دوفال ألبير، الريس حميدو، تعريب محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، مطبعة بن بولعيد، الجزائر، ص 67، أنظر أيضا:

-DEVOULX, A., Le registre des prises maritimes, traduction d'un document authentique et inédit concernant le partage des captures amenées par les corsaires algériens, typographie, a, Jourdan, Alger, 1872. p38 et p 53.

57-بالحميسي مولاي، أبو زيد عبد الرحمن ، مرجع سبق ذكره، ص 25

58-هاينريش فون مالتسان، مصدر سبق ذكره، ص 42.

59-DEVOULX,A.,(Les édifices...).Op.cit, in revue africaine,année1863, p174.

60-بيت المال و البايلك، علبة 16، سجل 100.

61-م.ش.ع31 (1)

62-م.ش.ع151-152(29).

63-عبد القادر الجيلاني ولد بجيلان نحو 1078م وتوفي عن عمر يناهز 91سنة ببغداد، أقيمت في كل البلاد الإسلامية قبة له، و منها في واحدة في مدينة الجزائر التي كانت تعرف بنخلة شهيرة وقد سقطت هذه النخلة حوالي سنة 1865، أما القبة فقد تم هدمها سنة 1866 لفتح طريق سمي بطريق قسنطينة، كان الناس يأتون إلى هذه القبة و يستغيثون بالشيخ عبد القادر الجيلاني.

64 -م.ش.ع 78 (4/15).

65-م.ش.ع1/45 (45).

66 -م.ش.ع129(3/53).

67 -الداي علي باشا من أهم أعماله نقل مقر أعماله من الجنينة إلى القصبة للتخلص من سيطرة اليولداش وقد اختار حاميته من الأهالي والكراغلة تولى في أكتوبر 1817 وتوفي بالطاعون يوم 1 مارس 1818 وخلفه الداي حسين آخر دايات الجزائر، أنظر:

- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثالث، نشرمكتبة النهضة الجزائرية، طبع بمطابع بدران وشركاءه، بيروت، لبنان، 1964 ص266.

68 - أحمد الشريف الزهّار، مصدر سبق ذكره، ص142.

69 - بالحميسي مولاي، أبو زيد عبد الرحمن.....، مرجع سبق ذكره، ص 24

70- KHOJA, H., Op.cit, p 9

71- بالحاميسي مولاي، أبو زيد عبد الرحمن.....، مرجع سبق ذكره ص 40

72-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5،.....، مرجع سبق ذكره، ص 271.

73-DEVOULX, A.,(Les édifices ....).Op.cit,in revue africaine,année1862, p378.

74- ROZET, M., Voyage dans la régence…….Op.cit, tome 3, P129

75- الزهّار، أحمد شريف. مصدر سبق ذكره، ص 89

76- دوفال ألبير، الرييس حميدو، مرجع سبق ذكره، ص 23.

77-مبارك الميلي، مرجع سبق ذكره، ص 240 و ص 248.

78 - الزياني أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برّا وبحرا، حققه وعلّق عليه عبد الكريم الفيلالي، مطبعة فضالة، المحمدية.ص 152.

79-هو رئيس الشرطة في المدينة كان مكلفا بحفظ النظام العام داخل المدينة، والقبض على المجرمين للمزيد حول مهنة المزوار أنظر:

-HOEXTER, M, (La shurta ou la répression des crimes à Alger à l'époque turque), in Revue Studia Islamica, № 56annee 1982, p 120.

80-DEVOULX, A,(Les édifices…)Op.cit,in revue africaine,année1863,p181.

التُرَب والمدافن العائليّة في تونس من القرن 17 إلى القرن 19: ملامح تطور ممارسة جنائزية نخبويّة

ملخص

لم تكن عادة إنشاء الترب والمدافن العائليّة أو الخاصّة تقليدا غريبا عن السلوك الجنائزي في تونس وفي بقيّة البلدان المغاربيّة قبل حلول الاتراك العثمانيين. ومع ذلك، نلاحظ أن الكثير من التحولات قد طرأت على هذا التقليد منذ أواخر القرن السادس عشر. فلقد انتشرت عادة انشاء الترب على نطاق واسع في أوساط النخب الحاكمة بإيالة تونس وهي تعبر على رهاناتها وطبيعة التحوّلات الطارئة على العلاقات السياسيّة والاجتماعية في الإيالة إلى حدود أواخر القرن التاسع عشر.. كما أصبح لهذا التقليد منذ ذلك التاريخ خصوصيات جديدة لا يمكن حصرها في المجالين المعماري والحضري.

أ. مبروك جباهي

الأرشيف الوطني التونسي
تونس

تفيد المفارقة التي يوردها مارسيل موص (Marcel MAUSS) أن الإنسان هو الحيوان الذي يقوم بإنجاز أشياء معقولة انطلاقا من مبادئ غير معقولة. كما إنه ينطلق من مبادئ ذات مغزى لينتهى إلى أشياء مفرغة من المعاني. ومع ذلك، فإن هذه المبادئ الخالية من المعنى وهذا السلوك غير المعقول يشكلان على الأرجح نقطة البدء [المؤذنة بقيام] مؤسسات عظيمة[1]. وتنطبق هذه الملاحظة إلى حد كبير على مجمل الموروث الجنائزي الخاص بكل مجتمع، وخاصة ما يتعلق منه بالمدفن. والأهم من ذلك، هو أن حصول هذه الحركة الفارقة في التاريخ البشري، والتي جعلت من المدفن مؤسّسة، إنما نعزوها إلى النخب.

Résumé

La tradition d'ériger une *tourba* ou une sépulture privée existait au Maghreb avant l'avènement des Ottomans. Elle a beaucoup évolué depuis la fin du XVI^{ème} siècle, en prenant de nouvelles formes, qui reflètent l'évolution de l'architecture, ainsi que l'ensemble des mutations ayant affecté les rapports politiques et sociaux dans la Régence jusqu'à la fin du XIX^{ème} siècle.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

وتقترح هذه الورقة العودة إلى هذه الظاهرة العامة، لكن من زاوية نظر المؤرخ المشغول بإحداثيات الزمن. والذي طالما وجد جانبا من ضالته في المادّة الجنائزيّة. ونخص بالذكر النقائش والمعمار.

وقد يترجم المعمار الجنائزي عن المعتقد الديني والتصور الجماعي للحياة ما بعد الموت. لكن شكل المدفن ووضعه القانوني هو الذي يمكّن الباحث من تبيان طبيعة العلاقة بين عالم الأحياء وعالم الأموات من جهة[2]، وشكل التمايز والتراتبية داخل البنية الاجتماعيّة من جهة أخرى. وما نلاحظه عبر حقب التاريخ المتعاقبة، هو أن اتخاذ المدافن العائليّة والخاصّة، ذات المعمار المتين والنفيس، كان تقليدا شائعا في أوساط النخب الاجتماعيّة والسياسيّة. وفي تقدير بعض الباحثين التونسيين الذين اشتغلوا على المدونات الجنائزية من نقائش ومعمار- ومنهم أحمد السعداوي[3]، لم تخلو البلاد التونسيّة من المدافن الخاصة بالنخب السياسيّة والدينيّة عبر مختلف الحقب التاريخيّة. لكنّ انتشارها على نطاق واسع لم يتم إلا بعد دخول الأتراك، ومنذ القرن السابع عشر على وجه الخصوص. فهل يكشف هذا التقليد عن سلوك جنائزي نخبوي شاع خلال الفترة الحديثة وله خصوصياته ؟ وكيف تكون هذه الممارسة تعبيرا عن نزعة تمايز لها رهاناتها؟

1- المدافن الخاصة في تونس قبل العهد العثماني: تقليد ملوكي شائع

أثبتت البحوث الأثرية التي أنجزها سليمان مصطفى زبيس[4]وبعض أعمال محمد الباجي بن مامي[5] أن أقدم المدافن الخاصّة في مدينة تونس وفي البلاد التونسيّة عموما تعود إلى بدايات القرن الثاني عشر ميلادي. حيث قام ملوك بني خراسان، الذين أقاموا إمارة مستقلّة بمدينة تونس بعد انهيار الحكم الصنهاجي بإفريقيّة، باقتطاع جانب من المقبرة الواقعة غربي السور لبناء جامع ومدفن خاص. ويعرف هذا الجامع اليوم باسم "جامع القصر". أما التسمية الشائعة لهذا المدفن الخاص فهي "سيدي بوخريصان". كما يبدو أن مقبرة القرجاني، التي ظهرت في بداية العهد الموحدي الذي يوافق النصف الثاني من القرن الثاني عشر للميلاد، كانت في الأصل مدفنا خاصا بالمشايخ الهنتاتيين. وفضلا عن ذلك، فإن التيجاني- الذي عاش خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر- يتحدث في رحلته عن القيروان ويذكر مقبرة القرشيين التي تعود إلى بداية الفتح الإسلامي. لكنها أصبحت في عصره مدفنا خاصا لمجموعة من العائلات القيروانيّة الوجيهة والشريفة. كما يشير الوزير السرّاج في كتاب "الحلل" إلى أن سلاطين بني حفص اتخذوا من زاوية الولي محرز بن خلف مدفنا خاصا لهم. وهو يقدّم وصفا مطوّلا لهذا المدفن الملوكي، الذي أصبح يعرف في عهده بـ "تربة الملوك". ويذكر أن السلاطين الحفصيين جلبوا كل التراب الذي يحوي رفات الموتي بالمكان من بلاد الحجاز. أما المعطيات الأثريّة فتفيد أن الأجيال الأخيرة من السلاطين الحفصيين كانوا يدفنون في زاوية سيدي قاسم الزليجي. وأن بعض الأفراد من بني حفص، وخاصّة من النساء والموالي الأعلاج، كانوا يدفنون في مقبرة الزلاج. ومع ذلك، فان أغلب

المؤشّرات تجعلنا نميل إلى الاعتقاد أن المدافن الخاصة أصبحت عادة شائعة في أوساط السلالات الحاكمة في تونس وفي بقيّة البلدان المغاربية منذ الفترة التي تلت انهيار "الامبراطورية الموحدية". حيث يعرّج الوزّان الفاسي في كتابة "وصف إفريقيا"، وفي معرض حديثه عن مدينة فاس، على وصف الروضة المرينية[6]. ونعلم وفق ما يذكره ابن أبي زرع، صاحب كتاب "روض القرطاس"، أن القول باكتشاف قبر إدريس الأول، مؤسس الشرف في المغرب، قد تم خلال بداية العهد المريني[7]. وليس من الغريب- في تقديرنا- ان يُتخذ ضريحه مدفنا خاصا للسلاطين والأشراف منذ ذلك التاريخ وخلال الحقب الموالية. وعلى هذا الأساس، يمكن القول أنه عند استقرار الأتراك العثمانيين في إفريقيّة، لم تكن عادة اتخاذ المدافن الخاصة تقليدا منعدما تماما في أوساط النخب في تونس وفي بقيّة البلدان المغاربيّة. وما يشير إليه شارل مونشيكور، في معرض دارسته عن الإمارة الشابيّة بالقيروان خلال القرن السادس عشر، من وجود لمدفن خاص لبعض شيوخ الشابيّة داخل زاوية جدهم ومؤسس إمارتهم، عرفة الشابي، هو على الأرجح استمرار لتقليد محلي مغاربي، أكثر منه تعبيرا عن تأثير عثماني وافد. وعليه، يصبح من الوجيه التساؤل عن خصوصيات هذه الممارسة خلال العهود السابقة للوجود العثماني؟.

إن شح المعطيات النقائشية والأثرية والأدبية لا تسمح بتقديم إجابة مستفيضة عن هذا التساؤل. لكن أغلب المؤشّرات تفيد أن هذا التقليد الجنائزي السلطاني، الحريص على مجاورة أقطاب التصوف في حياة ما بعد الموت، يترجم عن الواقع السياسي والديني المغاربي خلال القرون التي تلت سقوط الحكم الموحدي. وهذا الواقع يمكن تلخيصه في ظاهرتين: الأولي دينيّة وتتمثل في انتشار الثقافة الصوفيّة داخل المجتمع بأسره. أما الظاهرة الثانية فهي سياسيّة ونعني بذلك التحالف القائم بين السلطة والإسلام الطرقي. وبذلك، فإن اختيار السلاطين لأضرحة الأولياء لتكون مدفنا لهم، لا يمليه مجرد الرغبة الروحيّة في التبرّك بالأولياء فقط. بل إن هذا السلوك تمليه ضرورة سياسيّة تقتضى تعزيز شرعيّة الحاكم عن طريق الانغماس في خدمة أرباب التصوّف وإبداء مظاهر الإجلال لمقاماتهم وأضرحتهم. وأهم ما نلاحظه، وفق بعض المعطيات النقائشيّة أنه قلما يوجد اختلاط بين النساء والرجال في "أولى منازل الآخرة". فالنساء والأطفال والعبيد كانوا يدفنون في فضاءات الدفن العامّة. لذلك، يجدر الحديث خلال العهد الحفصي عن مدافن خاصة. وليس عن مدافن عائليّة.

ومن ناحية أخرى، أدّى ظهور هذه المدافن الملوكيّة حول ابرز المقامات والأضرحة، منذ القرن الثاني عشر على الأقل، إلى تثبيت بقاء بعض الجيوب المقبريّة داخل الفضاء الحضري المركزي. والمثال الأبرز على ذلك هي المقبرة المحاذية للقصبة وتلك المحيطة بضريح الولي محرز بن خلف. ويذكرّنا هذا بما يشير إليه فيليب أرياس(Ph. ARIES) بخصوص الغرب المسيحي خلال نفس الفترة تقريبا. وذلك عند حديثة عن ظاهرة بروز مدافن خاصة بالنخب الكنسية حول الأديرة والمعابد التي

تتوسط المدن. حيث جرت العادة خلال العصور القديمة، في مختلف أرجاء الإمبراطورية الرومانيّة، أنه لا يتم تخصيص فضاءات للدفن إلا في أطراف المدينة[8]. وكما حصل في الغرب المسيحي، شهدت القرون الوسطى عودة الأموات إلى وسط المدينة الذي أخرجوا منه خلال العصور السابقة. وفي مدينة تونس، سجلنا هذه الظاهرة كما أسلفنا منذ القرن الثاني عشر. لكنها ستتعمّق أكثر فأكثر مع بداية الحكم العثماني.

2- من الضريح المدفن إلى التربة العائلية، ومن العادة السلطانية إلى التقليد النخبوي

بات من المعروف أن النظام السياسي الذي ركزه سنان باشا في تونس سنة 1574، جعل من البلاد إيالة عثمانيّة. والحاكم الذي يحكمها بموجب تفويض يمنحه الباب العالي، يحمل لقب "الباشا". ويمارس مهامه بمعيّة رئيس الحامية العسكرية، وهو آغة الديوان[9]. ونعلم كذلك أنه إلى حدود سنة 1591، تاريخ سيطرة صنف البلكباشية على مقاليد السلطة وابتداء عصر الدايات، كان أغلب من تولى التفويض المذكور ومساعديه يغادرون البلاد بعد انتهاء المدة أو إزاحتهم عن مهامهم[10]. وفي ما يخصّ الاستثناءات القليلة، ونعني بذلك من مات في تونس، لا تسعفنا المصادر بمعلومات عن مدافنهم.

ومع حلول القرن السابع عشر، بدأ صمت المصادر يتلاشى شيئا فشيئا. وتبيّن لنا أن التقليد الحفصي القديم، المتمثل في اتخاذ زاوية قاسم الزليجي مدفنا خاصا، قد تواصل بين صفوف الحكام الجدد إلى حدود العقد الأول من القرن على الأقل. حيث يذكر الوزير السرّاج في كتاب "الحلل" أن رمضان باي، الذي مات سنة 1613، دفن في هذه الزاوية[11]. ولم تكن زاوية قاسم الزليجي هي المدفن الوحيد لرؤوس الأنكشاريّة الذين يحكمون البلاد. وحسب بعض الشهادات الشفويّة التي أمدنا بها بعض العاملين في مصالح الوزارة الأولي ووزارة الدفاع وغيرها من الأبنية المحيطة بالقصبة، والتي تفيد باستمرار وجود بعض القبور الرخامية داخل بعض المكاتب التابعة للمصالح المذكورة، ليس من المستبعد أن يكون بعض رؤوس الإنكشارية قد دفنوا وسط دورهم الواقعة داخل أسوار القصبة. وإذا تيسّرت لاحقا لأحد الباحثين سبل دراسة هذه القبور، وتبين أن تاريخها متأخر عن نهاية القرن السادس عشر أو عن القرن السابع عشر، فلا يعني ذلك في تقديرنا غياب هذا السلوك لدى الأجيال الأولى من العسكر الإنكشاري. وإذا تمادينا في تقديم الفرضيّات، نستطيع ان نقول بإمكانيّة وجود مقام للطريقة البكداشيّة داخل القصبة، وأنه وقع الاختيار عليه ليكون مدفنا لبعض أعيان الجند الإنكشاري.

ومهما يكن من أمر، فلقد بات من المؤكد أن الكثير من كبار قادة الجند خلال العقود الأولي من الحكم التركي قد دفنوا في أهم الاضرحة والمقامات التونسيّة، على غرار سيدي قاسم الزليجي كما أسلفنا. لكن كذلك في زاوية سيدي بن عروس. ولعل أهم مدفن خاص لأفراد النخبة العسكرية الحاكمة في أوائل القرن السابع عشر، هو تربة عثمان داي، الذي انفرد بالحكم منذ سنة 1594. ومات سنة 1610، ليدفن في ضريح سيدى بن عروس. وهذا المثال يستحق أن نتوقّف عنده لبرهة: فاختيار عثمان داي لمدفنه في زاوية سيدي بن عروس يذكرنا بالتقليد الحفصي القديم. ستحول ذريّته من بعده هذا

الضريح المدفن إلى تربة عائليّة. وهو ما يبيّنه أحمد السعداوي في كتابه الذي خصصه للترب ومدافن الدايات والبايات في تونس. ويضيف أن إحدى حفيدات عثمان داي، والمرجح أنها الأميرة عزيزة عثمانة، قامت في بداية القرن الثامن عشر بتخصيص جانب هام من عائدات أوقاف بجهة الساحل، لفائدة هذه التربة[12]. ونستفيد من ذلك، أنه بالتزامن مع استقرار العناصر التركية الحاكمة، و رسوخها في الوسط التونسي ابتداء من العقد الأول من القرن السابع عشر، شهدت العادات الجنائزية النخبوية ظهور الترب العائلية على الشاكلة التي تذكّرنا بالتقليد الشائع في مركز الإمبراطوريّة في استانبول وسائر ولايات المشرق.

الثابت في الأمر، أنه منذ العقد الثالث من القرن السابع عشر، بدأت عادة بناء الترب العائلية تشهد انتشارا كبيرا في بعض أوساط النخب الحاكمة ذات الأصول التركيّة أو العثمانيّة. فيوسف داي الذي خلف عثمان داي في الحكم من 1610 إلى 1637، وهو الذي عرف بإنشاءاته المعمارية العديدة- وخاصة جامعه الشهير الذي يحمل اسمه، وهو أول جامع بني على الطراز العثماني في تونس سنة 1616- قام بتخصيص جناح من الجامع المذكور ليكون مدفنا خاصا له. وقام ابنه أحمد من بعده بإتمام البناء على الشاكلة التي نعرفها اليوم لتكون تربة للعائلة. وإذا كان لهذه التربة مميزاتها من النواحي الفنيّة والمعمارية، فإنها شكلت من ناحية أخرى حالة فريدة، قطعت مع سابقاتها. فهي ليست ملحقة بأحد الأضرحة بل هي جزء من مركب ديني ضخم، يضم مدرسة وجامعا. يبدو كما لو أن نخبة ذلك الزمان ما عادوا يحرصون في المقام الأول على إنزال قبور موتاهم بجوار مصادر القداسة والبركة. وأصبحوا يسعون في المقابل لأن تكون مدافن ذويهم هي مصدر القداسة. وربما البركة كذلك.

ومهما يكن من أمر، فان ما تثبته المعطيات الأدبيّة والأثرية يفيد أن جل من تولى أمر السلطة بعد يوسف داي قد نحى منحاه. وإن بدرجات متفاوتة. فأسطا مراد داي، الذي خلف يوسف داي وحكم من سنة 1637 إلى سنة 1640، ابتنى تربته في ما يعرف اليوم بسوق السكاجين[13]. ورغم انحصار سلطة الدايات وتراجع وزنهم السياسي لفائدة البايات المراديين ابتداء من اربعينات القرن السابع عشر، حافظ من تولى خطة الداي بعد هذا التاريخ على اتباع نفس التقليد. فأحمد خوجة داي الذي توفي سنة 1647 بنى تربته في المساحة الفاصلة بين جامع يوسف داي ومقام سيدي علي بن زياد[14]. أما الداي محمد لاز، الذي توفي سنة 1653، فان تربته تقع قبالة تربة يوسف داي[15]. كما أن الداي الحاج مصطفى لاز، الذي تولى الخطة سنة 1653، دفن عند وفاته سنة 1666 في تربته الكائنة بصحن المسجد والسبيل الذين يحملان اسمه في الركن الفاصل بين نهج دار الجلد ونهج بئر لحجار[16]. وتذكر المصادر كذلك تربة الداي شعبان خوجة الذي توفي سنة 1672. وحسب أحمد السعداوي ، فانّ هذه التربة التي أزيلت في تاريخ متأخر تقع في نهج سيدي بن عروس، في مستوى رقم 55 على وجه التحديد[17]. وما نلاحظه، هو أنه بالتزامن مع تراجع سلطة الدايات، لم تعد منشآتهم الجنائزية

تحظى بوزن كبير في النسيج الحضري. فالداي مامي الجمل على سبيل المثال، الذي أزيح عن خطته وقتل بالكاف سنة 1679، لم يدفن في التربة التي بناها بنواحي باب الجديد[18]. وتكاد تكون تربة بقطاش خوجة داي، الذي توفي سنة 1688، هي الاستثناء الوحيد. وهي تلك التي تقع في مدخل مستشفى عزيزة عثمانة[19].

وتظل أهم منشأتين جنائزيتين تم بنائهما خلال القرن السابع عشر، هما تربة يوسف داي التي سبق ذكرها. وكذلك تربة البايات المراديين الكائنة بصحن جامع حمّودة باشا المرادي. وتفيد المصادر الأدبية والأثريّة أن حمودة باشا هو الذي شرع في بناء الجامع وأتربة الملحقة به. لكنّه توفي قبل إتمام الأشغال. فدفن في زاوية سيدي بن عروس. وأتم مراد باي الثاني البناء سنة 1672. ونقل إليه رفات أبيه حمودة باشا وجدّه مراد باي الأول، الذي توفي سنة 1632[20]، من زاوية سيدي بن عروس. وكان مراد باي الثاني هو أول من دفن بتربة العائلة عند وفاته سنة 1675[21].

وبحلول القرن الثامن عشر وانتقال السلطة إلى العائلة الحسينية سنة 1705، شهدت الخريطة الجنائزية في تونس ظهور ثلاث ترب ملوكية على الأقل. تربة حسين بن علي التركي التي بناها سنة 1708 قرب جامعه الكائن في نهج الصباغين[22]. كما قام علي باشا، الذي أنفرد بالحكم بعد انتهاء الحرب الباشية الحسينيّة سنة 1740، ببناء تربته الكائنة بسوق القشاشين قرب جامع الزيتونة. وجعل منها مركبا دينيّا وتعليميا، يعرف اليوم باسم مدرسة السليمانية. ولا تكشف المصادر بوضوح عن مكان دفنه بعد إزاحته عن السلطة وقتله سنة 1756. لكنها تشير إلى دفن عدد من ذريته و أخلافه في هذه التربة[23]. ويذهب أحمد السعداوي إلى أن علي باشا كان له في البداية نيّة إنشاء تربتين: واحدة للرجال- وهي التي أشرنا إليها- وأخرى للنساء في مقبرة الزلاج[24]. لكن علي باشا فضّل في النهاية الحفاظ على التقليد العثماني عن العودة إلى العادة الحفصية. وبعد عودة أبناء حسين بن علي الى السلطة سنة 1756، قام علي باي، الذي تولى الحكم سنة 1759 ببناء تربة العائلة الحسينية. والتي نعرفها اليوم باسم تربة الباي. ووفر الاستقرار السياسي لهذه التربة الظروف لتصبح أضخم معلم جنائزيّ خاصّ في تونس منذ دخول العثمانيين[25].

وما يميّز القرن الثامن عشر من ناحية أخرى، هو انتشار تقليد إنشاء الترب العائليّة في الفئات النخبويّة الوسطى. ونعني بذلك أعيان المخزن وبيوت العلم على وجه الخصوص. حيث عمدت عائلة الجلولي على سبيل المثال - بعد انتقالها من صفاقس إلى تونس خلال العقد الثالث من القرن- إلى شراء دار عائلة الرصّاع – المشهورة بالعلم- وحولتها إلى تربة خاصة بعائلة الجلولي[26]. ومثلها فعلت عائلة بن عيّاد بعد انتقالها من جزيرة جربة إلى الحاضرة. وتفيد بعض المؤشرات أن آل بن عيّاد أنشئوا تربتهم في ربض باب جديد. ونرجّح أن تكون في الفضاء المحيط بزاوية سيدي بومدين. أما عائلة بن عاشور، فأنهم اتخذوا من زاوية سيدي علي الزواوي مقرّا لتربتهم الخاصة. ولا شك أن المصادر المتاحة لا تكشف عن كل من مارس هذا التقليد

من العناصر النخبويّة بمختلف أصنافهم. ورغم تركّز هذا التقليد في مدينة تونس- على الأقل حسب ما تكشفه المصادر-، فان ذلك لا يعني غيابه في بقيّة مدن الإيالة، خاصة تلك التي تضم سكانا من أصول تركيّة أو حنفيّة كما أصبح شائعا في الوثائق المعاصرة. ومن الأمثلة البارزة، نذكر غار الملح، حيث عاين كل من أحمد السعداوي وناجي جلول وجود تربة عائلية غير مسقوفة[27]. كما كشف الباحثان عن وجود تربة خاصة بعائلة بن رمضان في المهديّة[28]. ويذكر أحمد السعداوي، نقلا عن سارج سانتيلي، وجود تربة خاصة بعائلة حمزة في المهديّة[29]. ويرشدنا كذلك، عن طريق الدفتر رقـ 144ـم بالأرشيف الوطني (الورقة 44)، إلى وجود قبر علي التركي، والد حسين بن على، بجامع سيدي على المجذوب بالكاف[30]. ونضيف إلى ما تقدّم أن هذا التقليد شمل كذلك أعيان الطائفة اليهوديّة بتونس. حيث ذكر لي السيد مارك فلوس ومن معه في جمعيّة أصدقاء مقبرة بورجل، أن المقبرة اليهودية القديمة والتي كانت تحتل الموقع الحالي لحديقة ثامر، كانت تحوي عديد الأضرحة للشخصيّات المعتبرة ومن بينهم الحاخام إيلي بورجل. وما تجدر الإشارة إليه، هو أن التباين الحاصل في أوساط الغالبية المسلمة من سكان تونس بين المحليين من جهة والعناصر الحنفيّة من جهة أخرى، له ما يقابله لدى الطائفة اليهوديّة بين فئة اليهود التوانسة وفئة اليهود القرانة. ونلمس انعكاسات هذا التباين في الفضاء الجنائزي. إذ تم وضع جدار للفصل بين الفئتين في مقبرة بورجل التي ظهرت خلال العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر[31]. وما يلاحظه الزائر لمقبرة بورجل، المخصصة لدفن اليهود، هو ان القسم المخصص لدفن اليهود التوانسة يتسم في الغالب بالبساطة في المعمار. ولا يخضع فيه ترتيب القبور إلى نظام واضح. وعلى العكس من ذلك، فان الجزء الآخر المخصص لليهود القرانة تتميز قبوره بالضخامة والمعلمية (la monumentalité) في كثير من الأحيان. وهو مقسم إلى مربّعات تحمل أسماء بعض العائلات النافذة مثل لامبروزوLambroso وكوستا Costa وفالنزي Valensi. وسواء تعلق الأمر بالمسلمين أو باليهود فان انتشار عادة انشاء التربة العائلية في الأوساط النخبوية، بمختلف أصنافها وانتماءاتها، لا بد أن تكون له رهانات لا يمكن اختزالها في بعد واحد.

3- الممارسة الجنائزية النخبويّة والفعل المجتمعي

لا شك أن انتشار التربة في تونس على نطاق واسع منذ القرن السابع عشر، كانت له العديد من النتائج والانعكاسات التي لا يمكن حصرها واختزالها في الجوانب الفنية والمعماريّة. وإذا سلمنا أن لهذا التقليد ارتباط بنزعة التميّز وإظهار المكانة لدى العناصر النخبويّة، صار من الممكن حينئذ قراءة هذا السلوك على أساس أنه تعبير عن إرادة في إثبات الوجود لدى طائفة وافدة على البلاد وغير متجانسة في مكوّناتها. ومن شأن هذه الاستراتيجية أن تفرز مع مرور الوقت – ولدى الأجيال المتأخرة على وجه الخصوص - إحساسا بالتجذّر في المجال مع الاحتفاظ بأفضلية الأصل الذي يربطهم رأسا بـ "الجدود الفاتحين". وليس أفضل من قبور الأجداد لإثبات أقدميّة الانتماء. وبذلك

يصح أن يعتبر تقليد إنشاء الترب "فعلا في المجتمع" Action en Société بالمفهوم الذي يتبناه ماكس فيبر Max WEBER[32]. فالتعايش في مجموعة، وما يعنيه ذلك من حرب وسياسة وصراع من أجل الوجود والسيطرة على مقدّرات المجال، غالبا ما يؤدى إلى شعور جماعي بوجود رابطة تضم الشتات. ويفضي هذا الشعور في مرحلة لاحقة إلى انغلاق المجموعة وممارسة منطق الإقصاء والإدماج وفق اعتبارات دينيّة وجغرافيّة وعرقيّة. ومن شأن منظومة القيم والعادات وما تحيل إليه من معتقدات أن تؤمّن حظوظ تحقق هذا المسار.

لقد وفّر لنا هذا البحث حول جانب من التقاليد الجنائزية النخبوية فرصة ثمينة لاختبار تاريخية المسار المشار إليه. والذي أفرز - في تقديرنا - مشروعا سياسيا طائفيّا أو جمعويا projet politique de communalisation خلال القرن السابع عشر. ذلك أن الترب العائليّة الخاصة بالأتراك أو بالعائلات ذات الأصول الأندلسية أو الأوروبيّة، مسلمة كانت أم يهوديّة، وكذلك تلك التي وفدت على الحاضرة من الدواخل، تستجيب لنزعة التميز عن الآخرين. وهو ما تشير إليه صراحة نقيشة في تربة يوسف داي ورد فيها ما يلي:

هذا ضريح مفرد في جامع جمع المحاسن مثله لا يوصف

ومع تعاقب الأجيال، تصبح التربة العائلية قرينة تؤيّد ادّعاءات التجذّر في المجال مع أفضلية الأصل في آن واحد. وهو ما تصرح به على سبيل المثال النقيشة القبرية الخاصة بالأمير أحمد بن محمد باي المرادي الذي توفي سنة 1688، ودفن في التربة المرادية. حيث ورد ما يلي:

أحمد به، نجل الهمام محمد سلالة مجد من خيار جدود

وفضلا عن إذكاء الشعور بالانتماء إلى مجموعة متميّزة، تفسح التربة مجالات واسعة لصياغة الذاكرات العائليّة وتمتين الرابطة الأسرية. وهذا العامل هو الذي يفسر وجود غرف مخصّصة لقبور النساء في أغلب الترب التي تعود إلى العهد العثماني. وقد يوجد في بعض الأحيان اختلاط بين قبور النساء وقبور الرجال داخل نفس الغرفة الجنائزيّة على غرار ما هو موجود في تربة عثمان داي أو تربة يوسف داي. وهاجس تمتين الرابطة الأسريّة، والرابطة الأبويّة على وجه الخصوص، هو الذي يفسّر في تقديرنا تفضيل دفن بعض النساء في تربة آبائهن وليس في تربة أزواجهن. وتتحول الترب، بما تزخر به من تعبيرات فنيّة وأشكال إبداعيّة مثبتة على الرخام، إلى ما يشبه المتحف الذي يؤرّخ للعائلة ويحفظ أمجادها. ففي التربة المرادية، كتب ابن أبي دينار فصول تاريخه على رخام القبريات قبل تحبيره على صفحات المؤنس. حيث تكشف النقيشة القبرية لعلى باي على سبيل المثال، عن أجواء التوتر التي أحاطت بموته سنة 1686:

مولاي عفوك في البريّة جار نج عليّا من عذاب النار

ونفس الملاحظة تنطبق على القبرية الخاصة بمحمد الحفصي الذي مات في نفس السنة وفي أجواء متوترّة للغاية بفعل الحرب بين الأخوين محمد وعلي. وتقول هذه القبرية:

مولاي يا من بالمكارم يوصف وبعفوه عنا نفوز ونتحف

اغفر لصاحب ذا الضريح محمد الباشة الحفصي بذاك يعرف

وحتى الاستثناء الدرامي الذي يمثله رمضان باي المرادي وما تعرض له من إقصاء عن التربة العائليّة وإعدام لجسده حيا وميتا من قبل خصمه وابن أخيه مراد باي الثالث، لا يمكن إلا ان يؤّكد ولو بأسلوب سلبي- هذا **المنطق** الذي أشرنا إليه.

ويمكن القول في نهاية التحليل، أن التربة - باعتبارها مكان دفن متميّز- هي أشبه ما تكون بخطاب يتوجّه به الأحياء إلى الأحياء. ولا يعني الأموات في شيء. وهذا الخطاب توجهه النخبة إلى النخبة أولا، ومن خلال النخبة إلى سائر العامة. ومضمون هذا الخطاب - اذا شئنا الاختزال الذي لا يخلو من التعسّف- هو التعبير عن قدم الانتماء. لكن مع هامش جمالي يسمح بإبراز خصوصيات تهم بعض الأفراد أو بعض العائلات. على غرار ما نقش على اللوحة الرخامية الموضوعة على قبر السيدة مايسة منداس المدفونة في مربع عائلة كوستا بالمقبرة اليهوديّة بورجل. فالنص الجنائزي المنقوش على قبريّة هذه السيدة - التي ماتت في سن مبكّرة – يصدر فيه الخطاب عن ضمير المتحدث "أنا"، وتتوجه بالخطاب إلى الزائر لتقول له ما مضمونه أن الموت غدرت بها في ازهي العمر:

موتـي جات معجّلــة طارت [روحي] مــع الطيــرات[33]

الطبيب ما فاق بمرضي في يومين الموت جات

يعالج في مرض عصب ويقول ما منه مخوفات

صادفني تورنو بونطاده[34] سكنتنـــي الروضـــات

يبكــي زوجي بحـــرقة في جسمه شعلوا لهيبات

ذبحت الموت مايصة منداس نسل الفخــرات

يوم 21 هادرعخ حضــرولي لاجــلات

الخاتمة

لقد تبين لنا من خلال هذا البحث، أن إنشاء المدافن الخاصة والترب العائلية لا يمكن اعتباره سلوكا مجانيا أو تقليدا بلا معنى. فهذا السلوك يحيلنا - قبل كل شيء - إلى

ممارسة متطورة في الزمن. وهو يشكّل كذلك فعلا مجتمعيّا له غايات، ويهدف إلى بلورة مشاريع. فضلا عن ذلك فهو خطاب نخبوي يستوعب العمل الإبداعي وله القدرة على خلق القيمة الجماليّة. وما كان لهذا السلوك أن يكون كذلك لو لم يكن له صفتين أساسيتين متلازمتين: أن يكون مختلفا مع ما سبقه لكن بدرجة لا تجعل منه نشازا غير مقبول، ثم أن يكون متشابها، لكن ليس التشابه الذي يفقده القدرة على البروز ولفت الانتباه.

قائمة المراجع

[1] « L'homme est un animal qui fait des choses raisonnables à partir de principes déraisonnables et qui part de principes sensés pour accomplir des choses absurdes. Et cependant ces principes absurdes, cette conduite déraisonnable, sont probablement le point de départ de grandes institutions ». Mauss (M.), 1926, *Manuel d'ethnographie*, Paris p. 61

2 هذا هو الجانب الذي تركّز عليه أغلب الدراسات الانتروبولوجيّة. أنظر:
LONGLOIS (O.), 2003, [avec la collaboration de Lola BONNABEL] « Traditions funéraires et religions au Diamaré : apports historiques d'une approche ethnoarchéologique (Nord- Cameroun) », Journal des Africanistes, Vol. 73, n° 2,p p. 27 – 76

3 أنظر :
SAADAOUI (A.), 2010, Tunis, architecture et Art funéraire. Sépultures des deys et des Beys de Tunis à l'époque Ottomane. Centre de Publications universitaires. Manouba

4 أنظر :
ZBISS (S-M.), 1951, « Note sur les cimetières musulmans de Tunis ; essai de toponomastique », in Actes du 70è Congrès de l'AFAS, Fasc. III, Tunis Mai 1951

5 بن مامي (م. الباجي)، "نظرة حول الترب وأماكن الدفن الأخرى بمدينة تونس"، المجلة التاريخية المغاربية، ع. 33-34، 1984، ص. 9-38.

6 أنظر:
Léon l'Africain, 1908, Description de l'Afrique ; Tierce partie du Monde. Nouvelle édition annotée par Ch. Schefer. Paris. Ernest Le Roux. Volume II, p. 172

7 أنظر :
Ibn Abi Zar'a, Roudh EL-Kartas. Histoire des Souverains du Maghreb (Espagne et Maroc) et Annales de la ville de Fèz (trad. par A. Beaumier) p. 15

8 أنظر:
ARIES (Ph.), Essais sur l'histoire de la mort en Occident, du Moyen âge à nos jours. Paris, Éditions du Seuil – 1975. p. 24-25

9 BACHROUCH (T.), Formation sociale barbaresque,

10 Saadaoui (A.), Op.Cit., p. 10

11 الوزير السرّاج (أبو عبد الله، محمد)، الحلل السندسيّة في الأخبار التونسية، بيروت. دار الغرب الإسلامي 1984. ج 2. ص 355-356 (سيذكر هذا المصدر في الاحالات الاحقة باختزال "الحلل").

12 Saadaoui (A.), Op. Cit., p. 14
13 Saadaoui (A.), Op.Cit., p. 53
14 Ibid, p. 71
15 Ibid, p. 76
16 Ibid., p. 79
17 Ibid., p. 86
18 Ibid., p. 92
19 Ibid., p. 94

20 الحلل. ج 2. ص 366 و 432
21 نفس المصدر. ص 452
22 نفس المصدر. ج 3. ص 133

23 Saadaoui (A.), Op. Cit., p. 03
24 Ibid., p. 135

25 أنظر:

- Ben Achour (M-A.), «Tourbet El-Bey, la sépulture des Beys et de la famille Husseinite à Tunis », IBLA n° 155, 1er Sem 1985, pp. 45-84.

26 الأرشيف الخاص للمرحوم أحمد الجلولي

27 Saadaoui (A.), Op. Cit., p. 02, note 01
28 Ibidem
29 Ibidem
30 Ibidem

31 الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D، الحافظة 225، الملف 9/2. نسخ من أوامر تنظيم شؤون اليهود بالحاضرة قبل الحماية ومراسلات وتقارير تتعلق بتقسيم المقبرة الجديدة (بورجل) بين اليهود البرتغاليين واليهود النونسيين سنة 1890.

32 أنظر :

Winter (E.), Max Weber et les relations éthniques ; du refus du biologisme racial à l'Etat multinational, [avec Préface de Philippe Fritch, et traduction par Vanessa Welkining]. Presse Université Laval, 2004, p. 117-118

33 "الطيرات" تعنى العصافير في العامية التونسيّة

34 "تورنو ينطادة"، المقصود بذلك هو تعرض السيّدة المعنيّة إلى نزلة برد.

النساء و الملكية في مدينة قسنطينة أواخر الحكم العثماني 1787-1837م

ملخص

تهدف الدراسة إلى رصد ممتلكات النساء وأنواعها في عاصمة بايلك الشرق وذلك من خلال العقود العدلية بغرض التعرف على آليات التملك لدى النساء ؟ ومن هن المالكات وذلك بناء على مدونة تتكون من "1020" عقد سجلت فيما بين 1787الي1837م ، وشاركت النساء في "533" معاملة. بالإرث والشراء حافظت النساء على قسط في الملكية وتجاوزت بعض آليات حرمانها منها عن طريق الوقف أساسا.

صرهودة يوسفي

مخبر تاريخ، تراث ومجتمع
جامعة عنابة
الجزائر

تلقت المرأة في ظل المجتمع التقليدي لمدينة قسنطينة تربية وثقافة أهلتها للقيام بدورها كزوجة وكأم، وقد فرضت عليها الأعراف والنواميس الاجتماعية وضعية الخضوع للذكور والتبعية لهم لكن ذلك الوضع لم يمنع العديد من النساء من الوصول إلى التملك العقاري وخاصة أنه حق يكفله لها الشرع مثل الرجل. ولها حرية التصرف فيما تملكه مباشرة وفقا لعقود المبادلات والمعاملات، كما يصح لها أن توكل غيرها في كل ما تملكه، أو تتصرف بشخصها بلا وكالة، وهكذا كان موقف الإسلام صريحا في حق النساء في الملكية سواء تعلق الأمر بالملكية العقارية أو المنقولة. وفي هذه الدراسة نهدف إلى رصد ممتلكات النساء وأنواعها في عاصمة بايلك الشرق وذلك من خلال العقود العدلية ثم

Résumé

Cet article étudie la participation des femmes constantinoises dans les transactions économiques et leur capacité à acquérir des biens, et ce, au moyen du dépouillement des actes notariés établis entre 1787-1837.

Présentes dans la moitié des transactions, par héritage et achat, les femmes arrivent à contourner les mécanismes qui les privent ou les éloignent de la propriété comme les *waqf*.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

الإجابة عن الأسئلة المكملة: ما هي الآليات التي مكنت النساء من الامتلاك؟ ومن هن المالكات؟ وما هي آليات استبعاد النساء من التملك؟

1- عينة البحث

للإجابة عن هذه التساؤلات لجأنا إلى سجلات المحكمة الشرعية[1]التي أخذنا منها عينة البحث، المتمثلة في عقود المعاملات والمبادلات حيث وجدنا "1020" عقد موزعة على عشرة سجلات تغطي الفترة الممتدة من 1787الي1837م، ومشاركات النساء في التسجيل كانت "533" عقد، يظهر الرجال نيابة عن النساء في"74" عقداً، أما عن مشاركة الجنسين معا فقد بلغت "29" عقداً، وفيما يخص العقود التي يسجلها الرجال لصالح النساء فقد بلغت "31" عقداً. بالإضافة إلى ذلك تم تسجيل152عقد بيع أو شراء أما عقود الهبات فقد وصلت إلى "102"، وبلغ حضورهن في الوصايا "155"عقد. كما سجلت النساء معاملات أخري كعقود لابرأت حيث تخلي ذمة الرجال من ديون عليهم وقدرت ب "67" عقد، منها "27" عقداً إبراء الزوج من باقي الصداق أو كالي الصداق.

وكما وجدنا بعض العقود الأخرى كعقود الوقف وعددها 07 وكلها أوقاف أهلية حول العقار، ودوّنت ثلاثة عقود هامة خاصة بأوقاف النساء ضمن سجل صالح باي للأوقاف[2].

2- تأليا وصول النساء إلى التملك

1.2- الميراث

لقد حدد علم الفرائض نصيب النساء في الميراث وتحديدا في قسمة التركات، إذ يقول إبن خلدون: "فن شريف لجمعه بين المعقول والمنقول والوصول به إلى الحقوق في الوارثات[3] بوجود صحيحة يقينية" ويعتبر الميراث عاملا من عوامل انتقال الثروة داخل إطار العائلة الواحدة، ولهذا تمكنت النساء من حيازة أنواع مختلفة من العقارات، الأمر الذي جعلهن يرتقين في السلم الاجتماعي، وذلك نظرا للدور البالغ الأهمية الذي تلعبه الملكية العقارية في تحديد الثروة والمكانة الاجتماعية.

ومع أن محتوي عقود المحكمة المالكية لمدينة قسنطينة لا يمكننا من رسم صورة واضحة على الآليات التي مكنت نساء المدينة من الوصول إلى التملك العقاري، فإن عقود قسمة التركات التي وصل تعدادها إلى "40" عقد، تعبر بوضوح عن دور الميراث في إرساء الملكية النسائية.

كمثال على ذلك عثرنا على وثيقة اقتسام أملاك "السيد محمد المبارك بن السيد المهوب" والتي تشتمل علي"الدار القبلية المفتح القريبة من مسجد سيدي عبد الرحمان وجميع الربع من الجنة المعروفة "بالعدوة القصوى" ذات الأشجار، فأخذتا "نفوس وكلثوم" (أختين) ثمن الدار كاملا وثلاثة أرباع من الجنة.

كما أن المازوزية بنت المرحوم السيد محمد خوجه استقر ملكها لجميع الأراضي "قنيفيدة من وادي البقرات، المشتا المعروفة بأولاد بن ليل ولجة الجرف" عن طريق الارث من زوجها سليمان السمار وأولادها منه[4].

نستنتج من هذا أن الميراث قد مثل مصدرا طبيعيا وأساسيا لانتقال الثروات العقارية العائلية إلى نطاق الملكية النسائية، لكن الميراث لم يكن المصدر الوحيد لامتلاك المرأة لعقارات داخل مدينة قسنطينة وغيرها، حيث لا يمكن التغاضي عن دور عمليات الشراء كوسيلة ثانية مكنت النساء من حيازة أملاك عقارية.

2.2- الشراء

منح الإسلام الأهلية للمرأة في التصرف الكامل في مالها بيعاً وشراءً، ونلاحظ ذلك في الوثائق التي بين أيدينا حيث اتجهت العديد من النساء ممن تتوفر لهن الموارد المالية إلى شراء عقارات، وسجلن حضورهن في عقود الشراء بصفتهن ولم ينب عنهن الرجال إلا في 16 عقد شراء، وحضرن شخصيا أمام القاضي في "63" حالة. كما سجلن حضرن بعدد أكبر أي "88" حالة في عمليات بيع دون نائب. وناب عنهن الرجال في عملية البيع "64"مرة. وكمثال على ذلك نورد العقد المسجل باسم عائشة بنت حسين باي التي اشترت جميع أراضي " الوطن المعروف بالنقرة، الرقعة المسماة القنطرة، الرقعة المعروفة أم الحفر ورقعة أبي كعبور"[5].

ومن النساء اللائي سجلن عقودهن في المحكمة " فاطمة بنت عرفة العنابي " وقد اشترت جميع الدار القبلية... ب:890 ريال[6]. وكذا زوجة القايد "أحمد نعمون " التي تشتري الدور وينوب عنها أخوها لأبيها "علي نعمون"[7]

ومن خلال ذلك نجد أن الرجل في الغالب يكون حاضرا في البيع لأنه يستفيد أكثر من أن يكون حاضر في عمليات الشراء. أما عن بيع المرأة للمرأة فنلاحظه في "28" عقد وشاركت المرأة الرجل في "05" عمليات شراء.

3.2- عقود التملك بدون مقابل مادي

تجدر الإشارة هنا إلى تعدد أشكال التملك دون مقابل مادي مثل الوصية والوقف، وفي هذا الصدد وصل تعداد عقود الهبة "102" عقد[8]، استفاد الرجال من "86" منها هبة وفي المقابل وهب الرجال للنساء "04 " مرات ووهبت المرأة للمرأة "12" مرة. وهذا لا يعني بتاتا أن الرجال لا يحرصون على مصالح بناتهم أو زوجاتهم أو أخواتهم شريطة الا تتعارض مع مصالحهم الشخصية من جهة ومع مصالح العصب من جهة ثانية[9].

أما فيما يخص الوصايا فهي تقدر ب "155" منها "90" وصية للرجال و "60" للنساء ومن هذه العقود نتعرف على أنواع الملكيات النسوية، ومن هن المالكات.

4.2- استعمال النساء لحق الشفعة للإنفراد بالملكية

يجدر بنا في هذا المقام الإشارة إلى أن بعض المالكات المشاركات في ملكية بعض العقارات قد أقدمت على استخدام حق الشفعة[10] لشراء منابات أخرى من العقارات المشتركة و إذا ما حلّت بعض المطالب بطرق سلمية فإن البعض الآخر قد وصل صداها إلى المحكمة الشرعية ، حيث نتبيّن من خلال العقد المسجل في 15 ذي الحجة 1204هـ ، أن محمد بن عبد الرحمان بن وارث الصباغ باع ما يخصه في الدار القبلية الموجهة لمسجد سيدي راشد ل : "علي بن محمد الخطافي" ، ولما أعلم " أم كلثوم بنت سي صالح بن بحوش العباسي" ، طلب حقها في الشفعة بما أنها شركته وأخذت حصته ، و إن كانت كلثوم قد استخدمت حقها في الشفعة بعد أن أعلمها شريكها بعملية البيع فإننا نجد "فاطمة بنت محمد بوزاهر" تصر على الاحتفاظ بحصة شريكها الذي لم يكن ليرضى دون لجوءها للمحكمة ، فهي لم تتوان عن استخدام جميع الوسائل لزيادة منابها من العقار. لقد مثلت الممتلكات المشتركة بالنسبة للنساء الشريكات في ملكيتها من ذوي الموارد المالية المحدودة، فرصة لها لامتلاك هذه العقارات بأكملها حتى وإن كان ذلك بصفة تدريجية وباستعمال حق الشفعة.

3- ممتلكات النساء في مدينة قسنطينة

1.3- النساء والملكية العقارية

استناداً إلى عقود البيع ، الشراء ، الشركات و الهبات وجدنا مجموعة من فئة النساء امتلكن ثروة عقارية مثل: الدور، الجناين[11] و الحوانيت[12] إلى جانب الحمامات، ويمكن تصنيفها حسب الجدول الموالي:

جدول رقم1 يبين أنواع العقاراتالتي امتلكتها النساء في قسنطينة

الدور	حانوت	اصطبل	علو	جنة	حمام
131	08	03	06	26	01

هذا بالإضافة إلى أننا رصدنا عددا من الملكيات عبارة عن أجزاء من عقارات و لعل ما يستدعي الاهتمام هو امتلاك النساء لعقارات ذات الاستعمال التجاري كالحوانيت[13] التي تحصل عليها عادة بالإرث، كما أن أغلب العقود كانت عقود بيع لهذا العقار أو جزء منه و الاحتفاظ بالجزء يدل على أن النساء في ذلك الوقت اقتحمن هذا مجال التجارة. ومن عقود الشراء نلاحظ أن النساء أقبلن على شراء "الدور" سواء كاملة أو جزء منها. وفيما يلي قائمة خاصة بملكية النساء لدور مرتبة حسب المبلغ.

جدول رقم 2 الملكيات العقارية لنساء داخل المدينة.

التاريخ	الأسم	الدار (جميع أو جزء)	الثمن (ريال)
12 شوال 1207هـ	حفصة بنت محمد بن قارة و أخواتها	جميع الدار	1400
17 ربيع الأول 1204هـ	أم الخير بنت عمار الحركاتي	¾ من الدار	1358
17 رجب 1203هـ	خديجة بنت صالح و ابنتها	دار	1350
12ربيع الثاني 1205هـ	الذميات رحمونة و لمونة بنات مخيلف القيطاني	دار	1020
10 رجب 1207هـ	عائشة نعمون	دار الكماد	900
28 رمضان1208 هـ	فاطمة بنت عرفة العنابي	دار	890
28 ذي الحجة 1208 هـ	الذميات جوهر و رقية و نورة	دار	658
25 رجب 1205 هـ	علاية محمد بن الشريف بن البادي	8/3 من دار	585
5 ذي القعدة 1208 هـ	نوفة بنت مبروك الدعليسي	8/3 من دار	525
03 شعبان 1207 هـ	أم الخير بنت الحركاتي	8/3 دار	520
رجب 1213 هـ	تركية بنت ابراهيم العساوي	شطر دار	450
03 صفر 1202 هـ	فاطمة زوجة القايد بن نعمون	دار	414
01 ذي القعدة 1204هـ	عالية بنت الحاج عمار	¼ دار	400
17 جمادى الثانية 1209 هـ	عائشة بن سعيد بن المهني	8/1دار	350
15 شعبان 1204	فاطمة بنت مسعود الريغي	¼ دار	350

إن قراءة بسيطة للإحصائيات المذكورة أعلاه تبرز لنا أن جل ملكيات النساء عبارة عن دور وهذا لا يعني أن ملكيتها للعقارات انحصرت في الدور، بل هناك أنواع أخرى من عقارات امتلكتها النساء.فمن الوثائق استطعنا أن نحصر قائمة أخرى بأنواع العقارات التي تداولتها النساء سواء بالبيع أو الشراء.

جدول رقم3 ملكية النساء لعقارات أخرى مرتبة حسب المبلغ

التاريخ	الأسم	نوع العقار	الثمن
01 صفر 1210هـ	خديجة بنت المرحوم أحمد باي	أرضي	3800 ريال كبير الضرب
19 رجب 1214 هـ	راضية بنت محمد الشفار و مباركة بنت محمد البسكري	جميع العلو	930 ريال كبير الضرب
06 ذي القعدة 1204هـ	فاطمة بنت السيد محمد نعمون	علو	500 ريال
10 صفر 1205هـ	للنونة بنت الحاج المبارك بريدي	جزء من جانوت	380 ريال
14 محرم 1204هـ	للنونة بنت الحاج المبارك	8/3 حانوت	300 ريال
01 شعبان 1207هـ	تركية بنت محمد بوتقاية البعلي	حمام	300 ريال
03 شعبان 1204 هـ	مريم بنت محمد و ابنتها عيشوش بنت سي محمد المسبح	جزء من علو	292 ريال
04 جمادى الثانية 1207هـ	راضية بنت حمود بن الأحمر	علو	221 ريال
16 جمادى الأولى 1205هـ	قارمية بنت الحاج علي بن رحمون	حانوت	200 ريال كبير الضرب
06 شعبان1205هـ	تركية بنت علي باشا الصولي	علو	181 ريال
10 شعبان 1203هـ	حجيمة و حفصية بنات الحاج محمد الطلحي	جزء من علو و جزء من اصطبل	98 ريال
02 شعبان 1207هـ	مباركة بنت عمر بن القومة	جزء من اصطبل (كذا)	70 ريال

يتضح لنا من الجدول السابق تنوع العقارات من محلات سكنية ودور ومحلات تجارية (حوانيت) داخل المدينة، وهو ما تكتسبه المرأة عادة عن طريق الإرث أو الشراء، كما كشفت لنا هذه الدراسة عن جانب من جوانب حياة النسوة وتصرفهن في ملكيتهن.

2.3-النساء والملكية المنقولة

تتميز الملكية المنقولة الواردة في الوثائق بجوانب هامة وهي المصاغ، المال، الإيماء و العبيد.

1.2.3- المصاغ

تعتبر الحلي أداة شاهدة علي تاريخ الإنسان وأصالته، وماض عريق تحتضنه صفائح منقوشة ومختلفة الأشكال، فهي لا تجسد فقط القيمة المادية للمصاغ ، بل هي إبداع وأداة شاهدة للتاريخ، فالمعادن تعبر عن مستوى الرقي والفن و كذا المستوى المادي والاقتصادي وهي متوارثة عبر الأجيال.

اشتملت العقود التي بين ايدينا على مجموعة هامة من المصاغ[14] الذي كان متداول في المجتمع القسنطيني و تكونت التشكيلة من الأساور ،الأقراط ،الجوهر[15] ،الخلخال

،الخواتم ، الشُّرْكة ،المقايس و الخلايل، و تختلف الكمية من مالكة إلى أخرى، ويتضح هذا النوع من الملكية من خلال عقود التركة. كما تبرز الهبة عن جانب هام من ثروات النساء من المصاغ. ونورد على سبيل المثال تركة المرحومة العكري بنت ابن الرايس التي توفيت في صفر 1228هـ، وتركت حلي بيعت ب:"811 ريال" وتحتوي على :

- خلالة من الذهب :(03).
- وسوار نحت :(01)
- قرطين بالجوهر : (02)
- قرطين ذهب: (02)
- 10 خواتم ذهب
- جبلة جوهر بالواسطة (02)
- مقواسا ذهب[16].

إلى جانب ذلك نجد أن النساء كانت تهب الحلي الذي تملكه ومن ذلك:"و فيه وهبت تسعريت بنت حسن بن ساسي خلخالين أحدهما مجرة و الأخرى ثلثى و فردين مقفولا ذهبا و خلخالين فضة"[17].

بالإضافة إلى ذلك هناك عقود تثبت أن هناك من يهب الحلي للمرأة ومن ذلك نجد : " هبة محمد على الوسلاتي لزوجته خديجة المتمثلة في خلخال و مقياس و خلالتين"[18]

كما نجد سليمان بن علي بن بركات يهب لابنته حفصية 04 خلخالا من الفضة و خاتمين من الذهب[19].

جدول رقم4 يبين أهم أنواع الحلي وأثمانها.

نوع الحلي	معدنه	سعره
خلخال	ذهب	100 ريال
	فضة	31 الى 50 ريال
مقواس	ذهب	50 الى 80 ريال
	فضة	15 الى 25 ريال
قرطين	ذهب	46 ريال
	فضة	/
الخواتم	ذهب	10 ريال
	فضة	07 ريال
خلالة	ذهب	35 ريال
	فضة	40 ريال

يبدو من خلال الوثائق أن النساء وظفن أموالا معتبرة من أجل شراء المصاغ3 يستعمل في الحياة اليومية خاصة في الأعراس وحفلات الختان ذكر حمدان خوجة : أن العائلات الميسورة تشتري المصاغ لتعيره للعائلات الفقيرة أثناء حفلات زفافها وهذا تعبيرا عن التضامن بين الفئات المجتمع من جهة و أهمية المصاغ من جهة أخري[20].

2.2.3. 2 المـــال

تكشف لنا وثائق المعاملات و المبادلات عن عدد كبير من النساء اللاتي امتلكن أموالا سائلة، منها ما وجدناه في تركة العكري بنت ابن رايس "08" سلطاني إلى جانب "254" ريال[21].

ومن الطبيعي أن هؤلاء النساء يحتفظن بمبالغ مالية في المنازل لتستخدم إما لاقتناء المشتريات اليومية، أو كن يحتفظن بها لتخزينها و صرفها عند الحاجة ، وقد اختلفت قيمة تلك الأموال من حالة لأخرى ، فبعض الهبات مثلا عبارة عن أموال سائلة تقدمها المرأة هبة أمام القاضي ومنها ما ورق في العقد الموالي:

"وفيه وهبت علجية بنت عبد الله لأخيها سي محمد اثنين و سبعين ريالا هبة بتله بته أمام السيد علي بن باديس"[22] .

لكن ما يلفت الانتباه هو عثورنا على مجموعة قليلة من عقود القروض المسجلة باسم النساء ، فهي أحيانا تعترف بقبض دين مثل : خديجة بنت سي محمد السعيد تعترف بقبضها مبلغ 201 ريال كبيرة الضرب من والدها[23] و فاطمة بنت لطيف الوسلاتي التي تعترف بقبض المبلغ الذي اقترضته لأخيها والمقدر ب:20ريال[24]. أما فيالة بنت العلمي فقد اقترضت زوجها 100 ريال كبيرة الضرب و سجلت القرض أمام القاضي[25].

وهذه تركية بنت محمد الدراجي تسترجع الأمانة من العالم محمد بن إبراهيم و مقدراها 120 ريال[26].

أما فاطمة بنت علي فقد قبضت 300 ريال كانت قد اقرضتها لبلقاسم بن احمد البوعزوني[27]. و يمكن أن نضيف هنا تركة "بنت دالي علي" حيث خلفت زيادة عن البقر 150 ريال[28]. وهذا وقد ملكت النساء مبالغ مالية في كانت في ذمة أقاربهن من الرجال مثل باقي الصداق أو كما يعرف في السجلات بكالي الصداق. قد اشتملت الوثائق على أخبار هامة عن باقي الصداق وعن طرق تسديده.

جدول رقم5 النساء اللائي لديهن باقي الصداق وأموال أخري في ذمة أزواجهن مرتبة حسب المبلغ

التاريخ	الاسم	المبلغ	ملاحظات
01رجب 1202هـ	خديجة بنت سي محمد السعيد	188 ريال 13 ريال ك-ض	باقي الصداق وسلف احسان
04شعبان 1202هـ	أمينة بنت عثمان الباري	143ريال	دين في ذمة زوجها محمد بوزاهرالدباغ
محرم 1215هـ	فاطمة بنت محمد الحناشي بن صالح الحناشي	130 ريال	39 باقي الصداق والباقي دين في ذمة زوجها ع الله عتيق صالح باي
جمادى الثانية 1214هـ	ملوكة	125 ريال	باقي الصداق من زوجها أحمد البجاوي
شعبان 1223هـ	فاطمة بنت أحمد البورني	100 ريال	دين في ذمة زوجها علي الوجاني لهاالجابدة التي تحرث في بوقصبة
رجب 1234هـ	الزهراء بنت القريري	100 ريال	40 باقي صداقهاو60دين لزوجهاالطاهر بن الحامدي
04رجب 1204هـ	فيالة بنت مبارك	100 ريال	باقي صداقها
09ربيع الثاني1207هـ	مباركة بنت أحمدالعمري	70 ريال	دين لها في ذمة الأخضر بن مسعود السبايخي
20ربيع الاول 1202هـ	نوة بنت الحاج سعيد الرحموني	63 ريال	باقي صداقها من زوجها منصور المزيلي طلب تأخير20يوم
29رجب 1204هـ	فاطمة بنت علي العلمي	60 ريال ك -ض	باقي صداقها من زوجها محمد الزيتوني
1 ربيع الثاني 1204هـ	حليمة بنت العمري الميلي	45 ريال	باقي صداقها من زوجها المسعود بن محمد

نلاحظ من الجدول وجود ديون باقي الصداق في ذمة الأزواج وهذا لا يعني أنها لا تملك ديوناً أخري في ذمة باقي الأقارب من الرجال فهذه "حفصية بنت محمد المراقز " تعترف بأنها قبضت 50 ريال من أبيها[29] ،أما "سخرية بنت سي أحمد العباسي" فيعترف ابنها "أحمد بن محمد العباسي" بأن لها دين في ذمته مقدر ب 186 ريالا[30].

كما رصدنا باقي الصداق في تركة "حفصية بنت علي بن علي العربي" المقدر ب44 ريالا[31] بالإضافة إلي ذلك "الصافية بنت بلقاسم" تقبض باقي صداقها من تركة زوجها "علي بن الجناب" و المقدر ب 30 ريال و 16 ريالا ثمن الملحفة التي كانت في صداقها ولم يشتريها[32] .

ولعقود الاعترافات التي يسجلها الرجال لصالح النساء و التي وصل تعدادها (31)عقدا يحتوي أغلبها علي عبارة "...دين باقي الصداق و سلف إحسان..." وهنا نلاحظ التأكيد و الحرص علي تسديد الدين أو الاعتراف به علي الأقل وقد يكون أيضا حماية للنساء من أطماع الورثة[33] . وتفيد كذلك في معرفة أن النساء في تلك الفترة تتمتع بملكية أموال منقولة بصفة منفردة عن الرجال.

2.3. 3 الملابس و أثاث المنازل

احتوت عقود المعاملات والمبادلات على أهم أنواع الملابس التي كانت تمتلكها النساء خاصة عقود التركات والهبات، ونجد على رأس قائمة الثياب "البرنوس"، وهو نوع من المعاطف له شكل دائري ينسج في وسطه "قلمون" يستعمله الرجال كذلك تستعمله النساء، ويصنع في العادة من قطعة واحدة دون تخريط، وهو بهذا الشكل يتسم بالبساطة والأناقة. ويستعمل لصنع نسيج البرنوس الصوف الناعمة البيضاء التي تمزج أحيانا بالحرير، إلا أن البرنوس الذي يلبس في فصل الشتاء ويحمل في الأسفار يصنع من خيوط أمتن[34]

أما "الحايك" فيصنع من الصوف أو الحرير، وتستخدمه المرأة لسترتها عند خروجها في النهار والغطاء بالليل، فلا يوجد ما هو أفضل منه في توفير الدفء بالرغم من خفة وزنه، ويظهر الحايك في الوثائق بألوان مختلفة منها الأبيض والأحمر، وهذا النوع من الملابس يوجد بكثرة في عقود الهبات والتركات .

وإلى جانبه توجد" القندورة" أو "الجبة" والتي يصفها بعض المؤرخين بأنها أهم أثواب سكان قسنطينة ويصفونها بأنها فضفاضة وبلا أكمام ومتعددة الألوان[35]، وتصنع من المخمل والحرير، وقد صادفنا لفظ القندورة في عدة عقود منها عقد تركة مؤرخ في محرم 1239هـ: «الحمد لله توفيت فاطمة وعصبها جانب بيت المال لا وارث لها في علم الشاهدين وانحصر مخلفها في لحاف ومطرح وحايك ومحرمتان وقمجة وقندورة...»[36]

أما الحزام فتستعمله المرأة كما يستعمله الرجل، وحزام المرأة يصنع من الصوف المغزولة أو من الحرير، وتلفه المرأة لفة واحدة على خصرها، بعده يظهر "القفطان" ويعتبر من الألبسة غير الأصلية بالجزائر، ويعتقد الكثير من الباحثين أنه قد قدم مع الأتراك وهو من أغنى الثياب الذي يلبسه السكان الجزائريون، وتتراوح قيمته ما بين 50 إلى 60 ريال في الفترة المدروسة، ويصنع من المخمل أو الحرير ويزين بخيوط من ذهب أو فضة على الكتف، ومن الأمام حتى الحزام له أزرار كبيرة مزينة بخيوط ذهبية

أو فضية على الجانبين[37]، وتضاف في بعض الأحيان جواهر لتزيينه ونظرا لثمنه الباهظ فإنه يلبس من طرف أعيان المدينة خاصة العائلات التركية، ومن أنواعه "قفطان القارمسود"[38].

وتعتبر تركة حفصية بنت علي بن سي علي العربي أهم التركات التي تعطينا صورة عن ملكية النساء للثياب الفاخرة وقيمتها حيث عددنا من محتويات التركة "...قميصين اثنين بثلاثة ريال وحايكين عكري وأبيض باحدى وعشرون ريالا وحايك بعشرة ريال ...و قفطان حرير..."[39]

بالإضافة إلى ذلك ورد ذكر "الشال" وتتزين به المرأة في بيتها وكذلك في الحفلات خاصة الأعراس، ويصنع من الحرير كثير الألوان وفي وسطه شريط لكي يساعد في تثبيته ويستعمل هذا الشال كذلك كأداة للتدفئة في أيام الشتاء، وهنا يكون مصنوع من الصوف وفي أغلب الأحيان يكون لونه أحمر وأبيض. وهناك ثياب أخرى تابعة للملابس التي ذكرناها منها: الترخيمة و المحرمة (عصابة)، القمجة والبلغة.

جدول رقم6 أنواع الملابس التي تمتلكها النساء في مدينة قسنطينة.

نوع الثياب	مما يصنع	سعره	ملاحظات
الحايك	الوصف	10 ريال	تستعمله النساء
ترخيمة	/	4 ريال إلى 6 ريال	تستعمل لتغطية الوجه
قندورة	المخمل، الحرير	1ريال إلى 2 ريال	تلبسها المراة
برنوس	الصوف	18 ريال إلى 30 ريال	يستعمل للنساء والرجال
شال	من الصوف والحرير	/	للنساء
قفطان	حرير	2ريال إلى 50 ريال	/

من الوثائق التي بين أيدينا نستنتج بساطة تأثيث المنازل القسنطينة وتشابهها، وفي أغلبها تتشكل من أدوات مصنوعة من الصوف أو الخشب والفخار، فالأثاث في أغلبه صوفي، مثل المضربة (المطرح)، والمخدة بغطائها المخطط، والأغطية والملاحف والزرابي والتليس، والحنابل، والمزاود المصنوعة من الجلد.أما الأثاث الخشبية فتمثل في المعالف والمغارف الكبيرة والقصعة، كذلك المثارد والصناديق التي ذاعت في عقود التركات والهبات والخزائن والغرابل بالإضافة إلى الكراسي والطاولات، كما توجد بعض الأدوات المنزلية المصنوعة من النحاس، كالمحبس والمهراس، الكروانة والبريق (اللإبريق) والطاس، أما الأواني المنزلية المستعملة في الحياة اليومية، فقد كانت في أغلبها من الطين والفخار، ومنها الصحون والطواجن والقدور والكساكيس.

جدول رقم7 أهم ممتلكات النساء من الأثاث

أنواع الأثاث	مما يصنع	ثمنه	ملاحظات
مضربة	الصوف	2 ريال	يرد كثيرا ضمن عقود التركات
المخدة	الصوف	2ريال	//
حنبل	الصوف	16 ريال	يستعمل للغطاء
بساط	القماش	-	//
صندوق	الخشب	16ريال	يستعمل للحفاظ على الملابس والأشياء الخاصة.
المزاود	الجلد	2ريال	ذات أحجام مختلفة تستعمل لتخزين الدقيق
وزرة	الصوف	1 ريال إلى 5ريال	تظهر في عقود التركات
طنجرة	الطين	/	للطبخ.
قدح	الطين	/	للشرب وقد يكون من النحاس والفضة
محبس	نحاس	5 ريال	يستعمل لحفظ الحلويات
مهراس	نحاس	10 ريال	أداة للطحن
كروانة	نحاس	6 ريال	تستعمل للغسل
تليس	/	4 ريال	أداة للكيل
زربية	الصوف	/	غالبا ما تكون لدى الأعيان
الملحفة	الخيط	2-20ريال	/

2.3. 4 النساء و إمتلاك الإماء و العبيد

تجدر الإشارة هنا أن امتلاك العبيد و الإماء[40] خلال العهد العثماني كان تعبيرا عن انتماء اجتماعي و مستوى ثراء الأشخاص و العائلة ، فكلما زاد مستوى الغنى زاد عدد العبيد و يمكننا عموما أن نحدد ثلاث فئات من حيث امتلاك العبيد : فنجد أولا : الفئة الأكثر امتلاكا للعبيد و تضم كبار موظفي الإدارة و الجيش أما الفئة الثانية فتضم أصحاب الحرف و التجار [41] .

لقد توفرت لدينا مجموعة من الوثائق الخاصة بسجلات المحكمة الشرعية و التي تشتمل على عقود شراء و بيع و وصايا ، كذلك هبات تضمنت عددا من الإماء و العبيد الخاصة بالنساء ومن ذلك نجد: "....و فيه اشترت جمعة بنت سي محمد العبيدي شهيري بن صالحة من أمة الله صالحة بنت الحاج أحمد بن زعدود.....ب40 ريالاً....."[42]

كما حضرت النساء في بيع العبيد، فهذه للونة بنت السيد حسان القزايحي باعت الأمة "نصيرة" لإبراهيم بن حسن بثمن قدره 262 ريالا[43].

وإلى جانب امتلاك النساء للعبيد و الإماء عن طريق الشراء نجدهم كذلك من مكونات الصداق فناك ثلاثة و خمسون امرأة مقبلة على الزواج منحت في صداقها "أمة من وخش الرقيق الصالح للخدمة" أو اشترطتها، كما تميزت بعض الزيجات بتفضيل "خديم" ذكر علي الأمة ولم يرد أي تفسير لهذا الاختيار و نرجح أن عائلة الزوج تضم إماء وعليه فالخد يم الذكر يكون دوره خارج البيت للمساعدة في تموين البيت وتوفير

مطالبه[44]. و أبرز ما نلاحظه في العقود هو التفاوت بين أسعار العبيد فالذكور منهم تراوحت أسعارهم ما بين 100 و 150 ريالا و في بعض الحالات نجدهم أقل من ذلك فوجدنا 44 ريالا، أما الإماء فقد وصل ثمنهن إلى 262 ريال[45].

5 .2.3 النساء و ملكية الحيوانات

تحتوي السجلات على مجموعة من العقود الخاصة بالنساء والتي تعبر عن ملكيتها للحيوانات ونجد ذلك خاصة في عقود الهبات والتركات ومن ذلك تركة "مباركة بنت عرب بويش التي تركت رؤوس بقر بيعت ب:93 ريالا[46]" إلى جانب ذلك: " وهبت مسعودة بنت العلمي جميع 30 شاةً من الغنم وبقرة وفرساً وحصاناً صغيرا و بغلة....."[47].

جدول رقم8 يبين أنواع الحيوانات التي امتلكتها النساء و أسعارها.

تاريخ العقد	اسم المرأة	نوع الحيوان	سعره
28 ذي الحجة 1202	أم الهاني بنت عمار	06 رؤوس بقر	60 ريال
22 صفر 1204هـ	نونة بنت مسعود	01 بغلا أحمراً	150 ريالا
رجب 1210 هـ	مسعودة بنت العلمي	30 شاة من الغنم 01- بقرة 01 -فرس 1 –حصان 1-بغلة	60 ريال 10 ريال 100 ريال 160 ريال 120ريال
شوال 1203 هـ	فاطمة بنت محمد الريغي	11 شاة	22 ريال
صفر 1202هـ	رقية بنت سلطان السليماني	04 رؤوس بقر	40 ريال
محرم 1226هـ	مباركة بنت عرب بوبش	بقر	93 ريال
صفر1226هـ	بنت دالي علي	7 رؤوس بقر	ريال

4- المالكات

بعد التعرف على ممتلكات النساء التي شملت كل أنواع العقارات من دور، أراضي وحمامات وعليات(علو) ، بالإضافة إلى الحلي من ذهب وفضة كذلك الجوهر، تعتبر الدور من أهم العقارات التي تملكها النساء في المدينة فنجد في عقود التبادل 131 داراً تبادلت بها النساء سواء بالبيع أو بالشراء ، كما برزت الدور في عقود الإجار المسجلة بأسمائهن ، وهذا يدل على أن النساء كن يستثمرن أموالهن في هذا المجال. ل من هن هؤلاء النسوة؟

تنتمي هؤلاء النسوة إلى شرائح اجتماعية مختلفة نظرا لطبيعة المادة المستخدمة في هذا البحث فعقود المحكمة الشرعية لم تكن مقتصرة على فئة دون اخرى، و بالرغم من ظهور النسوة في العقود بأسماء الآباء و الأزواج ومع ذكر في بعض الحالات وظيفة الزوج و الأب إلا أنه في أغلب الأحيان تسكت الوثيقة عن ذكر ذلك ، لهذا نجهل إن كانت تنتمي إلى أسرة كبيرة و لها تأثير في الحياة السياسية أو إلى فئة الحرفيين ، ومع

ذلك نجد في بعض الحالات كاتب العدل يعرف بالمرأة بعبارات منتقاة تدل على مكانتها و مكانة أبيها أو زوجها ومن ذلك نجد "الحرة الصينة خديجة بنت المرحوم بكرم الحي القيوم أحمد باي"[48] .كما يمكن أن نضيف في هذا الصدد :" فاطمة زوجة القايد أحمد نعمون"[49]التي ظهرت في شراء الدور في أكثر من عقد ، كما نجد أخته التي يعرف بها كاتب العدل بقوله "عائشة نعمون أخت القايد أحمد نعمون"[50]،هذا بالإضافة إلى بروز بنات الانجشارية[51] في 10 عقود بيع و شراء. وهذا يعني أن بنات الحكام و زوجاتهم و أمهاتهم يستفدن من مناصب الرجال ، أي أن الثروة المكتسبة تسمح بنوع من الاستقلالية لنساء الفئات الاجتماعية العليا[52]. و هذا ما أكدته دلندة الأرقش بقولها: "كلما كانت مكانتهن في المجتمع عالية ازدادت ثروة النساء توسعا"[53].

آليات استبعاد النساء من التملك5-

1.5- الوقف

يعد الوقف عملا من أعمال الصدقة إلا أنه يعتبر إلى جانب ذلك إحدى وسائل نقل الملكية بين أفراد الأسرة و بشكل خاص من الآباء إلى الأولاد في إطار الوقف المعقب الذي ينقل من الآباء و ابناء الأبناء على امتداد نسلهم ، وهذا إذا كان يختلف عن البيع و الهبة و الوصية وما شابهها من الوسائل ،فإنه يشبه خصائص الميراث ، ولكن هذا الأخير إذا كان يؤدي إلى انتقال الملكية من المُورّث إلى الورثة بصورة عادية وفق لأحكام الشرع في الكتاب و السنة".

وعقود الوقف رغم قلتها في سجلات المحكمة الشرعية حيث بلغ عددها (07) عقود كلها أوقاف عقارية أهلية ، تكتسي في جملتها طابع حرمان المرأة وأولادها من إرث والدها. ومن ذلك العقد المدوّن في السجل السادس[54] ، فالمستفيدون الأوائل من هذا العقد هم أبناء الذكور و في حالة انقراضهم يكون إلى أبناء الأخ و المقصود بهذا هو الاحتفاظ بريع الحبس في نطاق العائلة.

فالوقف يلجأ إليه الكثيرون للحد من التجزئة المترتبة عن تقسيم الإرث و التي تسمح بخروج الملكية من نطاق الأسرة بانتقال المرأة من عائلتها إلى عائلة الزوج و بالتالي يعمل عقد الوقف على ترسيخ الملكية[55].

وقد ساعد علي انتشار الوقف الأهلي عدة عوامل منها الإفتاء حسب المذهب الحنفي الذي يقر الوقف الأهلي تشجيعا للوقف وترغيبا في الأجر. وهذا ما أقره حمدان خوجه بقوله "ان الفقهاء قد أجمعوا علي العمل بمقتضى المذهب الحنفي الذي يجوز جميع الهبات "[56].

إن الاستثناء المطلق للأنثى من الاستحقاق، شمل أولادها ذكورا و إناثا بوصفها بنتا، وكان إخراجا نهائيا لم تقم فيه الفرصة لإدخالها مرة أخرى بوجه من الوجوه مادام انتقال الوقف إلي جهة البر الدائمة كان يتم بعد التحقق من انقراض الذكور كما اشترط الواقفون، وفي هذه الأوضاع يتحقق الحرمان الشامل الذي يفقد الأنثى حقوقها حتى من

الميراث حينما يشتمل الوقف كل أملاك الأب أو الزوج مثلما تجسد ذلك حالات كثيرة[57].

2.5-الهبات و الإبراءات

نلاحظ من عقود الهبات أن النساء يهبن أكثر من الرجال ، فلديهن "102" عقد منها (86)عقدا يهبن فيها لأقاربهن الرجال وتكتسي الهبات في أغلب الأحيان طابع التنازل فنجدها في (21)عقد تهب منابها من إرث الدها أو زوجها و في هذه الحالات فهي "تهب قبل أن تملك" على حد تعبير الباحثة فاطمة الزهراء قشي(المقال السابق الذكر) و من ذلك: " الحمد لله وفيه وهبت فيالة بنت المسعود بن القرفي ما ينوبها بالارث في ابنتها هنية للمكرم الحاج محمد علي البوعزوني لكونها توفيت في عصمته..."[58]

بالإضافة إلي هبتها لأخوتها وهبت كذلك للأعمام حيث وهبت تركية بنت أحمد اليعقوبي لعمها عمر بن علي رؤوس بقر و الأرض وأشجار الزيتون[59] أما مسعودة بنت محمد بن نسبة فقد وهبت لأخيها المسعود بن محمد ما ينوبها من ميراثها في أبيها كما أشهدت أنها قبضت 52 ريال من دين لها عليه من صداقها[60] .

جدول رقم9 يبن توزيع هبات النساء علي أقاربها الرجال ومضامينها

هبات المرأة	هبات المرأة للرجال	هبة الرجال للنساء	هبتها لزوجها	هبتها لأخيها	هبتها لابنها	هبات الميراث	هبات الأرض	هبات باقي الصداق	هبات الدين
100	86	04	25	31	06	21	06	15	05

برز في العقود أفراد العائلة من إخوة و أبناء و أزواج في مقدمة المستفيدين من هبات النساء وهذا ما يظهر في الجدول السابق، وكانت هذه المعاملات تصفية حسابات بتعويض أو بدونه عن طريق الهبة[61].

وبالانتقال إلي عقود الإبراء التي اكتست في أغلبها طابع التنازل عن حقوقها عددنا (67) عقد ابراء منها (27) حالة أبرأت المرأة زوجها من كالي صداقها و في (08) حالات تبرئ أخيها من باقي صداقها أومن نصيبها في ميراث والدها. وفي هذا الصدد تبرأ تركية بنت عبد الواحد السقني زوجها الحاج عثمان من باقي صداقها 30 ريال وثمن الملحفة قدره 20 أريلة ، كما أبرأته من 30 ريال ديناً لها عليه[62].

الخاتمة

مما تقدم يتبين لنا أن المرأة في مجتمع مدينة قسنطينة كانت تملك عقارات هامة داخل المدينة وخارجها وتنوعت بين دور، حوانيت ،علويات ، اصطبلات ، حمامات، ومساحات من الأراضي، اكتسبتها عن طريق الإرث أو الشراء .

وامتلاك النساء للمحلات التجارية فسح لها المجال لأن تلعب دورا في الحياة الاقتصادية بشكل أو بأخر،ومن هذه الدراسة تعرفنا عن جانب هام ألا وهو سلوك المرأة وتصرفها في ممتلكاتها حيث تبرز العقود حرص النساء علي تحديد الغرض من العقد.

من عينة الدراسة سجلنا حرص بعض النسوة علي الفصل ممتلكاتهن وممتلكات أزواجهن فقد توجهت المرأة الي المحكمة الشرعية لإشهاد زوجها علي ملكيتها لكل ما في منزل الزوجية.

قائمة المراجع

1- ترجع هذه السجلات إلى القرن الثالث عشر هجري وهي تغطي فترة انتقالية بين الحكم العثماني والاحتلال الفرنسي التي من 1202 إلى 1273(1787-1857) حيث تمت فرنسة الجهاز القضائي ، تعبر هذه الوثائق عما يسجل أمام المحكمة من معاملات سكان قسنطينة من كل الشرائح من إبن الباي إلى عتيقته إلى خادمه، لا تحمل هذه السجلات أية علامة ظاهرة للحكم التركي ولا أثر للحاكم، تتصف هذه الدفاتر من نوع الوثائق الإدارية التي وضعت لغرض الحفاظ على المصالح العامة و الخاصة في حينها ، ينظر : فاطمة الزهراء قشي : الزواج و الأسرة في قسنطينة في القرن 18م، دط، دار القصبة للنشر ، الجزائر 2007م-ص7-08.

2- سجل صالح باي للأوقاف1185-1207هـ/1771-1792م، تحقيق:فاطمة الزهراء قشي،دط، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع،2009م. الطبعة الثانية صدرت عن دار مداد يونافرسيتي بريس، قسنطينة، سنة 2013.

3- ابن خلدون (عبد الرحمان) ": مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : حامد أحمد الطاهر ،ط1، دار الفجر ، القاهرة 2004 م ، ص544.

4- سجل صالح باي للأوقاف،مصدر سابق،ص99.
5- سجل صالح باي للأوقاف ، مصدر سابق ، ص 100.
6- السجل الثاني : العقد المؤرخ في 28 رمضان 1208 هـ

7- السجل الأول : العقد المؤرخ في 03 صفر 1202هـ

8- شكلت الهبات مظهرا من مظاهر التكافل الاجتماعي داخل المجتمع الجزائري في تلك الفترة ، فكان الناس يقبلون على وهب جزء من ممتلكاتهم ابتغاء مرضاة الله ، ورفع الغبن عن الموهوب له ، و في هذا الإطار يؤكد المالكية أن الشخص إذا وهب هبة يقصد بها صلة رحم أو صدقة فإنه لا يجوز له التراجع عنها ، أما إذا وهبها يريد بها الثواب فإنه بإمكانه التراجع عنها.
ينظر : بوشنافي محمد : القضاء و القضاة في الجزائر خلال العهد العثماني (10-13 هـ-16-19م) رسالة دكتوراه في التاريخ جامعة وهران 2007م ص 291

9- فاطمة الزهراء قشي : الهبة و مؤخر الصداق :ممارسات قسنطينة في القرن الثامن عشر ، مجلة سيرتا ، عدد خاص ، 2000م، ص39.

10- الشفعة لغويا : هي عملية ضم شيء ما إلى ما نمتلكه ، و هي خاصة عملية التدخل و التوسط بين شخصين ، أما من الناحية القانونية فإن حق الشفعة يسري على الملكيات المشتركة غير المقسمة دون سواها ، ويمنح المالكين أولوية الاستفادة من شراء أي مناب قد يعرض للبيع ، و يحول هذا الحق دون أن يتحصل المشتري غير المشارك في الملكية على المناب موضوع العملية العقارية ، و يقع في حال اتمام عملية البيع تعويضه الثمن من قبل الشريك الراغب في الشراء و الطالب بالشفعة. ينظر : راضية بوخراطة : النشاء و الملكية في مدينة تونس في القرن التاسع عشر من خلال دفاتر الخروبة ، مذكرة ماجستير تاريخ ، جامعة منوبة ، 2008 ص .33-34.

11- جنة : وهي البساتين التي تغرس بها الأشجار المثمرة ، و الخضراوات كما تزرع بها بعض الحبوب ، و لذلك كان يختار لها الأراضي التي تمتاز بالتربة الجيدة ، و توفر المياه ، علاوة على موقعها الآمن لأنها غالبا ما تبنى فيها سكنات تقيم بها الأسرة المالكة لها سواء بشكل دائم أو مؤقت بغرض الراحة أو العمل ، لذلك عدم توفر الشروط بعضها أو كلها كان يعد عيب التي على البائع أن يظهرها للمبتاع قبل ابرام العقد .
أنظر : خليفة حماش ، الأسرة في مجتمع مدينة الجزائر، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث جامعة قسنطينة،2006 ص 727.

12- حانوت : أطلق العرب بهذه اللفظة على بيوت الخمارين ، بمعنى مخمرة ، لكنها صارت بعد ذلك في العصور الموالية تطلق على المحلات التي تمارس فيها التجارة و أهل الحرف أعمالهم ، بمعنى متاجرة .ينظر : خليفة حماش ، مرجع نفسه ،ص746.

13- و إذا قارنا الملكيات التجارية لنساء قسنطينة بملكيات نساء مدينة الجزائر نجد أن ملكيات نساء مدينة قسنطينة ظئيلة خاصة و ان الباحثة عائشة عطاش تعطي نسبة لهذه الملكيات و تقول : "ان العقارات ذات الاستعمال التجاري من حوانيت و مخازن و علويات ، وتعد العلويات من المحلات التجارية الهامة حيث يشتمل العلوي احيانا على عدة حوانيت و على أكثر من طابق ، و تمثل الملكية العقارية ذات الاستعمال التجاري نسبة 35.66% .ينظر : عائشة عطاش : ممتلكات المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، منشور في:
Histoire des femmes au Maghreb , matérielle et vie quotidienne, texte réunis par .D.Largueche, univ tunisie .p150

14- المصاغ: و المقصود به الحلي ، كما ورد في بعض العقود عبارة "فردان" و ذهب بعضهم أنها تدل على مصاغ خاص باليد غير أننا نستبعد ذلك ، فكل الوثائق التي تتعرض إلى المصاغ لا تشير إلى أي نوع من المصاغ بهذا الإسم هذا من ناحية أخرى تتميز الوثائق بدقة متناهية في

15- يوجد هذا النوع من الحلي في عقود الزاج بتعبير قوقية من الجوهر أو قوقيتين و هي الكمية المتعارف عليها المتداولة و قد ظهر عقد الجوهر بواسطات من معدن من فضة أو الذهب ، ينظر فاطمة الزهراء قشي ، الزواج و الأسرة ، المرجع السابق ، ص48.

16- السجل السادس : العقد المؤرخ في صفر 1228هـ ، ص 761.

17- السجل الثاني : ربيع الثاني 1208هـ

18- السجل الأول : العقد المؤرخ في ذي الحجة 1205هـ.

19- السجل الأول : العقد المؤرخ في شعبان 1208هـ

20- نسجل غياب الحلي الذهبية والفضية من قائمة المهور وتبرز الحلي الفضية بشكل خاص عند الصداق يمكن تفسير ذلك بأن الحلي تكون لفتنيت من مال الصداق كما يحتمل أن تكون مساهمة من والدها في الشوار ، ينظر : الزهراء قشي ، الأسرة والزواج ، مرجع سابق ، ص 48-49.

21- السجل السادس : العقد المؤرخ في صفر 1228هـ.

22- السجل الثالث : العقد المؤرخ في جمادى الثانية 1209هـ

23- السجل الأول : العقد المؤرخ في 01 رجب 1202هـ.

24- السجل الأول : العقد المؤرخ في 10 شعبان 1202هـ.

25- السجل الأول: العقد المؤرخ في 30رجب 1204هـ.

26- السجل الثاني : جمادى الثانية 1206هـ.

27- السجل الثالث: العقد المؤرخ في شعبان 1211هـ

28- السجل السادس : صفر1226هـ.

29- السجل الأول: العقد المؤرخ في26جمادي الاولي1202هـ

30- السجل الثاني: العقد المؤرخ في24ربيع الاولي1207هـ

31- السجل الثاني: العقد المؤرخ في 11جمادي الثانية 1207هـ

32- السجل السادس:العقد المؤرخ فيصفر 1226هـ

33- فاطمة الزهراء قشي : الهبة و مؤخر الصداق :ممارسات قسنطينة في القرن الثامن عشر ، مجلة سيرتا ، عدد خاص ، 2000م، ص39.

34- وليام شالر : مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر ، 1816-1824 ، ترجمة : اسماعيل العربي ، دط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982،ص 83.

35 -Morelet (M) : les maures de Constantine en 1984 , p 298

36- السجل الرابع ،ص 996.

37 -venture deparadis : Alger au XVIIIe siecle , Edite par efagnan ,Alger ,typographie adolphe jourdan 1898 ;p36

38- السجل الرابع ، العقد المؤرخ في شعبان 1226 ، ص 603 ، ينظر : فاطمة الزهراء قشي ، الزواج والاسرة،مرجع سابق ص 42-44 .

39- السجل الثاني العقد المؤرخ في 11 جمادى الثانية 1207هـ.

40- الإماء و الجواري : نقصد بهن النساء المملوكات اللاتي يبعن بيع العبيد و كانت الإماء من أجناس و أشكال مختلفة و لم تكن عملية شراء الجواري متروكة بدون ضوابط بل لا بد ان تتم بعقد.ينظر : رواية عبد الحميد شافع ، المراة في المجتمع الأندلسي ، من الفتح الاسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة ، ط1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية ، مصر ، 2006م.

41- بوشافي محمد : القضاء و القضاة ، مرجع سابق ، ص 289.

42- السجل الأول : العقد المؤرخ في 24 محرم 1204هـ ص 133.

43- السجل الرابع : العقد المؤرخ في شوال 1231 هـ.

44- فاطمة الزهراء قشي ، الزواج والأسرة، مرجع سابق ، ص 45-47،و في هذا الموضوع أشارت عائشة غطاس ، أن اشتراط الاماء في الصداق موجود فيمجتمع مدينة الجزائر حيث سجلت 14 حالة، ينظر : عائشة غطاس ، الحرف و الخرفييون بمدينة الجزائر 1700-183مط، منشورات ANEP الجزائر ،2007 ، ص364.

45- للمزيد عن اسعار العبيد و الإماء ومخالفتهم أنظر : المنور مروش ، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني ، العملة ، الاسعار ، المداخيل :ج1-ط1 دار القصبة ، الجزائر،2009 ،ص 300-301.

46- السجل السادس: العقد المؤرخ في محرم 1226هـ.

47- السجل الثالث : العقد المؤرخ في رجب 1210 هـ.

48- السجل الثاني ، العقد المؤرخ في صفر 1210 هـ، ص626.

49- السجل الأول : العقد المؤرخ في صفر 1202هـ.

50- السجل الثاني ، العقد المؤرخ في10رجب1207هـ.

51- يعرض طال شوفال إلى أن أعضاء الانجشارية ينقلون أموالهم إلى نسائهم كي لا تتعرض إلى المصادرة من طرف الدولة ، كما أنه نقل عن فونتور دي بارادي الذي لاحظ أن كبار موظفي الدولة لا يتركون إلا قلة من أموالهم في المنازل ، بينما ثروتهم الحقيقية كانت عند نسائهم ، و

52- فتيحة الوليش : النساء و السلطة القضائية من خلال عقود الاحباس في مدينة الجزائر خلال القرنين 17 و18 م ، مجلة سيرتا ، عدد خاص 2000 م –ص29.

53 - Delenda Largueche : Watan al Monastir , fiscalité et société (1676-1856) faculté des lettsre de lamanouba , Tunis , 1993-p54.

54- السجل السادس : العقد المؤرخ في ذي الحجة 1239هـ ص 441

55- فتيحة الوليش : النساء والسلطة القضائية ، مرجع سابق ، ص 31.

56- حمدان خوجة : المرآة ، مصدر سابق ص237

57- ودان بوغفالة : أوقات مليانة والمدية في العهد العثماني :دراسة في النشاط الاقتصادي و البنية الاجتماعية و الحياة الثقافية ، أطروحة دكتوراه في التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2007م ، ص 248.

58- السجل الأول : العقد المؤرخ في 08 ربيع الأول 1205هـ.

59- السجل الثاني : العقد المؤرخ في 16 رمضان 1206هـ

60- السجل الثاني : العقد المؤرخ في 11 شعبان 1206هـ
61- قاطمة الزهراء قشي : الهبة ومؤخر الصداق ، مرجع سابق ، ص 38
62- السجل الأول: العقد المؤرخ في 25 جمادى الثانية 1203هـ

مجلة العلوم الإنسانية ——— عدد 40- ديسمبر 2013 ، ص.ص.27-51

قراءة جمالية أسطورية في قصيدة "شيء من ألف ليلة" للبيّاتي

ملخص

تختلف مواطن الجمال في النّص الشّعري باختلاف القارئ؛ وقد تكون الخاصّية التي توفّر لنا مقدارا من الجمال، فكرة أو أسلوبا أو صورة أو إيقاعا، وقد تنوّعت الصّور الجمالية في نصّ البيّاتي "شيء من ألف ليلة"، من الاعتماد على تقنيّة التّداعي، إلى اللّغة الخاصّة التي تميّز كتاباته، إلى الصّور الشّعرية المختلفة، والموسيقى.

وقد برع البيّاتي في استخدام تقنيّة التّداعي، باعتماده على مخزون ثقافي مكّنه من العودة إلى أساطير تحفل بالتّحدّي والثّورة، كما لجأ في سبيل التّأثير على السّامع إلى لغة الحياة اليومية تأثّرا بإليوث، ثمّ استخدم الصّوَر الجزئية عبر مجموعة من الأساطير. كما جاءت الموسيقى مكمّلة للصّورة التي عرض الشّاعر من خلالها رغبته الملحّة في كتابة الشّعر.

د. سامية عليوي

قسم اللّغة العربية وآدابها
جامعة عنّابة
الجزائر

مقدمة

تتميّز المعرفة الجمالية بالخصوصية، لذلك كان الحكم بالجمال بعيدا نسبيا عن اليقين، ويرتبط في الأساس بالذّوق والميول والرّغبات. كما أنّ تحديد هذا الجمال يختلف من شخص إلى آخر، لأنّه لا يتمّ إلاّ بمعايير تختلف هي أيضا باختلاف الأشخاص. فالجمال إذن متعدّد ومختلف من حيث النّسبة، كما أنّ جمال الطّبيعة يختلف عن جمال قطعة موسيقية أو قصيدة شعرية.

ومن هنا، يمكننا القول إنّ هناك اختلافا في الإحساس بالجمال لأنّه ليس شيئا ملموسا كما أنّه ليس ثابتا في النّص، وإنّما يتعدّد بالتّفاعل بين النّاظر (القارئ) والمنظور إليه (النّص)، فالقارئ والسّامع والمشاهد ينظرون إلى شيء

Résumé

L'effet esthétique d'un texte poétique est variable d'un lecteur à un autre. Il peut être dû à une idée, à un style, à une image ou à un rythme. Dans le poème d'El Bayyati intitulé « Quelque chose des mille et une nuits », les images poétiques sont multiples et tiennent autant au langage poétique qu'à la technique d'association d'idées qui lui est propre.

L'objet de cette étude est, en l'occurrence, de montrer en quoi cette technique doit à l'héritage culturel (mythes, musique, etc.) de la société d'appartenance du poète.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013 .

واحد (نصّ، قطعة موسيقية، بناء معماري ..) لكنّ أحكامهم الذّوقية تتفاوت وتختلف حسب تفاعل كلّ واحد منهم مع هذا الشّيء (النّظرة لا تكون واحدة للشّيء الواحد).

كما أنّ تأثير النّص على المتلقّي (عملية ذوقية فردية)، وعملية تبيان مواطن الجمال لا تتجسّد في الفكر أو التّصوّر، وإنّما في قدرة القارئ على اكتشاف الأساليب والمضامين والخصائص التي ساهمت في إضفاء صفة الجمالية على النّص الأدبي، وبذلك يكون تأثيره (النّص) مرتبطا بتفاعل الشّخصية وقابليّتها لما هو موجود فيه، فإن وافق ما في النّفس كان جميلا، وإن لم يوافق ما في النّفس كان غير ذلك، ونصل بذلك إلى أنّ الجمال غير موجود في النّص، وإنّما هو موجود في نفس القارئ.

وقد ارتبط علم الجمال في بداياته بالإدراك الحسّي، ثمّ تحوّل التّأكيد الخاصُّ في هذا المجال من الاهتمام بالحاسّة Sens إلى الاهتمام بالحساسية Sensibilité، وقد اتّفق الباحثون بشكل عام على أنّ «علم الجمال نشأ في البداية باعتباره فرعا من الفلسفة، ويتعلّق بدراسة الإدراك للجمال والقبح، ويهتمّ أيضا بمحاولة استكشاف ما إذا كانت الخصائص الجمالية موجودة موضوعيا في الأشياء التي ندركها، أم توجد ذاتيا في عقل الشّخص القائم بالإدراك» [1].

لكنّ النّاقد حين يحكم بالقبح أو الجمال على الشّيء، فإنّه لا يحكم حسب أشياء في نفسه فقط، وإنّما بحسب قوانين خارجية تلقّاها عقله أيضا، ومراعاة هذه القوانين من شأنها أن تُحدث المتعة. فما وافق هذه القوانين الطّبيعية يكون مقبولا في الصّورة، وما خالفها يكون مرفوضا. ويكاد ذلك يكون مرتبطا بمدارس علم النّفس الحديثة، وبصفة خاصّة التّحليل النّفسي من خلال تأكيد "فرويد" الخاصِّ على غريزة الحياة في جانبها الجنسي، خاصّة المرتبطة باللّذّة وإشباعها، وغريزة الموت باعتبارها ترتبط أكثر بالشّعور بالألم[2]. ومهمّة الفنان أن يوفّر هذه القوانين الطّبيعية لإبداعاته حتّى تكون مقبولة.

ويمكن أن تكون الخاصّية التي توفّر لنا مقدارا من الجمال، فكرة أو أسلوبا أو صيغة أو طريقة في التّعبير، لذلك سنحاول استخراجها وتبيان مدى مساهمتها في صنع نوع من التّماسك والانسجام من حيث معنى النّص ومبناه العام، الشّيء الذي يولّد فينا نوعا من الإحساس بالمتعة الجمالية عند قراءة النّص الشّعري.

ويمكننا الوقوف على مواطن الجمال في النّص بتتبُّع حركة العناصر من حيث هي عناصر مختلفة فيما بينها، وكذلك من حيث أنّ هذه العناصر تنسج في حركتها أنساقا من العلاقات المتنوّعة «فالجمال مكمنه النّسيج وقدرة العناصر على توليده نسقا متميّزا ينهض بالبنية، ويصل بها إلى نمذجة النّظام وإلى وضعه على مستواه الصّافي الشّفاف حتّى الخفاء واللاّ حضور، أو حتّى الإيهام باللاّ نظام أو بالعفوية»[3].

لذلك، سنحاول الوقوف على أهمّ الأساليب التي أعطت قصيدة "شيء من ألف ليلة" للبيّاتي صبغة جمالية، مركّزين على أربعة منها رأينا أنّها مهمّة جدّا لارتباطها بالرّموز الأسطورية - ذلك أنّ هذه القصيدة تزخر بكمّ هائل من الأساطير ممّا يفرض علينا قراءة خاصّة لهذه الرّموز-، زيادة على وظيفتها الجمالية، وهي: التّداعي، الحوار الدّاخلي، الصّورة الشّعرية، و الموسيقى.

1 - التّداعي: لارتباطه بالذّاكرة والحلم، وما يختزنه اللاّشعور حيث تتجمّع الصّور البدائية المشتركة لدى الإنسانية كلّها، ويسمّيها "يونج" النّماذج العليا *

2 – الحوار الدّاخلي: حيث تتجلّى حيرة الإنسان الدّائمة أمام الخلق، فتكبر بداخله أسئلة، يبحث لها عن جواب من خلال الحوار بعد ذلك.

3 - الصّورة الشّعرية: حيث توصّل الإنسان إلى الإدراك من خلال الصّور، - وبعبارة أخرى، توصّل إلى الإدراك المعرفي عن طريق الإدراك الحسّي-.

4 - الموسيقى الشّعرية: حيث ارتبطت أعمال الإنسان دائما بالإيقاع، خاصّة ممارسات صانعي الأساطير لطقوس العبادة.

أوّلا- التّداعي:

تكتسي تقنية التّداعي-التي تتمثّل في الصّور والأفكار اللاّشعورية الجمعية الموروثة من تراث الأسلاف حسب يونج- أهمية كبرى في إضفاء مسحة جمالية على معمار القصيدة الحديثة، وتشترك الرّومانسية ومدرسة التّحليل النّفسي في النّظر إلى اللاّشعور باعتباره «مصدر الصّورة من صور الحقيقة الواقعية، وأنّ أسلوب التّداعي الحرّ السّائد في التّحليل النّفسي يمثّل نمطا آخر من أنماط الصّوت الباطن الذي نادت به الرّومانسية» [4].

ونظرا إلى الأهّمية التي تكتسيها هذه التّقنية فقد جعلها عبد الرّضا علي مهمّة خطيرة وهامّة، ذلك أنّ جماليات التّداعي «لا بدّ أن تعتمد على مخزون ثقافي واسع، وخيال خصب مولّد، ليأتي التّداعي التّصويري غير متكلّف ولا قسري، وليؤدّي وظيفته في عملية التّوليد»[5]. ويتوقّف ذلك على قدرة الشّاعر على إعطاء الدّال أكثر من مدلول واحد، وهذا الأمر -المخزون الثّقافي- لا يتأتّى لكلّ شاعر، زيادة على أنّه يمنح الشّاعر تفرّدا يميّزه عن غيره من الشّعراء.

وقراءة التّداعي تعني قراءة التّطوّر في القصيدة [6]، لأنّ التّداعي يأتي من خلال صوت الشّاعر، وبمعنى آخر، فالتّداعي هو صوت الشّاعر الذي يحدّد مسرح تحوّلات رمزه. وهي علاقة بين صوت الشّاعر ومبنى قصيدته. وهذه الثّنائية محكومة بعامل تفاصيل الذّاكرة.

والتّداعي الذي سنتناوله بالدّراسة هو القائم في الأساس على التّداعي المعنوي للكلمة المفردة مع ما يوحي به هذا التّداعي في ارتباطه بالصّور الشّعرية -خاصّة- حيث تبرز التّفاصيل، فتحيلنا مفردة واحدة على جملة من التّراكمات الأسطورية والتّراثية التي لا تبدو لنا إلاّ إذا تعمّقنا أكثر داخل هذه النّصوص، وأمسكنا بالخيط الذي يقودنا إلى جوهرها [7].

فحين نقرأ قصيدة "شيء من ألف ليلة" للبيّاتي، توحي لنا كلمة "الجواد المجنّح" بتداعيات صورية تتوالد الواحدة بعد الأخرى، لتكون عودة إلى الأساطير المشحونة بالصّراع والبحث، والتّمرد والثّورة والتّجوال والتّحدّي، حيث يقول:

«أطير كلّ ليلة على جوادي الأسود المسحور
إلى بلاد لم تزوريها ولم تنتظري وحيدة في بابها المهجور
أحمل ناري ورمادي نحو سفح جبل الخرافة
ألتفّ في عباءة النّجوم
منتظرا محموم
(....)
أحمل مصباح علاء الدّين
أُغرق في الفجر المغنّي الشّاحبَ الحزين
أمدّ سلّما من الأصوات
أرقى به لبابل
مغنّيا وساحرْ...» [8]

وتتوالد الصّور واحدة بعد الأخرى في هذا المقطع، حيث، حين ذُكر "الجواد المجنّح" تولّدت منه صور أخرى تداعت إلى فكر الشّاعر:

فكرة "الفردوس المفقود" الذي يظلّ الإنسان في بحث مستمرّ عنه، حيث ينعم بالأمن والأمان في زمن فُقد فيه هذا الإحساس تماما. ومن هذا الفردوس المفقود، تولّدت صورة جبل الرّبات، حيث أضحى الشّاعر في زمن لا شعري، طغت فيه المادّة على كلّ المشاعر، ومن جبل الرّبّات (حيث الشّعر)، تتداعى صور النّجوم -إلى حيث تتطلّع عيون الشّعراء دائما، ليحلّقوا في سماء الخيال-؛ وفي هذا الزّمن اللاّ شعري، فإنّ الشّاعر لا يكتب القصيدة، ولكنّه يعاني من جفائها (فهي لا تأتي، في حين يظلّ منتظرا حلولها): مغطّيا جرحه بالملح، نازفا موته على الحروف، فالشّاعر لا يمكنه أن يغنيّ وجرحه ينزف، لذلك يجعله أكثر إيلاما بتعريته وعرضه في شعره أمام النّاس، واصفا إيّاه دون تزييف أو تجميل.

ويستمرّ البحث عن الخلاص، ويعود الشّاعر ثانية إلى جواده المجنّح الذي يظلّ يأمل في أن يحمله إلى عالم غير العالم، إلى فردوسه المفقود. لكنّ الشّاعر يصبح أكثر قوّة هذه المرّة، فتعرية الجرح وتغطيته بالملح ووصفه، تدفع بالشّاعر إلى الحديث عن

الانتقام والقصاص ممّن أحدثوا هذا الجرح، وهنا يبدأ البحث عن القوّة بدل الضّعف، فيحمل مصباح علاء الدّين السّحري -رمز القوّة لوجود عفريت المصباح-، فالشّاعر يبحث عن مخلِّص من عالم آخر غير عالم البشر -عالم العفاريت- حين عجز البشر عن تحقيق هذا الخلاص، وحين أعلنوا الخنوع والاستكانة. والبحث عن القوّة لا يترك للشّاعر وقتا للغناء، فلا وقت لسماع الأغاني (وهذا ما يجعل الشّاعر يُغرق المغنّي في الفجر). وبعد الفجر يبدأ العمل، حيث تنتهي كلّ حكايات السّمر: وتسكت شهرزاد عن الكلام المباح حين يدركها الصّباح. والعمل يستدعي الحركة، فيمدّ الشّاعر سلّما من الأصوات؛ وقد جعله الشّاعر سلّما وهميّا درجاته من الأصوات، وقد يُختلف في طبيعة هذه الأصوات، التي يمكن أن تكون صلوات، وقد تكون تراتيل، وقد تكون تعاويذ، وقد تكون هتافات، وقد تكون عويلا، وقد تكون ترانيم دينية عبّر بها الشّاعر عن رغبة في تجاوز الجدب الحضاري للأمّة العربية -وإن ظلّت أجزاء رمزية في عمق الرّغبة-، وبذلك ظلّت رمزا جزئيا في القصيدة.

ويرتبط التّداعي هنا بالذّاكرة، وبين الذّاكرة والرّمز الأسطوري قاسم مشترك هو الانبعاث / التّحوّل، عبر رمز "أورفيوس" الذي يحيلنا إلى البحث، والبحث يحيلنا إلى الرّحلة، إلى "عوليس" و"سندباد" و"جلجامش"، إلخ .. حتىّ لا نكاد نميّز بين هذه الشّخصيات الأسطورية في البداية، حيث تختلط ذاكرة الشّاعر بذاكرة العالم، ومن هذا الاختلاط تخرج وحدة القصيدة وائتلافها، لأنّها -الوحدة- قادمة من تفاصيل الذّاكرة، وتفاصيل الأسطورة (الحلم). ولا يمكن فهم تلك التّفاصيل -التي ليست أكثر من إشارات تشير إلى وقائع- إلاّ إذا ربطناها بصوت الشّاعر / الفاعل، وبرمزه الجوهري في القصيدة.

وتتداعى الصّور، ويرقى الشّاعر إلى بابل هذه المرّة، وما بابل سوى عراق الشّاعر، لكنّ السُّلّم الذي يستخدمه للوصول إلى هذه المدينة "الهرّة" - كما يسمّيها جليل كمال الدّين - التي تأكل أولادها، هو سلّم من الأصوات، وهل بابل إلاّ مدينة مُكمِّمة للأفواه، ومصادِرة للآراء يريد الشّاعر أن يوصل صوته إليها ؟، وهل بابل أيضا إلاّ مدينة من مدن العرب -في فترة الخمسينيات- حيث الاستعمار الخارجي والدّاخلي (العملاء)؟. ومن بابل تأتي صورة أخرى، ويستمرّ البحث، لكن ليس عن المدينة هذه المرّة، ولا عن الشّعر في زمن اللاّ شعر، ولكن عن الزّهرة الزّرقاء -زهرة الخلود-، فالشّاعر يبحث عن حياة أخرى في زمن بات الإنسان العربي فيه يموت موتا بطيئا.

وتستمرّ الصّور في التّداعي:

«أبحث في جنانها المعلَّقه
عن زهرة زرقاء
عن كلمات كاهن المعبد فوق حائط البكاء
ولا أرى غير عواميد الضّياء، ورصيف الشّارع المهجور

وسائل يلتفُّ في ثيابه مقرور
يطرق باب البلد المهجور
أسقط من فوق جواد الموت
ومن سريري ميّتا في البيت
وفي يدي جريده
قديمة جديده
يضحك جاري ساخرا، ويسكت المذياع
ويدرك الصّباح شهرزاد»[9]

فالجنان المعلّقة -مفخرة بابل، وإحدى عجائب الدّنيا السّبع- يأتيها الشّاعر باحثا عن زهرة الخلود، وهل بابل إلاّ مدينة للفناء؟ فلا حياة فيها ولا أحياء، غير عواميد الضّياء، وغير الأرصفة التي يفترشها المتسوّلون؟ حين حلّت اللّعنة بالمدينة، ولا كاهن يفكُّ طلاسمها، ويكشف سرَّ النّبوءة واللّعنة التي جعلت المدينة خالية، فتظهر أسطورة "أوديب"، فلا شكّ -لدى الشّاعر- أنّ اللّعنة ستُرفع عن بلاد العرب إذا كان في هذه البلاد من يتطهّر من الذّنب -الذي اقترفه الأسلاف وتركوا البلاد ترزح تحت نير الاستعمار- ويفكّ قيودها، لتحيا، ويحيا شعبها بحياتها.

ويظهر صوت الشّاعر من جديد، ليعلن أنّ الرّحلة التي قادنا إليها لم تكن سوى حلم وأنّه لم يغادر محيط بيته، وأنّه لم يترك سريره الذي كان ينام عليه، ولكنّها كانت مجرّد أحلام، وقد تكون أحلام يقظة ولكنّها ستظلّ أحلاما، وأحداثا استدعتها ذاكرة الشّاعر وهو جالس على سريره ممسكا بجريدته التي تجترّ الكلام ذاته، وتعيد الأخبار ذاتها -في مدينة تكمّم الأفواه- ويظلّ كلّ سكّانها يعانون الأرق، ومنهم جار الشّاعر الذي يبقى يستمع إلى المذياع -الذي يعيد حكايا تستدعي الضّحك والسّخرية- إلى مطلع الفجر، حيث يسكت الجميع عن الكلام المباح -حين يدركهم الصّباح- وكأنّ الكلام ممنوع في النّهار ليمارسوه في الخفاء ليلا، أو حين تنام أعين الرّقباء.

ثانيا: الحوار الدّاخلي أو المناجاة الدّرامية:

اعتمد الشّعراء المحدثون على تقنية المناجاة التي تُضفي على قصائدهم شكلا أكثر حركة وتدفّقا في الدّلالة الجمالية، والمقصود بالمناجاة الدّرامية «الحوار الذي يتدفّق من طرف واحد أو حوار بين النّفس وذاتها، حيث تتداخل فيه كلّ المتناقضات، وتنعدم فيه اللّحظة الآنية، ويبهت المكان وتغيب الأشياء إلى حين»[10]. وهو أيضا كما يعرّفه ت. س. إليوث «صوت الشّاعر يتحدّث إلى نفسه أو إلى لا أحد .. وجزء من متعتنا في الشّعر هي اللّذة التي نستقيها من سماع كلمات غير موجّهة إلينا ..»[11].

وبذلك، تصبح المناجاة إحدى المقوّمات الأساسية التي يقوم عليها الشّعر الحديث، حيث بدلا من أنيقود الشّاعر قارئه إلى (قصّة) يمضي في شرح تفاصيلها، نجده يدعوه

إلى أن يتابع -وليس بلازم أن يفهم- الأفكار المشوّشة والعواطف المتخبّطة التي يحاول أن يُلقي بها على الورق أمام قارئه، فتكون القصيدة بذلك نقلا لما لا يمكن صياغته.

ولهذا، أصبح لزاما على القارئ الذي يُقدم على قراءة قصيدة من هذا النّوع أن يُقبل على ما يقرأه بفهم مختلف، كما لو كان يُقبل على لغز ذاتي يحتاج من جانبه إلى جهد موضوعي لفضِّه. ومن ثمّ يُصبح القارئ محقّقا بوليسيا أمام معالم جريمة لم يُكتشف الجاني فيها بعد، أو طبيبا نفسانيا أمام نصٍّ من نصوص الهلوسات العقلية. فالقارئ الحديث أصبح مُطالَبا بألاّ يكتفي «بموقعه المتعالي عن العمل وألاّ يقنع بالوقوف منه موقف المتفرّج فحسب، بل إنّه مُطالَب بأن يُرهف السّمع للمونولوج الدّاخلي، ويحاول أن يتوحّد بصاحبه، أو بعبارة أدقّ، بالحديث الدّاخلي لتلك الشّخصية، وهو حديث قلّما لا يكون مضطربا مفكّكا»[12]. وبذلك، تُضفي تقنية المناجاة مسحة جمالية على النّصوص الحديثة، لارتباطها بالرّمز الأسطوري، حيث يظلّ الإنسان العربي في بحث مستمرّ لإيجاد أجوبة لأسئلته التي تتولّد من خلال محاورته لذاته، حين عجز عن إيجاد أجوبة لها لدى أرباب العالم اليوم؛ فقصيدة "شيء من ألف ليلة" ترسم مسرحها الخاصَّ، فتتعدّد شخصيّاتها، حيث تقوم وسط بنية مكهربة، وحيث يمثُل الواقع العربي بكلّ تجلّياته المأساوية في تلك الفترة -على وجه الخصوص-، وإذا أردنا التّحديد أكثر: بين نكبة فلسطين والنّكسة العربية، أي بين (1948 - 1967) إنّها فترة سقوط فلسطين على يد إسرائيل عام 1948، وفترة هزيمة العرب في حرب حزيران عام 1967. ومن هنا جاء مسرح القصيدة متكاملا، مسرح مأساوي / جنائزي، يسيطر عليه اليأس والموت من كلّ جانب، فلا خيار للشّاعر ولا خيار لصوته في القصيدة غير تلك النّهاية الطّبيعية: الموت. لذلك من الطّبيعي أيضا أن تمضي القصيدة في تلك الرّتابة، فلا ذروة لها أكثر من هذا، ولأنّه لا توجد مسألة محدّدة تحتاج إلى علاج ولا عقدة واضحة تحتاج إلى حلّ؛ فقد ألقى ليل العجز بأبراده على كلّ شيء، ولا وجود حتّى لصراع يحتاج إلى حسم، أو خصومة تحتاج إلى فكِّ نزاع. إنّه التّيه واللاّ أدرية التي تسيطر على القصيدة، إنّه نشدان الثّورة والبحث المستمرّ عن الخلاص من شبح الضّياع الذي يهدّد بني البشر، وقد مزّقتهم نيوب الزّمان الذي عجزوا عن مواجهته والثّورة لتغيير ما فيه. إنّها مأساة البشرية، بل إنّه واقع العرب - على وجه الخصوص-.

فالقصيدة تبرز ملامحها الدّرامية منذ البداية، حيث حذفت كلّ العناصر الخارجية، وحافظت على بعض الإشارات التي تحيلنا على الحاضر (الضّياع، الموت، البحث، الرّحيل، القمع..)، كما أنّها تأخذ أبعادها الدّرامية من خلال عناصر ثلاث:

1 - البطل:

في القصيدة شخصية رئيسية واحدة، إنّها شخصية الشّاعر / الرّاوي، الذي ينوب عن شهرزاد في سرد الحكايات، وهو صوت بارز غير مختفٍ ولا مُقنّع، إنّه صوت متكلّم وصارخ بكلّ لغة، يحاور ويختزل التّفاصيل في انفعالات الشّاعر:

«أطير كلّ ليلة على جوادي الأسود المسحور
إلى بلاد لم تزوريها
ولم تنتظري وحيدة في بابها المهجور (...)»[13]

ويحيلنا هذا الصّوت مباشرة على الحلم الذي يراود الشّاعر في الهدم والبناء، في الثّورة والتّغيير، في الرّغبة في التّحوُّل في كلّ شيء، إنّه يبشّر بالإنسان الحيّ، الباحث عن الخلاص، المشعّ بالحياة، النّابض من كلّ عرق، المتّقد الذي ينبعث من رماد الأسلاف تماما كعنقاء جديدة وُلدت من رماد الحرائق، فينطلق في البحث ومحاولة حلّ الطّلاسم، ومعرفة السّرّ الذي صبغ الواقع العربي بالتّخاذل والخنوع.

2 - الحوار المباشر:

قام الشّعر الحديث على تقنية الحوار المباشر، حيث يحاول الشّاعر وصف الواقع أو الحاضر بكلّ حيثياته، ويحاول أن ينقلنا إلى جوّ التّوتّر الذي يسود الحياة المعاصرة، الصّوت هنا / صوت الشّاعر، يحيلنا على شخص المخاطبين، إذا تساءلنا عمّن يوجّه الشّاعر كلامه إليه؟، فيكون الجواب: هم الذين ينتظرون البعث، ويهفون إلى الحياة:

«أبحث في جنانها المعلّقه
عن زهرة زرقاء
عن كلمات كاهن المعبد فوق حائط البكاء» [14]

فالشّاعر يبشّر هؤلاء الطّامحين إلى الخلود بأنّه يسعى لتحقيق ذلك، فهو "جلجامش" هذا الزّمان الذي سيأتيهم بالزّهرة الزّرقاء، ويحمل لهم الخلاص في كلمات كاهن المعبد، فهو يتنبّأ لهم بغد أفضل؛ غير أنّ الشّاعر يستدرك ليقول بأنّ رحلته هذه ما كانت غير أحلام على السّرير، لم يوقظه منها غير سقوطه ليصحو، ويصطدم بالواقع، فيوقف حكايته، ويسكت عن الكلام المباح حين يدركه الصّباح تماما مثل شهرزاد "ألف ليلة وليلة"، وبذلك يجعل الشّاعر نفسه شهرزاد كلّ الأزمنة، فينقل قارئه على أجنحة خياله إلى العوالم القصيّة، ويعود محمّلا بروائع الأشعار. إنّه يتجاوز الماضي بزخمه، وينطلق من منطق الكمون إلى منطق الفعل، عبر فعل الثّورة التي تشتعل في صدر الشّعب، والتي يرفض الشّاعر أن يتركها تستحيل إلى رماد، ما دامت متّقدة فلن تنطفئ، ولكنّه سيذكي جذوتها لكي تشتعل من جديد.

وقد نجح الشّاعر من خلال هذا الحوار مع ذاته في أن يستبطن النّفس البشرية، بجعلها تتفجّر داخل قصيدته، وجعل أزمته تتفجّر معها -أزمة كلّ مواطن عربي- وأزمته الخاصّة كشاعر يعاني حلم التّحوّل، ويحمل القلق البشري صخرة سيزيفية على كاهله.

ففي تقنية الحوار المباشر -عكس الحوار الدّاخلي- يحاول الشّاعر أن يشرك قارئه في هذا الهمّ الذي يكابده وحده، ويدعوه إلى أن يتحمّل معه المعاناة حين أثقله حملها

بمفرده، لذلك نجده يلجأ إلى هذه التّقنية لجعل الهمّ مشتركا، وإثارة عاطفة المتلقّي. فالشّاعر يسعى إلى خلق جيش من الأبطال -بعد أن اكتفى بالحديث عن مغامراته البطولية في العنصر السّابق-.

3 – الشّخصيات:

قد تقتصر القصيدة على صوت واحد / صوت الشّاعر، يطغى على كلّ القصيدة، وقد نجد أصواتا أخرى أو شخصيات تطلّ من ثنايا القصيدة، وفي مقاطع مختلفة منها، فنقرأ مثلا:

«أطير كلّ ليلة على جوادي الأسود المسحور
إلى بلاد لم تزوريها
ولم تنتظري وحيدة في بابها المهجور
أحمل ناري ورمادي نحو سفح جبل الخرافة
ألتفّ في عباءة النّجوم
(....)
على جوادي الأسود المسحور
أحمل مصباح علاء الدّين
أُغرق في الفجر المغنّي الشّاحبَ الحزين
أمدّ سلّما من الأصوات
أرقى به لبابل
مغنّيا وساحرْ...» (15)

حيث تظهر معاناة الشّعوب العربيّة التي تنتظر مطلع يوم جديد، يمكّنها من الثّورة على الأوضاع السّائدة، منتظرة الأمل الذي لا يأتي، معلّقة الآمال على قادتها وأولياء أمرها. وتظلّ الأعناق تشرئبّ إلى ذلك القائد الذي يُخرج الشّعوب العربية من دونيّتها، ويعيد إليها أمجادها، مُرجعا إليها عزّها الآفل، وتنتظر الحلم / المعجزة الذي يوحّد بينها.

وتعيد شهرزاد الصّورة يوميا عندما يدركها الصّباح، منتظرة تحقُّقَ الحلم. وهكذا راح الشّاعر -من خلال رمز شهرزاد- يعكس أحلام العرب جميعا، فقد عكس العامّ على خصوصية شهرزاد -التي ظلّت تمنّي نفسها، وكذلك بنات جنسها طيلة ألف ليلة وليلة-، فكان التّوجُّع مشتركا: توجُّع شهرزاد، وتوجُّع المواطن العربي في كلّ شبر من أرض العرب. حيث يُسكت الشّاعر صوت "أورفيوس" المغنّي الذي سحر الآلهة والنّاس والحجارة، مغرقا إيّاه في الفجر الذي كان نقطة تحوّل في ألف ليلة وليلة، ليقول بأنّ واقعنا لم يعد زمن أقوال، بل غدا زمن أفعال. فلم يعد بالإمكان الكلام ليلا (في الخفاء) بل وجب إعلان الثّورة نهارا، ليحمل الهمّ العربي المشترك، والحزن والغربة

والتفجُّع. إنّها ثورة جارفة على كلّ عبودية وكلّ استعباد، أوَ ليست شهرزاد حاملة لواء التّحوّل؟.

ثالثا- الصّورة الشّعرية:

تتعدّد أبعاد النّص الشّعري الجمالية، ولربّما تكمن أسرار هذا الجمال في ذلك الشّكل المكثّف الذي يُكتب به أو يُلقى من خلاله، وربّما من خلال الصّور والموسيقى والتّضمينات الشّعرية غير المباشرة..[16] ويكاد اهتمام النّقّاد بالصّورة الشّعرية يطغى على اهتماماتهم الأخرى كاللّغة والموسيقى. ولعلّ ذلك يعود إلى أهميّتها البالغة في القصيدة، ممّا يجعل الشّعر متفوّقا على غيره من الفنون «بالخيال والصّور التي يشتمل عليها ويعرضها، فالخيال عنصر أساسي في الشّعر قديما وحديثا عند العرب وغيرهم من الأمم..»[17]. و يُعَدُّ قُدرةً خلاّقة تقلب قوانين الطّبيعة، وتمنحها قوانين خاصّة، وتستنهض ثقافة المبدع، وتسترجع الحالة الشّعورية التي عايشها في تجربته. ونظرا لهذه الأهمّية فقد جعل نورثروب فراي الشّعر «لغة خيالية مكثّفة» [18].

لكنّ الصّورة -وعلى الرّغم من أهميّتها- لا يكتمل جمالها إلاّ بتفاعلها مع العناصر الأخرى. وممّا يسهم في التّقليل من فاعليّتها، الوقوفُ عند التّشابه الحسّي بين الأشياء دون ربط ذلك بالشّعور المخيّم على الشّاعر أثناء تجربته، ومن الأمور التي تُفقدها القيمةَ تناقُضُ الصّورة الجزئية داخل القصيدة، حيث إنّ الصورة الجزئية لا بدّ أن تتلاءم مع الصّورة الكلّية وتتكامل معها. وممّا لا شكّ فيه أنّ الصّورة التي تعتمد على الإيحاء أجمل وأقوى أثرا من الصّورة التي تعتمد الوصف والتّقرير المباشر، مع مراعاة أنّ الشّاعر لا يتوقّف عند كون ألفاظ الصّورة مجازية، فقد تكون ألفاظها وعباراتها حقيقيّة، وتشعّ مع ذلك بصور دقيقة موحية تدلّ على سعة خيال المبدع.

ولم تكن أهميّة الصّورة الشّعرية محصورة في النّقّاد المحدثين، بل هي الأساس في النّقد الأدبي عند العرب منذ القرن الثّاني الهجري- وإن لم نجد المصطلح - الصّورة الفنّية- بهذه الصّياغة الحديثة في الموروث البلاغي والنّقدي عند العرب، ولكنّ المشاكل والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث ويطرحها موجودة في الموروث»- [19].

ويكمن الفرق بين الشّاعر القديم والشّاعر المعاصر في استخدامهما لعناصر الطّبيعة، في كون الشّاعر القديم قد استخدمها استخداما جزئيا، مقتصرا على جعلها وسيلة بلاغية تتمثّل فيما استخدمه من تشبيه واستعارة. في حين تمثّل الشّاعر المعاصر الصّورة كاملة، حيث «ترتبط في رؤياه هذه العناصر ارتباطا عضويا يجعل الصّورة كلّها تفرض لنفسها وجودا خلال منطق الخيال هو أكثر واقعية من الواقع نفسه، شأنها في ذلك شأن الأسطورة القديمة»[20].

وللصّورة الشّعرية عدّة مصادر تغترف من معينها، أحدها الأسطورة والموروث الشّعبي، أو بعض الإشارات التّاريخية التي تُشكّل المنابع الأولى لثقافة المبدع وتمنحه

خبرة مكتسبة في تشكيل الصّورة وطرق إبداعها، أو من خلال إقامة المبدع لعلاقات بين عناصر هذا التّراث وعناصر الواقع المعيش فيما يُسمّى بالمفارقة التّصويرية -وإن كانت لا تتعدّى الالتفاتة الصّريحة العابرة التي تُعبّر عن موقف ذهني دون أن تكشف عن موقف يتطوّر وينمو، ويُصبح فاعلا في تجارب الشّعراء-.

أنواع الصّورة التي استخدمها الشّاعر:

حرص الشّعراء على تحقيق المعادلة الصّعبة بين الوضوح والواقعية من جهة، والعمق الفنّي في الإيحاء من جهة أخرى، فوظّفوا نوعين من الصّور وفق بنائها، هما الصّورة المفردة الجزئية، والصّورة المركّبة الكلّية. ولعلّ هذا التّقسيم يسهّل علينا مهمّة استقصاء صور شاعرنا من أبسط أشكالها إلى أكثرها تعقيدا.

1 – الصّورة المفردة الجزئية:

تمتلك الصّورة المفردة أهّمية في التّعبير عن التّجربة -وإن كانت غير منعزلة بذاتها عن باقي الصّور-، فما الصّورة الكلّية سوى صور جزئية متجمّعة، تكاملت من خلال تفاعلها فيما بينها. وما الصّورة المفردة الجزئية إلاّ شريحة من القصيدة تحمل سماتها النّفسية ودلالاتها المعنوية، وتبنى بعدّة أساليب ووسائل تنبثق من وجدان الشّاعر، متلاحمة مع أفكاره وأحاسيسه والألفاظ التي ينتقيها والموسيقى التي تحتويها، وذلك:

أ - عن طريق تبادل المدركات:

قد تُبنى الصّورة المفردة من خلال تبادل المدركات، أي من خلال تبادل الصّفات بين المادّيات والمعنويات، فمن خلال التّجسيم تأخذ المعنويات صفات محسوسة مجسّمة، ومن خلال التّشخيص تدبّ الحياة والصّفات الإنسانية في المحسوسات والمعنويّات، ومن خلال التّجريد تكتسب المادّيات صفاتٍ معنويةً، وتزول الحواجز بين المعنوي والمادّي.

ونجد مثالا لذلك في قول الشّاعر:

«أمدّ سلّما من الأصوات»

حيث جعل الشّاعر درجات هذا السّلّم التي عادةً ما تكون خشبيّة أو حديدية: أصواتا، فهل تُراه سلّمٌ موسيقيٌّ يمدّه الشّاعر ليرقى به لبابل؟ ، وهل بإمكان الشّاعر العودة إلى بابل وعزّها الآفل إلاّ من خلال أشعاره وقوافيه؟

وقوله:

«ألتفّ في عباءة النّجوم»

حيث شخّص النّجوم وجعلها إنسانا يُحتمى بعباءته.

ب- التّشبيه:

كان اللّجوء إلى التّشبيه قليلا في قصيدة "شيء من ألف ليلة"، فنقرأ:

«كانت سماء القارّة
تنتظر البشارة
حييّة كالقمح والجليد
رقيقة كزهرة الأوركيد» [21]

فقد أورد الشّاعر تشبيهين اثنين في سطرين متواليين، مشبّها سماء القارّة مرّة بالقمح والجليد في حيائها، ولو أخذناها في معناها الظّاهري لبقينا نتساءل: كيف يمكن للقمح أو الجليد أن يشعرا بالحياء أو الخجل، ومن أيّ شيء يكون ذلك؟ فلو احمرّ وجه الجليد خجلا لما احتاج إلى أن يسمّى جليدا. بيد أنّ الشّاعر عبّر عن البراءة بأفضل أنواع الغذاء، وهو القمح في انتظار موسم الخصب الذي يأتي بالبشارة، فيعمّ الخير؛ وعبّر عن الطّهر بالجليد، وعن الرّقّة التي خلا منها العالم بزهرة الأوركيد أو زهرة الخلود التي تجعل الأعناق تشرئبّ إلى السّماء في انتظار ما تجود به على من يتوجّهون إليها بالدّعاء.

2 - الصّورة المركّبة:

الصّورة المركّبة هي مجموعة من الصّور الجزئية المترابطة، يوظّفها الشّاعر لأنّ الصّور الجزئية لا تستطيع أن تستوعب عاطفته وفكرته بصورة متكاملة، وخصوصا إذا كان الموقف على قدر من التّعقيد أكبر من أن تستوعبه صورة جزئية، ومنها:

أ - المفارقة:

اهتمّت البلاغة العربية القديمة بلون من التّصوير البديعي القائم على التّضادّ، وجعلته في صورته البسيطة (طباقا)، وفي صورته المركّبة (مقابلة)، لكنّ الواضح أنّ فكرة التّضادّ هذه قامت على الجمع بين الضِّدّين في عبارة واحدة ليس إلاّ، دون أن تشترط وجود تناقض واقعي عميق بينهما، فهي محسِّن شكلي جزئي هدفه التّحسين البديعي الشّكلي الذي لا يتجاوز مداه عبارة الأديب.

ب - المفارقة ذات المعطيات التّراثية:

المفارقة التّصويرية ذات المعطيات التّراثية تقنية فنّية تقوم على إبراز التّناقض بين بعض معطيات التّراث، وبين بعض الأوضاع المعاصرة، وتقوم على ثلاثة أنماط، منها المفارقة ذات الطّرف التّراثي الواحد، والمفارقة ذات الطّرفين التّراثيّين، والمفارقة المبنيّة على نصّ تراثي.

*** النمط الأوّل:**

ويقابل الشّاعر في المفارقة ذات الطّرف التّراثي الواحد بين طرف تراثي، وطرف آخر معاصر. ومن أمثلة ذلك في القصيدة:

«رأيت خائن المسيح في بلاط الملك السّعيد
منجّما ومخبرا وكاتبا
وراقصا على الحبال لاعبا
يخرج من معطفه الأرانبا
ويركب الحمار بالمقلوب
رأيته هرّا بلا نيوب
-يحكي انتفاخا صولة الأسد-
يأكله الحسد ..» [22]

فقد تمثّل الشّاعر هذه الصّورة -صورة "يهوذا الأسخريوطي"- وصاغها بما يلائم مواقفه، ذلك أنّ الصّورة المذكورة في الإنجيل تتحدّث عن يهوذا الخائن للمسيح، فهو الذي وشى به ليوصله إلى حادثة الصّلب، فيكون بذلك هو سبب صلبه -حسبهم-، ولكنّ الشّاعر أخذ هذه الحادثة ليقلبها ويحوّرها كلّيا، ويجعل من خائن المسيح هذا: منجّما، ومخبرا (فهو سبب البلاء)، وهو راقص على الحبال، وهو بوق لكلّ ناعق، يموت حسدا -وأوّل جريمة على وجه الأرض كان سببها الحسد: بين قابيل وهابيل-، وقد منح الشّاعر هذه الشّخصية المعبّرة عن غدر اليهود أو الغدر بصورة عامّة، ملامح كلّ خائن في عصرنا هذا. وجعل الشّاعر من يهوذا مثالا لبطانة السّوء التي تفسد الحكّام، بل جعل نموذج الخيانة يتمادى ويمتدّ إلى حياتنا المعاصرة ويعيث فيها فسادا.

ومن خلال التّفاعل بين الصّورتين، نجد المفارقة عميقة مؤلمة، فما وقع في الماضي يكشف مرارة الواقع المعاصر، والسّقوط المأساوي الذي انعدمت فيه الثّقة، وما كانت هذه المرارة الفظيعة لتظهر بجلاء لولا المفارقة البارعة التي مزج فيها الشّاعر ملامح الأمس بملامح اليوم.

*** النّمط الثّاني:**

تتمّ عملية المفارقة التّصويرية ذات الطّرفين التّراثيّين على مستويين، حيث تتمّ أوّلا بين هذين الطّرفين من جهة، وتتمّ ثانيا بين الدّلالة التّراثية لأحدهما، والدّلالة الرّمزية من جهة أخرى، وبذلك تزداد المفارقة عمقا وتأثيرا عن طريق هذه المقابلة المزدوجة، إذ لا يستطيع الشّاعر التّعبير عن معاناته واغترابه عن مجتمعه إلاّ من خلال المشابهة بين مواقف الإنسان المعاصر ومواقف سابقيه، فنجد قول البيّاتي مثلا:

«على جوادي الأسود المسحور
أحمل مصباح علاء الدّين
أُغرق في الفجر المغنّي الشّاحب الحزين»[23]

حيث مزج الشّاعر بين طرفيْن تراثيّيْن أحدهما إغريقي والثّاني عربي، فجمع بين أجزاء أسطورتيْ "بيجاسوس" (الجواد المجنّح) و"أورفيوس"، وأسطورة "علاء الدّين والمصباح"، فالأوّل وسيلة يأمل الشّاعر أن تحمله لتحقيق حُلْمه في الثّورة، والثّاني إله

أثّر بعزفه في زبانية جهنّم ليتمكّن من استعادة زوجته يوريديس إلى الحياة، وكلاهما رمز للثّورة والتّحدّي في الأساطير الإغريقية، والثّاني رمز للقوّة ممثّلة في عفريت المصباح.

وقد استعار الشّاعر هتين الأسطورتين أملا منه في إيجاد وسيلة تمكّنه من إعلان ثورته وكسب عدد من الأنصار، أو من المساندين، وقد لجأ الشّاعر إلى مصباح علاء الدّين الوسيلة الأخرى التي يأمل أن تساعده على التّغيير وتحقيق الغاية. وبذلك مزج الشّاعر بين طرفين تراثيّيْن وأسقطهما على واقعه المعاصر أملا في أن يمتلك أدوات التّغيير التي يفتقر إليها، طامحا إلى التّأثير في أرباب العالَم اليوم كما أثّرت هذه الأساطير في قلوب المؤمنين بها.

*** النّمط الثالث:**

تعتمد المفارقة المبنية على نصّ تراثي، على تحوير الشّاعر في النّص المقتبس أو المضمون، رغبة منه في توليد دلالة معاصرة تتناقض مع الدّلالة التّراثية للنّص الذي ارتبطت به في وجدان المتلقّي، ومن خلال المقابلة بين المدلولين التّراثي والمعاصر تنتج المفارقة. وقد ظلّ الشّاعر يؤكّد على صمت شهرزاد من خلال تكرار اللاّزمة "وأدرك الصّباح شهرزاد"، حيث جعل شهرزاد الشّجاعة المقدامة تلتزم الصّمت، وتحجم عن التّغيير وعن إحداث الثّورة التي قلبت بها تفكير مجتمع كامل، وأنقذت مملكة كاملة من الفناء، فجعلها الشّاعر جبانة تختفي ولا تثور، وذلك لعرض موقفه من عرب اليوم الذين يرضون بالعيش الذّليل، فلا كفٌّ لهم تبدو، ولا قدمٌ لهم تعدو.

3 - صور أخرى:

ونجد أنماطا أخرى من الصّور المبثوثة في ثنايا القصيدة محدثة إشعاعا كبيرا فيها، ومن ذلك الصّور التي عرفت في الشّعر القديم كالاستعارة التي نجدها في قول البياتي، "رقيقة كزهرة الأوركيد"، حيث استعار صفة من صفات الإنسان وأسقطها على الزّهرة، كما استعار صفة من صفات الإنسان، وهي صفة الحياء، وأسقطها على السّماء التي جعلها: "حييّة كالقمح والجليد".

وبذلك يكون الشّاعر قد جمع بين صور تراثية شتّى، وبين واقعنا العربي المعاصر الذي يحتضر من شدّة القهر، ومن هول ما يسلّط عليه من صنوف كبت الحريات ومصادرتها، ليلجأ الشّاعر إلى أنماط التّعبير هذه المتمثّلة في التّعبير بالصّور. وقد جاءت هذه الصّور أقرب إلى النّفس، ذلك أنّ النّفس التي تعيش الاغتراب حتّى في وطنها وأرضها، تحتّم على الصّور أن تكون معبّرة عنها حاملة لحقيقتها الدّاخلية، تغوص إلى ما تحت التّعبير اللّفظي لتكشف عن اللاّشعور. ولمّا كانت الصّور هي الوسيلة المثلى لنقل الأحاسيس، فلا بدّ أن تجيء ملائمة لما تعانيه هذه النّفس من غربة

وعزلة وخوف، فالصّورة الشّعرية «رسم قوامه الكلمات المشحونة بالأحاسيس والعاطفة..»[24].

رابعا - الموسيقى:

تتشكّل موسيقى القصيدة من ثلاثة أقطاب أساسية، لا غنى عن أحدها في التّشكيل الشّعري، وهي: الوزن والقافية والإيقاع.

1- القافية:

درج العروضيون، وبعض النّقاد على إفراد أبواب خاصّة في مؤلّفاتهم لدراسة عيوب القوافي ضمن حديثهم عن الجانب الموسيقيّ للنّصوص الشّعرية[25]. ولعلّ أقدم تتبُّع لهذه العيوب، وتسميتها -بوضع مصطلحاتها، ورصد أنواعها- ما تمّ على يدي الخليل بن أحمد الفراهيدي، ضمن جهوده الهادفة إلى تقعيد موسيقى الشّعر العربي، وربمّا كان محمّد بن سلاّم الجمحي من أوائل النّقاد الذين التفتوا إلى هذا الجانب في مؤلّفاتهم النّقدية.

ويجعل لها بعض الدّارسين أهّمية كبرى لدرجة أنّ بعضهم قد ينزع صفة الشّاعرية عن شاعر ما، ما لم يلتزم بقافية معيّنة*، ذلك أنّ الشّاعر يتمتّع بمخزون يغترف منه، وهذه هي المادّة التي «يتعلّق الأمر باستعمالها من أجل نظم كلّ بيت، وعقب التّصوُّر يبدأ الإنجاز الحقّ. في هذه الأثناء، يختار الشّاعر عاملين هامّين، أي عاملين ثابتين ومتماثلين بالنّسبة لكامل القصيدة، هما القافية والوزن» [26].

غير أنّ النّقّاد المحدثين ذهبوا إلى أنّ المحافظة على وحدة الإيقاع والوزن، والتزام قافية واحدة في جميع القصيدة «مدعاة ملل لو كانت تامّة كلّ التّمام (..)، ثمّ إنّ الموسيقى في البيت ليست تابعة للمعنى، والمعنى يتغيرّ من بيت إلى بيت على حسب الفكر والشّعور والصّورة المدلول عليها، ولا يتلاءم مع هذا التغيّر أن تكون هذه المساواة في النّغم تامّة رتيبة، علما بأنّ هذه المساواة التّامّة الرّتيبة قلّما توجد في الشّعر القديم نفسه» [27].

ويرى جمال الدّين بن الشّيخ أنّ القافية «تفرض نفسها على الفور، وترسِّخ من تلقاء ذاتها وفي ذاتها، المعنى الذي يراد التّعبير عنه. وذلك لأنّ الأمر قد لا يتعلّق بمجرّد تنظيم مظهرها. ففي هذه المعمارية الصّوتية يتقرّر المعنى. إنّ البيت في تقسيمه المطّرد إلى وحدات متزايدة الصّغر، لا يكتسب انسجامه إلاّ بفضل تقارب هذه الوحدات» [28].

وقد اعتمد الشّاعر على نوع واحد من أنواع القافية التي أقرّها النّقّاد، وهي:

ـ القافية التي تختتم المقاطع:

يختتم البيّاتي كلّ مقطع من قصيدته بجملة: "وأدرك الصّباح شهرزاد" ، فيورد كلمة "شهرزاد" التي يأتي بها في آخر كلّ مقطع ليعيد ضبط حركة القصيدة، حيث أهمل الشّاعر القافية في قصيدته المركّبة، «ليجري البحث عن التّعرُّج الإيقاعي داخل علاقات الصّور المتلاحقة، فتنفتح أبعاد القصيدة على تعرّج إيقاعي، يسمح للموسيقى الدّاخلية بالتّبلور والتّعرّج» [29].

وقد حافظ الشّاعر على القافية في ختام كلّ مقطع، ممّا يجعل المقاطع كلّها تتميّز بالقافية المباشرة، حتّى «أنّه يكسر في بعض الأحيان الإيقاع الأساسي للقصيدة أو جماع إيقاعاتها» [30]. فجاءت القافية في نهاية كلّ مقطع كلحظة استراحة.

2 - الوزن:

تتعدّد أبعاد النّص الجمالية، وقد تكون أسرار هذا الجمال في البناء الموسيقي أو التّشكيل بالصّورة أو البنية اللّغوية أو الإحساس بالزّمن، وكلّ الأبعاد السّابقة «تنبثق من الطّاقة الشّعورية المتدفّقة من كيان النّص، وهو بدون هذه الطّاقة يُعدّ نهرا جافّا، وحديقة يابسة، وأفقا منطفئ النّجوم» [31].

والعلاقة بين الموسيقى والشّعر، أو بين الصّوت واللّون تقوم على ارتباطات وجدانية نفسية، ومدلولات فزيولوجية، تخضع لظاهرة العلاقة بين التّزامن في الصّوت واللّون، أو الارتباط والتّنسيق بين نوعين مختلفين من الأحاسيس. لأنّك «إذا تأمّلت الشّيء، ونظرت إليه بعمق وتفحّصته، فإنّك حتما ستستمتع بموسيقيّته، لأنّ النّغم يكمن في قلب طبيعة الأشياء»[32].

ويقسّم الدّكتور بسّام ساعي البنية الإيقاعيّة إلى ثلاثة نماذج: التّوقيع، التّشكيل، والتّنويع [33].

وقد اعتمد الشّاعر في قصيدته النّموذج الثّالث (التّنويع)، حيث نوّع بين تفعيلات بحريْن ضمن القصيدة أو المقطع، بل حتّى في السّطر الواحد، وذلك قصد «تجديد الموقف الشّعوري المتنوّع، وحركة التّجربة المتحوّلة، إضافة إلى قلب النّظام الإيقاعي وتحويله إلى ما يشبه المتاهة الإيقاعية، بتعقيده وغموضه وتدفّقه المشوّش، القائم على عمق البنية بحيث يصعب تحديد ملامحه، وإدراك نهاياته على القارئ غير العارف بأسرار الإيقاع الحديث»[34]، يقول الشّاعر:

«أطير كلّ ليلة على جوادي الأسود المسحور
إلى بلاد لم تزوريها ولم تنتظري وحيدة في بابها المهجور
أحمل ناري ورمادي نحو سفح جبل الخرافه
ألتفّ في عباءة النّجوم
منتظرا محموم

مغطّيا بالملح جرحي، نازفا موتي على الحروف
وحزن أعياد الرّجال الجوف ..» [35]

ففي القصيدة تنويع بين تفعيلات بحري الرّجز والوافر، حيث زاوج الشّاعر بين تفعيلات الرّجز الرّاقصة، والذي تفعيلاته (مستفعلن مستفعلن مستفعلن)، و «للعرب تصرّف واتّساع في الرّجز لكثرته في كلامهم، لسهولته وعذوبته» [36]، وبحر الوافر الذي تفعيلاته (مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن).

وقد نوّع الشّاعر بين تفعيلات البحرين في السّطر الواحد، كما في السّطر الأوّل من القصيدة:

«أطير كلّ ليلة على جوادي الأسود المسحور»

حيث يمضي الشّاعر في سرد أحداث خيالية، يطير خلالها إلى عوالم تفوق الواقع، وتمضي في عالم الخيال، فاستخدم لذلك تفعيلات الوافر حيث يتزايد نشاط الانفعال، وذلك لكثرة مصوّتاته السّريعة.

وقد استطاع الشّاعر أن ينقل المستمع «إلى المشروع بدون مباغتة، وهو الذي ألف التّنظيم الدّقيق للحوافز، يمكنه أن يرجئ فهم بيت ليستسلم بلهفة إلى موسيقاه. إنّ ظلّ كلّ القصيدة يحلّق فوق كلّ كلمة ويُؤمِّن لها فهما يمكن أن يكون غير دقيق، إلاّ أنّه يبقى فهما كافيا» [37].

3 - الإيقاع:

ترى الدّراسات الأنثروبولوجية أنّ العلاقة بين الشّعر والإيقاع، علاقة صميمة قائمة بينهما تاريخيا. وفي «ضوء ذلك يمكننا تفسير نشأة الشّعر العربي في حضن الرّجز. فالإيقاع يعتمد على التّكرار الذي يلبيّ حاجة نفسية بشرية، وإحساسا عميقا بحركة الطّبيعة. ويأخذ التّكرار مع طول الزّمن شكل الطّقس الجاهز الذي تستمرّ فاعليته في التّأثير حتّى في غياب التّجربة ودلالاتها النّوعية. ويولّد الطّقس النّظام القائم على التّناسب بين عناصر القصيدة»[38]

ولقد كانت دراسات القدماء تنطلق من البيت كوحدة تامّة، فيقال: هذا أغزل بيت، وهذا أرثى بيت، وذاك أهجى بيت، إلخ .. وانطلاقا من كون البيت الشّعري «هو الوحدة الإيقاعية والتّركيبية الهامّة، فإنّ دراسة التّشكيل الإيقاعي والدّلالي ينبغي أن تنطلق منه»[39]. ذلك أنّ الإيقاع لا ينحصر في الوزن والقافية أو ما يسمّى بموسيقى الإطار أو الموسيقى الخارجية، بل يتعدّاه إلى طبيعة التّركيب اللّغوي للقصيدة أو ما يسمّى بالموسيقى الدّاخلية، سواء تعلّق الإيقاع بالظّلال النّغمية الدّلالية بمفرده أم بوضعه في سياق الجملة والمقطع أم قيامه في النّص بأكمله.

ومن باب أنّ الشّاعر «يقيم سلطته لفترة ما، على العالم الذي يبعث فيه الحياة، كما يقيمها على المستمع الذي يفتنه»[40]، فقد كان للسّماع دائما دوره في الشّعر، على الرّغم من أنّ قدامة بن جعفر وكذا ابن طباطبا، وابن رشيق، يرون ألاّ حاجة بالشّاعر الحقيقي إلى معرفة قواعد العروض، فالطّبع والذّوق -حسبهم- يقودانه دائما إليه، وذاك ما دفع بأبي العتاهية إلى القول بأنّه أكبر من العروض [41].

ورغم احتفال القدماء بالقافية والوزن باعتبار أنّ «الخيال والموسيقى هما الخاصّيتان اللّتان تميّزان الشّاعر»[42]، فقد جاءت ثورة الشّعر الحديث قائمة على تحطيم هذه البنية الإيقاعية التّقليدية، «لتؤسّس إيقاعا جديدا يجسّد إيقاع الحضارة الحديثة، المتقلّبة حتىّ الأعماق، المضطربة بلا حدود، الحافلة بالتّعارض الدّرامي الأكثر دلالة. وهي محاولة لاهثة وراء صياغة الإيقاع وفق أبعاد التّجربة في تفرّدها الذّاتي الشّامل. يقوم الأساس التّشكيلي للشّعر الحديث على التّفعيلة كوحدة بنائية، يمكن للشّاعر توظيفها بحرّية، وتنبع من قلب التّجربة في حركيّتها النّفسية والجمالية»[43].

ولقد كان إيقاع الحياة في العصر الجاهلي سببا في تشكيل شعرها بموسيقى وافقت أبعادها وأغوارها، وأدّت إلى صياغة قصائد على أوزان ملائمة لتلك الحياة ورتابتها، وكان مصدرها البيئة الصّحراوية ذاتها بحلّها وترحالها وبمسير إبلها، وحدائها ..

ولقد ظلّت مقولة إنّ الشّعر العربي نشأ في أحضان الرّجز ماثلة إلى اليوم، بيد أنّه ظهرت إشكالية أخرى تبحث في أسبقية الإيقاع للّغة، والقول بغنائية الشّعر، وقد تبنّاها دائما وأكّد عليها نزار قباني في كتاباته وحواراته، وهذه المقولة تثبت دائما وجودها لدى أولئك الذين يسيطر عليهم النّغم والإيقاع الخارجي على حساب الرّؤية والمضمون، ففي كتابه "قصّتي مع الشّعر"، يقول نزار قباني: «كانت تستولي عليّ حالة موسيقيّة تدفعني في أكثر الأحيان إلى أن أغنّي شعري بصوت عال، كما كان يفعل الشّاعر الإسباني لوركا. كانت حروف الأبجدية تمتدّ أمامي كالأوتار، والكلمات تتموّج حدائق من الإيقاعات، وكنت أجلس أمام أوراقي كما يجلس العازف أمام البيانو، أفكّر بالنّغم قبل أن أفكّر بمعناه، وأركض وراء رنين الكلمات قبل الكلمات» [44]. ويؤكّد في موضع آخر على أسبقية الإيقاع للّغة، فالإيقاع -عنده- «متقدّم زمنيا، إنّه الملك الذي يمشي أوّلا، ومن ورائه تمشي اللّغة كوصيفة ثانية» [45].

ويذهب إلى ذلك أيضا الدّكتور أحمد كمال زكي، فيجعل الإيقاع سببا في تفجير اللّغة. ويجعل الإيقاع والوزن والنّغم عناصر تشترك مع الموسيقى التي تصدرها التّفعيلة، فهي القوّة الضّابطة التي توشك أن تنتظم النَّفَس «.. وهي قَبْلية، ويقدّر لها دائما أن تتحكّم في المعاناة الشّعرية، أي أنّها هي التي تفجّر طاقات الشّاعر اللّغوية، فيضفي على وزن قصيدته أو على موسيقى تفعيلاتها قيمة جمالية طاغية» [46].

لكنّ الإيقاع في القصيدة ليس هو القصيدة، وإنّما هو واحد من مستويات لغتها. وهو كما يراه أدونيس -شعريّا- كلّ تضارب منتظم في نسق، وهو أيضا فطرة وحركة غير محدّدة، وحياة لا تتناهى[47]، ذلك أنّ لكلّ شاعر معجمه الخاصّ، في حين تتشابه الإيقاعات وتتكرّر، وباستطاعة أيّ شاعر عن طريق الازدواجية اللّفظية أن يفجّر إيقاعات خاصّة ما كان اللّفظ ليستطيعها منفردا. كما تكتسب القافية إيقاعها عن طريق التّكرار، فلولا التّكرار لما كانت قافية ولما كان إيقاع[48]. ولو أثّرت الإيقاعات في اللّغة تأثيرا مباشرا، لتماثلت المعاجم الشّعرية، وأشيعت اللّغة، وانتهت أسطورة الخصوصية والتّفرّد[49].

وهنا نصل إلى أهمية الإيقاع في عملية التّوصيل إذ لكلّ شاعر ما يميّزه عن غيره من الشّعراء وفقا لطريقة إنشاده شعره، وتحكّمه في اللّغة وإضفاء شخصيته عليها، وهنا تكمن أهمية الدّور الذي يلعبه الإيقاع في عملية التّوصيل والتّأثير الذي ربّما يفوق أهميّة الدّور الذي يلعبه في التّفجير، ولو كان العكس هو الصّحيح لكان اختلاف ملكات الشّعراء في الإلقاء ليس ذا قيمة تُذكر.

ويجعل الدّكتور إبراهيم أنيس للإيقاع دورا موازيا للدّور الذي تلعبه الموسيقى الخارجية، ويجمل الإمكانات التي تنطوي عليها الموسيقى الدّاخلية في: تناغم الحروف وائتلافها، وتقديم بعض الكلمات على بعض، واستعمال أدوات اللّغة الثّانوية بوسيلة فنّية خاصّة، واستعمال المحسّنات البديعية، وتوظيف صدق العاطفة في اختيار الكلمات الموحية والصّور الجميلة والأفكار الجيّدة الواضحة [50].

ولـمّا كانت نمطية الإيقاع ترتكز على التّكرار والتّوقيع، والبناء الزّمني المنسّق -حين أخذت اللّغة الحديثة تنحو إلى الخروج من الشّكل المحدود إلى الشّكل المطلق، وتكريس اللّغة غير المؤطّرة-، فقد ارتأينا أن نفرد مساحة من الورق لرصد التّفرد الذي تمنحه حركية التّكرار لإيقاع قصيدتنا -موضوع الدّراسة-.

4 - ظواهر موسيقية أخرى:

- التّكرار:

آخر ما سنتعرض له في مجال بحثنا هو التّكرار، وهو سمة مهيمنة على دواوين الشّعر الحديث، يوظّفه الشّاعر «لإيجاد الإحساس بالوحدة في القصيدة، وليكثّف ويطوّر الفكرة أو العاطفة التي يريد التّعبير عنها..» [51].

وعلى الرّغم من أنّ التّكرار كان معروفا لدى العرب منذ أيّام الجاهليّة الأولى، وقد ورد في الشّعر العربي إلاّ أنّه في الواقع «لم يتّخذ شكله الواضح إلاّ في عصرنا. وقد جاءت على بعض أبناء هذا القرن فترة من الزّمن، عدّوا خلالها التّكرار، في بعض صوره، لونا من ألوان التّجديد» [52].

كما نجد الشّاعر يستعمل -من أجل أن يضمن تدرّجا محكما للمؤثّرات، ومن أجل التّوسيع والتّراكم-، كلّ المحسّنات الأسلوبية والمعنوية الكفيلة بالحفاظ على توتّر خطابه ومنحه تعبيرية أكبر، ومن هذه المحسّنات «التّكرارات والموجات اللّغوية التي تنسحب وتعود في مدّ وجزر منتظمين»[53]. فهو أحد الأضواء التي يسلّطها الشِّعر على أعماق الشّاعر فيُضيئها، بحيث نطّلع عليها.

وقد عمدنا إلى استقصاء هذه الظّواهر الموسيقية الخفيّة من خلال دائرتيْن اثنتيْن: دائرة الألفاظ، ودائرة العبارات.

أوّلا- دائرة الألفاظ:

1 – تكرار لفظ بعينه:

قد يعمد الشّاعر إلى تكرار بعض الألفاظ بعينها لغرض التّأكيد على المعنى ذاته وباللّفظ ذاته في محاولة لإيصال فكرته، وكأنّما يتمثّل رسالته الشّعرية صخرة سيزيفية يحملها على كاهله متحدّيا كلّ محاولة لردعه وردّه عن تمرير الرّسالة.

ونجد مثال ذلك في القصيدة، حيث كرّر الشّاعر لفظة "جواد" في قصيدته ثلاث مرّات، وكأنّما يريد التّأكيد على أنّ هذا العالم لا يؤمن بغير القوّة وسيلةً لتحقيق الغايات. كما كرّر لفظة "النّار" مرّتيْن ليؤكّد حاجتنا إلى "بروميثيوس" جديد يتحدّى آلهة اليوم.

كما نجد تكرارا للفظة "السّرير" التي كرّرها الشّاعر مرّتيْن، وكأنّما يصرّ على لفت انتباه من مرّ بها عند قراءتها أو سمعها دون أن يلتفت إليها، ليؤكّد على أنّ الإنسان العربيّ لا يزال يغطّ في نوم عميق، ويحيا على حلم جميلٍ، غير أنّ مرارة الواقع تنمو غاباتٍ كثيفة في أجسادنا، ونحن نتغنّى بالأمل الذي لا يأتي.

2 - تكرار الأسماء:

وقد لجأ الشّاعر إلى تكرار اسم "شهرزاد" -حاملة لواء التّغيير- وكأنّما يجد عذوبة في إعادة نطقه، أوكأنّ مجرّد التّلفُّظ به يحيي الأمل في النّفوس، ويدفعها إلى التّغيير أو يجعل رياح الغد المشرق تهبّ من خلال كلّ حروفه، فهو العصا السّحرية أو مصباح علاء الدّين الذي تكفي فركة واحدة منه لقلب الواقع المرير جنّات نعيم. كما نجد تكرارا لعدد من الأسماء الأسطورية : السّندباد، أورفيوس، بروميثيوس، العنقاء، جلجامش،.. سواء كان تكرارها صريحا أو من خلال الإشارات الدّالّة عليها، وكلّها أسماء تحمل بذور التّغيير التي يطمح الشّاعر أن تنمو في تربة بلاده العربيّة التي عجزت عن أن تنجب بطلا جديدا يعيد الحياة لقلب الحياة.

ثانيا- دائرة العبارات :

ونجد ذلك مُمثّلا في:

- اللاّزمة: "وأدرك الصّباح شهرزاد"، وهي بمثابة استرجاع للنّفَس أو وقفة يستريح فيها الشّاعر استعدادا لرحلة أطول.

فتكرار الجمل أو العبارات ذاتها، يُستخدم في هذه القصيدة للتّعبير عن معاناة الشّاعر على وجـه الخصوص. وهو أساس لمحنته «الوجودية، ليحمل صخرته صعدا من جديد، وكلّما همّ بالوصول إلى القمّة تسقط الصّخرة، وهكذا دواليك. فالتّكرار هنا في جوهره، رمز لعبث التّطلعات الإنسانية وعقم الوجود الإنساني» [54]. وعلى كلّ فإنّ نغمة خَلاصية متفائلة تهيمن على القصيدة.

وقد يكون التّكرار وسيلة بنائية تشكّل لازمة أو قرارا يشير إلى التّحوّل إلى فكرة جديدة أو مشهد جديد، حيث يكرّر الشّاعر "وأدرك الصّباح شهرزاد" عند نهاية كلّ مقطع ليتحوّل بقارئه الذي يجلس أمام القصائد كمشاهد المسرح أو السّينما، ينتظر تغيُّر اللّقطات في كلّ حين، ومع نهاية كلّ مقطع عند ورود تلك اللاّزمة التي تعلن عن بداية فصل مسرحي جديد.

وبذلك، نصل إلى كون الشّاعر قد خلق جماليات خاصّة في قصيدته بدءا بتوظيف عناصر القصّة التي جعلت شعره يقوم على حدث فتطوّر، فعقدة، فحلّ، فكانت قصيدته عبارة عن قصص تسرد بلغة شعرية، وهذا ما جعلها تتماهى مع الأسطورة في طابعها السّردي. كما استطاع أن يوائم بين موضوع القصيدة والموسيقى التي تبعث ذلك الجوّ الأسطوري باعتماده على الأوزان الرّاقصة التي تجعله قريبا من فهم العامّة وتجعله أخفّ على السّمع، وأطرب للآذان إذا اعتمد السّامع على ما يلقى إليه، حيث يدفعنا الشّاعر إلى الحركة ويجعلنا نصعد فوق السّور لنرى ما يقوم خلفه، ثمّ ننزل إلى ردهات القصر، ثمّ نطلّ من الشّرفات، ونتطلّع من الأبراج كأيّ محقّق بوليسي يتتبّع آثار الجريمة.

ويدفعنا ذلك إلى أن نأمل في أن نكون قد وُفِّقنا في رصد هذه الجماليات وأن ننوب عن المحقّق البوليسي ليس للإيقاع بالمجرم، ولكن في كشف النّقاب عن مواطن الجمال في القصيدة وتعريضها للنّور في الشّفيف من الثّياب.

هوامش البحث:

1- د. شاكر عبد الحميد: التفضيل الجمالي -دراسة في سيكولوجية التذوّق الفني-، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، مارس 2001، عدد: 267، ص: 316.

2- د. شاكر عبد الحميد: التّفضيل الجمالي، ص: 37.

3- يمنى العيد: في معرفة النّص، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 3، 1985، ص: 122.

* النماذج العليا: Archétypes هو الاصطلاح الذي استخدمه العالم النفساني يونج للدلالة على محتوى اللاّشعور الجماعي، أو مضمون العقل الباطن لدى الجماعة ككل. ويقول يونج

بأنّ النّفس الجماعية هي الأساس أو القاعدة التي يرسو عليها كلّ تمايز أو تقارب شخصي. والعقل البشري، يحوي بقايا أصلية من تاريخ الإنسانية، وتطوّرها البعيد.
انظر: د. أسعد رزوق: موسوعة علم النّفس، مراجعة: د. عبد الله عبد الدّايم، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط2، 1979، ص: 321.

4- هوزر أرنولد: فلسفة تاريخ الفن، ترجمة: رمزي عبده جرجس، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، 1968، ص: 101.

5- عبد الرّضا علي: الأسطورة في شعر السّياب، دار الرّائد العربي، ط 2، 1984، ص: 93.

6- إلياس خوري: دراسات في نقد الشّعر، دار ابن رشد، بيروت، ط2، 1981، ص: 40.

7- المرجع نفسه، ص: 106.

8- البياتي: الأعمال الكاملة، المجلّد2 ، دار العودة، بيروت، د. ط، د. ت، ص: 174.

9- المصدر نفسه، ص ص: 174- 175.

10- د. سهير القلماوي: مختصر محاضرات حول نظرية الرواية، ص: 21، نقلا عن: عبد الرّضا علي: الأسطورة في شعر السّياب، ص: 98.

11- ت. س. إليوث: أصوات الشّعر الثّلاثة، ترجمة: سليمان محمود حلمي، مجلة "الفصول الأربعة"، بغداد، خريف 1954، ص: 54 و71.

12- د. نعيم عطية: المونولوج الدّاخلي في الرّواية الحديثة، مجلة "الفيصل"، عدد 86، ماي 1984، ص: 47.

13- البياتي: الدّيوان، المجلد2 ، ص: 174.

14- المصدر نفسه، ص: 174.

15- المصدر نفسه، ص ص: 174-175.

16- N. Frye & all. The Harper Hand- Book of literature. N.Y Harper & Raw Publishers,1985, p: 457.

17- د. أمين محمود صالح العصمي: الغربة والحنين في الشّعر الفلسطيني بعد المأساة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1 1995، ص: 374.

18- N . Frye & al: The Harper Hand - Book of literature p: 457.

19- د. جابر عصفور: الصّورة الفنّية في التّراث النّقدي والبلاغي، دار الثّقافة، القاهرة، ط1، 1974، ص: 7.

20- عزّ الدّين إسماعيل: الشّعر العربي المعاصر-قضاياه وظواهره الفنّية والمعنوية-، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط5، 1994، ص: 200.

21- البياتي: الدّيوان، ص: 177.

22- المصدر نفسه، ص: 175.

23- المصدر نفسه، ص ص: 174- 175.

24- دي لويس: الصّورة الشّعرية، ترجمة: د. أحمد نصيف الجناني، دار الرّشيد، العراق، 1982، ص: 23.

25- الأمثلة على ذلك في كتب العروض أكثر من أن تحصى . ومن كتب النّقد التي عرضت لعيوب القوافي نذكر:

- أبو الحسن بن رشيق: العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدّين عبد الحميد، مصر 1353 هـ ، 1934 م.
- محمد بن سلاّم الجمحي: طبقات فحول الشّعراء، تحقيق وشرح: محمود محمد شاكر، مصر، 1952.
- أبو الفرج قدامة بن جعفر: نقد الشّعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر، والمثنى ببغداد، 1963.

* ومنهم ابن سينا.

26- جمال الدّين بن الشّيخ: الشّعرية العربية، -تتقدّمه مقالة حول خطاب نقدي-، ترجمة مبارك حنون، ومحمد الولي، ومحمد أوراغ، دار توبقال للنّشر، ط1، 1996، ص: 267.

27- د. محمد غنيمي هلال: النّقد الأدبي الحديث، دار النّهضة العربية، القاهرة، ط4، 1969، ص: 464.

28- جمال الدّين بن الشّيخ : الشّعرية العربية، ص: 236.

29- إلياس خوري: دراسات في نقد الشّعر، ص: 183.

30- المرجع نفسه، ص: 183.

31- د. صابر عبد الدّايم: موسيقى الشّعر بين الثّبات والتّطور، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، 1992، من ص ص: 25 – 51.

32- انظر: - يوسف السّيسي: دعوة إلى الموسيقى، سلسلة عالم المعرفة، عدد 46، نشر المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط ، د. ت، ص: 45.
- صابر عبد الدّايم: موسيقى الشّعر بين الثبات والتّطور، ص : 15.

33- د. أحمد بسام ساعي: حركة الشّعر الحديث في سورية من خلال أعلامه، دار المأمون، دمشق، ط: 1، 1978، ص: 20.

34- إبراهيم رمّاني: الغموض في الشّعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، 1991 ، ص: 211.

35- البيآتي: الدّيوان، ص: 174.

36- موسى الأحمدي نويوات: المتوسّط الكافي في علميْ العروض والقوافي، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1983، ص: 192.
37- جمال الدّين بن الشّيخ: الشّعرية العربية، ص: 228.
38- إبراهيم رمّاني: الغموض في الشّعر العربي الحديث، ص: 208.
39- توفيق الزّيدي: أثر اللّسانيات في النّقد العربي الحديث، الدّار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1984، ص: 77.
40- جمال الدّين بن الشّيخ: الشّعرية العربية، ص: 292.
41- قيس عبد الرّحمن السّيد: العروض والقافية - دراسة ونقد -، مطبعة قاصد خير، القاهرة، د.ت، ص: 74.
42- إليزابيت درو: الشّعر كيف نفهمه ونتذوّقه، ص: 60.
43- إبراهيم رمّاني: الغموض في الشّعر العربي الحديث، ص : 209.
44- نزار قباني: قصّتي مع الشّعر، منشورات نزار قباني، بيروت، د. ط، د. ت، ص ص: 60 – 61.
45- نزار قباني: عن الشّعر والجنس والثّورة، منشورات نزار قباني، بيروت، د. ط، د.ت، ص: 41.
46- انظر: نسيم الصّمادي: إيقاع اللّغة، ولغة الإيقاع، مجلة "الفيصل"، عدد: 105، السّنة التّاسعة، ديسمبر: 1985، ص: 39 .
47- علي أحمد سعيد (أدونيس) : زمن الشّعر، دار العودة، بيروت، د. ط، 1973، ص: 244.
48- د. أحمد بسّام ساعي: حركة الشّعر الحديث في سورية من خلال أعلامه، ص: 270.
49- نسيم الصّمادي: إيقاع اللّغة، ولغة الإيقاع، ص: 42.
50- د. إبراهيم أنيس: موسيقى الشّعر، مكتبة الأنجلو - المصرية، القاهرة، ط5 ، 1978، ص: 249.
51- خليل رزق: عبد الوهاب البيّاتي في دراسة أسلوبية، مؤسّسة الأشرف للتّجارة والطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص: 83.
52- نازك الملائكة: قضايا الشّعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط 6، 1981.
53- جمال الدّين بن الشّيخ: الشّعرية العربية، ص: 199.
54- خليل رزق: عبد الوهاب البياتي في دراسة أسلوبية، ص: 84.

مدى تأثير قرارات الحكام على سلوك اللاعبين أثناء مباريات كرة القدم في الجزائر

ملخص

تتناول هذه الدراسة مدى تأثير قرارات الحكام على سلوك اللاعبين أثناء مباريات كرة القدم في الجزائر، باعتبار الحكام أحد أهم العناصر الفاعلة بقيادتهم للمباريات، وإصدارهم لمختلف القرارات التنظيمية والتأديبية التي كثيرا ما تتناقض وأحاسيس اللاعبين وتصوراتهم مما يؤدي إلى رفض باطني أحيانا، ولفظي بل وحتى جسدي أحيانا أخرى،وهو ما يفقد رياضة كرة القدم نكهتها، ويخدش روح مبادئها فتغدو فتيلا للتداغش والتناوش والعنف الذي ساير وواكب تاريخ هذه الرياضة منذ نشأتها ولازال ينخر بنيانها إلى يومنا هذا .

د. رشيد محيمدات

د. أحمد رضا حمروش

المعهد الوطني للتكوين العالي لإطارات الشباب والرياضة

قسنطينة

الجزائر

Résumé

Cette étude porte sur l'impact des décisions prises ou omises par les arbitres, lors des rencontres de football en Algérie, sur le comportement des joueurs et, et par conséquent, sur le résultat du match.

مقدمة

تعتبر كرة القدم واحدة من الرياضات التي استقطبت الأنظار منذ نشأتها، وأججت النفوس عبر مختلف مراحل تطورها، واستهوت العقول من زمن الشول إلى ما هي عليه الآن .إلا أن عدسة التاريخ وشريط أحداثه يؤكدان أن هذه الرياضة لم يكن لحبها يوما معبدا بالورود، ولا مزدانا بالمسرات. فقد شهدت العديد من الهزات والرجات والأهوال التي يشيب لهولها الولدان لكثرة ما شهدته الملاعب (Schalit et Friha 2010) وكانت مادة دسمة للعديد من الأخصائيين

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

كل حسب توجهه كـ : (Brohm J.M1976)(Beauchard J1985) و(Magnane G1964) و(Dehaies J.L 1987) وغيرهم، والتي كثيرا ما تتسبب فيها أحد العناصر الفاعلة في رياضة كرة القدم أو بعضها أوكلها، وإن لم تكن سببا مباشرا أحيانا فإنها الفتيل الذي يوقد مارد عنفها (محمد حسن علاوي 2002).

وتتمثل أهم هذه العناصر الفاعلة التي تسبح في فلك رياضة كرة القدم في اللاعبين والمدربين والمسيرين والأنصار والصحافة والحكام. إنه وبالعودة إلى أهم هذه العناصر الفاعلة، يتضح أن للحكام دورا أساسيا ومباشرا في تسيير المقابلات الرياضية، وتوجيه مسارها بما يصدرونه من أحكام تتماشى وقواعد اللعبة، وهو ما يتطلب تركيزا عاليا، ودراية واسعة، وإلماما شاملا بحيثيات ودواليب هذه الرياضة حتى يتسنى لهم التحكم في زمام الأمور دون انفلات يمكن أن يجر وراءه أحداثا يندى لها الجبين (Ligue Nord de Calais 2012) .

وإن كان دور الحكام يبدو للوهلة الأولى ممتعا وهينا إلا أن الواقع يفند هذا لكونهم يقعون أثناء المباريات تحت ضغوطات جمة يمكنها أن تضعف سلوكهم (أحمد يحي الزق 2006) أهمها ضغط اللاعبين وتصرفاتهم، والأنصار وأهوائهم، والمسيرين ورغباتهم، والمدربين واحتجاجاتهم، والصحفيين وانتقاداتهم، والقوانين وسرعة تطبيقها تماشيا مع طبيعة الخطأ الذي يخضع للملاحظة الثاقبة، والرؤية الصحيحة ، والتفسير السليم(Derrien B 2009) .

1- مشكلة البحث:

يلعب التحكيم دورا أساسيا في رياضة كرة القدم، فهو المحدد لمدى تطبيق قواعد اللعبة واحترامها من قبل اللاعبين فوق أرضية الميدان، وهو ما يتطلب دراية واسعة للقوانين المسيرة لدواليب هذه الرياضة، وقراءة صحيحة لحركية اللاعبين فرديا وجماعيا، ونظرة ثاقبة يصارع فيها الحكام الزمان والمكان لإصدار الأحكام في أجزاء من الثانية أحيانا .غير أن التوفيق وإن حالف الحكام في بعض قراراتهم فإنه لا يحالفهم في البعض الآخر تقديرا أو تقصيرا، مما يتعارض ورغبات اللاعبين، وميولاتهم، وأهدافهم، وهو ما قد يؤجج أوتار أعصابهم، ويخدش روح الحياء في نفوسهم، فيخرجون عن مجال النبل ليلجوا مستنقع الرذيلة لكونهم تحت ضغط المؤثرات الناجمة عن المثيرات خارجية الإثابة، وكذلك المثيرات داخلية الإثابة (أحمد أمين فوزي 2003).

ومن خلال هذه المعطيات تتضح معالم مشكلة هذا البحث التي يمكن التعبير عنها بالصيغة الاستفهامية الموالية:

- ما مدى تأثير قرارات الحكام على سلوك اللاعبين أثناء مباريات كرة القدم في الجزائر ؟
- وهل هناك قرارات قانونية تحكيمية مثيرة للجدل أكثر من غيرها ؟

2- أهداف البحث :

تتمثل أهداف البحث في :

- دراسة دور الحكام كعنصر تفاعلي في رياضة كرة القدم .
- دراسة علاقة الحكام بسلوك لاعبي كرة القدم .
- دراسة طبيعة قوانين كرة القدم .

3- منهج البحث:

إن المنهج الوصفي هو الأنسب والأصوب في مثل هذه البحوث لما ييسره من جمع للمعلومات والبيانات .فبالإضافة إلى دراسته للظواهر الطبيعية والاقتصادية والسياسية الراهنة، فهو يدرس مختلف الظواهر الاجتماعية دراسة كيفية توضح خصائصها، ودراسة كميه تبين حجمها، وتغيراتها وارتباطها مع الظواهر الأخرى. ومنه سعى الباحث إلى جمع مختلف المعلومات والمعطيات المتعلقة بقرارات الحكام التي يصدرونها خلال المباريات الرياضية ومدى تأثيرها على سلوك وتصرفات اللاعبين.

4- عينة البحث:

1.4- اختيار العينة: تتمثل عينة هذا البحث في لاعبي كرة القدم الذين ينشطون في البطولة المحترفة الأولى، والبطولة المحترفة الثانية، وبطولة القسم الوطني الثاني هواة. وهي عينة عشوائية طبقية لأنها تأخذ بعين الاعتبار الأقسام التي ينشط فيها اللاعبون. وذلك بتعداد إجمالي فعلي قوامه 136 لاعبا بعد أن كان العدد المبرمج 168 لاعبا بعد تملص 32 لاعبا من الإجابة على الاستبيان.

2.4- خصائص العينة: يمكن توضيح العدد التفصيلي للعينة حسب المستوى الرياضي كما يلي :

جدول رقم 01 : يوضح خصائص العينة وفق المستوى الرياضي .

الرقم	المستوى الرياضي	اللاعبون	عدد الفرق	المجموع النظري	المجموع الفعلي
01	الرابطة المحترفة الأولى	3 عن كل فريق	16	48	42
02	الرابطة المحترفة الثانية	5 عن كل فريق	16	80	60
03	القسم الوطني الثاني هواة	5 عن كل فريق	08	40	34
المجموع			40	168	136

5- مجالات البحث :

1.5- المجال الجغرافي: لقد امتدت حدود هذه الدراسة شرقا وغربا ووسطا لتشمل الفرق الجزائرية لكرة القدم للرابطة المحترفة الأولى والثانية وكذلك فرق القسم الوطني الثاني هواة التي تنشط في شرق البلاد.

2.5- المجال البشري: لقد انحصر المجال البشري في لاعبي كرة القدم الذين اختلف عددهم حسب طبيعة المستوى الذي يلعبون فيه. وقد بلغ تعداد العينة الفعلي 136 لاعبا يمثلون أكبر مستويات التأهيل الرياضي في الجزائر.

3.5-المجال الزمني: بعد الدراسة النظرية التي شكلت قاعدة الدراسة الميدانية والتي استغرقت ثلاثة (03) أشهر ابتداء من جويلية 2012 ، انطلقت الدراسة الميدانية التي استغرقت سبعة (07) أشهر كاملة تبعا لتعداد الفرق وطبيعة الاستبيان ليكون جمع المعلومات وترتيبها ومعالجتها إحصائيا بعد ذلك.

6- أدوات البحث:

إن أداة البحث التي تم استخدامها في هذه الدراسة هي الاستبيان الذي ضم: 11 بندا: أربعة منها عامة والسبعة الأخرى متعلقة بصلب الموضوع ومحاوره المتمثلة أساسا في:

- **المحور الأول:** ويتعلق بمدى تأثير قرارات الحكام على سلوك لاعبي كرة القدم في الجزائر.
- **المحور الثاني:** ويتعلق بمدى تفاوت إثارة قوانين رياضة كرة القدم للجدل في الجزائر .

لقد صمم هذا الاستبيان بشكل مغلق حتى يمكن من الحصول على البيانات بدقة .كما اتسمت أسئلته بالوضوح حتى يسمح للمفحوصين بالإجابة دون إجهاد فكري أو نفسي .

1.6-اختبار الصدق :لا يمكن للمقياس الصادق أن يتغير في جوهره ، وذلك في وجود عوامل خارجية صدفة قد تؤثر على النتائج .

لقد تم اعتماد صدق المضمون أو صدق المحتوى للتأكد من صدق الأداة، والمتكون من الصدق الظاهري المعبر عنه بتمثيل البنود مع الغاية من الدراسة. وكذلك الصدق المنطقي المعبر عنه بتمثيل البنود لمحتوى الأداة لتحقيق الصدق بنوعيه، ثم الرجوع إلى احتكام الخبراء من خلال توزيع الاستمارة على مجموعة من أساتذة التعليم العالي للحكم على مدى قياس البنود لما أعدت له.

2.6-اختبار الثبات: لقد تم الاعتماد على طريقة الاختبار وإعادة الاختبار على عشر (10) لاعبين من فريق جمعية الخروب من الرابطة المحترفة الثانية ، حيث سحبوا بطريقة عشوائية ، وحذفوا لاحقا من العينة النهائية للدراسة .وكانت المدة الفاصلة بين الاختبار الأول والاختبار الثاني 15يوما .

لقد تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين الاستجابتين الأولى والثانية ، وكان مساويا لـ 0.65 وهو معامل ثبات مقبول في مثل هذه الدراسات .

7- عرض وتحليل ومناقشة نتائج البحث :

1.7-المحور الأول: ما مدى تأثير قرارات الحكام على سلوك اللاعبين أثناء مباريات كرة القدم في الجزائر.

لقد احتوى هذا المحور أربع بنود أساسية جاءت نتائجها كما يلي :

البندالأول: هل لقرارات الحكام تأثير إيجابي أم سلبي على سلوككم أثناء المباريات ؟

جدول رقم 02: يبين النتائج الإحصائية للبند الأول للمحور الأول.

الإجابة	التكرار	النسبة%	الاختبار الإحصائي			
			كا^2 المحسوبة	كا^2 الجدولية عند0.05	درجة الحرية	النتيجة
إيجابي	102	75	34	3.84	1	وجود فرق معنوي
سلبي	34	25				
المجموع	136	100				

البند الثاني :هل يتشابه الحكام في تطبيقهم لقوانين كرة القدم وتحكيمهم أثناء المباريات ؟

جدول رقم 03: يبين النتائج الإحصائية للبند الثاني للمحور الأول.

الإجابة	التكرار	النسبة%	الاختبار الإحصائي			
			كا^2 المحسوبة	كا^2 الجدولية عند0.05	درجة الحرية	النتيجة
يتشابه	85	62.5	8.5	3.84	1	وجود فرق معنوي
لا يتشابه	51	37.5				
المجموع	136	100				

البند الثالث :هل ترون دور الحكام متماشيا مع قوانين اللعبة ؟

جدول رقم 04: يبين النتائج الإحصائية للبند الثالث للمحور الأول.

الإجابة	التكرار	النسبة%	الاختبار الإحصائي

			كا^2 المحسوبة	كا^2 الجدولية عند0.05	درجة الحرية	النتيجة
متماشي	47	65.44	12.96	3.84	1	وجود فرق معنوي
غير متماشي	89	34.56				
المجموع	136	100				

البند الرابع :هل ترون أن قرارات الحكام يمكن أن تؤدي إلى أحداث عنف في الملاعب ؟

جدول رقم 05: يبين النتائج الإحصائية للبند الرابع للمحور الأول.

الإجابة	التكرار	النسبة%	الاختبار الإحصائي			
			كا^2 المحسوبة	كا^2 الجدولية عند0.05	درجة الحرية	النتيجة
نعم	95	69.85	21.43	3.84	1	وجود فرق معنوي
لا	41	30.15				
المجموع	136	100				

إنه وبالعودة إلى النتائج الإحصائية المحصل عليها والمتمثلة في مربع كاي المحسوبة في البنود الأربعة، وكذلك X^2 الحرجة المستخرجة من جدول توزيع مربع كاي، وهي موجودة في تقاطع الصف الأول الذي يدل على درجات الحرية للإحصائي X^2 وهو عبارة عن (عدد الفئات -1) وهي هنا فئتان في كل بند، والعمود الذي يدل على مستوى الدلالة المستخدم لاختبار الفرضية وهو هنا (0.05)، نجد أن القيمة الحرجة لـ X^2 هي : 3.84. وبما أن القيم المحسوبة في البنود الأربعة أكبر من القيمة الحرجة، أي أنها تقع في منطقة الرفض، فإننا نرفض الفرضية الصفرية التي تشير إلى أن قرارات الحكام لا تؤثر على سلوك اللاعبين أثناء مباريات كرة القدم، ونقبل الفرضية البديلة التي تشير إلى أن قرارات الحكام تؤثر على سلوك اللاعبين أثناء مباريات كرة القدم .

2.9- المحور الثاني: ما مدى تفاوت قوانين كرة القدم في إثارتها للجدل.

لقد احتوى هذا المحور ثلاث بنود أساسية جاءت نتائجها كما يلي:

البند الأول: كيف يكون إحساسكم و تصرفكم عندما يعلن الحكم عن ضربة جزاء ضد فريقكم حتى و إن كنتم ترون أنها صحيحة ؟

جدول رقم 06: يبين النتائج الإحصائية للبند الأول للمحور الثاني .

الإجابة	التكرار	النسبة%	الاختبار الإحصائي			
			$كا^2$ المحسوبة	$كا^2$ الجدولية عند0.05	درجة الحرية	النتيجة
الرضى	10	07.35	25.93	7.81	3	وجود فرق معنوي
القلق	41	30.15				
الانفعال اللفظي	50	36.76				
مجادلة الحكم	35	25.74				
المجموع	136	100				

البند الثاني : كيف يكون إحساسكم وتصرفكم عندما يعلن الحكم عن رمية تماس ضد فريقكم حتى وإن كانت خاطئة ؟

جدول رقم 07: يبين النتائج الإحصائية للبند الثاني للمحور الثاني .

الإجابة	التكرار	النسبة%	الاختبار الإحصائي			
			$كا^2$ المحسوبة	$كا^2$ الجدولية عند0.05	درجة الحرية	النتيجة
عدم الاكتراث	65	47.80	72.39	7.81	3	وجود فرق معنوي
القلق	48	35.30				
الانفعال اللفظي	23	16.90				
مجادلة الحكم	00	00				
المجموع	136	100				

البند الثالث :كيف يكون إحساسكم وتصرفكم عندما يعلن الحكام عن ضربة جزاء ضد فريقكم وهي خاطئة ؟

جدول رقم 08: يبين النتائج الإحصائية للبند الثالث للمحور الثاني .

الإجابة	التكرار	النسبة%	الاختبار الإحصائي			
			كا^2 المحسوبة	كا^2 الجدولية عند0.05	درجة الحرية	النتيجة
الرضى	00	00	126.75	7.81	3	وجود فرق معنوي
القلق	06	04.41				
الانفعال اللفظي	50	36.76				
مجادلة الحكم	80	58.83				
المجموع	136	100				

إنه ومن خلال النتائج المحصل عليها للبنود الثلاثة للمحور الثاني ، يتضح أن X^2 الجدولية أصبحت مساوية لـ 07.81 باعتبار أنها ناتجة عن تقاطع الصف الثالث الذي يدل على درجات الحرية للإحصائيX^2 وهو عبارة عن (عدد الفئات -1) وهي هنا أربع فئات ، والعمود الذي يدل على مستوى الدلالة المستخدم لاختبار الفرضية وهو (0.05).

وبما أن كل القيم المحسوبة لـ :X^2 أكبر من القيمة الحرجة (07.81) أي أنها تقع في منطقة الرفض، فإننا نرفض الفرضية الصفرية التي تشير إلى أن هناك قوانينا تحكيمية مثيرة للجدل أكثر من غيرها .

خاتمة

إنه ومن خلال إتباع مختلف الخطوات العلمية والمنهجية المتعلقة بموضوع هذه الدراسة اتضح أن للحكام دورا هاما ومؤثرا على سلوك لاعبي كرة القدم في الجزائر باعتبارهم أحد أهم العناصر الفاعلة التي تشرف على إدارة المباريات ، تبعا لما تتركه القرارات التي يصدرونها من أثر في نفوس اللاعبين سواء أكانت هذه القرارات صحيحة أم خاطئة .ويصل هذا التأثير أحيانا إلى حالة الهيجان عندما يشعر اللاعبون بإجحاف الحكام في حقهم. كما بينت هذه الدراسة أن تأثر اللاعبين بقرارات الحكام متفاوت، فهو يصل إلى ذروته عندما يتعلق الأمر بقانون يضر بمصلحة اللاعبين ضررا مباشرا كما هو الحال أثناء تسجيل هدف للمنافس أو منحه ضربة جزاء حتى و إن كان قرارهما صحيحا، بينما لا يتأثر اللاعبون ببعض القرارات حتى وإن كان الحكام مخطئون في إصدارها، لأنها لا تضر بمصلحتهم بشكل مباشر كما هو الحال في رمية التماس .

المراجع :

1- أحمد أمين فوزي: مبادئ علم النفس الرياضي (المفاهيم والتطبيقات، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003.

2- أحمد حسين الرفاعي : مناهج البحث العلمي ، دار وائل للنشر ، الأردن ،2005.

3- أحمد يحي الزق: علم النفس ،دار وائل للنشر عمان ، الأردن ،2006.

4- محمد حسن علاوي: علم النفس التدريب والمنافسة الرياضية، دار الفكر العربي القاهرة 2002.

5- عبد المعطي محمد عساف، يعقوب عبد الرحمان، مازن مسودة: التطورات المنهجية وعملية البحث العلمي ، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، 2002 .

6- صدقي نور الدين محمد: علم النفس الرياضي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2004.

7-Schalit, J et Friha K : Pourquoi y a-t-il de la violence sur les stades ? Gallimard 2010.

8-Derrien ,B : A Bas l'arbitre,Ed. Book Amazon 2009.

9- Ligue du Nord Pas-de-Calais - Le football et ses règles - Comprendre. Le football et ses règles - Comprendre l'arbitrage (Broché). Édition 2012.

10- Beauchard ,J: La puissance des foules, 1ere édition, Presses Universitaires de France - Puf, Paris (1985)

11-Brohm, J.M : Sociologie politique du sport. Revue Corps et culture, Numéro 1 -1995.

12-Magnane, G. Sociologie du sport, Éditions Gallimard, 1964

13- Deshaies J.L: Football, spectacle et violence, Ed. Chiron, Paris, 1987.

العلاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي العاب القوى في الجمهورية اليمنية، والتعرف على مستوى إدراك الذات البدنية ومستوى حالة القلق التنافسي لدى اللاعبين، كما هدفت إلى التعرف على العلاقة بين إدراك الذات البدنية وإبعادها (المظهر الخارجي للجسم، القوة البدنية، اللياقة البدنية، الكفاءة الرياضية، وقيمة الذات البدنية) وحالة القلق التنافسي لديهم، وقد استخدم المنهج الوصفي في الدراسة، وتم اختيار عينة الدراسة لاعبي العاب القوى في الدرجة الأولى (فئة أكابر) عدد (70 لاعبا) ، أدوات الدراسة استخدم مقياسين المقياس الأول يقيس إدراك الذات البدنية وقد صمم المقياس فوكس Fox ، والمقياس الثاني يقيس حالة القلق التنافسي من تصميم مارتنز Martens وعرب المقياسين الباحث محمد حسن علاوي ، أهم النتائج المتحصل عليها في الدراسة وجود علاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي العاب القوى في الجمهورية اليمنية أي كلما كان إدراك الذات البدنية لدى اللاعبين ضعيفا من ناحية (المظهر الخارجي للجسم، القوة البدنية، اللياقة البدنية، الكفاءة الرياضية، وقيمة الذات البدنية) أدى إلى زيادة مستوى حالة القلق لدى اللاعبين أثناء منافسات العاب القوى.

د. مراد صحراوي
د. شريف مصطفى بورنان
جامعة الجزائر3
أ. محمد مهدي يحي الحوري
جامعة الحديدة - اليمن

Résumé

L'objectif de cet article est de déterminer la relation entre la perception de soi physique (l'image du corps, la force physique, l'efficacité sportive, etc.) et l'état de stress chez les athlètes yéménites pendant les épreuves d'athlétisme. Les outils d'investigation utilisés sont les fiches d'évaluation de la perception de soi physique et du stress de Fox et Martens.

مقدمة

اهتمت معظم دول العالم اهتماما خاصاً بألعاب القوى، وذلك لأنها عصب الدورات الأولمبية القديمة والحديثة وتشغل أكثر من نصف عدد الأيام المقررة لهذه الدورات، وأم الألعاب انطلاقا من امتلاك متسابقيها للأسس العامة للقدرة الحركية المتنوعة في عناصرها والشاملة لما تحتويه على العديد من السباقات المتنوعة، حيث تعتمد على القدرات الخاصة للاعب والمتمثلة في تطوير الإنسان لذاته للوصول للمستويات العالمية من الإنجاز، مما يساعد على النمو المتزن والمتكامل للفرد،

قوى من الأنشطة التربوية الأساسية في مختلف

© جامعة قسنطينة1 ، الجزائر 2013.

المؤسسات التربوية؛ ويتم خلال ممارستها تكوين الشخصية الناضجة انفعالياً (عويسي الحيالي1977، ص9).

ناهيك عن مفهوم الذات بمثابة الركيزة الأساسية في الشخصية الإنسانية، وهو احد أهم عناصر التوجيه النفسي، فمفهوم اللاعب الرياضي عن ذاته ومعتقداته عن نفسه يكتسبها غالباً من تقديراته الشخصية عن نفسه، وكذلك عن طريق إدراك الكيفية التي يستجيب بها الآخرون تجاهه أو كيفية ردود أفعالهم نحو ما يقوم به من سلوك أو أفعال، بمعنى أوضح أن اللاعب الرياضي يرى نفسه أنه لاعب ناجح وأن الآخرين يرون ذلك أيضاً فإن ذلك يؤكد ويدعم هذه الصورة عن نفسه وعن ذاته(محمد علاوي 1998، ص 88-91).

وتعتبر (الذات الجسمية) أو البدنية من بين الأبعاد التي تلعب دوراً مهماً في مفهوم الذات وتحتل مكانة كبيرة في المجال الرياضي وهي التي يقوم فيها الفرد وجهة نظره عن جسمه، حالته الصحية مظهره البدني الخارجي، مهارته وجنسه. فمفهوم الفرد عن ذاته الجسمية أو البدنية له أهمية تؤثر في النشاط الرياضي الذي يمارسه الفرد، كما يؤثر في مستوى أدائه الحركي(إخلاص عبد الحافظ 1984، ص2- 21). ومن ناحية القلق له آثار واضحة ومباشرة على اختلال الوظائف النفسية الجسمية، أو كلاهما، وهو نوع من أنواع الانفعالات التي يشعر بها الفرد؛ والتي يصاحبها حالة الخوف غير الواضح سلبياً أو ايجابياً بوجود خطر أو عقاب، وقد أشار العديد من الباحثين إلى أن القلق يعتبر بمثابة إنذار أو إشارة لتعبئة كل قوى الفرد النفسية والجسمية لمحاولة الدفاع عن الذات والحفاظ عليها، وفي المنافسات الرياضية تنتاب اللاعب الرياضي بعض مظاهر أبعاد حالات القلق أثناء اشتراكه الفعلي في المنافسة، وبصفة خاصة حالة القلق المعرفي وسرعة وسهولة الانفعال، إلا أن هذه المظاهر لا تظل ثابتة أثناء المنافسة؛ بل قد تتغير وتتبدل طبقاً للعديد من العوامل مثل النتيجة المسجلة أثناء المباراة، أو الأداء الجيد، أو الأداء السيئ للاعب الرياضي، وهناك بعض أنواع المنافسات الرياضية التي لا يمكن فيها التأثير على حالة القلق للاعب الرياضي أثناء المنافسة، ومن أمثلتها أنواع المنافسات التي تستغرق وقتاً قصيراً، كما هي الحال بالنسبة لمسابقات المسافات القصيرة في ألعاب القوى، إذ لا يمكن في مثل هذه المسابقات ضبط أو تعديل حالة قلق للاعب أثناء المنافسة (محمد علاوي 2002، ص 314).

مشكلة البحث:

تعتبر مسابقات ألعاب القوى (والتي توصف بأنها عروس الألعاب) من الأنشطة المهمة والأساسية في التربية الرياضية لما تتميز به من تنوع فعاليتها كالجري والوثب والرمي.... وتنافس الدول المختلفة فيما بينها لاحتلال المراكز الأولي نظراً لكونها مظهراً من مظاهر التقدم الرياضي، ولا يتسنى ذلك إلا بتحقيق كل رياضي للأداء المطلوب أثناء المنافسة لأنها تعتمد على اللاعب نفسه، لذلك تعتبر هذه الرياضة مجالاً

تطبيقيا خصباً لعلم النفس الرياضي بما ترتبط به من الظواهر والعوامل النفسية المختلفة؛ التي تؤثر علي أداء اللاعبين ومستوياتهم الرقمية سواء في التدريب أم البطولات، إلا أننا نجد هذه الرياضة في الجمهورية اليمنية لا تساير التقدم الرياضي على المستوى الإقليمي والقاري والدولي، ويستدل على ذلك لقلة عدد المشاركين، في حين أن بعض الدول العربية استطاعت أن تواكب هذا التقدم وان يحصل لاعبوها على مراكز متقدمة، مما يدل أن هناك أسباباً وراء تأخر مستوي رياضة ألعاب القوي اليمنية، ومن خلال الملاحظة الموضوعية للباحثين أثناء مشاركته في ألعاب القوى لاحظوا أن كثيراً من اللاعبين يتميزون بمستوى مقبول من الأداء الفني والمستوى الرقمي أثناء التدريب بمجرد اشتراك اللاعب في المنافسات يظهر عليه مواقف حرجة، وتنتابه حالة عدم التركيز، والتوتر والخوف، ونسيان الواجبات المكلف بها أثناء المنافسة مما يؤدي إلي انخفاض مستوى أدائه الذي كان عليه أثناء التدريب، هذا كله من الممكن أن يكون بسبب زيادة قلقه أثناء المنافسة نتيجة افتقاره لمعلومات كافية حول منافسيه أو نقص إعداده البدني أو ضعف الثقة في النفس، وذلك لاهتمام العديد من المدربين فقط بالإعداد البدني والمهاري والخططي داخل البرنامج التدريبي ويغفلون الجانب النفسي مما ينعكس بشكل سلبي على أداء اللاعبين ومستواهم الرقمي، وللحد من هذه الظاهرة والوصول برياضة ألعاب القوى اليمنية إلى المستوى المطلوب يتوجب استغلال كل القدرات المتاحة، ومن هذه القدرات الجوانب النفسية التي لم تحظ بالعناية الكافية من المدربين، حيث لا يزال هناك العديد من المشكلات النفسية المرتبطة بالشخصية الرياضية، وبالنشاط الرياضي، وذلك كله في حاجة ماسة إلى أن يتناولها الباحثون بالبحث والدراسة، ومن بينها الاهتمام بالمحددات الشخصية للاعبين، وما يترتب عليها من ضعف أو قوة في إدراكهم لذاتهم البدنية من ناحية (المظهر الخارجي للجسم، القوة البدنية، اللياقة البدنية، الكفاءة الرياضية، وقيمة الذات البدنية)، والتي قد تؤثر في رفع أو خفض حالة القلق أثناء المنافسات الرياضية في ألعاب القوى، والذي ينعكس بدوره على تحقيق مستوى الأداء والإنجاز المطلوب، وهو ما يؤكده الباحث " أسامه كامل راتب " بان القلق من أهم الظواهر النفسية التي تلعب دورا مهماً في التأثير على أداء الرياضيين، وان هذا التأثير قد يكون ايجابيا يدفعه لبذل المزيد من الجهد، أو بصورة سلبية تعوق الأداء(أسامه راتب 2000، ص157). كما يؤكد " عزت محمد كاشف " على أن الإعداد والتدريب النفسي واحد من أكثر الطرق تأثيراً وفعالية في المساعدة على تحقيق النمو المتوازن للأفراد والرياضة، خاصة؛ حيث تثبت وجود مصداقية لفاعلية الإعداد النفسي خلال التدريبات والمسابقات الرياضية(عزت كاشف 1996، ص28). وانطلاقا مما سبق فان الدراسة الراهنة تسعى للبحث والكشف عن أحد الجوانب النفسية لرياضيي ألعاب القوى من خلال دراسة العلاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي؛ ومن أجل ذلك تم صياغة التساؤلات الآتية:

السؤال العام: هل توجد علاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية؟

الأسئلة الفرعية:

1. هل توجد علاقة بين إدراك الذات نحو المظهر الخارجي للجسم وحالة القلق التنافسي لدى اللاعبين؟

2. هل توجد علاقة بين إدراك الذات نحو القوة البدنية وحالة القلق التنافسي لدى اللاعبين؟

3. هل توجد علاقة بين إدراك الذات نحو اللياقة البدنية وحالة القلق التنافسي لدى اللاعبين؟

4. هل توجد علاقة بين إدراك الذات نحو الكفاءة الرياضية وحالة القلق التنافسي لدى اللاعبين؟

5. هل توجد علاقة بين إدراك الذات نحو قيمة الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى اللاعبين؟

أهمية الدراسة:

1. تعتبر هذه الدراسة محاولة لدراسة جانب من الجوانب النفسية المهمة والمرتبطة بالمجال الرياضي وهو دراسة العلاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي العاب القوى بالجمهورية اليمنية.

2. تعتبر هذه الدراسة كمحاولة لتوضيح أهمية إدراك الذات البدنية للاعبي العاب القوى وتأثيرها على مستوى حالة القلق التنافسي لديهم.

3. تعتبر دراسة العلاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي بداية لدراسات مستقبلية يمكن أن يتناولها الباحثون بمزيد من البحث سواء في المجال الرياضي أم في أي مجال علمي آخر.

أهداف الدراسة:

1. معرفة مستوى إدراك الذات البدنية لدى لاعبي العاب القوى بالجمهورية اليمنية.

2. معرفة مستوى حالة القلق التنافسي لدى لاعبي العاب القوى بالجمهورية اليمنية.

3. معرفة العلاقة بين إدراك الذات البدنية وإبعادها (المظهر الخارجي للجسم، القوة البدنية واللياقة البدنية، الكفاءة الرياضية، وقيمة الذات البدنية)وحالة القلق التنافسي .

4. معرفة العلاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي العاب القوى في الجمهورية اليمنية.

المفاهيم الدالة:

1- الإدراك: عبارة عن عملية تنظيم وتفسير المعطيات الحسية التي تصل (الأحاسيس) لزيادة الوعي بما يحيط بنا وبذواتنا، فالإدراك يشمل التفسير، وهذا مالا يتضمنه الإحساس، وفي بعض الحالات تبرز القدرات الحسية وظيفتها بينما تكون القدرات الإدراكية غير متطورة نسبياً، ويعد الإدراك من العمليات النشطة والمعقدة جدا، فهو يتضمن الإحساس والانتباه والوعي والذاكرة وتجهيز المعلومات واللغة (قاسم حسين 1998، ص 42)

2- الذات: يقصد بالذات كما عرفها " سميث Smith " على أنها التقويم الذي يقوم به الفرد لذاته ويحافظ عليه عادة وأيضاً عرقها "جيلمور Gilmore" بأنه حكم ذاتي على الأهمية التي يشعر الفرد نحو ذاته (Gill .P.L.1993.p314)

3- الذات البدنية (الجسمية): هي الأنا البدنية التي استخدمها "فرويد" للتعبير عن ذلك الجانب من الذات الذي يستمد وجوده من مدركات تصله عن طريق جسمه، ويستخدم في دراسة العلاقة بين بنية الجسم وبعض الاعتبارات النفسية كالذهان. (أمين الحولي وآخرون, 2004,ص128)

5- حالة القلق التنافسي: يدل على خوف من خطأ أو تهديد محتمل الوقوع نسبياً، والقلق يكون صفة لدى الفرد، ويكون حالة لدية نتيجة خوفه وإحساسه بالخسارة أو عدم الاستعداد الجيد لعلاقات الخصم، وتحصل هذه الحالة لدى اللاعبين عند الاقتراب فترة المنافسات حيث يكون الرياضي في تفكير دائم وغير مستقر نسبيا، يوجد في الإدراك ويعبر عن ميل الفرد إلى تكملة المثيرات، أو المعلومات الناقصة (قاسم حسن حسين , 1998, ص 630)

6- ألعاب القوى: يعرفها قاسم حسن حسين بأنها الارتباط المشترك بين الفعاليات الرياضية،كالمشي والركض والقفز والرمي والقذف، بحيث قانون اللعبة يكون فيها نافذاً لأقصر فترة زمنية وابعد مسافة أو ارتفاع نسبة الفعاليات الواحدة هذا وتعد فعاليات ألعاب القوى محور الألعاب الاولمبية، كما تعد فعاليات الركض والرمي والقفز أقدم التمرينات البدنية (قاسم حسين 1998, ص 97).

الدراسات السابقة والمشابهة:

في حدود ما تمكن الباحثين من الوصول إليه من دراسات سابقة تم تقسيمها إلى الآتي:

- دراسات تناولت إدراك الذات البدنية.

- دراسات تناولت حالة القلق التنافسي.

الدراسات التي تناولت الذات البدنية:

دراسة "زيون Zion"(1965) العلاقة بين مفهوم الذات والذات الجسمية، للتعرف على العلاقة بين مفهوم الذات والذات الجسمية على طلبة السنة الأولى من كلية هامبولت بالولايات المتحدة الأمريكية، استخدم المنهج الوصفي – الدراسات المسحية، وتم اختيار عينة البحث بالطريقة العشوائية من كلية هامبولت بالولايات المتحدة الأمريكية وبلغت مجموعها (200) طالباً من السنة الأولى، واستخدم الباحث الأدوات الإحصائية التالية مقياس "روبرت بلز" لمفهوم الذات – اختبار طور بواسطة "زيون" ويتكون من خمسة أبعاد من مقياس "جتمان Guttman" شمل أبعاد (الذات الواقعية، تقبل الذات، الذات المثالية والتباعد)، ومن أهم نتائج الدراسة التي توصل إليها يوجد ارتباط دال إحصائياً بين الذات الجسمية المثالية ومفهوم الذات المثالي، ويوجد ارتباط دال إحصائياً بين مقياس التباعد ومفهوم الذات، وتوجد علاقة دالة إحصائياً بين مفهوم الذات ومفهوم الذات الجسمية في معظم الأبعاد المقيسة.

دراسة "كون Cone" (1980) العلاقة بين مفهوم الذات والخصائص الجسمية المختارة بين لاعبات الفرق الرياضية وغير المشتركين في النشاط الرياضي هدفت إلى التعرف على مفهوم الذات والخصائص الجسمية المختارة بين اللاعبات وغير اللاعبات، والفرق بين اللاعبات في النشاط الرياضي وغيرهن في مفهوم الذات والخصائص الجسمية، وقد استخدم المهج الوصفي الدراسات المسحية، اشتملت العينة على (99) طالبة منهم (48) طالبة من اللاعبات، (51) طالبةً من غير المشتركات في النشاط الرياضي، وقد استخدم مقياس تنسي لمفهوم الذات، جدول "شلدون" لتقييم النمط الجسمي _ اختبار تكساس لقياس اللياقة البدنية والقدرة الحركية للطالبات، من أهم النتائج التي تحصل عليها وجود فروق دالة إحصائيا بين اللاعبات وغير المشتركات في النشاط الرياضي في أبعاد مفهوم الذات فيما عدا الذات الجسمية لصالح اللاعبات.

دراسة "ثائر رشيد حسن" (2005) بعنوان تقدير الذات البدنية والمهارية وعلاقتها بدقة أداء المهارات الهجومية بالكرة الطائرة، أهداف البحث التعرف على مستوى تقدير الذات البدنية والمهارية وعلاقتها بدقة أداء المهارات الهجومية لدى لاعبي الكرة الطائرة، التعرف على دقة أداء المهارات الهجومية، فرضياتها وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى تقدير الذات البدنية ودقة المهارات الهجومية، وجود علاقة ذات دلالة مستوى تقدير الذات المهارية ودقة أداء المهارات الهجومية، عينة البحث (12) لاعب منتخب محافظة ديالى بالكرة الطائرة، أدوات البحث استخدم الباحث أدوات المقياس لتقدير الذات البدنية والمهارية واستخدم اختبارات المهارات الهجومية، المنهج المستخدم الوصفي بالأسلوب المسحي، نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباطية معنوية

موجبة بين الذات المهارية والمهارات الهجومية، عدم وجود علاقة ارتباطية بين الذات ومهارة الإعداد، عدم وجود علاقة ارتباط بين الذات المهارية ومهارة الإعداد، ظهر أن هناك ضعفاً في دقة أداء مهارة الإعداد، من خلال الارتباط الضعيف مع الذات البدنية و الذات المهارية.

الدراسات التي تناولت القلق

دراسة "حسن على زيد" (1981) بعنوان القلق كحالة وكسمة لدى متسابقي ألعاب القوى، تهدف الدراسة إلى التعرف على الفروق بين مسابقات العاب القوى (الجري، الوثب، والرمي) في قلق السمة التنافسية وقلق الحالة ما قبل المنافسة عند كل من اللاعبين واللاعبات، المنهجية المتبعة المنهج الوصفي، العينة المستهدفة لاعبات الدرجة الأولى، أدوات جمع البيانات مقياس القلق كحالة ومقياس القلق كسمة، أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متسابقات ألعاب القوى (الجري، الوثب، الرمي) وذلك في كل من قلق السمة التنافسية وقلق الحالة قبل المنافسة عند كل من اللاعبين واللاعبات.

دراسة "حسن على احمد زيد" (1984) بعنوان العلاقة بين شدة المنافسة وقلق الحالة التنافسية عند متسابقي العاب القوى، أهداف الدراسة التعرف على العلاقة بين شدة المنافسة وقلق الحالة عند متسابقي العاب القوى والتعرف على الفروق في قلق الحالة في أربعة مواقف تختلف في درجة صعوبتها وتهديدها للاعبين، المنهج المستخدم في الدراسة المنهج الوصفي، العينة المستهدفة (30) لاعبا منهم أربعة عشرة لاعب في مسابقات العدو، وخمسة لاعبين في مسابقات الجري، ستة لاعبين في مسابقات الوثب، خمسة لاعبين في مسابقات الرمي، أدوات جمع البيانات اختبار قلق الحالة التنافسية "لمارتنز"، أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن مستوى قلق الحالة التنافسية عند لاعبي العاب القوى يتوقف على صعوبة وأهمية المنافسة، توجد علاقة موجبة دالة إحصائيا بين قلق الحالة قبل المنافسة عند لاعبي ولاعبات العاب القوى.

دراسة "أحمد السيد أحمد" (1985) بعنوان القلق كحالة وكسمة لدى الناشئين في مسابقات الميدان والمضمار، أهداف الدراسة التعرف على العلاقة بين القلق كحالة وكسمة، والمستوى الرقمي وعدد السنوات الممارسة من ناشئي وناشئات ألعاب القوى. المنهج المستخدم الوصفي، اشتملت العينة على (180) ناشئاً (120) ناشئة من لاعبين ألعاب القوى، أدوات جمع البيانات مقياس القلق كحالة، مقياس القلق كسمة. أهم نتائج الدراسة توجد علاقة بين القلق كحالة ما قبل المنافسة والقلق كسمة تنافسية لدى الناشئين في الميدان والمضمار.

مناقشة الدراسات السابقة:

بالنسبة لمتغير الذات تحصلنا على دراسة "زيون Zion" هدفت إلى التعرف على

العلاقة بين مفهوم الذات والذات الجسمية، دراسة "كون Cone" التعرف على العلاقة بين مفهوم الذات والخصائص الجسمية، ودراسة عربية لـ "ثائر رشيد حسن" هدفت إلى التعرف على تقدير الذات البدنية والمهارية وعلاقتها بدقة أداء المهارات الهجومية.

أما متغير القلق توصلنا إلى دراسات للباحثين "حسن علي زيد" تهدف الدراسة الأولى إلى التعرف على الفروق بين مسابقات ألعاب القوى(الجري، الوثب، والرمي) في قلق السمة التنافسية وقلق الحالة ما قبل المنافسة، الدراسة الثانية هدفت إلى التعرف على العلاقة بين شدة المنافسة وقلق الحالة عند متسابقي ألعاب القوى والتعرف على فروق قلق الحالة في أربعة مواقف تختلف في درجة صعوبتها وتهديدها للاعبين، والدراسة الثالثة دراسة "أحمد السيد أحمد" فقد هدفت إلى التعرف على العلاقة بين القلق كحالة وكسمة والمستوى الرقمي وعدد السنوات الممارسة من ناشئي وناشئات ألعاب القوى.

نستخلص من ذلك الآتي:

- الدراسات السابقة لم تتناول دراسة العلاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي.
- الدراسات السابقة التي تناولت الذات أو القلق كانت من جانب واحد من جوانب دراستنا.
- الدراسات السابقة تناولت القلق كمتغير مستقل.

هذا ما ساعد الباحثون على دراسة العلاقة بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى، وتحديد أهداف الدراسة ومنهجيتها والأدوات المستخدمة لنخرج بنتائج قد تسهم في معالجة مشكلة تتعلق برياضة ألعاب القوى.

الدراسة الاستطلاعية:

قد قام الباحثون بتطبيق الاختبارين على نادي شباب الجيل بالحديدة، كعينة تجريبية أولية يمثلون إلى حد كبير مفردات العينة الأصلية التي ستجرى عليها الدراسة الميدانية.

منهج الدراسة: يعد هذا البحث أحد البحوث الوصفية، التي تهتم بفهم وتحليل وصف الظواهر النفسية لدى الأفراد؛ ولكون حالة القلق التنافسي وإدراك الذات البدنية ظاهرة نفسية يمكن الشعور بها وتحديد أبعادها، فإن هذا البحث يعتمد على المنهج الوصفي.

أدوات الدراسة: تتكون استمارة الاستبيان الموجهة إلى رياضيي العاب القوى من استمارتين.

الاستمارة الأولى: تقيس حالة قلق المنافسة الرياضي.

الاستمارة الثانية: تقيس إدراك الذات البدنية لدى الأفراد ويتضمن المقياس5 أبعاد هي:المظهر الخارجي للجسم، القوة البدنية، الحالة البدنية (اللياقة البدنية) ،الكفاءة الرياضية، قيمة الذات البدنية.

الثبات: للتأكد من ثبات الاستبيان قام الباحثون بتوزيع الاستمارات الخاصة باختبار قلق المنافسة واختبار إدراك الذات البدنية على عينة صغيرة ممثلة بلاعبي العاب القوى بنادي (شباب الجيل) وهو احد أندية الدرجة الثانية بمحافظة الحديدة وعددهم(15) لاعب وهم يمثلون جزء من أفراد عينة المجتمع الحقيقي، ثم قمنا بجمع الاستمارات بعد إجاباتهم كلها واعدنا توزيع هذه الاستمارة في نهاية الأسبوع الثاني على نفس العينة، بعد ما قمنا بدراسة استطلاعية على اللاعبين على مرحلتين اختبار قبلي واختبار بعدي، قمنا بحساب قيمة الثبات للمقياسين بطريقة(α) كرونباخ وجدنا اختبار القلق درجته تقدر بـ (0.73) وهو ما يدل على أن الاختبار ثابت، واختبار إدراك الذات البدنية تقدر درجته بـ (0.77) وهو ثابت، يمكن تطبيق الاختبارين على العينة الأصلية.

اختبار الصدق: وللتأكد من صدق الاختبارين المكيفة لملائمتهما على البيئة اليمنية استخدم الباحثون معامل الصدق الذاتي وهو (الجذر التربيعي لمعامل الثبات) حيث بلغت درجة الصدق للذات البدنية بـ(0.87) أما درجة القلق التنافسي (0.85) يتضح بان الاختبارات تتمتع بدرجة صدق ذاتي عالية .

عينة الدراسة: ولقد تم اختيار عينة البحث بالطريقة العمدية كون العينة تمثل أندية للدرجة الأولى.

مجالات الدراسة:

المجال البشري: اعتمدت هذه الدراسة على عينة مكونة من (70) لاعب العاب القوى من أندية الدرجة الأولى بالجمهورية اليمنية وجميعهم يمثلون المجتمع الأصلي للدراسة.

المجال المكاني: تم تحديد المجال المكاني لهذه الدراسة لمجموعة أندية الدرجة الأولى لألعاب القوى وعددها(10)أندية والذين شاركوا في بطولة الجمهورية التي أقيمت في محافظة ذمار وهي: الهلال (محافظة الحديدة)، النصر(محافظة حجه)، هلال فوه والتضامن (محافظة حضرموت الساحل)، وحدة تريم (محافظة حضرموت الوادي)، شباب رخمه وسلام معبر (محافظة ذمار)، ريدان (محافظة شبوه)، التلال والوحدة (محافظة عدن).

المجال الزماني: الموسم الرياضي 2008م للفترة من 25 – 28 أغسطس.

الأدوات الإحصائية المستخدمة: لقد تم إخضاع النتائج المتحصل عليها في شكلها الكمي وهذا قصد التحليل إلى المعالجة باستخدام حزمة البرامج الإحصائية (SPSS) وذلك لحساب المعامل الإحصائية التالية: لمتوسط الحسابي، الانحراف المعياري، النسبة المئوية، اختبار كا$_2$ لدلالة الفروق، معامل الارتباط كاندل ومعامل الثبات α كرنباخ، معامل الصدق الذاتي.(محمد رضوان, 2002,ص334).

عرض ومناقشة الدراسة الميدانية في ضوء الفرضيات

أولاً: عرض نتائج الدراسة الميدانية:

جدول (01) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية الخاصة بمحاور مقياس إدراك الذات البدنية

محور المقياس / القيمة	المظهر الخارجي للجسم	القوة البدنية	اللياقة البدنية	الكفاءة الرياضية	قيمة الذات البدنية	الذات البدنية ككل	المتوسط النظري للمحاور	المتوسط النظري ككل
المتوسط الحسابي	11.22	12.36	14.16	14.82	13.62	66	15	75
الانحراف المعياري	0.06	0.06	6.48	6.36	6.12	29.4		

يتضح من الجدول(01) الذي يمثل الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لإدراك الذات البدنية للاعبين أن المتوسط الحسابي للمظهر الخارجي للجسم يقدر بـ (11.22) وانحراف معياري (0.06)، وبالنسبة للقوة البدنية فقد بلغ المتوسط الحسابي (12.36) وانحراف معياري (0.06)، وبلغ المتوسط الحسابي للياقة البدنية (14.16) وانحراف معياري (6.48)، في حين بلغ المتوسط الحسابي للكفاءة الرياضية (14.82) وانحراف معياري (6.36)، وبلغ المتوسط الحسابي لقيمة الذات البدنية (13.62) وانحراف معياري (6.12)، أما بالنسبة للذات البدنية اللاعبين ككل فقد بلغ المتوسط الحسابي (66) وانحراف معياري (29.4)، من خلال نتائج قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد الذات البدنية ومقارنتها مع المتوسط النظري البالغ درجته(15) يتبين لنا أن المتوسط الحسابي للمظهر الخارجي للجسم القوة البدنية، اللياقة البدنية، الكفاءة البدنية، قيمة الذات، أقل من المتوسط النظري وهذا يدل على ضعف إدراك اللاعبين لذاتهم في هذه الأبعاد، وعليه كانت درجة إدراك لاعبي العاب القوى بالجمهورية اليمنية لذاتهم البدنية ككل أقل من المتوسط النظري البالغ درجته(75) وهو ما يؤكد ضعف إدراك اللاعبين للذاتهم البدنية، ولكن هذا لا ينفي وجود فروق فردية في مستويات إدراك الذات البدنية بين اللاعبين، أي أن هناك بعض اللاعبين لديهم ضعف في إدراكهم لذاتهم البدنية والبعض الآخر لديهم إدراك عالي.

جدول (02) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية الخاصة بمحاور مقياس حالة القلق التنافسي

محور المقياس / القيم	القلق المعرفي	القلق البدني	الثقة بالنفس	حالة القلق التنافسي ككل	المتوسط النظري للمحاور	المتوسط النظري ككل
المتوسط الحسابي	30.06	23.22	30.6	93.3	22.5	67.5
الانحراف المعياري	7.29	7.74	4.51	21.9		

يتضح من خلال هذا الجدول الذي يمثل الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية الخاصة بحالة القلق التنافسي للاعبين أن المتوسط الحسابي للقلق المعرفي للاعبين بلغ

(30.06) وانحراف معياري (7.29) وبلغ المتوسط الحسابي للقلق البدني (23.22) وانحراف معياري (7.74)، في حين بلغ المتوسط الحسابي للثقة بالنفس (30.6) وانحراف معياري (4.51)، أما بالنسبة للقلق التنافسي للاعبين ككل فقد بلغ متوسطهم الحسابي (93.3) بانحراف معياري (21.9)، من خلال نتائج قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد حالة القلق التنافسي ومقارنتها مع المتوسط النظري البالغ درجته(22.5) يتبين لنا أن المتوسط الحسابي للقلق المعرفي، القلق البدني الثقة بالنفس، أكبر من المتوسط النظري وهذا يدل على ارتفاع مستوى القلق المعرفي والقلق البدني والثقة بالنفس عند اللاعبين، وعليه كانت درجة حالة القلق التنافسي عند لاعبي العاب القوى بالجمهورية اليمنية ككل أكبر من المتوسط النظري البالغ درجته (75) وهو ما يؤكد ارتفاع مستوى حالة القلق التنافسي لديهم أثناء منافسات العاب القوى، ولكن هذا لا ينفي وجود فروق فردية في مستويات حالة القلق التنافسي بين اللاعبين، أي أن هناك بعض اللاعبين لديهم انخفاض في حالة القلق أثناء المنافسات في العاب القوى والبعض الآخر لديهم حالة القلق عالية.

جدول(03) يوضح قيمة كا² المحسوبة ومعامل الارتباط لمدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات نحو المظهر الخارجي للجسم وحالة القلق التنافسي في إجابات اللاعبين.

كا² المحسوبة	درجات الحرية	مستوي الخطأ	كا² المجدولة	القرار	قيمة معامل الارتباط
84.38	09	0.05	16.92	توجد دلالة	0.83 -

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن كا² المحسوبة تقدر بـ (84.38) وهي أكبر من كا² المجدولة عند درجات الحرية (09) ومستوى الخطأ (0.05) والمقدرة بـ (16.92)، وهو ما يؤكد على وجود فروق ذات دلالة إحصائية (حسب إجابات اللاعبين) بين إدراك اللاعبين لذاتهم نحوى المظهر الخارجي للجسم و قلقهم أثناء المنافسة، ومما يؤكد ذلك قيمة معامل الارتباط بينهما والمقدرة بـ (- 0.83)، إذن توجد علاقة عكسية قوية جداً بين إدراك الذات نحوى المظهر الخارجي للجسم وحالة القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى، وترجع قوة العلاقة في كون اللاعبين الذين ينظرون إلى مظهرهم الخارجي للجسم بأنها ضعيفة من ناحية قوة عضلاتهم، أو قصر في أطوالهم، أو أن أجسامهم نحيفة مقابل اللاعبين المنافسين لهم، والذي ينعكس سلباً على حالتهم النفسية وزيادة حالة القلق التنافسي لديهم والعكس صحيح.

جدول(04) يوضح قيمة كا² المحسوبة ومعامل الارتباط لمدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات نحو القوة البدنية وحالة القلق التنافسي في إجابات اللاعبين.

كا² المحسوبة	درجات الحرية	مستوي الخطأ	كا² المجدولة	القرار	قيمة معامل الارتباط
71.2	09	0.05	16.92	توجد دلالة	- 0.79

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن كا² المحسوبة تقدر بـ (71.2) وهي أكبر من كا² المجدولة عند درجات الحرية (09)، ومستوى الخطأ (0.05) والمقدرة بـ (16.92)، وهو ما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية (حسب إجابات اللاعبين) بين إدراك الذات نحوى القوة البدنية وحالة القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى، ومما يؤكد ذلك قيمة معامل الارتباط بينهما والمقدرة بـ (- 0.79)، وهو ارتباط عكسي قوي جداً.إذاً يمكن القول أنه توجد علاقة عكسية قوية بين إدراك الذات نحوى القوة البدنية وحالة القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى، وترجع قوة العلاقة في كون اللاعبين لديهم شعور بضعف في قوتهم البدنية وأنهم غير قادرين على أداء الجهد البدني القوي جداً أثناء المنافسات في ألعاب القوى مما يسبب زيادة توترهم وقلقهم.

جدول(05) يوضح قيمة كا² المحسوبة ومعامل الارتباط لمدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات نحو اللياقة البدنية وحالة القلق التنافسي في إجابات اللاعبين (ن=70)

كا² المحسوبة	درجات الحرية	مستوي الخطأ	كا² المجدولة	القرار	قيمة معامل الارتباط
33.69	09	0.05	16.92	توجد دلالة	- 0.64

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن كا² المحسوبة تقدر بـ (33.69) وهي أكبر من كا² المجدولة عند درجات الحرية (09) ومستوى الخطأ (0.05) و المقدرة بـ (16.92)، وهو ما يؤكد على وجود فروق ذات دلالة إحصائية (حسب إجابات اللاعبين) بين إدراك اللاعبين لذاتهم نحوى اللياقة البدنية و قلقهم أثناء المنافسة ومما يؤكد ذلك قيمة معامل الارتباط بينهما والمقدرة بـ (- 0.64) وهو ارتباط عكسي قوي، إذن يمكن القول أنه توجد علاقة عكسية قوية بين إدراك الذات نحوى اللياقة البدنية وحالة القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى، إن حالات القلق التنافسي عند رياضيي ألعاب القوى ترجع إلى ضعف في إدراك الذات نحوى اللياقة البدنية، ويرجع سبب ضعف إدراك اللاعبين لذاتهم نحو اللياقة البدنية كونهم يشعرون بنقص في إحدى مكونات اللياقة البدنية (القوة، السرعة، الرشاقة، المرونة، والمطاولة) وخاصة أن بعض اللاعبين يدركون أن هناك لاعبين أفضل منهم لياقة، مما ينعكس عليهم سلباً ويؤدي إلى ارتفاع حالة القلق أثناء المنافسة.

جدول (06) يوضح قيمة كا² المحسوبة ومعامل الارتباط لمدى وجود فروق ذات

دلالة إحصائية بين إدراك الذات نحو الكفاءة الرياضية وحالة القلق التنافسي في إجابات اللاعبين

كا² المحسوبة	درجات الحرية	مستوي الخطأ	كا² المجدولة	القرار	قيمة معامل الارتباط
42.81	09	0.05	16.92	توجد دلالة	0.68 -

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن كا² المحسوبة تقدر بـ (42.81) وهي أكبر من كا² المجدولة عند درجات الحرية (09) ومستوى الخطأ (0.05) والمقدرة بـ (16.92)، وهو ما يؤكد وجود فروق ذات دلالة إحصائية (حسب إجابات اللاعبين) بين إدراك اللاعبين لذاتهم نحو الكفاءة الرياضية و قلقهم أثناء المنافسة، ومما يؤكد ذالك قيمة معامل الارتباط بينهما والمقدرة بـ (- 0.68) وهو ارتباط عكسي قوي إذا يمكن القول أن حالات القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى ترجع إلى ضعف في إدراك الذات نحو الكفاءة الرياضية. أي أن لاعبي ألعاب القوى يشعرون بضعف في كفاءتهم الرياضية من ناحية (القوة البدنية، اللياقة البدنية، النواحي النفسية، المهارية والخططية) نظير منافسيهم الذين لديهم الإمكانيات الأفضل حسب نظرتهم مما ينعكس عليهم سلباً بظهور حالة القلق التنافسي والذي يؤثر على مستوى انجازهم المطلوب تحقيقه.

جدول(07) يوضح قيمة كا² المحسوبة ومعامل الارتباط لمدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات بقيمة الذات البدنية وحالة القلق التنافسي في إجابات اللاعبين

كا² المحسوبة	درجات الحرية	مستوي الخطأ	كا² المجدولة	القرار	قيمة معامل الارتباط
43.43	09	0.05	16.92	توجد دلالة	0.67 -

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن كا² المحسوبة تقدر بـ (43.43) وهي أكبر من كا² المجدولة عند درجات الحرية (09) ومستوى الخطأ (0.05) و المقدرة بـ (16.92)، وهو ما يؤكد وجود فروق ذات دلالة إحصائية (حسب إجابات اللاعبين) بين إدراك اللاعبين لذاتهم نحو الذات البدنية وحالة قلقهم أثناء المنافسة، ومما يؤكد ذلك قيمة معامل الارتباط بينهما والمقدرة بـ(- 0.67) وهو ارتباط عكسي قوى، إذاً يمكن القول أن حالات القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى ترجع إلى ضعف في إدراك اللاعبين بقيمة ذاتهم البدنية، هذا ما يؤكد وجود علاقة بين إدراك الذات بقيمة الذات البدنية وحالة القلق التنافسي، والأسباب التي أدت إلى ضعف في قيمة ذاتهم البدنية قد ترجع إلى شعور اللاعبين بضعف في قوتهم البدنية وكفاءتهم الرياضية، في المواقف

التي تتطلب إثبات وجودهم لتحقيق الأداء الأمثل أثناء المنافسات الرياضية، وهذا ما ينعكس سلباً ويؤدي إلى ظهور حالة القلق التنافسي لديهم.

جدول(08) يوضح قيمة كا² المحسوبة ومعامل الارتباط لمدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي في إجابات اللاعبين

كا² المحسوبة	درجات الحرية	مستوي الخطأ	كا² المجدولة	القرار	قيمة معامل الارتباط
59.27	09	0.05	16.92	توجد دلالة	0.73 -

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن كا2 المحسوبة تقدر بـ (59.27) وهي أكبر من كا² المجدولة عند درجات الحرية (09) ومستوى الخطأ (0.05) والمقدرة بـ (16.92)، وهو ما يؤكد وجود فروق ذات دلالة إحصائية (حسب إجابات اللاعبين) بين إدراك اللاعبين لذاتهم نحو الذات البدنية ككل وقلقهم أثناء المنافسة. ومما يؤكد ذلك قيمة معامل الارتباط بينهما والمقدرة بـ (- 0.73) وهو ارتباط عكسي قوى يمكن القول أن حالات القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى ترجع إلى ضعف في إدراك الذات البدنية لديهم, إذاً توجد علاقة عكسية قوية بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية، وترجع قوة هذه العلاقة إلى كون معظم اللاعبين يستشعرون بضعف في إدراكهم لذاتهم البدنية من ناحية (المظهر الخارجي للجسم، القوة البدنية، اللياقة البدنية، الكفاءة الرياضية، وقيمة الذات البدنية) وهو ما أدى إلى زيادة حالة قلقهم التنافسي لديهم، مما انعكس سلباً على مستوى أدائهم وانجازهم الرياضي وهو ما يفسر تواضع نتائجهم أثناء المنافسات المحلية والدولية.

ثانيا: مناقشة نتائج الدراسة في ضوء الفرضيات:

مناقشة الفرضية الأولى: تشير نتائج الجدول رقم(03) إلى أن معامل الارتباط كان معنوياً ذات دلالة إحصائية عكسية بين إدراك المظهر الخارجي للجسم وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى. وهو ما يؤكد وجود علاقة عكسية قوية جداً بينهما، أي أن حالات القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى يرجع إلى ضعف في إدراكهم للذات نحو المظهر الخارجي للجسم، و لذا تم قبول هذه الفرضية.

مناقشة الفرضية الثانية أظهرت نتائج الجدول(04) إلى أن معامل الارتباط كان معنوياً ذات دلالة إحصائية بين إدراك بالقوة البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي العاب القوى. وهو ما يؤكد وجود علاقة عكسية قوية جداً بينهما، أي أن حالات القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى يرجع إلى ضعف في إدراكهم للذات نحو القوة البدنية، و لذا تم قبول هذه الفرضية.

مناقشة الفرضية الثالثة: تبين نتائج الجدول رقم(05) إلى أن معامل الارتباط كان معنوياً ذات دلالة إحصائية بين إدراك نحو اللياقة البدنية وحالة القلق التنافسي لدى

لاعبي ألعاب القوى. وهو ما يؤكد وجود علاقة عكسية قوية بينهما، أي أن حالات القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى يرجع إلى ضعف في إدراكهم للذات نحو اللياقة البدنية، و لذا تم قبول هذه الفرضية.

مناقشة الفرضية الرابعة: توضح نتائج الجدول رقم(06) أن معامل الارتباط كان معنوياً ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات نحو اللياقة البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي العاب القوى. وهو ما يؤكد وجود علاقة عكسية قوية بينهما، أي أن حالات القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى يرجع إلى ضعف في إدراكهم للذات نحو الكفاءة الرياضية، و لذا تم قبول هذه الفرضية.

مناقشة الفرضية الخامسة: دلت نتائج الجدول رقم(07) إلى أن معامل الارتباط كان معنوياً ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات نحو قيمة الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي العاب القوى. وهو ما يؤكد وجود علاقة عكسية قوية بينهما، أي أن حالات القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى يرجع إلى ضعف في إدراكهم للذات نحو قيمة الذات البدنية، ولذا تم قبول هذه الفرضية.

مناقشة الفرضية العامة: تشير نتائج الجدول رقم(08) إلى أن معامل الارتباط كان معنوياً ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى. وهو ما يؤكد وجود علاقة عكسية قوية بينهما، أي أن حالات القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى يرجع إلى ضعف في إدراكهم للذات البدنية. أي أنه كلما انخفض مستوى إدراك الذات البدنية لدى لاعبي العاب القوى كلما ارتفع مستوى حالة القلق التنافسي لديهم والعكس صحيح، وهو ما ينعكس سلباً على مستوى أداءهم وتواضع انجازهم الرقمي، ولذا تم قبول هذه الفرضية.

الاستنتاجات العامة:

1- توجد علاقة ارتباط معنوي ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات نحو المظهر الخارجي للجسم وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية.

2- توجد علاقة ارتباط معنوي ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات نحو القوة البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية.

3- توجد علاقة ارتباط معنوي ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات نحو اللياقة البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية.

4- توجد علاقة ارتباط معنوي ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات الكفاءة الرياضية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية.

5- توجد علاقة ارتباط معنوي ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات نحو قيمة الذات وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية.

6- توجد علاقة ارتباط معنوي ذات دلالة إحصائية بين إدراك الذات البدنية وحالة القلق التنافسي لدى لاعبي ألعاب القوى بالجمهورية اليمنية.

التوصيات:

- إعداد برنامج نفسي خاص للرفع من قيمة إدراك الذات نحو المظهر الخارجي للجسم قبل المنافسات للخفض من حالة القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى.

- إعداد برنامج نفسي خاص للرفع من قيمة إدراك الذات نحو القوة البدنية قبل المنافسات والخفض من حالة القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى.

- إعداد برنامج نفسي خاص للرفع من قيمة إدراك الذات اللياقة البدنية قبل المنافسات لخفض من حالة القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى.

- إعداد برنامج نفسي خاص للرفع من قيمة إدراك الذات نحو الكفاءة الرياضية قبل المنافسات والخفض من حالة القلق التنافسي عند لاعبين العاب القوى.

- إعداد برنامج نفسي خاص للرفع من قيمة إدراك الذات نحو قيمة الذات البدنية قبل المنافسات والخفض من حالة القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى.

- إعداد برنامج نفسي خاص لرفع من قيمة إدراك الذات البدنية قبل المنافسات في ألعاب القوى لخفض من حالة القلق التنافسي عند لاعبي ألعاب القوى.

- إعداد البرامج التدريبية لتشمل الإعداد (البدني، المهاري، الخططي والنفسي) لتشكل وحدة تدريبية متكاملة لتحقيق الأداء والانجاز المطلوب.

- ضرورة الاهتمام بتنمية شخصية اللاعبين من جميع جوانبها لنتوصل إلى نتائج ايجابيه أثناء المنافسات الرياضية.

- ضرورة أن يرافق الفريق أخصائي نفساني ضمن الجهاز الفني التدريبي؛ والذي يعمل على الخفض من الضغوط النفسية والتي ينتج عنها حالة القلق التنافسي عند اللاعبين.

المراجع بالغة العربية:

(1) إخلاص محمد عبد الحافظ، مفهوم الذات وعلاقتها بمستوى الأداء المهاري لدى طالبات كلية التربية الرياضية جامعة الزقازيق، رسالة دكتوراه، القاهرة: كلية التربية الرياضية للبنيين، 1984م.

(2) أسامه كامل راتب، علم النفس الرياضي المفاهيم والتطبيقات، ط3، القاهرة: دار الفكر العربي، 2000م.

(3) أمين الحولي وآخرون، دائرة المعارف الرياضية وعلوم التربية البدنية، القاهرة: دار الفكر العربي، 2004م

(4) عويسي الحيالي، العاب القوى (النظرية والتطبيق، القاهرة: المكتبة الاشتراكي للآلة الكاتبة، 1977م.

(5) عزت محمد كاشف، الإعداد النفسي للرياضيين، القاهرة: دار الفكر العربي، 1996م.

(6) قاسم حسن حسين، الموسوعة الرياضية وعلوم التربية البدنية، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998م.

(7) محمد حسن علاوي، مدخل في علم النفس الرياضي، القاهرة: مركز الكتاب للنشر، 1998م.

(8) محمد حسن علاوي، علم التدريب والمنافسة الرياضية، القاهرة: دار الفكر العربي، 2002م.

(9) محمد نصر الدين رضوان ,الإحصاء الوصفي في علوم التربية البدنية والرياضية ,ط1,القاهرة: دار الفكر ,2002م.

المرجع باللغة الأجنبية:

(1) Gill .P.L: competitiveness and competitive reorientation in sport "sport" in R.Singer et al psychology company New York. 1993. P 314.

الإدارة المحلية ودورها في تطوير المجتمعات النامية

ملخص

تعاني المجتمعات النامية من غياب سياسات ناجعة تعمل على معالجة مختلف المشاكل التي تعيق التنمية المحلية في المجتمع وأهم تلك العراقيل التي يواجهها الفرد في المجتمعات النامية هي غياب إدارة فاعلة يمكنها أن تغير من نمط الحياة وأساليب العيش حيث تساهم هذه الإدارة ذات الكفاءة و الجودة إن وجدت في ترقية المستوى الحضري لمثل هذه المجتمعات التي تفتقد في العادة إلى الممارسة الفعلية للخدمات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وترزح تحت نير سياسات غير راشدة لا توائم طبيعة التقدم المذهل الذي بلغته بعض الدول المجاورة في الغرب.

وسنحاول من خلال هذا المقال توضيح تلك العلاقة التي تربط الإدارة المحلية بالمجتمعات عموما ومدى مساهمتها في تطوير المجتمعات النامية.

عبد الرؤوف مشري

قسم علم الاجتماع
جامعة قسنطينة 2
الجزائر

مقدمة

يتمثل دور الإدارات العامة أو المحلية في تطبيق مختلف التشريعات والقوانين والمراسيم التي توائم خصوصية كل منطقة على حدة أو فترة زمنية معينة ؛لأن طبيعة الإدارة لابد أن تكون مرنة تتكيف مع الظروف الجديدة والأحداث الطارئة لكونها أي الإدارة أقرب ما تكون من حياة الفرد والمجتمع فإذا غابت هذه في الخاصية كان لها التنظيم الذي عادة ما يقوم على التخطيط المبرمج فمثل هذه الميزة لا يمكنها أن تنطبق على مجتمعات تساير التحضر والعصرنة ففي المجتمعات النامية هناك إدارات عامة وأخرى محلية شأنها شأن المجتمعات المتقدمة غير أنها لا تقوم ي بوظائفها المسطرة

Résumé

Les sociétés en développement souffrent de l'absence d'une administration efficace. Nous allons essayer, à travers cet article, de clarifier la contribution de l'administration locale à l'amélioration des conditions de vie dans ces sociétés.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

لها إما لانعدام الكفاءة أو لغياب المراقبة المستمرة التي تهتم بمتابعة المشاريع وتطبيق القوانين وهذا لا يعني عدم وجود مخطط للتنمية من جهة أو أن هذه المجتمعات تفتقد للإطارات المؤهلة والكفأة فتراجع المر دودية في مختلف المجالات جعلت من الإدارة أقل نجاعة في التسيير والتنسيق بين مختلف الجهود الرامية إلى تفعيل دور الجماعات المحلية في تقريب الخدمات الإدارية من المواطن فيكون بذلك أكثر استفادة مما يقدم له .

فحركية المجتمع تقوم أساسا على التنمية المستدامة التي تكفلها الإدارة الفاعلة من خلال نشاطها الدءوب نحو تحسين ظروف المعيشة وتهيئة الفرد لكي يكون أكثر اندماجا مع الوسط الاجتماعي حيث يتأقلم معه ويمتثل لقوانين الإدارة بوصفها أفضل السبل لضمان السير الحسن لحياة المجتمع وهذا ما يميز الإدارة المحلية التي ظهر أثرها في المجتمعات الغربية التي تمكنت من اجتياز عقبات سوء التنظيم و تجاوزت مظاهر البيروقراطية ،مما أهل تلك المجتمعات لأن تكون رائدة في مختلف مناحي الحياة حتى صار الأفراد يتعاطون مع كل تغير سياسي أو اقتصادي أو ثقافي طواعية دونما إشكالات تعيق مسيرة التقدم،لأن تلك المجتمعات انتقلت من مرحلة التنمية إلى مرحلة التطوير و التجديد ولم يتيسر لها ذلك إلا بوجود إدارة حضرية أساسها الأول الحفاظ على النظام وتطبيق القوانين دون مراعاة التغير الحاصل على مستوى الأفراد الذين يسيرونها فثبات الأنظمة والقوانين لديها يخضع الجميع لسلطتها فلا مجال للمحاباة ولا للموارية .

وقد أكدت الدراسات الاجتماعية الحديثة أن العلاقة بين المجتمع والإدارة تبنى على أساس التواصل والتعاون لتمكين الطرفين المجتمع و الإدارة من التكامل ولا يتأتى ذلك إلا بتفعيل الدور الحضري للإدارة التي من خلالها تتأسس المجتمعات الحديثة وسنعمد في هذا المقال إلى توضيح الرؤية العلمية لمثل هذه العلاقة وتبيان **دور الإدارة المحلية في تطوير المجتمعات النامية؛** لأن الفكرة الأساس التي تقوم عليها هذه الدراسة هي فرضية مرجعها الأساس هو أن لا وجود لمفهوم التنمية في أي مجتمع يحاول أن يتطور و يتقدم إذا ما انعدم مفهوم الإدارة المحلية التي من شأنها أن تساهم بدور فاعل في حركية التنمية هذه ومن ثم الحفاظ على المكتسبات الحضارية التي بلغها المجتمع في أوج تنميته.

أولا:الإدارة المحلية بين المفهوم و الوظيفة

أ- مفهوم الإدارة لغة واصطلاحا:

- مفهومها لغة: الإدارة مصدر مشتق من المادة المعجمية "دور" [أدار الأمر وجهه وسيره وقلبه على جميع أوجهه قصد تمعنه وتأمله من أجل إصدار حكم عليه و إبداء رأي فيه والإدارة مركز السلطة و التصرف بغية تطبيق القوانين وتسيير المصالح العامة].(1) فالتعريف اللغوي يبين أن استخدام لفظ الإدارة وفق هذا المفهوم حديث نوعا ما ؛لوجود عدة ألفاظ مشتركة في الدلالة نفسها ،فالقدماء لم يستعملوا إلا

الفعل أما المصدر عندهم فلا يشير إلى هذا المعنى الذي تعارف عليه المحدثون بالرغم من وجود هيئات السلطة ومراكز الحكم والمسؤولية فالوظيفة هي نفسها عند القدماء والمحدثين إلا أن التعبير عنها مختلف نظرا لتباين العصور والبيئة ، وقد أشارت المراجع إلى أن مصطلح الإدارة أصله لاتيني ويعني أداء خدمة الآخرين.(2)

- **مفهومها اصطلاحا:** اختلف المفهوم الاصطلاحي للإدارة عند مفكري العرب عما هو متفق عليه عند الغربيين ،ولكل عالم وجهة نظر في تحديد دلالة هذا المفهوم نظرا لكونه متغير بحسب طبيعة الحضارة نفسها فالشعوب التقليدية النامية لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تماثل الشعوب المتقدمة وهذا ما يؤدي حتما إلى التفاوت في النظرة إلى المفاهيم العامة و الخاصة فعند العرب هناك جملة من التعاريف أهمها:

- يعرفها صلاح الدين جوهر بقوله: [الإدارة عملية اتخاذ قرارات تحكم سلوك الأفراد في استخدام الموارد المتاحة لتحقيق أهداف محددة على أحسن وجه ممكن].

- كما يعرفها مصطفى خاطر:[هي أسلوب تطبيق المبادئ العلمية والأسس المتفق عليها في النشاط الحكومي مما يحقق أهداف المجتمع].

- وفي موسوعة العلوم الاجتماعية جاء تعريف الإدارة على أنها:[العملية التي يتم بواسطتها تنفيذ غرض معين والإشراف عليه].(3) فهذه التعاريف على تعددها لم تخرج عن إطار واحد هو تحديد الماهية والمهام فلئن كان هذا النوع من التعاريف محدد للدلالة العامة للمفاهيم فهو في النصوص السابقة قد أوجز الحديث عن الملامح الخاصة والأبعاد الدلالية لمصطلح الإدارة وهذا ما يحيل على فضفضة واتساع في المفهوم.

أما المفهوم الاصطلاحي للإدارة عند مفكري الغرب فيمكن إجماله فيما يلي:

- يعرفها "فريديرك تايلور" المعروف بأنه أب الإدارة العلمية ومؤسس المدرسة الكلاسيكية في كتابه (إدارة الورشة) الصادر عام 1903م، بأنها: [المعرفة الدقيقة لما تريد من الرجال أن يعملوه، ثم التأكد من أنهم يقومون بعمله بأحسن طريقة وأرخصها].(4)

- في حين يعرفها "هنري فايول" الملقب بأبي الإدارة الحديثة في كتابه (الإدارة العامة والصناعية) الصادر عام 1916م بقوله: [معنى أن تدير هو أن تتنبّأ، وتخطط، وتنظم، وتصدر الأوامر، وتنسق وتراقب] .(5)

- ويقول "رالف دافيز": [الإدارة هي عمل القيادة التنفيذية].(6)

يتضح من خلال هذه التعاريف الغربية أنها أكثر شمولية للإلمام بماهية الإدارة وتحديد طبيعتها ومهامها التي تساير الواقع الذي تنظمه فالإدارة عندهم ليست آلية لتطبيق القوانين وحسب بل إن جوهر الإدارة في هذه التعاريف يقوم على عملية التخطيط المنظم المصاحب للجودة و الكفاءة في تقديم مختلف الخدمات الخاصة بالأفراد

أو المجتمع وتختلف الإدارة بحسب نوعيتها ووظائفها فهناك إدارات عامة و أخرى خاصة كما توجد إدارات مركزية تتبعها إدارات محلية وهذه الأخيرة هي التي تربطها علاقة مباشرة بأفراد المجتمع ،لكونها تحدد المبدأ العام للعرف الاجتماعي في مجال الحقوق و الواجبات.

ب- مفهوم الإدارة المحلية:

يعد هذا المفهوم من أكثر المفاهيم استخداما نظرا لعلاقته المتصلة بقضايا المجتمع وواقع تنميته، لذا فقد تعددت التعاريف الاصطلاحية **للإدارة المحلية** .

- التعاريف الغربية للمصطلح:

- يعرفها الكاتب البريطاني "كرام مودي":[أنها مجلس منتخب تتركز فيه الوحدة المحلية ويكون عرضة للمسؤولية السياسية أمام الناخبين سكان الوحدة المحلية ويعتبر مكونا لأجهزة الدولة].

- ويعرفها "جورج بلير": [الحكومة المحلية هي جغرافية معينة مع تنظيم مسموح به وهيئة حاكمة، بالإضافة إلى شخصية قانونية مستقلة وسلطة تقدم خدمات عامة].(7)

- وقال الفقيه الفرنسي "اندريه دولوبادير": [هي اصطلاح وحدة محلية لإدارة نفسها بنفسها، وأن تقوم بالتصرفات الخاصة بشؤونها تسحب وظائف من السلطة المركزية وإحالتها لسلطة ذات اختصاص محدد، سواء كان هذا الاختصاص إقليميا أو مصلحيا].(8)

- التعاريف العربية للمصطلح:

- يعرفها العطار بأنها:[توزيع لوظيفة الإدارة بين الحكومة المركزية وهيئات منتخبة أو محلية تباشر اختصاصاتها تحت إشراف الحكومة و رقابتها].

- وقد عرفها الشيخلي بأنها:[أسلوب من أساليب التنظيم الإداري للدولة تقوم على فكرة توزيع النشاطات و الواجبات بين الأجهزة المركزية و المحلية وذلك لغرض أن تتفرغ الأولى لرسم السياسة العامة للدولة إضافة إلى إدارة المرافق القومية في البلاد]

- أما الزعبي فقد عرفها [الإدارة المحلية هي أسلوب للإدارة بمقتضاها يقسم إقليم الدولة على وحدات ذات مفهوم محلي تتمتع بشخصية اعتبارية ويمثلها مجالس منتخبة من أبنائها لإدارة مصالحها تحت إشراف ورقابة الحكومة المركزية].

تنفصل الإدارة المحلية وفق هذه المفاهيم الإصلاحية عن أي إدارة أخرى بخصوصية تواجدها الجواري و طبيعة أفرادها اللذين يسيرونها؛ حيث لا تكتسب الإدارة المحلية هذا المفهوم إذا لم تكن قريبة من المجتمع تختص بميزاته التي تتكيف معها تدريجيا بحسب المطالب التي تختلف من مجتمع إلى آخر حسب بيئته و نشاطه و أكبر سمة تفرد الإدارة المحلية عن سواها هي طبيعة مسيريها لكونهم يعينون بالانتخاب

لاسيما في المجتمعات المتحضرة ، فإذا حدث تجاوز لهذه الخطوة وهي عملية انتخاب المجالس الإدارية المحلية أدى ذلك إلى بداية ظهور معوقات التواصل و التعاون بين الإدارة و أفراد المجتمع مما يسهم في عرقلة مخططات التنمية وهذه الميزة هي التي تطبع أغلب المجتمعات النامية .

ج ـ مقومات الإدارة المحلية:

ترتكز الإدارة المحلية على مجموعة من الأسس والمقومات تتمثل في:

ـ تتمتع الإدارة المحلية بالشخصية المعنوية:

قبل البدء بالحديث عن هذا العنصر لابد من تعريف معنى الشخصية المعنوية أو الاعتبارية كما يطلق عليها البعض، فالشخصية المعنوية تعرف على أنها [مجموعة من الأشخاص أو الأموال تتمتع بالشخصية القانونية تماما كتلك المقررة للأشخاص الطبيعيين، وينظر إليها وتعامل كما لو كانت شخصا حقيقيا فهي لها حقوق وعليها التزامات، وهي شخصية مستقلة من الأشخاص والعناصر المادية المكونة لها].(9)

إن ما يميز الإدارة المحلية عن الإدارة المركزية هو تمتعها بالشخصية المعنوية لأن الشخصية المعنوية هي النتيجة الطبيعية لقيام اللامركزية لذا فإن هذا الطابع هو الذي يميزها ويمنحها الصفة القانونية، وما الاعتراف بالشخصية المعنوية للإدارة المحلية إلا نتيجة منطقية للاعتراف باستقلالها وبوجود مصالح محلية خاصة بها.

وهذه الوحدات [تعتبر مستقلة عن أشخاص منشئيها وممثليها، وإبرازها بهذا الشكل القانوني الموحد، هو حل للإشكالات الناجمة لقيامها بنشاطاتها فاعتبرت تلك النشاطات وكأنها صادرة عن هذا الشخص الذي اعتبر أهلا للالتزام، وأصبح قادرا على مباشرة التصرفات القانونية بما تمنحه من حقوق وما تفرضه من التزامات وهذا الأمر يتبعه ذمة مالية مستقلة لعدد الأشخاص المعنوية بما يسمح لها بالقيام باختصاصاتها].(10)

وتتكون هيئات الإدارة المحلية من ثلاثة أجهزة أو ثلاث سلطات هي:

- السلطة التقريرية.
- السلطة التنفيذية.
- السلطة الرقابية.

وتتمثل **السلطة التقريرية** : في المجالس الشعبية المحلية والتي تمثل والتي تمثل سلطة التشريع على المستوى المحلي.

أما **السلطة التنفيذية**: فهي مجموع الموظفين الإداريين والفنيين والماليين العاملين في الإدارة المحلية.

أما **السلطة الرقابية:** فتتمثل في رقابة السلطة المركزية على كل أعمال الأجهزة المحلية.(11)

وإذا كانت الرقابة والإشراف والتعاون ركنا من أركان وجود نظام للإدارة المحلية ومقوماتها حسبما اتفق عليه الباحثين، فإن هناك مجموعة من الأهداف تتوخاها الحكومة المركزية لمنفعة وخدمة المواطنين من أهمها:

1 ـ تأكيد الوحدة السياسية والإدارية للدولة باعتبار أن الإدارة المحلية ما هي إلا نظام فرعي من النظام العام للدولة وأجهزتها.

2 ـ التأكيد على أن الإدارة المحلية تعمل وفق القوانين والأنظمة التي تصدرها الحكومة المركزية، إضافة إلى أن قرارات المجالس المحلية تكون موافقة ومطابقة لهذه القوانين والأنظمة، وذلك حماية للجميع، الحكومة المركزية والإدارة المحلية والمواطنين

3 ـ التأكيد على أن الإدارة المحلية تقوم بواجباتها ووظائفها في نطاق الحد الأدنى المطلوب وبدرجة من الكفاءة والفاعلية، وذلك من خلال اطلاع الحكومة المركزية على موازنة الإدارة المحلية التي تعتبر مؤشرا أساسيا من مؤشرات أدائها العام.

4 ـ ضمان حسن سير الخدمات المحلية وقيام الإدارة المحلية بتأديتها بكفاءة وفاعلية، ووضع معيار لنوع ومستوى الخدمات المطلوب تقديمها للسكان وبتعاونوثيق بين الإدارة المركزية والإدارة المحلية، بما يكفل لهما اكتشاف نقاط الضعف وتعديلها للأحسن.(12)

د ـ خصائص الإدارة المحلية:

تتميز الإدارة المحلية بخصائص تنفرد بها عن الإدارة المركزية من أهمها:

ـ قربها من الأفراد يجعلها تصل إلى أعماق حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ـ تعمل على تكييف النظام الإداري ليلاءم الأفراد دون تطويع الأفراد ليتكيفوا مع الإدارة.

ـ اشتراك الأفراد في إدارة الأمور ذات الأهمية المحلية لأن الأفراد أقدر على معرفة حاجاتهم وكيفية تلبية هذه الاحتياجات.

ـ تعتبر مدرسة للتربية السياسية للأفراد لإعداد القيادات الصالحة.

ـ تدعيم الروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمعات المحلية وتوفير أسباب التنمية الاجتماعية السليمة وخاصة في مجتمعات المدينة التي يعاني فيها السكان من ضعف الشعور بالانتماء إلى مجتمع بالإضافة إلى تغيير أنماط العلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

ـ إثارة الحماس والتنافس بين أفراد المجتمعات المحلية المختلفة لتحقيق أكبر قدر من النهوض بمجتمعاتهم معتمدين في ذلك على جهودهم الذاتية.(13)

هـ ـ وظائف الإدارة المحلية:

تختص الإدارة المحلية بوجه عام بجميع المسائل ذات الأهمية المحلية وتشمل مختلف الخدمات الاجتماعية والتعليمية والصحية والوقائية والثقافية والعمرانية والمرافق العامة، ومن الطبيعي أن تقسم مهام الإدارية طبقا لمؤديها، أي المهام التي تؤدى بكفاءة وفاعلية محليا لابد وأن تسند إلى الإدارة المحلية، وبالتالي المهام التي لا يمكن أن تؤدى بفاعلية على المستوى المحلي تسند إلى مستويات أعلى من الإدارة، وللإدارة المحلية وظيفتين أساسيتين هما:

1 ـ الوظيفة التنموية: وهي المسئولة عن تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال إدارة عملية التنمية المحلية ويمكن تقسيمها إلى:

- وظائف مرتبطة باحتياجات السكان مباشرة.
- وظائف مرتبطة بالتخطيط المستقبلي والتنمية.

2 ـ **الوظيفة السياسية** وهي:

- تحقيق الديمقراطية السياسية محليا عن طريق التمثيل العادل لأفراد المجتمع في المؤسسات السياسية.
- دفع السكان المحليين إلى المساهمة والمشاركة الفعالة في أداء وممارسة دورهم السياسي.
- تدريب القيادات السياسية على مستوى المجتمع.

ويوضح الشكل وظائف الإدارة المحلية.(14)

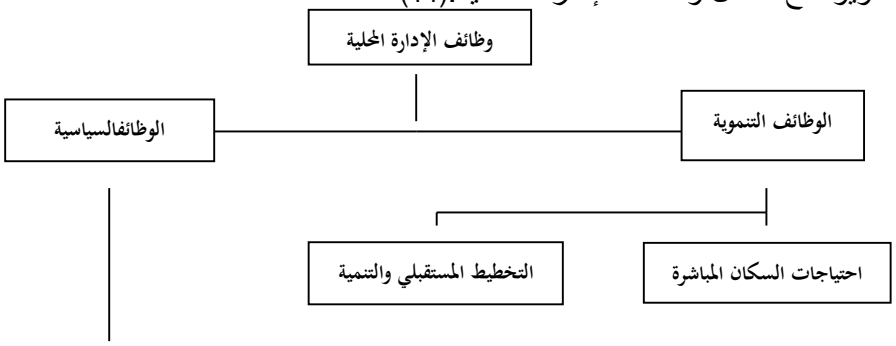

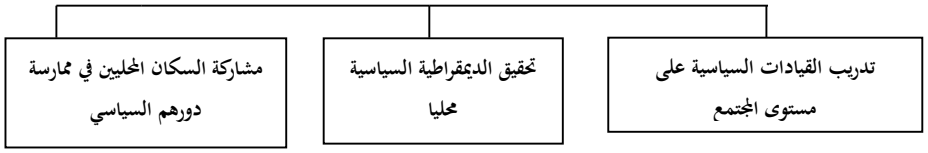

شكل1: وظائف الإدارة المحلية

ثانيا:المجتمعات النامية

أ- تعريفها: ماذا يقصد بالبلدان النامية

البلدان النامية هي تلك الأقطار التي يكون مستوى تطورها الاقتصادي والاجتماعي متدني ومحدود متجسدا ذلك بالعديد من المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية .(15)

إن الإشكالية التي يطرحها مفهوم التخلف، وبالتالي البلدان المتخلفة هي إشكالية مزدوجة، تتعلق من جهة بمظاهر التخلف وتجلياته، ومن جهة أخرى بالأسباب التي جعلت هذه المظاهر ممكنة وموجودة ومستمرة، سواء بالمعنى النسبي (التخلف بالقياس والمقارنة مع البلدان المتطورة) أو بالمعنى المطلق (التخلف باعتباره ظاهرة مرفوضة بحد ذاتها وبغض النظر عن وجود أو عدم وجود البلدان المتطورة). هذا مع العلم، أنه من الصعب – كما يقرر **إيف بينوت** – بحق الفصل بين الجانبين، المطلق والنسبي لأنه "من يقل تخلف، يقل في الوقت ذاته أن هناك نموذجاً للتقدم مقبولاً كمرجع وكهدف مثالي".(16)

فهذا المفهوم اصطلاحيا مع عدة مصطلحات أخرى تدل على المعنى نفسه أو تقاربه من جهة الوصف فهناك من يحبذ مصطلح المجتمعات النامية وهناك من يسمها بالمجتمعات المتخلفة وهناك طرف ثالث يطلق عليها مجتمعات العالم الثالث ولا فرق عندهم بين الدولة أو المجتمع حيث أن كليهما يمكن أن يوصفا بتلك الأوصاف الثلاث وإن كانت الدولة في حيزها العام تخرج عن هذا الإطار بوصفها مجموعة من الأنظمة المسيرة لشؤون المجتمع عامة ،لهذا يمكن لهذا الوصف أن توسم به المجتمعات خاصة وقد أخذت هذه المجتمعات هذه السمة المعبرة عن وضعها العام انطلاقا من واقعها في مختلف المجالات، فالمجتمعات النامية هي التي ارتبطت بحقبة استعمارية كانت فيها عرضة للنهب و السلب وتدمير المقومات وعند استقلالها لم تستطع الانفصال ماديا ومعنويا عن الدول التي استعمرتها فكانت هذه التبعية هي الطابع العام لمثل تلك الدول المخلفة لكونها قاصرة عن اتخاذ القرارات المصيرية التي تخص شعوبها سواء على الصعيد الداخلي أي ما تعلق بالتنمية المحلية في شتى أشكالها وجميع مجالاتها أو الصعيد الخارجي على مستوى العلاقات السياسية والاقتصادية المبنية أساسا على المصالح المشتركة بعيدا عن الاستغلال و التبعية.

ب - خصائص الدول النامية:

تشترك الدول النامية في مجموعة من الخصائص العامة تعبر عن حالة التخلف التي تعيشها هذه الدول مقارنة بمجموعة الدول المتقدمة، وتنقسم هذه الخصائص إلى قسمين هما:

الخصائص الاقتصادية، والخصائص الاجتماعية.

- الخصائص الاقتصادية:

وتشمل هذه الخصائص ما يلي:

1. **انخفاض مستويات المعيشة:** يمكن قياس انخفاض مستويات المعيشة في الدول النامية وفقاً لأسلوبين:

- الأسلوب الأول (كمي): متمثلاً في صورة انخفاض متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي.

$$\text{متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي} = \frac{\text{الدخل القومي}}{\text{عدد السكان}}$$

- **الأسلوب الثاني (كيفي)**: متمثلاً في صورة انخفاض مستوى التعليم وانتشار الأمية وانخفاض المستوى الصحي والغذائي والسكن غير الملائم ... الخ.

ويتم قياس انخفاض مستويات المعيشة كمياً في الدول النامية من خلال ثلاثة معايير هي:

- المعيار الأول: انخفاض متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي الحقيقي

قام البنك الدولي في عام 2003 بتقسيم دول العالم وفقاً لمتوسط نصيب الفرد من الدخل القومي إلى ثلاث مجموعات هي:

مجموعة الدول ذات الدخل المرتفع: وهي تلك الدول التي يزيد متوسط نصيب الفرد من الدخل فيها عن 9205 دولار سنوياً.

مجموعة الدول ذات الدخل المتوسط: وهي التي يتراوح متوسط نصيب الفرد من الدخل فيها بين 746 دولار إلى 9205 دولار سنوياً.

مجموعة الدول ذات الدخل المنخفض: وهي تلك الدول التي يقل متوسط نصيب الفرد من الدخل فيها عن 746 دولار سنوياً.

- المعيار الثاني: انخفاض معدل نمو متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي.

تعاني معظم الدول النامية ليس من انخفاض متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي فحسب، بل تعاني كذلك من انخفاض متوسط معدل نمو نصيب الفرد من الدخل القومي

مما يؤدي في النهاية إلى زيادة حدة الفجوة الداخلية فيما بين الدول النامية والدول المتقدمة مع مرور الزمن.

كما نلاحظ انخفاض معدل نمو متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي في الدول ذات الدخل المتوسط والمنخفض.

ورغم ارتفاع معدل النمو الذي تحقق في متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي في الدول النامية متوسطة الدخل وبعض الدول النامية منخفضة الدخل مقارنة بما تحقق في الدول ذات الدخل المرتفع إلا أن ذلك يرجع إلى أن معدل النمو في الدول النامية بصفة عامة قد بدأ من قيم منخفضة، ولذا فإن معدلات النمو المحققة في الدخل القومي لا تكفي بأي حال للحد من الفجوة الداخلية.

- المعيار الثالث: سوء توزيع الدخل القومي

يقصد بسوء توزيع الدخل في المجتمع أن نسبة صغيرة من أفراد المجتمع تستحوذ على الجانب الأكبر من الدخل، بينما توزع نسبة صغيرة من الدخل على السواد الأعظم من أفراد هذا المجتمع، مما يعني وجود فجوة كبيرة بين دخول الأغنياء ودخول الفقراء داخل المجتمع الواحد.

توجد مقاييس مختلفة لقياس درجة عدم العدالة في توزيع الدخل منها: منحنى لورنز، ومعامل جيني، والتوزيع الخميسي.(17)

2. الاعتماد الشديد على النشاط الزراعي:

تعتمد معظم الدول النامية على النشاط الزراعي كمصدر أساسي في توليد الناتج المحلي الإجمالي، واستيعاب الجزء الأكبر من العمالة في هذه الدول، حيث يشكل الناتج المحلي الإجمالي المتولد من القطاع الزراعي حوالي ثلث الناتج المحلي الإجمالي من الدول النامية بصفة عامة، كما يستوعب القطاع الزراعي ما يفوق 50% من القوة العاملة في هذه الدول، فوفقاً لبيانات عام 1993م، مثل الناتج الزراعي حوالي 37% من الناتج المحلي الإجمالي في الدول النامية منخفضة الدخل، و 12% من الدول النامية متوسطة الدخل، في مقابل 3% فقط من الناتج المحلي الإجمالي في الدول المتقدمة.

ويرى العديد من الاقتصاديين أن تزايد الاعتماد على النشاط الزراعي كمظهر من مظاهر التخلف أمراً طبيعياً، ففي ظل انخفاض الدخول تكون الأولوية دائماً لإشباع الحاجات الأساسية من غذاء وكساء، ففي ظل الدول منخفضة الدخل يشكل الطلب على الغذاء نحو نصف الطلب الكلي في المجتمع والجانب الأكبر المتبقي من الدخل يوجه نحو المسكن والكساء والخدمات المختلفة والحاجات الأساسية التي توجد أساساً في مجال النشاط الزراعي.(18)

3. انخفاض إنتاجية عنصر العمل:

تعاني الدول النامية – بصفة عامة- من انخفاض كبير في الانتاجية المتوسطة لعنصر العمل مقارنة بنظيرتها في الدول المتقدمة.

$$\text{الإنتاجية المتوسطة لعنصر العمل} = \frac{\text{الناتج الكلي}}{\text{عدد العمال}}$$

وفقاً لبيانات عام 2002م كان متوسط إنتاجية العامل في الدول المتقدمة حوالي 59000 دولار في حين كان متوسط إنتاجية العامل في الدول النامية حوالي 3200 دولار أي أن متوسط إنتاجية العامل في الدول المتقدمة يعادل 18.4 ضعف متوسط إنتاجية العامل في الدول النامية .

4- ارتفاع معدلات البطالة:

تتمثل البطالة في وجود أشخاص في مجتمع معين قادرين على العمل ومؤهلين له – بالنوع والمستوى المطلوبين- وراغبين فيه، وباحثين عنه، وموافقين على الولوج فيه في ظل الأجور السائدة ولا يجدونه خلال فترة زمنية معينة.

وتقاس البطالة في العادة بما يسمى بمعدل البطالة.

وترجع هذه الظاهرة لعدة أسباب:

- **التقلبات الدورية في النشاط الاقتصادي:**

ويترتب على ذلك ما يعرف باسم البطالة الدورية بسبب تعاقب دورات الكساد والرواج على الاقتصاديات الرأسمالية، ففي فترات الرواج يزداد الطلب الكلي، وتقل معدلات البطالة ويحدث العكس في فترات الكساد.

- **التقدم التكنولوجي:**

ويترتب على ذلك ظهور ما يعرف بالبطالة الاحتكاكية حيث يتم الاستغناء عن العمالة بصورة مؤقتة لعدم قدرتهم على التعامل مع التكنولوجيا الجديدة، ويتم القضاء على هذا النوع من البطالة عن طريق إعادة تدريب العمال وتأهيلهم للعمل في مجالات أخرى أو في المجالات الجديدة.

- **السياسات الاقتصادية:**

فمثلاً في أوقات التضخم الاقتصادي يتم إتباع سياسات مالية ونقدية انكماشية لعلاج التضخم مثل تقليل الإنفاق العام وزيادة الضرائب ورفع أسعار الفائدة حيث يترتب على ذلك نقص فرص العمل وانتشار البطالة.(19)

5- التبعية الاقتصادية للخارج:

تعد التبعية الاقتصادية للخارج من أهم مظاهر التخلف في الدول النامية، وتأخذ هذه التبعية ثلاثة أشكال أساسية هي: التبعية التجارية، التبعية المالية، التبعية التكنولوجية.

- **التبعية التجارية:**

تعمقت التبعية التجارية باعتماد الدول النامية على تصدير عدد قليل من المنتجات الأولية إلى الدول المتقدمة مقابل استيرادها للمنتجات الصناعية.

خلال عقد الثمانينات من القرن الماضي مثلت المنتجات الأولية (منتجات غذائية ومعادن خام) حوالي 95% من صادرات الدول النامية، يستخدم الاقتصاديون عدداً من المؤشرات التي توضح مدى حدة التبعية التجارية وتطورها عبر الزمن ومن هذه المؤشرات:-

مؤشر درجة الانكشاف الاقتصادي: حيث أن ارتفاع نسبة هذا المؤشر يعني زيادة التبعية التجارية للخارج. إلا أن ذلك لا يعد دليلاً قاطعاً على تبعية الاقتصاد للخارج بل يجب أن يؤكد ذلك بمؤشرات أخرى، حيث يلاحظ ارتفاع مؤشر الانكشاف الاقتصادي في بعض الدول المتقدمة مثل السويد واليابان وبريطانيا. ومن هذه المؤشرات الأخرى مؤشر التركز السلعي للصادرات ومؤشر التركز الجغرافي للصادرات.

مؤشر التركيز السلعي للصادرات: يلاحظ مثلاً ارتفاع مؤشر التركز السلعي للصادرات في الدول النفطية إلى 95% حيث أنها تعتمد على البترول كسلعة أساسية في التصدير.

مؤشر التركز الجغرافي للصادرات: فيجعل الدولة أكثر تأثراً بالقرارات السياسية والاقتصادية للدولة أو الدولتين المستوردة منها.

ارتفاع نسبة المؤشرات الثلاثة السابقة يعني بالتأكيد زيادة التبعية التجارية للخارج.

-التبعية المالية:

تعبر التبعية المالية في الدول النامية عن الوجه النقدي لتبعيتها التجارية، وتتمثل التبعية المالية بزيادة مديونيات الدول النامية، وزيادة عبء هذه الديون، وأصبح عبء خدمة هذه الديون يساوي 175% من صادرات الدول النامية في عام 1990.

-التبعية التكنولوجية:

تتضمن التكنولوجيا جانبين أحدهما مادي يتمثل في المعدات والآلات والآخر غير مادي يتمثل في المعرفة المحيطة بابتكار التكنولوجيا وكيفية استخدامها.

- **انخفاض كل من معدلات الادخار ومعدلات الاستثمار:**

تتميز الدول النامية بصفة عامة بانخفاض مستوى الادخار وذلك بسبب انخفاض مستويات الدخول.

ويترتب على انخفاض معدلات الادخار في الدول النامية انخفاض معدلات الاستثمار اللازمة لتحقيق معدلات النمو المستهدفة في الدول النامية.

- **حلقات الفقر الخبيثة أو المفرغة:**

وهي تمثل أحد خصائص التخلف الاقتصادي وهي ناتجة عن انخفاض مستويات الدخول ومستويات الادخار والاستثمار وانخفاض إنتاجية عنصر العمل.

وتعاني الدول النامية من وجود حلقتين من حلقات الفقر المفرغة، إحداهما على جانب العرض والأخرى على جانب الطلب.(20)

- الخصائص الاجتماعية للتخلف:

تتميز الدول النامية ببعض الخصائص الاجتماعية التي تميزها عن الدول المتقدمة أهمها:

1 - ارتفاع معدلات النمو السكاني وارتفاع عبء الإعالة:

يقدر عدد سكان العالم بنحو 6.1 بليون نسمة وفقاً لإحصائيات عام 2001 ومن المتوقع زيادتهم إلى 10 بليون نسمة عام 2100 ويولد كل عام نحو 90 مليون طفل في العالم، يبلغ نصيب الدول النامية من هذه الزيادة نحو 80 مليون طفل.

2 - انخفاض مستوى التعليم وارتفاع معدلات الأمية:

بشكل عام انخفضت نسبة الأمية في الدول النامية ككل من 60% من السكان في عام 1960 إلى 51% في عام 1980 ثم إلى حوالي 19.5% في كل من الدول النامية منخفضة الدخل والدول النامية مرتفعة الدخل في عام 2000م. وبالرغم من زيادة الاهتمام بالتعليم في الدول النامية إلا أنه لا زالت نسبة الأمية مرتفعة جداً، وهذا يعرقل عملية التنمية الاقتصادية بسبب انخفاض العمالة الماهرة المدربة، وقصور الكفاءات والخبرات الإدارية.

3- تفشي ظاهرة الفساد:

يعد الفساد ظاهرة اقتصادية واجتماعية وسياسية لها جوانب متعددة، ويواجه كافة المجتمعات، خاصة في الدول النامية، وقد أرجع تقرير منظمة الشفافية العالمية (1999) انتشار الفساد في القطاع الحكومي بالدول النامية إلى ضعف المرتبات وشعور المسئولين بالحصانة ضد توجيه الاتهامات لهم أو التحقيق معهم.

ثالثا:علاقة الإدارة المحلية بالدول النامية :

تعد الإدارة المحلية النواة الأساس لتطوير المجتمعات فالارتباط وثيق بين نشاط الإدارة وتطور المجتمع ؛لأن هذه المجتمعات النامية لم تكن كذلك إلا لكونها تعلقت

بإدارات محلية غير قابلة للتغيير من جهة ولا تمتلك أدوات وآليات للتطوير و التجديد ،مما يعني أن تخلف الإدارة المحلية هو العائق الأساس الذي يقف وراء تقهقر المجتمع و تراجعه لأنها تمثل بالنسبة إليه السلطة غير المركزية التي من مهامها الرئيسة التسيير و التخطيط المستقبلي كما تعمل على تنفيذ المشاريع التنموية التي أقرتها السلطة المركزية فعند حدوث اختلالات في جانب من هذه الجوانب يظهر قصور الإدارة المحلية فينعكس ذلك سلبا على مظاهر التنمية لذلك ظهر مفهوم التخلف الإداري الذي يكون مصاحبا لمفهوم المجتمعات النامية

أ ـ التخلف الإداري بالدول النامية:

من الضروري ان نتطرق لمفهوم التخلف الإداري ومظاهره ، إذ أن التخلف الإداري مشكلة معاصرة للدول النامية والصناعية لكنها في الدول النامية تأخذ بعدا صارخا، حيث أن الجهاز الإداري يأخذ ويتبنى نظرة فوقية تجعله يؤثر بالبيئة ولا يتأثر بها . وهنا تتشابك مشكلة التخلف الإداري مع مشاكل التخلف الأخرى السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

لذا يكون التطوير الإداري بشكل جرعات علاجية ولكن بلا جدوى ، نظرا للأخطاء الفادحة في تشخيص مظاهر مرض التخلف وأخطاء في تحديد كمية ونوع جرعات العلاج ، وأخطاء في الجدول الزمني ، إضافة إلى تعدد الأطباء . لذا أصبحت الأجهزة الإدارية للدول النامية تعيش حالة أشبه بالحلقة المفرغة من أعادات النظر والمراجعات.

ويعرف التخلف الإداري الدكتور "عاصم الأعرجي" : [بأنه الحالة التي يفتقر فيها الجهاز الإداري للقدرة على التنفيذ الكامل للسياسة العامة المحددة من الحكومة وقصوره عن تحقيق الأهداف التي تضمنتها هذه السياسة].(21)

إذن التخلف الإداري يتمثل في ضعف أو فقدان قدرات النمو الذاتي، وهذه القدرات الذاتية هي: القدرة الحيوية الوظيفية، القدرة التكاملية النظامية، قدرة النمو الإداري، قدرة التكيف وهذا كله يؤدي إلى فقدان أو ضعف قدرات النمو الذاتي، وهو ذروة المشكلة وتفاقمها وتأزمها.

ب ـ أبعاد ومراحل المشكلة الإدارية:

1- **الأمراض الإدارية :** يعتل النظام الإداري حين تختل اثنين من مكوناته الأساسية . موظفو الخدمة المدنية – الفساد الإداري - . والأخرى النشاط الوظيفي الذي يشمل وظائف الإدارة ووظائف المنظمات .

2- **الجمود الإداري :** تيبس أو شلل وسكونية يصيب أربعة من مكوناته التي تشكل إطارا لاتخاذ القرارات وهي :

- منظمات الإدارة العامة (اضمحلال)
- التنظيم البيروقراطي (تفسخ)
- الهيكل الإداري (تحجر)
- الأداء الإداري (قصور).

3- **التفكك الإداري :** تفكك المكونات الخارجية الثلاث للنظام الإداري :
- تدهور الثقافة والفلسفة الإدارية
- بدائية التكنولوجية المستخدمة
- ضمور نمط إدارة الأعمال

تتداخل بينها فتكون جذورا للتخلف الإداري ككل .(22)

ج ـ مظاهر التخلف الإداري :

التخلف الإداري ظاهرة نسبية تختلف من مجتمع لآخر من قطاع لآخر ومن زمن لآخر وحتى في أجزاء الوحدة الواحدة داخل المنظمة .

1 ـ المظاهر العامة للتخلف الإداري :
- غياب للكفاءة العالية والإنتاج (هبوط)
- عدم الاستفادة من مفاهيم الإدارة العلمية (ابتعاد)
- سلوك الطريق الأسهل (البدائي في تحقيق أهداف الإنتاج)
- الاهتمام بالموارد المادية دون الموارد الفكرية .

هذه المظاهر تنشأ من الأسباب الآتية :
- عدم وضوح الأهداف
- عدم دقة التخطيط
- جمود التنظيم
- تفكك وضعف الرقابة والمتابعة والتقويم.

2- المظاهر الخاصة للتخلف الإداري البيروقراطية المشوهة : عدم التخصص الوظيفي- أكثر من مدير واحد- انحراف عن المبادئ البيروقراطية .
- **الازدواجية البنيانية :** منشآت متخلفة ، الى جانب منشآت متطورة . دوائر رسمية مركزية وأخرى شبه مركزية - تباين الأساليب بين الابتكار والجمود .
- **إهمال مبادئ أساسية في الإدارة :** تكافؤ الفرص ، الشخص المناسب في المكان المناسب ، وحدة الهدف ، ديناميكية التنظيم ، تحديد نطاق الإدارة و وحدة الإشراف .
- **عدم تطابق الأعمال والمسؤوليات مع الصلاحيات :** اختلالات وكبت ادوار المدراء.
- **ضعف التخطيط والمتابعة :** يؤدي إلى هدر الأموال وضياع مفاهيم عديدة مثل المواصفات والمقاييس وعدم اقتناء التكنولوجيا الملائمة .

- **تمركز الإدارات العليا والمنشآت الرئيسة في العاصمة** : فيؤدي إلى اختناقات مستعصية ومركزية شديدة .

3 ـ المظاهر المباشرة للتخلف الإداري :

- تخلف الإنتاج كما ونوعا.
- انخفاض الجودة.
- ارتفاع الكلف.
- الإسراف في استخدام الموارد.
- تخلف وظائف الإدارة : التخطيط . التنظيم . متابعة وتقويم.

- بالنسبة لوظيفة التخطيط : الاهتمام بها شكلا وإهماله موضوعا (لا يخرج عن كونه إعداد موازنة ، وتحديد أوجه الإنفاق .

- بالنسبة لوظيفة التنظيم : الإخفاق في اكتشاف أهم عناصر التنظيم وهو سلوك الأفراد والجماعات باعتباره محركا وموجها للتنظيم .

د -انعكاس التخلف الإداري على المجتمعات النامية :

اتضح من خلال العناصر السابقة أن الإدارة المحلية لها علاقة مباشرة بالمجتمع فهي التي تعمل على تطويره إذا ما كانت فعالة أو تخلفه إذا ما تميزت بالسلبيات السالفة الذكر فالعلاقة مضطردة بين تطور الإدارة المحلية و تحضر المجتمع ويمكن توضيح أوجه تلك العلاقة إذا ما كانت سلبية حيث ينحصر دور الإدارة المحلية في أداء مهامها ووظائفها وذلك على النحو الآتي:

- غياب تمثيل المجتمع المحلي في مجالس الإدارة يكون له الأثر السلبي في عدم تفعيل دورها حيث يقتصر نشاطها على أفراد معينين تعيينا غير ديمقراطي .

- انعدام العلاقة التكاملية بين الإدارة المحلية و المجتمع النامي التي تشرف على تسييره ويرجع ذلك إلى انحصار سلطة القرار ضمن دائر أشخاص معينين يمكن أن لا تربطهم أي علاقة بذلك المجتمع أو أنهم لا يعيشون واقع المجتمع نفسه.

- فشل المخططات الإنمائية بالرغم من وجود برامج طويلة المدى وذلك لغياب الكفاءات المسيرة التي تسهر على تجسيدها على أرض الواقع .

- فقدان الثقة بين أفراد المجتمع النامي والإدارة لكونها في نظره لا تمثله من جهة ولا تلبي حاجياته من جهة أخرى.

- تقسيم المجتمعات الإنسانية إلى متقدمة و أخرى متخلفة أساسه الأول نوعية الإدارة المحلية التي تكون عنوان لنهضة المجتمع بتغيير أنماط التسيير فيه وتجديد أساليب التخطيط بما يعمل على التطوير الدائم الذي يجعل المجتمع في حالة نمو مستمر نحو الأفضل.

- **نتائج الدراسة:**

- ظهور الإدارة المحلية ارتبط أساسا بظهور المجتمعات المدنية المتحضرة؛ لأنّ المدنية تقتضي التعايش بين أفراد المجتمع وفق أنظمة مسطرة تكفل سير الحياة الطبيعية ولا يتحقق ذلك إلا بوجود إدارة مهيكلة تصهر على أداء هذه المهمة.

- مصطلح الإدارة المحلية مقترن أصلا بالمجاورة الحقيقية والفعلية لأفراد المجتمع في حيز جغرافي معين تكون فيه السلطة مباشرة للإدارة المحلية التي تعمل على تطبيق القوانين التي تضبط العلاقة بين الأفراد من جهة والعلاقة بينها وبين الأفراد من جهة أخرى.

- تطور المجتمع مرهون بنوعية الخدمات التي تقدمها الإدارة المحلية للمواطنين بشكل عادل يضمن التساوي في نيل الحقوق بحسب المستويات المتعلقة بطبيعة الاحتياجات فالاستفادة من وظائف الإدارة المحلية وواجباتها حقّ حضاري يتعين على الفرد استغلاله في ظل القوانين المنظمة لذلك.

- وظائف الإدارة المحلية تتماشى مع متطلبات المجتمع الحضري فإذا كان هذا المجتمع نام أو متخلف فإن إدارته المحلية حتما لا تتجاوب مع نوعية نشاطه في جميع مجلات التنمية وهذا السلوك يوضح بدقة انحسار دور الإدارة في المجتمعات النامية.

- عادة ما تختزل أدوار الإدارة المحلية في أداء مهام بسيطة لا تعدو أن تكون مقتصرة على الحلول الآنية لمختلف المشاكل الروتينية، كما أنّ هذا النوع من الإدارات في المجتمعات المتخلفة لا تعتمد على نفسها في التسيير لافتقارها للكفاءة والفعالية في التخطيط والتنظيم وهذا ما يجعلها تابعة لهيئات عليا تكون أبعد ما تكون عن انشغالات المجتمع المحلي.

- الإدارة المحلية تعيش حالة انفصام وانفصال بينها وبين الأفراد والجمعيات في المجتمعات النامية فقلما يحدث التواصل المثمر بين هذه الأطراف لغياب الثقة المتبادلة من جهة وانعدام التمثيل الديمقراطي في دوائر التسيير واتخاذ القرار من جهة أخرى.

هوامش المادة العلمية:

1- أنطوان نعمة و آخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دارالمشرق ، بيروت،لبنان ،ط2000،1م(مادة دور)، ص496

2- مطاوع إبراهيم عصمت، الإدارة التربوية في الوطن العربي، مكتبة النهصة المصرية، القاهرة ـ مصر، (د، ط)، (د، ت)، ص 43،المملكة العربية السعودية، (د، ط)، (د، ت)، ص2.

3- علي غربي وآخرون،تنمية الموارد البشرية،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،عينمليلة،الجزائر،(د، ط)،2000،ص9.

4- فريديريك تايلور، إدارة الورشة،الصادر عام 1903 نقلا عن ،الإدارة الحديثة، المعهد التطويري لتنمية الموارد البشرية.

5- هنري فايول، الإدارة العامة والصناعية،الصادر عام 1916م،نقلا عن المرجع نفسه.
6- منشورات المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني: مبادئ إدارة الأعمال (الإدارة وأهميتها)، الإدارة العامة لتصميم وتطوير المناهج، المملكة العربية السعودية، (د، ط)، (د، ت)، ص2.
7- George S. Blair, Governement at the grass-roots, California, palisades publishers, 1977, 45.
8- حسن محمد عواضة، الإدارة المحلية وتطبيقاتها في الدول العربية – دراسة مقارنة ، بيروت ـ لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983م، ص 17.
9- فاطمة ربابعة، دور مجالس الخدمات المشتركة في التنمية المحلية في الأردن، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1990م.
10- محمد نور عبد الرزاق، استقلال الإدارة المحلية في مصر، رسالة ماجستير، جامعة الاسكندرية، 1974م.
11- هشام أمين مختار، تخطيط وتنمية المجتمعات الجديدة في جمهورية مصر، رسالة دكتوراه، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، 2000م.
12- عبد الرزاق الشيخلي، العلاقة بين الحكومة المركزية والإدارات المحلية، دراسة مقارنة، ندوة العلاقة بين الإدارة المركزية والإدارة المحلية، المعهد العربي لإنماء المدن، بيروت ـ لبنان، 23-25 سبتمبر 2002م.
13- المنظمة العربية للعلوم الإدارية، النمو الحضري في الوطن العربي، المؤتمر الرابع عشر للشئون الاجتماعية، جامعة الدول العربية، 1999م.
14- حسام قضب، تقييم كفاءة وفاعلية الآليات المحلية لصناعة القرار في إدارة العمران الحضري، المؤتمر العربي الإقليمي، تحسين الظروف المعيشية من خلال التنمية الحضرية المستدامة، ديسمبر 2000م.
15- سالم توفيق النجفي، أساسيات علم الاقتصاد، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر، 2000م، ص 300.
16- إيف بينوت، ما هي التنمية، دار الحقيقة، (د، ت)، ص 11.
17- عبلة عبد الحميد بخاري، التنمية والتخطيط الاقتصادي، (د، ط)، (د، د)، (د، ت)، ص 26.
18- عبد المنعم المشّاط. التنمية السياسية في العالم الثالث، العين: مؤسسة العين للإعلان، 1988، ص 36.
19- عمرو محي الدين، التخلف والتنمية، بيروت ـ لبنان، 1975م، ص 134.
20- عبلة عبد الحميد بخاري، التنمية والتخطيط الاقتصادي، ص 28.
21- عاصم الاعرجي، نظريات التطوير والتنمية الإدارية ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ـ العراق، 1988، ص 13.
22- جاسم محمد الذهبي ، التطوير الإداري ، مداخل ونظريات – عمليات واستراتيجيات ، وزارة التعليم العالي ، بغداد- العراق ، 2001، ص65.

أسلوب اتخاذ القرار كمدخل معرفي لبناء عملية الاختيار الدراسي والمهني لدى تلاميذ المرحلة الثانوية

ملخص

يعالج هذا المقال مشكلة اتخاذ القرار اتجاه الاختيارات الدراسية والمهنية لدى عينة تلاميذ المرحلة النهائية من التعليم الثانوي بدولة الجزائر، و بالتالي معرفة الأهمية النسبية لأساليب اتخاذ القرار في المجالين الدراسي و المهني.

أ. **عبد الحكيم بوصلب**

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة سطيف 2
الجزائر

مقدمة

تعتبر عملية اتخاذ القرار من بين المواضيع التي لم تلقى اهتماما بالبحث في الأوساط البحثية العربية، رغم تميز هاته المجتمعات بالوصاية الوالدية على الأبناء في جميع المجالات وجميع مراحل الحياة ، فنجد الطفل يعيش تنشئة أسرية محافظة ثم يتجه إلى المدرسة أين يعكس المعلمين والأساتذة صورة الأب فيستدخلها التلميذ ويتمثلها ويوائمها وفق القيم الأسرية والمجتمعية السائدة، مما يؤثر على مسيرته الدراسية المهنية والتي تحتاج اختيارات حاسمة تجعله ملزما باتخاذ قرارات مصيرية .فكانت دراستنا الحالية تعمل على معرفة نوعية ومدى انتشار أساليب اتخاذ القرار لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بالجزائر تمهيدا لاقتراح تصورات مستقبلية حول الكيفية التي تمكن التلاميذ من تعلم عملية اتخاذ القرار.

Résumé

L'article traite le problème de la prise de décision chez les élèves de la terminale des lycées en Algérie lors de leur choix scolaire et professionnel, et par conséquent découvrir l'importance des différents styles de leur prise de décision.

1- إشكالية الدراسة:

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

ما هو متعارف عليه علميا وميدانيا أن عملية الاختيار الدراسي والمهني تساير مراحل نمو الطفل المختلفة كما تؤكد على ذلك أولى الدراسات التي حاولت أن تبحث في هذا الموضوع، وهي دراسة جينزبرغ وآخرون Ginsberg & al عام 1951 حيث يرون بأن عملية الاختيار المهني تبدأ بمرحلة الاختيارات الخيالية حيث تكون اختيارات الأطفال بناء على خيالات، وتصل إلى غاية سن 10 و11سنة ،ثم مرحلة الاختيارات التجريبية وتكون مابين 11إلى 17 وما يطغى على هاته المرحلة الرغبة في اعتماد التجربة وهي مقسمة إلى أربعة أطوار ،طور الاهتمامات إلى غاية سن 11أو 12 سنة أي أن الطفل يركز على ما يهمه في لحظة واحدة ،طور القدرات من 13إلى 14 سنة أي التركيز على متطلبات المهن ، طور القيم حوالي 15إلى 16 سنة، حيث أن الشباب في هاته المرحلة يقومون بإعطاء أوزان للعوامل التي دفعتهم للاختيار وترتيبها، ثم يأتي طور المنعطف وهو عبارة عن مرحلة انتقالية بين الثانوية والجامعة ، ثم مرحلة الاختيارات الواقعية وهي تناسب مرحلة التعليم العالي وتتضمن طور الاكتشاف في أول سنة بالجامعة وطور التبلور في السنة الرابعة وطور التخصيص في السنة الخامسة وتتميز بالتخصص الدقيق ومقاومة التراجع عن المشروع المهني المختار. (1)

وتصل عملية الاختيار المهني إلى ذروتها في مرحلة المراهقة وتتوافق هذه الفترة مع مرحلة التعليم الثانوي ،والذي من أهم خصائصه ميزة التخصص أين يجد التلميذ نفسه ملزما باختيار نوع الدراسة المناسب الذي يوائم ميوله واستعداداته ،مراعيا في ذلك مستلزمات الشعبة المختارة التي يسعى من خلالها للوصول إلى ممارسة مهنة مستقبليـة .

حيث يرى دنفر Danvers بأن "عملية الاختيـار Choisir هي فرصة لتنمية الذات والتعبير عنها بحرية في ضوء الضغوط والفرص التي يفرضها المحيط في عالم متسارع" (2)، مما يجعل التلميذ مترددا وحائرا ويعيش حالة من التوتر الناتجة عن عدم معرفته بذاته وبمحيطه ،فتتسم قراراته بنوع من التبعية والارتجالية أحيانا والعقلانية والحدسية أحيانا أخرى،والتي قد تعود عليه بعواقب سلبية في حياته المهنية والاجتماعية.

وتتدخل في هذه العملية مجموعة من العوامل،ففي دارسة قام بها جابر عبد الحميد بدولة قطر عام 1984من خلال مقارنة اتجاهات الطلبة والطالبات نحو التخصص والدراسة الجامعية وعلاقة ذلك باختيار المهنة ،توصل إلى أن العامل الأول في اختيار المهنة هو الرغبة الشخصية، ثم يليه ضمان العمل بعد التخرج،ثم نظرة المجتمع للمهنة. (3)

وإذا اعتـبرنا بأن الاختيار هو عبارة عن عملية اتخاذ قرار فإنه يمكننا أن نفترض بان هناك خطا متصلا من العقلانية أو المنطقية في اتخاذ القرارات،بحيث يقع في أحد طرفي الخط المتصل تلك القرارات التي تؤخذ بشكل منطقي وعلى أساس التقييم

الموضوعي لعناصر الموقف أو المشكلة ،بينما يقع على الطرف الآخر تلك القرارات التي تؤخذ بصورة اعتباطية أو لمجرد نزوة شخصية أو هوى وعليه فإن معظم القرارات المهمة تتخذ في ظل حالة تجمع بين ظروف من الشك و المخاطرة واليقين. (4)

وقد حاول الباحثين معرفة مختلف أساليب اتخاذ القرار في مختلف المواقف وتعتبر دراسة ليليان دانكلاج Lilian Dinklage عام 1968، (5) من بين أبرز الدراسات التي تعرضت لأساليب اتخاذ القرار حيث توصلت إلى حصر مجموعة من الأساليب يمكن أن يتصف بها الأفراد أثناء مواجهتهم لوضعيات قرار، ومن بين أهم هذه الأساليب نجد الأسلوب العقلاني ،والأسلوب الحدسي ،والأسلوب الحذر ،والأسلوب المعتمد، والأسلوب القدري.

ومن بين الذين اهتموا بأساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني نجد دراسة كرومبولتز وآخرون عام 1986 Krumboltz et al, التي صنفت أساليب اتخاذ القرار مابين الأسلوب العقلي Rational، والأسلوب الحدسيIntuitive ،الأسلوب القدري Fatalistic، والأسلوب المعتمد Dépendent .(6)

وفي دراسة آروبا عام 1979 Arroba فقد ميز بين ست استراتيجيات في اتخاذ القرار قدمها كأساليب وهي الأسلوب المنطقي، والأعمى والمتردد ،والعاطفي، والتلاؤمي، والحدسي) (7) ،كما أشار هارن وآخرون Harren et al عام 1978و1980إلى التقسيم التالي فيما يخص أساليب اتخاذ القرار إلى الأسلوب العقلي والأسلوب الحدسي، والأسلوب التابع أو غير المستقل، ويشيرون كذلك بأن تميز الفرد بنمط معين يعود بالأساس إلى طبيعة مركز اتخاذ القرار لديه ،فإذا كانت طبيعة مركز اتخاذ القرار داخلية فإن الفرد يستعمل الأسلوب العقلاني في قراراته،أما الأفراد الذين لديهم مركز اتخاذ القرار خارجي فإنهم يتميزون بالأسلوب التابع أو الحدسي. (8)

وتشكل توجهات التلاميذ نحو الوظيفة المستقبلية عامل أساسي في اختيارات التلاميذ وبخاصة في الصفوف النهائية للمرحلة الثانوية باعتبارها تشكل مرحلة المنعطف،حيث يكونون في مفترق الطرق بين النجاح ومواصلة الدراسة الجامعية في التخصص الجامعي المناسب،وبين الرسوب والانتقال للحياة العملية، فيكونون في حاجة ماسة للمعلومات حول ذاتهم ومحيطهم،حتى يتمكنون من أخذ قرارات مصيرية تتعلق بحياتهم المستقبلية خاصة في ظل التغير والتطور التكنولوجي السريع الذي أثر بانعكاساته على الوضع الاقتصادي والاجتماعي حيث نجد أن مهنا زالت وظهرت أخرى تتطلب كفاءات جديدة مما يجعل من عملية التكوين عملية صعبة ومعقدة ، فنجد مثلا في المجتمعات المتطورة بأن الفرد قد يغير مهنته من 6 إلى 7 مرات خلال مسيرته المهنية.

حيث يـرى كل من بيليتي وديمورا Pelletier et Dumora 1984 بأنه من غير الممكن بناء مشاريع على المدى البعيد في عالم دائم التطور مما يستدعي تعلم استراتيجيات على المدى القصير ، وكذا تعلم كيفية القيام بالتعديلات المناسبة. (9)

وأمام هذا الوضع غير الثابت يصبح التركيز على عملية اتخاذ القرار أمرا جوهريا في حياة الأفراد، وبخاصة في المجتمعات العربية التي تتميز بالتربية التقليدية في البيت والمدرسة التي غالبا لا تنمي مهارات اتخاذ القرار عند الناشئة، ولأنه لا يوجد ما يبرر الافتراض بأنهم يستطيعون أو أنهم يتعلمون كيف يصبحون صانعي قرار مهرة بالاعتماد على أنفسهم ، فان تعليمهم مهارات اتخاذ قرار وتدريبهم على ممارستها خلال سنوات دراستهم المبكرة غاية في الأهمية دون شك ، ولا سيما في عصر لم تعد الاختيارات فيه محصورة بين ابيض واسود وعليه فان عملية اتخاذ القرار تنطوي على عناصر إبداعية يمكن تلخيصها فيما يلي: - توليد البدائل وبخاصة بالنسبة للقرارات الصعبة أو المصيرية – التنبؤ بالآثار المترتبة على اختيار بديل معين دون غيره في ضوء الاتجاهات السائدة في الحاضر، جلاء القيم والأولويات الشخصية قبل كل شيء لأنها تشكل عاملا مؤثرا في كل القرارات التي نتخذها بغض النظر عن الأسلوب أو الإستراتيجية المتبعة في اتخاذ القرار (Debono1999) .(10)

ويعتبر المجتمع الجزائري أحد هاته المجتمعات التي تتسم بالوصاية الوالدية على الأبناء في المسيرة الدراسية والمهنية على حد سواء، و يلاحظ ذلك جليا في الواقع المعاش الذي يعرف تغيرات جذرية في البنية القيمية للأفراد والجماعات مما يحتم على التلميذ التكيف مع الظروف المستجدة في وقت وجيز بمعنى أخر أن يقوم بفعل ما،أو يتخذ موقف ما، أو يختار وجهة ما في أي لحظة وفي أي مكان.

كما تشهد نهاية المرحلة الثانوية وصول التلاميذ إلى مستوى متقدم من النضج واتساع في الآفاق والطموحات المهنية،الشيء الذي يسمح لهم بامتلاك خيارات وبدائل دراسية ومهنية تجعلهم في مواقف حقيقية لاتخاذ قرار دراسي يمهد لأفاق ممارسة مهنة مستقبلية للناجحين والملتحقين بالتعليم الجامعي ،واتخاذ قرار مهني بالنسبة للملتحقين بالتكوين المهني والحياة الاجتماعية.

مـن هذا كان اتجاهنا في الدراسة الحالية إلى معرفة الأهمية النسبية لأساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني السائدة لدى التلاميذ في نهاية المرحلة الثانوية بالجزائر فكان تساؤلنا كالتالي.

ما هي أهم أساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني السائدة لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بدولة الجزائر؟

ويتفرع عن هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية وهـي:

2-1 – تساؤلات الدراسة:

- هل تختلف الأهمية النسبية للاستجابات المتعلقة بأساليب اتخاذ القرار الدراسي السائدة لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بدولة الجزائر ؟
- هل تختلف الأهمية النسبية للاستجابات المتعلقة بأساليب اتخاذ القرار المهني السائدة لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بدولة الجزائر ؟

2-فرضيات الدراسة:

2-1.الفرضية العامة :

تتفاوت الأهمية النسبية لأساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بحسب الأساليب التالية **(**الأسلوب العقلاني ،الأسلوب الحدسي،الأسلوب الآمن الحذر،الأسلوب المعتمد).

2-2. الفرضيات الجزئية :

2-2-1 .تختلف الأهمية النسبية للاستجابات المتعلقة بأساليب اتخاذ القرار الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بدولة الجزائر بحسب الأساليب التالية (الأسلوب العقلاني ،الأسلوب الحدسي،الأسلوب الآمن الحذر،الأسلوب المعتمد).

2-2-2. تختلف الأهمية النسبية للاستجابات المتعلقة بأساليب اتخاذ القرار المهني لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بدولة الجزائر بحسب الأساليب التالية (الأسلوب العقلي ،الأسلوب الحدسي، الأسلوب الآمن الحـذر، الأسلوب المعتمد).

3-تحديد المصطلحات:

3-1. مفهوم الاختيار:

أ- لغـة: مأخوذ من الفعل اختار، يختار، اختيارا. فنقول اختار الشيء بمعنى انتقاه واصطفاه. (11)

ب-اصطلاحا: يعتبر مصطلح **الاختيار** مصطلحا كثير الاستعمال في شتى المجالات كما أنه قريب وله نفس المدلول مع العديد من المصطلحات، كالتفضيل واتخاذ القرار.

ويقصد به كذلك انتقاء التلميذ لمسار تعليمي معين يفضي إلى أفق مهني مصيري يسمح له بتأكيد ذاته ومكانته في المجتمع،وهو أيضا عملية الارتقاء بالتلميذ إلى مرتبة المسؤولية لإعانته على صياغة مشروعه الدراسي والتكويني ثم المهني. (12)

ويعرفه سيد أحمد عثمان عام1996 "الاختيار نشاط عقلي وجداني مفاضل، مرجح، مقرر، أو نشاط تقويمي يقوم به الفرد في مواقف توجب عليه أن يختتم المفاضلة ويصل إلى ترجيح ما". (13)

وهنـاك من الباحثين من يفرق بين الاختيار وفكرة المشـروع حيث أن بيمارتن وليجر 1988 Jacques Legres et Daniel Pemartin يعرفون "الاختيار بأنه قرار آني

غير مدروس يتأثر بكثير من العوامل الاجتماعية والاقتصادية المحيطة بالفرد بينما المشروع أنه عبارة عن صيرورة تمتد لسنوات وعليه فالمشروع أوسع "،كما يشير فورنـير Forner 1986 بان المشروع يسمح بفهم وحدة وتنظيم السلوكات من بداية تحديد الهدف والمعبر عنها بالاختيار إلى غاية تحقيق الهدف ، وعليه فالمشروع عكس الاختيار يتضمن تحديد الهدف ، الوسائل والإمكانيات اللازمة لتحقيقه. (14)

3-2. مفهوم الاختيار المهني:

تنص نظرية جينزبـرغ Ginzberg على أن الاختيار المهني هو عملية اتخاذ قرارات مستمرة طيلة الحياة، يسعى فيها الفرد وراء العثور على الملائمة المثلى بين الاستعداد للمشوار المهني ، وأهدافه والأمور الواقعية في عالم المهن، كما يرى فيه سوبرSuper على انه صياغة وتطبيق لمفهوم الذات. (15)

*بينما يرى كرومبولتز krumboltz بأن الاختيار المهني هو نتيجة تفاعل بين عوامل جينية وعوامل خارجية ،بمعنى أنه هناك العوامل الوراثية كالجنس والمواهب والإعاقات والعرق فإنها لا تأخذ معناها إلا في سياق اجتماعي معين مثال: مجتمع يثمن فيه النجاح الاجتماعي للاعبي كرة السلة قد يصير الطول عنصرا محددا للتفضيلات المهنية . (16)

*أما وجهة نظر ليندا كوتفريدسون Gottfridsson هي أن الاختيار المهني يرتبط بعملية التمثـل الاجتماعي للمهن، فترى بان التفضيلات المهنية والاختيارات المسارية تشكل أساس محاولة تحقيق الذات الاجتماعية. (17)

*بينما يرى بيـل لاو أن الاختيار Choice المهني يتضمن سلسـلة من القـرارات عن الوظيفة يصل الأفراد من خلالها إلى تسوية أو مواءمة بين تفضيلاتهم والأمور الواقعية المتعلقة بالدخول في مهنة معينة. (18)

*ويرى فيه إريكسون Eriksson بأن الاختيار المهني والتفضيلات المهنية هي عناصر تتدخل في بناء الذات وهذه العناصر لا تجد لها معنى إلا بالرجوع إلى مشاعر الهوية ، حيث تمثل المراهقة فترة تعتمل فيها استراتيجيات التماهي أي استدعاء تمثلات خيالية أو حميمية عن المهن. (19)

من خلال هاته التعريفات يتضح بأن الاختيار له علاقة وطيدة باتخاذ القرار وتتدخل فيه مجموعة من العوامل الذاتية والاجتماعية، ودراستنا الحالية تتبنى مفهوم اتخاذ القرار في شقيه الدراسي والمهني .

3-3 **مفهـوم اتخـاذ القـرار**:

*يذكر إميل شنودة عام 1980أن كلمة قرار Decision كلمة لاتينية معناها القطع والفصل cut off بمعنى تغليب أحد الجانبين على الأخر، ومنه فهو يرى بأن اتخاذ القرار نوع من السلوك يتم اختياره بطريقة معينة تقطع أو توقف عملية التفكير ، بينما

يعرفه سمير يوسف عام 1983 على أنه إصدار حكم معين عما يجب أن يفعله الفرد في موقف ما بعد التمعن في البدائل المختلفة التي يتبعها. (20)

ويعرف نيجرو Nigro عام 1965 اتخاذ القرار بأنه الاختيار المدرك "الواعي"بين البدائل المتاحة في موقف معين. (21)

بينما يعرفه عبد الكريم درويش عام 1975 بأن عملية اختيار أفضل السبل لتحقيق الهدف،حيث غالبا ما ينظر على اتخاذ القرار على أنه عملية فكرية من نتاج ذهني، وأن القرار هو أفضل البدائل لبلوغ الهدف.

يعرفه كذلك برنارد سنة 1975بأن القرار هو التصرف أو السلوك الذي يأتي نتيجة التدبير والحساب والتفكير أي أن اتخاذ القرار عمل شعوري متعمد ومقصود.

كما يرى هربرت سيمون Simon عام 1960 بان اتخاذ القرار يتميز بثلاثة مظاهر هي الذكاء ويتمثل في البحث عن إطار للظروف المحيطة بالموقف ،والتي تحتاج إلى تجميع المعلومات وتبويبها وتمحيصها للتعرف على المشكلة ،أما المظهر الثاني فيتمثل في ابتكار وإيجاد الحلول المحتملة وتحليلها وتقييمها ،أما المظهر الأخير فهو الاختيار. (22)

ويعرفه ميلي Mullet 1984في إطار مفهوم اللايقين فيقول بأن اتخاذ القرار هو عبارة عن تجاوز التعارض مابين أحكام الاحتمالات وأحكام المنفعة لدى التلميذ المعني في عملية التوجيه المدرسي،ويضيف بأن أحكام الاحتمال مرتبطة بحظوظ التلميذ في النجاح، بينما أحكام المنفعة مرتبطة برغبات التلميذ. (23)

بينما يعرفه جيلات Gellat" بأن اتخاذ القرار عبارة عن عملية تنظيم وإعادة تنظيم للمعلومات لحظة القيام بفعل أو اختيار ما. Gellat 1989.p. 253 ". (24)

ومن خلال التعاريف السابقة نصل إلى تحديد التعريف الإجرائي و الذي يتبناه الباحث في دراسته هاته.

3-4 التعاريف الإجرائية:

3-4-1 التعريف الإجرائي للاختيار الدراسي والمهني في الدراسة الحالية :

هو ذلك القرار المتخذ من طرف الطالب أثناء اختياره لنوع الدراسة والمهنة الذي يرغب في متابعتها ومزاولتها مستقبلا.

والمقصود بأسلوب اتخاذ القرار ما يلي :

3-4-2. مفهوم أسلو ب اتخاذ القرار:

يعرف كل من Scott and Bruce 1995 سكوت وبروس "بأنه الطريقة المعتادة من طرف الفرد للتعبير عن إجاباته أثناء مواجهته لوضعيات قرار خاصة 820 p"، ويضيف كل من دريفر وبروسو وهانزاكير." Driver, Brousseau et Hunsaker 1993 (25) بأن الفرد في غالبية الأحيان لديه طريقة معتادة في آخذ قراراته، ويسمى هذا بأسلوب اتخاذ القرار وهو بذلك له أسلوب أساسي وله أسلوب ثانوي في عملية اتخاذ القرار،وفي بعض الأوقات نجده يحاول أن يمزج بين مختلف الأساليب وهذا يكون عادة في القرارات المصيرية.

كما يطلق تعبير أسلوب Style اتخاذ القرار على السلوك المتكرر للفرد ،و بالرغم من أن الفرد قد يكون له عدة أنماط إلا هناك نمط يكون عادة هو السائد لديه ، وهو ما يعبر عن الطابع العام للشخص . (26)

ويمكن تصنيف مواقف اتخاذ القرار في أبوزيد الشويقي عام 1994 (27) إلى ثلاث فئات:

- المواقف اللايقينية: وهي المواقف التي لا يستطيع الفرد من خلالها إعطاء تفسيرا أو تبرير منطقي لاستنتاجاته، أو تنبؤاته بالقرار الأمثل لأنها تعتمد على خبراته وتحليلاته للمهام السابقة.
- مواقف المخاطرة :وهي تلك المواقف التي بإمكان الفرد تحديد احتمالات حدوثها.
- المواقف اليقينية :وهي مواقف تتضمن معلومات كافية عن المدخلات والمخرجات ،وبإمكان الفرد إعطاء تبريرات منطقية لاستنتاجاته وقراراته.

3-4-3 . التعريف الإجرائي لأسلوب اتخاذ القرار:

نعرفه في دراستنا الحالية: بأنه الطريقة المعتادة التي يتبناها التلميذ في اتخاذ قراراته عند اختياره لدراسة أو مهنة معينة ويقاس بدرجات مقياس أساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني.

وركزنا في دراستنا على الأساليب التالية:

الأسلوب العقلاني، الأسلوب الحدسي، الأسلوب الأمن الحذر، الأسلوب المعتمد.

الأسلوب الأول والثاني والرابع مستوحاة من دراسات سابقة في الموضوع، أما الأسلوب الثالث فقد كان بناءا على ملاحظات ميدانية للباحث. وهي كلها موجودة على خط متصل بين اليقين والمخاطرة واللايقين.

وكان اختيارنا لهذه الأساليب لأننا نعتقد بأنها الأقرب لواقعنا وهذا بحكم تجربتنا في الواقع الميداني.

3-4-3 التعاريف الإجرائية لأساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني ومؤشراتها:

أ ـ **الأسلوب العقلاني :** يعرف على أنه الأسلوب الذي يطغى عليه الجانب العقلي في اتخاذ القرارات ويتميز بالصفات التالية:

(1) الخططية (2) الاستقلالية (3) المقارنة (4)المسؤولية (5) الثقة في النفس (6) المنطقية (7) المواءمة (8) الموازنة (9) معرفة كبيرة بالذات وبعالم العمل (10) استغلال أكبر للمعلومات.

ب ـ الأسلوب المعتمد:

وهو ذلك الأسلوب الذي يعتمد على الآخرين في اتخاذ القرار ويتميز صاحبه بالصفات التالية :

(1) الاعتمادية (2) خاضع لرغبة الوالدين (3) مسير من طرف الإخوة الأكبر (4) تابع للزملاء (5) مستمع لأراء الأساتذة (6) متردد (7) ليس له أي هدف واضح (8) غير مهتم (9) تابع لقرار الموجه (10) غير مقرر.

ج ـ الأسلوب الآمن الحذر: وهو ذلك الأسلوب الذي تتسم قرارات صاحبه بالحذر الآمن،أي عدم المخاطرة كثيرا، ويتخذ قراراته وفقا للاعتبارات التالية :

(1) يقرر وفق اقل الأهداف (كالقدرة على الدراسة) (2) ضمان النجاح على الأقل(3) الحصول على علامات دراسية مقبولة (4) يسعى إلى تأمين المستقبل وفقط (5) تحقيق حد أدنى من الشعور بالذات (6) السعي للحصول على حد أدنى من التقدير الاجتماعي (7) هدفه الحصول على البكالوريا (بالنسبة للدراسة) أو الترقي في العمل دون اعتبار لأي شيء(بالنسبة للمهنة) (8) توفر فرص أكثر للالتحاق بالجامعة وفقط (بالنسبة للدراسة)وممارسة وظائف مهما كان نوعها (بالنسبة للمهنة) (9) قليل المخاطرة (10) حذر من أراء الغير.

د ـ الأسلوب الحدسي:

وهو ذلك الأسلوب الذي يطغى على قرارات صاحبه الإحساس الفطري ، ويراعي الاعتبارات التالية:

(1) يختار وفق رغبته بشكل اكبر (2) يراعي ميوله بشكل أكبر (3) يراعي اهتمامه بشكل أكبر (4) يختار وفق شعوره بذاته(5) متبع أكثر لأحاسيسه الفطرية (6) متبع للتلقائية (7) يتسم بالاندفاعية (8) متبع لنزواته (9) حالم(10) غير مفكر(متسرع).

4)- الدراسات السابقة التي لها صلة بموضوع الدراسة:

من خلال إطلاعنا على الدراسات السابقة التي تعرضت لموضوع الاختيار الدراسي و المهني ، وكذا عملية اتخاذ القرار.

ونظرا لكون هذه الدراسات متداخلة فيما بينها بمعنى أننا نجدها تتكلم عن الاختيار، اتخاذ القرار، وبناء عليه فقد لاحظ الباحث ما يلي:

- دراسة هانم علي عبد المقصود ومحمود عوض الله سالم سنة 1990 فقد حاولا اختبار صدق اختيار الطلاب الصف الأول الثانوي في العربية السعودية،و هذا في ضوء بعض المتغيرات النفسية، وهي القدرة اللفظية، القدرة المكانية، القدرة على التفكير الاستدلالي) الميل الحسابين الميل العلمي، الميل الأدبي، القدرة العددية، الميل إلى الخدمة الاجتماعية، وهي تقترب من دراستنا الحالية على اعتبار أن كل من الاختيارات الدراسية والمهنية، وكذا التوجهات الوظيفية تبنى بناء على ميولات واهتمامات.

وتتشابه الدراسة الحالية مع دراسة عبد الباقي 1992 التي تبحث في محددات اختيار التخصص الدراسي للطالبة الجامعية السعودية، مع أنها تختلف عنها في تركيزها على الاتجاهات و العادات كمؤثرات في اختيار التخصص الدراسي.

بينما عالجت دراسة محمد مصطفي الصفطي 1992، موضع الضبط الداخلي و الخارجي وعلاقته بالاختيار الدراسي لدي عينة من طلاب جامعة الإمارات،و قد تمحورت على العوامل المؤثرة في عملية الاختيار والتي تضمنها المقياس الذي أعده الباحث في ما يلي:(الميول المهنية، تحقيق الذات، الرضا عن الدراسة، الأسرة، المجتمع).

بينما جاءت دراسة حسين الشرعة عام 1994 لمحاولة ترجمة النموذج النظري الشخصي في اتخاذ القرار إلى نموذج تطبيقي عملي. وتختلف هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات الأخرى و حتى عن دراستنا الحالية فكونها استعملت أدوات مختلفة تماما، حيث حاولت استعمال برنامج إرشادي مشكل من ست خطوات يتم من خلال جلسات إرشادية.

ثم جاءت دراسة مجدي عبد الكريم حبيب، حول صنع القرار و التي حاولت معرفة التصنيفات المختلفة لأساليب صنع القرار مع محاولة التعرف إلى نوعية الأسلوب السائد لديهم.

وقد تمثلت الأساليب التي اعتمدتها هذه الدراسة فيما يلي :(الأسلوب التركيبي، المثالي، العملي، التحليلي، الواقعي)،كما عملت الدراسة على الكشف على السياقات المختلفة الإبتكارية، الاجتماعية، و الشخصية المرتبطة بصنع القرار والتي تكمن وراء كل أسلوب من أساليب صنع القرار، وتعتبر هذه الدراسة مختلفة عن الدراسات الأخرى، لأنها ابتعدت عن عوامل الاختيار و حاولت أن تتبني توجها آخر، يتمثل في خصائص صانع القرار(الاجتماعية و الشخصية والإبتكارية).

أما دراسة محمد بن عبد المحسن التويجري وإسماعيل محمود سلامة 1997، فإنها لم تخرج عن وجهة الدراسات السابقة الأخرى حيث تناولت الاتجاه نحو التخصص

الدراسي وأسباب اختياره في ضوء بعض المتغيرات وهي (السن، التخصص البيئة الجغرافية).

ثم نجد دراسة صبرين صلاح تعلب عبد ربه عام 2005 حيث ركزت على فعالية صنع القرار الأكاديمي في ضوء أساليب صنع القرار و متغيرات السياق لدى طلاب الجامعة، حيث تبنت هذه الدراسة ثلاثة عوامل(أساليب) الأسلوب الأول وهو الأسلوب المعتمد، ثم الأسلوب الحدسي، ثم الأسلوب العقلاني.

5)- المنهج المتبع في الدراسة:

إن مرحلة اختيار منهج البحث تأتي في مقدمة مراحل تصميم البحث وذلك لان كل منهج له تصميماته. ويعرف منهج البحث بتعريفات متعددة لعل من أشملها التعريف الذي أورده بدوي عام 1977بقوله " إن منهج البحث يعني الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل حتى يصل إلى نتيجة معلومة ". (28)

ومن المتعارف لدى المشتغلين بمنهجية البحث في العلوم السلوكية أن منهج البحث يختار وفقا لمجموعة من الاعتبارات منها طبيعة الإشكالية المطروحة وكذا توجه الفرضيات المعنية بالدراسة ، وباعتبار طبيعة موضوعنا يبحث مدى انتشار أساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني ،فالباحث يرى بان المنهج المناسب لهذه الدراسة وفرضياتها هو المنهج الوصفي.

6)الحيز المكاني والزماني للدراسة:

تم إجراء الدراسة بمؤسسات التعليم الثانوي لولاية ميلة في الفترة الزمنية الممتدة ما بين أفريل 2009 و ماي 2009.

7)- تعريف المجتمع وتحديد خصائصه:

يقصد بالمجتمع جميع الأفراد (أو الأشياء ،أو العناصر)الذين لهم خصائص واحدة يمكن ملاحظتها (29) ومجتمعنا المعني بالدراسة هم تلاميذ المستوى النهائي من التعليم الثانوي بولاية ميلة ذكور وإناث المتمدرسين بالشعب التالية علوم تجريبية، وآداب وفلسفة، وتقني رياضي(هندسة مدنية ،هندسة كهربائية، هندسة ميكانيكية، هندسة الطرائق). متوسط أعمارهم مابين 18 و20سنة وهم يتوزعون على المؤسسات بالشكل التالي :

جدول رقم 01 يوضح التوزيع العام للتلاميذ بحسب التخصص والجنس .

الثانويات /التخصصات	علوم تجريبية		آداب وفلسفة		تقني رياضي		المجموع	
الجنس	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور
المجموع	747	637	693	261	41	181	1481	1079

8)- العينة وكيفية اختيارها :

إن العينة حسب أنجر. Angers ;M " العينة هي مجموعة فرعية من جمهور معين ". (30)

8-1)- تحديد حجم العينة:

يواجه الباحث عادة بسؤال ما هو الحجم الذي يجب أن تبلغه العينة وقد أشار (الحسن إحسان محمد عام 1982 أن حجم العينة يتأثر بعدة متغيرات أساسية هي:

1- حجم مجتمع البحث المطلوب دراسته .
2- تجانس أو عدم تجانس مجتمع البحث في الصفات التي يهتم بها البحث العلمي.
3- درجة دقة وصحة المعلومات والبيانات التي يريد الباحث الحصول عليها وعلاقتها بالفرض الأساسي الذي دفع الباحث للقيام بالبحث.
4- الوقت المتيسر للباحث .
5- الموارد البشرية والمالية المتيسرة للبحث .

ويرى أبو علام 1998 أن حجم العينة في البحوث الإرتباطية هو 30 ،أما في البحوث التجريبية فإن حجم العينة هو 15 فردا في كل مجموعة ، أما البحوث الوصفية فهي 20 % من مجتمع صغير نسبيا و10 %من مجتمع كبير (حجمه بالآلاف) و5% من مجتمع كبير جدا (حجمه مئات الآلاف). (31)

وقد بلغ حجم العينة في دراستنا هاته 273 تلميذ بنسبة 10.66 % من مجتمع الدراسة والمقدر ب2560 تلميذ وتلميذة. وهي موزعة بالشكل التالي :

جدول رقم02 رقم يوضح توزيع العينة حسب التخصص والجنس.

التخصص والجنس	علو م تجريبية	آداب وفلسفة	تقني رياضي	المجموع
ذكور	44	06	24	74
إناث	117	66	16	199
المجموع	161	72	40	273

8-2)-كيفية اختيار العينة:

تم اختيار العينة بطريقة عشوائية بسيطة والمتمثلة في اختيار مجموعة من مؤسسات التعليم الثانوي، من دون أي قصد معين ثم اختيار عدد من التلاميذ داخل المؤسسة الواحدة من أفواج مختلفة.

9- مراحل بناء أدوات الدراسة،وخصائصها السيكومترية:

9-1)- مقياس أساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني :

بعد قيامنا بالتطبيق الأولي الاستطلاعي للمقياس في صورتيه أساليب اتخاذ القرار الدراسي وكذا أساليب اتخاذ القرار المهني قام الباحث بضبط المقياس من خلال ما يلي :

- حذف العبارات التي تجنبها أفراد الدراسة الاستطلاعية بسبب الغموض وعدم الوضوح .
- اعتماد العبارات التي لقت استجابة عند غالبية أفراد العينة الاستطلاعية.
- إعادة صياغة بعض العبارات التي استدعت التدخل لشرح مغزاها .
- إضافة وحذف بعض الكلمات حتى تصبح العبارات ذات مدلول أوضح .
- إعادة صياغة التعليمات بشكل أكثر وضوحا للمفحوصين.
- ضبط عدد العبارات العامة وعدد العبارات الخاصة بكل محور
- تحديد وضبط السمة التي يقيسها كل بند بغرض عرضها على المحكمين. ..
- القيام بالإخراج ما قبل النهائي للمقياس.

9-2))-الشروط السيكومترية لأدوات الدراسة:

9-2-1)- الثبات:

المقصود بالثبات هو الحصول على نفس النتائج إذا أعيد تطبيق الاختبار على نفس العينة بعد فترة وجيزة. وخير طريقة لقياس الثبات أي مقارنة هذه الدرجات هي حساب معامل ارتباط درجات الاختبار في المرة الأولى بدرجات هذا الاختبار في المرة الثانية، وعندما تثبت الدرجات فتصبح واحدة في المرتين يصبح معامل الارتباط مساويا للواحد الصحيح. (32)

أ - في الدراسة الأولية :

فقد استعمل الباحث طريقة التطبيق وإعادة التطبيق بالنسبة لمقياس أساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني.

وقد كان ذلك على عينة مقدرة ب16 تلميذا منهم 11 تلميذة و05 تلاميذ 08 تخصص علوم تجريبية و 05 أدبيين و3 تقني رياضي وهذا بثانوية محمد خميستي وبمساعدة مستشار التوجيه العامل بالمؤسسة ،واتخذ الباحث فارقا زمنيا بين التطبيق الأول والثاني يقدر بحوالي 20إلى 25 يوما وهذا حتى يتسنى له إيجاد التلاميذ المعنيين بالتطبيق الأول وكان ذلك مابين شهر فيفري ومارس من عام 2009 لتزامن ذلك مع فترة نهاية الامتحانات الثلاثي الثاني.

وقد كانت النتائج كما يلي :

جدول رقم 03 يوضح بالنسبة لمقياس اساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني

نتائج التطبيق الأول	معامل الثبات (الفاكرومباخ)	نتائج التطبيق الثاني	معامل الثبات (الفاكرومباخ)
صورة 1 أساليب اتخاذ القرارالدراسي	0.68	صورة 1 أساليب اتخاذ القرار الدراسي	0.71

صورة 2 أساليب اتخاذ القرار المهني	0.72	صورة 2 أساليب اتخاذ القرار المهني	0.75

وقد استعمل الباحث في التطبيق الأول والتطبيق الثاني معامل ارتباط بيرسون الأكثر استعمالا والأنسب لهاته الحالات البحثية:

وكانت النتائج كالـتالي:

- بالنسبة لثبات المقياس الكلي اتخاذ القرار الدراسي والمهني:

كان معامل الارتباط بين التطبيق الاول والثاني هو 0.67 وهو دال عند مستوى الدلالة 0.05

ب - في الدراسـة النهائية:

حيث استعمل الباحث معامل الفا كرونباخ لحساب الثبات لان أدوات الدراسة فيها أكثر من بديلين.

كانت نتائج الثبات كما يلي :
بالنسبة لمقياس اساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني الصورة الكلية :
معامل الثبات هو 0.76.
الصورة 1 أساليب اتخاذ القرار الدراسي: معامل الثبات هو0.62
الصورة 2اساليب اتخاذ القرار المهني: معامل الثبات هو 0.70

9-2-2)-الصـدق:

يقصد بصدق الأداة صلاحياتها لقياس الجانب الذي تدعي قياسه.ويرى العلماء بان الاختبار لا يكون صادقا إلا إذا توفر فيه ما يلي :

- أن يكون الاختبار قادرا على قياس ما وضع لقياسه.
- أن يكون الاختبار قادرا على قياس ما وضع لقياسه فقط بمعنى أن يكون هذا الاختبار قادرا على التمييز بين القدرة والسمة المراد قياسها والقدرات والسمات الأخرى.
- أن يكون الاختبار قادرا على التمييز بين طرفي القدرة والسمة المراد قياسها (33) .

* أما عن طرق تحديد الصدق فهي ثلاث 1- ما يرتبط بالمحتوى 2- ما يرتبط بمحك خارجي 3- ما يرتبط بتكوين الأداة

وقد ركز الباحث في دارسته هاته على ما يلي:

9-2-2-1)- طريقة الصدق المرتبطة بالمحـتوى:

تعتمد الطريقة المرتبطة بالمحتوى على مدى تمثيل فقرات المقياس تمثيلا سليما للمجال الذي نريد قياسه ،ويتطلب تحقيق صدق المقياس بطريقة المحتوى قيام الباحث بالخطوات التالية

- تحديد المجال الذي نريد قياسه تحديدا واضحا، مع تحديد عناصره.
- بناء مجموعة من الفقرات أو الأسئلة الممثلة لذات المجال. (34)

9-2-2-2)-الصدق الذاتي: ويمثل العلاقة بين الصدق والثبات.

معامل الصدق الذاتي هو الجذر التربيعي لمعامل الثبات

بالنسبة للصدق المتعلق بمقياس أساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني الصورة الكلية :

معامل الصدق 0.87

- الصورة 1 أساليب اتخاذ القرار الدراسي: معامل الصدق هو0.78
- الصورة 2اساليب اتخاذ القرار المهني: معامل الصدق هو 0.83

9-2-2-3)- صدق الخبـراء :

المقصود به عرض أداة الدراسة على مجموعة من الخبراء والمختصين في مجال موضوع البحث وكذا مختصين في بناء المقاييس وحتى مختصين في اللغة.

وعليه فقد تم عرض المقياس على مجموعة من الخبراء في مجال علوم التربية وعلم النفس ،واللغة العربية بكل من دولة الجزائر، جمهورية مصر العربية(جامعة القاهرة، جامعة عين شمس، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية بمصر ، المملكة الأردنية الهاشمية)، وكانت النتائج كالتالي:

جدول رقم 04 خاص بتفريغ نتائج الأساتذة المحكمين

المحكمين	البنود التي تقيس		البنود التي لا تقيس	
	العدد	نسبة الاتفاق	العدد	نسبة عدم الاتفاق
محكم رقم 1	83	98.80	01	01.19
محكم رقم 2	82	%97.61	02	%02.38
محكم رقم 3	83	%98.80	01	%01.19
محكم رقم 4	82	%97.61	02	%02.38
محكم رقم5	82	%97.61	02	%02.38
محكم رقم6	84	%100	00	00
محكم رقم7	84	%100	00	00
محكم رقم 8	84	%100	00	00
المجموع	664	%98.80	08	%01.19

يلاحظ من خلال الجدول رقم04 أن الخبراء المحكمين متفقين بنسبة كبيرة على أن البنود تقيس ما أعدت من أجله بالنسبة لكل بند داخل أساليب اتخاذ القرار الأربعة المعنية بالدراسة ،أما النسبة الكلية فقد بلغت98.80 % بالمائة من جملة 672 لصالح البنود ذات السمات التي تقيس أساليب اتخاذ القرار و01.19 % بالمائة لفائدة البنود ذات السمات التي لا تقيسها.

وبعد الإطلاع على ملاحظات المحكمين من حيث الشكل والمضمون فقد وجد الباحث أن غالبية الملاحظات المسجلة كانت من ناحية الصياغة وليس من ناحية المضمون.

وعليه فقد قام الباحث ببعض التعديلات التي اتفقت أراء المحكمين عليها.

10)-الصورة الأولى من المقياس :

10-1)- مقياس أساليب اتخاذ القرار الدراسي : ويضم 40 عبارة في أربعة محا وركل محور يفسر أسلوب معين يتشكل من عشرة عبارات كل عبارة تحاول أن تقيس سمة واحدة تعبر عن مواقف تتعلق بعملية اتخاذ القرار في مجال الدراسة وبالتالي تعتبر مظهرا من مظاهر السلوك التي تميز ذلك الأسلوب.

- وقد اشتمل المقياس على مجموعة من العبارات ذات منحى إيجابي بنسبة 77.5 بالمائة من جملة عبارات مقياس أساليب اتخاذ القرار الدراسي.

- و استخدم الباحث مجموعة أخرى من العبارات ذات منحى سلبي بنسبة 22.5 بالمائة من جملة عبارات مقياس أساليب اتخاذ القرار الدراسي، وأرقامها كالتالي:

وهي عبارة رقم 40،33،27،20،15،13،10،9،7

- كما استخدم كذلك في بناء المقياس عبارة مكررة مرتين في كل صورة أي اتخاذ القرار الدراسي وكذا اتخاذ القرار المهني والغرض منها كشف مصداقية استجابة المفحوصين.

- الصورة الثانية من المقياس:

10-2). مقياس أساليب اتخاذ القرار المهني :استعملنا نفس العملية المتبعة في الصورة الأولى من المقياس وعليه فإن مقياس اتخاذ القرار المهني يضم 40 عبارة بنفس المحاور مع الفرق هو أن القرارات هنا تخص مواقف تتعلق بعملية اتخاذ القرار المهني أي لها علاقة المهنة والمستقبل المهني .

- العبارات ذات منحى إيجابي كانت بنسبة 67.5 بالمائة من جملة عبارات مقياس أساليب اتخاذ القرار المهني

- العبارات ذات المنحى السلبي كانت بنسبة 32.5 بالمائة من جملة عبارات مقياس أساليب اتخاذ القرار المهني وهي العبارات رقم 44،50،53،54،55،60،65،66،67،77،78،79،80.

- أما النسبة الكلية للعبارات ذات المنحى السلبي في المقياس بصورتيه الدراسي والمهني فهي 27.5 بالمائة.

11)- مفتاح تصحيح مقياس أساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني:

بعد الإطلاع على المقاييس المتشابهة حدد الباحث البدائل وأوزانها بالشكل التالي :

- موافق تماما حيث تقابل وزن الدرجة(5)، موافق حيث تقابل وزن الدرجة (4)، موافق إلى حد ما حيث تقابل وزن الدرجة (3)، غير موافق حيث تقابل وزن الدرجة(2)، غير موافق على الإطلاق حيث تقابل وزن الدرجة(1)

ملاحظة1: في العبارات السلبية الدرجات تكون عكسية أي بالشكل التالي:

موافق تماما حيث تقابل وزن الدرجة(1)، موافق حيث تقابل وزن الدرجة (2) ،موافق إلى حد ما حيث تقابل وزن الدرجة (3) ، غير موافق حيث تقابل وزن الدرجة(4) ،غير موافق على الإطلاق حيث تقابل وزن الدرجة(5)

12)- الأساليب الإحصائية المستعملة في الدراسة:

لقد تم استعمال في هذه الدراسة مجموعة من الأساليب الإحصائية بحسب الفرضيات المطروحة وطبيعة المتغيرات وكذا القياسات المستخدمة وكان ذلك عن طريق برنامج spss.

12-1- النسب المئوية :(لحساب تكرارات استجابات الخاصة باستبيان الدراسة الاستطلاعية وكذا تكرارات استجابات المحكمين على أدوات الدراسة، لمعرفة الأهمية النسبية لكل أسلوب في كل من اتخاذ القرار الدراسي، واتخاذ القرار المهني).

12-2- اختبار ك2 للاستقلالية: (لحساب التفاوت بين أساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني السائدة لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بالجزائر).

13-عرض وتحليل وتفسير النتائج

13-1- عرض وتحليل وتفسير النتائج وفق الفرضية الأولى:

هناك اختلاف في مدى أهمية أساليب اتخاذ القرار الدراسي (عقلاني، معتمد، آمن حذر، حدسي) لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بدولة الجزائر والتي عولجت إحصائيا من خلال الفرضية الصفرية التالية:

13-1-1)- الفرضية الصفرية:

ليست هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مدى أهمية أساليب اتخاذ القرار الدراسي(عقلاني، معتمد، آمن حذر، حدسي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بدولة الجزائر.

جدول رقم05 يوضح التكرارات والنسب المئوية الخاصة بكل أسلوب اتخاذ قرار دراسي.

الأساليب/ البدائل		موافق	لا أدري	غير موافق	المجموع
الأسلوب العقلاني	ت	88	180	05	273
	/	32.32	65.93	1.83	
الأسلوب المعتمد	ت	4	48	221	273
	/	1.46	17.58	80.95	
الأسلوب الأمن الحذر	ت	75	178	20	273
	/	27.47	65.20	7.32	
الأسلوب الحدسي	ت	108	154	11	273
	/	39.56	56.41	4.02	
المجموع		275	560	257	1092

13-1-2)-تعليق على الجدول:

يتضح من خلال الجدول أعلاه بأن أساليب اتخاذ القرار الدراسي تختلف من حيث الأهمية وهذا ما تبينه النسب المئوية لخانة موافق بالنسبة لكل أسلوب حيث جاء الحدسي أولا بنسبة 39.56 ثم العقلاني بنسبة 32.32 ثم الأمن الحذر بنسبة 27.47 وأخيرا المعتمد بنسبة 1.46.

-جدول رقم 06 يوضح نتائج الفروق في مدى أهمية أساليب اتخاذ القرار الدراسي لتلاميذ المرحلة الثانوية عن طريق اختبار ك2 للاستقلالية

الأساليب/ البدائل	موافق	لا أدري	غير موافق	المجموع
الأسلوب العقلاني	ت و88 تم 68.75	ت و180 ت م 140	ت و 5 ت م64.25	273
الأسلوب المعتمد	ت و4 ت م 68.75	ت و48 ت م 140	ت و 221 ت م 64.25	273
الأسلوب الأمن الحذر	ت و75 ت م 68.75	ت و 178 ت م 140	ت و 20 ت م 64.25	273
الأسلوب الحدسي	ت و108 ت م68.75	ت و154 ت م 140	ت و 11 ت م 64.25	273
المجموع	275	560	257	1092

ت و = التكرار الواقعي ت م = التكرار المتوقع

- **جدول رقم 07 يوضح قيمة ك2 لدلالة الفروق**

قيمة كا2 المحسوبة	درجة الحرية	قيمة كا2 المجدولة مستوى الدلالة 0.05	قيمة كا2 المجدولة مستوى الدلالة0.01	الدلالة
684.56	6	12.59	16.81	دالة

13-1-3)- القراءة الإحصائيـة:

يتضح من الجدول أعلاه أن ك2 المحسوبة= 684.56 أكبر من ك2 المجدولة والتي هي12.59 وهي دالة عند مستوى دلالة 0.05 ودالة عند 0.01 بقيمة16.81

وبالتالي نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل والذي مفاده هناك اختلاف حول مدى أهمية أساليب اتخاذ القرار الدراسي(العقلاني . الحدسي . الآمن الحذر, المعتمد) لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بدولة الجزائر .

وهذا لصالح الأسلوب الحدسي حيث بلغت نسبة تكراراته ب بالنسبة لخانة موافق 39.56وجاء في المرتبة الأخيرة الأسلوب المعتمد بنسبة 1.46 من مجموع التكرارات.

13-1-4)- التفسير البيداغـوجي:

تشير نتائج الجدول أعلاه بأن التلاميذ في المرحلة الثانوية في الجزائر يختلفون في تبنيهم لأساليب اتخاذ قرار دراسي (عقلاني، معتمد، آمن حذر، حدسي وذلك بنسب متفاوتة.

وهذا يقد يعود لاختلاف مستوياتهم التحصيلية ،ولاختلاف درجة تأثير بعض الأسر على أبنائها ،وكذا اندفاعية البعض الأخر في عملية اتخاذ قراراته في هاته المرحلة العمرية.

13-2)- عرض وتحليـل وتفسـير النتائـج وفق الفرضيـة الثانـية:

هناك اختلاف في مدى أهمية في أساليب اتخاذ القرار المهني(عقلاني، معتمد، آمن حذر، حدسي) لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بدولة الجزائر والتي عولجت إحصائيا من خلال الفرضية الصفرية التالية:

13-2-1)- الفرضية الصفـرية:

ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مدى أهمية أساليب اتخاذ القرار المهني (عقلاني، معتمد، آمن حذر، حدسي) لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بدولة الجزائر.

جدول رقم 08 يوضح التكرارات والنسب المئوية الخاصة بكل أسلوب.

الأساليب/ البدائل		موافق	لا ادري	غير موافق	المجموع
الأسلوب العقلاني	ت	80	181	12	273
	/	29.30	66.30	4.39	
الأسلوب المعتمد	ت	7	92	174	273
	/	2.56	33.69	63.73	
الأسلوب الأمن الحذر	ت	130	137	06	273
	/	47.61	50.18	2.19	
الأسلوب الحدسي	ت	63	185	25	273
	/	23.07	67.76	9.15	
المجموع		280	595	217	1092

13-2-2)- تعليق على الجدول:

يتضح من خلال الجدول أعلاه بأن أساليب اتخاذ القرار المهني تختلف من حيث الأهمية وهذا ما تبينه النسب المئوية لخانة موافق بالنسبة لكل أسلوب حيث جاء الأسلوب الآمن الحذر أولا بنسبة 47.61 ثم جاء العقلاني بنسبة 29.30 ثم الحدسي بنسبة 23.07 وأخيرا جاء المعتمد بنسبة2.56.

جدول رقم09 يوضح نتائج الفروق في مدى أهمية أساليب اتخاذ القرار المهني لتلاميذ المرحلة الثانوية عن طريق اختبار ك2 للاستقلالية.

الأساليب/ البدائل	موافق	لا أدري	غير موافق	المجموع
الأسلوب العقلاني	ت و 80 ت م 70	ت و181 ت م148.75	ت و12 ت م54.25	273
الأسلوب المعتمد	ت و07 ت م70	ت و92 ت م148.75	ت و 174 ت م54.25	273
الأسلوب الأمن الحذر	ت و130 ت م70	ت و137 ت م148.75	ت و6 ت م54.25	273
الأسلوب الحدسي	ت و63 ت م70	ت و185 ت م148.75	ت و25 ت م54.25	273
المجموع	280	595	217	1092

ت و = التكرار الواقعي ت م = التكرار المتوقع

جدول رقم 10 يوضح قيم ك2 لدلالة الفروق.

قيمة كا2 المحسوبة	درجة الحرية	مستوى الدلالة 0.05	مستوى الدلالة0.01	الدلالة
504.54	6	12.59	16.81	دالة

13-2-3)- القراءة الإحصائية:

يتضح من الجدول أعلاه أن ك2 المحسوبة= 504.54 أكبر من ك2 المجدولة والتي هي12.59 وهي دالة عند مستوى دلالة 0.05 ودالة عند 0.01 بقيمة16.81 وبالتالي نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل والذي هو هناك اختلاف حول مدى أهمية أساليب اتخاذ القرار المهني (عقلاني، معتمد، آمن حذر، حدسي) لدى تلاميذ المرحلة الثانوية وهذا لصالح الأسلوب الأمن الحذر حيث بلغت نسبة تكراراته ب47.61 وجاء في المرتبة الأخيرة الأسلوب المعتمد بنسبة 2.56 من مجموع التكرارات .

13-2-4)- التفسير البيداغوجي:

تشير نتائج الجدول أعلاه بأن أساليب اتخاذ القرار المهني لدى تلاميذ المرحلة الثانوية في الجزائر تختلف من حيث الأهمية، حيث جاءت بالترتيب الأسلوب الأمن الحذر أولا ثم الأسلوب العقلاني ثم الأسلوب الحدسي ثم الأسلوب المعتمد

وهذا يعود برأي الباحث إلى مجموعة من العوامل :

- اختلاف نتائجهم الدراسية و مستوياتهم التحصيلية ، اختلاف مستوى الطموح لديهم ، اختلاف في التنشئة الأسرية.

14)- مناقشة النتائج:

1-14 مناقشة الفرضية الأولى :

والتي مفادها هناك تفاوت في مدى أهمية أساليب اتخاذ القرار الدراسي (عقلاني، المعتمد، الآمن الحذر، الحدسي) لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بدولة الجزائر.

لقد بينت نتائج الدراسة بأنه هناك تفاوت في مدى أهمية أساليب اتخاذ القرار الدراسي (العقلاني، المعتمد، الآمن الحذر، الحدسي) لصالح الأسلوب الحدسي حيث كان عدد تكراراته بالنسبة لخانة موافق 108 بنسبة 39.56 وجاء الأسلوب المعتمد في المرتبة الأخيرة بعدد تكرارات يقدر ب4 بنسبة 1.46.

وهذا ما تؤكده دراسة ليليان دانكلاج Dinklage عام 1968 والتي توصلت بان المراهقين يتفاوتون فيما يتعلق بأسلوب اتخاذ قرارهم ،حيث أن غالبيتهم يتميزون بأسلوب اتخاذ قرار مخطط(عقلاني) بنسبة 25بالمائة والحدسي ب11بالمائة والمعتمد ب11بالمائة والبقية توزعت بين أساليب المتألم ،المنزوي ،والمشلول، حيث كانت نتائج

الدراسة بحسب نموذج اتخاذ القرار المبني على أساس فرص النجاح في Klement Poláček. (35)

كما توصل آروبا Arroba بان غالبية الأفراد بإمكانهم استعمال جل الإستراتيجيات تقريبا فعدد كبير منهم 71.9بالمائة يوظف من أربع إلى خمس استراتيجيات ولكنها غير متساوية وتكون بحسب السياق ، وهذا ما يظهره هارين Harren في Buks et Daniels عام 1983حيث توصل إلى وجود ثلاثة أساليب في اتخاذ القرار وهي الحدسي ، العقلاني ،وغير المستقل. (36)

بمعنى هناك تفاوت في أساليب اتخاذ القرار الدراسي ويرى الباحث بان سيطرة الأسلوب الحدسي تعود إلى المرحلة التي يمر بها هؤلاء التلاميذ والتي عادة ما تمتاز بالاندفاعية الزائدة، وكذا سيطرة العواطف والأحاسيس على سلوك المراهقين بشكل عام، أي أن التلاميذ في هذه المرحلة يختارون دراستهم دون مراعاة للخصائص الفردية وخصائص الدراسة الأكاديمية بما يدل على الاندفاع وراء كل ما هو معروف وذا صيت وشهرة.

ويتضح بان الأسلوب المعتمد جاء في الدراستين في المراتب الأخيرة وحسب رأي الباحث فيما يتعلق بالدراسة الحالية ،فإن هذا لا يعود إلى تميز التلاميذ في الأساليب الأخرى بقدر ما يعود لظروف التطبيق الذي كان في غالب الأحيان بصفة فردية، والذي يجعل من كل تلميذ أن يتخذ قراره بمفرده دون الاعتماد على زملائه.

كما تتفق نتائج الدراسة مع دراسة عبد الكريم حبيب حول أساليب صنع القرار فيما يخص الفرض الأول بأن أساليب صنع القرار و هي:(الأسلوب التركيبي، المثالي، العلمي، التحليلي، الواقعي)،كما أنها تختلف باختلاف كل من المرحلة الدراسية، الجنس التخصص الدراسي، أي وجود أثر دال لهذه المتغيرات الديمغرافية على أساليب صنع القرار. (37)

مناقشة الفرضية الثانية: والتي مفادها هناك تفاوت في مدى أهمية أساليب اتخاذ القرار المهني (عقلاني، المعتمد، الآمن الحذر، الحدسي) لدى تلاميذ المرحلة الثانوية بدولة الجزائر.

حيث أظهرت نتائج الدراسة بأنه هناك تفاوتا في مدى أهمية أساليب اتخاذ القرار المهني (عقلاني، معتمد، آمن حذر، حدسي) لدى تلاميذ المرحلة الثانوية وهذا لصالح الأسلوب الأمن الحذر حيث بلغت نسبة تكراراته ب47.61 وجاء في المرتبة الأخيرة الأسلوب المعتمد بنسبة 2.56 من مجموع التكرارات .

و إذا افترضنا أن من بين العوامل المتدخلة في الاختيار المهني أي اتخاذ القرار المهني بعض منه يدخل ضمن سمات الشخصية والتي تعرف حسب نظرية سمات الشخصية La théorie des traits de personnalité "بأنها معطى دائم في سلوك شخص ما ، ثابت في كثير من السياقات والوضعيات المتنوعة ". (38)

وبناء عليه فإن نتائج الدراسة تتفق مع دراسة نزار مهدى الطائي عام 1976 في الشرقاوي والتى توصلت إلى وجود فروق لدى الطلاب في اختياراتهم المهنية ، وهذا يعني أن سمات الشخصية ذات علاقة بالاختيار المهني. (39)

كما توصلت دراسة ادموند وشولتز عام Edmond&Shultz1989 في احمد يوسف الخطيب إلى أن هناك تفاوتا في أنماط الشخصية التي ينتمي إليها طلاب التعليم الصناعي حيث جاء الطلبة التفكيريون بنسبة 79 بالمائة والطلبة الحسيين بنسبة 76بالمائة والحدسين بنسبة 24 بالمائة والشعوريين بنسبة 21بالمائة ، كما توصلت بان الأفراد المختلفين في أنماط الشخصية يختلفون فى خططهم المهنية والتعليمية المستقبلية .

15- مناقشة عامة:

من خلال النتائج المتوصل إليها نقول بأنه هناك تفاوتا بين تلاميذ المرحلة الثانوية بالجزائر في استعمالهم لأساليب اتخاذ القرار الدراسي والمهني، كما يظهر كذلك سيادة كل من الأسلوب الحدسي بالنسبة لاتخاذ القرار الدراسي وسيادة الأسلوب الآمن الحذر بالنسبة لاتخاذ القرار المهني، وهذا ما يجعلنا نستشف البعد العاطفي والذي يجعل من هؤلاء التلاميذ يودون أن يدرسون ما يحبون وما يرغبون فيه من دراسات وتخصصات أما بالنسبة للاختيار المهني فمن خلال النتائج يتضح بأنهم حذرين جدا كونهم لا يتوفرون على المعطيات ولا يدرون ما هي توجهاتهم المهنية المستقبلية .كما تظهر النتائج بأن الأسلوب المعتمد يأتي في المرتبة الأخيرة في مدى أهميته وبرأينا هاذ قد يرجع للتغيرات السريعة التي تحدث في المجتمع أين أصبح كل من الشاب والفتاة في هاته المرحلة العمرية يتمتعون بالاستقلالية والفردية، كما أنه يمكن أن نفسر سيادة الأساليب الأخرى على الأسلوب المعتمد لكون هؤلاء الطلبة يمنون أنفسهم ولا يفرقون بين القرار الفعلي والأمنية.أي ما هو واقع وما هو متوقع.

وفي رأي الباحث بان الاختيارات الدراسية والمهنية المعبر عنها من طرف التلاميذ كقرارات تأخذ شكل أساليب معينة تختلف باختلاف السمات المكونة لكل أسلوب، إلا أن هذا التفاوت ليس بكبير لكون كثير من التلاميذ اختياراتهم متغيرة بحكم عدم معرفتهم لذاتهم أي ماذا يريدون ؟وكذا عدم معرفتهم بمحيطهم الدراسي والمهني . كما يلاحظ بسيادة الأسلوب الحدسي بالنسبة للقرار الدراسي وهذا يدل على تأثر هؤلاء التلاميذ بالتأثيرات الخارجية أي لديهم مركز اتخاذ قرار خارجي وهذا ما يتفق مع دراسة هارن وآخرون Harren et al 1978 - 1980 ، أما سيادة الأسلوب الآمن الحذر بالنسبة للقرار المهني فهذا برأي الباحث يدل على غموض المستقبل المهني بالنسبة لهذه الفئة من التلاميذ المقبلين على مصير غامض بمعنى النجاح في البكالوريا ثم التحدث على اتخاذ القرار المهني..

الخـاتمة

من خلال النتائج المتوصل إليه يتضح بأن التلاميذ مندفعين في اختياراته الأكاديمية كما حذرين جدا في اختياراتهم المهنية مما يجعل منت ضرورة وجود مناهج وبرامج تدخل تعطي لهؤلاء التلاميذ الكيفية التي من خلالها يبنون قراراتهم بالاعتماد على الإستراتيجية التعديلية والتي تنسجم مع طبيعة التغيرات الحادثة في كافة المجالات وبالخصوص عالم الوظائف والمهن ،بمعنى أن يكون المتعلم مقرر فعلي وحقيقي لقراره ،وصانع وفاعل لمستقبله المهني أي قادرا على تجاوز التوترات التي يمر بها خلال جميع المنعطفات الحياتية ،فيعمل بذلك على تمثل جميع الوضعيات والاحتمالات الممكنة مما يكنه من تجاوز غالبية الأزمات التي تحدث له بكل منطقية وعقلانية دون أي تهور أو إحباط.

المراجـع

1- Ginzberg, E., Ginsberg, S. W., Axelrad, S., & Herma, J. L. (1951). Occupational choice: An approach to a general theory. New York: Columbia University.p 95.

2- Mireille Prestini-Christophe . La décision d'adultes d'entrée (er) en formation : un rapport à l'événement biographique- Thèse de doctorat en Sciences de l'éducation. Université Charles de Gaulle-Lille 3, 2005, p5.

3- جابر عبد الحميد – دراسة مقارنة لبعض اتجاهات طلاب وطالبات جامعة قطر نحو التخصص في الدراسة الجامعية وعلاقته باختيار المهنة – مركز البحوث التربوية ، جامعة قطر المجلد الخامس 1984، ص37.

4- فتحي عبد الرحمن جروان – تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات- ط1دار الكتاب الجامعي العين الإمارات العربية المتحدة 1999، ص 122.

5- Http//: www.klement polacek .

6- مجدي عبد الكريم حبيب – سيكولوجية صنع القرار- ط2 مكتبة النهضة المصرية القاهرة 2007 ، ص187.

7- جون كيشارد – ميشال هيتو – ترجمة خالد مجيدي التوجيه التربوي والمهني بين النظريات والتطبيق ،عالم الكتب عمان 2009، ص 133.

8- Http:/ www .Pierre Poirier, Evelyn Gagné : Vérification de la théorie des styles décisionnels de Harren lors d'un choix de carrière, Revue des sciences de l'éducation, Volume 13, numéro 2, 1987, pp. 185-201.

9- Pelletier, D.; Dumora B. Fondements et postulats pour une conception éducative de l'orientation. In D. Pelletier; R. Bujold (dir.). Pour une approche éducative en orientation. Chicoutimi, Québec: Gaëtan Morin, 1984.

10- فتحي جروان مرجع سبق ذكره ، ص 124.

11- عبد الرحمان العبدان إستراتيجية تعلم اللغة الأجنبية لدى طلاب الجامعة بالمملكة العربية السعودية – مجلة التربية المعاصرة عدد 26 1993، ص 116.

12- عبد الحميد عبد الفتاح المغربي، الإدارة الإستراتيجية لمواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين، مجموعة النيل العربية ط1 القاهرة 1999 ، ص18.
13- المرجع السابق، ص18.
14- كوثر كوجك –اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التدريس، القاهرة، عالم الكتب ، ط1 1997 ، ص 3.
15- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، ص 186.
16- عبد الله لوصيف، قياس الميولات، مطبوعة غير منشورة، الجزائر/ 1996، ص 3.
17- سيد أحمد عثمان – التحليل الأخلاقي والمسؤولية الاجتماعية مكتبة الانجلو مصرية القاهرة 1996، ص19.
18- بوسنة محمود- التوجيه المدرسي والمهني الخلفية النظرية لمفهوم المشروع مجلة العلوم الإنسانية عدد10، ص175.
19- محمد السيد عبد الرحمن –نظريات النمو علم النفس النمو المتقدم - مكتبة زهراء الشرق 2001 ص ص368 369.
20- كيشارد – هيتو ، ترجمة خالد آمجيدي – التوجيه التربوي والمهني بين النظريات والتطبيق– عالم الكتب الحديث ط1 عمان 2009ص144 نفس المرجع، ص 182.
21- محمد السيد عبد الرحمان – نظريات النمو – مكتبة زهراء الشرق القاهرة2001، ص 403.
22- جون كيشارد وميشال هيتو ترجمة خالد آمجيدي مرجع سبق ذكره، ص175.
23- مجدي عبد الكريم حبيب - سيكولوجية صنع القرار - دار النهضة المصرية 2007 ص59.
24- Felix A, Nigro :Modern Public Administration, Harper and Row,. New York, 1965 ,73.
25- سيف الدين يوسف عبدون – مقياس اتخاذ القرار – دارالفكر العربي بدون سنة، ص8.
26- Mireille Prestini-Christophe . Op.cit, p52.
27- Ibid .p 253.
28-www.Http//: Tung Dao- Le choix du style de décision des manageurs dans un nouveau contexte socioculturel , colloque CIDEGEF "Le management face à l'environnement culturel", Oct 2004, CIDEGEF/Université St Joseph, Beyrouth (Liban), 13 p.
29- رجب حسنين محمد رفاعي –أثر أنماط اتخاذ القرار على الرضا والأداء الوظيفي – رسالة دكتوراه غير منشورة عام 1999 ص 32 .
30- أبو زيد سعيد الشويقي – مدى فعالية نموذج برونزفيك لتعلم سلوك التنبؤ في اتخاذ القرار على ضوء بعض المتغيرات المعرفية واللامعرفية، رسالة دكتوراه كلية التربية –جامعة طنطا، 1994، ص3.
31- صالح بن حمد العساف – المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية – ط1 مكتبة العكيبات الرياض 1995، ص 90.
32جودت شاكر محمود – البحث العلمي في العلوم السلوكية – ط1 ، مكتبة الأنجلو مصرية عام 2007 ، ص 123.
32–نفس المرجع ، ص 126.

33- رجاء محمود أبو علام – مناهج البحث غفي العلوم النفسية والتربوية- ط1 دار النشر للجامعات عام 1998 القاهرة، ص 138 .
34- فاروق مجذوب – طرائق ومنهجية البحث في علم النفس – ط1 شركة المطبوعات للتوزيع والنشر عام 2003 بيروت لبنان، ص216
35- جودة شاكر محمود، مرجع سبق ذكره، ص 282
36- فؤاد البهي السيد – علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري.-دار الفكر العربي القاهرة 2005 ، ص378.
37- سعد عبد الرحمن – القيا س النفسي النظرية والتطبيق – ط4 دار الفكر العربي القاهرة 2003 ، ص187.
38– رجاء محمود أبو علام – مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية- ط1، دار النشر للجامعات القاهرة 1998 ، ص 406.
39 -http/ :WWW. Klement Poláček.
40- جون جيشارد وميشال هيتو ، خالد آمجيدي مرجع سبق ذكره، ص133.
41- مجدي عبدا لكريم حبيب مرجع سبق ذكره.
42- Viviane De Landsheere - L'éducation et la formation - Science et pratique. ... PUF. 1992, p 67.
43- أنور محمد الشرقاوي - الدافعية والانجاز الأكاديمي والمهني وتقويمه مرجع سبق ذكره.
44- http// : WWW.Google -Isaacson , lee .E. (1986). Basics of Career Counseling . Allyh and Bacon , Inc. Boston.

أثـر الأنماط القيـادية على الأداء الوظـيفي
دراسة حالة مؤسسة الجرارات الفلاحية ETRAG

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أثر الأنماط القيادية (الديمقراطي، الحر، والأوتوقراطي) على الأداء الوظيفي (الرغبة، القدرة، فرص النمو والتقدم الوظيفي) لدى مؤسسة الجرارات الفلاحية بقسنطينة، وقد تم الاعتماد على الإستبيان لجمع البيانات لأجل تحقيق أهداف الدراسة والمتمثلة في التعرف على الأساليب والأنماط القيادية المستخدمة من قبل القادة الموجهة لتحقيق الأداء، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك تأثير للمتغير المستقل أنماط القيادة الإدارية في المتغير التابع الأداء الوظيفي عند مستوى دلالة $\leq 0,05$.

وعلى ضوء هذه النتائج نؤكد على تعزيز النمط الديمقراطي في المؤسسة ، وخلق جو من التعاون بين الأفراد وتحسين قدرة القادة في إدارة الموارد البشرية من خلال التأثير الإيجابي في سلوك المرؤوسين وتوجيهه نحو تحقيق الأداء.

أ. وداد بلكرمي

كلية العلوم الاقتصادية، العلوم التجارية وعلوم التسيير
جامعة عنابة
الجزائر

Abstract

This study aims at determining the effects of leadership styles (Democratic, autocratic, free) on the professional performance (desire to achieve, capacity, opportunities for growth and development) at ETRAG, Constantine. A questionnaire was used to collect data and meet the objectives of the research and identify the leadership styles adopted by the managers to achieve the required performance. The results obtained show that there is an effect of the independent variable on the dependant variable. In order words, the leadership style affects the professional performance with a significant value ≤0.05

مقدمة

القيـادة الإدارية هي فن التوجيه والتنسيق وتشجيع الأفراد والجماعات لبلوغ الأهداف المطلوبة، وهي التي تكتشف طاقات العاملين وتوجهها في إطار خطط المنظمة بما يحقق أهدافها المستقبلية، ويضمن نجاحها وتميزها واستمرارها، فمنذ الثمانينات من القرن العشرين ميلادي ،بدأت العديد من المنظمات الكبيرة بالعمل على تحسين وتطوير عملية اختيار من يخلف كبار المسؤولين التنفيذيين، والتعرف المبكر على المواهب القيادية لهم، وذلك لأثرها على سلوك الأفراد و الجماعات ومستوى أدائهم في التنظيم، وبالتالي تحقيق الأهداف بشكل مباشر.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

On the light of these results, we insist to promote the democratic style at the company, create cooperation between individuals, and improve the managers' capacity to lead human resources through a positive influence on the employee's behavior to reach the desired objectives

إشكالية البحث:

من هذا المنطلق يمكن تحديد مشكلة البحث من خلال التساؤل العام التالي:

هل هناك أثر لأنماط القيادة الإدارية (الديمقراطي، الحر، والأوتوقراطي) على الأداء الوظيفي بمتغيراته (الرغبة، القدرة، فرص النمـو والتقدم الوظيفـي) في المؤسسة محل الدراسة؟ ويتفرع عنه السؤالين التاليين:

ما هو النمط القيادي السائد في المؤسسة محل الدراسة؟ وهل هذا النمط ذو تأثير إيجابي أم سلبي على الأداء في المؤسسة؟

فرضيات البحث : ننطلق من الفرضية الصفرية التالية:

"لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لأنماط القيادة الإدارية على الأداء الوظيفي في مؤسسة ETRAG عند مستوى دلالة 0,05 "، تتفرع عنه الفرضيات التالية:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لنمط القيادة الديمقراطي على الأداء الوظيفي في مؤسسة ETRAG عند مستوى دلالة 0,05.

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لنمط القيادة الحر على الأداء الوظيفي في مؤسسة ETRAG عند مستوى دلالة 0,05.

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لنمط القيادة الأوتوقراطي على الأداء الوظيفي في مؤسسةETRAG عند مستوى دلالة 0,05.

أهمية الموضوع: لقد أصبح نجاح المؤسسات يتوقف على قدرة و كفاءة قياداتها على تنمية و توجيه سلوك الأفراد والجماعات نحو تحقيق الأهداف المرغوبة، حيث أن القيادة الإدارية:

- تعد حلقة الوصل بين العاملين وبين خطط المؤسسة و تصوراتها المستقبلية.
- تعمل على توحيد جهود العاملين نحو تحقيق الأهداف الموضوعية.
- تساعد على السيطرة على مشكلات العمل ورسم الخطط اللازمة لحلها،مع مواكبة المتغيرات المحيطة و توظيفها لخدمة المنظمة .
- تعمل على تنمية الأفراد وتدريبهم ورعايتهم و تحفيزهم،باعتبارهم أهم مورد للمنظمة .
- تحدد مدى فعالية أو عدم فعالية المنظمات الإدارية كما تحدد نجاحها أو فشلها.
- تدعم القوى الإيجابية في المنظمة و تقلص الجوانب السلبية قدر الإمكان.

- منهج الدراسة :

من أجل تطبيق هذه الدراسة، وبالنظر إلى طبيعة الموضوع و خصائصه والأهداف التي نريد الوصول إليها ،فإن المنهج الملائم هو المنهج الوصفي التحليلي ومنهج دراسة الحالة.

هذه الدراسة تهتم بوصف وتحليل القيادة الإدارية من خلال أنماطها، والموجهة لسلوك الموارد البشرية نحو تحقيق الأداء،كما تتم بدراسة حالة مؤسسة صناعة الجرارات بواد حميميم الخروب قسنطينة.

الإطار النظري للدراسة :

أولا: القيادة الإدارية وأنماطها:

1- تعريف القيادة الإدارية:

"القيادة هي القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للعمل نحو تحقيق الأداء " (1) ترتبط القيادة الإدارية بالمنظمة، وهي النشاط الذي يمارسه القائد الإداري في مجال اتخاذ وإصدار القرار والأوامر والإشراف الإداري على الآخرين، باستخدام السلطة الرسمية عن طريق التأثير والاستمالة بقصد تحقيق هدف معين، فالقيادة الإدارية هنا تجمع بين السلطة الرسمية وبين التأثير في سلوك الآخرين واستمالتهم للتعاون لتحقيق الهدف . (2)

"القيادة هي طريقة لممارسة السلطة بهدف تعبئة وتوجيه طاقات الأجراء المستخدمين في مشروع ما". (3)

2- صفات القائد الإداري:

قام داني كوكس (Danny Cox) وجون هوفر (John Hoover) بدراسة على مجموعة من القادة الإداريين وتلخيص أهم صفات القائد الإداري إلى عشر صفات (4) وهي:

- صقل المقاييس العليا للأخلاقيات الشخصية: تطابق الشخصية العامة مع الأخلاقيات المهنية.
- النشاط العالي: الترفع عن توافه الأمور والانغماس في القضايا الجليلة والهامة.
- الإنجاز: القدرة على انجاز الأولويات.
- امتلاك الشجاعة: الجرأة والشجاعة والإقدام مع تحمل النتائج المترتبة والمسؤولية الكاملة.
- العمل بدافع الإبداع: القائد المبدع الخلاق.
- العمل الجاد بتفان والتزام: التفاني والعطاء الكبير والالتزام تجاه كل الأعمال.

- تحديد الأهداف: أهداف المنظمة وأهداف المرؤوسين الخاصة.
- استمرار الحماس: امتلاك حماس ملهم على الدوام.
- امتلاك الحنكة: امتلاك مستوى رفيع من الحنكة بحيث يتمكن تنظيم المواقف الفوضوية مع المشاكل ويستجيب لها.
- مساعدة الآخرين على النمو: القادة الحقيقيون لا يسعون للتطور و النمو الذاتي فقط بل خلق التعاون و تبادل الأفكار بحرية

3- أساليب وأنماط القيادة الإدارية: النمط القيادي هو نوع من القيادة ذات السلوك المميز، و هو الطريقة التي تسلكها القيادة في إدارتها للمنظمة أو الأفراد. (5)

ولقد اختلفت أساليب القيادة باختلاف وسائل التأثير القيادي لتوجيه المرؤوسين و من هنا ظهر معياران للتصنيف.

3- 1المعيار الأول: يقوم على أساس النظر إلى القيادة من حيث مصدر السلطة التي يعتمد عليها في توجيه مرؤوسيه ومن حيث تعيينه، فالقائد الذي تعينه الإدارة أو الهيئة كمدير لها هو قائد رسمي يستمد قوة التأثير من سلطة المنصب، أما القائد الذي تختاره الجماعة فهو قائد غير رسمي يستمد قوة التأثير من خلال شخصيته والقدرة على الإقناع وغيرها من أساليب العلاقات الإنسانية.

3- 2المعيار الثاني: يقوم على تصنيف القادة من حيث أسلوب القائد و طريقته في ممارسة عملية التأثير في مرؤوسيه، وعلى هذا الأساس ينتج لنا حسب المعيار الأول ثلاثـة أنماط للقيادة وهي: القيادة الأوتوقراطية، الديمقراطية، والحرة.

3-2-1-النمط القيادي الأوتوقراطي (التسلطي): و يتميز سلوك القادة (في هذا النمط) باتخاذهم من سلطتهم الرسمية أداة تحكم و ضغط على مرؤوسيهم لإجبارهم على إنجاز العمل، ولقد أثبتت الدراسات أن سلوك القادة ذوي الميول الأوتوقراطية يندرج في شدته بين نقطتين: تمثل إحداهما : السلوك الأوتوقراطي المتطرف في استبداديته، و الثانية: السلوك الأوتوقراطي غير المتطرف

3-2-2- النمط الديمقراطي (المشارك): تقوم فلسفة القيادة هنا على مبدأ المشاركة و تفويض السلطات، فالقائد الديمقراطي يتفاعل مع أفراد الجماعة و يشركهم في عملية اتخاذ القرارات و بالتالي يشعر أفراد التنظيم بأن القرار قرارهم فيتمسكون به و يعملون على تنفيذه. (6)

3-2-3-نمط القيادة الحرة (الطليقة، المتسيبة): يقوم هذا الأسلوب على إعطاء الحرية الكاملة للمرؤوسين في تحديد المهمات و الأنشطة مع أدنى حد من تدخل القائد و مشاركته في قيادة العمل أو النشاط، حيث يقتصر دور القائد على تقديم المستلزمات

الأساسية من مواد و معلومات ضرورية، لإنجاز العمل المطلوب من المرؤوسين تأديته (7) .

ثانيا - الأداء الوظيفي: الأداء بصفة عامة هو تحويل المدخلات التنظيمية، كالموارد الأولية و الموارد النصف مصنعة إلى مخرجات تتكون من سلع وخدمات بمواصفات فنية . (8)

"الأداء هو العلاقة بين النتيجة والمجهود، وهو معلومة كمية تبين حالة أو درجة بلوغ الغايات و الأهداف والمعايير والخطط المتبعة من طرف المؤسسة". (9)

الأداء الوظيفي هو " الرغبة والقدرة يتفاعلان معا في تحديد مستوى الأداء، حيث أن هناك علاقة متلازمة و متبادلة بين الرغبة والمقدرة في العمل و مستوى الأداء " . (10) فالأداء هو العمل والجهد الذي يؤديه الأفراد والجماعات لتحقيق أهداف المنظمة.

ويختلف هذا المفهوم عن الكفاءة (الفعالية) والتي تعني انجاز الأشياء على نحو صحيح (الاستغلال الأمثل للموارد)، أو هي القدرة على إنجاز الأهداف المحددة باستخدام أقل قدر ممكن من الموارد" (11) ،كما يختلف عن مفهوم الفاعلية الذي يشير إلى الدرجة التي تتحقق بها الأهداف المحددة مسبقا والنتائج المتوقعة (12)، و الإنتاجية ما هي إلا مقياس الكفاءة التي تتمتع بها الإدارة في عملية تحويل المدخلات المختلفة من عمل ومستلزمات إنتاج و غيرها إلى مخرجات تأخذ شكل سلع أو خدمات، و عند الحصول على مخرجات بنفس الكمية ولكن بمدخلات أقل تكون أمام ما يسمى بزيادة الإنتاجية. (13) فالأداء هنا يعبر عن الفعالية و الفاعلية.

المهام الأساسية للقائد المدير:

يتضح دور القائد الإداري المتمتع بالمهارات الذهنية (الفكرية) والإنسانية والفنية في تركيزه على زيادة فعالية الأداء الوظيفي لدى تابعيه من خلال ما يوضحه لهم بالإجابة على التساؤلات التالية: (14)

- ما هو المطلوب منهم؟ (الواجبات، المسؤوليات، و إتاحة الفرصة للإبداع إن أمكن).
- ما هي فرص نجاحهم و أين يمكن تحقيق ذلك؟ (الوحدات، الأقسام ، المؤسسة ككل).
- ما هي الإمكانيات المتاحة لإثبات نجاحهم؟ (المساعدة أو الدعم، الموارد، التكنولوجيا).
- ما هي فرص المكافآت في حال تحقيق نتائج إيجابية؟ (السناء، التقدير، العلاوة، الترقية).
- ما هي الصفة الملازمة لمستقبلهم الوظيفي (الاستقرار الوظيفي، تحقيق الطموحات والذات).

لكي يتمكن القائد من الإجابة على التساؤلات السابقة يجب أن يتولى مهاما في المنظمة تمكنه من قيادتها نحو تحقيق الأداء المرغوب والمتميز والسمو بها إلى تحقيق الرؤية المستقبلية، وتنقسم هذه المهام إلى مهام رسمية تهدف إلى تنفيذ مبادئ التنظيم الإداري وتشمل التخطيط، التنظيم، التوجيه أو التنسيق والاتصال، المتابعة والإشراف، ومهام غير رسمية تعتمد على شخصية القائد وأسلوبه الشخصي في التعامل مع الآخرين مثل الاهتمام بجماعة العمل غير الرسمية، الاتصال مع جماعات مختلفة في المنظمة..... وغيرها.

4- 1مهام رسمية تنظيمية: (15)

- **التخطيط :**أي رسم السياسات ووضع الإستراتيجيات و تحديد الأهداف ووضع الخطة التي تحقق تلك الأهداف مع تحديد الموارد والإمكانيات المادية والبشرية، والقائد هنا يجب أن يوضح الأهداف المنظمة للعاملين معه ويشركهم في وصفها و تحقيقها دون إهمال أهدافهم الشخصية.
- **التنظيم** :أي تقييم العمل وتوزيع المسؤوليات والوظائف بين الأفراد و توزيع العاملين عليها حسب الكفاءات والخبرات والقدرات والطموحات أن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.
- **التنسيق** بين أطراف العمل باتجاه هدف المنظمة والحث على الأداء بأعلى مستوى من الكفاءة والفاعلية عن طريق شرح أهداف المنظمة وخلق روح الفريق المتكامل والمتعامل المتحد الأهداف والطموحات وتدليل العقبات والصعوبات التي تعرقل ذلك .
- تشكيل شبكة من الاتصالات العمودية والأفقية .
- المتابعة والإشراف .

4-2 مهام غير رسمية:

- **الاهتمام بالجماعات غير الرسمية**: وهي جماعات تتكون بشكل طبيعي تجمعها مصالح مشتركة و تفرض سياسة تخدم أهدافها بعيدا على الإدارة الرسمية، على القائد هنا التقرب من هذه الجماعات والتعرف على أفكارها ومشكلاتها ومحاولة إدماج هذه الجماعات لتحقيق غايات وأهداف المنظمة.
- الاتصال مع الجماعات المختلفة في المنظمة بحيث يكسر الحاجز بين الطابع الرسمي الذي يفرضه العمل وغير الرسمي الذي يفرضه الطموح والمصلحة المشتركة.
- المشاركة من خلال إقامة علاقات إنسانية طيبة بين القائد والعاملين معه واحتوائهم عاطفيا وتحسيسهم بأهميتهم، وهنا تظهر المهارات الإنسانية للقائد.
- مشاركة العاملين في اتخاذ القرارات الإدارية وبحث المشاكل ومعالجتها ووضع الحلول الناجعة لها بروح جماعية متوحدة.

- درجة الرعاية التي يبديها المدير تجاه القيم والمثل الإنسانية والأخلاقية في التعامل .
- التسامح، الوفاء، الكرم...الخ
- مهارة تبصر الأهداف العامة للمنظمة وربطها بأهداف المجتمع و معالجة المشكلات الإدارية في إطار الأعراف العامة.
- المهارة في تنظيم الوقت و إدارته بحيث تتلافى الهدر وتحدد الأولويات .

نضيف إلى ذلك مهام أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها وتحقق التميز التنظيمي وهي: (16)

- تحديد الرؤية المستقبلية و هي صورة شمولية لما يريده قائد المنظمة أن يكون عليه عليه تنظيمه، وخلق الرغبة الأكيدة لدى المرؤوسين لتحقيق هذه الرؤية.
- ترسيخ قيم التميز في قلوب العاملين لتحقيق التميز في الأداء.
- تدعيم السلوك المتميز من خلال احترام الذات والثقة المتبادلة والقدوة الحسنة.
- تنمية الموارد البشرية من خلال العديد من الأساليب مثل المشاركة في الأرباح، تفويض السلطة الاعتراف بالجهد، تحديث وتنمية القدرات.
- تحقيق أهداف أصحاب المصالح (حملة الأسهم، المستهلك، الموظف، المنافس، المورد، الحكومات).
- تأكيد المسؤولية تجاه المجتمع أي تحقيق أهداف ومصالح المجتمع ككل باعتبار المنظمة "مواطنا صالحا" له حقوق وعليه واجبات.

وحتى يتمكن القائد من إدارة وتحسين الأداء يجب أن يستخدم مهاراته الفكرية والإنسانية والفنية وخبرته مع مزيج من الأنماط القيادية حسب نوعية الأفراد والموقف القائم، وكذلك الاهتمام بالجماعات غير الرسمية والاتصالات غير الرسمية ومشاركة العاملين في اتخاذ القرارات و بحث المشكلات وغيرها من المهارات.

يلاحظ في كثير من الأحيان أن السبب الأساسي في تغيير القيادات يرجع إلى انخفاض مستوى الأداء الجماعي للعاملين وفي كثير من الأحيان يوجه اللوم إلى قائد مجموعة العمل، وكذلك يلاحظ أن معدل دوران القيادات الإدارية في المنظمات الإدارية كبيرة الحجم غالبا ما يكون مرتفعا، وبصفة عامة يمكن القول بأن تغيير القيادة يمكن أن يحدث تأثيرا إيجابيا أو تأثيرا سلبيا على أداء العاملين وتشير الدراسات إلى أن للقائد تأثيرا ملموسا على أداء فرق وجماعات العمل . (17)

من شروط نجاح المنظمات هو وجود قيادة متجاوبة وملتزمة وداعمة لمواكبة النجاح من خلال دورها بحيث تكون:

- قيادة متجاوبة مع حاجات ومستلزمات إدارة الموارد البشرية .
- قيادة داعمة لنجاح الأفراد من خلال إعطائهم فرص المشاركة الكاملة في القرارات.

- قيادة ملتزمة بتحديد مؤشرات النجاح ومقاييسه ومراقبة المديرين لتحقيق ذلك.
- قيادة مواكبة للتحديات الحاضرة والمستقبلية ذات الرؤى والقدرات التي تمكنها من تحويل التحديات إلى فرص للنجاح.

مجتمع الدراسة والعينة:

يتكون مجتمع الدراسة من كافة الأفراد العاملين في المستويات الإدارية والتنفيذية بالمؤسسة محل الدراسة"مؤسسة الجرارات الفلاحية" Entreprise des tracteurs agricoles(ETRAG) مؤسسة عمومية اقتصادية ذات أسهم ،رأسمالها 5.000.000.000 دح، وهي وحدة إنتاجية مسؤولة عن إنتاج الجرارات الزراعية ذات العجلات المطاطية ذات القوة من 68 إلى 100 حصان ثنائية و رباعية الدفع،تعمل برخص معترف بها دوليا DEUTZ، وهو حائز على شهادة ISO 90012000 ، تحتل مكانة الريادة على مستوى السوق الجزائرية ،حيث تحوز على قسمة كبيرة من الحظيرة الوطنية للجرارات الفلاحية.

مجتمع الدراسة يبلغ عددهم (1405) سنة 2013، أما عينة الدراسة فقد بلغت (306) من المجتمع الكلي، وذلك بالاعتماد على الجدول الذي وضعه كريجيسي ومورجان (Krejcie & Morgan) لتحديد حجم العينة المناسب عند مستويات مختلفة بناءا على حجم المجتمع الأصلي، وبافتراض أن هامش الخطأ المسموح به هو 5% . (18)

أداة الدراسة :

الاستبيان: لقد تم اللجوء إلى استبيان كأداة رئيسة في البحث، وقد شملت عدد من العبارات تعكس أهداف الدراسة، وقد استخدم مقياس Likert الخماسي، ولأغراض التحليل سيتم استخدام الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS حيث تم تقسيم الاستبيان إلى جزئين، وهما.

أولا: القسم الأول يتعلق بمحور النمط القيادي عبر ثلاث أبعاد رئيسية لقياسها و30 سؤالا وهي النمط الديمقراطي،النمط الحر، النمط الأوتوقراطي.

ثانيا: القسم الثاني ويحتوي متغيرات تتعلق بالأداء الوظيفي عبر ثلاث أبعاد رئيسية لقياسها و30 سؤالا.

بني الاستبيان ليصف متغيرات الدراسة وهي اثنين:

1- **المتغير المستقل**: والمتمثل في القيادة الإدارية والمتمثلة في الأنماط ولها ثلاثة أبعاد النمط الديمقراطي، النمط الحر، النمط الأوتوقراطي.

2- **المتغير التابع**: وهو الأداء الوظيفي وله ثلاثة أبعاد القدرة على العمل، الرغبة في العمل (الدافعية)، فرص النمو والتقدم الوظيفي

أولا: المتوسط المرجح للإجابات:(ETRAG)

1- **النمط الديمقراطي:**الإجابات حول النمط الديمقراطي السائد في المؤسسة، جاءت في المرتبة الأولى " يعزز رئيسي لدى الموظفين الشعور بالمسؤولية بمتوسط حسابي(3.61) وهو أعلى من المتوسط العام، وانحراف معياري (1.18)، فيما حصلت على المرتبة الثانية الفقرة " يطبق رئيسي القوانين التنظيمية بمتوسط حسابي (3.34) وهو أعلى من المتوسط الكلي (3.14) وانحراف معياري (1.26) والنتيجة العامة هي الموافقة على هذين المحورين، ثم تأتي الفقرة " يراعي رئيسي القدرات في توزيع المهام بمتوسط (3.33) وهو أيضا أعلى من المتوسط العام (3.14)، ثم تأتي الفقرات الأخرى، وبشكل عام يتبين أن النمط الديمقراطي في مؤسسة ETRAG موجود في بعض الأقسام أو الفروع وهذا ما لمسناه خلال الدراسة التطبيقية، خاصة في مصلحة الإدارة والرواتب ،وفي ورشات الصنع من قبل بعض الرؤساء المباشرين والذين تربطهم علاقة حسنة مع العمال من خلال الاحترام المتبادل والاعتراف بالجهد والمرونة في تطبيق القوانين.

2- **النمط الحر:** نلاحظ أن النمط الحر في المؤسسة محل الدراسة ضئيل مقارنة بالنمط الديمقراطي حيث النسبة العامة (2.75) وهي محايد، ونجد أن المتوسط المرجح لجميع العبارات محايد ماعدا العبارة "يسمح رئيس بالاجتهاد في حل مشكلات العمل " بنسبة (3.44) أي موافق، حيث من خلال تواجدنا بالمؤسسة ETRAG وجدنا أن رؤساء الورشات يجبرون العمال على حل المشاكل التقنية في الآلات الصناعية، والتي تعتبر مهتلكة نهائيا حيث لم يتم تجديدها منذ تأسيس الشركة الأصلية "المؤسسة الجزائرية للصناعة الميكانيكية صوناكوم ومباشرتها للعمل سنة 74، ويتم الاستعانة بعمال آخرين لديهم خبرة طويلة في المؤسسة الأم، والعبارة "يسمح رئيس بالتسيب في العمل" بمتوسط (2.15) معارض، حيث لاحظنا أن رؤساء المديريات والمصالح يحرصون على إتمام ومراقبة العمل، أما في الورشات فيطلبون من العمال عمل إضافي حتى وإن كان في غير تخصص ذلك العامل، بشكل عام نلاحظ أن النمط الحر موجود في المؤسسة ولكن بنسبة أقل من النمطين الآخرين ،وقد لاحظنا هذا النمط خاصة في الرؤساء المحبطون نتيجة تعسف الإدارة في بعض قراراتها الخاصة بالنقل والتحويل، فنجد الرئيس الذي يتم نقله من مكان لآخر كونه يسبب لهم المشاكل (حسب رأي الشخص) محبط ولا يهتم بالعمل.

3- **النمط الأوتوقراطي**: نلاحظ أن النمط الأوتوقراطي هو الغالب في المؤسسة حيث نجد نسبة الموافقة على عباراته أكبر من الأنماط السابقة، وفي مقدمة العبارة "يصدر رئيسي الأوامر ويصر على تنفيذها" بمتوسط (3.85) وانحراف معياري (0.96) ،وهذا ما لمسناه في تذمر بعض المرؤوسين الذين يعتبرون قرارات الإدارة تعسفية ولا تخدم إلا مصالحها، يليها عبارة "يقرر القائد بنفسه ماذا يمكن عمله وكيفية تنفيذه بمتوسط حسابي (3.62) وانحراف معياري (1.27)، تم "يميل رئيس لا تباع الإشراف المركزي بمتوسط (3.42) وانحراف معياري (1.06) ثم العبارة "يتقيد القائد بحرفية الأنظمة والتعليمات" بمتوسط حسابي (3.40) وانحراف معياري (1.12) ثم العبارة " يهتم رئيس بالإنتاج على حساب العلاقات الإنسانية " بمتوسط حسابي (3.39) وانحراف معياري (1.35) وهي ستة عبارات من أصل عشر عبارات متوسطها الحسابي أكبر من المتوسط العام (3.35) مما يؤكد أن النمط الأوتوقراطي هو السائد في المؤسسة (ETRAG).

نتائج اختبار الفرضيات:

وجود أثر ذي دلالة إحصائية لأنماط القيادة على الأداء الوظيفي، حيث بلغ معامل الارتباط (0.283، 0.285، 0.351) عند مستوى (0.05 ≥ α) على التوالي أما معامل التحديد فقد بلغ (0.080، 0.081، 0.132) على التوالي أي أن ما قيمته (0.080، 0.081، 0.132) من التغيرات في الأداء الوظيفي (القدرة، الرغبة، فرص النمو والتقدم)ناتج عن تغير في أنماط القيادة ، حيث بلغت درجة التأثير (0.280، 0.306، 0.431) على التوالي وهذا يعني الزيادة والاهتمام بدرجة واحدة في أنماط القيادة يؤدي إلى زيادة الأداء الوظيفي (القدرة، الرغبة، فرص النمو والتقدم) بقيمة (0.280، 0.306، 0.431) على التوالي. ويؤكد معنوية الأثر قيمة F المحسوبة والتي بلغت (26.486، 26.779، 42.768) على التوالي وهي دالة عند مستوى (0.05 ≥ α) .

وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الأولى، وعليه ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تنص على:

لأنماط القيادة أثر على الأداء الوظيفي (القدرة، الرغبة فرص النمو والتقدم) عند مستوى دلالة 0.05

أثر نمط القيادة الديمقراطي على الأداء: بلغ معامل الارتباط R (0.344، 0.422، 0.490) عند مستوى 0.05 ≥ α على التوالي أما معامل التحديد R^2 فقد بلغ (0.119، 0.195، 0.246) على التوالي أي ما قيمة (0.119، 0.195، 0.191) من التغيرات في الأداء الوظيفي ناتج عن التغير في النمط الديمقراطي ، كما بلغت درجة التأثير (β) (0.184، 0.257، 0.326) على التوالي، وهذا يعني الزيادة والاهتمام بدرجة واحدة في نمط القيادة الديمقراطي يؤدي إلى زيادة الأداء الوظيفي – القدرة الرغبة، فرص النمو والتقدم) بقيمة (0.184، 0.257، 0.326) على التوالي يؤكد معنوية الأثر قيمة F المحسوبة والتي بلغت (40.922، 37.622، 95.812) على التوالي وهي دالة عند مستوى (0.05 ≥ α) .

وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الثانية وعليه ترفض الفرضية وتقبل الفرضية البديلة التي تنص على:

لنمط القيادة الديمقراطي أثر على الأداء الوظيفي (القدرة، الدافعية، فرص النمو والتقدم الوظيفي عند مستوى دلالة 0.05).

أثر نمط القيادة الحر على الأداء: بلغ معامل الارتباط R (0.146، 0.178، 0.276) عند مستوى (0.05 ≥ α) على التوالي أما معامل التحديد R^2 فقد بلغ (0.021، 0.032، 0.076) على التوالي أي ما قيمته (0.021، 0.032، 0.076) من التغيرات في الأداء الوظيفي ناتج عن نمط القيادة الحر، كما بلغت درجة التأثير β (0.111، 0.148، 0.262) وهذا يعني الزيادة والاهتمام بدرجة واحدة في نمط القيادة الحر يؤدي إلى زيادة الأداء الوظيفي (لقدرة، الرغبة، فرص النمو والتقدم) بقيمة (0.111، 0.148، 0.262) على التوالي ويؤكد معنوية الأثر قيمة F المحسوبة والتي بلغت (6.580، 9.998، 25.154) على التوالي وهي دالة عند مستوى 0.05 ≥ α .

نلاحظ أن أثر النمط الحر على الأداء ضعيف حيث نجد معاملات الارتباط ضعيفة مقارنة مع النمط السابق كما أن معامل التحديد الذي يفسر التغيرات التي تحدث في الأداء ضعيف أيضا ويؤكد ذلك معامل التأثير β .

وهذا يؤكد على عدم صحة الفرضية (الصفرية) الثالثة وعليه ترفض وتقبل الفرضية البديلة التي تنص على: لنمط القيادة الحر أثر على الأداء الوظيفي (القدرة ، الرغبة، فرص النمو والتقدم الوظيفي) عند مستوى دلالة ≥ 0. 05 .

أثر نمط القيادة الأتوقراطي الأداء: بلغ معامل الارتباط (0.019، 0.146، 0.158) على التوالي ، أما معامل التحديد (0.000، 0.021، 0.025) أي أن ما قيمته (0.021، 0.025) من التغيرات في الأداء (والمتمثل في الرغبة وفرص النمو والتقدم) ناتج عن نمط القيادة الأوتوقراطي أما القدرة على الأداء فلا يؤثر فيها هذا النمط ويؤكد ذلك مستوى الدلالة 0.744 > 0.05 ، حيث بلغ مستوى الدلالة 0.744 > 0.05 و R^2 = 0 أي لا يوجد أثر في القدرة على الأداء أما المتغيرات الأخرى فهي ذي أثر ضعيف (0.021، 0.025) .

وكما أن درجة التأثير β (0.119 - ، 0.147 -) فهي ضعيفة وعكسية أي وجود علاقة عكسية بين المتغير المستقل وهو نمط القيادة الأوتوقراطي والأداء من حيث الرغبة وفرص النمو والتقدم، أي أن النمط الأوتوقراطي يؤثر سلبا على الأداء، وهذا ما لمسناه من تذمر وشكوى لدى العاملين المرؤوسين اتجاه الرؤساء الذين يطبقون هذا النمط في التسيير.

وعليه عموما تقبل الفرضية الصفرية الرابعة وهي:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لنمط القيادة الأوتوقراطي على الأداء الوظيفي (القدرة، الرغبة، فرص النمو والتقدم) عند مستوى دلالة 0.05≥ **α**

الخاتمة

نلاحظ أن أثر الأنماط القيادية على الأداء يعزى إلى النمط الديمقراطي بالدرجة الأولى وبدرجة كبيرة أما النمط الحر فهو ذو تأثير ضعيف ومنعدم في القدرة على الإنجاز، حيث درجة التأثير لا تتجاوز 0.5 ما يعني أن أقل من 50% من التغير في المتغير المستقل (نمط القيادة الحر) يؤدي إلى التغير في المتغير التابع وهو الأداء الوظيفي.

أما النمط الأوتوقراطي فهو إما ذو علاقة عكسية على الأداء، أي كلما زاد المتغير المستقل (نمط القيادة الأوتوقراطي) كلما قل مستوى الأداء الوظيفي (خاصة الرغبة في العمل وفرص النمو والتقدم الوظيفي) وهو المتغير التابع، أو ليس له علاقة بالأداء الوظيفي خاصة القدرة على الأداء.

وبما أن النمط السائد في المؤسسة هو النمط الأوتوقراطي بصفة أكبر فهذا يفسر حالة التذمر والشكوى والسخط والإحباط الذي يعاني منه غالبية المبحوثين ،حيث يؤكدون أنهم إن وجدوا فرص عمل أخرى في مؤسسات أخرى سيتركون العمل في هذه المؤسسة لأنه يغلب عليها اللاعدالة واستغلال المنصب في تنفيذ المزيد من التسلط.

المراجع :

1. Brett Anthony Hayward :Relationship between employee ,performance ,leadership and emotional intelligence in a south African parastal organization, A thesis submitted in fulfillment of the requirements for the degree of master of commerce ,department of management ,Rhodes university,2005,p21

2. زيد منير عبودي: القيادة ودورها في العملية الإدارية، ط1، دار البداية، عمان الأردن2008، ص 25.

3. محمد بن علي المانع: تقنيات الاتصال و دورها في تحسين الأداء – دارسة تطبيقية – رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية – قسم العلوم الإدارية – الرياض ، المملكة العربية السعودية 2006 ص 71.

4. R.Brosque :Fondement de la performance humaine dans l'entreprise, édition d'organisation, Paris1989 ,p11 .

5. صلاح الدين عبد الباقي: الموارد البشرية من الناحية العلمية والعملية، الدار الجامعية للنشر و التوزيع، مصر 2005، ص 175.

6. Annie Bartoli : Le management dans les organisations publiques, édition Dunod ,Paris 1997,p 80.

7. Yves Saubou : Tableaux de bord pour décideurs de qualité, édition Afnor, Paris 2004, p 153.

8. مجيد جعفر الكرمي: تقويم الأداء في الوحدات الاقتصادية باستخدام النسب المالية، دار المناهج للنشر و التوزيع، الأردن 2010.

9. بوعمامة أحمد فارس: المهارات القيادية و دورها في الاداء الوظيفي، دراسة حالة مؤسسة سونلغاز للتوزيع – قسنطينة – رسالة ماجستير ، قسم علم الاجتماع، قسنطينة، 2009-2010 ص ص 129.

10. خيري مصطفى كنانة : مرجع سابق ص ص 131 - 134

11. عادل زايد، الأداء التنظيمي: الطريق إلى منظمة المستقبل: مرجع سابق، ص ص 25-26.

12. المرجع نفسه ، ص24.

13. أحمد إسماعيل المعاني وآخرون: أساليب البحث العلمي والإحصاء، كيف تكتب بحثا علميا؟ ط1، دار إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص ص 90-91.

14. Philippe Magnai : Les systèmes de management, en 22 fiches de synthèse et 25QCM d'autocontrôle, Editions d'organisation, Paris ,1993 p19.

15. زيد منير عبودي: مرجع سابق ص ص 27-30.

16. نوال روميل، : القيادة و تسيير الموارد البشرية –رؤية نقدية و دراسة تطبيقية، دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر، 2009 ، ص22.

17. عادل ثابت: سيكولوجيا الإدارة المعاصرة، ط1، دار أسامة للنشر، عمان- الأردن 2008، ص 157.

18. كاسر المنصور، يونس عواد: وظائف الإدارة- منشورات الجامعة دمشق – سوريا 1996، ص 251.

الدور التربوي للمؤسسات العقابية في الجزائر – دراسة في اتجاهات الأحداث الجانحين - دراسة ميدانية بمركز إعادة التربية بقسنطينة

أ مكي سهام
كلية علم النفس
جامعة قسنطينة2

ملخص:

إن المؤسسات العقابية باعتبارها مكان لتنفيذ العقوبة فإن دورها ووظيفتها الجديدة ليست وليدة الوقت الراهن بل عرفت تغيرا كبيرا عبر مختلف المراحل التاريخية إلى أن انتهت بأن أصبح للمؤسسات العقابية دور تربوي تسعى من خلاله إلى تعديل سلوك المساجين بغية أن يوافق التوقعات المرجوة منهم بعد انقضاء مدة عقوبتهم . ولتحقيق هذا الغرض فإن هذه المؤسسات العقابية تسخر إمكانيات مادية وبشرية تسعى بواسطتها إلى تحقيق أهدافها التربوية والمتمثلة في تنمية جميع جوانب شخصية المسجون النفسية منها والعقلية ، البدنية والاجتماعية .

Abstract:

The penal institution as a place to imply the punishment ,the new role and function is not born of the moment ,but they seen a big change across around the different historical stages and become to the penal institutions an educational role ,endeavor in which to modify the behavior of prisoners in order to be approved by the expectations of them after the expiration of their punishment to achieve this purpose , these penal institutions harness the potential of the material and human endeavor through which to achieve their educational objectives and the development of all sides of the personality of the imprisoned : psychological , mental , physical and social

مقدّمة:

إن دور المؤسسات العقابية يعكس ميدانيا سياسات عقابية ذات أفكار واضحة وأهداف محددة ، ولماّ كانت السياسة العقابية في الجزائر تتبنى مبادئ وأفكار سياسة الدفاع الاجتماعي السّاعية إلى إعادة إدماجهم في المجتمع بطريقة سوية ، فقد تنوعت مؤسساتها العقابية بحسب معايير تتحكم فيها عوامل السّن ، الجنس وكذا مدّة العقوبة ، وقد سخّرت لنفسها نظام معين تسعى من خلاله إلى تحقيق أهدافها التربوية ، ويتمثل هذا الأخير في النظام التدريجي و المشتمل على مجموعة النظم المتكونة من النظام الانفرادي و المختلط و الجمعي ،

جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.©

بالإضافة إلى أنظمة أخرى تتعقبها كنظام الورش الخارجية والإفراج المشروط ونظام نصف الحرية ، حيث تطبّق هذه الأخيرة وفق أساليب عقابية تتناسب والمراحل التالية أين ينتقل المسجون من خلاله من مرحلة إلى أخرى ، بحسب ما يقدمه من ضمانات مؤكدة على تحسين سلوكه ومدى استحقاقه للمرحلة التالية مراعاة لفكرة التدرج في تطبيق العقوبة السالبة للحرية .

فقد أثبتت التجارب على مدى فعالية هذا الأسلوب في إعادة تأهيل المساجين ، فهذا النظام يجنبهم الانتقال المفاجئ من مرحلة سلب الحرية إلى مرحلة الحرية الكاملة مما يؤدي إلى استغلالها ، وقد يشكل صعوبة كبيرة في إعادة اندماج المسجون من جديد في المجتمع وفق التوقعات المرجوة منه ، وسيتم توضيح ذلك في المراحل اللاحقة من البحث.

1- الإشكالية :

يعود الاهتمام المتزايد بهذا الموضوع خاصة من قبل الباحثين الغربيين إلى مدى أهمية المؤسسات العقابية في مواجهة الميول الإنحرافية وتحقيقها للضبط الاجتماعي (1) ، باعتبار أن المجتمع نظام يتكون من تنظيمات اجتماعية يعتمد كل منها على الآخر في شكل متكامل ، وتتجه جميعها للحفاظ على أسسه وتوازنه ، وتتحقق حالة التوازن هذه باتفاق مشترك بين أفراده حول مجموعة المعايير والقيم التي تصونها عمليات التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي لمواجهة الانحراف.

ومع التطور الملحوظ للمؤسسات العقابية وسياستها ، فقد أصبح لها دورا تربويا خاصة فيما بعد القرن الثامن عشر، كان وليد العديد من الإسهامات من قبل المفكرين والباحثين والفلاسفة ، وحتى بعض الديانات السّماوية كالدين الإسلامي والدين المسيحي، أين نادوا بتربية المساجين عن طريق تنمية جوانب شخصيتهم النفسية ، العقلية والبدنية والاجتماعية ، كما ساهم أيضا واقع أوروبا الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بقسط كبير في تطور دور المؤسسات العقابية ، خاصة بانتشار الفقر والبطالة والتسوّل والتشرد فأصبحت بالتالي الجريمة نتيجة لهذا الواقع ، كما أدى بمفكريها وفقهاء القانون إلى البحث عن قوانين تراعي التدرج من مرحلة سلب الحرية إلى مرحلة الحرية الكاملة مما يؤدي إلى سوء استغلالها، مما شكّل أيضا صعوبة كبيرة في إعادة اندماج المسجون في المجتمع من جديد ، كما سخرت السياسة العقابية في الجزائر عدة إمكانيات مادية وبشرية وشرّعت نصوصا قانونية تعكس أفكارها ومبادئها التي تتماشى وأفكار سياسة الدفاع الاجتماعي ، باعتبار أن المؤسسات العقابية بمثابة مكان تنفيذ وتجسيد تلك الأفكار ، وبناءا على ما تقدم ذكره فقد جاء موضوع بحثنا محاولا الاضطلاع على مدى تجسيد بعض المؤسسات العقابية في الجزائر لدورها التربوي المنوط بها وهذا من خلال اتجاهات الأحداث الجانحين ، وانطلاقا من تساؤل رئيسي مفاده : هل اتجاهات الأحداث الجانحين نحو الدور التربوي للمؤسسات العقابية المتواجدين بها ايجابية ؟

2- فروض ومؤشرات الدراسة :

- **الفرضية العامة :** اتجاهات الأحداث الجانحين نحو الدور التربوي للمؤسسات العقابية المتواجدين بها ايجابية.
- وتندرج تحتها أربع فرضيات جزئية (4) وهي كالآتي:

1- اتجاهات الأحداث الجانحين نحو دور المؤسسات العقابية في تنمية الجانب النفسي للحدث ايجابية .
2- اتجاهات الأحداث الجانحين نحو دور المؤسسات العقابية في تنمية الجانب العقلي للحدث إيجابية .
3- اتجاهات الأحداث الجانحين نحو دور المؤسسات العقابية في تنمية الجانب البدني للحدث إيجابية .
4- اتجاهات الأحداث الجانحين نحو دور المؤسسات العقابية في تنمية الجانب الاجتماعي للحدث إيجابية .

وقد تم الاستعانة بمؤشرات أربع رئيسية وتسعة عشر مؤشرا فرعيا ، أطلق عليها اسم "مؤشرات الدراسة"

- مؤشر 01 : الجانب النفسي .
- مؤشر 02 : الجانب العقلي .
- مؤشر 03 : الجانب البدني .
- مؤشر 04 : الجانب الإجتماعي .

3-تحديد المفاهيم:

- **مفهوم المؤسسة العقابية :** تعتبر المؤسسة العقابية مكان لاحتجاز المتهمين أو لتنفيذ عقوبة سلب الحرية ، تتحدد أنواعها ونظامها وفقا لسياسة عقابية تسعى لتحقيق أهداف واضحة تنحصر في تحقيق الجانب الردعي والتربوي للمحكوم عليهم .
- **مفهوم التربية :** أن نهيئ الظروف المساعدة لنمو الشخص نموا متكاملا من جميع النواحي لشخصيته العقلية والخلقية والجسمية والروحية ، أي أن التربية ما هي إلا تهيئة ظروف تتاح فيها الفرص لأن نوجّه كل مقومات التربية التي تجعلنا ننشئ الأشخاص صغارا و كبارا تنشئة سليمة في النواحي الخلقية والجسمية والعقلية والروحية **(6)**.
- **مفهوم الحدث المنحرف :** هو ذلك الشخص الذي يقل سنه عن الثامنة عشر ، ويصدر سلوكا أو أفعالا لا تتوافق مع المعايير الاجتماعية ، باقترافه جريمة فيمثل أمام القانون أو أي سلطة أخرى مختصة .
- **مفهوم المركز المختص بإعادة التربية :** هو داخلية تستقبل الأطفال من 16 إلى 18 سنة ، الموضوعين تحت الرقابة وإعادة التربية ، وهذه الهيئة (المركز) تابعة لوزارة الحماية الاجتماعية **(مرسوم 75-115، 26 ديسمبر 1975، الجريدة الرسمية رقم 82)** (14 أكتوبر 1975 ، المتضمن القانون النموذجي للمراكز المختصة لحماية الطفولة والمراهقة) (7)، ومن يرسل الأطفال للمراكز هو قاضي الأحداث ، نلاحظ هنا نوعين من الوضع في المركز ، وضع مفروض على الأحداث الذين ارتكبوا جرما ووضعوا بطلب من مربي مصلحة الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح ، والمساعدات الاجتماعية أو الآباء في حالات الخطر المعنوي .
- **مفهوم الدور:** أنه نموذج يرتكز حول بعض الحقوق والواجبات ويرتبط بوضع محدد للمكانة داخل الجماعة أو موقف اجتماعي معين ، ويتحدد دور الشخص في أي موقف عن طريق مجموعة توقعات يضعها الشخص نفسه" **(5) .**

4- المنهج المتبع في الدراسة :

نظرا لطبيعة المشكلة التي تناولها البحث والعناصر التي تتضمنها فرضياته ، فإن الباحث استخدم في معالجة هذه المشكلة والتحقق من صحة الفرضيات المنهج الوصفي ، كما أن مهمة هذا الأخير لا تتوقف عن تجميع البيانات والمعلومات عن الظواهر والموضوعات التي يتم التعرض إليها ، إنما تمتد هذه المهمة إلى أبعد من ذلك ، ولأن هذا هو الهدف من بحثنا ، خصوصا أن موضوع الدراسة يدور حول دراسة الاتجاهات التي ترمي إلى الحصول على بيانات يتم تحليلها وتحديد الاتجاهات الغالبة و طبيعتها سالبة أو موجبة ، فالبحوث الوصفية كما يقول الدكتور **فاخر عاقل** " توصلنا إلى حقائق دقيقة عن الظروف القائمة ، وتستنبط العلاقات بمعلومات مفيدة وقيمة ، وبذلك تساعد على فهم الحاضر وأسبابه ورسم خطط المستقبل واتجاهاته **"(4) .** ولما كان هذا البحث يسعى في نهاية الأمر إلى معرفة استجابات الأحداث الجانحين اتجاه الدور التربوي الذي يقدّم لهم داخل مؤسسة إعادة التربية ، فالمنهج الوصفي بهذه الكيفية يمثّل أحسن طريقة للكشف عن المعلومات وبترتيب المعطيات والحقائق حول المشكلة التي نحن بصدد معالجتها ، زيادة على ذلك تحليلها وتفسيرها **(3) .**

5-العينة :
اختيار عينة الدراسة من أهم الخطوات في أي بحث علمي يخضع لشروط الموضوعية والدقة العلمية ، ونظرا لكون قد تعذّر إجراء الدراسة الميدانية في كامل المؤسسات العقابية في الجزائر ، وهذا ما اقتضى أن تكون عينة البحث بالحجم المقدّم.
وقد قدّر حجم العينة بـ 30 مبحوث من أصل 31 حدث جاني أي بنسبة 96.77% من مجتمع الدراسة ، وقد أخذنا عينة البحث من مؤسسة إعادة التربية بقسنطينة .
6- أدوات الدراسة :
6-1- **الملاحظة :** وقد استخدمنا نوع الملاحظة البسيطة والتي تعدّ من أهم الأدوات المستخدمة في البحث العلمي ، ومصدرا أساسيا للحصول على البيانات والمعلومات الضرورية ، ويقصد بالملاحظة "استخدام البصر والحس في إدراك حقيقة ما وتستهدف الملاحظة عدم الاكتفاء في جمع المادة العلمية بالحقائق والظواهر السطحية والمعاني الأولية ، والجزئيات مما يساعد الباحث على تنمية مواهبه" **(2)** . فقد جاء استخدام الملاحظة كأداة لجمع المعلومات استعمالا واسعا أين تم الحصول من خلالها على معلومات لم يصرّح بها الأحداث ولا الفنيين المختصين المتواجدين بالمركز ساعدتنا في تحليل وتفسير النتائج ، وذلك بملاحظة بعض الارتباكات التي يبديها المبحوث عند تقديمه لإجابات مشكوك فيها أو متناقضة مع بعضها البعض ، كما سمحت لنا الملاحظة ببناء فكرة ولو أوليّة عن المؤسسة محل الدراسة ، وهذا بالتعرف على هيكلها وطرق تسييرها والإمكانيات المتوفرة لديها بزيارة مختلف القاعات والسؤال عن أدوار كل عامل بها.
6-2- **المقابلة :** وهي تفاعل لفظي بين شخصين في مواقف المواجهة ، يحاول أحدهما من خلاله أن يستثير بعض المعلومات أو بعض التعبيرات لدى الآخر حول خبراته وآرائه ومعتقداته ، وهي لا تقل أهمية عن الأدوات الأخرى لجمع البيانات لذلك تم استخدامها للحصول على معلومات تفيدنا في البحث ، وقد تم تحقيق ذلك من خلال إجراء مقابلات مع بعض المؤطّرين والمسؤولين كالمدير والمربي والأخصائي النفسي والمساعد الاجتماعي ، لإفادتنا بمعلومات خاصة بظروف سير عمل المؤسسة ومدى تحقيقها للهدف التربوي المنوط بها.
6-3- **الاستمارة :** أو الاستبيان أو الاستخبار ، أداة مفيدة من أدوات البحث العلمي ، وهي مستعملة على نطاق واسع للحصول على الحقائق والتوصّل إلى الوقائع والتعرف على الظروف والأحوال ودراسة المواقف والآراء والاتجاهات ، ولأن موضوع الدراسة متعلق بمعرفة اتجاهات الأحداث الجانحين نحو الدور التربوي للمؤسسات العقابية المتواجدين بها ، فقد تم اعتماد مقياس **ليكرت** للاتجاهات ، وقد تضمن المقياس أربع محاور كل محور يضم مجموعة بنود، ويبلغ المجموع الكلّي للبنود 52 بند ، وكانت كل عبارة في المقياس مدرجة على خمسة درجات وهي : ليس لدي رأي ، أرفض ، أوافق ، أرفض بشدة ، أوافق بشدة ، وقد تم التأكد من صدق الاستبيان وتم تعديله وتغييره حتى توصلنا إلى التناسب بين الأسئلة الموضوعة وموضوع الدراسة .
7 -كيفية أو تقنية عرض وتحليل البيانات : في هذا البحث لم نكتف بعرض البيانات الكيفية أو الكمية المجمّعة فقط ، بل عمدنا إلى تحليلها إحصائيا وتفسيرها ، حيث عالجنا المعلومات المتحصل عليها من خلال المقياس معالجة إحصائية بعد وضعها في جداول وتبويبها بالطرق المناسبة ، مشفوعة بتفسير وتحليل للأرقام التي احتوتها بما يتناسب وأبعاد الدراسة.
أما فيما يخص الأساليب الإحصائية المستخدمة في مجال عرض البيانات الكمّية فإنه ومثلما أشير إليه سابقا في تبيان المنهج المتبّع بالذات إلى استعمال إضافة للنسب المئوية وفق المعادلة : **النسبة المئوية = عدد التكرارات x 100 / مجموع التكرارات** ثم قياس شدة الاتجاه: حيث يمثل (-) الاتجاه السالب و(+) الاتجاه الموجب ، وتبع بتحليل وتفسير معمق .
8- النتائج العامة : من كل النتائج المتوصل إليها وبعد التحليل والتعليق على البيانات المجموعة بواسطة المقياس ، والتي تهدف للإجابة على السؤال المحوري التالي : هل اتجاهات الأحداث الجانحين نحو

الدور التربوي للمؤسسات العقابية المتواجدين بها إيجابية؟ ، حيث انطلقنا في الدراسة من الفرضية التالية:

إن اتجاهات الأحداث الجانحين نحو الدور التربوي للمؤسسات العقابية المتواجدين بها إيجابية ، نجد أن فرضية البحث قد تحققت (أثبتت) ، حيث بلغت شدة الاتجاه: (+0.36) ، وهذا راجع إلى اقتناع الأحداث بالدور التربوي المقدم داخل المؤسسة المتواجدين بها ، فهذا الدور قد تغيّر تبعا لتغير مفهوم العقوبة وأغراضها ، ويتضح ذلك عند تفحصنا لوضع السجون قديما ، فقد كانت عبارة عن أماكن يحتجز بها المجرمون بغية الانتقام منهم عن طريق تطبيق مختلف أشكال العقوبات البدنية أو المعنوية ، ومنه تبين أن دور السجن آنذاك كان بمثابة مكان ينتظر فيه المحكوم عليه تطبيق العقوبة فقط ، تلبية للغرض الأساسي منها والمتمثل في إيلام المسجون وردعه وزجره ، إلى أن أصبح لهذه المؤسسات العقابية دورا تربويا (ما بعد القرن الثامن عشر) ، ولم يكن وليد تلك الفترة بل سبقته عدة إسهامات من المفكرين والفلاسفة وحتى بعض الديانات السّماوية كالدين الإسلامي والدين المسيحي ، أين نادوا بتربية المساجين عن طريق تنمية شخصيتهم العقلية والبدنية والنفسية والاجتماعية ، ولتلبية هذا الغرض سخّرت هذه المؤسسات الإمكانيات المادية والبشرية لضمان السير الحسن ، وتحقيقا للأغراض التربوية المنوطة بها ، وتجسيدا لسياسة الدفاع الاجتماعي حتى يبتعد الحدث الجانح عن طريق الإجرام ولا يعود له مرة ثانية.

9- الاقتراحات: في ضوء نتائج البحث نضع بعض الاقتراحات والتي رأينا أنها تخدم موضوع البحث وهي:

- توفير الرعاية اللاحقة للمفرج عنهم والتي تضمن تحقيق الأهداف التربوية المنوطة بالمؤسسات العقابية في إعادة تأهيل المسجونين وإدماجهم في المجتمع بطريقة سوية ، وهذا ما لم تأخذ به السياسة العقابية في الجزائر.
- وضع تخطيط عام يحوّل أهداف السياسة العقابية التي تسعى إلى تحقيقها إلى مستوى تنفيذي ، أين يتم برمجة مراحل التنفيذ بحيث تكون مكمّلة لبعضها البعض ، ومن هنا يجب أن يوافق ما يطبّق داخل المؤسسة العقابية ما هو موجود خارجها أي ميدان التنفيذ ، خاصة من الناحية المهنية أين يتسنى للسجين توظيف ما اكتسبه من معارف ومهارات بعد الإفراج عنه.
- تشجيع الجمعيات التطوعية المختصة برعاية أسر المساجين والمفرج عنهم والتنسيق فيما بينهم تجنبا لازدواجية الأدوار.
- توفير العدد الكافي من الممارسين الطبيين وشبه طبيين بمختلف تخصصاتهم النفسية والعقلية والجسمية.

قائمة المراجع :

1- أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية ، دار المعارف، ط2 ، مصر، 1984، ص130.
2- إحسان محمد الحسن ، الأسس العلمية ، لمناهج البحث الاجتماعي ، دار الطبيعة ، ط2 ، بيروت ، 1992، ص25.
3- جابر عبد الحميد وأحمد خيري كاظم ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1973، ص133.
4- فاخر عاقل ، أسس البحث العلمي في العلوم السلوكية ، دار العلم للملايين ، ط1، بيروت ، لبنان ، أكتوبر، 1992، ص 129.
5- محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة العلمية ، دون طبعة ،1997، ص 399.
6- وزارة التربية والتعليم المصرية ، المكتبة المدرسية الحديثة ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ، ج 2 ،مصر، 1962 ، ص13.
7- وزارة العدل- قانون تنظيم وإعادة تربية المساجين 1972 ، مطبعة وزارة العدل ، الدار البيضاء ، الجزائر ، جويلية ، 1974.

برنامج علاجي لتذليل الصعوبات النحوية عند المتعلمين

ملخص

سيقوم المقال بتشخيص الصعوبات النحوية لدى عيّنة من المتعلمين، وفق تصميم البرنامج التعليمي الحديث المساير للمنظومة الجديدة في التعليم العالي، وذلك عن طريق التجربة الميدانية التي جمعتنا بالعيّنة، وسنحلل نتائج الاستبيان التشخيصي، لكي نبيّن أهمّ الصعوبات النحوية التي تعاني منها هذه الفئة، يتبع هذا النوع بتحليل لهذه النتائج، من أجل الوصول إلى حلول وفق فرضيات البحث، لتقييم الوضعيات التعليمية في النحو، ثم تقويمها لاحقا بصياغة مجموعة من الإجراءات التعليمية نسعى من خلالها إلى أن نسهم في تذليل هذه الصعوبات.

د. رشيد فلكاوي

المدرسة العليا للأساتذة
قسنطينة
الجزائر

مقدمة

يشهد العالم تطورا مذهلا، خاصة فيما يتعلق بطرائق ووسائل وصول المعلومة إلى المتلقين، فلم يعد الحديث عن العلاقة بين الإنسان والمعلومة، وإنما أصبح الحديث في وقتنا الراهن عن ضمانات وصول المعلومة وصولا سليما وبطريقة فورية قد لا تحتاج إلى شخص يبلغ عنها. كما لم يعد الحديث - خاصة إذا تعلق الأمر بتدريس اللغات المتقدمة كاللغة الفرنسية مثلا واللغة الانجليزية- عن الصعوبات والعوائق التعليمية لأن الكثير من الدول قد وفرت كل الآليات والوسائل اليدوية والتكنولوجية من أجل تعليم لغاتها تعليما سليما وصحيا خاصة إذا تعلق الأمر بنظامها النحوي لأنه عصب اللغات بل هو اللغة نفسها، إذا فسد فسدت اللغة كلها وإذا صلح صلحت كلها.

Résumé

L'article a pour tâche de diagnostiquer les difficultés grammaticales chez certains apprenants. L'examen diagnostique est suivi de deux tests visant à évaluer les situations didactiques au niveau de la grammaire puis les rectifier en créant un ensemble de procédures didactiques grâce auxquelles il est possible de contribuer à la simplification de ces difficultés grammaticales.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2013.

يشكل موضوع تعليمية النحو قضية جوهرية ومصيرية مهمة جدّا ضمن تعليمية اللغة العربية بشكل عام، فهو جزء لا يتجزأ منها، لأن تعليم النحو بشكل صحيح، يؤدي لا محالة إلى التعليم السليم للّغة العربية، فهو عمادها، وأهم المستويات فيها، بل كل المستويات اللغوية الأخرى مرتبطة به ارتباطا مباشرا أو بطريقة غير مباشرة، لذا أولت الكثير من الدراسات اللسانية التطبيقية اهتماما بالغا به، فموضوع تيسير النحو قديم قدم الدّراسات اللّغوية العربية، ولكن مع ظهور المستجدات الحديثة في كل عصر من العصور، وظهور وسائل تعليمية جديدة، أدى بالباحثين إلى إعادة النظر في كيفية تعليم اللغة العربية بشكل عام، من أجل أن توافق هذه التعليمية مستجدات كل عصر.

يمثل النحو بشكل عام المنهج الذي نسير وفقه أثناء الحديث باللغة العربية الفصيحة، عن طريق الإلمام بقواعد اللغة العربية إلماما وافيا وصحيحا، فالعلاقة بين النحو واللغة علاقة متينة ووطيدة، فهو بمثابة القلب للإنسان، هو الضابط والمعيار الذي نسير وفقه أثناء الحديث باللغة العربية الفصيحة، فالقواعد النحوية وضعت من أجل الحفاظ على اللغة العربية من اللحن ، وكذلك من أجل الحفاظ على القرآن الكريم من التحريف، وبالتالي اخترنا موضوع الصعوبات النحوية، وإمكانية إيجاد برنامج علاجي للتقليل من حدة هذه الصعوبات، وهذا من أجل تيسير تعليمية النحو العربي خاصة على مستوى الجامعة. وذلك عن طريق الإجابة عن الأسئلة التالية الآتية:

- ما هي أسباب الصعوبات النحوية؟
- فيما تكمن الصعوبات النحوية عند المتعلمين؟
- ما هي الطرائق الأمثل من أجل تعليم النحو تعليما سليما؟
- هل يمكن إيجاد بديل آخر في تعليمية النحو العربي؟

1- الدراسات السابقة في تيسير النحو العربي:

لقد تعددت الدراسات العربية في مجال تيسير النحو العربي، وهناك الكثير منها والتي تناولت هذا الموضوع، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: ابن مضاء القرطبي الأندلسي، والذي سنخصص له عنصرا من هذا المقال نظرا لأهمية مواقفه العلمية، وجرأة الطرح العلمي الذي يتميز به، كما سنعرض آراء الدكتور شوقي ضيف في مجال تيسير النحو العربي، وبين هذين العلمين جهود نحوية كثيرة نذكر منها ما قدمه "رفاعة الطهطاوي" في كتابه: "التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية"، وكذلك جهود "حفني ناصف" وزملائه في كتاب "قواعد اللغة العربية"، ثم ما قدمه "علي الجارم ومصطفى أمين" في كتاب "النحـو الواضـح"، ثم تبعت هذه الجهود بما قدمه "إبراهيم مصطفى" في كتاب "إحيـاء النحـو"، ولكن ما نلحظه على هذه الجهود أنها تصب جميعا في الحديث عن المتون النحوية، ولم تتوسع كثيرا في طريقة تدريس النحو وكيفية التمييز بين المستويات المختلفة للناشئة. وقد وقع الكثير من الباحثين المهتمين بشؤون النحو العربي في الكثير من المغالطات المعرفية والأفكار المنافية تماما لمعنى تيسير النحو العربي، فهناك من فهم أن معنى التيسير هو ترك النحو بشكل نهائي

والبحث عن بدائل وأنماط أخرى في العامية العربية لاستسهال النطق، وهناك من يفهم تيسير النحو هو إغفال بعض القواعد النحوية الصعبة، أو المسائل النحوية المختلف فيها، في حين مقصدنا من تيسير النحو العربي هو تذليل طريقة أخذه كما هو، والفصل بين النحو العلمي والنحو التعليمي، وعدم الخلط بينهما.

سنعرض نموذجين أحدهما قديم والآخر حديث، نظرا للطبيعة المنهجية التي يتميز به هذا المقال والتي لا يتعدى متنه بضع صفحات، لهذا سنعرض جهود ابن مضاء القرطبي وشوقي ضيف بوصفهما نموذجين من تلك النماذج الكثيرة.

1-1-جهود ابن مضاء في تيسير النحو: تتمثل جهود ابن مضاء في تيسير النحو عن طريق إلغائه بعض المعوقات التي يراها عامل تعقيد للنحو، نجملها فيما يلي:

1- إلغاؤه نظرية العامل: وذلك في كتابه " الرد على النحاة" .

2- إلغاء العلل الثواني والثوالث.

3- إلغاء القياس.

4- إلغاء التمارين غير العلمية.

1-2-جهود شوقي ضيف في تيسير النحو: لا أحد من الدارسين ومن المتخصصين في اللغة العربية عامة وفي الدراسات النحوية بشكل خاص يستطيع أن ينفي إسهامات الدكتور شوقي ضيف في مجال الدراسات النحوية، وكذلك الجهود التي قدمها أولا في تعريف النحو وتقديمه للدارس العربي، مهما كان شكله، فقد انتفع من علمه الكثير من المبتدئين في مجال الدراسات النحوية، وحتى المتخصصين منهم، كما قدم أيضا دراسات نقدية للرد على اتهامات بعض الدارسين لقضية صعوبة النحو العربي، فراح يدافع عنه وعن أعلامه، فقد تراوحت إسهاماته بين كتب تعريفية وأخرى نقدية نذكرها حسب الترتيب الزمني كما يلي:

أ- تحقيق كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي 1947

ب- المدارس النحوية 1968

ت- تجديد النحو 1982

ث- تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده 1986

ج- تيسيرات لغوية 1990.

تمثل هذه الكتب إضافة نوعية للدرس النحوي العربي، فهو يسير وفق منهجية ثابتة في تقديم النحو العربي، فمن جهة يهتم بتحقيق الكتب النحوية الميسرة والداعمة للنحو العربي، وهو ما كان في الكتاب الأول (تحقيق كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي 1947)، أما الكتاب الثاني (المدارس النحوية 1968) فهو عبارة عن دراسة

موسوعية للنحو العربي، كما يمثل بطاقة تعريفية للنحو العربي من خلال التعريف بأهم المدارس النحوية، ثم غلب على الكتب الأخرى المتبقية طابع التيسير والتجديد، وقد أثنى عليه الكثير من الباحثين في مقدمة العديد من الكتب، حيث كتب الباحث الدكتور "طه وادي" في مقدمة كتابه ما يلي: "هو مدرسة في إهـاب دارس وأمّـة في رداء فرد، فقد ألف في أكثر من ميدان، وراد أكثر من مجال، فشملت كتبه ودراساته مجالات عـدة مثل: تفسير القرآن وتحقيق التراث وكتابة السيرة والأدب الشعبي واللغة والنحو والبلاغة والنقد، وقبل كل ذلك تذكر جهوده الرائدة في الكتابة عن الأدب العربي" (1) كما يقول عنه أيضا "محمود فهمي حجازي" ما يلي: "إن الدكتور شوقي ضيف أسهم برأيه في التجديد مع توثيق هذا الرأي بالأصول التراثية" (2).

يمكن أن نجمل أهم آراء الدكتور شوقي ضيف في العناصر الآتية:

1- وافق شوقي ضيف كل آراء ابن مضاء القرطبي في نظرته إلى النحو العربي، بل ولقد أثنى عليه كثيرا لأنه في نظر الدكتور شوقي ضيف قد أزاح كل العوائق، ويسر على الدارس العربي. كما عالج شوقي ضيف هذه القضايا:

2- الانصراف عن نظرية العامل.

3- منع التأويل والتقدير في الصيغ والعبارات.

4- إعادة تنسيق أبواب النحو.

5- إلغاء الإعراب التقديري والإعراب المحلي.

6- الإعراب لصحة النطق.

7- وضع تعريفات وضوابط دقيقة.

8- حذف زوائد كثيرة.

وقد نتجت عن هذه المحاولات التيسيرية دراسات منها منها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي، إذ خلقت الكثير من السجال الفكري والصراع الذي لا يخدم النحو واللغة العربية بأي شكل من الأشكال، وخلق الباحثون مناخا آخر فكريا في مجال النحو العربي وهو قضية التيسير، عوض شرحه وتقديمه سهلا للمتعلمين، ويمكن أن نستنتج أن مظاهر الإصلاح النحوي قديما وحديثا قد برز في محورين: (3)

المحور الأول: إصلاح الكتاب النحوي.

المحور الثاني: إصلاح المحتوى النحوي.

وبالرغم من الجهود المبذولة، إلا أن الصعوبات ما تزال قائمة تتمثل في نظر أحد الباحثين فيما يلي: (4)

- أن محاولات التيسير لم تستند إلى أساس علمي في ذلك من تحليل تعبيرات التلاميذ المختلفة (الشفهية والتحريرية) أو قراءاتهم الخارجية الصحيحة منها والخاطئة، وإنما تمثلت عمليات التيسير في الحذف والإضافة أو في إعادة تبويب الموضوعات النحوية، أو في إعادة تنسيق أبواب النحو.

- عدم فهم المعنى الصحيح لعملية التيسير.

- النظرة العامة إلى النحو على أنه صعب، ولا يمكن فهمه.

2- تيسير النحو: أية طريقة لأي متعلم:

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن الصعوبات النحوية، في ظل الانتشار السريع الذي تشهده اللغات العالمية المتقدمة، والتي تضمن أفضل طريقة لتعليم قواعدها، وما تتميز به من خصائص لغوية تختلف كثيرا عن الخصائص الداخلية التي تتميز بها اللغة العربية، حيث تتميز هذه الأخيرة بالتنوع والثراء والشساعة، ما يجعل الدارس البسيط للنحو العربي يشعر بحرج شديد أثناء دراسته، وما يمثله بالنسبة للغة العربية، فالمتعلم الذي لا يعرف القواعد الصحيحة لا يمكن له أن يتحدث بلغة عربية سليمة، وبالتالي نحن نرى أننا يجب أن نحيط بجميع أطراف العملية التعليمية أثناء عملية تدريس النحو من أجل تشخيص أهم الصعوبات وبالتالي للوصول إلى بديل منهجي يضمن السلامة والراحة للمعلم والمتعلم، بدءا بالطريقة المناسبة لتدريس النحو.

2-1- طرائق تدريس النحو:تنوعت وتعددت طرائق تدريس النحو العربي، يمكن أن نقدم أهم هذه الطرائق فيما يلي:

الطريقة القياسية: هي التي تبدأ بعرض القاعدة على السبورة، ثم يؤتى بالأمثلة التي تؤيد القاعدة وتوضحها، وقد أثبتت بعض الدراسات العلمية جدوى هذه الطريقة في التدريس عن كل من الطريقة الاستقرائية وطريقة النصوص الأدبية " (5) وهي الطريقة الشائعة والذائعة في تدريس النحو العربي، حيث تعرض القاعدة النحوية على المتعلمين، ثم تعرض أمثلة مناسبة ومتطابقة للقاعدة، من أجل شرحها وبالتالي نعتمد في هذه الطريقة على الانتقال من الكل إلى الجزء، ثم يبدأ المعلم في قياس درجة فهم المتعلمين لهذه القاعدة، وهي عادة ما نجدها في أمّهات الكتب القديمة والممثلة في المصادر النحوية، حيث يعرض المحقق نماذج من ألفية ابن مالك ، ثم يبدأ بالشرح في المتن وفي الهوامش أيضا، إلى أن تكتمل القاعدة والدرس النحوي، ولكن بالرغم من صلابة ومتانة هذه القواعد، فقد لا تتناسب مع مستوى من مستويات المتعلمين، أو مع بعض المتعلمين، فهي تناسب المتفوقين والموهوبين في اللغة العربية، حيث تتميز بما يلي:

- تعوّد المتعلمين على الحفظ الببغائي دون استيعاب القواعد وتوظيفها

- عدم إعطاء المتعلم حرية التفكير والمناقشة لأن هذه الطريقة تعتمد على التلقين .
- أنها تعود المتعلمين الاتكال والتواكل على المعلم دون إعطائهم الحرية والاستقلالية .
- تبدأ بنموذج صعب يمثل القاعدة ويقوم المتعلم بتفكيكه بواسطة الأمثلة.

يمكن أن نقول عن هذه الطريقة أنها قائمة على جهد المعلّم فهي أشبه بالمحاضرة بالرغم من التفصيلات الجزئية التي يقدمها المعلم. كما أن القياس "وإن كان ذا أهمية في الحياة العملية إلا أنه ليس الطريق الطبيعي الأول في كشف القناع عن المجهول، بل إنه يأتي طبيعيا في المرتبة الثانية بعد أن يدرك العقل الخصائص والمميّزات التي تكون لديه الحكم العام". (6)

الطريقة الاستنباطية (الاستقرائية): تعتمد هذه الطريقة على عرض الأمثلة والشواهد المناسبة للقاعدة النحوية، ثم يقوم المعلم باستنباط القاعدة المناسبة لهذه الشواهد، ومن أجل الوصول إلى النتيجة يمر المعلم أثناء درس القواعد أو النحو بهذه الخطوات:

- المقدمة أو التمهيد: وفي هذا العنصر يقوم بالتهيئة المعرفية أو التمهيد للمتعلمين من أجل تحضيرهم، كأن تكون مراجعة بسيطة للقاعدة السابقة، أو أسئلة خاصة بالحصة الماضية.
- عرض الأمثلة أو النص الذي يحتوي على نماذج خاصة بالقواعد: حيث يكتب المعلم هذه النماذج في السبورة أو يعرضها على الشاشة، ثم يطلب من المتعلمين قراءتها وإعادتها مرات عديدة من أجل شد انتباههم.
- عقد مقارنة بين الأمثلة المتعددة من أجل استنتاج القواسم المشتركة بين هذه الأمثلة، والوصول إلى القاعدة.
- الاستنباط: بمعنى الوصول إلى كتابة القاعدة الصحيحة على السبورة ومطالبة المتعلمين كتابتها في الكراس وحفظها .
- إجراء مجموعة من التمارين من أجل ترسيخ القاعدة في أذهان التلاميذ ولهذه الطريقة أيضا عيوب، نذكرها مختصرة فيما يلي:
- الاعتماد على المعلم وذلك أثناء كتابته للقواعد ومطالبة المتعلمين قراءتها.
- الآلية في استنباط القاعدة لأنها أيضا تعطي الفرصة للمتعلمين للتلقي السلبي.
- تركيزها فقط على المقدرات العقلية وإهمال الجوانب الأخرى كالممارسة اللغوية مثلا.

الطريقة الحوارية: وهي الطريقة التي تعتمد على المناقشة والحوار من خلال استهداف أكبر عدد ممكن من المتعلمين، واستغلال خبراتهم من أجل الوصول إلى الهدف التعليمي المسطر من قبل المعلم وعادة ما يكون في حصص النحو الوصول إلى استنباط القاعدة النحوية، وفي هذه الطريقة يعتمد المعلم كثيرا على المتعلمين، وبالرغم من مزايا هذه الطريقة إلا أن فيها تضييعا للوقت وتشتيتا لفكر المتعلمين وعدم وضع إستراتيجية محددة من أجل الوصول إلى الهدف التعليمي، حيث يفتح باب المناقشة مجالا لا نهاية له خاصة مع المتعلمين المتفوقين.

الطريقة الحديثة في تدريس النحو: كما تسمّى أيضا في الأدبيات التربوية بالطريقة المعدّلة ، وتسمى أيضا بالطريقة التكاملية، حيث تجمع هذه الطريقة مزايا ومحاسن الطرائق السابقة والاعتماد بشكل كبير على الطريقة الأخيرة، حيث يعرض المعلم نصا يحتوي على الأمثلة المراد استهدافها، وبالتالي يفتح مناقشة مقننة بين المتعلمين، مع قراءة النص قراءة متمعنة، من أجل الوصول في الأخير إلى استنباط القاعدة، وتدعيمها في الأخير بمجموعة من التمارين التفحصية. وتكون بمثابة الممارسة الصحيحة للغة العربية.

2-2- المتعلم الجزائري وعلاقته بالنحو العربي:

تتميز البيئة الجزائرية بالتنوع الثقافي والحضاري واللغوي، حيث تتعايش في المجتمع الجزائري مجموعة من اللغات واللهجات، وبالتالي لا ينشأ المتعلم في بيئة متجانسة خاصة من الناحية اللغوية، وقبل أن نتحدث عن علاقة المتعلم بالنحو العربي، لابد أن نبين وضعية اللغات واللهجات وعلاقتها بالمتعلم:

1- أن اللغة الأم أو اللغة الأولى للمتعلم ليست اللغة العربية الفصيحة، فهي العامية العربية في أغلب مناطق الجزائر، أو اللهجات الأمازيغية في بعض المناطق الأخرى، وبالتالي لا يكتسب العربية الفصيحة عن طريق الممارسة اليومية في الأسرة أو المجتمع، وإنما يكتسبها عن طريق المدرسة أو التلقين المدرسي، تضاف لها اللغات الأجنبية وهي اللغة الفرنسية والانجليزية، وهذا الإجراء في السنوات الأولى يؤثر سلبا على المتعلم، حيث يقول ابن خلدون: " إذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة، صار مقصراً في اللغة العربية وذلك أن الملكة إذا تقدمت في صناعة بمحل، فقل أن يجيد صاحبها ملكة في صناعة أخرى" (7).

2- لا يسمع المتعلم الجزائري لغة واحدة أو لهجة واحدة متجانسة، وإنما يسمع أخلاطا لغوية غير متجانسة، وهو ما يؤثر سلبا على لغته المدرسية، أي تلك اللغة المقننة المستعملة في المدرسة.

3- تقدمت اللغات الأجنبية كثيرا على اللغة العربية الفصيحة، نظرا لما حققه أهلها من تطور على مستوى التقدم العلمي والتكنولوجي، ودعم الدول الغربية للغاتها بطريقة

مباشرة أو غير مباشرة عن طريق المراكز الثقافية المعتمدة في الجزائر، حيث نلاحظ تنظيم هذه المراكز دورات تكوينية قصد الاستفادة من تكوين في الخارج، إضافة إلى التشجيع المادي والمعنوي لمتعلمي اللغات، وتوفر مناصب عمل في مختلف الشركات.

4- يفرض النظام التربوي في الجزائر تعليما مزدوجا في المرحلة الأولى من التعليم أي في التعليم الابتدائي، ثم تعليما متعدد اللغات في المرحلة الثانية أي في التعليم المتوسط، إضافة إلى تداخل اللغتين العربية والفرنسية في الكتب العلمية التعليمية، وقد شكلت هذه الوضعية البيداغوجية ثقلا على المتعلم وعلى المحتوى التعليمي بشكل عام.

هذه الوضعية اللغوية أثرت على اللغة العربية كثيرا وعلى النحو العربي بشكل خاص، حيث جعلت الدارس العربي لا يميل إلى النحو، بدعوى صعوبته وعدم فهمه، إضافة إلى ثقل البرامج التعليمية مع الإصلاحات التربوية الجديدة، شكلت هذه الوضعية عدم التجانس بين النحو والمتعلم.

إن اهتمام الأسرة الجزائرية باللغات الأجنبية، وربطها دائما بالمستقبل المزدهر للمتعلمين، قد أثر كثيرا على مستقبل تعلم وتعليم النحو العربي، حيث يركز المتعلمون كثيرا على تعلم اللغات الأجنبية، وبالتالي تتكون الكفاءة اللغوية والمعرفية في اللغات الأجنبية أكثر من اللغة العربية.

لقد خلقت الازدواجية والثنائية ضغطا رهيبا على المتعلم حيث جعلته " قلقا ضعيف الشخصية، ضيق الأفق، مترددا غير قادر على حسم الأمور، كما أنها السبب المباشر في قتل الإبداع الفكري والإنتاج العلمي... فاحتكاك اللغة بغيرها من اللغات يؤثر عليها سلبا أو إيجابا، ويفرض عليها تغيرا معينا يقاس بمقدار ما اقتبست من خصائص" (8) .

إن علاقة المتعلم الجزائري بالنحو العربي، هي من علاقته باللغة العربية الفصيحة بشكل عام، فهي اللغة الثانية بالنسبة إليه أي لم يتعلمها بالفطرة وإنما لقنت له تلقينا من قبل المعلم، وكذلك النحو الذي يعدّ أداة للغة العربية.

3- أساليب ترغيب النحو للمتعلمين:

إن المتأمل في الوضعية التعليمية الخاصة بالنحو العربي يدرك جيدا أن المتعلمين عادة ما يتهربون من الدراسات النحوية، وعادة ما يستهجنون القواعد النحوية، وينفرون منها وهذا يعود إلى الأسباب التالية:

1- المغالاة في عرض الصور المجردة والصورية أثناء الحديث عن قضية نحوية وعدم مراعاة مستوى التلميذ ودرجة انتباهه.

2- الحرص على ذكر جميع آراء النحاة ومسائل الاختلاف بينهم بالرغم من عدم الحاجة إلى هذه المسائل في بعض الأحيان خاصة إذا كان الدرس في مادة النحو وظيفيا.

3- تعمد بعض دارسي النحو أخذ الأمور الغريبة في النحو من أجل إظهار أنفسهم أو تعجيز غيرهم.

4- الابتعاد عن العربية الفصحى والحديث بالعامية في الأقسام التدريسية.

إضافة إلى أسباب أخرى ذكرها الباحث زكريا إبراهيم، نوجزها فيما يلي: (9)

- كثرة القواعد المفروضة على التلميذ حيث يشعر بأن حفظها يتطلب مجهودا كبيرا وإذا حفظها فإن مصيرها النسيان.

- لا يهم المعلم إلا الإسراع في الانتهاء من المقرر دون التأكد من إمكانية تطبيق القواعد عمليا من خلال نطق التلاميذ وكتابتهم.

- إحساس التلميذ بأن القواعد توازي قوانين الرياضيات والفيزياء في صعوبتها من وجهة نظره من حيث اعتمادها على الاستنباط والموازنة وما فيها من كثرة التفريعات والتقسيمات .

- إحساس التلميذ بأنها قوانين مجردة تتطلب مجهودات كبيرة منه لاستيعابها.

- عدم ربط قواعد النحو بالقراءة والتعبير من جهة ومواد الدراسة الأخرى في غير مادة اللغة العربية من جهة أخرى لذلك فهي غير مرتبطة بمواقف الحياة بشكل عام وحياة التلميذ وميوله واهتماماته على وجه الخصوص.

- ثنائية اللغة حيث يدرس التلميذ قواعد اللغة حصة واحدة أو حصتين في الأسبوع ماعدا ذلك فإنه يتعامل مع المعلمين ويخاطبهم بالعامية حتى في البيت والشارع واللعب في المدرسة فإن التلميذ يتعامل مع أفراد الجماعة باللهجة العامية، وهذه الثنائية تعتبر من أسباب الضعف الرئيسي في هذه المادة .

- عدم الاستفادة الكاملة من الوسائل الحديثة من معامل لغوية وتسجيلات صوتية في كيفية النطق السليم وضبط مخارج الحروف وتعليم القواعد.

- بالرغم من استجابة التلميذ أثناء حصة النحو وإجابته عن الأسئلة التي توجه إليه بعد الانتهاء منها فإن طريقة التدريس نفسها تعتمد على التلقين، ولا تستثير اهتمامات التلميذ وتطبيق ما يدرسونه من قواعد، ولا تحفز هممهم كي يألفوا دراستها، ولا تستخدم الوسائل التعليمية بكثرة لتدريس النحو.

هذه الأسباب وأخرى كثيرة جدا جعلت من المتعلمين يبتعدون عن المسائل النحوية، ولا يتقنون اللغة العربية الفصحى، لهذا لابد من إيجاد مجموعة من الخطط من أجل

ترغيب النحو للناشئة، والمساهمة في خدمة اللغة العربية، وفي تعليم علومها، حيث يجب على المدرس اتخاذ الخطوات التالية، من أجل تحبيب النحو لهم:

1- التعرف إلى احتياجات الطلبة والتعرف إلى مواطن الضعف في لغتهم، ويتم هذا عن طريق المقابلة المباشرة، أو عن طريق توزيع الاستبيان عليهم في أول حصة.

2- استفتاء المتعلمين حول الطريقة المناسبة في تعليم النحو.

3- الاعتماد على الأمثلة الوظيفية وعلى تقديم النحو للمتعلمين تقديما حيويا، تجنبا للملل والروتين.

4- المزاوجة بين القواعد التقليدية المعروضة في ثنايا الكتب التقليدية والأمثلة والعرض البسيط الذي يوصل المحتوى النحوي للمتعلمين.

4- أهداف تدريس النحو:

لابد أن تحدد أهداف كل مادة تعليمية، بالرغم من التوجه الجديد الذي اتخذته السياسة التربوية الجزائرية الحديثة، وليس معنى تحديد الأهداف هو التدريس بالأهداف وإنما أهداف العملية التربوية تتمثل في الكفاءات المستهدفة على المدى القصير والبعيد، من أجل ضمان نجاح العملية التربوية، فمن بين أهداف تدريس النحو العربي نذكر ما يلي: (10)

- تعريف التلميذ بأساليب العربية وتعويده على إدراك الخطأ فيما يقرأ ويسمع ويتجنب ذلك في حديثه وقراءته وكتابته.

- يهدف النحو إلى ضبط الكلام وصحة النطق والكتابة.

- مساعدة التلميذ على فهم ما يقرأ أو يسمع فهما دقيقا.

- تثقيف التلميذ وذلك عن طريق زيادة معلوماته عن طريق الأمثلة والتطبيقات المفيدة .

- زيادة ثروة التلميذ اللفظية واللغوية وذلك باستخدام الأمثلة المعطاة والتدريب على الاشتقاق واستخدام المعاجم لاستخراج الكلمات المطلوبة.

- وضع القواعد النحوية والصرفية موضع التطبيق العلمي قراءة ومحادثة وكتابة وهو الغاية من تدريب النحو.

5- علاج مشكلات تطبيقات النحو:

إن تذليل الصعوبات النحوية يقتضي من الباحثين والمتخصصين - في تعليمية اللغات بصفة عامة وتعليمية مادة النحو العربي بشكل خاص- البحث عن وصفة علاجية لهذه المشكلة والمعضلة، وتتمثل أساسا في التطبيق الصارم من قبل المعلمين

لكل التوصيات التي خرجت بها مختلف الدراسات التطبيقية في هذا المجال، لأنها قد انطلقت من الواقع التعليمي لمادة النحو واستلهمت نتائجه منه، وبالتالي بعد تشخيص الداء يسهل إيجاد الدواء، لا أن تترك هذه التوصيات حبرا على ورق، نذكر في هذا الصدد بعض البدائل العلاجية التي ذكرها أحد الباحثين في هذه النقاط الموجزة والمتمثلة فيما يلي: (11)

- جعل فروع مادة اللغة العربية كلها مواد تطبيقية لمادة النحو وعدم التهاون في أي تقصير لغوي من جانب التلاميذ.

- العمل على تبسيط مادة النحو من الجانبين المنهجي والتنفيذي والأخذ بمقترحات المجامع اللغوية وآراء المختصين في هذا المجال.

- تعويد التلاميذ على السماع والأساليب الصحيحة وتحليلها باستمرار والإتيان بأمثلة مشابهة وبذلك تكون حصة اللغة العربية تطبيقا لقواعد النحو العربي عن طريق التدريس والتعلم والممارسة.

- ضرورة مراعاة مستويات التلاميذ ومراحل نموهم اللغوية أثناء تدريس الأساليب الصحيحة والتطبيقات عليها.

- ضرورة اختيار الأساليب التي ترتبط بحياة التلاميذ وتتصل اتصالا وثيقا ببيئته وتعامله مع أفراد مجتمعه ومؤسساته كي تكون سهلة الفهم والاستخدام.

إن هذه الإجراءات التي ذكرها الباحث تسهل على المتعلم اكتساب الملكة النحوية في اللغة العربية، وهو ما يذهب إليه ابن خلدون في معرض حديثه عن الملكة اللغوية فيقول: " وقد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب بصيرا بحال هذه الملكة، وهو قليل واتفاقي، وأكثر ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه، فإنه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط، بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم، فكان فيه جزءا صالحا من تعليم هذه الملكة" (12) حيث يؤكد هو الآخر أن تعليم اللغة العربية يتأتى عن طريق تعليم النحو، وتعليم النحو يترسخ بالملكة، والملكة تبنى على أساس شرح شواهد كلام العرب من نثر وشعر.

إن الحديث عن سبل تذليل الصعوبات النحوية قبل عرض نتائج الجزء التطبيقي، هو بناء على ما وصلت إليه الدراسات السابقة على الأقل من الناحية النظرية، وسنحاول إسقاطها على ما توصلنا إليه من نتائج من الناحية التطبيقية، ومن بين الدراسات المفيدة في هذا الشأن نذكر دراسة "إبراهيم بن مراد" تحت عنوان " تدريس النحو بين تعليم الصناعة وتكوين الملكة ملاحظات في المبادئ العامة لتيسير تدريس النحو" حيث يقرر أنه يقتضي أن نعيد النظر في المبادئ العامة التي يقوم عليها تدريس مسائل اللغة العربية عامة، وتدريس النحو خاصة، ونرى أن النظر في تلك المبادئ مؤد إلى الحديث في ثلاث مسائل : (13)

1- مراجعة مفهوم النحو وإعادة تحديده في إطار نظرة شمولية إلى مكونات علم اللسان.

2- مراجعة المادة المدروسة في اللغة .

3- مراجعة المادة والمنهج

6- الدراسة الميدانية: الصعوبات النحوية وسبل تذليلها:

6-1- تحديد المشكلة: تكمن المشكلة التي نود معالجتها في الصعوبات النحوية عند المتعلمين بصفة عامة، وعند متعلمي التعليم العالي بشكل خاص، حيث لاحظنا ونلاحظ دائما معاناة الطالب وهو يدرس مواد النحو بشكل عام، ومادة تطبيقات النحو العربي بشكل خاص، فالمشكلة تكمن في الخطأ المبالغ فيه المرتكب أثناء دراسته للقواعد النحوية، والأخطاء النحوية المرتكبة عند أغلب الطلبة، مع أهميته كونه عصب مادة اللغة العربية.

6-2- حدود البحث: تتحدد معالم البحث في المدونة التي أخذنا منها بعض الأخطاء النحوية، تتمثل في عينة من طلبة الأدب العربي، مختارة بشكل عشوائي أو هم الطلبة الذين يدرسون مادة نحو وصرف وكذلك اللسانيات العامة واللسانيات التعليمية:

- فوجان من السنة الأولى
- فوجان من السنة الثانية
- أربعة أفواج من السنة الثالثة
- عدد الطلبة قدر بـ 204 طالب.

6-3- منهج البحث: اتبع البحث المنهج الإحصائي التحليلي، حيث قمنا بإحصاء الإجابات المغلقة المقدمة من قبل أعضاء العينة في جداول قصد تكميمها، ثم حللناها لاحقا من أجل الوصول إلى نتائج دقيقة علمية، تخدم الموضوع.

6-4- تصميم البحث: صممنا البحث على مقاس البحوث التطبيقية المتبعة في حقل اللسانيات التطبيقية، حيث قسمناه إلى جزأين أولهما نظري وثانيهما تطبيقي حاولنا أن نسقط الآراء النظرية على تطبيقات البحث من أجل رصد النظريات النحوية من جهة، والاستفادة من نتائج الدراسات السابقة من جهة أخرى.

6-5- أدوات البحث: تتمثل أدوات البحث في ما يلي:

- الاستبيان.
- أوراق الامتحان.

6-6- فروض البحث: حاولنا أن نجيب عن هذه الفرضيات:

- يمكن أن يكون النحو صعبا في حد ذاته، نظرا لبعض الخصائص التي يتميز بها.
- يمكن أن تكون الصعوبة في الانقطاع التعليمي الحاصل بين المعلم والمتعلم
- يمكن أن ترجع الصعوبة إلى عدم تكوين الطالب تكوينا قاعديا صحيحا في النحو منذ الأطوار التعليمية الأولى.

6-7- مصطلحات البحث: الصعوبات النحوية، تذليل، تعلم، تعليم النحو، المعلم، المتعلم.

6-8- أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أنه يحاول أن يحدد مشكلات تدريس النحو العربي، ثم يعطي مجموعة من البدائل البيداغوجية أثناء العملية التعليمية وهذه المرحلة هي المهمة على الإطلاق، والهدف الذي سعت وتسعى وستسعى الدراسات التي تهدف إلى تيسير النحو العربي، كما تكمن أهميته في أنه بحث ميداني مدعم بدراسات تطبيقية على صغر حجمه وهو ما تقتضيه شروط البحث العلمي الأكاديمي، ولكن من جهة أخرى حاول أن يتقصى حقائق ومشكلات النحو بكل دقة وعلمية وموضوعية من أجل وضع حد لهذه الصعوبات النحوية أثناء العملية التعليمية للنحو العربي.

6-9- وصف وتحليل نتائج الاستبيان:

إن الطريقة الحديثة المتبعة هي من نتاج الأفكار البنيوية الحديثة، حيث تبنى الدراسات عادة على الوصف والتحليل، وهي إجراءات انبثقت عن الأفكار البنيوية التي جاء بها "دي سوسير" والذي أخضع الدراسات اللغوية للعلمية والموضوعية، يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في هذا الصدد: " جاءت هذه البنيوية بأفكار علمية، نظرية ومنهجية جديدة، مهمة ومفيدة بالنسبة لما كان متعارفا عليه في الغرب قبل ظهورها" (14). وقد استفادت الدراسات اللغوية التطبيقية كثيرا من هذا المنهج عن طريق التكميم والدراسة العلمية والموضوعية من أجل الوصول إلى نتائج تفيد اللغة بشكل عام مهما كانت نوعيتها.

بناء على المعطيات السابقة قمنا بتوزيع استبيان يشمل مجموعة من الأسئلة معظمها أو جلها مغلقة إلا السؤال الأخير الذي كان مفتوحا (15) ، والغاية من هذه الأسئلة هو البحث عن الصعوبات النحوية لدى المتعلمين، وبالتالي محاولة إيجاد برنامج علاجي يكون هو البديل أثناء تعليمية النحو العربي.

6-9-1- الصعوبات النحوية قضية لغوية ونفسية:

جدول رقم (01)

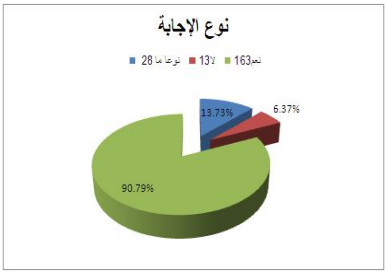

نوع الإجابة	العدد	النسبة
نعم	163	٪ 79,90
لا	13	٪06,37
نوعا ما	28	٪ 13,73

يظهر الجدول الأول والرسم البياني التوضيحي أن 163 من أفراد العينة يرون أن النحو صعب، وهو ما يعادل 79,90 ٪ ، أما 13 منهم فيرون أن النحو سهل أي ما يعادل 6,37 ٪، ويرى 28 من أفراد العينة أن النحو يتوسط بين الصعوبة والسهولة.

ما نستنتجه من الجدول يجب أن نقر به، على الأقل في نظر المتعلمين بالنسبة لتعليمية النحو العربي، حيث ومن خلال القراءة التفحصية للنتائج نستنتج أن النحو فعلا صعب، ولهذا اخترنا عنوانا لمقدمتنا وسمناها بالصعوبات النحوية، ولكن لا يعني هذا أن النحو في حد ذاته صعب، وإنما هكذا يبدو للمتعلمين وبنسبة معتبرة جدا، فهم أقروا بهذا الأمر بناء على تجربتهم التعليمية، وتبدو الصعوبات حسب آراء الطلبة فيما يلي:

- اتساعه وتشعبه.
- تعدد الآراء بين النحويين.
- تعدد الدروس وتشعبها وتداخلها.
- كثرة القواعد النحوية وتداخلها.
- تداخل بعض القضايا النحوية وتشابهها.
- مادة جافة .
- عدم وجود قاعدة نحوية لدى المتعلمين.
- التداخل الموجود بين الدروس النحوية.
- تشعب الفروع النحوية.
- عدم التوفيق بين الآراء النظرية والتطبيقية.
- الاختلاف في القضايا النحوية الكثيرة المتشعبة.

في الحقيقة إن النحو محور من محاور اللغة بشكل عام، أو هو مستوى من المستويات اللغوية، وهو الأساس والعماد الذي تقوم عليه اللغة العربية، فنظرا للأهمية التي اكتسبها عبر السنوات، أحيط بنوع من الهالة المعرفية والإعلامية كذلك بين المتعلمين، فلم يرم إلى المتعلمين من أجل الممارسة حتى يجدوا أنفسهم يمارسونه دون وعي، وإنما سبق بإشهار رهيب يتعلق بصعوبته وبالتالي تشكل حاجز بينه وبين المتعلم من السنوات الابتدائية، فالقضية هي أولا نفسية قبل أن تكون علمية، فلا ينكر أحد أن لكل لغة من اللغات قواعدها التي تحتكم إليها، فأزمة النحو من أزمة اللغة العربية نفسها، وهي من أزمة تخلف الإنسان العربي بشكل عام، وهذا الأمر معروف عند جميع الباحثين، فالأسباب التي أوصلتنا إلى هذا المقام واضحة وبيّنة بعضها حضاري فلسفي، يجمعها محمد محمد يونس علي في ما يلي: (16)

- ❖ الجزمية الفكرية ويتفرع عنها نغمة الحسم في تقويم الأمور، وعدم تقبل النقد.
- ❖ عاطفية التفكير ويتفرع عنها الآنية والارتجال وإتباع الهوى وغياب العدل.
- ❖ التفكير المتمحور حول الذات (أو تضخم الأنا)، ويتفرع عنها الانتهازية والاستغلال، والديكتاتورية.
- ❖ التواكل الفكري: ويتفرع عنه الاستسلام للتفكير التآمري وإيقاع اللوم على الآخرين والاستسلام للواقع وعدم التضحية، وعدم المبالاة بأهمية الأمور، والنزعة التقليدية وغياب التفكير الإبداعي.
- ❖ سطحية التفكير، ويتفرع عنها قصر النظر وغياب العمق، وصفرية الانطلاقة وإهمال الكيف والاهتمام بالكم، والتفكير التشخيصي، والتفكير الحشوي.

6-9-2- مواطن الصعوبات النحوية:

جدول رقم (02)

نوع الإجابة	العدد	النسبة
القواعد النحوية	106	٪ 51,96
القضايا المجردة المعالجة	38	٪ 18,36
التطبيقات النحوية	58	٪ 28,43
مواضع أخرى	02	٪ 00,98

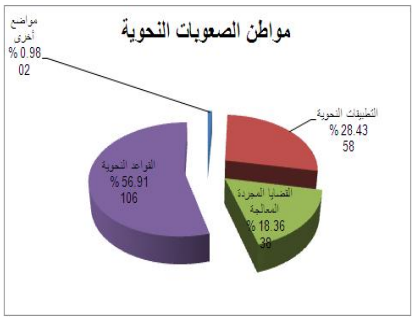

يبين الجدول الثاني أن 106 من أفراد العينة يرون أن الصعوبة تكمن في القواعد النحوية، وهو ما يعادل 51,96 ٪، بينما يقرر 38 منهم أن الصعوبات النحوية تكمن في القضايا النحوية المجردة المعالجة، أي بنسبة 18,36 ٪ ، أما الاتجاه الثالث من العينة

والمقدر عددهم بـ 58 فيقررون أن الصعوبات تكمن في التطبيقات النحوية، وهو ما يعادل 28,43 ٪، بينما يجمع الاتجاه الأخير الصعوبات في مواضع أخرى تشمل الاقتراحات الأولى أو في عدم التركيز وهو ما يراه 02 من أفراد العينة أي بنسبة 0,98 ٪.

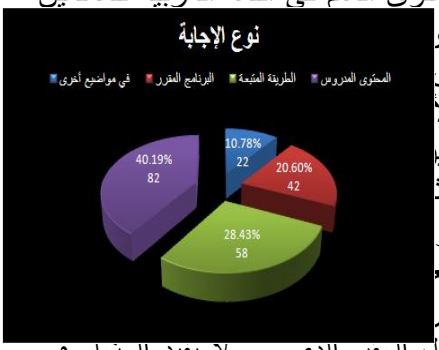

إن الطريقة التي يقدم بها النحو العربي، والمستوى العام في اللغة العربية للمعلمين والمتعلمين هو الذي جعل الجميع يتهجم على النحو
تلصق الصعوبة في القواعد النحوية، وتارة أخرى
أحيان أخرى في التطبيقات النحوية، وفي حقيقة الأ
اللغات الأخرى، ولكن يبدو أن المسألة أصبحت بي
المبالغ فيه يؤدي بالنحو إلى التدمير، كما أن التش
تدميره، حيث رموا الكتب القديمة بأشد النعوت و
يقول أحد الباحثين: " فلما رأوا النحو العربي مع
سيبويه بدأوا يشنون الهجمات عليه، فيتهمونه تار
خارج عن طبيعة الدراسات اللغوية، وتارة بالتعليل العقيم الذي لا يفيد المتعلم في اكتساب المهارات اللغوية، إلى غير ذلك من الاتهامات الباطلة. ولو عرف هؤلاء الدارسون الفرق بين ملكة اللسان وقوانين هذه الملكة لكفاهم ذلك مؤنة الوقوع في هذه المتاهات" (17).

6-9-3- أسباب الصعوبات النحوية:

جدول رقم (03)

نوع الإجابة	العدد	النسبة
المحتوى المدروس	82	40,19 ٪
الطريقة المتبعة	58	28,43 ٪
البرنامج المقرر	42	20,60 ٪
في مواضع أخرى	22	10,78 ٪

تبين القراءة الأولية للجدول الثالث والمتعلق بالسؤال الثالث من الاستبيان والمتعلق بمكمن الخلل أن 82 من أفراد العينة يرون الخلل في المحتوى المدروس، وهو ما يعادل 40,19 ٪، بينما يرى 58 منهم أن الخلل يتعلق بالطريقة المتبعة من قبل المعلم، أي بنسبة 28,43 ٪، أما الاتجاه الثالث فيبين أن الخلل يكمن في البرنامج المقرر وهو ما يعادل 20,60 ٪، ويجمع أفراد العينة المتبقية والمقدر عددهم بـ 22 في مواضع أخرى غير المقترحة في الاستبيان، أي بنسبة 10,78 ٪.

يمثل البحث عن الصعوبات النحوية أساسا من أساسات البرنامج العلاجي البديل من أجل تذليل الصعوبات النحوية للمتعلمين، فيجب على أي مختص وفي كل الاختصاصات أن يقوم بمجموعة من التجارب من أجل الوصول إلى نتيجة منطقية، ففي هذا الموضوع تمثل التجربة الاستبيان الذي طرح على عينة من المتعلمين، من أجل التعرف إلى مواطن الصعوبات النحوية، وبالنظر إلى التدرج في النسب المطروحة نكتشف أن معظم المتعلمين يرون أن أسباب الصعوبات يكمن في خلل ما في المحتوى المدروس، وعن أي محتوى يتحدث عنه المتعلمون، ففي النحو يتمثل المحتوى في أساسيات القواعد العربية، كالإعراب مثلا فهو "سمة أصيلة من سمات لغتنا، إذ به تتميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين بل هم يفرقون بالحركات داخل بنية الكلمة الواحدة بين المعاني، وقوانين الإعراب هي المعوضة عن السليقة" (18).

إن النحو العربي ليس قواعد مجردة كما يتصوره الكثير من المتعلمين بل هو نظام حسابي، يجعل المخ يتدبر معاني الكلمات المركبة في الجملة، فطريقة تدريسه لو أحسنت من قبل المعلم شيقة جدا، فلا ينبغي أن يكتفي المعلم فقط بعرض معلومات مجردة يجعل بينها وبين المتعلم بونا شاسعا، بل عليه أن يقدم المعلومات النحوية للمتعلمين تقديما حيا ليست مجرد قواعد صماء، يجب على المعلم أن يستهدف مخيلة السامع، بمعني أن يجعله يتخيل ويعيش اللحظات النحوية التي تعرض فيه مجموعة من القضايا النحوية كي نجعل من المادة ممتعة.

كما أن للبرنامج أيضا دور في بعض الأسباب التي تجعل النحو صعبا، فعلى سبيل المثال عدم التدرج في عرض المسائل النحوية من السهل إلى الصعب، فيتوغل في عرض القضايا المعقدة تباعا ولا يأخذ بعين الاعتبار مقدرة المتعلمين.

4-9-6- الأخطاء النحوية عند المتعلمين:

جدول رقم (04)

نوع الإجابة	العدد	النسبة
أخطاء في تقدير المعنى	100	٪ 49,01
أخطاء في الإعراب	65	٪ 31,86
أخطاء بسيطة	30	٪ 14,70
أخطاء أخرى	09	٪ 04,43

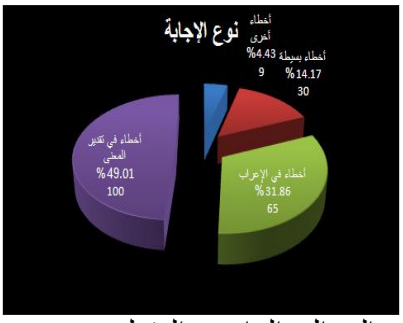

يوضح الجدول الرابع، والمتعلق بعرض نتائج السؤال الرابع والمتعلق بنوع الأخطاء المرتكبة من قبل أفراد العينة، أن 100 فرد يقعون في أخطاء تتعلق بتقدير المعنى، أي ما يعادل 49,01 ٪، بينما يرى 65 منهم أنهم يقعون في أخطاء إعرابية، أي بنسبة 31,86 ٪، أما 30 منهم فيؤكدون أنهم يقعون في أخطاء بسيطة وتافهة، وهو

ما يعادل 14,70 ٪، وجمع 09 منهم أخطاءهم في مواضع أخرى منها ما يتعلق بسوء التركيز والقلق والوضع النفسي، أي ما يعادل 4,43 ٪.

من أجل تبيان الأخطاء النحوية عند المتعلمين قمنا باختبارهم في مادة النحو حيث طرحنا عليهم مجموعة من الأسئلة النحوية تتعلق بضبط أواخر الكلمات، واستخراج وتحديد الشاهد النحوي، وكذلك حددنا لهم نماذج للإعراب فجمعنا مجموعة من الأخطاء النحوية والتي تعود الأسباب فعلا إلى ما ذكر في الجدول السابق وهي الاقتراحات التي قدمناها في الاستبيان وهي:

- ❖ أخطاء في تقدير المعنى.
- ❖ أخطاء في الإعراب.
- ❖ أخطاء بسيطة جدا تتعلق بعدم ضبط أواخر الكلمات.

تتفاوت الأخطاء التي يقع فيها المتعلمون بحسب تفاوت مستواهم، ومن بين الأخطاء نذكر نماذج منها فقط، لأن بضع صفحات لا تكفي لعرض جميع الأخطاء النحوية ومن بينها مثلا:

- الكتابة الخاطئة لبعض الكلمات مثل: بقو، حددو، سمو، حافظو، اختار العلماء عدد من القبائل.
- عدم التفريق بين الظاء والضاد والطاء فقد عثرنا على هذا الخطأ حيث كتبت الحفاظ بـ: " الحفاط" .
- قلة التركيز أثناء الكتابة فقد كتب أحد المتعلمين كلمة" العشر"، بـ " العصر" في قوله: "فأصبحت تعرف بالقراءات العصر" .

وهناك أخطاء كثيرة يقع فيها المتعلمون، نتيجة عدم استحضارهم لفكرهم أثناء التحليل النحوي، والاستباق بأفكار سلبية أولية. فلم تترك هذه الأفكار عن صعوبة النحو مجالا للتعامل معه وتحليل كلام العرب تحليلا منطقيا.

6-9-5- الطريقة المثلى في تعليمية النحو العربي:

جدول رقم (05)

نوع الإجابة	العدد	النسبة
إعراب	95	٪ 46,57
شرح شواهد نحوية	42	٪ 20,59
شرح ألفية ابن مالك	33	٪ 16,17
تقديم دروس	12	٪ 05,88
مناقشة وحوار	17	٪ 08,33

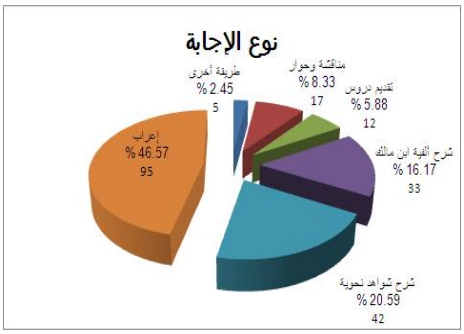

طريقة أخرى	05	٪ 02,45

تبين القراءة الأولية للجدول الخامس والمتعلق برغبة الطلبة حول كيفية تقديم وتطبيق الدروس النحوية أن 95 من أفراد العينة يرون أن الطريقة المثلى هي الإعراب، وهو ما يعادل 20,59 ٪، بينما يفضل 42 منهم شرح شواهد نحوية في الحصة التطبيقية، أي بنسبة 20,59 ٪، ويرى 33 منهم أن على المعلم شرح ألفية ابن مالك، وهو ما يعادل 16,17 ٪، وفضل 12 من أفراد العينة تقديم بحوث في شكل دروس أي بنسبة 05,88 ٪، بينما يرى 17 منهم أن المناقشة والحوار أفضل طريقة، أي ما يعادل 08,33 ٪، أما 05 من أفراد العينة فيرون أن المزج بين هذه الطرائق هو الحل الأمثل أي بنسبة 02,45 ٪.

إن الطريقة المثلى في تعليمية النحو لا تخرج عن إطار تعليمية اللغة العربية بشكل عام، وقد حددنا هذه الطرائق في الجزء النظري من هذا البحث، فقد حددنا أن الطريقة المثلى هي التي تأخذ بعين الاعتبار الموقف التعليمي الفعال، أي أن المعلم لا يمكن أن يتشبث بطريقة واحدة ويرى بأنها هي المثلى، وإنما في النحو العربي يجب أن ندمج جميع الطرائق في طريقة واحدة، بحسب نوعية المتعلمين الموجودين أثناء الموقف التعليمي، وإذا قدم النحو بطريقة ناجحة فالأكيد أن الصعوبات ستزول تدريجيا، حيث ينبغي على المعلم أن يقوم بالخطوات التالية:

1- أن يعرض على المتعلمين مجموعة من الأبيات الشعرية والآيات القرآنية لها علاقة بالمحاضرة المدروسة، حبذا لو يعطيها لهم مسبقا من أجل إعطائهم الوقت الكافي للتفكير والتحليل وكذلك من أجل الحفاظ على الوقت في الحصة التطبيقية.

2- مناقشة هذه الشواهد النحوية، واستخراج ما له علاقة بالمحاضرة، ولكن عن طريق السؤال والجواب من أجل أن يجعل المتعلمين يفكرون ويحللون، ولكن أن يفرض المعلم سيطرته على المتعلمين عن طريق توجيه النقاش العلمي، ومنعهم من التدخل العشوائي.

3- التوصل إلى الحل عن طريق التقريب بين النتائج وما قاله ابن مالك في ألفيته، وفي الأخير تحفيز المتعلمين من أجل حفظ أبيات ابن مالك، وهي عملية وتجربة مفيدة جدا من أجل تذليل بعض الصعوبات النحوية.

7- الحلول المقترحة من أجل النهوض بمستوى تعليمية النحو العربي (البدائل العلاجية):

7-1- اهتمام المعلم بالنحو العربي، من حيث حسن إعداده لمحاضرات النحو العربي، وكذلك التطبيقات النحوية، حيث تقدم المحاضرة بشكل واضح يبدأها بشرح مفصل ميسر حول قضية من القضايا، ثم يدعمها بآراء نحوية عادة ما يستشهد في المقامات النحوية بألفية ابن مالك، والشروح المقدمة عنها، وفي آخر المحاضرة

يتعرض لبعض القضايا المختلف فيها، أما في الحصة التطبيقية يستحسن على المعلم المطبق (الأستاذ المطبق) أن يقدم شواهد من القرآن الكريم ومن الشعر العربي للإعراب تمس وتغطي القضايا النحوية المعالجة في المحاضرة، مع ترغيب المتعلمين في حفظ أبيات من ألفية ابن مالك لها علاقة بالمواضع المدروسة. وبالتالي تمكن المعلم من ربط المتعلمين بماضي اللغة العربية وتتكون لديهم ملكة نحوية صلبة، حيث يقول أحد الباحثين: " للغة العربية خصوصية يحافظ عليها أهل العربية من قديم الزمان، وهي خصوصية ترمي إلى ربط الأجيال على اختلافها زمانا ومكانا بما كتب بالفصحى من تراث حضاري، وبخاصة ما تبوء من هذا التراث مكانة أدبية رفيعة. غير أن هذا القصد ينبغي أن يكون مدروسا، إلى جانب أهداف أخرى، فاللغة ليست تراثا فحسب، ولا أدبا فحسب، ولذا كان ينبغي أن نحسب نسبة معينة لعيون الأدب القديم، وأخرى لعيون الأدب الحديث، وثالثة للغة في وضعها العادي، ممثلا في كتب التاريخ والأخبار والصحافة والرواية، والرياضة، والمختبرات العلمية .وعلى هذا كان ينبغي أن ننظر إلى اللغة بوصفها وسيلة تواصل لكل الأغراض، من غير أن يستبد بنا النص الأدبي الرفيع، لنضفي عليه هالة من القداسة، التي قد يحس معها الإنسان أن اللغة إما أن تكون أدبا رفيع المستوى، وإلا فلا" (19).

كما لا يجب على المعلم (الأستاذ المحاضر) أن لا يثقل المتعلمين بمعلومات مختلف فيها بين النحويين وبالشذوذ النحوي، كي يجعل خاصة في السنوات الأولى من التعليم (السنة الأولى والثانية إلى السنة الثالثة) نحوا وظيفيا، أي يتمكن من القواعد الأساسية، وهذا ما ذهب إليه الجاحظ في معرض حديثه عن تيسير النحو للمتعلمين حيث يقول: " وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه. وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به، ومذهل عما هو أرد عليه منه من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع. وإنما يرغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاختصار فيه من لا يحتاج إلى تعرف جسيمات الأمور والاستنباط لغوامض التدبر ولمصالح العباد والبلاد والعلم بالأركان والقطب الذي تدور عليه الرحى، ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه. وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطر إليه شيء (20).

7- 2- اهتمام المتعلم بالنحو العربي، وعدم التسلح بأفكار مسبقة انهزامية، حيث يتصور أن النحو صعب، ولا يمكن الإلمام حتى ببعض جوانبه، كما يجب علم المعلم أن يشعر المتعلم هو محور العملية التعلمية التعليمية خاصة في الحصص التطبيقية، وهذا هو الاتجاه العام السائد في المنظومة التربوية الحديثة، لكي يجعل منه يمارس ما اكتسبه في المدرج، حيث يتخذ الدرس النحوي في الحصة التطبيقية بعد إلزام المعلم بإعراب الشواهد النحوية شكل الحوار والمناقشة، من أجل إثارة الحماسة والتشويق بين المتعلمين.

7- 3- إعادة النظر في برامج النحو العربي، عن طريق معاينة الدروس المقترحة والحجم الساعي المخصص لها، من أجل أن لا يقع المعلم في التسرع من أجل إنهاء البرنامج السنوي، بأية طريقة كانت وبأي شكل من الأشكال، فالبرنامج مهم ومساعد في تيسير النحو العربي.

7-4 - حسن اختيار الكتب التعليمية الموجزة في النحو العربي، من أجل تيسير النحو للمتعلمين، ويفضل أن تكون هذه الكتب قديمة بمعنى ليست الكتب الحديثة التجارية وإنما الكتب الشارحة والمفسرة لأمّات كتب النحو العربي، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي (ت.337هـ /949م) و"المقدمة الآجرومية" لأبي عبد الله ابن آجروم (ت.723هـ/1323م) و"قطر الندى وبل الصدى" لجمال الدين ابن هشام (ت.761 هـ/1360).، كما ينبغي التركيز على تكوين الملكة اللغوية الصحيحة لدى المتعلمين، فـ"الهدف الأساس من تعليم اللغة هو تمكين المتعلم من فهم التعبير السليم الواضح الذي يستمع إليه، أو ينطق به أو يقرأه، أو يكتبه، ولا يتحقق هذا الهدف في المتعلم إلا إذا اكتسب ملكة اللغة" (21).

7-5- الاعتماد على مهارة الاستماع أثناء تعلم القواعد، وذلك عن طريق ممارسة المعلم للغة العربية ممارسة سليمة من ناحية، دون التحدث بالعامية، كما ينبغي أن يشكل أواخر الكلمات من أجل غرس هذه العادة اللغوية، فالاستماع مفيد كثيرا في حصص النحو، " فهو عامل هام في عملية الاتصال فلقد لعب دائما دورا هاما في عملية التعليم والتعلم على مر العصور ... بعد أن أثبتت الدراسات المبكرة ضرورة الاهتمام بتدريس الاستماع والتدريب على مهاراته المتنوعة، أصبح الاستماع جزءا رئيسيا في معظم برامج تعليم اللغات في الدول التي تقدمت في هذا المضمار، فقد كشفت بعض هذه الدراسات أن تلاميذ المدرسة الثانوية في بعض هذه البلاد يخصصون 30 ٪ من برنامج تعليم اللغة للحديث، و16 ٪ للقراءة، 9 ٪ للكتابة، و45٪ للاستماع" (22).

الخاتمة

لقد مكنّنا الجزء النظري المدعم ببحث تطبيقي من الوقوف على معطيات مهمة في البحث فمن الناحية النظرية تبين لنا ما يلي:

1- إن موضوع تيسير النحو العربي قديم حديث يظهر في كل عصر ويأخذ منحى مغايرا في الجوانب التي ينبغي مراعاتها في عملية التيسير، وهذا يعود إلى طبيعة التفكير النحوي في كل عصر من العصور العربية المتواترة، ونحن بدورنا سلطنا الضوء على علمين مهمين وهما ابن مضاء وشوقي ضيف، حيث كانت لهما إسهامات جليلة في هذه القضية من خلال مناقشة بعض المصادر النحوية العربية، وكذلك محاولة إلغاء بعض القضايا الشائكة في النحو العربي مثلما فعله ابن مضاء في جهوده النحوية.

2- هناك طرائق متعددة في تدريس النحو العربي، تتحدد بحسب الموقف التعليمي، إلا أن الطريقة الحديثة المسايرة للسياسة التعليمية الحالية، تفرض الجمع بين الطـرائق كلها، فيما يسمى بـ " الطريقة التكاملية" حيث تراعى الظروف التعليمية ونوعية المتعلمين وطبيعة المحتوى المقدم.

3- يؤثر الواقع اللغوي بشكل إيجابي أو سلبي، إذ كلما تباعدت اللغة الأم عن اللغة العربية الفصيحة، صعب تعليم النحو العربي، كما أن اللغات الأجنبية تؤثر في تعليمية النحو العربي.

أما النتائج التطبيقية فقد بينت ما يلي:

1- يستحسن المتعلمون توجه المعلم نحو تسهيل تعليم النحو العربي من خلال الطريقة الفعالة المتبعة من قبله.

2- تتمثل صعوبة النحو العربي في القضايا النحوية المختلف فيها، والتي تعطى للمتعلمين قبل الإحاطة بالمسائل العادية المتفق فيها.

3- ينبغي مراعاة مستوى المتعلمين أثناء تقديم المحتوى النحوي، ولا ينبغي على المعلمين إتباع طريقة واحدة أثناء تدريس النحو.

إن هذا الموضوع الذي خضنا فيه يحتاج إلى إجراء تجارب ميدانية واقعية، عن طريق اختبارات تشخيصية، تؤخذ مجموعة من العيّنات وتطبق عليها مختلف الطرائق من أجل الوصول إلى إستراتجية تكمن المعلم من تيسير تعليم النحو.

الهوامش

1. طه وادي وآخرون، شوقي ضيف سيرة وتحية ط1، دار المعارف مصر 1992 ، في مقدمة البحث .
2. المرجع نفسه، ص 118 .
3. لمزيد من التفاصيل ينظر: ضبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، الدار المصرية اللبنانية،ط1، مصر، 2002، ص ص 43-53
4. المرجع نفسه، ص 52.
5. المرجع نفسه، ص 66.
6. حسين سليمان قورة، دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، دار المعارف، مصر، 1981، ص 280.
7. ابن خلدون، المقدمة، تح: درويش الجويدين، المكتبة العصرية، طبعة 1422هـ ، لبنان، ص 455.

8. إبراهيم كايد محمود، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، العدد الأول، المجلد الثالث، مارس 2002، ص ص 53- 54 .
9. زكريا إبراهيم، طرق تدريس اللغة العربية، دار المعرفة الجامعية، 1999، مصر، ص 200.
10. المرجع نفسه، ص 200.
11. المرجع نفسه، ص ص 218 – 219 .
12. عبد الرحمان بن خلدون : المقدمة، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1961، ص 1083.
13. لمزيد من التوضيح ينظر: إبراهيم بن مراد، تدريس النحو بين تعليم الصناعة وتكوين الملكة ملاحظات في المبادئ العامة لتيسير النحو، مجلة اللغة العربية، ع 08، الجزائر، ص ص 150-155.
14. ألقي هذا البحث في الجلسة التاسعة عشرة من مؤتمر الدورة الثالثة والستين، يوم الأحد 21 من ذي القعدة سنة 1417هـ، الموافق 30 من مارس (آذار) سنة 1997م، عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي والبنيوية (اختلافها النظري والمنهجي)، ص 197.
15. يرجي من القارئ الكريم تصفح الملحق في الصفحة الأخيرة من هذا البحث.
16. محمد محمد يونس علي، أزمة اللغة ومشكلة التخلف في بنية العقل العربي المعاصر، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ع 29، ج 17، 660 .
17. محمد الحباس، النحو العربي بين التيسر والتدمير، مجلة اللغة العربية، ع10، الجزائر، ص 119.
18. عبد الفتاح محمد حبيب، النحو العربي بين الصناعة والمعنى، آيات للطباعة والكمبيوتر، ط1، مصر، 1999، ص 02.
19. إسماعيل عمايرة،" تعليم اللغة العربية في مرحلة التعليم العام في المملكة الأردنية الهاشمية دراسة وتقويم" في كتاب الموسم الثقافي الثامن عشر لمجمع اللغة العربية الأردني ، مجمع اللغة العربية الأردني، عمان ، 2000، ص 126 .
20. أبو عثمان الجاحظ، في المعلمين، ضمن: رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1991 (4 أجزاء)، (25/3– 55)، ص 38.
21. علي أحمد مدكور، تدريس فنون اللغة العربية (النظرية والتطبيق)، دار المسيرة، ط1، الأردن، 2009، ص 341.
22. المرجع نفسه، ص ص 71- 72.

سيميائية الموت في الشعر الجزائري المعاصر
ما الذي تستطيع الفراشة ؟ لمالك بوذيبة أنموذجا

ملخص

تعنى هذه الدراسة بكشف الدلالات الإيحائية لثيمة الموت في الشعر الجزائري المعاصر، فقد شكل الموت ظاهرة موضوعاتية مهيمنة على نصوص الشاعر الجزائري الراحل مالك بوذيبة، وخصوصا ديوانه ما الذي تستطيع الفراشة ؟ حيث يحضر الموت بظلاله المأساوية ليهيمن على جل نتاجه الشعري، فيغدو الشعر لصيقا وملازما لمظاهر الموت ؛ موت الشعراء، كما لا تكتمل شعرية الشاعر إلا بموته، أو محاولته إفناء الذات. ولأجل استنطاق الدلالات النصية المخبوءة تم تفعيل مجموعة من الآليات المنهجية المستقاة من مناهج مختلفة، كالاجتماعي، والنفسي، والظاهراتي، والسيميائي.

د. محمد كعوان
المدرسة العليا للأساتذة
قسنطينة
الجزائر

Abstract

This study aims to reveal the semantics of the death in cotemporary Algerian poetry , death has been a dominant theme in the writing of the Algerian poet Malek Boudiba , particularly in his work what can a butterfly do ! Death, with its dramatic significance , proves to be the dominant theme in most of the poet's writings , where poetry is closely tied to the phenomenology of death;the death of the poet himself whose poetics cannot be achieved but only by his own death. Semantic, phenomenological, psychological. and social methodological tools are used to exteriorize the hidden textual semantics.

مقدمة

إن ثيمة الموت في الشعر الجزائري المعاصر هي قضية دلائلية بامتياز، حيث عمل كثير من الشعراء الجزائريين المعاصرين على تثوير هذا الهاجس الموضوعاتي اعتمادا على تجاربهم المعيشة، والتي هي تجارب وجودية تختصر رؤية مأزومة اتجاه الكون والحياة، فإذا ضاقت الدنيا بالكائن البشري، ولم يجد خلاصا من واقعه الحياتي المؤلم اختار إفناء الذات دفعا لذلك الواقع المعيشي والوجودي الذي لا سبيل إلى إصلاحه، أو تضميد جراحاته المسعورة. ولأجل خوض هذا الموضوع الذي تعددت مصادره في شعرنا الجزائري الحديث والمعاصر، ارتأينا حصر مدونته في تجربة شاعر جزائر معاصر، هيمن الموت على فضائه الشعري

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2013.

بأكمله، لدرجة يمكن تسميته بشاعر الموت والأحزان، إنه الشاعر مالك بوذيبة، الذي رحل عنا في عز عطائه الشعري، في 02 أفريل 2012 . وقد أثمرت تجربته الشعرية أربع مجاميع شعرية، نشر منها :عطر البدايات، وما الذي تستطيع الفراشة ؟ وقمر لأزمنة الرماد، وبقيت مجموعة شعرية أخرى تنتظر النشر، وكان قد وسمها بـ قصائد استوائية إلى امرأة من القطبين .

ونظرا للأهمية القصوى التي أولاها الشاعر لمجموعته: ما الذي تستطيع الفراشة؟ حيث خصها بتقديم، جعله بمثابة العتبة السيميائية التي يصدم بها المتلقي في أول لقاء له بها، كما كشف لنا الشاعر عن سر تلك العلاقة التلازمية التي جمعته بالموت، والتي أصبحت سمة لازبة بجل نتاجه الشعري، وبتصرفاته الحياتية والاجتماعية . فإننا سنركز اهتمامنا هنا على مقاربة هذه المجموعة الشعرية التي تختصر رؤيته الوجودية للحياة، كما تكشف من الناحية الظاهراتية عن سر هيمنة الموت كموضوع على تفكير شعرائنا المعاصرين الذين انساقوا وراء رؤى ومقولات فلسفية كتلك التي تمثلها جان أميري والقائلة: أنا أموت إذا أنا موجود [1].

رؤية منهاجية :

يرى عبد الملك مرتاض أن تهجين أي منهج أمر ضروري لتنشيط أدواته وتفعيل إجراءاته كيما يغتدي أقدر على العطاء الخصيب[2]، وانطلاقا من هذا الرأي لكبير النقاد الجزائريين فإننا سنعمد إلى التركيب المنهجي الذي يستقي آلياته الإجرائية من مناهج شتى، تكون متقاربة في فلسفتها ومنطلقاتها التنظيرية، بحيث يتحتم علينا في سعينا لكشف الثيمات المهيمنة على العمل الأدبي الاتكاء على آليات النقد الموضوعاتي، وبما أن هذا الأخير مدين للظاهراتية بكثير من أسسه وتطلعاته وأفكاره، فإننا سنستعين ببعض آلياته المنهجية، خاصة حينما يتعلق الأمر بكشفه لأنماط الإدراك، فالظاهراتيون يعطونها قيمتها المائزة، لأن قمة الإدراك توجد في الشعور الذي يكشف عن تعبيرية العمل الإبداعي، كما تستدعي طبيعة الموضوع الانفتاح على آليات التحليل السيميائي، و النفسي، هذا الأخير الذي يربط الإبداع الفني بالعوالم الداخلية والخارجية مظهرا تواردها، أي أنه يعطي قيمة أكبر لعلاقة الذات بعوالمها الداخلية والخارجية. علما بأن المقاربة النفسية من هذا المنحى مختزلة في المنهج الموضوعاتي، والذي هو منهج بلا هوية، نظرا لاهتماماته المتعددة، واستفادته إجرائيا من كثير من المناهج والعلوم .

إن الظاهراتية هي فلسفة تعتمد على الخبرة الحدسية كنقطة بداية ؛ أي ما تمثله ظاهرة ما في خبرتنا الواعية، وهي لا تدّعي التوصّل إلى الحقيقة المطلقة، بل تراهن على فهم نمط حضور الإنسان في العامل، وتقوم على العلاقة الديالكتية بين الفكرة والواقع. يقول هيدجر: إن "اللغة تقول الإنسان" [3]، فهي وسيلته المثلى في التعبير عن أفكاره وتجاربه ورؤيته اتجاه الكون والحياة، لذلك تسعى جل الدراسات المعاصرة إلى القبض على دلالات النص ومقصديات المؤلف انطلاقا من فك رمزية اللغة بجملها وإشاراتها المستغلقة، فسعي الدارسين يتعلق بمحاولة فهم النص، هذا الأخير مرتبط

بمدى فهمنا للخبرة المعيشة، فبحسب ما ذهب إليه دلتاي فإن الفهم " الذي لا يتعلق بالخبرة المعيشة، ولا ينتسب إليها ليس فهما ملائما للدراسات للإنسانية... فنحن نفهم دائما بواسطة الإحالة الدائمة لخبرتنا"[4]، غير أن هذه المحاولة لفهم النص لا تدّعي لنفسها معرفة الحقيقة، لأن ذلك لا يتأتى بنسبة مطلقة، بل بما يتناسب ومستوى التحليل المنطقي المقبول

أما من جهة التحليل النفسي فيرى شارل مورون (Charles Mouron) (1899-1966) أن القصدية التي يركبها الشعراء تنصب على اختيار الكلمات الدالة، أما الصور المجازية والاستعارية التي تزخر بها نصوص الشعراء فتتم بطريقة لا واعية، ولذلك يتكرر تواتر تلك الصور في نصوص الشاعر الواحد، بحيث تخلق لديه رؤية مهيمنة، واستعارات ملحة[5]، وهو المنحى الذي عززته الفلسفة الظاهراتية (phenomenology) من خلال آراء الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل(Edmond Husserl) (1859 - 1938) الذي طرح في أوائل القرن الماضي نظريته القائلة : " إن المعرفة الحقيقية للعالم لا تتأتى بمحاولة تحليل الأشياء كما هي خارج الذات (Nouména) وإنما بتحليل الذات نفسها وهي تقوم بعملية التعرف على العالم، أي بتحليل الوعي، وقد استنبط الأشياء فتحولت إلى ظواهر (phénoména) ذلك أن الوعي لا يكون مستقلا، وإنما هو دائما "وعي بشي ما"[6]، وقد عملت هذه الأفكار على خلق وعي منهجي نظري لدى مجموعة من المفكرين، حيث تمثلها كل من ميرلوبونتي (Maurice Merleau-Ponty) ، وغاستون باشلار (Bachelard Gaston) ، وجان بيير ريشار (Jean – Pierre Richard) ، وجوزيف ميلر (Joseph Miller).

والعمل الأدبي بحسب ما ذهب إليه رومان إنغاردن(Roman Ingarden) يقوم "على أفعال قصدية من قبل مؤلفه تجعل من الممكن للقارئ أن يعايشه بوعيه كقارئ، وتعني المعايشة هنا نوعا من التداخل عبر التجربة القرائية بين المؤلف والقارئ، ذلك أن النص لا يأتي كاملا من مؤلفه، بل هو مشروع دلالي وجمالي يكتمل بالقراءة النشطة التي تملأ ما في النص من فراغات"[7]. فالعمل الأدبي عند أقطاب الفلسفة الظاهراتية يتسم بالذاتية والقصدية التامة، حيث يشكله صاحبه انطلاقا من وعيه الكامل بما يحيط به، كما أن الظاهراتيين يهتمون أيضا باستخلاص الرؤية الكلية للعالم لدى كاتب ما، انطلاقا من عملية المسح الشاملة لجل نتاجه الإبداعي، وقد سعت بعض المحاولات النقدية – جورج بوليه – إلى التعرف على أشكال الوعي المهيمنة على حقبة زمنية بأكملها، وهو ما ستحاول هذه الدراسة كشفه أيضا، وذلك في محاولتها تعرية الوعي الفردي والجماعي عند بعض الشعراء الجزائريين المعاصرين، وبالخصوص أولئك الذين هيمن وشاح الموت كثيمة على نصوصهم الشعرية، حيث أضحى النص الشعري عند بعضهم ترتيلة للموت، كما غدت الأمكنة أيضا فضاءات مستحبة للخلاص.

مداخل إلى فاجعة الموت:

يعد الموت باعتباره النهاية الحتمية لكل الكائنات الحية ظاهرة وجودية شغلت تفكير الكائن البشري منذ القديم، حيث ظل يبحث عن سر يقض به أركان مملكة الموت، إنه الطموح نحو الخلود، فهو سر غواية آدم وحواء وإخراجهما من الجنة، وهو أيضا الموضوع الذي استهوى الأساطير والخرافات القديمة، لأن الصراع الأبدي بين الموت والحياة كانت الغلبة فيه دوما للموت، ونظرا لهذا التفوق الدائم للموت فقد عمد الإنسان إلى تكييف تصورات تحقق له الانتصار، وتؤكد هذا تلك الأساطير القديمة كموت إوزوريس، وموت بيرسفون، وموت أورفيوس، فرغم ما يعانيه إله الخلاص يبعث ثانية ليؤكد من جديد استمرار ذلك الصراع ضد الموت، كما يؤكد أيضا إمكانية الانتصار عن طريق التجدد والبعث. وقد استلهم الشعراء هذه الدلالة، حيث يمثل جيل الشعراء الحداثيين العرب في الأربعينيات والخمسينيات خير مثال على استلهام الأسطورة واستثمار دلالاتها الوجودية، إذ يمكن للشاعر التعرف على فكرة الخلود من خلال القلق والرهبة والتأمل، كما استثمرت وبشكل كبير ملحمة جلجامش في بحثه الدائم عن الخلود، حيث لخّص الشاعر الحديث اهتمامه وقلقه اتجاه هذا الموضوع بتوظيفه للأساطير والخرافات القديمة، ومقولات الفلاسفة الوجوديين أيضا .

كما حاول الشاعر العربي منذ القديم التعبير عن هذه الحالة الفجائعية الحتمية، وهذه النهاية المأساوية التي سيطرت على جل تفكيره، فوقوفه على الأطلال واستنطاق الأزمنة المنصرمة المتلاشية دليل على موقفه من الموت، فالأطلال التي هي بقايا الإنسان والأحبة هي رمز لغلبة الموت على الحياة، إذ لا يمتلك الإنسان أمام هذا المصير المحتوم سوى البكاء عل حياة انصرمت، وقد ولد لديه هذا المصير إحساسا بضرورة الانتصار على الموت وعذابه، فكانت الفروسية والبطولة ونشدان اللذة الحسية التي يطلبها في الخمر والنساء وسيلته المثلى لإثبات ذاته، حيث تحس الذات بقدرتها الكبيرة على مغالبة العالم وتطويعه، فهي تعلي من شأن الأنا بالانتصار على الأعداء والشجاعة والإقدام، فنشوة الانتصار والحب والجنس والامتلاك تنسي الكائن البشري سلطة الموت وقوته، لأنه يشارك الموت بعض ميزاتها، كالبطش بالآخرين وإفنائهم، فقد وجدت في النقوش الصخرية للإنسان القديم صور تبين عملية صيد الغزلان والوحوش، حيث يصور إنسان ذلك العصر صيده وقد تمكن منه، وأرداه قتيلا، وهذا ما يؤكد تحقق فعل القتل والسيطرة الإنسانية في المخيال الإبداعي لإنسان ذلك العصر، فعدوه دوما هو المغلوب في جل رسوماته تيمّنا بقهره في الواقع المعيش[8] .

أما في الفكر الباطني القديم فقد وجد الصوفية في الموت وسيلة للاتحاد بالمحبوب، وهي فكرة استقوها من شعراء الحب العذري، حيث كان المحب يعيش حالة من الغياب عن ذاته، فهو بفنائه في محبوبه لا يشارك الناس أي هم من أمور الدنيا، إنه يعيش في عالم خاص لاستغراقه في محبوبه، وكأنه فاقد لوعيه وإحساسه، وهي حالة يكون فيها المحب أقرب إلى الجنون، إنه بالأحرى يعيش سكرات الحب والتي هي أشبه بسكرات الموت، وهذه الحالات العجيبة من أمر المحبين جسدها الصوفية في عشقهم وفنائهم وبقائهم في محبوبهم، إنها الرغبة الدائمة في الالتحام بالمحبوب؛ غياب دائم وانصراف

عن الواقع، وإفناء للصفاة البشرية ومحوٌ لها، وإذلال للجسد، حتى يكون الموت أفضل إلى الصوفي وأحسن له من بقائه، ولذلك سمى الصوفية أنفسهم بالغرباء، وسماهم غيرهم بالفارين من الحياة . ففي التجربة الصوفية يتم القضاء على الذات المنشطرة التي هي منبع الاغتراب وهي العائق الكبير أمام تحقق الوحدة المنشودة مع المطلق الإلهي، وهو الشيء الذي لم يستطع الشاعر المعاصر تحقيقه، لذلك يعيش انفصامه الذاتي الدائم، ولا يجد خلاصا من ذلك الانفصام سوى بالموت، وإذلال الذات .

واستمر هذا الحس المأساوي في شعرنا العربي فترة طويلة من الزمن حيث تمّ الإعلاء من هذا الإحساس والتغني به مع انتشار المد الرومنسي، فقد أقيمت الرومنسية الغربية على فكرة التأمل الميتافيزيقي للطبيعة والكون، إذ شكلت العزلة والهروب من الواقع أحد المظاهر الأساسية في الحياة الرومنسية للشعراء، فالرومنسي يفر بأفكاره وتأملاته من ضجيج الواقع وتناقضاته إلى الطبيعة (الأم)، حيث يحس الشاعر بضعفه أمام العالم، وغالبا ما يسعى إلى إماتة الأنا ومحوه لأجل التوحد والفناء، باعتبار الأنا هو العائق أمام تحرر الذات؛ لارتباطه بصفات دنيوية تحد من ذلك التحرر والانعتاق، حيث تنشد الذات الفناء والموت لأنهما "شهوة مجيدة تتلبس الأنا في حنينها السعيد للمطلق وتحقيق الوحدة والكون، فكل انشداد للأعلى يشكل في عمقه تجربة موت تعمل فيها الأنا على محو ونسيان بل إماتة كل العلائق والعوائق الأرضية التي تشدها إلى تحت، وتمنعهامن التحليق نحو حلمها المبتغى...ولن يكون الموت سوى الوجه الآخر للأنا وقد أفنت فيها الأوهام الأرضية،محققة الاتحاد والكون والمطلق"[9].

وقد أثرت هذه الأفكار الصوفية والرومنسية في شعرائنا المعاصرين، إضافة إلى ظهور عوامل عدة من بينها الظلم الاجتماعي والفقر والحرمان والخوف والإرهاب كالذي أصاب الجزائريين إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر، فقد وصف الصحفي الجزائري أبو اليقضان تأثير الأزمتين السياسية والاقتصادية على نفسية الجزائريين خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، من خلال جولة له قام بها في أنحاء القطر الجزائري سنة 1937، يقول فيها: "... في سياحتي هذه شاهدتُ أينما حللتُ كلحا في الوجوه وتعقُّدا في الألسنة، وتبرُّما في النفوس، وحرجا في الصدور، وتذمّرا عاما وقلقا شاملا، وعداوة متمكّنة من غير علّة، وبغضا مستحكما من غير سبب، ونفورا من كل شيء وريبة في كل أحد .. حتى كان من الناس لهذه الأزمة العصيبة من يفكر في الهجرة تماما من هذه البلاد، ويرى خروجه من وطنه وماله كليهما أسلم لدينه من بقائه على هذه الحياة التي هي بالموت أقرب منها بالحياة، ومنهم من كاد يتجاوز حدود العقل والدين، ويميل إلى الانتحار تخلصا في ظنه من هذا الموت .."[10]

ثم إن تتالي المصائب والأزمات على الشعب الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، وبخاصة حينما سدّت سبل العيش أمام آلاف الجزائريين، وأصبحت المجاعة والأمراض تطاردهم، وتفتك بالعشرات منهم، خصوصا حينما انتشر مرض السُّل وأودى بحياة آلاف الشّباب الجزائري في أربعينيات القرن الماضي، أما أحداث الثامن

ماي فقد عقدت ألسنة الشعراء والأدباء وأخرستها نظرا لشدة وهول الفاجعة على قلوبهم،، فقد تركت تلك المآسي من تقتيل وإبادة جماعية جراحات عميقة في نفوس الشعراء، مما خلق إحساسا باليأس والموت عند كثير من الشعراء، "فقد امتزج في شعر هؤلاء جميعا الإحساس الحاد بالألم والتعبير عن إرادة رافضة لذلك الواقع الذي فرضه المستعمر "[11]، وهو ما ولّد معجما شعريا مأساويا لدى شعراء تلك الفترة .

شعراء العشرية السوداء والإحساس الجنائزي:

ونظرا للظروف الأمنية والاقتصادية التي مر بها المجتمع الجزائري في نهاية الثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي فقد ظهر إحساس جنائزي عند شعرائنا الشباب من الذين عايشوا تلك المآسي من فقر، وجوع، وخوف، وقتل، واستيلاب، ويتم، وتشرد، وغيرها من المظاهر المأساوية، حيث لم تمر تلك الأحداث دون أن تترك بصماتها العميقة في شعر شعرائنا، مما جعل القصائد الشعرية تستقطب من جديد موضوعات الرثاء والتشاؤم والاغتراب، وهو ما أسهم في ظهور ظاهرة غريبة في المجتمع الجزائري تمثلت في انتحار كثير من الشعراء الشباب الذين لم يستطيعوا استيعاب ذلك الاستيلاب والحرمان والضياع الفكري والنفسي الذي عايشوه . وقد انتشرت هذه الظاهرة بشكل لافت في أوساط الشعراء الجزائريين، حيث أصبح الشعر عند بعضهم جسرا للانتحار والموت، وسب سيطرة هذا النزوع يرجع إلى "أن كآبة الوجود قد أصابت الذات الشاعرة في مكمن عشقها للحياة، فأحالتها إلى جحيم لا يطاق، ومن تم كان الرفض المطلق لهذا النوع من الحياة، ورفض الحياة مثل اختيار الموت "[12]، ولعل هذا النزعة المتجددة لدى الشعراء الجزائريين تكون مرتبطة بوعي وجودي، وبفلسفة ثورية ذاتية آمن بها جيل من الشعراء الشباب الذين كانوا يحلمون بغد أفضل تتحقق فيه أحلامهم، وأحلام الأمة العربية التي ما فتئت تجني الخيبات تلو الخيبات، من انكسارات وتراجع للحريات وضياع جديد وسط عالم لا يرحم المجتمعات المستضعفة. ناهيك عن تلك القيم الثورية التي تغنى بها الشعراء أثناء الثورة المجيدة، وبعد الاستقلال أصبحت مجرد شعارات جوفاء، فالاستقلال لم يكن تاما، لأن فرحته قد اغتصبت من طرف أقلية أرادت لنفسها فقط التنعم بخيرات الوطن الجريح . لذلك ظل جيل من شعراء الاستقلال يناضل من أجل استرجاع هذا الحق، ولكن الواقع كان أقسى على أصحاب القلوب الثورية، فكلت عزيمتها، وأيقنت بأن جدار الواقع أقسى من الأحلام، وهو ما جعل الانتحار يبرز كحل أمثل لدى الشعراء، حيث تجذرت هذه النزعة من جديد وهي وإن كانت وليدة "مشاعر حادة بوطأة الحياة وكآبتها وتآكلها فإنها أيضا وليدة نظرية وجودية إلى الحياة، ووعي منقسم على الذات ،وهذا ما جعل التجربة تنتهي إلى الاعتقاد بأن الحياة لا تحتمل، مما جعل الشاعر يغرق في تجربة الموت والإحساس بالعدمية، وهي نتيجة إشكال نفسي اجتماعي "[13]، لا يمكن تفسيره من الخارج، لأن الذات الشاعرة كثيرا ما تخفي عواطفها وأحاسيسها المأزومة، لأنها نقاط ضعفها .

وقد جاء في دراسة صدرت منذ بضعة أعوام عن جامعة تكساس، أجراها عالم النفس "جيمس بينيبايكر " أظهرت أن الشعراء المنتحرين يركزون في شعرهم على محور الأنا، وأن قصائدهم أكثر انطواءً على نفسها وانفصالا عن العالم الخارجي من قصائد الباقين(14). حيث يتجلى ضمير الأنا متعاليا أكثر من الضمائر الأخرى، كما تتعالى حشرجات الانكفاء على الذات، فتبدو القصائد وكأنها تخاطب العالم ومن حولها بصوت مبحوح، يبطن أنينا داخليا .

إن جيل الفجيعة الحق هو جيل التسعينيات، هذا الجيل الذي فتح مواهبه وقرائحه الشعرية على الدم والدموع، إنه جيل اليتم كما يسميه أحمد يوسف في كتابه: يتم النص (الجينيالوجيا الضائعة)، هذا الجيل الذي أحس باليتم، ولكنه ليس يتم الضياع الفكري ونقص منابر النشر كما يرى أحمد يوسف، ولكنه جيل اليتم الحقيقي، فالفرح الذي عاشه هذا الجيل مختلط بأحاسيس مأساوية عاشها المجتمع ككل، والشاعر هو لسان حال هذا المجتمع الذي تجرع الويلات،، وقد انعكست مظاهر المأساة الوطنية في المعجم الشعري لشعراء التسعينيات، حيث بدا قاتما، فقد " طغت عليه مفردات مثل: الدم والموت والموتى والقتل والقاتل والمقتول والقتلى والذبح والجريمة والرعب والعنف والنار والدمع والبكاء والهم والتابوت والنعش والعويل والثكلى والنعي والظلمة " (15)

وربما تعكس العديد من عناوين الدواوين الشعرية هذا الواقع المرير الذي عاناه الشعراء في جزائر التسعينيات، نذكر من بين تلك العناوين: من القصيدة إلى المسدس، وطواحين العبث لأحمد شنة، اغتيال زمن الورد لسليم دراجي، أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار ليوسف وغليسي، راهبة في ديرها الحزين لنادية نواصر، أهديك أحزاني، لياسين بن عبيد . أزهار اليأس جميلة عظيمي زيدان،ربيع الزمن العاصف للشاعرة نفسها، والمملكة والمنفى لحبيبة محمدي، وممرات الغياب لخيرة بغاديد، وقصائد معتقة بالأسى لسامية زقاري، ومجازات الخوف لصورية مطراني، ومتاهات الصمت لليلى راشدي، وراهبة في ديرها الحزين لنادية نواصر، ونوافذ الوجع لنوارة لحرش ....

وقد تعدى إحساس الشعراء الجزائريين بالفجيعة والموت والضياع إلى الإحساس بضياع الإنسان العربي عامة، فالحدود الجغرافية الواهية بين هذه الشعوب التي تتحدث لغة واحدة وتدين بدين واحد، وتشترك في التقاليد والصفات الخلقية والخلقية لم تفرق أحاسيس الشعراء، لأن الدم الذي يسري في عروقها واحد.

القصيدة جسر الموت:

لقد أصبح الشعر جسرا للموت، إنه المشروع الكبير الذي ارتادته النفوس الثورية القانطة من الأوضاع الاجتماعية، وربما يتداخل مفهوم الجسر هنا مجازيا مع تصورنا لجسور قسنطينة، باعتبارها البوابة المستحبة للموت لدى الشعراء الجزائريين، إنها المدينة الخرافية المعلقة على الصخر العتيق، لا تمر إليها إلا عبر جسور معلقة فوق

الوادي السحيق، وادي الرمال، وهو مهبط الجثث والأرواح الثورية الحالمة، لا يمر يوم إلا وترى الناس يحملقون باتجاه أسفل الوادي، إنه مغامر جديد وضع حدا لحياته البائسة .

فالجسور هنا هي بوابات الموت. وهي أجمل ما يميز قسنطينة كفضاء مكاني ساحر، جسور مفتوحة على الخواء البعيد، مشرعة دوما، تغري زوارها القانطين من زحمة الحياة بأن لا ينتظروا في الطابور طويلا، فهي تدعوهم لاختصار المسافات، إنها مدينة الأبواب السبعة المشرعة ليلا ونهارا .

وعبر هذه البوابات المعلقة للموت مر كثير من الشعراء، والذين لم يحالفهم الحظ في ارتياد هذه الجسور اختاروا منافذ أخرى لا تقل مأساوية عن مثيلتها، ونذكر هنا بعض الأسماء الشعرية التي عبرت إلى الحياة البرزخية واضعة حدا لهذا الواقع الحياتي البائس: الشاعر عبد الله بوخالفة[16] الذي رمى بنفسه تحت عربات قطار بقسنطينة، سنة 1988، والشاعرة التي كانت تكتب بالفرنسية صفية كتو[17]، والناقد صالح زايد الذي انتحر سنة 1989، والشاعر فاروق سميرة[18] الذي رمى بنفسه من أعالى جسر بقسنطينة سنة 1994، وهو الذي عاش فقرا مذقعا، حيث لم يستوعب هذه الحياة التي وضعته في الهامش، لتضع آخرين في قمة السعادة. وهي مأساة تتكرر مع الشعراء الجزائريين منذ فاجعة الشاعر الجزائري مبارك جلواح العباسي (1908- 1943) الذي وجد ميتا على ضفاف نهر السين بفرنسا. وتضاف إلى هذه القائمة المأساوية الشاعرة الشابة هادية رجيمي التي وضعت حدا لحياتها سنة 2010، داخل بيتها وهي التي لم تتجاوز الثلاثين من العمر، وقد أقدمت على هذا الفعل بعد إصدارها لمجموعتها الشعرية الأولى «عطر الثرى» .

إن الإحساس بالضياع الذي يعانيه الشاعر الجزائري المعاصر هو ما شجعه على الانتحار، ولعل محاولة هؤلاء الشعراء التعبير عن رفضهم للواقع، ولوضعية الذات داخل الجماعة هو ما جعلهم يتمسكون بهذا الاختيار، و يعتبر هذا الفعل أمرا شاذا إذا ما أقمنا اعتبارا لانتمائم الديني، الذي يحرم قتل النفس، فعبد الله بوخالفة قبل وداعه الأخير للدنيا والشعر حاول حرق كل أعماله ومذكراته، كما يحكى عنه أنه كان في الأيام الأخيرة من حياته زاهدا في الدنيا متعلقا بالآخرة، وكأني به يعد نفسه لتلك الحياة البرزخية، مطهّرا لذاته مما علق بها من ملذات الدنيا، فقد كان يتمتع بشخصية ثورية ثائرة على الأوضاع الاجتماعية، وعلى الحياة ككل، وربما يعود السبب الرئيس في عذابه الوجودي إلى الإحساس السلبي بعدم القدرة على تحقيق العدالة الاجتماعية، وهو مطلب عزيز بالنسبة لشاعر ثوري لا يهادن أبدا، وقد تربى على تلك الشاعرات البطولية الثائرة، كما أن رفضه " الجذري لعالم القبح والتفاهة يمنعه من أن يكون قبيحاً أو تافهاً[19]، وهذا العذاب قد يتجاوز الذات إلى الكوني والميثافيزيقي أيضا، فيحمله ذلك على قتل نفسه دفعا للصراع الداخلي الذي يكون في تعارض تام مع الواقع الاجتماعي . فإحساسه المفرط بمظاهر العذاب (الاغتراب، والقمع، والاستلاب، الفقر، الضياع،

الخ...)يعد مبررا أمام الفرد الذي فقد توازنه النفسي لكي يقدم على فعل قتل الذات، وهو مسلوب الإرادة، غير قادر على مواجهة الصعاب، وهو السبب عينه ربما الذي عجل بانتحار كثير من الأدباء في العصر الحديث، وعن شاعرنا عبد الله يقول عزالدين المناصرة: " كان عبد الله شاعرا ثوريا تطهريا لا يعجبه فساد العالم، يريد إصلاحه فلا يستطيع، مرة يقاوم ومرة يشعر بالخيبة والمرارة، لم يكن مجربا في الحياة، كان كطفل فطري يدهش لأي شيء، يتحمس بسرعة ويفتر بسرعة، شاعر القلق الثوري، وشاعر اللغة الحميمية "[20]. وحضور هذا الاسم في الشعر الجزائري هو حضور رمزي، حيث يوظفه الشعراء كرمز للشجاعة والإقدام، وقد ألفينا ذلك عند الشاعر مالك بوذيبة[21] الذي يهديه العديد من قصائده، كما يفخر بصنيعه وإقدامه على قتل نفسه، وربما هذه الظاهرة الوجودية تتكرر كثيرا لدى الشعراء الرومنسيين الغربيين خاصة، وقد أقدم كثير منهم على الانتحار، وبخاصة أولئك الشعراء الذي تجرعوا المآسي بشكل غير معتاد. يقول الشاعر بوذيبة في قصيدته: مزيدا من الموت شعرا، والتي أهداها إلى شاعرين منتحرين:

مزيدا من الموت شعرا وعطرا / مزيدا .. مزيدا من الانكسار/ جسور المدينة تعرفكم واحدا.. واحدا / وتناديكم واحدا .. واحدا ../ هي الآن في الانتظار / وماذا خسرتم؟ / سوى أنكم قد تركتم لنا ليلنا / وأخذتم جميع نجوم النهار[22] ..

إن تشبيه الحياة بالليل من قبل شاعر مقبل على الحياة بأحلامه العريضة هو أمر مأساوي حقا، وتتواتر مظاهر الاحتفاء بالموت عبر جسور قسنطينة في هذه القصيدة تواترا غريبا، بحيث يصبح الموت عبر الجسر أسطورة خالدة، وقد امتزجت بعشق أبدي اتجاه الموت، إنها شجاعة الخلاص، يقول :

وآه .. يا أيها الشعراء / ويا أيها الغرباء استجيبوا.. / براءة وادي الرمال تناديكم ..فاستجيبوا / وأسطورة الموت شعرا وعشقا تناديكم نحو عمق القرار[23].

إن الجسر هنا هو المخلص، وهو رمز الموت الشجاع، مخلص الشعراء من واقعهم الحياتي التعيس، فالحياة " اليومية بمشاكلها الاجتماعية وعلاقاتها السائدة، تفرض على الشاعر عذابات متكررة وقاسية، لا يبالي بعدها بذلك الموت الذي يشكِّلُ النهاية الحتمية لكل إنسان، فالصبر لم يعد يضاهي حجم العذاب، كما أن عذابات الشاعر تنطوي على كثير من التشاؤم والحزن"[24]، ونظرا لعدم قدرة الشاعر المعاصر على مقاومة الصعاب والصبر على شدائدها، فإن قائمة اختياراته ستكون بلا شك مملوءة بمحاولات الخلاص الأبدي من العذاب.

وتتمظهر سمة الموت في المجموعة الشعرية عبر علاقات تناظرية، تضادية، بحيث تغدو الحياة موتا، والموت حياتا، وهي ملامح مفارقة، حيث نرصدها كالتالي: نهر الموت وليل الحياة/ فجر الموت ومساء الحياة / نزر الموت وسواد الحياة / شمس

الموت وبؤس الحياة / روعة الموت ومأساة الحياة / حسد الموتى والتحسر على الأحياء / تمني الموت وكره الحياة .

العتبات النصية ومؤشرات الموت:

نظرًا لأهميّة العتبات النصية (Paratextualité) في قراءتنا لديوان ما الذي تستطيع الفراشة ؟ فإننا سنتخذ مقترحات جيرار جنيت إطارا نظريًا عامًا مبتدئين ذلك بالغلاف وما يثيره في المتلقي من تصورات نفسية، والعنوان الرئيس والعناوين الفرعية للنصوص، والإهداء العام للمجموعة الشعرية، وإهداءات أخرى متعلقة بالنصوص الشعرية، لنخلص إلى تقديم المجموعة الشعرية والتي كتبها المؤلف بوعي كبير لخص فيها نظرته للحياة والكون، ورؤيته للموت .

1-عتبة الغلاف :

يمثّل النص الموازي (المناص) شبكةً من العناصر النصيّة و الخارج نصيّة التي تصاحبُ النّص وتحيطُ به، إنْ لم يكن وفق مقصديةِ المؤلف، فعلى الأقل ضمن مسار تداولي لا ينزحُ كثيرا عن دائرتها، فالنص الموازي بهذا المعنى يمثل سياجا أو أفقا يوجّه القراءة، ويحدّ من جموح التّأويل، من خلال ما يساهم في رسْمه من آفاق انتظارٍ محددّة[25]

والعتباتُ اللفظيّة تظهر في كلّ ما يتعلق بالجانب اللغوي، أما الثقافة البصرية فتهدف من خلال التشكيل البصري إلى تجسيد الإدراك الحسي للعالم من خلال دعوة المتلقي إلى التبصّر في المعطى البصري للنص[26] و بالتّالي لا يمكنُنا الدخول في عالم المتن قبل المرور بعتباته لأنها تقوم بدور الوشاية والبوح[27]. وقد أطلق عليها "ميشال أوتن مصطلح " مواضع اليقين " بوصفها الأمكنة الأكثر وضوحا والأكثر جلاء في النص، فهي التي ننطلق منها لبناء التأويل، وهي بالخصوص محصورة في الجنس الأدبي والمتتاليات الكلامية (الكلمات المكررة، الثنائيات...) والعنوان والعناوين الفرعية وما شاكلها من المواضع التي تشكل منطلقات قراءة [28] . ويعدّ الغلاف العتبة الأولى التي تصافح بصر المتلقي لذلك "أصبح محلّ عناية فحُوِّل من وسيلة تقنية معدة لحفظِ الحاملاتِ الطّباعية إلى فضاءٍ من المحفّزات الخارجية المساعدة على تلقي المتون الشعرية"[29].

يشكل غلاف المجموعة الشعرية: ما الذي تستطيع الفراشة؟ نصا موازيا يصدم المتلقي لأول وهلة يصادف المجموعة الشعرية[30]، فشكلها المربع والغريب، غير المألوف، ولونها الأصفر الذي يحمل في ثناياه أكثر من علامة رمزية مفارقة، فهو يرمز للموت حينا، وللحياة والإشراق حينا آخر؛ فقد اعتبر من أشد الألوان فرحا لأنه منير للغاية ومبهج، فهذا اللون يمثل قمة التوهج والإشراق ويعد أكثر الألوان إضاءة ونورانية، لأنه لون الشمس ومصدر الضوء واهبة الحرارة والحياة والنشاط والسرور. وقد استخدمه قدماء المصريين رمزا لآلهة الشمس وللوقاية من المرض. كما جاء في

القرآن الكريم دالا على الجمال في قوله تعالى: ((قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ *إِنَّهَا* بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ))البقرة - 69، غير أن للون الأصفر دلالات أخرى تناقض الأولى وهي دلالته على الحزن والهم والذبول والكسل والموت والفناء، وربما ترتبط هذه الدلالات مجازيا بالخريف وموت الطبيعة، والصحارى الجافة، والصفرة التي تعلو وجوه المرضى. وقد استثمر هذا اللون رمزيا لدى الأمم القديمة والمعاصرة للدلالة على معان بعينها، فهو يرمز عند الغربيين إلى الثراء، لأنه من نفس لون الذهب والشمس، وهو أيضا رمز الخديعة والغش والمرض، ورمز للإشاعات، حيث تسمى صحف الإشاعات بالصحف الصفراء، كما يرمز للابتسامة المتكلفة التي تكون دون شعور حقيقي بالفرح، حيث نسميها ابتسامة صفراء، وعند الصينيين هو رمز الإمبراطور والإمبراطورية، ويعتبر لونا مقدسا عند الهندوس، حيث يرتدي أكثر رجال الدين الهندوس لباسهم بلون الأصفر أو الأبيض[31].

وقد استثمر الشاعر الدلالات الرمزية للون الأصفر، والذي يتقاطع بشكل لافت مع لون شاعرنا، ولون شَعره، فقد وصف نفسه شعريا بكونه أشقر الشعراء، كما وصفه زميله الشاعر يوسف وغليسي في حوار له بأسبوعية الحياة، بأنه شاعر أصفر فاقع لونه لا يسر الناظرين، وقد كان لهذا الوصف الذي جاء من باب المزحة أثره الكبير على الشاعر مالك بوذيبة الذي كره لونه، فقد كان يضيق ذرعا بلونه هذا الذي ميّزه عن غيره، فهو رمز المرض المفضي إلى الموت، إنه مرض فقر الدم الذي أكسبه هذا اللون، لون أصفر شاحب يعكس وهنا ظاهرا، وعلة مستحكمة، وجسدا مترهلا لا يقوى على مجابهة الواقع الحياتي المرير.

إن الاستعانة بالعنصر اللوني - اللون الأصفر- قد جاء من باب تقويةِ الدلالات و تعزيزيها بمختلف الإضافات، الخادمة للمتن الشعري، وكأني بهذا اللون قصيدة شعرية تنضح بالدلالات – دلالات الموت- إنها القصيدة الموازية لنصوص المجموعة الشعرية.

2- عتبة العنوان الرئيس

يعد العنوان في الدراسات السيميائية المعاصرة عاملا وظيفيا مؤثرا في دلالات النص، فهو علامة أكثر دلالية من العلامات النصية الأخرى نظرا لما يحمله من كثافة توجيهية للمعطى النصي ككل، فهوُ مرتبط ارْتباطا عضويا بالنّص الذي يسمه، نص صغير يعد مدخلًا لنّصٍ كبير كثيرا ما يشبّهونه بالجسدِ و رأسه هو العنوان، فالعنوان بمثابة الرأسِ للجسد غير أنّه يكون طويلا يساعد على توقّع المضمون الذي يتلوه وإمّا أنْ يكون قصيرا فإنّه لابد له من قرائن فوق لغويّة توحي بما يتبعه[32]، وبالتالي ففي العنوان مظْهر من مظاهر الظّهور و الإفْشاء والإعلان، كما يحمِل العنوان دلالة التعريض عندما لا يستطيع المؤلّف التصريح والبوْح بكلّ ما يصطدم في أعماقه ...فيؤدّي العنوان مفهوم الأثرِ و الوسْم لأنّ هناك علاقةً بينه وبيْن كيانيْن مرتبطيْن به هما المؤلِّف والمتْن، بالإضافة لكيانٍ لاحقٍ هو القارئ. فالعنوان علامة وإعلان يضعُها

المؤلّف لتعليم كتابه[33]، كما أنّ العنوان ينبّهُ لما يأتي بعده، وهو السيّد مادام يشيرُ إلى النّص و يُعرف به وهو المحطّة الأولى التي وجب المرورُ بها في حياةِ النص[34].

وينقسم العنوان بدوره إلى عنوانٍ أصليّ أو خارجي، وعنوان فرعي، وعنوان ثانوي، وعناوين داخلية، حيث يعتبِر جيرار جنيت العنوان الفرعي هو نفسه الثّانوي، وهو شارح و مفسِّر لعنوانه الرئيس[35].

والعنوان الخارجي : هو العنوان الذي يسِم الكتاب و يجنّسُه و يعْرِضه لجمهور القرّاء، و قد يرِد كلمةً أو جملةً أو رمزا[36]ومن خصوصيّاته ذلك الاقتصاد اللّغوي الذي يطرحُ بنْيته اللّفظية، كما أنه عقد شعري بين الكاتب والكتابة من جهة، وعقد قرائي بينه وبين جمهوره، وقرائه من جهة، وعقد تجاري/ إشهاري بينه وبين الناشر من جهة أخرى.

يأتي الاستفهام الذي يطرز عنوان المجموعة الشعرية: ما الذي تستطيع الفراشة ؟ ليفتح باب التأويل على مصراعيه، ويتداخل مع دلالة هذا اللون عنوان المجموعة الشعرية، والذي هو في حقيقة الأمر عنوان مرثية شعرية لروح الناقد بختي بن عودة، فالفراشات لا تستطيع حمل كل هذا العبء، كما أنها لا تعمر طويلا، وهي رمز للحب عند كثير من الأمم، وهي رمز للبشرى السارة ، خاصة إذا دخلت بيتا وحامت فوق رأس الرائي، وهي رمز للتحول من حال إلى حال عند ابن سيرين، وهي حاملة لدلالات الفرح والجمال. وهي بتجوالها البهي في فصل الربيع تخلق منظرا بديعا، وقد جعلها الشاعر رمزا للشعراء، ومن تم يكون فعل القتل الذي مس الشعراء والمثقفين، جريمة في حق الجمال والكون . ويمكننا أن نظيف أيضا إلى كون هذا العنوان: ما الذي تستطيع الفراشة ؟ والذي أصبح عنوانا واسما للمجموعة الشعرية بكاملها قد غير مرات عدة من قبل الشاعر، حيث عنون هذه المجموعة الشعرية قبل طبعها بـ " رحيل الشعراء والفراشات"[37] وكأن الشعراء ملازمون دوما في حضورهم ورحيلهم للفراشات، فهما يتقاسمان المصير نفسه. كما حذف جزءا من عنوان القصيدة : ما الذي تستطيع الفراشة أن تحمله ؟، وأبقى على تساؤل مفتوح على عدة احتمالات؛ ما الذي تستطيع الفراشة أن تقوله، أن تفعله، .... وتأتي القصيدة كاشفة لهذه الاحتمالات المفتوحة، لتقول :

ما الذي تستطيع الفراشة.. أن تحمله! /من هموم القصيدة، /أو تستطيع القصيدة أن تفعله/ في زمان التماسيح، والديناصورات، والفيله!

فالقصيدة والفراشة شيآن متلازمان ينوب الواحد منهما عن الآخر . كما وسم هذه المجموعة أيضا في مخطوطة أخرى بـ الشعراء يدخلون الجنة، وهو عنوان يولي اهتماما كبيرا بالشعر والشعراء، وهو ما تعكسه بشكل واضح تلك السياقات التي وظف فيها لفظة الشعراء، إضافة إلى الحضور الكبير واللافت للانتباه لهذه الكلمة داخل المجموعة الشعرية – ما الذي تستطيع الفراشة؟- وباقي المجاميع الشعرية الأخيرة، وهو صنيع شعري ينطوي على مفارقات دلالية جمة.

3- عتبة العناوين الفرعية:

احتوت المجموعة الشعرية بكاملها على مجموعة من العناوين المتقاربة الدلالة، فهي من عائلة دلالية واحدة، بل هي من دائرة دلالية واحدة، تتكاثر الدوال وتقل الدلالات، وكأني بالشاعر قد كتب قصائد هذه المجموعة مرة واحدة، رغم الفارق الزمني الكبير الذي يقف حائلا أمام تحقق مقولتنا هذه، فقد كتبت القصائد في فترات متباينة، كما نعلم أيضا بتعدد سياقاتها وتباين تجاربها، ولعل المتتبع لحركة العناوين داخل المتن الشعري يلحظ ما يلي :

- قصائد تدور دلالاتها حول الموت والفناء، وهي نصوص وإن كان بعضها يتغنى بالموت، فإن بعضها الآخر عبارة عن مرثيات شعرية كتبها عن موت أفراد عائلته(38)، أو أصدقائه، فالقصيدة الأولى من الديوان: ما الذي تستطيع الفراشة أن تحمله؟، كتبها عن الاغتيال الذي راح ضحيته المفكر والناقد بختي بن عودة، كما يخص الشاعر المنتحر فاروق سميرة بقصيدة، وهي بعنوان : عن فتى كلم الريح، ويخص الشاعرين المنتحرين؛ صالح زايد وصفية كتو بقصيدة وسمها بـ: مزيدا من الموت شعرا، ويخصص قصيدته: "من رأى شاعرا يعانق طفلا" لصديقه الشاعر المغتال عبد الله شاكري، وقصيدتي: آخر الأنبياء، وكذلك أحلام العذارى للشاعر عبد الله بوخالفة، وقصيدة : دمعتان وفاتحة للغياب لأخيه سعد، بينما تتربع القصائد الأخرى على دلالات متقاربة، يعبر من خلالها عن الموت بتعدد أشكاله : مقاطع من قصيدة التعب، بيان الغياب، بيان الحضور، شاعر وشراع، لوحتان .

- إن تمجيد الموت والهوس به لدى الشعراء ما هو سوى نزوع جامح نحو الحرية المطلقة والكاملة . والإنسان بتعبير الوجوديين هو" مشروع بتحقيق حريته وعمله على استمراريتها، وإثبات وجوده من خلالها، ولما أدركت الذات الشاعرة بأن هناك بونا شاسعا بين ما هو موجود، وما ترغب في تحقيقه ارتأت أن حريتها المطلقة والكاملة لا تتحقق إلى في معانقة أصل الوجود الذي هو العدم، فهو الكفيل بإزالة اغتراب الإنسان، وتحقيق وحدته، والقضاء على تناقضات الوجود من حوله"(39). وهو ما عكسته جل الأعمال الشعرية للشاعر مالك بوذيبة . وقد عبر عن حرمانه الوجودي من كل شيء في قصيدة : رسالة لن تقرأها أمي، يكشف فيها بطريقة مجازية رمزية عن مدى فجائعية الحرمان الذي يعيشه، يقول :

تحطم في داخلي الإنسان / تحطم في داخلي طفولتي / واكتملت فجيعة الحرمان/ وصرت يا أماه أحس بالمأساة / وأشعر أنني مهرب من تربتي / كطحلب الحيطان / وأنني مستلب / وأنني مغترب / كنبتة رملية / مقطوعة السيقان / تحطم في داخلي الإنسان / وصرت يا أماه / أحسني سفينة تائهة / أو قاربا محطما في أعمق الخلجان .

ثم تتوالى مظاهر حزنه واغترابه، حيث يواصل هذا السيل من الشكوى الذي يخاطب به أمه التي رحلت وهو لا زال صغيرا، بحاجة ملحة إلى حنانها :

أماه / لو تعلمين كم أنا حزين / وكم أنا محطم الوجدان / لو تعلمين حجم ما أحمله في داخلي / من ألم الإحساس بالفقدان.

غير أن هذا الأنين الحامل لحقيقة الشاعر التائهة في عالم لا يرحم الضعفاء، حملت أيضا تصور شاعرنا للحل الأمثل له، ولأمثاله من المعذبين، والمقهورين، إنه الرحيل إلى عالم النسيان، يقول في القصيدة نفسها :

لكنت يا أماه / أخذتني لعالم النسيان / لعالم ليس له عنوان / لعالم ليس به حرمان.[40]

فإذا سلمنا سلفا بوجود حنين مطلق إلى الأم، تلك التي رحلت دون أن تترك لهذا الطفل ما يغذي عواطفه، وما يشبع حاجاته النفسية من الحب، فإن الحرمان الذي يتواتر مرات عدة في هذا النص يغطي كل الدلالات التي يستثيرها الشاعر في التعبير عن ألمه، وحزنه العميق لهذا الفقد ؛ فقد الأم، حيث يتحول فعل الحرمان إلى وسيلة محفزة للشاعر إلى تجاوز هذا العالم إلى عالم آخر ليس به حرمان، إنه عالم القرار.

4- عتبة الإهداء :

يعرّفُ الإهداء بأنّه : ما يرسله الكاتب أو المبدع إلى الصدّيق أو الحبيب أو القريب أو الزميل أو المبدع أو الناقد أو إلى شخصيةٍ هامة أو مؤسّسة خاصة أو عامة، و يهدف إلى تأكيد علاقات الأخوّة، و بما أنّ الإهداء ينتمي لخانة الموازيات النصيّة الإرادية التي تقع تحت مسؤوليّة المبدِع فهذا يمنحُه طابعا رمزيا يشير إلى علاقة المهْدي أو النص المُهدى بالمهدى إليه، فهو تقليد ثقافي وفنّي يدخُل المؤلّف بواسطته مع المتلقي في علاقة وجدانية قوامُها التواصل العلائقي البنّاء[41] فالإهداء هو النّص الذي يكتبه المؤلِّف دون أن يشاركه فيه أحد، و هو النّص الذي يرِد بشكل كتابي يخرق الأعراف المتّفق عليها[42].

وقد جاء إهداء المجموعة الشعرية موجها إلى شعراء الجزائر، حيث ترد عبارة : إلى شعراء بلادي، ثم تلي هذا الإهداء الكبير عتبة أخرى مكملة وشارحة للعتبة الأولى، وهي كالتالي : الشعراء فراشات لا تعمر طويلا، البقاء للتماسيح والفيلة، وهي مقولة لأحلام مستغانمي استثمر الشاعر رمزيتها ودلالاتها الإيحائية ليختصر بها مجموعته الشعرية بكاملها، لأن مكانة الشعراء في قصائد المجموعة الشعرية يمثل قيمة استثنائية دالة، بل إن جل النصوص الشعرية التي كتبها مالك بوذيبة في مجاميعه الأخرى تدور في موضوع واحد يوحد بين الشعر والشعراء من جهة والموت من جهة أخرى، وكأن

الشعراء لا يعمرون، فهم يحترقون في الوهج، شغفا منهم بالحقيقة الوجودية، فالشاعر يحترق ليضيء للآخرين دربهم، ويبدد ظلام واقعهم.

- بنية التصدير / مفاتيح الموت :

التصدير عتبة نصية لها أهميتها (في فهم النص وتحديد خطوطِه العريضة من مقاصد وسياقات دلالية وتداولية، فهو "اقتباس يتموضع (ينقش) عامة على رأس الكتاب أو في جزء منه .....في حاشيته .. قريبا من النص وبعد الإهداء"[43]، أي أنّه يتموقع عادة -إذا وجد- في بداية العمل الأدبي /الكتاب أو في حاشيته بتعبير جنيت، "ولا تعني عبارة "الحاشية " خارج العمل الأدبي .. وإنّما تعني بعد الإهداء، إنْ وجد هناك إهداء، وقبل المقدمة [44] كما قد تعني خاتمة الكتاب و هي ما يأتي في نهايته . وهو "الذي يوضع لتنشيط أفق انتظار القارئ، بربط علاقة هذا التصدير بالنص المنخرط فيه قراءة "[45] فهو تصوّر قبلي لمتخيل القارئ، كما أنه يحمل بعدا رمزيا إيحائيا مفكرا فيه، كما يسهم في توجيه أفق انتظار القارئ، وتحديد مدى ملاءمته – التصدير كونه نصا موازيا - لهذا الأفق بعد الانتهاء من قراءة النّص المركزي، كما أن التصدير يعتبر عتبة جوهرية وأساسية في مشهد الكتابة، لأن تقديم العمل الأدبي عادة ما يضطلع به شخص يتسم بسمات نوعية، كالمعرفة بالموضوع المقدم، أو الصداقة، أو الشهرة، إذ قلما يقدم مبدع على تقديم عمله الفني، سواء كان شعرا أو سردا...الخ إلا إذا ضاقت عبارات الشعر برؤيته الواسعة، ففي هذه الحالة ينبغي له أن يقول ما صمتت عنه نصوصه الشعرية، أو عجزت إن صح التعبير . وما ألفيناه عند الشاعر مالك بوذيبة في تقديمه لعمله الشعري أنه أوقف فهم نصه على قراءة مفاتيح الدخول، وهي وقفة رآها ضرورية، حتى لا يزيغ عقل القارئ إلى شيء آخر سوى الموت، كما يعتبر هذا التصدير مفتاحًا قرائيًّا موجَّها للعمل الأدبي يحْوي بالنّظر إلى بنيته المعجمية تكرارا للفظة الموت، حيث تحضر بنسبة 16 مرة في التقديم وحده، ناهيك عن الألفاظ الأخرى التي هي من نفس عائلتها الدلالية، يقول مالك بوذيبة : " لقد كان موت الشعراء الجزائريين في نهاية الثمانينيات يأخذ شكل الموت الاختياري أو الانتحار، إما احتجاجا على الوضع القائم، وعلى ما سمي آنذاك بـ"العشرية السوداء " وإما تعبيرا عن خيبة الأمل الكبيرة لانهيار حلم المشروع الاشتراكي ... ولأن موت الشعراء لم يتوقف بل صار في جزائر التسعينيات يأخذ أشكالا أخرى من الموت الاضطراري / الذي هو أشد بشاعة من الانتحار "[46] ،فهو يبرر هنا بروز ظاهرة الموت من منطلق الباحث عن الحقيقة، وليس الشاعر، أي أنه يتحدث في هذا المقطع وكأنه يعلق على المشهد وهو خارجه، بعدها يقتحم شاعرنا المسرحية – مسرحية الموت – حيث يقدم دوره على الخشبة، وأمام المرآة، فيقول : " لقد كنت أموت مع كل صوت شهيد يسقط برصاص الخرافة وشفرات الموعظة السيئة "[47]، ثم يقدم تعليلات أخرى للقارئ حتى يدرك سبب تفشي هذه النزعة :" إن هناك "طاقات أخرى مرشحة للعطالة إما بالموت نحرا أو انتحارا، وإما بالهجرة بحثا عن شروط جديدة للعمل والإقامة في أماكن أخرى من العالم

أكثر أمنا واستقرارا وأكثر احتراما لحقوق الإنسان "[48]، فالموت على تعدد أشكاله هو نتيجة حتمية للذات المهمشة، غير المحترمة، غير الآمنة، تلك التي لم تستطع توفير لقمة عيشها .

وتتدخل الذات الناقدة لشاعرنا عدة مرات، مرة لتبرير موقف ذاتي، وأخرى لكشف جانب موضوعي مسكوت عنه، هذا الموقف لا يمكن أن يقال شعرا، بل يستشفه القارئ أثناء القراءة أو بعدها، وقد لا يصل إيه عقله وتفكيره، لذلك يضطلع الشاعر في تقديمه هذا بكشفه، وكأنه يعلم يقينا بأن القارئ لم يعد بمقدوره الوصول إلى فك رمزية الخطاب الشعري، يقول : " لقد فتحت عيوني على الشعر من أكثر من عشر سنين فوجدت الشعراء يموتون حتى صار كل شاعر في نظري هو مشروع شهيد، لقد كانت العلاقة وطيدة جدا بين قصائدي الأولى وبين الموت، وفي كل قصيدة كنت أكتبها كان هناك دائما رجع بعيد كالصدى للموت... لأن الموت صار عندنا يكتب قصائده بالنيابة عنا جميعا"[49]. يمثل الموت هنا مشروعا شعريا، لدرجة أنه أصبح هاجسا مركزيا لدى الشاعر، فهو يهيمن موضوعاتيا على كل المقولات المقدماتية، والنصية أيضا .

الدوائر الموضوعاتية والسيميائية للموت في شعر مالك بوذيبة

1- الموت باعتباره هاجسا موضوعاتيا :

في إطار سعينا لكشف الموضوعات المهيمنة في المجموعة الشعرية، نقول بداية إن ذلك الكشف سوف لن يكون مجديا إذا نحن لم ندرك طبيعة العلاقة أو العلاقات التي تربط بين هذه الظواهر، كما يقول هوسرل، فمهمة الفينومينولوجيا تنحصر في "الكشف عن عالم الظواهر كله، ووصفه وصفا محكما، ومحاولة إدراك العلاقات التي تربط بين هذه الظواهر في الوقت نفسه، مما يعني بوضوح تجاوز الوصف الخالص إلى تفسير الظواهر، أو تحديد معناها "[50]، فحقيقة الفينومينولوجيا أنها تقبض على النص كما هو، دون أي تلوين من الذات أو إسقاط من القارئ، ومن تم فإن محاولة التأويل هنا ليست شيئا يفعله القارئ بل هي شيء يحدث له.

وانطلاقا من هذا الوعي المنهجي فإننا سنكشف ما هو موجود في المجموعة الشعرية، ليتسنى لنا بعد ذلك التعرف على حقيقة الموجود. ولأجل ذلك سنستعين بمصطلحات وآليات التحليل الموضوعاتي، كالعائلة اللغوية، والقرابة المعنوية، والموضوع المهيمن ...الخ .

كما لا يمكن للمقاربة الموضوعاتية أن تبرز الفكرة المهيمنة والثيمة المحورية المهيمنة على العوالم النصية للشاعر إلا بعد الانطلاق من القراءة الصغرى نحو القراءة الكبرى، وتفكيك النص إلى حقول معجمية وجداول دلالية إحصائية لمعرفة الكلمات والعبارات والصور المتكررة في النص أو العمل الإبداعي اطرادا وتواترا.

الحقول الدلالية المهيمنة:

بعد عملية إحصائية دقيقة للمعجم الموظف في المجموعة الشعرية والصور الملحة المتواترة، والعلامات اللغوية البارزة، والرموز الموحية، أمكننا حصرها في الحقول الدلالية التالية :

حقل الموت وكلماته المفتاحية :

يتواتر لفظ الموت باعتباره معبرا عن الثيمة المهيمنة في نصوص المجموعة الشعرية بنسبة 59 مرة، بما في ذلك التقديم، هذا الأخير تردد لفظ الموت فيه ست عشرة مرة (16)، حيث تحضر الكلمة الجذر وكذلك معظم صيغها الصرفية: (الموت، مات، يموت، تموت، نموت، موتا، أموت، موته، موتي، موتنا، موتوا ،...)، ونظرا للأهمية القصوى التي يستحوذ عليها هذا اللفظ الغطاء في إبراز الموضوع الطاغي على المجموعة الشعرية، فإننا نستحضر تلك الأسطر الشعرية لما تحمله من صور ملحة تتكرر أيضا إلى جانب صور الموت.

صور ملحة تتكرر أيضا إلى جانب موضوع الموت:

ـ أو نموت معاـ في كلّ فجر يموت النّدى

ـ لأعرف معنى التسكّع في الموت طول/الحياة ـ ويموت الشذا

ـ وأقرأ أثناء موتي فأضحك...أضحك حدّ/ البكاء ـ وتموت الخيول على بعد مرّتين

ـ وما بين موت... وموت جديد(مرّتان)ـ ومن سنوات ونحن نموت

ـ أقاتل موتي ـ تعبنا من الموت نحن ولم يتعب القتله

ـ والموت في حضنها عاريا... ـ ونموت

ـ بين موتى وفتنتها والمساءُ ـ كما ينبغي أن تموت الخيول الأصيلة

ـ قدري الموت المرجى ـ كيف تكون الكتابة بالنّار .موتا/جميلا

ـ القطارات امتداد لموتي ـ رقص الموت في عرسه عاريا...

ـ مزيدا من الموت شعرا ـ من رماد الحريق والموت قاما.

ـ مزيدا من الموت شعرا وعطرا ـ طائر الشعر لن يموت صياما

ـ سوى أنّكم قد تركتم لنا موتنا ـ جرعونا مرارة الموت صمتا

ـ وأسطورة الموت شعرا وغسقا ـ أكتوي غربة أموت اغتماما

ـ لكي نلتقي ذات موت شهي... ـ يا خيول الشرود موتي صهيلا

ـ أقاوم موتي ـ طائر الشعر لن يموت سكوتا

ـ على زمن الموت والاغتراب ـ وعن الشعر لن يموت صياما

ـ تريدون موتي؟ أنا لا أموت ـ ويموت الشعر في وطني

ـ فموتوا بأحقادكم في الصّدور ـ وينهض من موته كم مرّة

ـ مزيدا من الموت شعرا ـ ونموت... بلا نعوات

ـ فارس ... يقتل الموت بالموت(مرّتان).

يستحوذ هذا الحقل على عائلة لغوية معتبرة، تجمعها قرابة دلالية، تنطوي كلها تحت لواء الحب الضائع وعذاباته، حيث يتكرر الدال المعجمي " الحب " لوحده 15 مرة، وحب 45 مرة، وأحب 08 مرات، والعشق 04 مرات، كما تدخل ضمن هذا الحقل الدلالي كلمات أخرى تعبر عن المحبوب – المرأة – بمكوناته الجسدية المغرية، كالصدر الذي يتكرر 05 مرات، ولفظة النساء التي تتكرر 21 مرة، والعطر الذي هو لصيق دوما بالمرأة وإغراءاتها، حيث يتكرر 10 مرات، كما يتكرر لفظ الحلم 20 مرة، ولهذه النسبة دلالة واضحة، فالمحب يعيش أحلامه على أمل تحققها، لذلك نراه كثير التشبث بالحلم، فهو خلاصه، وهو التعويض الوحيد الذي يعيشه، وهذا ما يحقق مقولة فرويد، حينما شبه عملية الخلق الفني بثلاث نشاطات بشرية؛وهي: "اللعب، والتخيل، والحلم، والمبدع لديه كالطفل أو المراهق، كلاهما يلعب ويتخيّل ويحلّم ليصنع لنفسه عالماً خياليّاً يتمتّع به، ويُصلِح فيه من شأن الواقع ويَسْتَعِيض به عن رغبته الحقيقية.[51]

حقل الشعر :

رغم كون الشعر بابا من أبواب الموت في المجموعة الشعرية، وعند شاعرنا أيضا، وهو ما حاول الشاعر إبرازه في مفاتيح الدخول، إلا أننا خصصنا له حقلا دلاليا لنبين من خلاله أن المجموعة الشعرية فيها هوس بالشعر والشعراء، كما هو الحال بالنسبة للموت، فالشعر والشعراء مرتبطان بالموت. ويتكرر لفظ الشعر 83 مرة، ولفظ الشعراء 23 مرة، ولفظ شاعر 58 مرة، وقصيدة 27 مرة، وهو حضور لافت ودال في الآن نفسه، كما أن الشعر لصيق بفكرة الجنون عند مالك بوذيبة، حيث يتردد هذا الدال 9 مرات،، ولفظ الكلام الذي يتردد 10 مرات وهو يحمل نفس دلالات القول الشعري .

حقل الكائنات :

تحضر في المجموعة الشعرية مجموعة من الكائنات النباتية والحيوانية، وهي رموز ارتبطت بالشاعر وبيئته، وطبيعته النفسية، وقد أحصينا فقط تلك العلامات الدلالية المتعلقة بحقل الكائنات الأكثر تواترا في المجموعة الشعرية، ومنها : السوسن والسوسنة ست مرات، الصفصاف ثلاث مرات، الفراشة ست مرات، النورس ثلاث مرات، القمر ثلاث عشرة مرة، الماء ست مرات . وهي دوال سيطرت بشكل كبير على المعجم الشعري للشعراء الرومنسيين، كما أنها تشترك في الدلالة على الحزن .

ونظرا للأهمية القصوى التي تنطوي عليها عملية التكرار عند الشاعر مالك بوذيبة سنسوق هذه الأمثلة التي تتكشف فيها الدوال المتكررة وقد اكتسبت دلالات سياقية جديدة، وأسهمت في الآن نفسه في خلق صور ملحة .

الجوع : تتكرر لفظة الجوع وبصيغتها الصرفية المعرّفة، وبصيغ أخرى: يجوع، جوع، جاع عشر مرات في قصائد المجموعة الشعرية، وهو فعل إرادي يعبر من خلاله الشاعر عن هذا الإحساس الدائم بالفاقة والاحتياج، إن الجوع الذي يهدهد فرحة الشاعر هو جوع الكريم، وهو الجوع المرتبط بذكريات الطفولة، كما في الأسطر الشعرية التالية :

- الجوع يهدهد فرحتنا / كما ينبغي أن يجوع الكريم / ذكريات وجوع / شقيقي أنا أغنيات وجوع

الضياع: يحضر هذا الدال ثلاث مرات ليدل دلالات واضحة على الموت، كما في الأسطر الشعرية التالية :

- أو يسلمني شارع للضياع / فأنا لن أضيعني بعدما صرتُني / ضاع مني الضياع.

الحزن: يتواتر هذا الدال في أنحاء النصوص الشعرية بمعدل ست مرات بصيغته، كما يسهم في خلق صور منزاحة دلاليا :

- ولنا الحزن وسادة / وها أندا أيها الحزن وحدي / وها أندا أيها الحزن .. وحدي ../ ولا الحزن يأخذ شكل القصيدة عند الأصيل / ونبي تدفق كالحزن من أعيني / على دفتر الحزن والاكتئاب /

كما تحضر بصيغة حزين[52]: سبع عشرة مرة:

- في صباح حزين (مرتان) / على بعضها في الصباح الحزين / في الصباح الحزين الذي / وجه أمي الحزين / والنخل الحزين / بوجهه المسهّد الحزين / عن طفلة حزينة رائعة العينين/ أيها الطفل الحزين/ لبعض الصباحات طعم حزين / وإني حزين/ حين أدخلها ضائعا وحزين / عندما صار للقلب شكل مدينة حب حزينة /
- وقلت لقلبي الحزين انتظر .

1- الدوائر الموضوعاتية المهيمنة وعوالمها الدلالية:

أ- دائرة الضياع الوجودي والبحث عن الذات :

تتربع هذه الدائرة المكملة لدائرة الموت على أربع قصائد، وهي : صبابة شاعر، طائر الشعر، عن الشعر والخبز، وصفي لي الذي ليس لي. وهي جلها نصوص تستبطن عذابات وأسئلة وجودية تعكس صراعا داخليا ينم عن فقد الذات لقيمتها الوجودية، وهو ما عبرت عنه الأبيات الشعرية التالية من قصيدة طائر الشعر :

جئت من أين ؟ كيف حئت ؟ لماذا ؟ وإلى أين ؟ هل ؟ متى ؟ وإلاما ؟
لست أدري إلى متى، لست أدري ؟ لست أدري، ولست أدري تماما

كيف أدري ولم يزل في بلادي من يعادي ويكره الإلهاما ؟!
هاهنا ساسة أضاعوا رؤانا شحنونا عداوة وخصاما
كلما قيل موعد للقوافي لغموه ..وفجروا الألغاما
كهربوا الأرض سمموها نفاقا والسماوات عبأوها غماما
جرعونا مرارة الموت صمتا أطعمونا تراجعا وانهزاما
انهكوا الشعب حولوه عبيدا والبلاد تقاسموها اقتساما[53]

فهذه التساؤلات الوجودية التي تتقاطع تناصيا مع نصوص شعرية سابقة [54] تبرز لنا إشكالية وجود الإنسان على وجه الأرض، وهو وجود قسري زاده الواقع المعيش تأزما بعذاباته، خاصة وأن الذات الشاعرة تحس بأنها مجبرة على إتباع نظام حياتي وفق رؤية سياسية مخزية، ولا تبعث على التفاؤل، حيث القتل والتقتيل والاستعباد، والنهب والنفاق ...إلخ، وهو ما يجعل السوداوية تطغى بشكل لافت على نصوص هذه الدائرة الدلالية . حيث تتوالد الصور المأساوية من بعضها البعض، لتخلق لنا صورة عنقودية، تنتهي دلالاتها الرمزية والإيحائية عند موضوع الضياع الوجودي ؛ ضياع الأنا الذاتي، واستحالة التواصل مع الواقع الاجتماعي، وحتى الأسري .

عندما يواجه الشاعر الثوري واقعه وقد التف حوله ما يقف حائلا بينه وبين تقمصه لشخصية الثوري، يتحول الشاعر إلى شخص انهزامي تقف به تصوراته النكوصية إلى الالتفاف على ذاته المعذبة فيزيدها عذابا، وهذا الإحساس المأساوي حينما يثوره الفرد ترتد ثورة الفرد إلى ذاته فيحاول جاهدا إذلالها أو التخلص منها نهائيا دفعا لهذا الإدلال، وتكون هذه الأحاسيس المأساوية أشد عند الشعراء نظرا لحساسيتهم المرهفة، كما قد ينشأ العذاب من وعي الإنسان لذاته في ظروف موضوعية واجتماعية تقف حائلاً دون تحقيق هذه الذات بالصورة التي تريد، ومن ثم فإن الواقع عنده يصبح مصدرا للشرور التي أنتجتها العلاقات الاجتماعية والظروف الموضوعية السائدة[55]. لأن ذات الفرد تختلف عن ذوات الآخرين، وبقدر اختلافها عنهم بقدر تميزها، وهذا ما يجعل الشعراء مختلفين في بنياتهم النفسية عن الآخرين. اختلاف يضمن تحقق المغايرة بين الشاعر وبني جلدته من المقهورين الذين لا يملكون وسيلة تعبيرية تمكنهم من نقل إحساسهم السوداوي. ويمكن أن يكون الشاعر وحيدا في إحساسه هذا، نتيجة لعدم تكيفه فـ "كثيرٌ من الناس في عصرنا غير متكيفين، وعدمُ التكيُّف يعني التناقض، والتناقض يعني التمزق وهذا يعني الحصر. والتناقض التالي هو أحد أكبر التناقضات: إن الإنسان ممزق بين حقيقة (ما هو عليه) وبين (ما يعتقد أنه عليه). إنه ممزَّق -والحال هذه- بين ميوله العميقة وبين سلوكه الخارجي"[56].كما أنه ممزق بين واقع يحلم به وواقع يعيشه. ولقد باءت بالفشل كل محاولة جادة من طرف الشاعر في إقامة توازن ما بين الذات – المخلصة لذاتها- وبين الوجود الخارجي، ومن شأن هذا الفشل أن يوقع بالذات تمزقا، ويرمي بها في مهاوي الضياع، ويولد لديها مشاعر من الحزن والغربة. ونتيجة هذا كله هي الرفض[57].

ب ـ دائرة الحب المفلس :

وهي الحلقة الموضوعاتية الأكثر إيلاما وتأثيرا في قصائد المجموعة الشعرية، بعد موضوع الموت، لأن إفلاس الحب عند الشاعر المعاصر هو ملمح وجودي لديه، يؤدي به في غالب أحيان إلى الانتحار، وهو مرتبط نفسيا بمرحلة الشباب، وهي مرحلة الضياع العاطفي، والكبت الجنسي الذي لا يجد متنفسه عند كثير من المراهقين، فإما أن يلتجئوا إلى الدّين فيلتزمونه بشكل يقهرون به عواطفهم ونزعاتهم، أو يتركون العنان لشهواتهم، فيصبح الواحد أسير نزواته .

وقد طغى المعجم الجنسي عند شاعرنا بشكل لافت، وهو يدل على عطش ولهفة باتجاه الأنثى، فمن خلال العناوين نستشف أن هذا الإفلاس العاطفي مصدره الطفولة، وهو ما تكشفه متون نصوصه الشعرية، والتي راح يحن فيها لصدر أمه، وتجسدها القصائد التالية : في مهب امرأة، في الخروج لمكاشفة الصيف، وشايات السوسن، نشيد السوسن، أشقر الشاعرات .

وربما تعد قصائد المجموعة الشعرية الأولى للشاعر مالك : عطر البدايات، من أحسن التجارب الشعرية المعاصرة التي عبرت عن الحرمان العاطفي، وهو ما تجسد في موت أمه، حيث عاش ضياعا حقيقيا بعدها، وتعزز ذلك الضياع بشكل أكبر حينما مات أخوه الأقرب إلى قلبه – سعد- وهو الذي كان يواسيه في حياته المادية والمعنوية، فهو السند والرحلة، ثم موت أخيه الأكبر – عمار- وهو الذي كان يقلل من شعوره بالفقد واليتم.

ج-دائرة المدينة والاغتراب الحضاري :

وهي دائرة دلالية مؤثرة في تجربة الشاعر المعاصر، لأن "المثقف عموما، والشاعر خصوصا، مغترب بالنسبة لحضارته العربية من جهة؛ من حيث رفضه للماضي وللحاضر، ومغترب بالنسبة للحضارة الغربية من جهة أخرى؛ لكونها تمثل حضارة الآخر القاهر، والعدو والمستعمر. ولذلك لا ننتظر من الشاعر إلا إدانتها، إدانة الذات المنهارة، قبل إدانة الآخر العدائي[58]، وغالبا ما يلتفت الشاعر بدافع الانتقام إلى ذاته المهزومة، وإلى مجتمعه أيضا ناقما، ساخطا على كل قيمه . ففي الوقت الذي التحق فيه جمع من شعراء القرى والأرياف إلى المدن قصد الدراسة ،أو العمل اصطدموا بواقع مختلف تماما، مدينة تبتلع الضعيف، مدينة تسلبك كل شيء، وهو ما أحدث مفارقة قاتلة في عقل شاعرنا، الذي أخذ صورة مغلوطة عن المدينة وأهلها، فإذا "كانت الحضارة الغربية وبالأخص مدينتها قد قدمت لشاعرها أشياء وسلبته أشياء ؛ منحته الرفاه المادي وسلبته السكن الروحي، فإن المدينة العربية أخذت ولم تعط ؛ أخذت الاطمئنان الروحي ولم تعط إلا الانكسارات والهزائم المتوالية" [59]، وقد عبرت عديد القصائد بعناوينها عن هذا الاغتراب، ومن بينها : العبور إلى مفاتن بونة، هكذا قالت النخلة الشاعرة . و بدايات أخرى للغربة، والتي يقول فيها:

غربة أخرى وأخرى /وانكسارات جديده / قدري الموت المرجى / في المتاهات البعيده / ... / هائما في الأرض كالروح الغريبه؟/ القطارات امتدادت لجرحي / والمسافات .. حقيبه[60]

ويقول أيضا عن الشعر والحزن " والفقر :

شعراء / لكن – يا بؤس هوانا – / فقراء / ما نملك غير الأحلام / تبكينا قسوة دنيتنا / والدنيا غانية تتسلى / لبكانا تبتسم الأيام / فقراء ما ملكت أيدينا / إلا الأوهام / أشعارا، حكما، فلسفة، / نتوسدها وننام / الجوع يهدهد فرحتنا / والدمع يهدهد أعيننا /يا للأيتام[61] .

ويقول أيضا: فقراء / والشعر رغيف للفقراء / غرباء والشعر رفيق للغرباء / والشعر وطن / الشعر زمن / الشعر خلاص للشعراء[62].

أما قصيد صبابة شاعر فيعبر من خلالها عن الجراح والسفر وعذابته، يقول :

واليوم ماذا اليوم غيرجراحنا مفتوحة لليل: سفر وعذاب

أعمارنا شك ودمع هامر يدمي القلوب بغيثه الصباب

كإشارة استفهام صار وجودنا وغدا الزمان إشارة استعجاب [63]

أما قصيدة "مقاطع من قصيدة التعب " فيلخص فيها فلسفته في الوجود، وقد أثقلته الحياة ببؤسها وشقائها، حيث يصبح الزمن نفسيا، يمضي بطيئا بطيئا، كما تمثل هذه القصيدة قمة القنوط واليأس، يقول:

تعبت من العمر يمضي بطيئا / على وتر مثقل بالنواح / تعبت من الشعر والأغنيات، / ومن قمر مزقته الرياح / تعبت من الزمن المشمئز، / ومن وطن سكنته الجراح / تعبت من الحلم، / يا أيها القلب إني تعبت / وأدركت أن لن يجيء الصباح[64].../ أنا الولد المر، قلبي جلي / وذاكرتي قطعة من حجر / * * / تعبت من الشعر في زمن الخبز / علقت اسمي .. / على رأس قائمة الانتظار /

وانتظرت الذي لا يجيء / وقفت طويلا / بكل محطات حافلة أو قطار / تراكم فوقي غبار السنين / وحط الذباب على شفتي /

وصار دمي مثل ملح البحار / تعبت من الفجر، / يا أيها الليل إني تعبت ../ وأدركت أن لن يجيء النهار[65]

لم يستطع الشاعر التحرر من تعبه الوجودي اليائس، لذلك يكرر جملة (وأدركت أن لن يجيئ) الصباح، أو النهار، أي أن الشاعر آيل لا محالة إلى ظلام أبدي ينوب عن ظلام ليله، فالنهار والصباح مرتبطان بالحرية والحياة والأمل، غير أن الجراح التي أدمت قلب الشاعر تعجل برحيله، كما أن إحساسه بالغربة والضياع والتعب هو إحساس فاقد للأمل، فقد تعب من الشعر، والعمر، والأغنيات، والانتظار، والقمر الذي مزقته

الرياح، والزمن المشمئز، والحلم، والركض خلف السراب، والحب، ومن نفسه، ومن لغته الكاذبة.

وقد تنبع الغربة من البيئة، فيحسُّ الشاعر كأنه ليس من هذا العالم المجنون. إن العالم لدى الشاعر يجب أن لا يكون حسبما ترسمه تصوراته، فإذا قارن بين ما يتصوره وبين ما يعيش فيه انتابه الهلع من هول المفارقة. ففي هذا العالم المأفون المدان لا يشعر المرء بألفة معه".[66]ولذلك تكثر شكواه، اتجاه عالمه، كما تطول عذاباته، ويتأزم صراعه مع واقعه الذي يضيق بما فيه، فيطول ليله، وتستمر المأساة.

د- دائرة الصداقات الزائفة:

نظرا للحساسية المفرطة للشاعر اتجاه نفسه، والأشياء من حوله، وبالخصوص اتجاه عائلته ،وأصدقائه المقربين، فقد خلق موضوعا جديدا في شعرنا الجزائري، ينتقم من خلاله لذاته التي يراها مظلومة مقهورة من قبل أقرب المقربين إليه، ويتبين ذلك من خلال العنوانين: أصدقاء الريح، ولأني شاعر ذكر . وقد عمد الشاعر مالك إلى قراءة هذين النصين في مناسبات أدبية عديدة كلما أحس باستنقاص من قيمته، أو فشل في الظفر بشيء خطط لنيله، وقد نعتبر هذا من أواليات الدفاع التي يسخرها الكائن البشري لمجابهة خطر محدق به. وقد راح شاعرنا يؤنب كل أصدقائه على أوضاعه الاجتماعية ظنا منه أنهم مشاركون في مأساته وتعذيبه، ولم يسلم من إحساسه هذا أقرب مقربيه، وفي ذلك يقول صديقه الحميم يوسف وغليسي: هل كنا نحتاج إلى الموت حتى نتصالح؟ **!**ما أسوأنا وما أخبثنا وما أرخصنا....**!**وحده الموت الجبار يقوى على مصالحتنا رغم أنوفنا....إنا لله...وإنا للموت... وإنا للحب، وإنا إليه راجعون **!**اللعنة علينا جميعا، لعلنا ضاقت صدورنا عن صاحبنا ولم نستطع معه صبرا (تماما كموسى وصاحب الحوت)، أو لعلنا أجمعنا على الخطأ في حق (مالك) حين عاملناه كما نعامل أنفسنا، ولم نقدر سيكولوجية عصابيته العصيبة، أو لم ننتبه إلى استثنائية مزاجه الشاعري المتقلب، ثمة شعراء استثنائيون) و مالك منهم) يعتقدون أن من حقهم أن يهربوا جنون اللحظة الشعرية من النص إلى الحياة، وأن يعيشوا في حياتنا كما هم في نصوصهم، وسرعان ما يسقط هذا الحق فيشعرون بإحباط اجتماعي فظيع ينتهي باللاتواصل بينهم وبين أفراد المجتمع فيزيدهم ذلك إحباطا وانهزاما وانعزالا، وتبدأ فصول المأساة الاجتماعية لأفراد هذه الفصيلة النادرة المهددة دوما بالانقراض. يا إلهي، كيف لم ننتبه إلى هذه السلالة الشاعرية العجيبة إلا بعد فوات الأوان [67]...؟**!**

إن المزاج المتقلب للشاعر الذي انكسرت أحلامه الشعرية على أرض الواقع، فلم يستطع أن يعيش في واقعه الحياتي ذلك النجاح والتحدي والإحساس بالعظمة الذي تحققه لحظة المكاشفة الشعرية.

يقول في قصيدة: أصدقاء الريح: هذه القصيدة التي تعكس وحدة الشاعر وأحزانه في غربته الروحية، فالحزن هو الوحيد الذي لم يخنه من أصدقائه، فالذي يرق له دوما كلما جاءه باكيا هو دمعه فقط، يقول:

ليس لي أصدقاء / والصديق الذي لم يخني / ولو مرة واحده / الوحيد الذي كسّر القاعدة / هو حزني فقط / وجميع الذي ما سواه هباء/ وسراب وأخيلة شارده[68].

لقد ازدادت غربة الشاعر حدة، بإحساسه هذا الذي أبعده عن كل الأصدقاء، حتى عائلته التي عادة ما تكون سندا قويا للذات في مواجهتها لمشكلات الحياة لم تستثن هي أيضا من القاعدة . فالغربة الاجتماعية بتراكمِ سلبياتها أدَّتْ إلى فقدان الأمل بالواقع وبالمستقبل، حيث انتهى الأمر بالشاعر إلى التفكير بالعدم لفقدانه الثقة بالواقع، من صداقات، وقرابة دموية ...الخ، ضف إلى كل هذا تأثير الواقع العربي المأزوم الذي لم يزد الشعراء إلا بؤسا وضياعا، وبناء على هذا فإن رحلة الاغتراب عند الشاعر المعاصر، هي في صميمها رحلة البحث عن الذات .

هـ -دائرة الفرح :

يقل بشكل لافت الفرح كموضوع، وكبنية عناوينية في هذه المجموعة الشعرية، وفي غيرها من المجاميع الخاصة بشاعرنا، كما يشكل أيضا الفرح استثناء في حياة الشاعر الاجتماعية، حيث تشكل لحظات الفرح نتفا عابرة، أو فلاش باك في حياة عابسة مليئة بالأحزان والبكائيات والقلق، والأخبار المفجعة . وقد انعكس هذا على مستوى الكتابة الشعرية، حيث يشتمل ديوانه " ما الذي تستطيع الفراشة؟ على قصيدتين، الأولى بعنوان : قصائد عن شعراء بلادي، هذه القصيدة التي راح يحتفي فيها بالصداقات الشعرية الناجحة، والصافية، فيخصص مقطوعة لميلود خيزار، وأخرى لعثمان لوصيف، وعادل صياد، وعاشور فني، ونجاح حدة، وحبيبة محمدي، وهي أسماء لها مكانتها في الساحة الشعرية الجزائرية . أما القصيدة الثانية فيحتفي فيها بصديق آخر له، وهو أعز أصدقائه على الإطلاق، إنه الشعر. فإذا قسنا مساحة الفرح مقارنة مع مساحة الحزن في هذه المجموعة سنعثر على النسب التالية: من مجموع 28 قصيدة، يستحوذ الفرح على قصيدتين فقط من مجموع قصائد الديوان، أي بنسبة 7.14%، أما إذا اعتبرنا كل الحقول والدوائر الدلالية الأخرى دائرة واحدة للحزن والموت والاغتراب، فتكون نسبتها 92.85 %، وهي نسبة فارقة وجدا، ودالة في الآن نفسه .

و- دائرة بيانات الحضور والغياب:

تمثل هذه الدائرة استثناء شعريا في الشعرية العربية المعاصرة، حيث تجتمع فيها جل الأضداد، كالحياة والموت، وحب الحياة من جهة، وحب الموت من جهة أخرى، كما تختصر هذه الدائرة الدلالية بيانات الرحيل والغياب التي استشرفها الشاعر، وهو يرسم طريقه إلى الموت، فقد كتب مرثية موته، يقول في قصيدة : شاعر وشراع، التي كتبها سنة 1992، حينما كانت الذات لا تأمن على نفسها في جزائر تلك الفترة، فقد

يصبح الواحد وهو في حيرة من أمره، إذ كيف بقي على قيد الحياة، كما يمسي وهو على يقين بأن تلك اللحظات التي عاشها هي آخر شيء في رحلته الوجودية، إنه الموت الذي خطف آلاف الأرواح في تسعينيات القرن الماضي، وهو الذي جعل شاعرنا يقول :

إنني راحل / يا رفاق الهموم / فاكتبوا حزنكم / في بياض السديم / وارسموا حلمكم / فوق هذا المدى[69] / إنني ذاهب / في مرايا الذهاب / ... / لم يعد لي هنا ../ طائر أو جناح / لم يعد لي سوى / وطن من نواح[70].

وفي خاتمة هذه المجموعة الشعرية التي تنضح برائحة الموت والفناء يعلن غيابه القادم من خلال قصيدة موسومة بـ " بيان الغياب" حيث جاءت كخاتمة لهذه المجموعة الشعرية، وكأني بشاعرنا يقول وداعا أيها الأصدقاء، يقول:

وداعا../ وهذا بيان الغياب / وهذا أنا ذاهب في الذهاب / سأطوي كتاب الحضور وأمضي ../ إلى غيبة ليس فيها اغتياب / هو الصمت راحة قبري الذي ../ سأحضن أحجاره والتراب / هو الصمت، ماذا تبقى سواه / وماذا سوى خلوة الانسحاب ؟/ سراب هو العمر ينزف شعرا ../ على دفتر الحزن والاكتئاب / سراب هو الشعر يا أصدقائي / ودنيا الحضور، سراب .. سراب [71] / يباب ... يباب / تكلمت حتى تكلم جرحي / وهمت سنينا وراء الضباب / وقلت عسى، ولعل، ورب، / ومنيت نفسي بكل الأماني / فكانت جميع الأماني .. خراب / جنون وركض وراء القوافي / وحزن، ويتم، وفقر، طويل، / وعمر يمر مرور السحاب / وداعا فإني أضعت الشباب / وأذبلت عمري حدادا وحزنا / على زمن الموت والاغتراب / وداعا../ وهذي حروفي استقالت جميعا / وهذي خيولي استراحت أخيرا / وهذا أنا قد طويت الكتاب / فبشرى / لمن يرقبون انطفائي / وشكرا ... وهذا بيان الغياب [72]

وبعد هذا النص الذي هو بيان للغياب والموت والرحيل المبكر الذي ينتظره بعض المارقين في تصور شاعرنا، والذي يخفي بقدر ما يظهر مأساة حقيقية لمشاعر جنائزية عاشها الشاعر، وآمن بها إلى درجة جعلته يصوغها شعرا، ويعلنها بكل ما أوتي من بلاغة، وسحر بياني، وقد يكون هذا البيان إوالية دفاعية تحقق غاية عكسية للشاعر، فبقدر ما يتبادر القنوط واليأس من هذا النص الشعري، يتبادر أيضا من باب القراءة التفكيكية سعي الشاعر للتخلص من هذا الإحساس الذي أثقل لاشعوره، فهو بتفريغه، يتمسك بالحياة، ويستعطف الأصدقاء ليغيروا نظرتهم اتجاهه . وقد عبر عن هذا المعنى في نص آخر وسمه بسفر الحضور، تحدى من خلاله زمرة الكارهين معلنا حضوره، وكأني بهذا النص تكملة لقصيدة بيان الغياب، يقول فيه:

تريدون حقا بيان الغياب؟ / إذن .. فسأكتب سفر الحضور/ تريدون مني بيان السكوت ؟ / لكي تمدحوني وراء القبور

تريدون موتي ؟ أنا لا أموت / فموتوا بأحقادكم في الصدور [73] .

فالشاعر لا يموت بموت الجسد، فشعره خالد مستمر في الزمان، وهي معجزة الكتابة. لقد عاش شاعرنا وهو يعي جيدا أننا سنبكيه بعد رحيله الأبدي، كما أنه يعلم جيدا بأنه باق بيننا بشعره، وذكرياته، وهمومه التي حاول جاهدا مشاركتنا في الإحساس بها، غير أننا لم نفهمه.

لقد حاولنا دوما أن نفسر تصرفات ومقولات الشعراء، بأن نضعها في قوالب جاهزة، أو نقيسها بمقاساتنا البالية، غير أن الأمر غير ذلك، فالإنسان لا يفسر، بل علينا أن نفهمه كما يقول دلتاي، فنحن نفسر الطبيعة، ونستعين في ذلك بعمليات فكرية محضة، ولكننا نفهم بواسطة النشاط المشترك لجميع القوى الذهنية في الإدراك الفكري[74]، ويضيف دلتاي : "ليس الفهم مجرد فعل فكري، وإنما هو انتقال وإعادة معايشة العالم كما يجده شخص آخر في الخبرة المعاشة ،وليس الفهم عملية مقارنة واعية تأملية، بل عملية تفكير صامت يتم فيها انتقال المرء بطريقة سابقة على التأمل إلى دخيلة الشخص الآخر، إن المرء ليعيد اكتشاف نفسه في الشخص الآخر "[75]. وإذا تأملنا جيدا رأي دلتاي نجد أننا لم نفهم الشاعر في حياته، وقد رحل حاملا اتجاهنا علامات تعجب واستفهام.

هوامش المادّة العلمية:

[1]- نقلا عن : جمانة حداد . سيجيئ الموت وستكون له عيناك، الدار العربية للعلوم، ناشرون، لبنان، ص71

[2]- مرتاض (عبد الملك) : التحليل السيميائي للخطاب الشعري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص5.

[3]- مصطفى (عادل) : فهم الفهم، مدخل إلى الهيرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير. رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص151

[4]- فهم الفهم، ص151.

[5]- البازعي (سعد) والرويلي (ميجان): دليل الناقد الأدبي، (إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ص 214

[6]- دليل الناقد الأدبي، ص214.

[7]- دليل الناقد الأدبي، ص214

[8]- يشير أحمد عبد المعطي حجازي إلى أن الصياد القديم كان يرسم طريدته على الصخور وجدران الكهوف قبل أن يصطادها .. فكان يصيبها عندما يشعر بالإطمئنان، لأنه فاز بالثقة مسبقا للحصول عليها .. وقد لاحظ البدائيون أن أي تغير في الصورة لا بد أن ينتقل إلى الأصل، من هنا جعلوا الوحش صريعا في الرسم ليجدوه صريعا في الواقع .ينظر : مجلة الوسط البحرينية . يومية سياسية مستقلة، العدد 157 الصادر في: 1/ 3/ 1993، ص66.

9_ الطالبي (رجاء) : الموت في عيون الشعر العربي، مقال منشور على الانترنيت. شبكة ضفاف لعلوم اللغة العربية، dhifaaf.com، تاريخ الزيارة: 5 نوفمبر 2007 الساعة: 09:52.

10- أبو اليقظان: تأثير الأزمتين السياسية والاتصادية، مجلة الأمة، ع 135، (24 / 3/ 1937)، نقلاعن: ناصر (محمد)، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص92 .

11 - ناصر (محمد): الشعر الجزائري الحديث، نفسه، ص95 .

12- عقاق (قادة): دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001، ص242 .

13- دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ،نفسه، ص242.

14- ينظر :سيجيء الموت وستكون له عيناك، نفسه، ص71

15- يوسف (أحمد) : يتم النص، الجينيالوجيا الضائعة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص95

16- ولد الشاعر عبدالله بوخالفة. بمدينة بسكرة (شرقي الجزائر) - وتوفي بمدينة قسنطينة، بعد عمر قصير. حيث تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي بمسقط رأسه ببسكرة، كما نال شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) (1984)، وهو ما أهله للالتحاق بجامعة قسنطينة - قسم الفلسفة، غير أنه لم يكمل دراسته، ومات منتحرًا تحت عجلات القطار. عمل لفترة مفتشًا في الخزينة العامة للدولة ببسكرة (1984). التحق بالسلك السياسي مع حزب اشتراكي يعمل في السر في منطقة قسنطينة (1985)، واشترك في الاتحاد الرياضي البسكري لاعبًا لكرة القدم. شارك في مهرجانات شعرية منها: مهرجان الشاعر محمد العيد في بسكرة (1983) و(1988)، ومهرجان الأدب والثورة - سكيكدة (1988). إنتاجه الشعري: له قصائد منشورة في مجلات وصحف يومية وأسبوعية، منها: «ليزا» - الأفق الثقافي - يومية النصر - قسنطينة - 27 من مايو 1984، و«تسابيح» - الأفق الثقافي - يومية النصر - قسنطينة - 9 من سبتمبر 1984، و«الكفن الماطر» - جريدة النصر - قسنطينة - 24 من يناير 1987، و«شلال المغامرات» - جريدة المساء - 17 من يناير/ جانفي 1988، وله ديوان مخطوط بعنوان «رحلة التروبادور إلى جبل بومنقوش» في حوزة أسرته. (بومنقوش جبل يطل على مدينة بسكرة).

17- صفية كتو هو الاسم الفني للشاعرة التي كانت في وثائقها الرسمية تحمل اسم زهرة رابحي. وهي من مواليد 1944 (كان عمرها 45 سنة عند الانتحار)، وولدت في مدينة عين الصفراء عند بوابة الجنوب الغربي للجزائر، حيث اشتغلت مدرسة للغة الفرنسية لغاية سنة 1969 لتنتقل إلى مدينة الجزائر وفي سنة 1973 أصبحت صحافية في «وكالة الأنباء الجزائرية». وكانت محققة صحافية وتعاونت مع صحف كثيرة. ومن كتبها: المجموعة الشعرية «صديقتي القيثارة» سنة 1979 والمجموعة القصصية «الكوكب البنفسجي»، إضافة إلى عناوين أخرى. خرجت من بيتها ذات صباح شتوي بارد عند الساعة الثامنة والنصف، ولم تتردد في رمي جسدها من أعلى جسر تيليملي بالجزائر العاصمة، لتنتشل جثة هامدة عند الشارع السفلي من أعلى ثمانية طوابق كاملة. انتحرت في فترة التحولات التي عاشتها الجزائر بعد أحداث أكتوبر (تشرين الأول) 1988، وكانت تحسب على المعارضة.

18- فاروق سميرة. ولد بالحامّة بوزيان (قسنطينة - الجزائر)،سنة 1966. أنهى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي بمسقط رأسه، ثم التحق بمعهد الآداب واللغة العربية بجامعة قسنطينة وتخرج فيها (1988)، ثم واصل دراساته العليا لنيل الماجستير في جامعة الجزائر، لكنه انتحر قبل أن يناقش رسالته، وكان قد أصيب بأزمة نفسية عميقة إثر انتحار صديقه الشاعر عبدالله بوخالفة عام 1988. عمل مدرسًا في المدارس الثانوية، كما كان يحاضر في قسم اللغات الأجنبية بجامعة قسنطينة. كان عضوًا في اتحاد الكُتّاب الجزائريين، وعضوًا في جمعية (الجاحظية) الثقافية بالجزائر العاصمة، ونشط من خلال فعالياتها الثقافية، وقد انتمى إلى اليسار الجزائري ونشط من خلاله سياسيًا مع أبناء جيله. إنتاجه الشعري: له قصيدتان منشورتان ضمن كتاب «ديوان الحداثة» وهما: «تجاعيد» و«تمائم غزلية»، وقصائد منشورة في صحف ومجلات أخرى منها: «حيزية والفارس الجوال» جريدة النصر - 1988/11/23، و«البرتقال» و«خبب الغزالة» - مجلة القصيدة - منشورات الجاحظية - الجزائر 1995.

19 - ينظر: كليب (سعد الدين): القيم الجمالية في الشعر العربي الحديث 1950-1975، رسالة دكتوراه -جامعة حلب، سوريا، 1989، ص283.

20 - جريدة الشروق الثقافية الجزائرية، ع11 أكتوبر 1993، ص14، نقلا عن: أحمد يوسف، يتم النص، ص195.

21- الشاعر مالك بوذيبة من مواليد 1968 ببين الويدان ولاية سكيكدة، أنهى دراسته الابتدائية بمسقط رأسه والمتوسطة والثانوية بتمالوس - ولاية سكيكدة، بدأ الكتابة في سن مبكرة، ونشر أولى أعماله بجريدتي (النصر) و(أضواء) 1987، ثم والى النشر في الصحف الجزائرية والعربية، شارك في العديد من المهرجانات الشعرية والملتقيات الأدبية في الجزائر. حصل على عديد الجوائز الأدبية الوطنية والدولية، صدرت له المجاميع الشعرية: عطر البدايات، ما الذي تستطيع الفراشة ؟ قمر لأزمنة الرماد، وله مخطوط شعري بعنوان : قصائد استوائية إلى امرأة من القطبين، كما كتب عديد المقالات النقدية، عبر من خلالها عن رؤيته الشعرية، له مقاطع من رواية لم تكتمل، وسيرة ذاتية لم تنشر أيضا، اشتغل بالمحطة الإذاعية بسكيكدة، توفي في 02 أفريل 2012، بعد مرض عضال أخفاه عن جميع مقربيه، حيث كابد ويلاته في صمت لوحده، بعدما فر من المستشفى لينام نومته الأخيرة وسط عائلته الصغيرة. تمتع شاعرنا مالك بخصوصية سلوكية ميزته عن غيره، شأنه في ذلك شأن معظم المبدعين الكبار في العالم، كالقلق الشديد، والحساسية المفرطة اتجاه كل شيء، والعزلة أحيانا، والإحساس بالمغايرة، وعدم التأقلم مع الآخر، وحتى مع الذات، وفي هذا يتقاطع مع كثير من المبدعين أمثال رامبو، وبودلير، ونيتشه، وكافكا وكيركيجارد، وميشيل فوكو، وجان جينيه، وفلوبير، ومارسيل بروست...الخ، فالتركيبة النفسية لهؤلاء الكتاب لم تكن مستقرة .

22- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص159

23- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص161/160

24-قاروط (ماجد) : المعذب في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان، من عام 1945 إلى عام 1985، منشورات اتحاد الكتاب العرب سوريا، 1999 ص13.

25- منصر (نبيل) الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار طوبقال للنشر، المغرب، ط1، 2007، ص 21

26- الصفراني (محمد) : التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث. (1950 – 2004م)، المركز الثقافي العربي، 2008، ص 22

27- عبد الرزاق (بلال) : مدخل الى عتبات النص، إفريقيا الشرق .المغرب ط1، 2000، ص 23

28- ينظر : وغليسي (يوسف) : الأوراس في الشعر العربي المعاصر، أعمال الملتقى الدولي الخامس: السيمياء والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص98.

29- الصفراني (محمد) : التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ص 133

30- حينما أهداني الشاعر الراحل مالك بوذيبة مجموعته الشعرية على هامش أشغال مؤتمر اتحاد الكتاب الجزائريين بالجزائر العاصمة، سنة 2009، شد انتباهي شكلها الغريب، والجديد أيضا بالنسبة لما تعودنا عليه، وكذلك لونها الأصفر، و عنوانها الذي غير مرات عديدات، وخطه الذي جاء باللون الأحمر محاطا بالأبيض.

31- ينظر ويكيبيديا، على شبكة الانترنيت: ar. Wikipedia.org

32-- السلوي (مصطفى) : عتبات النص (المفهوم والموقعية والوظائف)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم 71، جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب، ط1، 2003، ص 161

33- عتبات النص (المفهوم والموقعية والوظائف) :(م ن). ص: 160

34- عتبات النص (المفهوم والموقعية والوظائف) :(م ن): ص 163

35- ينظر : بلعابد (عبد الحق) : عتبات (جيرار جنيت من النص الى المناص)، منشورات الاختلاف، و الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1 2008، ص 68

36- عتبات النص (المفهوم والموقعية والوظائف) :(م ن)، ص: 172

37- أمتلك مخطوطة بقلم الشاعر لهذه المجموعة الشعرية، كان قد منحني إياها قصد توضيبها على جهاز الكمبيوتر، وهي بعنوان : رحيل الشعراء والفراشات.

38- يقول عن ذلك صديقه الشاعر والناقد يوسف وغليسي : هو شاعر أنهك الموت أسرته، وقد بدأ أفراد أسرته الكبيرة نسبيا يسقطون كأعجاز نخلخاوية، منذ مطلع سنوات التسعين، مات شقيقه (سعد) مريضا، ثم مات شقيقه الأكبر (عمار (مغتالا، وماتت أمه (عمتي الزغدة) بعد مقاومة عسيرة لمرض عصبي متقطع، ثم مات والده) عمي الصغير)...فأي قلب حديدي يستطيع أنيحتمل نشيج كل هذه الجنازات الفظيعات ؟... ! . يومية النصر، العدد 14233. الصادرة بتاريخ :16 نوفمبر 2012.

39- عقاق (قادة): دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ص253.

40- هذه القصيدة من مجموعته المخطوطة : قصائد استوائية إلى امرأة من القطبين .

41- حمداوي (جميل) عتبة الاهداء في الشعر العربي، على الشابكة، موقع : مؤسسة بابل للثقافة والإعلام : babylon-center.net

42- عتبات النص (المفهوم والموقعية والوظائف) :(م ن)، ص 161

43- بلعابد (عبد الحق). عتبات (جيرار جنيت من النص الى المناص)، ص: 107

44- الحجمري (عبد الفتاح)، عتبات النص، البنية و الدلالة، منشورات الرابطة، المغرب، ط1، 1996، ص 31

45- بلعابد(عبد الحق). عتبات (جيرار جنيت من النص الى المناص)، ص:108

46- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص8/7

47- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص8

48- مالك بوذيبة: ما الذي تستطيع الفراشة ؟، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2009، ص6

49- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص9

50- نقلا عن فهم الفهم، ص206

51- ينظر، الواد، (حسين): في مناهج الدراسات الأدبية، سراس للنشر، تونس، 1985.، ص ص: 7/ 9.

52- نظرا لتكراره اللافت للفظة حزين بهذا الشكل في جل أشعاره، أطلقنا عليه نحن أصدقاؤه تسمية مالك الحزين .

53- ما الذي تستطيع الفراشة؟ ص65.

54- يحيل هذا المقطع الشعري على قصيدة الطلاسم للشاعر إيليا أبي ماضي والتي تقول : جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيتُ / ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيت/وسأبقى ماشياً إن شئتُ هذا أم أبيت/كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟/لستُ أدري؟

55- قاروط (ماجد): المعذب في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان من 1945 إلى 1985، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1999، المقدمة .

56- داكو، بيير : الانتصارات المذهلة لعلم النفس الحديث ج1، تر: وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ص15.

57- عقاق (قادة): دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، نفسه، ص212

58- قادة عقاق، نفسه، ص213

59- قادة عقاق، نفسه، ص167.

60- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص151

61- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص105/104

62- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص106

63- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص61

64- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص170

65- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص172

66- حنا (عبود): النحل البري والعسل المر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1982، ص77/ 78

67- وغليسي (يوسف) في وداع مالك بوذيبة، جريدة النصر، العدد 14233، الصادرة بتاريخ : 16 نوفمبر 2012.

68- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص54
69- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص82
70- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص85/84
71- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص175/174
72- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص177/176
73- ما الذي تستطيع الفراشة ؟، ص179
74- ينظر : فهم الفهم، ص142
75- فهم الفهم، نفسه، ص146

منهج الشريف الجرجاني (ت816هـ) في الكشف عن دلالة المصطلحات من خلال معجمه: (التعريفات)

ملخص

تهدف الدراسة إلى تحديد طرق كشف الشريف الجرجاني لدلالة المصطلحات في معجمه التعريفات، وقد أسفرت النتائج عن تعدد الطرق وتباينها بين طرق أساسية وطرق مساعدة، تمثّلت الطرق الأساسية في: الشرح بالتعريف الذي شكّل أساسا متينا استندت إليه مصطلحات معجم التعريفات، وذكر الدلالتين اللغوية والاصطلاحية، وهي طريقة مفيدة في تبيان التطور الدلالي للفظ في سيرورته ليصبح مصطلحا علميا، إضافة إلى طريقة التوضيح بالضدّ، أمّا الطرق الثانوية فتمثلت في استخدام الأمثلة التوضيحية التي اتّخذت منحى مغايرا لما اشتهرت به المعاجم العربية، وكذلك اعتمد الجرجاني قبل تبيان دلالة المصطلحات على الضبط اللغوي إضافة إلى ذلك نجد الجرجاني قد اعتمد على التأثيل في تعامله مع المصطلحات الأعجمية والمعرّبة.

أ. هدى منـاصر

قسم الآداب واللّغة العربية
جامعة قسنطينة1
الجزائر

Abstract

The present study aims at determining the different methods Al-Sheriff Al-Jurjani used to express the significance of terms in his lexicon ((The definitions)) (Al-taarifat). It was found that the many and various methods are of two kinds: basic and secondary. Regarding the basic methods explaining the terms through the definition forms the solid foundation of ((The definitions)) lexicon. The other method is including both the linguistic and idiomatic significance of the terms or expressions to effectively show there semantic development towards technical or scientific ones. The third method is the use of antonyms in the explanation of the terms. Concerning the secondary methods Al-Jurjani, unlike what is common in the other Arabic lexicons. Al-Jurjani relied on etymology to deal with the foreign and arabized terms. All in all, Al-Jurjani's definitions were very concise in some cases and ambiguous in others.

مقدمة

اعتنى العرب بلغتهم منذ العصر الجاهلي، وقد ازداد هذا الاعتناء بشكل جليّ مع ظهور الإسلام، ويمثّل التأليف المعجمي ضربا من ضروب النشاط الدؤوب للحفاظ على جوهر العربية الفصحى، ولعلّ نموّ شجرة التأليف وتداني قطوفها أفضى بها إلى أن تؤتي أكلها في جوانب مختلفة؛ حيث إنّه بظهور العلوم والفنون تراكمت على ضفاف كلّ علم مصطلحاته الخاصة، ممّا حدا بعلماء العرب أن ينتجوا نوعا مختلفا من المعاجم يحتضن هذه المصطلحات، من بين هذه المعاجم: معجم التعريفات للشريف الجرجاني (ت816هـ). هذا المعجم الذي نحاول –في دراستنا هذه- أن نستكشف

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2013.

من خلاله طرق شرح دلالة المصطلحات، موضحين ذلك بشواهد مستقاة منه.

ولا يخفى على أحد أهمية ولوج عالم المصطلحات من جهة، وسبر أغوار هذا المعجم الذي كان ولا يزال منهلا تشدّ إليه رحال الفكر، وتستقي منه أقلام المؤلفين من جهة أخرى، وعلى الرغم من قيمته البارزة لم تفرد له –على حدّ علمنا- دراسات خاصة تجوب أعماقه وتتقصى مادته العلمية المتينة، فما كتب عن تعريفات الجرجاني لا يعدو أن يكون صفحات قليلة مبثوثة في ثنايا الحديث عن المعجمات العربية، بل إنّه من الغريب أن نجد كتبا تحمل اسم "المعاجم العربية" لكنّها لا تتطرق إلى ذكر هذا المعجم، فالملاحظ أنّ الذي يدور في فلك الاستنساخ وتجري أقلام المحدثين به هو دراسات للمعاجم اللغوية العامة، وفي مقابل ذلك قلّة الدراسات التي تعالج المعاجم المتخصصة (معاجم المصطلحات).

أمّا عن الدراسات الموازية في هذا المجال فنجد:

- "طرق كشف المعنى في المعجمات الفقهية المتخصصة"، فصل ضمن رسالة دكتوراه موسومة بالبحث الدلالي في المعجمات الفقهية المتخصصة، تقدم بها دلدار غفور حمد أمين، استعرض الباحث في هذا الفصل بعض الطرق لشرح دلالة المصطلحات، مستشهدا بنماذج استقاها من بعض المعاجم الفقهية المتخصصة.

- "مناهج أصحاب كتب غريب القرآن في التأليف، وطرق معالجتهم لدلالات الألفاظ الغريبة"، دراسة تقدم بها أحمد نعيم الكراعين، ضمن كتابه: علم الدلالة بين النظر والتطبيق.

هذا ولم نعثر على دراسات أفردت للحديث عن هذه المسألة بقضاياها المتشعبة التنظيرية والتطبيقية.

وقبل الإبحار في رحلة مصطلحات معجم التعريفات وتقصي مادته اللغوية، لنا أن نتساءل عن منهج الجرجاني في عرض دلالة المصطلحات، أو ما هي طرق كشف دلالة المصطلحات في معجم التعريفات؟.

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل لابد أن نعرّف بهذه المدوّنة التراثية أوّلا.

أوّلا: معجم التعريفات: لعلي بن محمّد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي المعروف بالشريف الجرجاني المتوفى سنة (816هـ) [1].

"إذا كان المعجم العربي –على اختلاف مدارسه- [2] قد انشغل ببيان دلالات الألفاظ العربية في إطارها الوضعي بمستوييها الحقيقي في الغالب، والمجازي في القليل النادر، فهناك تيار أو اتجاه معجمي كان همّه الأساسي هو بيان دلالات الألفاظ في إطارها الاصطلاحي، وهو ما سمّاه علماء اللغة (معاجم المصطلحات العربية)، أو المعاجم

المتخصصة [3]، "ونكني بالمعاجم الاصطلاحية العربية عن مصنفات تضمّ مصطلحات العلوم الأصلية والآلية، وعلوم الأمم الأخرى المجارية لها من أثر التداخل المعرفي الناشئ من جهود الترجمة منذ بداية التدوين، ولعلّ البواعث إلى تصنيفها تختلف من مصنّف إلى آخر" [4]. من بين هذه المعاجم: مفاتيح العلوم لأبي عبد الله محمّد بن أحمد بن يوسف الكاتب البلخي الخوارزمي(ت 387 هـ)، التعريفات للشريف الجرجاني (ت816هـ)، التعريفات لأحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي (ت940هـ)، التوقيف على مهمّات التعاريف، لمحمّد عبد الرؤوف المُناوي (ت1031هـ)، الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت1094هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون، لمحمّد علي التهانوي من أهل القرن الثاني عشر الهجري [5].

وما يهمّنا في دراستنا: معجم التعريفات للشريف الجرجاني، و(هو مختصر في مصطلحات العلوم والفنون، مرتب على الحروف في غاية الدّقة والإيجاز، طبع في القاهرة عام 1816، وفي استانبول سنة 1837، وفي ليبزغ بعناية المستشرق الألماني فلوجل سنة 1845، وعام 1306 هـ بالمطبعة الخيرية بالقاهرة ومعه في هذه الطبعة رسالة في اصطلاحات التصوف الواردة في الفتوحات المكية لابن عربي، وفي سانت بطرسبرج سنة 1887، وطبعة أخرى صدرت عن مطبعة بابي الحلبي عام 1357 هـ)[6]، ويعدّ كتاب الجرجاني أصلا وأساسا اعتمد عليه كلّ من جاء بعده، فهو موسوعة شاملة لمصطلحات الفنون والعلوم [7]، من فقه ولغة وفلسفة، ومنطق وتصوف، ونحو وصرف، وعروض وبلاغة.

ومنهج الجرجاني في إيراد مصطلحاته هو المنهج الهجائي الذي ذاع وانتشر، نظرا ليسره وسهولته، "وقد أدّى اعتماده على أصول الكلمة في الترتيب الهجائي إلى تباعد المصطلحات المشتقة من مادة لغوية واحدة، وتفرّقها في حروف مختلفة" [8].

إنّ ما لاحظناه أثناء تقصينا لمصطلحات التعريفات أنّها ليست مرتبة ترتيبا هجائيا يراعي كافة حروف الكلمة كما هو معروف في اللغة العربية، إنّما هو يراعي الترتيب الألفبائي للحرفين الأول والثاني فقط، فنجد مثلا مصطلح: (الإيمان) أسبق من مصطلح (الإيلاء) ، (الإيهام) أسبق من (الإيلاء).

"ويعدّ كتاب التعريفات نموذج التحوّل كلية من الوافد إلى الموروث، ويمثّل كتابا للمصطلحات بعد فترة الانهيار في عصر الشّروح والملخصات مصادره العقائد... مرتبة ترتيبا أبجديا إيذانا بالمعاجم والقواميس الحديثة معظمها تجميع أقوال مأخوذة من العلماء والفقهاء والمتكلّمين والصوفية وعلماء النحو والصرف والبلاغة" [9].

يقول الجرجاني في مقدّمة كتابه: (هذه تعريفات جمعتها، واصطلاحات أخذتها من كتب القوم، ورتبتها على حروف الهجاء من الألف إلى الياء، تسهيلا لتناولها للطالبين، وتيسيرا لتعاطيها للراغبين) [10].

وقد سلك الجرجاني سبلا متعددة في كشفه لدلالة مصطلحات مختلف العلوم، وقبل التعرّف على هذه السبل لابدّ من تحديد مفهوم المصطلح.

ثانيا: تعريـف المصطلـح:

من الضروري بمكان -ونحن نتناول المصطلح بالدراسة – أنّ نبيّن المقصود به قبل الوقوف عند طرق كشف دلالته في معجم التعريفات.

"إنّ لفظ مصطلح من صلَح أو صلُح صلاحًا وصُلوحًا وصَلاحَةً بمفهومه الحالي لم يدخل المعاجم إلاّ أواسطٍ[القرن الماضي]، فلا ذكر له في المعاجم التراثية، ولا حتّى الطبعات الثلاث من المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية (بالقاهرة) إلاّ إذا اعتبرناه [مثل] اسم المفعول من اصطلح، واردا ضمنا من جملة مئات ألوف الاشتقاقات الممكنة، التي توردها المعاجم، فالمعاجم العربية تضمّن مفهوم المصطلح لفظة اصطلاح" [11].
"والاصطلاح (مصدر اصطلح) فهو في اللغة: تصالح القوم، وهو أن يقع الصلح أي السلم بينهم، وهو أيضا: العرف الخاص"، وهو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص" [12].

وأشهر التعريفات التي يتداولها المؤلفون في مصنفاتهم تعريف الشريف الجرجاني، حيث يحدّد الاصطلاح بقوله: (**الاصطلاح**: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأوّل، و**الاصطلاح** أيضا: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل: **الاصطلاح**: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل: **الاصطلاح**: إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل: **الاصطلاح**: استعمال لفظ معيّن بين قوم معينين) [13].

والجرجاني في إيراده لكلّ هذه التعريفات إنّما يضيف بين تعريف وآخر سمة من سمات المصطلح، فالممعن في هذا النّص الشارح للاصطلاح يخرج بالنتائج الآتية:
– للاصطلاح وضعان؛ وضع أوّل هو المعنى اللغوي، ووضع ثان هو الذي يحمل دلالته الضيقة المتخصصة في مجال محدد.
– من مكوّنات العملية الاصطلاحية: المناسبة بين الوضع الأوّل، والثاني.
– من شروط العملية الاصطلاحية الاتفاق بين طائفة من المتخصصين.
– يثير التعريف الثالث قضية وضع المصطلح دون أن يكون له وجود سابق ضروري، وفي ذلك تلميح إلى وسائل وضع المصطلح نحو التوليد، والتعريب.
– من شروط المصطلح أن يكون متخصصا في مجال معيّن، تدلّ على ذلك من قول الجرجاني العبارتان: (بين قوم معينين)، (اتفاق طائفة).
وغير بعيد عن هذه التعريفات قول أبي البقاء الكفوي (ت1094هـ) (محددا الاصطلاح بعد أن يقدّم التعريفين الثالث والرابع الذين قدّمهما الجرجاني في تحديده للاصطلاح [14]): (والاصطلاح مقابل الشرع في عُرف الفقهاء، ولعلّ وجه ذلك أنّ الاصطلاح: افتعال من الصلح والمشاركة كالاقتسام، ويستعمل الاصطلاح غالبا في العلم الذي يُحصّل معلوماته بالنظر والاستدلال، فإن كان من الشارع فوضع شرعي

(فقهي)، كوضع الصوم والصلاة، وإلاّ فإن كان من قوم مخصوصين كأهل الصناعات من العلماء وغيرهم فوضع عرفي خاص، كوضع أهل المعاني: الإيجاز والإطناب....) [15].

ولعلّ ما يميّز هذا التعريف عن بقية التعاريف هو أنّه يضفي على الاصطلاح سمة جديدة وهي تغيّر دلالته تبعا لتنوّع المجال المعرفي الذي يرد فيه.

وإذا تخطينا الكمّ الهائل من المعاجم العربية التي تقدّم المصطلح عبر بوابة لفظ آخر هو "الاصطلاح" نجد المعجم الوجيز الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة يورد لفظ (مصطلح) كمدخل مستقل: (المصطلح لفظ أو رمز يتفق عليه في العلوم والفنون للدلالة على أداء معنى معيّن) [16]، وهو المعنى نفسه الذي أورده المعجم شرحا للفظ اصطلاح[17].

وأبسط تعريف للمصطلح هو أنّه: "الكلمات المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصص الواحد للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصص" [18].

ويلعب المصطلح دورا أساسيا في اللغة بما يغدقه من إثراء على اللغة، فمعرفة المصطلح بمثابة المفتاح الذي يفتح لنا أبواب العلوم لنلج عوالمها ونكتشف كنهها، فكما قال الشيخ قاسم القونوي (ت 978هـ): (بمعرفة المصطلحات تُعرف معاقل العلوم، وتتميّز المتشابهات من الفنون، ويزول اللبس والغموض عن معضلات السائل وما هو خفيّ ومكنون) [19].

وقد قدّم لنا الجرجاني طائفة لا بأس بها من المصطلحات من مختلف العلوم في معجمه التعريفات نحاول فيما يأتي أن نكتشف طرق عرضه لدلالتها.

ثالثا: طرق كشف دلالة المصطلحات في التعريفات:

تستحوذ دلالة الكلمات على اهتمام المعجمي، لأنّها من أهمّ المطالب لمستعمل المعجم، لذلك عُني أصحاب المعاجم –عامة- والمعاجم الاصطلاحية –خاصة- بمسألة الكشف عن دلالة الكلمات، ونهجوا في ذلك سبلا شتى، ومن بين هؤلاء الجرجاني في معجمه (التعريفات)، حيث تراوحت وسائل الكشف عن المعنى عنده بين طرق أساسية وطرق مساعدة [20].

الطرق الأساسية: وهي الطرق التي لا يستغنى عنها في شرح المعنى، وتجسدت في معجم التعريفات في: الشرح بالتعريف، وذكر الدلالتين اللغوية والاصطلاحية.

-الشرح بالتعريف:

"يعدّ الشرح بالتعريف تمثيلا للمعنى بواسطة كلمات أخرى، بمعنى أنّه يعيد التعبير عن المعنى بألفاظ أخرى"[21]، "والتعريف المنطقي يكون بذكر جنس الشيء وفصله النوعي أو خاصته، فالجنس لتحديد الماهية، والفصل أو الخاصة لتمييزه عن بقية الأنواع الداخلة تحت جنسه[22].

ويزخر معجم التعريفات بالمصطلحات التي استندت إلى هذا النوع من طرق الشرح، من ذلك:

-تعريف الجرجاني **للأب** بأنّه: (حيوان يتولد من نطفة شخص آخر من نوعه)[23].

-**الأجرام الفلكية**: هي الأجسام التي فوق العناصر من الأفلاك والكواكب[24].

-**الاستحالة**: "حركة في الكيف، كتسخين الماء وتبريده مع بقاء صورته النوعية[25].

-**الأسطوانة**: "شكل يحيط به دائرتان متوازيتان من طرفين هما قاعدتاه، يصل بينهما سطح مستدير يُفرض في وسطه خط مواز لكلّ خط يفرض على سطحه بين قاعدتين"[26].

-**الإنسان**: هو الحيوان الناطق [27].

وغير هذه الأمثلة كثير جدّا في معجم التعريفات، فالجرجاني اتّخذ من وسيلة الشرح بالتعريف أساسا متينا أقام استند إليه في عرض دلالات المصطلحات، على الرغم من عدم استيفائه لشروط التعريف الجيّد، فقد اتسّمت تعريفاته في كثير من الأحيان بالإيجاز والاختصار.

وقد "وضع العلماء منذ أفلاطون وأرسطو شروطا للتعريف الجيّد، وأضاف إليها الفلاسفة والمناطقة المحدثون وعلماء الدلالة والمعاجم شروطا أخرى من خلال الممارسة والتجربة الفعلية، من ذلك: الإيجاز الذي لا يخلّ بالمعنى، السهولة والوضوح، تجنب الدور، تجنب الإحالة إلى مجهول، أو إلى شيء لم يعرّف في مكانه، مراعاة النوع الكلامي للكلمة المعرفة، فتعريف الاسم لابدّ أن يبدأ باسم،...، وينبغي في تفسير الأشياء المادية أن يشار إلى الشكل الخارجي، والوظيفة والخصائص المميزة، ويشترط كذلك أن يكون التعريف جامعا شاملا لكلّ أفراد المعرّف" [28].

وللإشارة فإنّ الجرجاني قد استخدم الإحالة في موضع واحد، وذلك في تعريفه لمصطلح: (الأسطقس)، حيث قال: (**الأسطقس**: يُعرَف من تعريف الدّاخل)[29].

وهو في تعريفه لا يحيل إلى مجهول، وإنّما إلى شيء عُرّف في مكانه، حيث يُعرّف الجرجاني (**الدّاخل**) بقوله: (**الدّاخل**: باعتبار كونه جزءا يسمّى ركنا، وباعتبار كونه بحيث ينتهي إليه التحليل يسمّى **أسطقسا**، وباعتبار كونه قابلا للصورة المعينة يسمّ مادة وهَيولى....)[30].

- ذكر الدلالتين اللغوية والاصطلاحية:

من المأثور عن العرب نقل الألفاظ واستعمالها أسماء ومصطلحات اقتضتها نشأة العلوم المختلفة، وخير دليل على ذلك المصطلحات الفقهية، حيث لجأ العرب إلى ألفاظ عربية الأصل، وقاموا بتحوير مدلولها الساري –بعد الإبقاء على أصل بنيتها اللغوية- وأكسبوها معان خاصة ضيقة في لغة الفقهاء، وتندرج المصطلحات الفقهية ضمن الألفاظ الإسلامية، التي عرّج عليها علماء العرب في ثنايا مؤلفاتهم، وبيّنوا ما للإسلام من أثر في تغيّر دلالة هذه الألفاظ عمّا كانت عليه في الجاهلية، وعلى رأس هؤلاء: ابن فارس (ت395هـ)، حيث يقول -ضمن باب في كتابه (الصاحبي) أسماه: "الأسباب الإسلامية"-: (كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم

ونسائكهم وقرابينهم، فلمّا جاء الله جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونُسخت ديانات، وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرّعت، وشرائط شرطت...) (31).

ويعقب ابن فارس قوله هذا بأمثلة ممّا جاء في الشّرع مثلا: (الحجّ لم يكن عندهم [عند العرب] غير القصد، وسبر الجراح....ثمّ زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحجّ وشعائره) (32).

وقد تفطّن ابن فارس إلى الفرق الجليّ بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؛ حيث يذكر أنّ لكلّ مصطلح من مصلحات أيّ علم من العلوم اسمين: لغوي وصناعي (خاص بفنّ معيّن؛ أي اصطلاحي متواضع عليه (33)، "ولا توضع المصطلحات ارتجالا، فلابد في كلّ مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله اللغوي والاصطلاحي" (34).

ولعلّ ذكر المدلول اللغوي والاصطلاحي للمصطلح وسيلة بارزة من وسائل كشف دلالات المصطلحات، استندت إليها المعاجم الاصطلاحية العربية، يحفل معجم التعريفات بنماذج خصبة تدلل على ذلك.

ومن العبارات التي استخدمها الجرجاني لتبيان الدلالة الاصطلاحية، ولتحديد العلم الذي يحيا في كنفه المصطلح (35) ما يأتي: (عند النحويين)، (في عرف النحاة)، (في اصطلاح النحويين)، (في اصطلاح الفقهاء)، (في اصطلاح علماء البيان)، (في الشرع)، (عند النحاة)، (عند أهل الحقيقة)، في اصطلاح علماء الهندسة)،(عند الحكماء)، (عند المنطقيين)، (عند المتكلمين)، (عند الصرفيين)، (في اصطلاح المتكلمين)، (في الشريعة)، (في اصطلاح القوم)، (في العروض).

وهذا التحديد يعدّ من قبيل ذكر المجال الدلالي العام للمصطلح.

وقد رأينا أن نستقي من (التعريفات) نماذج من كلّ علم ذكرت فيه الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية للمصطلح المعروض:

أ- المصطلحات الأصولية: تندرج ضمن علم (أصول الفقه) ومنها:

-الإجماع: **"في اللغة**: العزم والاتفاق، و**في الاصطلاح** : اتفاق المجتهدين من أمّة محمّد عليه الصلاة والسّلام في عصر على أمر ديني" (36).

-الاجتهاد: **في اللغة**: بذل الوسع، و**في الاصطلاح**: استفراغ الفقيه الوَسع المقصود من جهة الاستدلال" (37).

ب- المصطلحات الفقهيـة: ومنها:

-الاعتكاف: "هو **في اللغة**: المقام والاحتباس، و**في الشّرع**: لبث صائم في مسجد جماعة بنية" (38).

-الأذان: "في اللغة: مطلق الإعلام، و**في الشّرع**: الإعلام بوقت الصّلاة بألفاظ معلومة مأثورة" (39)

- ومن هذه المصطلحات أيضا: البيع ، التخارج ، التركة، الحج ، الحجر.... [40].

ج- المصطلحات العقدية: ومنها:

- **"الإيمان في اللغة**: التصديق بالقلب، **وفي الشرع**: هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللّسان" [41].

-**الإحسان: لغة**: فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير، **وفي الشريعة:** أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك [42].

د- المصطلحات الصوفية: منها:

- **التقديس**: **"في اللغة**: التطهير، **وفي الاصطلاح**: تنزيه الحق عن كلّ ما لا يليق بجنابه، وعن النقائص الكونية مطلقا، وعن جميع ما يعدّ كمالا بالنسبة إلى غيره من الموجودات مجردة كانت أو غير مجردة "[43].

هـ- المصطلحات النحوية: ومنها:

-الإسناد: **في عرف النحاة**: "عبارة عن ضمّ إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة: أي على وجه يحسن السكوت عليه، **وفي اللغة**: إضافة الشيء إلى الشيء" [44].

و-المصطلحات البيانية: ومنها:

- **التشبيه**: **"في اللغة**: الدلالة على مشاركة أمر لآخر...**وفي اصطلاح علماء البيان**: هو الدلالة عل اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس..." [45].

والملاحظ في تعريف المصطلح النّحوي (الإسناد): تقديم الدلالة الاصطلاحية على الدلالة اللغوية، بخلاف باقي المصطلحات.

وما هذا التدرج في عرض الدلالة إلاّ من قبيل التطوّر الدلالي للألفاظ[46]؛ إذ يندرج ضمنه استعمال اللفظ اسما أو مصطلحا علميا، ومرّ معنا الحديث عن الألفاظ الإسلامية، فنشأة علم الفقه اقتضت أن تكون مصطلحاته عربية أصيلة تسري في أوصال التراث العربي، وذلك لأنّ هذا العلم يشكّل كيان الدين الإسلامي الحنيف.

ويتربع صنيع أبي حاتم الرازي على عرش الريادة في هذا المجال، إذ ذكر صاحبه أنّه أوّل مرجع يتضمن الأسماء التي نطق بها القرآن، والألفاظ التي اصطلح عليها المسلمون، حاول فيه أن يجمع كلمات تغيرت مدلولاتها عمّا كانت عليه في العصر الجاهلي[47].

والممعن في مصطلحات العلوم في معجم التعريفات يجد أنّ الجرجاني قد ركّز على ذكر الدلالتين اللغوية والاصطلاحية للمصطلحات الفقهية أكثر من غيرها، وربّما يعزى ذلك إلى أنّ سبل الوضع تختلف بين النوعين، فالمصطلحات الفقهية –كما سبق الذكر- ما هي إلاّ ألفاظ عربية أصيلة، في حين أنّ بقية المصطلحات منها ما هو مقترض.

ونجد أنّ الجرجاني قد يكتفي بذكر إحدى الدلالتين (اللغوية أو الاصطلاحية) دون الأخرى، فكأنّه رأى وضوح هذه أو تلك.

ففي ذكر الدلالة اللغوية لوحدها نجد مثلا: **"الإدماج**: إدخال الشيء في الشيء، يقال: أدمج الشيء في الثوب إذا لفّه فيه [48].

ومن أمثلة ذكر الدلالة الشرعية لوحدها:

الإحصان: "هو أن يكون الرجل عاقلا بالغا مسلما، دخل بامرأة بالغة عاقلة حرة مسلمة بنكاح صحيح" [49]، فهذا المصطلح فقهي، أورد الجرجاني دلالته الشرعية فقط.

- التوضيح بالضدّ والنقيض:

"يقصد بالأضداد في اصطلاح اللّغويين: الكلمات التي تؤدّي معنيين متضادين بلفظ واحد. ككلمة (الجَون) تطلق على الأسود ، والأبيض. و(الجلل) تطلق على الحقير والعظيم"[50].

يقول أبو الطيّب اللّغوي: (ومن الأضداد: (البين). وقالوا البين: الافتراق، والبين: الاتّصال، فمن الافتراق قولهم: تَبَايَنَ الَقومُ، يَتَبَايَنُونَ تَبَأُينًا؛ أي افتَرَقُوا وانقطع كلّ واحد عن صاحبه. قال القطامي (من شعراء النّصارى, ابن أخت الأخطل) :

أَلَمْ يُحْزِنْكَ أنَّ حِبَالَ قَيْس وَتَغْلُبَ قَدْ تَبَايَنَتْ اِنْقِطَاعَا

ويُمَثَّل للبين بمعنى: الاتّصال بقوله تعالى: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنكُمْ»(الأنعام/94). قال أبو عبيدة: معناها: وصلكم)[51].

أمّا مصطلح التّضاد: "يستخدم في الدلالة على((عكس المعنى))؛ فالكلمات المقابلة (opposite) هي Antonymes "(52)، "وهو أحد مصطلحات علم الدّلالة الحديث (53).

وما نريده نحن بالضدّ أو النقيض معناه عند المحدثين؛ أي خلاف المعنى، وتجسد ذلك في معجم التعريفات من خلال المصطلحين الآتيين:

-**الأبدي**: ما لا يكون منعدما [54].

-**السقيم من الحديث**: خلاف الصحيح منه، وعمل الراوي بخلاف ما رواه يدلّ على سقمه [55].

-**الباطل**: هو الذي لا يكون صحيحا[56].

وهذه السبيل في توضيح المعنى مفيدة مبينة "لأنّ الضدية نوع من العلاقة بين المعاني، بل ربّما كانت أقرب إلى الذّهن من أيّة علاقة أخرى؛ إذ إنّ استحضار أحدهما يفضي إلى استحضار الطرف الآخر [57]، وفي هذا يقول ابن قتيبة: (ولن تكمل الحكمة والقدرة إلاّ بخلق الشيء وضدّه، ليعرف كلّ واحد منهما بصاحبه، فالنور يعرف بالظلمة، والعلم يعرف بالجهل، والخير يعرف بالشرّ...) [58].

الطرق المساعدة: لا تعتمد لوحدها، بل هي مساعدة للطرق السالفة الذكر، وقد تباينت في معجم التعريفات بين: استخدام للأمثلة التوضيحية، والضبط اللغوي للكلمات، والتأثيل (التأصيل الاشتقاقي).

- استخدام الأمثلة التوضيحية:

إنّ نظرة ممعنة في دلالة المصطلحات الواردة في معجم التعريفات تستوقفك عند جملة من الشواهد اللغوية، ساقها الجرجاني لتوضيح المعنى، وتكمن قيمة الأمثلة التوضيحية في: "دعم المعلومة الواردة في التعريف، ولهذا يعتبرها [يعدّها] الكثيرون جزءا هاما من التعريف المعجمي، وليست مجرّد لواحق أو زوائد تابعة" [59]، وقد تنوعت هذه الشواهد في معجم التعريفات بين آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة، وأبيات شعرية.

أ- **الآيات القرآنية**: استشهد الجرجاني في مواضع عديدة بآيات قرآنية لتوضيح دلالة المصطلحات من ذلك:

-" **الإيهام**: ويقال له التخييل أيضا، وهو أن يذكر له معنيان: قريب وغريب، فإذا سمعه الإنسان سبق إلى فهمه القريب، ومراد المتكلّم الغريب، وأكثر المتشابهات من هذا الجنس، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَوَات مَطْوِيَات بِيَمِينِهِ ﴾ (الزمر/67)" [60].

-"**الاحتراس**: هو أن يؤتى في كلام بوهم خلاف المقصود بما يدفعه أي يؤتى بشيء يدفع ذلك الإيهام نحو قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾(المائدة/ 54) فإنّه تعالى لو اقتصر على وصفهم بأذلة على المؤمنين لتوهم أنّ ذلك لضعفهم، وهذا خلاف المقصود فأتى على سبيل التكميل بقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾(المائدة/ 54)" [61].

ومثل هذا التمثيل ورد أيضا في المصطلحات الآتية: الاسم الأعظم، بيان التقرير، بيان التفسير، التأويل، التتميم، الشعر،.....[62].

والملاحظ على طريقة استشهاد الجرجاني بالآيات القرآنية في توضيح دلالة المصطلحات هو أنّه استخدمها لغرض التدليل على المعنى لا على اللفظ؛ أي أنّه لم يحتج بالآيات القرآنية لتبيان مواضع ورود المصطلح كسياقات لغوية، وإنّما مثّل بها لدلالة المصطلح، فهو يسوقها لتجلية المعنى لا لتوضيح استخدامات اللفظ كما هو معهود في كثير من المعاجم العربية، فالطريقة الأولى هي من باب التمثيل وتوضيح المعنى، في حين أنّ الثانية من باب الاحتجاج على ورود اللفظ في القرآن الكريم.

ب-**الأحاديث النبوية الشريفة:**

إذا ما أردنا إحصاء مواضع الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة نجد أنّها وردت في سبعة مواضع، نذكر منها ما أورده في تعريف (**الاستقامة**) حيث يقول: (هي كون الخطّ بحيث تنطبق أجزاؤه المفروضة بعضها على بعض على جميع الأوضاع، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي الوفاء بالعهود كلّها وملازمة الصراط المستقيم ، برعاية حدّ التوسط في كلّ الأمور من الطعام والشراب واللباس، وفي كلّ أمر ديني ودنيوي، فذلك هو الصّراط المستقيم، كالصراط المستقيم في الآخرة، ولذلك قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (**شَيَّبَتْنِي سُورَةُ هُود**) أخرجه الترمذي) [63].

وكذلك استشهد الجرجاني بأحاديث نبوية في عرضه للمصطلحات الآتية: الأعراف، الإعنات، البخل، التفريد، الضرّ، الضنائن[64].

وما قيل عن استشهاد الجرجاني بالآيات القرآنية يقال عن استشهاده بالأحاديث النبوية الشريفة؛ فهو لا يحتج بها كمواضع لاستخدامات المصطلحات، وإنّما يسوقها لإيضاح المعنى.

ج- الأبيات الشعرية:

وردت الأبيات الشعرية في معجم التعريفات في ستة مواضع من تعريف المصطلحات، وقد جاءت على غرار الأبيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة للتمثيل والتوضيح، لا لتبيان السياق اللغوي، من ذلك ما أورده الجرجاني في تعريف **"التسميط ":** **"**هو تصيير كلّ بيت أربعة أقسام، ثلاثتها على سجع واحد مع مراعاة القافية في الرابع إلى أن تنقضي القصيدة كقوله:

وضَرب وَرَدْتُ وَثَغر سَدَدتُ وعلج شدَدتُ عليه الحبالاَ.

ومَال حَوَيْتُ وخيل حَمَيْتُ وَضَيْف قَرَيْتُ يخَافُ الوكالا**"** (65).

كما وردت الأبيات الشعرية في توضيح دلالة المصطلحات الآتية: الإيغال، ذو العين ، السارق، السلخ، صنعة التسميط (66).

إنّ ما نخلص إليه هو أنّ استخدام الجرجاني لشواهد لغوية من قرآن كريم وحديث شريف وشعر هو من قبيل التمثيل على المعنى، لا من قبيل الاحتجاج بورود الكلمة في كلام العرب، وهو بذلك يخالف مثلا ما ذهب إليه أصحاب المعجمات الفقهية المتخصصة في كشفهم لدلالة المصطلح الفقهي(67)؛ إذ إنّهم التزموا في معاجمهم توضيح دلالة المصطلح مستعينين بالسياق اللغوي الذي احتضن هذا المصطلح من كلام العرب نثرا كان أو شعرا.

- الضبط اللغوي:

"إنّ ضبط البنية قد يكون أعسر من ضبط الإعراب، والأوّل قلّ أن يحصر بضابط أو يقيّد بقياس خلافا للثاني، الذي يحصر بهذا أو يقيّد بذاك**"**(68)، وما من مآل للخطأ اللغوي (أيّ انحراف في الكلمة أو الحرف أو الجملة) الذي يقع في البنية إلا إلى مطبّ آخر هو تغيّر دلالة الكلمة جذريا، لذا كان اعتماد الضبط اللغوي إنجاز ذا قيمة في بطون المؤلفات العربية لاسيما المعاجم اللغوية، فلا يخفى على دارس العربية ما للحركة الإعرابية من شأن في اللغة العربية الشريفة، وأصدق شاهد على ذلك القراءات القرآنية. إذن فالضبط اللغوي يؤدي إلى بيان النطق، ومن ثمّ تسهيل كشف دلالة المصطلح.

ويتجسد الضبط اللغوي في معجم التعريفات في وصف حركات الحروف كتابةً، وقد ورد ذلك في أحد عشرة موضعا على النحو الآتي:

-في أثناء شرحه لمصطلح "أح" يقول: **(**أَ ُح: بفتح الألف وضمّها، والهاء المهملة يدلّ على وجع الصّدر) (69)**.**

- وفي مصطلح (الجَزء) يقول: (**الجَزء**: بالفتح هو حذف جزأين من الشطرين كحذف العوض والضّرب، ويسمّى مجزوءا) (70)، وقد ضبطه الجرجاني بالفتح لتمييزه

عن مصطلح آخر هو الجُزء [71]، فالأوّل سار في علم العروض، والثاني من مذهب المتكلمين .

- وفي المصطلح الفقهي (**العاريّة**) يقول: (هي بتشديد الياء: تمليك منفعة بلا بدل) [72].

- ويضبط الجرجاني مصطلح **(الغِيبة)** بكسر الغين [73]، لتمييزه عن مصطلح **الغَيبة** بالفتح [74].

- كما يضبط مصطلح "القِران" بكسر القاف قائلا: (**القِران**: بكسر القاف هو الجمع بين العمرة والحجّ بإحرام واحد في سفر واحد [75].

-أمّا مصطلح "القسم" فيضبطه بالفتح لتمييزه عن مصطلح آخر هو القِسم بالكسر، فيقول في تعريف الأوّل: **(القَسم** بفتح القاف قسمة الزّوج بيتوتته بالتسوية بين النّساء) [76].

- ويضبط مصطلح **المتقابلة** (بكسر الياء)، **والمِخدع** (بكسر الميم)، و**المُخلَص** (بفتح اللام)، و**المِلك** (بكسر الميم)[77].

وعلى غرار هذا النوع من الضبط اللغوي، نجد الجرجاني ينحو منحى آخر في المصطلح وهو ضبط الحرف بدلا من ضبط الحركة الإعرابية، وذلك في موضع واحد، يتمثّل في المصطلح الفقهي: (المبارأة) حيث يقول في تعريفها: (**المبارأة** بالهمزة وتركها خطأ، وهي أن يقول لامرأته: برئت من نكاحك بكذا وتقبله هي) [78].

وهناك من المعجميين من يعتمد طريقة ضبط الكلمة بالشكل، دون الإشارة إلى ذلك كتابةً خلافا للطريقة الأخرى التي اعتمدها الجرجاني في قوله (بكسر الميم، بفتح اللام، .....)، وتعدّ الطريقة الثانية أدقّ من الناحية المنهجية؛ إذ إنّ **"**ضبط الكلمة بالشكل، يعيبه كثرة وقوع الأخطاء الطباعية فيها، وإمكانية انزلاق الحركة من مكانها إلى مكان مجاور**"**[79]. وما الضبط اللغوي إلاّ اسمٌ آخر لبيان النطق، وهو الخطوة الأولى للتعرف على دلالة الكلمة.

- التأصيل الاشتقاقي:

"يستفيد التأصيل الاشتقاقي، أو بيان أصول الكلمات ضمن علم التأثيل أو الإيتمولوجيا (Étymologie)، ويدخل في التأصيل الاشتقاقي بيان ما يأتي:

1- أصل الكلمة سواء كان وطنيا أو أجنبيا مع بيان اللغة أو العائلة اللغوية المصدر.

2- شكل الكلمة أوّل دخولها اللغة مع بيان ما لحقها من تطور صوتي أو دلالي

3- بيان العلاقات الاشتقاقية بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة[80].

وتنحصر أمثلة التأصيل الاشتقاقي في معجم التعريفات في موضعين هي:

-أسطقسات: هو **لفظ يوناني** بمعنى الأصل، وتسمّى العناصر الأربع التي هي الماء، والأرض، والهواء، والنّار أسطقسات لأنّها أصول المركبات التي هي الحيوانات والنباتات والمعادن [81].

-**الهَيولى: لفظ يوناني** بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح: جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال[82].

وتعدّ هذه الوسيلة ذات قيمة عظيمة في تحديد معنى الكلمات لاسيما الدخيلة منها والمعرّبة (المقترضة)؛ وذلك لأنّها تستقصي جذور الكلمة في أصل لغتها، فتبيّن مراحل تطوّرها وتسربها إلى اللغة العربية الفصحى، لذا "لا يستغني [عنها] أيّ معجم للمصطلحات وبخاصة معاجم العلوم القديمة مثل الطبّ لأنّها تساعد في فهم المعنى" [83].

ويشكّل ورود التأصيل الاشتقاقي لهذه المصطلحات الدخيلة في معجم التعريفات عطاءً نفيسا للغة العربية ولعلم المصطلح.

ويدعو دارسو العربية والباحثون إلى ضرورة اعتماد التأصيل الاشتقاقي أثناء معالجة اللفظ الأعجمي، ومن الأساسيات التي ينبغي اعتمادها في هذا المجال: "ترتيب اللفظ بين مداخل المعجم، تحديد نوعه بالنظر إلى درجة عجمته، تحديد اللغة التي ينتمي إليها، تبيان أصله المعجمي في اللغة المُقرِضة، بيان دلالته في لغته الأصلية وما طرأ عليها من تطور في اللغة العربية، تحديد المظهر الصوتي، والصرفي والنحوي" [84].

ويبدو أنّ التأصيل الاشتقاقي يأخذ حيّزه الأكبر في المعاجم التاريخية، لأنّها مهمّتها الأولى والأخيرة هي التأريخ للكلمات، لكن هذا لا يمنع من اعتماده (التأصيل) في حال ورود الألفاظ الأعجمية في أيّ نوع من المعاجم، بل هو ضروري لتقريب المعنى وتوضيحه.

الخاتمـة

إنّ كثرة تنوع المصطلحات في التعريفات تجعلنا نقرّ بأنّ الشريف الجرجاني قد انضوى تحت لواء إنجاز معجمي ذي بال، إلاّ أنّه وهو بين فاعلية الإنجاز وجاذبية جمع المصطلحات، اكتفى بذكر مصطلحات دون أخرى، فاتسّم معجمه بالإيجاز الشديد، أضاف إليه من ألّف بعده في معاجم المصطلحات، كما تلاحظ ظاهرة التكرار في عرض المصطلحات؛ فالجرجاني يعرّف مصطلحا ما، ثمّ يعيد تعريفه بصياغة أخرى، ومثال ذلك: مصطلح (القِران)، أمّا عن دراستنا لطرق كشفه لدلالة المصطلحات في معجم التعريفات فقد أسفرت عن النتائج الآتية:

– تراوحت هذه الطرق بين أساسية وثانوية (مساعدة) كما هو معهود في المعاجم العربية.

– استندت دلالة المصطلحات الواردة في التعريفات –على تنوعها- إلى الشرح بالتعريف، إلاّ أنّ هناك من المصطلحات التي أخضعها الجرجاني للمقاربة التاريخية، وحاول أن يبيّن مظاهر تطورها من خلال ذكره للدلالتين اللغوية والاصطلاحية، وطغى ذلك في كشف دلالة المصطلحات الفقهية، ومردّ ذلك في رأينا إلى أنّها في الأصل ألفاظ عربية أصيلة؛ أي أنّ معناها كان ساريا في كلام العرب في الجاهلية،

إضافة إلى التعريف بالضدّ، الذي يحتاج في رأينا إلى تحديد المضادّ ليتضح المصطلح الذي عُرّف به، وهذه أهمّ الطرق الأساسية الواردة في التعريفات.

– أمّا عن الطرق الثانوية فتمثلت في استخدام الأمثلة التوضيحية استدلالا على المعنى، لا على وجود اللفظ، وقد كان من المفروض أن تعتمد هذه الطريقة (الاحتجاج على ورود اللفظ أو اعتماد السياق اللغوي) لاسيما بالنسبة للمصطلحات التي هي في الأصل كانت بنيتها موجودة في اللغة العربية قديما.

إضافة إلى ذلك اعتمد الجرجاني الضبط اللغوي كتابةً مثل: (قوله مثلا: بكسر الميم، بفتح اللام...) وهي أدقّ الطرق لبيان النطق، وتجنب الوقوع في اللّبس.

كما تعامل الجرجاني مع المصطلحات الأعجمية بطريقة التأثيل، وهذا مهمّ جدا لتحديد أصل اللغة التي ينتمي إليها المصطلح، ومن ثمّ تبيّن طرق تسربه إلى اللغة العربية، واكتشاف دلالته.

وعسى أن تكون هذه الدراسة خطوة تبعث على خطوات أخرى تفتح آفاقا جديدة لولوج عالم هذه المدوّنة من أبواب متعددة أبرزها:

– إعادة تنظيم الكتاب عن طريق تجميع مصطلحات كلّ علم ضمن إطاره، لتتسنى الاستفادة منه بحسب تخصص الباحثين.

– قراءة هذه المدوّنة التراثية في ضوء المناهج الحداثية، لاختبار مدى قدرتها على الإنتاج، ومن ثمّ الإسهام في تقدّم الدرس اللغوي العربي.

الهوامش

1- ينظر ترجمته في: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، دار الفكر، بيروت، دط، 1979، 2/ 176.

2- ينظر في أقسام هذه المدارس: المعجم العربي، نشأته وتطوره: حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1988، 1/ 218 وما بعدها.

3- دراسات وتعليقات في اللغة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1994، ص.27

4- تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي، أسسه المعرفية وقواعده المنهجية، البشير التهالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص.16

5- ينظر في التعريف بهذه المعاجم: معجم المعاجم- تعرف نحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية: أحمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص43 وما بعدها.

6- المرجع نفسه، ص.49

7- التعريفات: الشريف الجرجاني، علي بن محمّد السيّد، تح: محمّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، ص3 (مقدمة المحقق).

8- دراسات وتعليقات في اللغة والأدب: رمضان عبد التواب، ص43، 44.

9- من النقل إلى الإبداع: حسن حنفي، دار قباء، القاهرة، د ط، 2000، 1/218.

10- التعريفات: الجرجاني، ص 19.

11- حول توحيد المصطلحات العلمية: أحمد شفيق الخطيب، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1993، ص5، 6.

12- المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث: الأمير مصطفى الشهابي، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ط2، 1965، ص.5

13- التعريفات، ص.27

14- يوحي وجود تعريف الاصطلاح الذي قدّمه الشريف الجرجاني عند أبي البقاء الكفوي في الكليات باعتماد من أتوا بعد الجرجاني على معجمه التعريفات.

15- الكليات –معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: الكفوي، أبو البقاء أيّوب بن موسى الحسيني، تح: محمّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998، ص ص 129، 936.

16- المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1990، 1/ 36.

17- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

18- علم المصطلح: محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب، القاهرة، دط، 1994، ص.50

19- أنيس الفقهاء في التعريفات المتداولة بين الفقهاء: القونوي، الشيخ قاسم، تح: أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء، ط2، 1987، ص.6

20- اعتمدنا في عرض بعض الطرق وفق ما سار عليه أحمد مختار عمر في: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص117 وما بعدها.

21- المرجع نفســه، ص.121

22-المرجع نفســه، الصفحة نفسها.

23- التعريفات، ص.9

24- المصدر نفســه، ص.12

25-المصدر نفســه، ص.19

26-المصدر نفســه، ص.23

27-المصدر نفســه، ص.35

28- ينظر: صناعة المعجم الحديث: احمد مختار عمر، ص 123، 124.

29- التعريفات، ص.23

30- المصدر نفسه، ص.90

31- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص.77

32- المصدر نفسه، ص.80

33- ينظر: الصاحبي: ابن فارس، ص.81

34- المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث: الأمير مصطفى الشهابي، ص.6

35- لم ينسب الشريف الجرجاني كلّ المصطلحات إلى علومها، إلاّ بعد أن قام محمّد صديق المنشاوي بتحقيق الكتاب، وإحالة كثير من المصطلحات إلى علومها في الهوامش.

36- التعريفات، ص.12

37- المصدر نفســه، الصفحة نفسها.

38- المصدر نفســه، ص.29

39- المصدر نفســه، ص.16

40- المصدر نفســه، الصفحات: 44، 48، 51، 73، 73 على الترتيب.

41- المصدر نفســه، ص.65

42-المصدر نفســه، ص.14

43- المصدر نفســه، ص.58

44- التعريفات، ص.22

45- المصدر نفسه، ص.52

46- ينظر في تفصيل هذه الظاهرة وعواملها ومظاهرها: دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط5 ، 1984، ص123 وما بعدها.

47- ينظر: الزينة في الكلمات العربية الإسلامية، الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان، تح: حسين بن فيض الله الهمذاني، دار الكتاب العربي، مصر، ط2، 1957، ص.14

48- التعريفات، ص .16

49- المصدر نفسه، ص.13

50- الأضداد: ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، دط، دم، 1987، 1/المقدّمة.

51- الأضداد في كلام العرب: أبو الطيب اللّغوي، عبد الواحد بن علي الحلبي، تح: عزة حسن، المجمع العلمي العربي، ط1، دمشق، 1963، ص75، .76

52- علم الدلالة- إطار جديد: ف.بالمر، تر: صبري إبراهيم السيّد، دار المعرفة، دط، الإسكندرية،1995 ، ص.122

53- مصطلحات الدّلالة العربية – دراسة في ضوء علم اللّغة الحديث: جاسم محمّد عبد العبّود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان،2007، ص.249

54- التعريفات، ص.9

55- المصدر نفسه، ص.103

56- المصدر نفسه، ص.38

57- ينظر: في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط3، 1965، ص207- 208.

58- تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم، تح: محمّد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، 1991، ص 15، 16.

59- صناعة المعجم الحديث، ص.145

60- التعريفات، ص 37.

61- المصدر نفسه، ص.14

62- المصدر نفســه، الصفحات: 14، 43، 43، 46، 46، 109 على الترتيب.

63- المصدر نفســه، ص.19

64- المصدر نفســه، الصفحات: 29، 30، 39، 57، 112، 118.

65- التعريفات، ص.52

66- المصدر نفسه، الصفحات: 38، 94، 100، 104، 115 على الترتيب.

67- ينظر في ذلك: البحث الدلالي في المعجمات الفقهية المتخصصة: دلدار غفور حمد أمين، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص97 وما بعدها.

68- حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث: محمّد ضاري حمّادي، دار الرشيد، بغداد، دط، 1981، ص.58

69- التعريفات، ص.13

70- المصدر نفســه، 68.

71-المصدر نفســه،الصفحة نفسها..

72- المصدر نفســه، ص.123

73- المصدر نفســه، ص.137

74-المصدر نفســه، الصفحة نفســها.

75- المصدر نفســه، ص.146

76-المصدر نفســه، ص.147

77- المصدر نفســه، الصفحات: 166، 173، 173، 193 على الترتيب.

78-المصدر نفســه، ص.165

79- ينظر: صناعة المعجم الحديث: أحمد مختار عمر، ص.159

80- المرجع نفســه، ص.152

81- التعريفاتـ ص.23

82- المصدر نفســه، ص.206

83- صناعة المعجم الحديث، ص.103

84- ينظر: دراسات في المعجم العربي: إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص165 وما بعدها.

أسس نظرية الأدب الإسلامي ومعالمها من خلال موسوعة مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد لأحمد الرفاعي شرفي الجزائري

ملخص

يسلط المقال الضوء على أبرز ما صدر مؤخّرا من دراسات حول الأدب الإسلامي وأعلامه من خلال كتاب (مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد) لصاحبه الدكتور أحمد الرفاعي شرفي الجزائري الذي حاول من خلال مصنّفه هذا أن يعيد بلورة أسس نظرية الأدب الإسلامي ويبيّن حقيقة تطبيقها في واقع المُنتج الأدبي، وإنّ أكثر ما يميّز هذا الكتاب أنّه استلّ الداء الذي أجّج نار الفرقة بين الأدباء الذين تحزّبوا طوائف وشيعا انطلاقا من تبنيهم لفكرة نظرية ما غربية أو عربية أو إسلامية، ولقد كشف مُصنّف هذه الدراسة ـ الواقعة في ثلاثة أجزاء ـ عن خيوط هذه المؤامرة التي حيكت ضد كلّ من حمل لواء الإصلاح و التأصيل وذلك بالعودة إلى الرؤى الفكرية لمجموعة من روّاد الأدب الإسلامي الذين استطاعوا أن يوضّحوا منهج رسالتهم وموقفهم من الأدب الوافد حيث انعكس كل ذلك في سلسلة مقالاتهم التي اجتهد في جمعها وتصنيفها الدكتور أحمد الرفاعي شرفي.

د . زين الدين بن موسى

كلية الآداب واللّغات
جامعة قسنطينة 1
الجزائر

Abstract

This article will attempt to re-extrapolate the fact that Islamic Literature and parameters of its theory on the basis of what was written by other theorist who are specialized in applying their theories in their various creative works that were collected by Mr. Ahmad Al Rifai Sharafi in his book Islamists' Articles on Literature and Criticism.

مقدمة

انزوت الدراسات الإسلامية في الفكر والأدب وانكفأ منظروها على التأليف في المجال السياسي وعدوه أصلا في توجههم العام، حيث لم يكن ليعنيهم الجانب الاجتماعي مثلا وهو أكثر المجالات تأثيرا في كتابات المفكرين عامة والأدباء خاصة فواقع المجتمع بعجره وبجره

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

يمثل لهم المعين الذي لا ينضب فإذا هم انصرفوا عنه ولم يستثمروا في حقل أحداثه جفت منابعهم الإبداعية وهذا الحكم ليس مجاف للحقيقة في ظل انحسار الأعمال الأدبية التي تتخذ من الإسلام وقيمه خلفية لها فبمقارنة بسيطة بين حركية الإنتاج الأدبي المعاصرة ذات المرجعيات المختلفة يتضح الفرق جليا بما لا يدع أي مجال للشكّ في أنّ الأدب الإسلامي أقلّها انتشارا ورواجا.

فهذه الأعمال الفنيّة إن وُجدت فهي بعيدة عن أيدي قرائها لكون تلك الأعمال الأدبية سواء أكانت شعرية أم نثرية على ما فيها من إبداع لم تستقطبهم بالشكل الذي تمّت به الاستجابة لغيرها من النصوص الأدبية الأخرى المرتبطة عادة بالمذاهب الغربية الحديثة أو ما جرى مجراها من تيارات مستنسخة عند المعاصرين من العرب سواء أولئك الذين ركبوا موجة التغريب أو أولئك الذين اكتفوا بالتقليد دون التجديد؛ غير أنّ ذلك لا يمنع من الإقرار بوجود فجوة بين ما يُنتجه أدباء الأدب الإسلامي وتوجّهات قرائهم إن وُجدوا حقيقة، ولعلّ استشراء مثل هذا الدّاء سببه الانفصام عن تشخيص واقع النّاس في ما يُكتب من شعر ونثر يُوسم بأنّه إسلاميّ المنزع.

فهذا القارئ مهما ادّعى أصالة الانتماء فهو حتما سينجرّ وراء رغبات نفسه التي تنشد الفنّ في أسمى صوره؛ فحينما يقع الأدب الإسلامي في إشكالية التجديد والتطوير وربّما فكرة التغيير نفسها فهذا حتما سيجعل أدباءه بين قطبي رحى تتنازعهم حتمية الرؤية الإسلامية الأصيلة وضرورة مواكبة مستجدّات الثقافة المنفتحة على مسايرة أنماط التفكير عند الشعوب الأخرى لاسيما وأنّ العرب في هذا العصر يفتقدون للخصوصية الثقافية التي تضيّق من دائرة اهتمامهم بأدب معيّن يجدون فيه غايتهم وينشدون من خلاله ضالتهم المتمثّلة أساسا في رسالة الأدب التي إن لم تعرف طريقها إلى وُجدان قرائها آلت حتما إلى هوامش الثقافة الإنسانية، وهذا ما شارفت عليه رسالة الأدب الإسلامي.

فالتنظير وحده لا يكفي لإحياء موات في مجال الفكر والثقافة بل هو فعل الممارسة والتعاطي مع الوعي الحاضر والتفاعل مع حركية المجتمع الذي من شأنه أن يحتضن أيّ مُنجز فكري إن هو لمس فيه صورته، كما أنّه ـ أي المجتمع ـ أقدر على أن يرفض كلّ مُنتج ماديّ أو معنوي إن لم يلب حاجته ويستجيب لتطلّعاته،وهذه هي دفّة السفينة التي افتقدها أدباء الأدب الإسلامي في خضمّ لُجّة الثقافات الوافدة من الغرب والتي ميّعت فكر الأمّة العربية؛ ففي الوقت الذي انتظر فيه المجتمع من يأخذ بيده ويوجّه فكره بأدب واع يسترشدون به في ظلمات هذه اللّجة استنكف منظّرو الأدب الإسلامي عن مدّ أيادي الغوث إلى مثل هذه التطلّعات لا عن قلّة ذات زاد معرفي عندهم وإنّما هو التيه الذي هام فيه جلّ المفكرين العرب والمسلمين في مطلع هذا العصر" ومن عرف ما يطلُب هان عليه ما يبذُل".

وتعدّ دراسة الدكتور أحمد الرّفاعي شرفي الجزائري الموسومة بمقالات الإسلاميين في الأدب والنقد أكثر الكتب إحاطة بتشخيص هذا المشكل العضال الذي حال دون

تجاوب النّاس مع الأدب الإسلامي، كما أنّ الدّراسة كشفت عن جذور الفكر الذي يقود مسيرة التأليف الأدبي الرسالي الذي يهدف إلى التأصيل والتقويم وفق نظرة استشرافية أساسها الأوّل العودة إلى ما يجدّد لهذه الأمّة عهدها انطلاقا من مقوّمات دينها الذي لا يمكنه بأيّ حال من الأحوال أن يقف حائلا دون تشرّبها لفنون الإبداع المنضبط بالتفكير الصحيح من جهة وأصول المعايير الأخلاقية من جهة أخرى.

وسنحاول من خلال هذه المقال أن نستكشف نظرة مصنّف الكتاب إلى حقيقة الأدب الإسلامي ومدى واقعيته وكيف يمكن له أن يسهم في إرساء دعائم قيام نهضة شاملة تسترجع الأمّة بوساطتها مكانتها ومجدها وذلك انطلاقا من قناعات راسخة لا تشوبها عوارض فكر مُقحم من شأنه أن يزيّف أو يميّع الأصول والمرجعيات بما ينسجم ومبتغايته الفكرية التي تغير من الثوابت وتبحث عن البدائل التي من شأنها أن تحلّ محلّ كلّ أصيل له جذور يستند إليها.

أوّلا: المسارات العامّة للفكر الديني في مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد

استهلّ المُصنف موسوعته هذه بمقدّمة ضافية حاول من خلالها أن يرسم معالم الفكر الإسلامي ومساقطه في مجالات الفنّ والإبداع عموما، فالمؤلّف أعاد استقراء الواقع وبيّن أسباب تراجع الأمّة تبعا لتوجّهاتها الإيديولوجية والثقافية، فحينما ارتدّت الأمّة عن الإيمان بثوابتها تنازعتها تيّارات فكرية من الغرب والشرق، ولعلّ تشخيصه لمثل هذه الحقيقة لم يكن من قبيل وضع الأُصبع على الجُرح ليزيد من آلام الأمّة بل إن الغاية من تشخيصه هذا هو إيجاد الدّواء الناجع أو الإكسير الذي يمكنه أن يبعث الحياة رويدا رويدا في جسد أمّة تبرزخت وهي تعايش غيرها، وما ورد في عنصر التمهيد من الكتاب يوضّح أسباب النكبة التي حاقت بفكر هذه الأمّة عامّة وأدبها خاصّة ويمكن توضيح هذا الموقف بجميع مظاهره من خلال إيجاز القول في النقاط الآتية:

أ- علاقة الفكر بالأدب: لم ينفصل الأدب يوما ما عن مرجعية فكرية تغذيه وخلفية ثقافية يستقي منها مادّته التي يكون هو - أي الأدب - وسيلة ترويجها بأن يضمّنها شكلا من أشكال الإبداع الأدبي كالشّعر والرّواية والمسرح ...فهذه الأجناس من شأنها أن تكشف عن التوجّه العامّ لمُنتجها وهذا ما يحدّد في النّهاية الغاية التي يصبو إليها الأديب حينما يُوظّف أدبه في توعية المجتمع إذا كان أدبه مرتبطا فعلا بأصول المجتمع الذي يحتضنه ويقرأه، فلولا هذه العلاقة الوطيدة بين الأدب والمجتمع لما كان تأثير الأوّل في الثاني كبيرا يحتاج إلى من يكبح جماحه ويسعى لمعرفة أغراضه.

فمصادر الأدب العربي الحديث والمعاصر لا تعدو أن تكون غربية بالدّرجة الأولى وإن شذّت عن المصادر ونأت عنها بحكم القومية والأصالة فهي حتما تناور بين الاجترار والتقليد، لكنّ هذه الفئة أرحم من غيرها من أمثال أولئك الذين انتهت إليهم الرّيادة في السّاحة الأدبية وأضحت كتاباتهم محطّ إعجاب وتنويه، لا لشيء إلاّ لكونهم خالفوا الأعراف والتقاليد واستحدثوا ما لم يؤلف في حياة العرب الذين رزحوا تحت نير الاستدمار مدّة ليست بالقليلة، فعندما بزغ فجر الحريّة في أوطان الشعوب العربية

وجدت نفسها أمام غزو آخر لا يقلّ شأنا عن سابقه لكنّه غزو مدسوس في فكر أبنائها ومبثوث في أدب مبدعيها فلم يجدوا بُدّا من مجاراة هذه الحركية الفكرية في البداية ثمّ إنّهم سرعان ما تفطّنوا لما يحاك ضدّهم على أنّه أدب حديث يقدّم إليهم متوشّحا برداء الغرب الذي تسلّح بفكر عبقُه كلّ فلسفة تخالف مبادئ الدّيانات السّماوية لكونها تأسر المُبدع وتجعله مُقيّدا بأغلال أحكام شرائعها، وهذا ما يفسّره الخصام القديم الحديث بين الفنّ والدّين (1).

فأوّل ميزة انفرد بها الأدب العربي الحديث أنّه انساق وراء تيارات المذاهب الغربية (2)فكان من الضروري أن يوسم بالأدب الهجين أو الوافد لأنّه تغرّب في منشئه لكون أدباء النهضة قد درسوا في الجامعات الغربية أو أنّهم استغربوا نظرا لتعلّقهم بأفكار منظّرين غربيين أخذوا عنهم وتتلمذوا على أيديهم، والأمثلة على ذلك أكبر من أن تحصى أو تستقصى؛ حيث كان من شأنهم أنّهم ازدروا كلّ قديم له علاقة بالتراث العربي الإسلامي واستهجنوا كلّ ما له صلة بأفكار أولئك العلماء الذين أبدعوا من داخل واقع مجتمع أمّتهم، كما أنّ هؤلاء المستغربين استهزؤوا بخصائص اللّغة العربية وحاولوا أن يستنقصوا من شأنها ولا يتّسع المقام لوصف سماتهم التي تطبّعوا بها (3)لكن ما يهمّ في مثل هذه الدّراسة هو تتبّع مرجعياتهم الفكرية التي أمدّتهم بكلّ غثّ وسمين بدءا بأباطيل الأساطير الإغريقية وانتهاء بآخر فكر غربي رسم ملامح النظرية الأدبية المعاصرة.

وقد يكون سارتر ـ وما يمثله كيساري ووجودي ـ من أكثر المفكرين الغربيين وأوسعهم تفرّدا وتأثيرا في جماهير (المحميين) بمقولاته ومفاهيمه في الأدب والحياة ومن ذلك قوله عن الشعر: (إنّ الشعر يخلق بالأصل أسطورة الإنسان في حين أنّ النثر يخطّ صورته) (4) ، وفي السياق نفسه يقول عن الشّعر أيضا:(فالعالم والأشياء تنتقل إلى اللاّأساسي وتصبح ذريعة للفعل الذي يصبح غاية ذاته، فالإناء موجود هنا كي تقوم الفتاة الشابة بحركتها اللّطيفة لملئه) (5) ، فأيّ قارئ لمثل هذا النّص لا بدّ له أن يستحضر عدّة حقائق تعدّ في أصلها ركائز لمنظري الأدب المعاصر ـ في الغرب ومن نحا نحوهم من العرب والمسلمين ـ وهي العدمية في الوجود والعبثية في الأشياء والاستهتار بالمُقدّس واعتماد الأساطير بوصفها ذات دلائل تاريخانية تُستمدُّ منها الأفكار وتَنزَع نحوها الأهواء لتفسير الظواهر على أنّها قوى خفيّة تمثّل البُعد الرُوحي أو الخفي الذي يستترُ وراءه المُبدعُ المتمنطق بآراء وفلسفة الغرب.

وهناك الفكر الماركسي الذي تنكّر للأصول الدينية وألغى رسالتها فما كان من هذا التوجّه إلاّ أن قاد إلى تكريس الماديّة في كلّ طرح إبداعي يعبّر عنه شكل من أشكال الفن وهذا ما انتهى بالأدباء المعاصرين إلى التوسّع في المحظور في عرف الأديان السّماوية والتقاليد الاجتماعية حتّى بات من العسير كبح جماح تلك النزوات في الأعمال الشعرية والنثرية لكونها أضحت مظهرا صارخا للتعبير عن تلك العوالم الشاذّة يقول ر.م ألبريس عن تاريخ الرواية الحديثة: (إنّ تاريخ الرواية الحديثة هو تاريخ اطرّاح

الحياء)(6) ، وهو لا يقول ذلك إشفاقا على الأخلاق والحياء ولا تأسفا على ما انتهى إليه الأدب الغربي عامّة من إفلاس أخلاقي وانحراف وعُقم وإنّما يقوله تنويها بمنهج الروائيين الحداثيين الذين بنوا أعمالهم على مقدار غير قليل من العناية بالشذوذ الجنسي ووصف أشكاله ووسائله على أنّه ركيزة للبنية الروائية الفكرية والفنيّة وقيمة فكرية وجمالية بل وحضارية (7) .

ب ـ شروط نهضة الأدب الوظيفي:

ترسّخ في أذهان الأدباء والنقّاد قديما وحديثا أنّ الأدب فنّ ورسالة في آن واحد؛ حيث لا يمكن أن ينفصل هذان المقصدان عند التأليف والكتابة، فلو أقصى الأديب أحدهما واكتفى بالآخر لانعدمت ماهية الأدب، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن نلغي الجانب الفنيّ في الأعمال الأدبية بوصفه مطلبا أساسا، لكنّ مبتغى الإرشاد والتوجيه الذي تتضمّنه رسالة الأدب فيما تقدّمه للمجتمع من دعاوى إلى الإصلاح والتطوير والتغيير وكشف الواقع قصد معالجة عيوبه هو الهدف الأسمى الذي ينشده كلّ مبدع ولا يتأتّى هذا المسعى للأديب والأدب كليهما إلاّ إذا توافرت جملة من الشروط كما قرّرها الدكتور أحمد الرفاعي شرفي في كتابه (مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد):

ـ ثروة ثقافية جيّدة توفّر للأديب الرؤية الناضجة والشاملة للحياة (الإنسان وقضاياه) كما هي وكما ينبغي أن تكون، وبهذا الشرط يمتلك الأديب القدرة على تفسير سنن الحياة وظواهرها، وتعجز الإيديولوجيات والتيارات عن احتوائه، والأدب بهذا المفهوم مذهب في الحياة ورؤية جمالية لها، وموقف من أحداثها وقضاياها، والأديب الأصيل شقيق الفيلسوف بل إنّ الفلسفة إذا توفر لها البيان البديع ارتقت إلى مستوى الأدب وغدت شكلا من أشكاله الجميلة، وبالمقابل لا نجد الأدب الإنشائي إذا فقد الجمالية الأسلوبية يتحوّل إلى فلسفة.

ـ ثانيا: الحريّة التامّة الواعية في التفكير والتعبير والتجديد وإلاّ أصبح الأدب (الفكر) قوالب جاهزة، وأفكارا إدارية وسياسية متحجّرة يتجدّد القارئ والمنشئ لها كلّ عصر، وتظلّ هي صورة جامدة للجمود القاتل.

والحرية التي يحتاجها الأدب لأداء وظائفه هي التي يمارسها الأديب كما يمارس التنفس والنظر والسمع، وبالدوافع نفسها، دوافع الحاجة والضرورة، فالإنسان لاينظر تقليدا للنّاس، ولا يتنفّس تقليدا للنّاس ولا يسمع تقليدا للنّاس،وإنّما يفعل ذلك كلّه باعتباره مظهرا لحياته وكذلك ينبغي للأديب أن يمارس حريّة التعبير والإبداع.

ـ ثالثا: القدرة على سبق الحياة ومواكبتها في الوقت نفسه، ويعني سبق الحياة، أن يمتلك الأديب رؤية مستقبلية قادرة على التبشير والتحذير، وتعني مواكبة الحياة: القدرة على التمييز بين الظواهر المرضية المتّصلة بالمبادئ غير الصحيحة وبالمفاهيم والقيم غير السليمة، وبين أعراض التطوّر المتّصلة بالمبادئ غير الصحيحة وبالمفاهيم والقيم غير السليمة، وبين أعراض التطوّر المتّصلة بالممارسة وتفاعل الأحداث وبذلك يؤدّي

الأدب (الفكر) وظيفة الريادة والتنظير للحياة الاجتماعية، وعندما يفقد الأدب القدرة على السبق والمواكبة يتحوّل تلقائيا إلى تابع للحياة قصارى جهد. أن يصف بعض جوانبها أو مفاهيمها دون أن يتجاوز ذلك إلى التأثير فيها أو تجديد دمها أو سيرها وعندئذ قد يتحوّلون إلى أداة لإجهاض وقتل كلّ جهد لإصلاح الحياة ومعالجة أمراضها وتلك هي مأساة بل جريمة الآداب في عصور الانحطاط عامّة.

ـ رابعا: التمييز بين ما ينبغي أن يستمرّ من قيم ومُثل الحياة الاجتماعية وما ينبغي أن يتطوّر وما ينبغي أن يزول أعني التمييز بين مقتضيات ومفاهيم: المحافظة والتفاعل والتطور، إذ الخلط عن عمد أو عن غير عمد بين التقليد وغيره من أشكال ومستويات التطوّر يؤدّي حتما إلى إفلاس الأدب رؤية وبناء كما وقع للأدب العربي الحديث عامّة وللأسباب نفسها (8) .

ثانيا: أسباب ومظاهر تراجع المردودية الفنية في الأعمال الأدبية العربية المعاصرة

لقد تحقّقت النهضة الأدبية عند العرب قديما حينما ارتبط الأديب بواقع مجتمعه وأصول ديانته؛ حيث كان الأدب مرآة عاكسة للحياة الاجتماعية بجميع مظاهرها، لذلك تنوّعت الأغراض الشعرية والموضوعات النثرية لتنسجم مع كلّ حادثة من شأنها أن تكون حقلا خصبا للمبدع، ولم يستهو أدباء العرب في أوج حضارتهم أدب آخر وافد لأنّ ما بأيديهم أغناهم عن كلّ مُنتج لا يمتّ بصلة إلى حضارتهم بالرّغم من ازدهار حركية الترجمة التي فتحت نوافذها على آداب الشعوب الأخرى غير العربية والإسلامية، بل إنّ اطّلاعهم على تلك الآداب كان من قبيل التوسّع في النظرة إلى الفكر الإنساني دون أن يقودهم ذلك إلى الاستلاب والتبعية، ولعلّ أثر الأدب العربي القديم فيما سواه من الآداب المزامنة له يمكن يكشف عن تلك العلاقة المتبادلة بين فنون الأدب لدى كلّ أمّة من أمم تلك المرحلة التي تميّز فيها الأدب العربي بالحضور والتأثير مقارنة مع غيره، فهو لم يبلغ هذا الشأو والمكانة إلاّ لكونه كان المسبار الذي قوّم الحياة الإنسانية سواء في المجتمع العربي أو غيره، كما أنّه هذّب من بعض السلوكات وقوّم التوجّه العام للفكر فمثّل بذلك عنوانا لنهضة العرب.

لم تشذ النهضة الأوروبية الحديثة عن هذه القاعدة، ففي إيطاليا كان الشاعر الغنائي (بترارك) و(بوكاشيو) رائدا القصّة القصيرة كلاهما كان أدبه يلقي ضوءا على تدهور القيم في العصور الوسطى وبدء تبرّم النّاس من الخمول والجمود، والتأثير نفسه كان لأدب مكافيلي الذي بيّن ألوان الخداع والتآمر والبطش الذي تمارسه السلطة، وفي فرنسا كانت كتابات رابليه هجوما واضحا على قيم العصور الوسطى كلّها سواء في ذلك قيم الثقافة أو الإدارة، أو الحياة العائلية، وفي إسبانيا كان لشعر (لوبيث دي أيالا) التأثير نفسه حيث إنّ قصائده كانت نقدا مهما للحياة الاجتماعية في عصره وبسبب هذا الدور الرائد والفعّال للأدب الغربي في التمهيد والدّعوة إلى النهضة الحديثة اعتبر النقاد والدّارسون الأدب من أهم العوامل التي أدّت إلى التغيّرات الاجتماعية التي تبلورت في القرن السابع عشر(9) .

أ ـ أثر الاستلاب الحضاري في تقويض أصالة الأدب:

إن الاستلاب والتبعية الفكرية بكلّ سلبياتها كانت وما تزال إلى حدّ ما التيار الرسمي في السّاحة الأدبية فإنّها ـ بذلك ـ أدّت خدمتين جليلتين لقوى الغزو الحضاري والفكري وهما:

ـ التزهيد في مفاهيم الحضارة العربية الإسلامية بما تمثّله من ضحالة وخواء وتهافت.

ـ الدّعوة غير المباشرة إلى التبعية والاستلاب من خلال عجزها المتزايد بالمقارنة مع الآداب الأجنبية عامّة وما قد يجده القارئ في بعضها من فكر جميل (10) .

وهذا ما أفضى بأدباء العرب المعاصرين إلى التشبث بفكرة عدّوها رؤية صحيحة لواقع الإنسان، ممّا جعلهم يؤمنون بالاتجاه الواقعي في الأدب؛ هذه الواقعية التي أغرت عقول المفكرين والأدباء العرب والمسلمين، فإذا بهم يهربون من تقليد التراث العربي إلى تقليد الواقع الغربي، وكانت عاقبة هذا التقليد أن رأيناهم يصطنعون في أدبهم(شعرا ونثرا) صورا لا تمتّ بصلة إلى أعرافنا الأدبية وتقاليدنا الإسلامية ومنظور ديننا الحنيف إلى واقع الحياة (11) . فباسم الأدب نشرت المقولات الإيديولوجية والسياسية، وباسم الأدب روّج للنزاعات والتيارات الفكرية المشبوهة، وباسم الأدب هُوجم الإسلام والأخلاق والوطنية، وباسم الأدب روّج للانحلال والجهل والخواء، وباسم الإنسانية شوّهت القيم الأصيلة للإنسانية (12) .

ب ـ الأدب العربي المعاصر بين سلبية التقليد ووهم التجديد:

ما أفرزته الحركة النقدية في الأدب العربي المعاصر لا يكاد ينفكّ عن مجال من مجالات مماثلة الصورة الواقعية في التصوّر الغربي لعالم الإنسان، فحينما يقتصر دور الأديب على نقل المشاهد الإباحية وتمثّل النظرية الفرويدية في أيّ مُنتج إبداعيّ يمكن أن يحقّق لصاحبه الرّواج والشهرة والفكرة وفق هذا الأساس والمنحى تُوهم بالتجديد والتطوير والتغيير الذي ينأى بالقارئ عن كلّ قديم تليد، فليست الرؤية بهذا الشكل تستند إلى مُقوّم حضاري بل تتمايه مع أصول غيرها وإن لم يكن يُناسب واقعها وأعرافها، فهذا الشكل من التنصّل والانسلاخ هو الذي أربك الأدباء والنقّاد أنفسهم في تتبّع الحركية الإبداعية ومساراتها التي ترسُم معالم فكرها، وذلك نظرا لانعدام البعد الحضاري في المُنتج الأدبي؛ حيث لا مكانة للهوية أو الانتماء، فالتقليد هو سمة كلّ عمل حاول صاحبه أن يساير الغرب في مذاهبهم الفنيّة، حتّى ولو استلّ منها فكرة أو صورة للتمثيل، فعدم تماثل الواقع الاجتماعي يفرض نوعا من الخصوصية التي تُفرد كلّ عمل بخصائصه التي لا تنسجم إلاّ مع بيئته ولا حجّة لمن يدّعي العالمية في الأدب، لأنّ مثل هذه الدّعوة يمكن أن تصحّ لو كانت الغاية هي الترويج للمثل العليا عند بني البشر؛ حيث لا مجال للاختلاف بينهم، وقد حاول مؤلّف كتاب (مقالات الإسلاميين في

الأدب والنقد) أن يحصر عواقب التقليد السلبي والتجديد المزيّف التي ميّزن الساحة الفكرية عموما والأدبية بنقدها خصوصا في النقاط الآتية:

- إنّ الساحة الأدبية يملؤها إنتاج يفتقر إلى مقوّمات الفكر والفن في شكله ومضمونه.

- إنّ مفاهيم النقّاد والدّارسين - بسبب الصراع الإيديولوجي والحضاري والسياسي والشخصي - فقدت النزاهة والقدرة على الرّصد والسبر النزيه لتمييز المستويات والنوعيات الأدبية.

- إنّ تسلل الصراع الإيديولوجي والثقافي إلى السّاحة الأدبية أدّى إلى خلط كبير في عدد من القضايا الأدبية والنقدية الأساسية وبخاصّة الخلط بين التقليد والتفاعل مع الغير وبين التجديد؛ فالتقليد للغير عملية آلية ليست من التجديد في شيء ولا تتطلب مهارات خاصّة وتؤدّي في الغالب إلى تجميد وإجهاض القدرات الذاتية، بينما التفاعل والتجديد يعني التطوّر والتجاوز والإضافة في إطار الخصائص والمميّزات وبدافع الحاجّة الفنيّة، وبشرط أن لا يكون الجديد مسبوقا بنمط مماثل وإلاّ سمي حينئذ تأثرا أو أخذا أو اقتباسا أو غير ذلك من مستويات ومصطلحات التفاعل بصفة عامّة.

- إنّ التقليد الأدبي الفكري في حقيقة الأمر(استيراد) لفكر وفن جاهز، أبدعه أقوام لهم خصائصهم اللّغوية، والنفسية والمادية والسياسية الخاصّة بهم، ومستورد الفكر والفن ليس مفكّرا ولا فنّانا بالضرورة، كما أنّ مستورد السيارات أو الثلاجات أو الطائرات ليس من علماء ومهندسي هذه الآلات بالضرورة، وإنّه لمن الإنصاف والعقل أن نسوي في الحكم والصّفة بين مستوردي الفكر والأدب ومستوردي السلع الجاهزة، فإمّا أن نرفع مستوى مستوردي البضائع (بغير علم) إلى مستوى العلماء ونسميهم مخترعين وإمّا أن ننزل مستوى مستوردي الفكر والأدب إلى منزلتهم الحقيقية فنقول: إنّهم مستوردون وليسوا أدباء ولا فنّانين مبدعين ولا ممثّلين لا للأدب الأجنبي ولا للأدب العربي الإسلامي وذلك لسببين:

الأوّل: إنّ الأدب في نظر المستوردين إنّما هو وصف أو تعبير عن النزوات والغرائز الجنسية والشذوذ.

ومن أخصّ خصائصه التعبير عن الخطيئة وأخلاق الخطيئة، والمقدّس الجديد ونموذج الحداثة وفصل الأدب عن الأخلاق والدّين.

بينما الأدب عند الأوروبين يعالج (كوثيقة في تاريخ الفلسفة والأفكار، لأنّ تاريخ الأدب يوازي ويعكس تاريخ الفكر)(13) .

الثاني: إنّ هؤلاء المستوردين ليسوا أمناء على الأدب العربي الإسلامي الذي تلاعبوا بقيمه وزيّفوا مفاهيمه ومثله، وليسوا أمناء أيضا على الآداب الأجنبية بصورة عامّة (14) .

ثالثا: الرؤية الإسلامية للأدب في مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد

علاقة الإسلام بالأدب تحكمها عدّة ضوابط أهمّها ارتباط الأدب نفسه بالقيم الدينية التي من شأنها أن تنعكس واقعا ملموسا في كلّ جنس أدبي يمكنه أن يعبّر عن حقائق الخير والشرّ بوصفها الثنائية التي يسعى الإنسان لتحرّيها قصد بلوغها أو تفاديها، فالإسلام له نظرتان نقديتان هما نظرته للأدب بوصفه فنّا عامّا عند جميع الشعوب ونظرته إلى الأدب الذي لا بدّ له أن ينضوي تحت مسمّاه أي الأدب الإسلامي فحينما تأمّل الإسلام أدب الشعوب الإنسانية بما فيها العرب لم يجد سوى تهافتا على مطامع دنيوية ورغبات نفسية كأنّما تحيون عقل الإنسان وافتقد كلّ غاية في حياته فلا يتمثّل في أدبه إلاّ صورة من صور شهوات نفسه الجامحة وكذا طموحه نحو تلبية مطالب أنانيته وحبّه لذاته، فأضحت الأعمال الإبداعية مظهرا لكلّ صراع بين الإنسان ونفسه أو بين الإنسان وغيره من بني جنسه، وعناصر الطبيعة التي تحيط به حتّى بلغ به أوج الصّراع إلى تصوّر عالم الآلهة التي تنازعه ملذّات الحياة وبهرجها وذلك من خلال ما سطّرته الملاحم والأساطير الخرافية.

وقد استنسخ الأدباء في كلّ عصر شيئا من تلك الخرافات والأباطيل في كتاباتهم ودافعوا عن نزوات الإنسان وغرائزه وعدّوها أصل سعادته وشقاوته؛ حيث ارتبطت عقيدتهم في ذلك بمنشأ الخلق حينما تطلّع أبوهم آدم إلى الخلود فحُرم منه بسبب صراع توهّموه بينه وبين زوجه، فنشأت بذلك العداوة الضمنية بين الرّجل والمرأة، لهذا لم تكن شخصيتها في أعمالهم الأدبية شخصية نمطية بل إنّها في نظرهم شخصية مضطربة لا يمكنها أن ترقى إلى عالم المثل العليا لكونها تنازع الشيطان في بعض سلوكاته، فأين مبدأ الخيرية في كلّ هذه التوجّهات التي تعدّ من ركائز الأدب الحديث والمعاصر، هذا الأدب لا يمكنه أن يتغافل أو يقصي في جنس أدبي ما من أجناسه صورة من صور الغواية والفساد ومظاهر الشرّ ودواعي الظلم، فما كان من الإسلام إلاّ أن استحضر نمطا آخر من الأدب اتّصف باسمه وهو الأدب الإسلامي أو الأدب الديني أو الأدب الرسالي أو الأدب الملتزم أو الأدب الأخلاقي أو أدب الدعوة الإسلامية وغيرها من المصطلحات التي ارتضاها منظرو هذا الأدب عير مراحل تاريخه.

أ ـ ما خالف فيه الأدب الإسلامي غيره من الآداب:

- أنّ الرؤية الإسلامية للأدب ليست ذاتية ولا فردية عاطفية لا من حيث التصوّر والموضوع ولا من حيث الصياغة والتشكيل للسّلوك أو العلاقات الاجتماعية، وإنّما هي رؤية ربّانية في مصدرها وإنسانية واجتماعية وموضوعية، تقوم على اعتبار أنّ قيمة الإنسان تنبع من سلوكه الاجتماعي، ومدى ايجابيته ـ أدائه لواجباته الإسلامية ـ وأنّ ذلك ليس أمرا ذاتيا متروكا للإنسان ونزواته وحالاته النفسية المتعدّدة والمختلفة كما يتوهّم ذلك الذين لم يعرفوا الإسلام بعد، ومبدأ ذلك قوله تعالى:(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (15) .

ـ إنّ الأديب المسلم لا يتصوّر الحياة ولا يتخيّلها كما يجب هو بذاته وخصائصه الفردية ـ النفسية منها والعضوية ـ كما يظنّ البعض، ولا يتصوّرها من خلال حاجاته وشهواته كما يظن الآخرون، ولا يتصوّرها من خلال طبقته كما يظنّ بعضهم، وإنّما يتصورها بصفته الإنسانية كما حدّدها الإسلام.

ـ وظيفة الأدب في الإسلام إذن أن يعبد به الله سبحانه، ويكون وسيلة للخير والفضيلة والترغيب فيهما، وهي الوظيفة التي أدّاها شعراء الإسلام في مختلف العصور كما سجّل ذلك أبو تمّام بقوله:

ولولا خلال سنّها الشعراء ما درى بناةُ المعالي كيف تبنى المكارمُ

ـ إنّ الأدب الإسلامي لا يُلغي الآداب غير الإسلامية ولا يتجاهلها وإنّما يرفض منها ما يتناقض مع منطلقاته وخصائصه العقدية مثل الملاحم والأساطير وما له علاقة بغير عقيدة التوحيد، وفي الوقت نفسه تبلور الرؤية الإسلامية للحياة والإنسان أشكالا أدبية لا توجد في غير التصوّر الإسلامي ومنها على سبيل المثال: الدعاء والتضرّع والمناجاة (16).

ـ إنّ مجموع هذه الضوابط المرجعية المرتبطة بأصول الفطرة السليمة لا تحدّ من القدرة على الإبداع وتوخّي الجمال في كلّ شيء له قيمة في حياة المرء، فتمثّل عالم القيم والفضائل لا يمكنه أن يطمس معالم شخصية الإنسان الذي يبتغي الحقّ وممارسته في واقعه وذلك من خلال ما تتيحه العبقرية الفنيّة عند كلّ فرد فالذين تنكّروا لهذه الحقيقة بأنّ طلب الأخلاق والصفات الحميدة في العمل الأدبي من باب تمثّل المحال الذي يصعب نواله ولا ترتجي فائدته بوصفه من المثل العليا البعيدة عن الواقع، فإذا ما وجب على الأديب استحضارها فهي لا تليق إلاّ بعالم الملائكة.

ـ لقد قادت هذه المبادئ إلى حصر مجموعة من الخصائص ميّزت الأدب الإسلامي عن غيره وهي: النظر الشمولي، النظر الكوني، النظر الإنساني، النظر الواقعي، النظر العقدي، النظر القِيَميّ، النظر الجماليّ، تحقيق الانتماء (17) .

ب ـ ملامح التنظير والتطبيق لآفاق هذه الرؤية من خلال كتاب مقالات الإسلاميين:

بعد أن رسم المؤلّف الخطوط العريضة لمساقط الفكر الإسلامي في الأدب حاول أن يجعل له بعدا آخر غير الذي تعوّده النأس فيما عرفوه من أدب استشرى بينهم وأخرجهم عن طريق الهداية ومعرفة الحق وذلك من خلاله جمعه لجملة من المقالات حوت أفكارا توجيهية بمنحاها النظري والتطبيقي عند أولئك الذين مارسوا فعل الإبداع إيمانا منهم بمبادئ هذه الرؤية الإسلامية في الأدب؛ فمنهم من اجتهد في إرساء قواعد نظرية متكاملة في الأدب الإسلامي بوصفه بديلا عمّا استهجنه في الآداب الأخرى ومنهم من إلى كيفية إنتاج أجناس أدبية تستجيب لهذه المبادئ في شكل أشعار وروايات وقصص ومسرحيات، ويمكن إيجاز الحديث عن أفكار أولئك وهؤلاء بما تضمنته رؤوس

موضوعات هذه المقالات التي توزّعت على ثلاثة محاور كلّ محور منها شكّل مادّة جزء من أجزاء الكتاب:

ـ المحور الأوّل من الدّراسات والمقالات: عالج فيه الدّارسون والكتّاب قضية المفاهيم والتيّارات الأدبية الوافدة، والغازية للسّاحة الأدبية والفكرية وأدّى ذلك إلى توضيح عدد من القضايا الفكرية والأدبية أهمّها:

1 ـ تبيين وأشكال تلك التيارات وأهدافها وآثارها السلبية على واقعنا الأدبي والفكري والاجتماعي والحضاري.

2ـ توضيح صلة تلك التيارات بالصراع الحضاري إذ بيّنت أنّها في حقيقتها قوّة فكرية أجنبية مزاحمة ومنافسة لقوانا الحضارية ووجودها ونموّها في ساحتنا الأدبية والفكرية يؤدّي على المدى البعيد إلى بتر حياتنا الاجتماعية عن جذورها وأصولها الحضارية، وإلى ربط مصيرنا الفكري والاجتماعي بقوّة فكرية تختلف عنّا عقيدة ورؤية مصيرا.

3ـ توضيح حقيقة وأشكال التسلّل الإيديولوجي والحضاري من خلال الشعارات الفكرية والمصطلحات الأدبية والنقدية وتمرير الأطروحات السياسية الأجنبية بواسطة تأديب وتفكير الأنشطة السياسية الأجنبية.

4ـ توضيح حقيقة بعض المفاهيم الأدبية الشائعة مثل: التجديد،الحداثة، المعاصرة، التراث، إذ بيّنت هذه الدّراسات والمقالات أنّ هذه المصطلحات أعدت لتغطية أفكار سياسية وإيديولوجية عديدة تتجاوز الميدان الأدبي إلى الميدان العقدي والسياسي والحضاري الشامل.

5ـ توضيح حقيقة الآراء المنوّهة بجهود المستشرقين عامّة والمبالغة في الحديث عن دورهم في النهضة العربية الحديثة حيث بيّنت أن الاستشراق بصورة عامّة حركة استعمارية هدّامة، هدفها التمكين لقوى الاستغلال والهيمنة الأجنبية فكرا تمهيدا للهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية والحضارية الشاملة.

ـ المحور الثاني: لهذه الأبحاث والدّراسات وهو محور الأدب الإسلامي الذي بيّن البعد الحضاري للأدب الإسلامي ومن خلال ذلك اتضّحت القضايا الفكرية والخصائص الفنية للأدب الإسلامي عامّة، وتتلخص نتائج هذا المحور في القضايا التالية:

1ـ أنّ مفهوم الأدب في الإسلام: أنّه رؤية إيمانية للكون والإنسان وأنّه أيضا طاقة وإمكانية وضرورة من ضرورات النفس والحياة حيث لا تصلح الدّنيا ولا تستقيم بدون كلمات وعبارات ذات مضامين جميلة هادفة وبنّاءة وأخلاقية وذات أجراس وإيحاءات وقدرات غير عادية في التأثير على الإنسان وحمله على الحبّ أو الكراهية وتوجيه قواه العاطفة والعقلية إلى البناء أو الهدم. لذلك فإنّ الأدب في حسّ ووعي المسلم نعمة من نعم الله التي يجب أن تكرّس للخير دعوة ورعاية.

2- أنّ الأدب الإسلامية المتميّز بخصائصه الفكرية والأسلوبية الجمالية بقدر ما هو عنصر بارز في تاريخنا الأدبي والحضاري فإنّه اليوم موجود في الساحة الأدبية والفكرية بقوّة الفكر الفن رغم الحصار المفروض عليه، وتجاهله واتهامه، وأنّ وجوده امتدّ إلى معظم أشكال الأدب الحديث بالتغيير والإحياء والتجديد والتوجيه.

3- أنّ التناقض بين الفنّ والدّين عامّة وبين الأدب والأخلاق الإسلامية خاصّة دعوى زائفة، وقضية وهمية وقديمة قدم الصّراع بين الخير والشّر، وبين الحق والباطل وأنّ هذه القضية في واقعنا الفكري والأدبي تمثّل شكلا من أشكال الصراع الحضاري والتسلّل الأيدلوجي الواضح.

4- أنّ إسلامية الأدب لا تعني شيوع المصطلحات التعبدية في العمل الأدبي بصورة عامّة.وإنّما تعني بناء العمل الأدبي والفكري على اساس الرؤية الإسلامية للإنسان والكون والتزام الأديب بالقيم الإيمانية العقدية في فكره وأدبه تحقيقا للجمالية الإسلامية جمالية الحق والخير ومحاربة الشر والفساد.

5- أنّ الأدب الإسلامي بقيمه الفكرية والجمالية الإنسانية الخيّرة هو البديل الحتمي لأدب الجنس والرذيلة والتسلل الحضاري والغش الإيديولوجي، وبهذه النتائج القيّمة يكون محور (الأدب الإسلامي) قد أوقف الغارة على السّاحة الأدبية ولو إلى حين،وفند الآراء والادّعاءات المشكّكة في وجود الأدب الإسلامي وفي صلاحيته وفي قدرته على أداء وظائف الأدب في عصرنا الحديث(التكوين، التوجيه، المتعة الجميلة).

ـ أمّا المحور الثالث والأخير: وهو محور(النقد الأدبي الإسلامي) فقد بيّن الرؤية الإسلامية للأسس الفكرية والجمالية للعمل الأدبي ونقده ووظائفه، كما بيّن حقيقة وطبيعة العمل الأدبي من حيث الدّوافع والأدوات والتفرّد، ومعايير الحكم والتصنيف، كما وضّح قضايا الشعر الإسلامي خاصّة، وتتلخص نتائج هذا المحاور في الملاحظات التالية:

1- أنّ النقد الأدبي الإيديولوجي غير الكفء ولا النزيه الذي واكب السّاحة الأدبية منذ بداية هذه النهضة أدّى إلى انحراف سلبي واضح في الحركة الأدبية عامّة(أشكالا ومضامين) هذه الظاهرة التي سمّاها بعض الدّارسين: أزمة الحياة الأدبية وسمّاها بعضهم: إفلاسا، وسمّاها بعضهم: أمراضا...إلخ، لكن الجميع يقرّ بإصابة الحياة الأدبية إصابة أدّت بها إلى العقم والشلل.

2- أنّ الحملات النقدية الموجّهة ضد التراث عامّة حملات غير نزيهة ولا منهجية، وتدخل في إطار الصراع الحضاري والإيديولوجي غير المتكافئ بين الأمّة الإسلامية وبين غيرها من قوى الشرك والصهيونية بقسميها: الصهيوني والصليبي.

3- أنّ معايير وأسس النقد الأدبي الإسلامي ببعدها عن الأطر الضيّقة للنزاعات العرقية والإيديولوجية والمذهبية، وبتفتّحها على القيم الإنسانية الأصيلة والثابتة

وبالتزامها بقيم الإيمان والحق والعدل والخير هي القيم الوحيدة المؤهّلة والصالحة لمواكبة الحركة الأدبية وتوجيهها الوجهة الإنسانية الخيرة.

4- أنّ المنطلقات الوجدانية والفكرية للأدب الإسلامي الملتزم بمثل وقيم الإيمان والحق والعدل والحرية والصدق تجعله بطبيعته أدبا إنسانيا عالميا قادرا على مخاطبة الإنسان حيثما كان، والوصول إلى قلبه وعاطفته، وتذكيره بربه وبقيمته ورسالته في هذا الوجود.

5- أنّ الفراغ الملاحظ في السّاحة الأدبية والفكرية الإقليمية والعالمية لا علاج له بغير تخطّي الفكر الأدبي الإسلامي لمختلف الحواجز التي حالت بينه وبين استئناف رسالته الإنسانية الكبرى رسالة الدّعوة إلى توحيد الله والاعتراف بكرامة الإنسان وواجباته وحقوقه ووحدة أصله وعزّة المؤمن ومقتضيات ذلك في واقعه الفردي والاجتماعي (18) .

وأهم شيء اشتركت فيه هذه المقالات هو:

1- تمثيل أو توضيح الرؤية الإسلامية وإسلامية الرؤية - كما سبق القول - هي إسلامية فكر ومنطق يقبله الإسلام وإن لم يسلم صاحبه.

2- الاهتمام بالحركة الأدبية ونقدها بمنهجية ومسؤولية، وبدون تأثّر بالضغوط الإيديولوجية والحضارية.

3- أنّ المساهمين بصورة عامّة لم تستغلهم ولم تستهلكهم الاعتبارات التقليدية المفروضة لقوّة الإدارة على الحياة الأدبية والفكرية.

4- أنّ هذه المقالات والدّراسات من خلال وجودها وتطوّرها برهنت على قوّة وتطوّر الأدب الإسلامي ومفاهيمه (19) .

نتائج الدراسة:

- الإصلاح هو المقصد الأسمى الذي كان يرومه مصنف مقالات الإسلاميين وذلك من خلال سلسلة المواضيع التي اصطفاها في كتابه هذا؛ حيث أراد أن يحشد جملة من الأفكار التي تؤسس في النهاية لمبادئ التكافل الفكري من أجل جمع شتات أولئك الذين ينشدون الغاية نفسها وسلاحهم في كل ذلك رسالة القلم الصادق والمنبر الحر في الدعوة بعيدا عن المواربة والمداهنة.

- احترازات المؤلف من مواقف المجددين في الأدب العربي المعاصر مردها إلى التميع الذي يميز إبداعهم حيث لا مكان للتأصيل والتبعية لهذه الأمة وكأنهم لا يمتون إليها بأي صلة، فإذا كانوا يكتبون بأقلام الغرب ويعدون أنفسهم سفراء عن فكرهم فلا غرو أن يتنصلوا من كل علاقة تربطهم بشعوبهم المسلمة ويسعون جاهدين نحو شرذمة

الثقافة الأصيلة والدعوة إلى نبذها وتنفير عقول الناشئة من أجيال المجتمعات العربية من عبقها ومبادئها.

ـ ما عده مؤلف الكتاب من قبيل الأباطيل والخزعبلات في الأدب العربي المعاصر المتسربل برداء نظريات الغرب هو بالنسبة لمن يؤمنون به من مظاهر التجديد الذي أخرج الإبداع العربي من دائرة التزمت والرجعية إلى فضاء الانسياب في آفاق رحبة لا حدود فيها للخيال المتشبع بنوازع الغريزة.

ـ إنّ نظرية الأدب الإسلامي لا يمكنها أن تتبلور بمحاكاة أصول غيرها بالمقارنة وإنّما تبلورها يتشكّل انطلاقا من واقع مجتمع تنطق عن حياته فتجسّدها في شكل أجناس أدبية مُبدعة يمكن من خلالها تأصيل كلّ نظرة لها علاقة بالأدب الإسلامي الذي يفارق غيره من الآداب بميزة واقعه من جهة ومحتوى المضمون الأخلاقي من جهة أخرى، فمثل هذه النظرية المتكاملة في الأدب الإسلامي قد كان لها حضور في أيّام ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ثمّ إنّها سرعان ما خبا ضياؤها تدريجيا مسايرة للانحسار الحضاري والسقوط المتتابع لمقوّمات تلك الحضارة، ممّا جعلها تكبو وتحاول النهوض من جديد لكن بعكّاز غيرها الذي استوردته من الغرب.

ـ قيمة كتاب **مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد** لا تنحصر في جمع ما تناثر من المقالات ذات الصّلة بموضوع الأدب والنقد الإسلامي بل إنّ قيمته تتجلّى في درجات الوعي بالخطر المحدق بهذا النوع من الأدب وتحديد أسباب تراجعه وتبيان كيفية النهوض به والرقيّ بكتاباته لكي تبلغ مرتبة العالمية في دعوتها ورسالتها؛ حيث يكون الأدب الإسلامي هو المحضن الأساس لمبادئ الإسلام التي يمكن لغير المسلمين الاطّلاع عليها إذا ما تسامت مواضيع هذا الأدب بأفكارها الجديدة لتحلّ محلّ غيرها التي تسوّق في حاضر النّاس اليوم، والإنسان المعاصر مهووس بالجديد الذي انغلقت منافذه في مجال الأدب ولم تبق إلاّ نافذة الأدب الإسلامي التي إذا ما انفتحت فقد تغيّر واقع حياة النّاس بأكمله وتعيد لهم حقيقة وجودهم والغاية من إعمارهم لهذه الأرض، فتكون الرّواية أو غيرها من الأجناس ملجئا لتصحيح العقائد وترشيد العقل نحو الفطرة السليمة والمثل العليا.

الهوامش

[1]-الإسلامية والمذاهب الأدبية: نجيب الكيلاني، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، د ط، 1987م، ص20 وما بعدها.

[2]- ينظر الدراسة الرائدة في هذا الموضوع والموسومة بالاتّجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: محمّد محمّد حسين، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط9، 1984م.

[3]- ينظر أباطيل وأسمار:محمود شاكر (أبو فهر)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3،2005م، 117/1.

[4]- ما الأدب، ترجمة وتقديم: محمد غنيمي هلال، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، مصر، دط، دت،ص80.

[5]- المرجع نفسه ص81.

[6]- تاريخ الرواية الحديثة: ر.م ألبريس، ترجمة: جورج سالم، منشورات البحر المتوسط وعويدات، بيروت، لبنان، د ط،1982م،ص6.

[7]- مقالات الإسلاميين في الأدب والنّقد: أحمد الرّفاعي شرفي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1،2009،1/16.

[8]- ينظر هذه الشروط كاملة؛ المصدر نفسه 1/40-41.

[9]- محاضرات في تطور الأدب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية: حسام الخطيب،مطبعة طربين، دمشق، سوريا،ط1،1975م،ص98 وما بعدها.

[10]- ينظر نماذج موسّعة عن حركة التغريب وتأثيرها في أدبنا المعاصر: الإنسان في الأدب الإسلامي: محمد عادل الهاشمي،مكتبة الطالب الجامعي، مكّة المكرّمة، المملكة العربية السعودية، دط،1308هـ، ص80 وما بعدها.

[11]- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: صابر عبد الدايم، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1،2002م،ص231.

[12]- مقالات الإسلاميين في الأدب والنّقد: أحمد الرّفاعي شرفي 1/13.

[13]- نظرية الأدب: ريني ويليك و أوستين وارين، ترجمة: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، ط3، 1985، ص120.

[14]- مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد: أحمد شرفي الرّفاعي1/37-38.

[15]- الحجرات15.

[16]- مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد: أحمد شرفي الرّفاعي1/41-50.

[17]- الإنسان في الأدب الإسلامي: محمد عادل الهاشمي ص14-19.

[18]- مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد: أحمد شرفي الرّفاعي1/56-61.

[19]- المصدر نفسه ص62.

المعاجم المعاصرة لمصطلحات اللغة العربية بين إشكالية الوضع وانحصار التداول

ملخص

ظهرت معاجم للمصطلحات اللغوية عند المعاصرين من العرب اهتمت بجمع مصطلحات الخط والإملاء وكذا الأصوات والصرف وكذا مصطلحات النحو والبلاغة وكل ماله علاقة بمستويات اللغة بما فيها المعجم نفسه وأشهر تلك المعاجم : المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات): محمد التنوجي وراجي الأسمر والمعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن : مشتاق عباس معن ومعجم علوم العربية :محمد التنوجي والمعجم المفصل في دقائق اللغة العربية : إميل بديع يعقوب وعدد هذه المعاجم في تزايد مستمر لا مجال لاستقصائها جميعا ، غير أن واقعها وحاضر استخدامها يكشف عن انحصار تداولها ومعوقات وضعها

وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تبيان أسباب انحصار تداول مثل هذه المعاجم والكشف عن المظاهر السلبية لتناسخ الجهود في تأليفها بالتكرار كما سنعمد إلى تقديم خطة لتصنيف معجم للمصطلحات اللغوية متكامل أساس حصيلته المادة العلمية لهذه المعاجم وغيرها.

د. محمد مشري

قسم الآداب واللّغة العربية
جامعة قسنطينة 1
الجزائر

Abstract

A wide range of vocabulary, however, has emerged in contemporary Arab interested in collecting terms under calligraphy , spelling, phonics, grammar, rhetoric , morphology, and all that relates to various aspects of language including the lexicon itself.
The most cited of these lexicons are those of Mohammed Tanouji that of Mouchtaq Maan Abbas , and others whose number is increasing. However, there is a difficulty as to the limited use of these lexicons related to the difficulties of achieving them.

مقدمة

لم تنأ المعاجم اللغوية عن دائرة التكرار والاجترار، فميزتها الأساس أنها أعادت ترتيب المواد اللغوية ونظمت مداخلها بحسب رؤية كل مدرسة معجمية على حدة.

فلسان العرب لابن منظور مثلا ما هو إلا جمع لجهود خمسة من العلماء الذين سبقوه في هذا المضمار، صرح هو نفسه بأنها مثلت في جملتها مصادره الأصيلة، فابن منظور في القرن الثامن لا يمكنه بأي حال

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013

We will try through this intervention to elucidate the causes of restricted use of lexicons, and reveal the negative aspects of the recovery of previous efforts by imitating . As we try to present a plan for implementation of a lexicon integrated linguistic terminology based on the results of these lexicons

من الأحوال أن يرحل إلى البوادي ويستمع إلى أعرابها ويدوّن ما جمعه لأن تلك البيئات الفصيحة قد أفل نجمها وغار ضياء فصاحة أهلها إن وجدت، فلا محيص عن استنساخ جهود الفراهيدي والأزهري وابن سيده وابن الأثير والجوهري لا لكونهم شافهوا الأعراب جميعا بل لكونهم أضافوا جديدا إلى معاجمهم لم يتناوله من سبقهم.

فلو تسنى لابن منظور ومن استنوا بسنّته من أولئك الذين جاءوا قبله أو بعده أن يقصروا جهدهم على جمع الحصيلة اللغوية التي نطق بها أهل زمانهم في كل عصر من عصور تأليف معاجمهم، وهذا ما التفت إليه بعض المعجميين الذين عكفوا على جمع مصطلحات كل علم ، حيث صنفوا معاجم نوعية في مصطلحات الفقه وأصوله واللغة وعلومها والفلك ومسائله وعلوم الفلسفة وقضاياها المتشعبة وغيرها من العلوم ولا أدل على ذالك من كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي ومعجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم لجلال الدين السيوطي وكشاف اصطلاحات الفنون لتهانوي وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ومفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبري زاده فمثل هذه المعاجم الاصطلاحية نحت منحا مغاير اهتمت فيه باستقصاء مصطلحات العلوم التي نضجت وبلغت الذروة في مجال أبحاثها ،فلا غرو أن تكون هذه المعاجم مصدرا مهما يؤسس لقاعدة علمية تكون منطلقا لتأليف معجما اصطلاحيا شاملا في كل علم، مما يساعد على تجنب عملية التكرار وهدر الجهود في إعادة موضوعات الكتب بما في ذلك المعاجم.

إن الارتباط الوثيق بين حقب تراث الفكر الإسلامي العربي جعلها تلقي بظلالها وثقل إنتاجها العلمي على الفكر العربي المعاصر الذي لم يستطع التخلص من لبوس الماضي والتوجه إلى الحاضر لرؤيته كما هو بواقعه ولغته ،، ثم محاولة مجاراته بالوصف والكشف والاستقصاء لتنفتح بعد ذلك مغالق هذا الحاضر وتتيسر سبل التعاطي مع مستجداته وكل محدث طارئ على حياة الناس فيه، وتعد اللغة أكبر شاهد على متغيرات الواقع لأنها لسان الحال المعبر عن كل مقام فلولا هذه الخصيصة لما كانت قادرة على التطور والنمو وذلك بقدرتها على استبعاد ألفاظ وإقبار أخرى وتظهر هذه السمة في تاريخ اللغة العربية المتجاوبة مع كل عصر ينطق بها فتنعكس في حياة مستخدميها مستويات متباينة ؛ حيث تحافظ على الإرث القديم من معاجم ألفاظها وتساير المستحدث من الألفاظ المعبرة عن حاضر أهلها ولم يكن ذلك بجهد علمائها بل بطواعيتها الكامنة فيها .

فالذين أوقفوا أنفسهم على خدمة اللغة العربية في هذا العصر لم يعملوا على تقديمها لسانا فصيحا متحررا من كل عجمة قادرا على مواكبة كل لسان ينطق عن الحضارات الغربية المعاصرة ، ومرد هذا العجز يرجع أساسا إلى عدم وجود منتج فكري أصيل تذود اللغة العربية عنه وتنطق باسمه لهذا انزوى الجهد في تأليف معاجم معاصرة لألفاظ اللغة المستخدمة ، ناهيك عن تصنيف معاجم في مصطلحات العلوم الجديدة سواء تلك المتعلقة باللغة نفسها أو ببقية العلوم الإنسانية والطبيعية ، فغياب واقع الحضارة المنتجة للفكر بمظاهره المادية والمعنوية أسهم في هذا التراجع واجترار الموروث الفكري القديم أو الاعتماد على ما أنتجته عقول علماء الغرب من فكر هو في أصله هجين المنشئ لا يمت بأي صلة لهوية اللغة العربية

فالمعاجم المعاصرة للغة العربية بنوعيها معاجم الألفاظ ومعاجم المصطلحات لا تعدوا أن تكون نسخة عن معجم قديم أو تقليد لمعجم غربي تمت ترجمته لاسيما في علم اللسانيات بوصفه منهجا جديدا من مناهج دراسة اللغة والتعبير عن تطورها ،لهذا فقد حُظيت اللغة العربية بأكثر من معجم اعتنى بجمع مصطلحات هذا العلم الوافد وذلك إما بإعطاء صبغة تأصيلية للمصطلح انطلاقا من االتراث العربي وإما بتركه على حاله كما أراده فعل الترجمة وأمثلة تلك المعاجم المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات): محمد التنوجي وراجي الأسمر، والمعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن : مشتاق عباس معن ، وزامنها ظهور معاجم أخرى اهتمت بإعادة جمع مصطلحات علوم اللغة بقضّها وقضيضها قديمها وحديثها ونماذج تلك المعاجم : معجم علوم العربية :محمد التنوجي ومعجم علوم اللغة : محمد سليمان عبد الله الأشقر ،غير أن هذه الجهود لم تجد رواجا في الاستعانة بمنجزاتها ، كما أنها ضيقة الاستخدام عند أولئك الذين يبحثون في اللغة وعلومها ؛لأن هذه المعاجم لم تمثل بحصيلتها المرصودة مفهوم المعجم المتخصص الذي من شأنه أن يوحد نسبيا بين أطراف الخلاف فيما هو متداول من مصطلحات لغوية قديمة أو لسانية حديثة ومعاصرة ، فالغاية المنشودة من وراء تأليف أي معجم اصطلاحي لابد أن تقتصر في النهاية على سمة التخصص والتوحيد لضمان أكبر قدر من التداول ، وسنحاول من خلال هذه المداخلة تقويم هذه الجهود وتوضيح السبيل الأمثل للاستفادة منها لتأليف معاجم اصطلاحية موحدة ابتعادا عن التشتت الفكري والتكرار المنهك للجهود العلمية

أوّلا: أسباب اضطراب وضع المصطلح وقلّة تداوله عند المعاصرين من العرب

تضافرت جهود كثيرة للحد من إشكالية اضطراب وضع المصطلح التي أرقت المعاصرين من علماء العرب في مختلف العلوم الإنسانية والعلوم البحتة؛ لأن المصطلح الوافد قد نشأ في أرض حضارة غير أرضهم ،مما أوقعهم في إشكالات كثيرة تنوعت بتنوع البيآت العربية من جهة وعلماء القطر من جهة أخرى ، ولعل أول مظهر لتلك الإشكالات هو التباين في تحديد أيهم أجدر بالاستخدام و الإطلاق أهو لفظ اصطلاح أو مصطلح فهناك من يرى أن الاصطلاح والمصطلح شيء واحد لا فرق

بينهما (1) وهناك من يرى أن الأولوية في الإطلاق تقتصر على لفظ الاصطلاح ويرفض هذا الاتجاه استخدام لفظ مصطلح لعدم وروده في معاجم التراث العربي والاكتفاء بلفظ اصطلاح لكونه قادرا على إفادة تمام المعنى المقصود (2) فلا الرأي الأول وفّى بحق اللغة العربية لكون ألفاظها تختلف دلالاتها باختلاف حرف فيها ، كما أن الرأي الثاني ضيّق واسعا وأوعز بالشحّ على اللغة العربية بأن تتطور وتكتسب ألفاظا جديدة بالاشتقاق والتوليد والنحت (3) وهناك من يرى بأنهما متباينان في الدلالة على مفهومين مختلفين فالاصطلاح شيء والمصطلح شيء آخر ويمثل هذا الاتجاه عبد الصبور شاهين الذي يقول :"فنحن نتذوق في استعمالنا لكلمة (اصطلاح) معناها المصدري، الذي يعني الاتفاق والمواضعة والتعارف،ونقصد في استعمالنا لكلمة (مصطلح) معناها الاسمي الذي يترجم كلمة (Term) الإنجليزية، ولذلك لا نجد بأساً في أن نقول: (إن اصطلاحنا على مصطلحما ضرورة في البحث)، وهو أولى وأفضل من أن نقول: (إن اصطلاحنا على اصطلاح) بهذا التكرار الرقيق. ويبدو أن هذه التفرقة في الاستعمال لم تكن واضحة قديماً" (4) وقد أشار إلى ما جاء عند (وبستر) في تعريف كلمة (Term) بأنها: لفظ أو تعبير ذو معنى محدد في بعض الاستعمالات، أو معنى خاص بعلم أو فن أو مهنة أو موضوع، وجاءتعريفه لكلمة Terminology أنها: "مجموعة الألفاظ الفنية أو الخاصة المستعملة في عمل أو فن أو علم لكلمة موضوعات خاصة". وبناء على التعريفين السابقين اللذين قالهما وبستر قدم شاهين تعريفه للمصطلح فقال: "هو اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم عملي أو فني أو أي موضوع آخر ذي طبيعة" (5) فترجيح رأي عبد الصبور شاهين يمنح للغة العربية حيويتها التي من خلالها تنبعث آفاق التجديد في معجمها الاصطلاحي بدءا بلفظ المصطلح نفسه .

فهذا الخلاف الأساس مهد لظهور خلافات أخرى تعددت أسبابها وليس الإشكال في الخلاف إذا كان مظهرا من مظاهر التنوع بل إن الإشكال يتبدى قائما إذا كان الخلاف متلبسا بالتضاد فالمظهر الأول من مظهري الخلاف هو الذي حفّز العلماء على البحث في نشأة المصطلح و كيفية تأسيسه و تعريفه وتحديد مفهومه وتوضيح المراد به.

ويمكن توضيح أسباب الإخفاق في الاتفاق على المواضعة وتسهيل عملية التداول الواسع للمصطلح ونشره بين مريديه في أي اختصاص و ذلك على النحو الآتي :

أنه يتم الأخذ من لغات بعيدة عن اللغة العربية، لا تنتمي إلى العائلة نفسها التي تنتمي إليها العربية ، فلكل لغة ولكل عائلة لغوية خصائص معينة تختلف فيها عن غيرها من اللغات، وهذا يعني أن الأخذ من لغتين متباعدتين من حيث الانتماء اللغوي أصعب بكثير من الأخذ من لغتين تنتميان إلى عائلة لغوية واحدة، فالعربية المعاصرة، تأخذ كثيراً من مصطلحاتها عن اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية اللتين تنتميان إلى العائلة الهندو أوروبية، وهذا يعني أن الاصطلاح على هذه المفاهيم الكثيرة التي

تُسْتَحْدَثُ بسرعة فائقة نظراً لسرعة التطور العلمي والتقني سيكون أمراً عسيراً وبحاجة إلى جهد ووقت كافيين حتى يمكن التعبير عنها بدقة وصحة تامتين.

وأمثلة العقبات التي تقف عائقاً في وجه تحقيق الاصطلاح؛ تنقسم قسمين ، قسم منها يختص باللغة العربية واللغات التي تأخذ منها والهوة العميقة التي تفصل العربية عن غيرها من اللغات الهندو أوروبية، والقسم الثاني يتعلق بمنهجية الاصطلاح. فلابد هنا من الحديث عن وضع آلية تسهم في محاولة تقليل البعد بين العربية واللغات التي تأخذ منها. وما يحول دون تحديدها بدقة (6).

تأخذ اللغة العربية معظم المصطلحات عن اللغات الأوروبية التي تمتاز بصفة الإلصاق فتستطيع أن تُوجِدَ ما تحتاج إليه من المصطلحات بزيادة السوابق Préfixes أو اللواصق suffixes أو الأحشاء Infixes، وباستعمال هذه الأدوات تتمكن هذه اللغات من التعبير عن كل المعاني والمفاهيم والأفكار بدقة ووضوح، وهو ما تفتقر إليه اللغات السامية، والعربية إحداها، فالعربية كما هو معروف من اللغات الاشتقاقية وإن بدا فيها بعض الجوانب الإلصاقية كما هو الحال في الجمع السالم والمثنى والتأنيث وغيرها، كما تتميز اللغات الأوروبية بقدرة فائقة على صوغ الكلمات المركبة، وهو ما لا نجده في اللغة العربية إحدى اللغات السامية التي من خصائصها خلوها من الكلمات المركبة إلاّ في بعض الأعداد، هذان سببان من الأسباب التي تعيق علمية الاصطلاح، وتجعلها صعبة وشاقة. فلا سبيل إلى النجاح في وضع المصطلحات في ظل غياب منهجية واضحة محددة لهذا الغرض؛ لأن المعرفة لا يمكن أن تكون تامة ودقيقة وشاملة دون منهجية دقيقة متكاملة تعتمد عليها في من وعي شامل ومسؤولية تامة. وقد بذلت الجهات العلمية العربية المختلفة من منظمات وهيئات ومجامع لغوية جهوداً كبيرة في سبيل وضع المصطلحات وفق المعايير والمقاييس الدولية، إلا أنها لم تستطع أن تضع منهجاً واضحاً محدداً ملزماً يلتزم به الجميع، يقول الحمزاوي: "الملاحظ أن المنظمات والهيئات العربية قد بذلت جهوداً كبيرة في هذا الشأن دون أن توفر لنا واحدة منها منهجية شاملة جامعة، تأخذ بعين الاعتبار ما يتطلبه وضع المصطلحات ترجمة وتوحيداً من معايير ومناهج". (7) فلم تأبه كل هيئة من هذه الهيئات المختلفة بما يفعله غيرها من الهيئات والمنظمات الأخرى في هذا الإطار، بل أغمضت أعينها عن كل ما تم إنجازه من قِبَلِ غيرها من الهيئات والمنظمات، مما ترتب عليه كثير من التكرار والازدواجية، أدى كل هذا إلى تخبط غير محمود في وضع المصطلح، إضافة إلى إضاعة الوقت والجهود الكثيرة التي بذلت دون الإفادة منها بشيء، "فظلت كل هيئة تصدر ما تراه صالحاً ومفيداً ولو بإعادة ما سبق لغيرها أن أقرته وجربته ونجحت فيه". (8) بل أشد من ذلك أن النعرة القطرية الضيقة لا زالت تعيش في عقول كثير من باحثينا الذين يأنفون الاطلاع على ما وضعه غيرهم في الأقطار العربية الأخرى من مصطلحات، وإذا حصل أن اطلعوا عليه فإنهم يغضون من شأنها

بل يرفضون قبولها، هذه النعرة الإقليمية البغيضة التي ترى الأمة العربية الواحدة أمماً مختلفة أدت إلى عدم التواصل العلمي بين العلماء العرب، مما ترتب عليه شيوع مصطلحات علمية أقل دقة من غيرها

وهناك موانع أخرى حالت دون توحيد المصطلح و سلوك منهج قويم في تأسيسه و تأصيله من بينها :

- اختلاف مصادر التكوين العلمي والمعرفي للسانيين العرب وتوزعهم بين

ثقافة فرنسية وإنجليزية وألمانية.

* التفاوت النظري والمنهجي بين المستوى العلمي للسانيين العرب.

* التطور المستمر للبحث اللساني العالمي وظهور المزيد من المفاهيم وهو ما يعني* ضرورة توفير مصطلحات لسانية عربية جديدة.

وجود تراث اصطلاحي نحوي ولغوي عربي يُنْهَلُ منه إما لسد حاجيات الطلب المتزايد وإما لالتباس الأمور على أصحابها.

سيادة النزعة الفردية -التي تتحول إلى نزعة قطرية- في وضع المصطلح. (9)

ثانيّا : طبيعة المصطلحات التي حَوَتْها المعاجم المنتخبة في هذه الدراسة

لقد ظهرت معاجم معاصرة كثيرة اهتمت بجمع المصطلح اللغوي أيا كانت طبيعته،لكنها وقعت في ما تم التنبيه إليه من معوقات في العنصر السابق من هذه الدراسة فهذه المعاجم على كثرتها وتنوعها لم تخرج من دائرة التكرار والاستنساخ دون مراعاة لجهود سابقة أو إطلاع على أعمال منجزة يمكن أن تمثل لمن يأتي بعدها قاعدة أساس تضمن الاستمرارية والتواصل العلمي فلئن كان القدماء من العرب قد نأو بأنفسهم عن فوضى المصطلحات وتمكنوا من وضع منهج موحد في جمع المصطلحات وتعريبها لأنهم احتكّوا بشعوب الحضارات الأخرى وترجموا علومهم دون استلاب حضاري فلئن كان هذا هو دأبهم فنظراؤهم من العرب المعاصرين لم يجدوا ضالتهم في غمار طغيان الفكر الغربي على توجهاتهم العلمية من جهة وسرعة المنجزات المادية والمعنوية التي تحتاج إلى وسم لمصطلح يدل عليها من جهة أخرى.

فهذه الهلامية في الانتماء والإنتاج الفكري أربكت كل ساع إلى محاولة الانطلاقة من جديد وفق معايير وأسس لها طابعها الخاص فتعريب الفكر والضمير أولى من تعريب المصطلح (10) قبل استلاله من بين أحضان بنات فكر أهله في الحضارة الغربية، ولعل الهاجس الذي يؤرق ذهن كل باحث ينشد الحقيقة العلمية سعيا وراء اكتشاف مصطلح جديد يجعله بصمة عربية على أي منتج لعل هذا الحلم صار يبابا به سارٍ باسط كفه بالماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه فهذا الواقع الموصوف تجليه المئات من المعاجم المعاصرة للمصطلحات اللغوية التي تصدرها المؤسسات العلمية أو المؤسسات الأكاديمية أو تلك المعاجم التي يعكف العلماء على تأليفها وإصدارها بغية

الإسهام في تشييد علم المصطلح أو المصطلحية على ما ترغبه اختيارات بعض الأمصار في المغرب أو المشرق.

ولكي تكون عملية النمذجة فاعلة في الكشف عن هذه الممارسات العلمية غير المتكاملة من جهة وغير المتوافقة من جهة أخرى ، تم اختيار عينة من جملة المعاجم المعاصرة التي عنيت بالمصطلح اللغوي لا لكون هذه العينة متميزة عن غيرها بل لكونها غيض من فيض لا يمكن حصرها كلها ولا استقصاء عددها، كما أن ما تم اختياره للدراسة يمكن أن ينسحب حكمه في النهاية على البقية الباقية باستثناء تلك المعاجم المتخصصة التي استطاع أصحابها أن يجدوا منفذا للخلاص من التكرار والنسخ .

وتضم هذه العينة مجموعة من المعاجم أشهرها :المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات): محمد التونجي وراجي الأسمر ومعجم علوم العربية : محمد ألتونجي ومعجم علوم اللغة العربية : محمد سليمان عبد الله الأشقر والمعجم المفصل في دقائق اللغة العربية : إميل بديع يعقوب والمعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن : مشتاق عباس معن .

فالملاحظ على دباجة عناوين هذه المعاجم المنتخبة أنها تنقسم ثلاثة أقسام : قسم يشير إلى مضمون يحوي علوم اللغة قاطبة وقسم ثان يومِئُ إلى أن المحتوى خاص بدقائق اللغة العربية وهنا تبرز سميائية العنوان المبهمة، ولا وجود للفظ المصطلح على أنه المقصود بتأليف المعجم إلا في العنوان الأخير ضمن هذه القائمة من المعاجم وهو الذي يمثل القسم الثالث بتميز موضوعه وقبل تحديد طبيعة المصطلحات في كل معجم لابد من توضيح مسألة مهمة وهي أن جملة هذه المعاجم صادرة معظمهم عن دار نشر واحدة وإن شذّ منها معجم فمكان النشر يجمعهم كلهم إذ لا مناص من الاحتجاج بتباعد الأقطار وتنائي الديار .

وما يوحد بين هذه المعاجم هو اشتراكها في صياغة عناوين فضفاضة توحي بإدراج كل مُتَصوّرٍ في الذهن عند قراءة هذا العنوان أو سماعه، فلئن كان هذا التعميم هو السمة الغالبة في بعض المعاجم لكونها جهود أفراد فإن هذا الخلل لم يسلم منه المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية الذي أصدره مكتب تنسيق التعريب بالرباط وقد قام بإعداده نخبة من العلماء الذين لهم اليد الطولا في توليد المصطلحات اللغوية عامة وترجمة المصطلح اللساني الغربي خاصة ،فهؤلاء العلماء لم يكتفوا بإدراج المصطلح اللساني المتداول في الكتب الأكاديمية في الجامعات العربية بل أوردوا مصطلحات كثيرة لها علاقة بمستويات اللغة الأخرى كالأصوات والعروض والبلاغة والمعجمية والصرف وغيرها (11)، فلئن كان هذا هو دأب المؤسسات والهيئات العلمية فكيف تكون الحال مع زمرة المجتهدين من العلماء إذا كانوا فرادى فهم حتما سينفصلون شكلا ويتقاطعون مضمونا فيما يصنفونه من معاجم زعما منهم أن الاستقلالية في إنجاز مثل هذه الأبحاث تحقق الريادة وتكسب المجتهد منهم شهرة و تمنحه شهادة الإبداع، أما

عن مجموعة المعاجم التي تم اصطفاؤها في هذه الدراسة فهي لا تبتعد كثيرا عن السيمات العامة التي تمت الإشارة إليها آنفا و لا يعني هذا غمط حق كل باحث فيما قدم بل إن الجهود يمكن أن تجمع من جديد وتنقح لاستخلاص معجم جامع يحقق الشراكة العلمية بين ألئك العلماء و الباحثين و ستتضح ملامح هذه المعاجم من خلال طبيعة المصطلحات التي حوتها و كيف تسنى لأصحابها جمعها دون تواصل علمي بينهم حيث ستبرز أول ميزة وهي التقاطع في نوعية المواد والاشتراك في رؤوس الموضوعات.

أ – المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) تأليف التونجي و راجي الأسمر

أضفى مصطلح (الألسنيات) ضبابية على العنوان مما ، وشح موضوعه بغموض لاسيما أن أهل المشرق لا يستخدمون هذا المصطلح لكونهم يستعيضون عنه بمصطلح اللغة و ما يزيد العنوان إبهاما ويجعله باهتا هو ما ورد في مقدمة المعجم التي من شأنها عادة أن تفسر العنوان و توضح الهدف من تأليف أي كتاب فهذا المعجم أعد ليكون حلقة من سلسلة (الخزانة اللغوية) التي تصدرها (دار الكتب العلمية) وقد صدر من هذه السلسلة :

المعجم المفصل في العروض و القافية وفنون الشعر و المعجم المفصل في الإملاء والمعجم المفصل في الإعراب والمعجم المفصل في النحو العربي والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية والمعجم المفصل في علوم البلاغة و المعجم المفصل في الأدب و المعجم المفصل في الصرف ،مما لاشك فيه أن هذا العمل الضخم مكسب علمي لابد من تثمينه والثناء على جهد أصحابه لكونهم جاؤوا بما لم تستطعه الأوائل وإن كانوا قد استثمروا حصاد فكر أسلافهم، إن هذا الانجاز العظيم لم تشُبه عيوب الجمع والاستقصاء بل عمى عليه التكرار وعدم ضبط المصطلحات الدالة على عنوان الموسوعة برمتها ناهيك عن مصطلحات هذا المعجم الذي نحن بصدد دراسته والدليل على هذا الخلط الذي وقع فيه من صنف هذه الموسوعة هو ما قاله مؤلفا هذا المعجم في مقدمته بعدما أشارا إلى موقعه من الخزانة اللغوية (وقد حرصنا أن يتضمن هذا المعجم مصطلحات العلوم اللغوية كافّة ، معتبرين أن هذه العلوم تشمل، النحو، والصرف، والعروض، والبلاغة، (البيان، والبديع ، والمعاني)، وعلم اللغة، وفقه اللغة.

(واعتمدنا منهج الاختصار والإيجاز في شرح المصطلحات، ومن يود التوسع في مادة من المواد التي يتضمنها معجمنا هذا ، يستطيع الرجوع إلى المعاجم التي سبق ذكرها.) (12) يتضح من خلال هذا النص أن هذا المعجم مختصر لما تم إنجازه من أقسام الخزانة اللغوية ، كما أنه يحوي مصطلحات لجملة من العلوم لا علوم اللغة نفسها والفرق بيّن بين لفظتي مصطلح وعلوم ؛ فالعلوم تحوي كمّا من المصطلحات فلماذا لم يكن عنوان هذا المعجم (معجم المصطلحات اللغوية حيث يستبدل لفظ علوم بلفظ مصطلح؟ ولا لتّنبيه فإن هذا المعجم يقع في مجلدين ترتبت فيهما المصطلحات وفق نظام المعجم الهجائي المعروف بحيث تتحدد قائمة المصطلحات باعتماد المداخل الرئيسة التي تولي عناية بأصل الكلمة وهذه الطريقة ليست مطردة لوجود مصطلحات

تفتقد لجذورها إما بسبب تعريبها الجزافي أو الاحتفاظ بلفظها الأجنبي المقولب بصيغ الأوزان العربية.

وأمثلة ذلك كما يلي:

- القسم الأول سيتضح من خلاله تداخل مصطلحات العلوم المختلفة من عروض وبلاغة و نحو وصرف وفقه اللغة، ففي باب الألف أدرجا المؤلفان المصطلحات الآتية (أتاه سليمان ،ائتلاف القافية مع ما يدل عليه ، ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، ائتلاف اللفظ مع المعنى،.....،ابن آجروم، الأجروميّة،.....،الآرميّة الفلسطينية،الآرميّة القديمة الغربية.....الأبجدية الصوتية الدولية، الأبجدية العربية، الإبدال، الاشتقاق.....، أحمد رضا، أحمد فارس الشدياق.....) (13) فهذا الجمع بين مصطلحات العروض والبلاغة والنحو وفقه اللغة و الصرف وإدراج أسماء الأعلام معهم لا يماثل إلا ما تم التعارف عليه في الموسوعات ؛ لأنه لا علاقة لابن آجروم وأحمد رضا وأحمد فارس الشدياق بالمصطلحات اللغويّة ولا اللسانية فموضع هؤلاء الأعلام كتب التراجم والطبقات.

- أما القسم الثاني فسيتبين من خلال أمثلته ما تم إيراده في هذا المعجم من مصطلحات لم تخضع لأصولها الاشتقاقية لعدم انتمائها في أصل وضعها إلى قائمة المعجم العربي ونماذج ذلك كما يلي:(آجرومية، الإسبانية المكسيكية ،إسبيرانتو.....) فهذه المصطلحات وغيرها لا تخضع للترتيب وفقا للجذر وإنما قاعدتها التي تتحكم في ترتيبها هي مصفوفة حروفها كما هي مكتوبة لعدم القدرة على التكيف مع عملية نطقها وحقيقة أي معجم يضم مصطلحات لابد أن يخضع نظام ترتيبها إلى هذه القاعدة لكي لا يصطدم مع إشكالية الجذر فالمصطلح تعنينا منه دلالته لا معناه اللغوي ، وهناك ملاحظة أخرى تتعلق بما أراده المؤلفان من مصطلح الألسنية فهي تعني كل لفظ أجنبي استخدم في علمي الدلالة والأسلوبية لكونهما أكثر انتشارا بالإضافة إلى بعض المصطلحات في علم فقه اللغة المقارن الذي يعتمد آلية المكافئات الاصطلاحية في كل لغة أو كل عصر إذا ما تم الاحتكام إلى تتبع تاريخ نشأة المصطلح وتطوره إما في اللغة نفسها أو في اللغات التي تنتمي إلى عائلة واحدة .

ب- معجم علوم العربية : (تخصص -شمولية – أعلام) تأليف محمد ألتونجي :

تكاد أن تكون هذه النوعية من المعاجم تجارية أكثر منها علمية لما تحمله واجهات أغلفتها من شعارات ولوحات إشهارية، إذ لا يعقل أن يكون معجما كهذا قادرا على أن يضم بجزئه الوحيد كل ما أشارت إليه عبارة (تخصص، شمولية، أعلام)؛ حيث لا وجود لمفهوم الاختصاص إلا في مصطلح علوم اللغة ، كما أن الشمولية عوّضت لفظ المفصل الذي عادة ما يدرج في ديباجة العنوان ثم يجيء في المقدمة ما يدل على عكس ذلك ،حينما يصرح المؤلف أنّ ما سيرد في المعجم من شرح بدلالة المصطلحات سيكون مقتضبا، وقد أضاف من عمل على نشر المعجم لفظ أعلام إلى العبارة السابقة غير آبه بأنها أضرت بالمؤَلّف والمؤلِّف، فالمعجم في النهاية سيستخدمه أهل

الاختصاص الذين يدركون يقينا أن الأعلام لا علاقة لهم البتة بعلوم اللغة العربية إلا ما ارتبط بدلالة أسمائهم .

فإذا كان العنوان قاصرا على الدلالة على محتوى الكتاب فهذا يعني شيئا واحدا أن مؤلّفه لم يستوعب أن العنوان هو أفضل وسيلة للإعلان عمّا يضمّه مضمون الكتاب (14)، والملاحظ كذلك أن صاحب المعجم قد نهج المنهج نفسه الذي سار عليه هو ومن شاركه في المعجم الأول حيث فضّل لفظ العلوم على لفظ المصطلح وهذا المنحى يبين اتجاها واحدا أن الغاية ليست واضحة عندما شُرِع في تأليف مثل هذه المعاجم التي أريد لها أن تحتوي القاصي والداني من كلّ شيء يمُتّ بصلة إلى اللغة العربية ولا شك أن منهجا كهذا لا ينسحب إلا على الموسوعات ذات الطابع الشمولي كما أشرنا إلى ذلك سلفا ،كما أن هذا المعجم بدلالة عنوانه يوشك أن يلغي جهد المعجم السابق أو يتنكّر لما قام به مؤلّفاه حيث كان صاحب هذا المعجم أحدهما وهذا ما يجرنا إلى دائرة التكرار المستهجن خاصة إذا ما أُلِّف المعجم في البلد نفسه.

لم يقف التكرار وتجاهل الجهود السابقة عند هذا الحد بل تجاوزه إلى أكثر من ذلك لأن مؤلف هذا المعجم صرح هو نفسه في المقدمة بأنه أسهم في إعداد معاجم سابقة ذات الاهتمام نفسه أي جمع كل مصطلح له علاقة بعلوم اللغة ، يقول محمد ألتونجي (ولقد رأينا أن نسهم في صناعة المعجمات للمصطلحات، فأخرجنا "المعجم المفصل في الأدب "، وشاركنا في صناعة " المعجم المفصل في اللغة، وحققنا "تعريفا العلوم "للطف الله التوقاتي ، ثمّ عكفنا بعون الله – على معجم شامل لمصطلحات اللغة والنحو والبلاغة فضممنا فيه أكثر من ثلاثة آلاف مصطلح في اللغة وعلومها وفقهها (15) ولا أدل على ذلك مما قدمناه سابقا حينما بيّنا مشاركته في المعجم الذي صدرنا به هذه القائمة في العنصر أ من هذه الدراسة، وما يؤخذ عن مؤلفه كذلك هو استعاضته عن لفظ مصطلح في العنوان حيث آثر لفظ علوم اللغة بالرغم من كونه عناه أي المصطلح في معجمه وكرره مرات ومرات في المقدمة يقول مثلا في مستهل مقدمته إن (الحاجة إلى معاجم المصطلحات العلمية اليوم مهمة جدا.....)، ويقول في موضع آخر (ورتبنا المصطلحات ترتيبا أبتثيا دقيقا كما جاءت في الكتب اللغوية والعلمية) (16) إذن فوضوح الغاية بيّن في المقدمة أن المراد من تأليف هذا المعجم هو جمع المصطلحات لا علوم اللغة العربية ، ولعلّ شمولية مصطلح علوم اللغة يتيح إقحام كلّ شاردة وواردة في المعجم دون غضاضة، فالمؤلّف يقر بذلك صراحة حينما يقول:(وسمحنا للقلم بأن يجود بمواد فرعية غير بعيدة عن دائرة التخصص، فالفروع تردف الأساسيات والأساسيات تُخدم بالفروع. وعرّفنا بأعلام اللغة القدماء والمحدثين، وعرفنا كذلك بالكتب اللغوية سواء القديم منها أو المعاصر) (17).

إن الجمع بين مصطلحات اللغة وأعلامها قديمهم وحديثهم إجحاف في حق أحد الموضوعين إما الأول أو الثاني ولو تسنى للمؤلف إن يفعل ذلك لأشبه معجمه بفهرس ؛لأن الترجمة للأعلام ولو اقتصرت على سطر واحد يمكنها أن تشمل عدة مجلدات

والواقع أصدق خبرا عن ذلك حيث إن دور النشر أصدرت كتبا كثيرة بما فيها المعاجم التي تترجم للأعلام لا يقل عدد أجزائها عن الجزء الواحد أو الجزأين بما لا يقل عن ألف صفحة في كل جزء وهناك سمة أخرى في هذا المعجم هي أن مؤلفه قد أتبع بعض القضايا اللغوية بشواهد من الذكر الحكيم والشعر والأمثلة النثرية وهذا المنهج قلما تسلكه معاجم المصطلحات إن هي أفردت لهذا الغرض فحسب.

أما عن المصطلحات التي تناولها المؤلف في هذا المعجم فإنها في المجمل لا تختلف عمّا أورده في المعجم السابق عدا بعض المصطلحات التي أقصاها وأحلّ غيرها محلّها وهذا ما يضيف عبئ آخر يكون شاهدا على استنساخ الجهود والأعمال العلمية التي كان من الأجدر أن يتفرغ فيها كل باحث إلى ما يتمم نقصا أو يشرح غامضا أو يجمع متفرقا أو ينشغل بمجالات البحث الأخرى دونما تواطئ في التراكمية العلمية المستهجنة التي تهضم الحقوق وتستهلك الطاقات فمؤلف هذا المعجم تيسرت له ظروف إعادة القراءة والمراجعة والفرز لكي يتمكن من إخراج معجم للمصطلحات التي لم تتضمنها المعاجم التي شارك في إنجازها وتأليفها إلا أنه أحجم ونسج على المنوال نفسه.

فلولا خشية الإطالة على القارئ لعقدنا مقارنة بين المعجمين الأول والثاني لكي تتبدى رشاحة ما ينفرد به كل معجم وهي حتما نزر يسير لكون الثاني متضمّن في الأول وهذا من شأنه أن يُقبر المعجم الثاني ويواريه عن أنظار الباحثين والعلماء فيذهب الجهد سدا وتتراجع المردودية العلمية للمؤلف الذي كان بإمكانه أن يضيف جديدا وأي جديد كيف لا وهو الذي كانت له الحظوة في الاستفادة من عدة تجارب سابقة كان بالإمكان أن تفضي إلى إعادة غربلة محتويات الخزانة اللغوية ومن ثمّ محاولة جمع مصطلحاتها وترتيبها فيكون العمل مكسبا علميا لا بد لغيره أن يحتذيه ويتخذه أنموذجا.

ج معجم اللغة العربية (عن الأئمة) النحو، الصرف، فقه اللغة، المعاني، البيان البديع، النقد، الخط، الإملاء، العروض، القوافي، التلاوة)، تأليف : محمد سليمان عبد الله الأشقر:

ثلاثة معاجم اتفقت على عنوان واحد بلفظه وما يمكن أن يضاف إليه من فروع بوصفها لواحق تضفي نوعا من الهالة المغرية التي عادة ما تعتدّ بها المؤسسات التجارية ، حتّى وإن كانت دور نشر وما هذا التضليل إلا نوعا من التلبيس على القارئ لا سيما إذا ما كان مبتدءا، والملاحظ أن من أصدر هذه المعاجم هي دور نشر لها وزنها في الوطن العربي والإسلامي بل لعلّ صيتها ذاع ليبلغ أقطار العالم لأنها عادة ما تشارك في المعارض الدولية للكتاب، كما أنها تختص بإصدار الموسوعات العالمية المترجمة وكذا الروايات الغربية فمثل هذا الصنيع بمعاجم لغوية لها أثرها في حياة الباحثين يمكن أن يقدح في المصداقية العلمية .

وما تمّ التمثيل له من نماذج كافية على أن تقوم حججا تضحد كلّ زعم عند مؤلّفي هذه المعاجم من أنهم لم يطّلعوا على جهود بعضهم بعضا وأنّه حال حائل دون تواصلهم وقام عذر طارئ أوصد قنوات التنسيق فيما بينهم، ولا يمكن للمنافسة التجارية بين هذه المؤسسات التي تكفلت بنشر معاجم أن تقف حجر عثرة أمام توحيد المنهج وتفادي التكرار للبحث والاستقصاء في مجال واحد هو جمع أكبر قدر ممكن من مصطلحات النحو والصرف والعروض والبلاغة وغيرها من الملاحق المعتمدة في تتميم المعجم وإثرائه كأسماء الأعلام وأسماء الأماكن والبقاع وغيرهما مما يتيسر على أي باحث فهرسته .

فالوقوف على رؤوس الموضوعات لأكثر من عشرة علوم كل منها يمكنه أن يستقل بمعجم كاف ضافٍ ،فمحاولة الدمج هذه لا توفي حقّ كلّ علم بل تزيد من انزوائه وانحصاره، مما يبق الحاجة إلى معرفته أكثر طلبا وإلحاحا ولا يلبي مثل هذه الرغبة في المعرفة إلا وجود معجم مستقل بمصطلحات كلّ علم على حدة ولا مانع من أن تشكّل سلسلة هذه المعاجم في كل فن وعلم مكتبة لغوية أو أدبية يحسن بكلّ باحث اقتناءها فإن تعذّر عليه تحصيلها كلّها أدرك قيمت التكامل المعرفي بين أجزاء هذه المكتبة.

وهنا تبرز أهمية تخصيص كلّ معجم بمصطلحات علم واحد؛ لأن الباحث المبتدئ يمكنه أن يعتقد في المعاجم التي تدّعي الجمع والاستقصاء بأنها تحقق الاكتفاء ولا حاجة له بغيرها إن هو اقتناها فيضيع عليه جمّ غفير من المعارف والمصطلحات التي يمكن لمعجم متخصص أن يأتي على ذكر جلّها إن لم نقل كلها ويدلّ على ذلك بعض المعاجم التي ألفها علماء في مجال اختصاصهم تكاد أن تغني عن غيرها بالرغم من صغر حجمها وقلّة ما تجمعه من مصطلحات العلم بجميع خصائصه وقواعده وطبيعة منهجه ، فجمع المتفرّق في العلم إذا ما زاد عن حدّه ومزج بين فوارق معرفية صار كالغثاء الذي لا طائل من ورائه .

إن أوّل ملاحظة تلفت انتباه القارئ في عنوان هذا المعجم أنه قد أردف بعبارة(عن الأئمة) وكأنه يسترجع ماضي علم الرواية في كتب الأمالي إذ كيف يعقل أن يُسند المستتر من المضمون إلى أي فئة من الأئمّة وصاحب المعجم قد اختار ما وسعه معجمه من بعض شذرات علومهم ولا تغني الإحالة على مصدر في ديباجة العنوان سواء كان المحال عليه إماما علما أو كتابا من الأمّات ، فمؤلّف هذا المعجم مثلا رجّح بأن يكون الأواخر من العلماء في كل علم أثبت من سابقيهم يجوز الأخذ عنهم بثقة تبلغ حدّ التواتر فهو مثلا يقول في معرض حديثه عن هذا الاصطفاء (وقد اخترت موادّ كلّ فنّ من أوثق المصادر فيه، في العصور التي تمّ فيها نضج العلوم العربية ففي النحو والصرف اعتمدت ابن هشام الذي شهد له ابن خلدون بأنه "أنحى من سيبويه " وكفى بابن خلدون شاهدا ، وفي المعاني والبيان والبديع اخترت من كلام الخطيب التبريزي في الإيضاح، وأمثال هذين الإمامين.....)(18) فمعجم كهذا لا يمكنه أن يكون ذيلا

لمجموعة من مؤلّفات علم من الأعلام فمهمّ كهذه مناطة بفهرس شامل يكون في نهاية كلّ كتاب من كتب العلم صاحب المصنّفات الجليلة، فالاكتفاء بعصر من الصور أو الوقوف عند إمام من الأئمة ما هو إلا قسم من البحث يحتاج إلى ما يتمّمه لتعمّ الفائدة ويبلغ الباحث في ذلك غايته وهذا النوع من الدراسات التي تقتصر على عصر من العصور أو مؤلّف من المؤلفين يجدر بأصحابها أن يحدّدوا في ديباجة عناوين كتبهم ما يشير إلى ذلك درءا لكلّ لبس أو تعمية ،أما أن يكون العنوان متضمنا لجميع علوم اللغة العربية على نية الانتقاء و الاصطفاء فهذا من شأنه أن يذوي من قيمة المؤلّف نفسه ؛ لأنّ الإشارة إلى جملة من العلوم دون سواها كعلم الأصوات مثلا وعلم المعجم يمكن أن يفضي إلى ما يزيد من تشويه الحقيقة العلمية خاصة وأنّ المراد من هذا المعجم كما هو واضح من خلال مضمونه هو مصطلحات علوم اللغة العربية.

وقد ورد الاقرار بذلك في مقدمة المعجم حيث يقول مؤلّفه (.....بالإضافة إلى أبواب علوم اللغة ومصطلحاتها.....) (19) والدليل على ضرورة ضبط عناوين هذه المعاجم ما قام به القدماء حينما أرادوا بكتبهم أن تكون معاجما للموضوعات والعلوم قصد التعريف بها وتبيان مباحثها دون شرحها ؛ حيث وسموها ب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم) لمؤلّفه طاش كبري زاده وحينما أرادوها أن تكون معاجم للمصطلحات وسموها ب (كشاف اصطلاحات الفنون) لمؤلّفه محمد علي بن علي بن محمد التهانوي.

د ـ المعجم المفصل في دقائق اللغة العربية ؛تأليف : إميل بديع يعقوب

يعدّ إميل بديع يعقوب من أشهر الذين اشتغلوا بقضية المعجم العربي في هذا العصر وقد أصدر سلسلة من المعاجم إما بالشراكة مع غيره أو أنّه انفرد بتأليف أخرى لها علاقة بعلوم اللغة العربية من جهة أو بمصطلحاتها من جهة أخرى وقد آثر أن يسلك السبيل نفسه في عدم إدراج لفظ مصطلح في معاجمه التي ألفها أو أشرف عليها ؛ لأنّه ممن أسهم في إنجاز مشروع الخزانة اللغوية التي تحتوي على أكثر من أحد عشر كتابا وينضوي معجمه هذا الموسوم بدقائق اللغة العربية تحت هذا المشروع ، ولئن كان هذا الجهد أكبر من أن ينتقص من شأنه لكونه أول مبادرة علمية جادة في جمع مصطلحات اللغة العربية وعلومها ضمن سلسلة معاجم فإنّه لا محيد عن توضيح بعض المزالق التي من شأنها أن تميّع نسبياً من قيمة هذا الجهد وأهمّ تلك المزالق أو الهنات :

ـ أن معجم دقائق اللغة العربية جمع بين مفردات اللغة العربية ومصطلحاتها ، كما أنه أتى على ذكر ما ورد في المعاجم الثلاثة السابقة إما بشكل مختصر أو بشرح مفصّل ، فتقاطع هذه المعاجم في بعض موادّها لا يفسّره إلا عدم التّنسيق والتواصل العلمي الذي يؤدّي في النهاية إلى انحصار عملية التداول وقلة التوافق على مصطلحات ضمن

حيّز ضيّق يجمع نخبة من المجتهدين يضمّهم قطر واحد وكثيرا ما جمعتهم أعمال مشتركة .

ـ إنّ الدليل على هذا التعميم غير المبرر هو ما ورد في عنوان المعجم حينما وسمه صاحبه بدقائق اللغة العربية فمثل هذا العنوان حمّال أوجه يتيح لمؤلّفه أن يدرج ما شاء من قضايا متفرّقة ومتناثرة ، غير أن المتصفح للمعجم يجد أن أغلب مضمونه قائمة مصطلحات لغويّة مأخوذة عن علوم مختلفة تشكّل بمجملها مستويات اللغة العربية .

ـ وهناك دليل آخر على عدم مراعاة جهود أولئك الذين اشتغلوا في الحقل نفسه يتمثل هذا الدليل في قول المؤلّف : (لم أصنّف هذا الكتاب كي يكون كتابا في النحو ، أو الصرف أو البلاغة ، أو اللّحن، أو فقه اللغة، أو غير ذلك من علوم اللغة العربية، إنه في الأصل ، مجموعة من ملاحظات لغوية تراكمت في بطاقات مكتبي عبر سنين طوال قضيتها في التصنيف اللغوي..... والكثير من هذه الملاحظات قد جاء متفرقا في مؤلّفاتي اللغوية، وخاصة كتابي "معجم الإعراب والإملاء"، و"معجم الخطأ والصواب في اللغة "، وقد رأيت أنه من الخير أن أجمعها في كتاب مستقل بعد أن أضمّ إليها كل ما توصّلت إليه من مقررات مجمع اللغة العربية في القاهرة) (20).

فما عده المؤلّف من قبيل الملاحظات هو الذي مثل لغيره مادة خصبة لتأليف معاجم موازية ونماذج ذلك موضحة فيما قدمناه سلفا والنص المقتطع من المقدمة يبين أن هذا المعجم هو مختصر أو خلاصة لما ورد في كتب المؤلف نفسه فهذا المنهج عابه الكثير من المعاصرين على القدماء حينما ألفوا المطولات والشروح والمختصرات والحواشي فلماذا يعيد بعض المعاصرين تأليف كتب جديدة لا تعدوا في النهاية أن تكون مستلة من عمل سابق ، فلا تكون الغاية المبتغاة هي إتمام نقص بل إن ما تم ملاحظته في المعاجم السابقة أنها أعادة معظم المواد و حذفت أخرى تنويعا في الشكل لا تحقيقا لفائدة مرجوة في المضمون.

أما عن المصطلحات التي أشاح المؤلّف عن ذكرها في المقدمة فإنها تعد الأوفر حظا في المعجم وأمثلتها في باب الهمزة فقط (....الإتباع، الإخراج والمخرج، الأربعينيات، الإرفاق والمرفقات، الأزعر، الأساليب الشائعة.....)، ضف إلى ذلك مصطلحات النحو المتعلقة بالاسم وما يضاف إليه كاسم الآلة ، واسم الزمان ، واسم الفاعل غيرها (21).

هـ ـ المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن ، تأليف :مشتاق عباس معن

اختلف عنوان هذا المعجم عن سابقيه بالرغم من انتمائه إلى سلسلة الخزانة اللغوية حيث ضمّ لفظ مصطلح ليقصره على كل ماله علاقة بعلم فقه اللغة المقارن الذي يضم ألفاظا أجنبية إما مركبة أو تعتمد السوابق واللواحق المتصلة باللفظ لتشكل البناء المرفولوجي للمصطلح وقد أشار المؤلف في مقدمة معجمه إلى أنه أصدر معجما آخر

قبل هذا وسمه بمعجم فقه اللغة (*). ولم يتسن لنا الاطلاع على هذا المعجم لكي نتمكن من عقد مقارنة بين المعجمين فيما إذا كانا مستلين أحدهما من الآخر أي أن معجم المصطلحات مستخلص من المعجم الأول الخاص بفقه اللغة ونظرا لغياب المدونة الأولى يكفينا أن نشيد بهذا المعجم أي (معجم مصطلحات فقه اللغة المقارن) لكونه فصل المصطلحات الخاصة بهذا العلم عن غيرها.

والملاحظات الآتية ستبين منهج المؤلف في عرض مصطلحات معجمه:

- يقول المؤلف عن المنهج الذي اتبعه (المدار في تحديد موقع المصطلح من الترتيب الألفبائي، هو الحرف الأول منه، من دون الاهتمام بأصل الاشتقاق ، فمثلا مصطلح "سلامة اللغة العربية "لا نرجعه إلى جذره الثلاثي "سلم "بل ندخله ضمن الترتيب بأخذ المصطلح كما هو) (22) أولى المؤلف عناية بمنهج وضع المصطلحات الذي لا يراعي مرجعية الجذر لكونها لا تناسب إلا المعاجم اللغوية وما هذه العناية بهذا المنهج إلا من باب منح المصطلحات الأجنبية المعربة أو المترجمة موضعا في قائمة المعجم ليحصن ترتيبها ألفبائيا وهذا الترتيب أخذه المعجميون العرب في هذا العصر عن الغربيين إذ قلّما اعتمده القدماء إلا في ما عرف عندهم من معاجم العلوم التي تحوي الموضوعات وكنّا قد أشرنا إلى نماذج منها في العنصر ج من هذه الدراسة .

ـ أقحم المؤلف أسماء الأعلام ضمن دائرة المصطلحات وخصهم بقاعدة ليتسنّى له دمجهم ضمن قائمة مصطلحات معجمه يقول المؤلّف مبيّنا هذه القاعدة : (لا يراعى في الترتيب الألقاب العلمية أو غير العلمية إلا من التصق به فأصبح علما عليه كالشريف الرضي أو المرتضى "مثلا، ودفعا للّبس أرجأنا لفظ اللقب إلى آخر المصطلح وحصرناه بين قوسين مثل : كاصد الزيدي "الدكتور "، شكيب أرسلان "الأمير "، أنستانس الكرملي "الأب ") (23) فكم من علم له علاقة بعلم اللغة أو فقه اللغة فكل اللغويين قديمهم وحديثهم لهم قسط من الإسهام في خدمة اللغة العربية ولو بنصيب ضئيل كترجمة لفظة أو نشر كتاب يشيد بمكانة اللغة العربية بين اللغات السامية وبقية اللغات العالمية الأخرى .

ـ لقد عان هذا المعجم من ظاهرة إدماج المصطلحات والأعلام التي لا علاقة لها بموضوع المعجم إلا لماما فالمؤلف استهل باب الألف مثلا بقائمة مصطلحات تندرج في صميم علم فقه اللغة المقارن منها: (آرمية الحضر، الأباسينية "اللغة "، أبجدية جبيل، أبجدية رأس شمرا ، أبجدية سيناء، الأبخازية "اللغة) ثم توالت سلسلة أعلام بدءا بابن حزم وانتهاء بإدوار سابير (24) ، فلماذا لا يتم عزل هؤلاء الأعلام في دراسة مستقلة تبيانا لجهودهم في علم فقه اللغة العربية أو فقه اللغة المقارن؟ وهناك طريقة أخرى يمكن اعتمادها وهي تخصيص ملاحق في نهاية المعجم تفرد لمثل هذه المعلومات الإضافية وقد قام المؤلف بتذييل معجمه ببعض الملاحق المتممة للفائدة دون أن يحشو مواد المعجم بمسائل تقطع على القارئ أفكاره وتشتت على الذهن تتبعه لدلالة كل مصطلح في مجاله الذي وضع له .

يتميز هذا المعجم بإيراد أدق المصطلحات التي لها علاقة بعلم فقه اللغة المقارن وذلك إن تم عزلها عما أقحم معها من مصطلحات إضافية وهذا شكل من أشكال المعاجم المتخصصة كما فعل الياس عطاالله حينما ألف (المصطلحات المستعملة في كتب تدريس قواعد اللغة العربية وواضعوها)عربي - إنجليزي . وكذا ما ألفه جرجس ميشال جرجس عندما أخرج للقراء معجم مصطلحات التربية والتعليم وغيرها من المعاجم التي أراد لها أصحابها أن تكون متخصّصة في مجالٍ معرفيٍّ واحد (25).

والخطّة المقترحة لإنجاز معجم لمصطلحات اللغة العربية:

هناك مجموعة من الخطوّات الإجرائية التي تيسّر السّبيل إلى إنجاز معجم متكامل لمصطلحات اللغة العربية دون إغفال الجهود السابقة التي ستكون المرجع الأساس لهذا المعجم، ويمكن تحديد هذه الخطوات وترتيبها على النحو الآتي:

- الإطّلاع على جميع الدراسات السابقة بعد جمعها وتصنيفها بحسب موضوعاتها المرتبطة بمستويات اللغة العربية وعلومها وذلك بالعودة إلى الفهارس والكشافات التي تُصدرها دوريا الجامعات ودور النشر وتعدّ الشابكة خير مُعين على استقصاء هذا المجال بما تصخّره من طرق للبحث السريع، كما أنها تضمن التواصل مع الهيئات العلمية المختلفة في وقت وجيز.

- إعادة قراءة هذه الحصيلة قصد فرزها وغربلتها للاحتفاظ في النهاية بزبدتها ومعتصرها للتّخلّص من كل معاد مكرر.

- يكون هذا المنهج مطبق على كل علم من علوم اللغة العربية على حدة ؛ لكي لا تتداخل المصطلحات ويمكن تحديد الفروق بينها لاجتناب المشترك منها إذا ما تكرر في علم آخر، ممّا يسهل عملية الاستبدال والاستحداث حينما تدعو الضرورة إلى ذلك.

- يكتسب هذا المنهج نجاعته إذا ما شرعت أي مؤسسة علمية في وضع معجم للمصطلحات في أي حقل اصطلاحيٍ لعلم من العلوم وذلك لأول مرة ، حتى لا تقع في مستنقع التكرار المستهجن.

- استغلال الحاسوب بوصفه أفضل وسيلة في هذا العصر للقيام بجميع المهام المتعلقة بإنجاز هذا المعجم وذلك بالاستعانة ببرامجه المختلفة بما في ذلك البرامج المحسوبة للمعاجم نفسها المعدّة خصيصا لتأقلم مع كل لغة ، حيث يُتوج هذا التعاون بين الإنسان والآلة بإصدار معجم إلكتروني للمصطلحات اللغوية ؛ فتساعد هذه النسخة الإلكترونية على مواصلة الجهد مستقبلا لوجود طرائق أمثل في نشر هذه المنتجات المبرمجة حاسوبيا .

- اجتناب المحاذير التي وقع فيها القدماء عندما ألفوا معاجمهم ونبه إليها المحدثون، حيث رأوا فيها منقصة للجهود العلمية التي بذلها العلماء في العصور الأولى، وأهم تلك القواعد التي يجب مراعاتها عند تأليف أي معجم :

* الابتعاد عن الشمولية في إدراج مواد المعجم.

* تحديد مادة المعجم ومصادرها.

* توحيد نظام الترتيب العام لمواد المعجم.

* اعتماد شواهد نوعية لشرح المصطلح وأفضلها ما استخدم في سياقات اللغة المعاصرة.

* التحاكم إلى اللغة الفصيحة الخالية من الألفاظ العامية والأعجمية خاصة في المصطلحات الاقتصادية المرتبطة بالتجارة الدولية التي يطغى لسانها على معجم المستخدمين لألفاظها ويلاحظ هذا المزج في لغة المعاصرة لأهل الخليج والمغرب العربي فلا يمكن بأي حال من الأحوال اعتماد لغتهم .

* توضيح دلالة المصطلح وذلك بشرحه بأيسر السبل دون العودة إلى المعاجم القديمة، فالمصطلح تعنينا منه دلالته لا معناه فهو لا يحتاج إلى مقابل كمرادفات المفردات في معاجم اللغة ؛بل إن معناه لا يتضح إلا بنص يحكمه سياق شارح لجميع أبعاده .

* ضبط المصطلحات بالحركات أي أنها لابد أن تشكل شكلا تاما لأن لا يلتبس على مستخدمي المعجم النطق بالمصطلح أو كتابته .

* اجتناب إدراج الأعلام؛ لكي لا يتحول المعجم إلى ما يشبه الموسوعة أو دائرة المعارف.

* طباعة المعجم طباعة معاصرة تخلوا من الأخطاء والتصحيف والتحريف .

* أولوية تخصيص المعجم بمصطلحات كل علم يجنبه ظاهرة التداخل في المواد المشتركة التي تتقاطع فيها بعض العلوم ، كما أن استقلالية المعجم بمصطلحات علم ما تضيق من عملية إقحام مصطلحات أخرى لها علاقة باختصاصات لا تمت بصلة للّغة العربية (26).

- المعجم المعاصر لمصطلحات اللّغة العربية لابد أن لا يحاكي القديم وأن لا يكون نسخة مقلدة عن المعجم الغربي فيكون النقل والترجمة هما السبيلان دون غيرهما لإخراج هذا العدد المتزايد من المعاجم الاصطلاحية التي نتداولها بتحفظ في هذا العصر فاستقلالية المعجم المعاصر لمصطلحات اللغة العربية حتمية لابد منها لكونها تعبر عن جهود المجتهدين من العرب في هذا العصر.

- الضمان الوحيد لتداول هذا المعجم المختص هو ما اكتسبه هذا المعجم من مصداقية علمية تفرده عن غيره وتجعل منه نسخة متميزة تمثل بموضوعيتها المرجعية العلمية والمعرفية للباحثين وطلاب العلم وهذا الأنموذج ماثل للعيان عند الغربيين من خلال بعض المعاجم التي ألّفوها حيث حازت فضل السبق من جهة والريادة العلمية من

جهة أخرى فهي عنوان للوحدة في كل مجال تطرقه وهذه هي الغاية التي يسعى المختصون لتحقيقها عند تأليف أي معجم للمصطلحات في أي علم لاسيما إذا كان المعجم قد وضع لجمع مصطلحات علوم اللّغة العربية لكونها من اللغات التي استطاعت أن تطاوع لسان الحضارات القديمة والحديثة لأنها استوعبت فكر تلك الحضارات دون تململ .

نتائج الدراسة

لا وجود لأنموذج المعاجم المعاصرة التي تهتم بمصطلحات اللغة العربية المستعملة في الوقت الحاضر ، ما دامت معاجم المصطلحات المتداولة في حاضر الناس اليوم لا تزال تقتات على فكر الحضارة الغربية وتجتر الموروث الفكري للحضارة العربية القديمة ، ولا مانع من التأصيل إذا ما أشربت اللغة العربية روح عصرها الذي تنطق عنه لا عن عجز وتلكئ بلسان أعجمي بل بلسان مجتمعها الذي يفكر بها عن وعي وحس حضاري بعمق الانتماء وهذا ما تفتقده اللغة العربية حاليا لهذا عجزنا عن بلورة فكرة مؤسسة تأسيسا علميا تقودنا في النهاية إلى تأليف معاجم اصطلاحية ذات قيمة علمية تمنح من خلالها الباحثين ثقة إذا ما اتخذوها مصدرا من مصادر التوثيق أو التعلم إذا ما عادوا إليها .

تضاؤل الحصيلة المعجمية في مجال مصطلحات اللغة مرده أساسا إلى عدم التنسيق بين الجهود العلمية المختلفة ، إما في القطر الواحد أو الأمصار المتباينة، لاسيما وإنها عربية اللسان تنشد في ظاهر نواياها خدمة هذه اللغة ، فما من معجم يصدر عن دار نشر عربية إلا وتقبره معاجم أخرى لكونها تحتويه أو تقضّه بنقد لا يستند إلى قواعد علمية مؤسسة ، فلو تم توحيد الجهود في البلاد العربية الواحدة لقل الخلاف وتدانت الأفكار ليكون بإمكانها أن تُختزل في فكرة واحدة تمثل في النهاية المرجع الأصيل لبناء المعجم العربي لمصطلحات هذه اللغة التي ترملت في حياة الناطقين بها .

نوعية المعاجم الاصطلاحية المتداولة في أغلبها تهتم بالجمع والتكثيف دون مبرر لذلك، ولعل النماذج التي قدمناها في هذه الدراسة كافية لتدلل على هذا المنهج المتبع في مشروع خزانة لغوية اشترك في إنجازها عدد من الباحثين تقاطعوا كلهم في أغلب ما ألفوه كأنهم ورثوا جملة ما اجتمعوا عليه حيث أخذ كل واحد منهم بنصيبه، حتى ولو كان جزءا من قسمة غيره وهذا الجهد يمكن أن يتكرر بصورة مطّردة إذا تناءت المؤسسات واختلفت المشاريع لوجود نزعة بينية تغذي هذه الفُرقة التي انعقد الإجماع على نبذها منذ السبعينيات لكنها ما زالت هي المهيمنة على هذا المشهد الذي كشف عن طاقات وإمكانات علمية مهدورة غير مستغلة، ولعل عملية البحث والاستقصاء ستبين لنا يوما ما أن المشروع الذي سعينا لتشييده واختلفنا في كيفية بنائه وتحديد مضمون محتواه قد انفرد بانجازه باحث من المختصين في مؤسسة علمية لم يتسن لنا الاطلاع على ما أنجزه بسبب التشرذم الذي أشرنا إلى مظاهره سلفا .

تجميع الجهود السابقة دون استثناء أو إقصاء هو أول ملمح نحو الخطوة الصحيحة التي تمهد لما بعدها في سبيل تحقيق الغاية المنشودة وهي إعداد معاجم اصطلاحية للغة العربية وغيرها من العلوم لها من المصداقية العلمية ما يحول دون تهميشها وبخس جهود أصحابها، فتتبع أثار الدراسات السابقة قاعدة أساس في المنهج الأكاديمي ليتمكن الباحث من الشروع في بحثه الجديد وذلك بتثمين جهود من سبقوه وتجديد آفاق النتائج التي توصلوا إليها.

الإحالات العلمية:

1. محمود فهمي حجازي :الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، مكتبة غريب ، القاهرة – مصر ، (د.ط) ، (د.ت)، ص8 .
2. عبد الرؤوف يحي جبر : المصطلح مصادره ومشاكله وطرق توليده ، مجلة اللسان العربي ، العدد 36، 1413هـ/1992م، ص143.
3. ينظر تاريخ ظهور لفظ مصطلح عند العرب إبراهيم كايد محمود: المصطلح و مشكلات تحقيقه، مقال متاح على الشابكة.
4. عبد الصبور شاهين : اللغة العربية لغة العلوم والتقنية ،دار الإصلاح ، الدمام – المملكة العربية السعودية ، ط1، 1983م، ص19.
5. المرجع نفسه: ص18.
6. إبراهيم كايد محمود: المصطلح ومشكلات تحقيقه،مقال متاح على الشابكة
7. محمد رشاد الحمزاوي : المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنظيمها ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان ، ط 1 1986م ، ص17.
8. المرجع نفسه، ص20.
9. مصطفى غلفان :المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات أى مصطلحات أي اللسانيا مقال متاح على الشابكة
10. تعريب الفكر قبل تعريب اللسان هكذا قالها عزّ الدين حقي: وحدة المصطلح العلمي، مجلة اللسان العربي، العدد2 1965م، ص31.
11. ينظر الدراسة المفصلة التي قام بها مصطفى غلفان ؛ حول المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية، المقال متاح على الشابكة.
12. محمد التونجي وراجي الأسمر :المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، دار الكتب العلمية ، بيروت /لبنان ،ط1 ،1414هـ/1939م ينظر مقدمته.
13. المرجع نفسه، 1/20-77
14. حاتم بن عارف العوني : العنوان الصحيح للكتاب ،تعريفه وأهميته ، وسائل معرفته وأحكامه أمثلة للأخطاء فيه: ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية، ، ط1، 1419هـ- ص49.
15. محمد ألتونجي :معجم علوم العربية ،دار الجيل ، بيروت–لبنان، ط1، 1424هـ / 2003م ، ينظر مقدمته.
16. المرجع نفسه، ينظر المقدمة.
17. المرجع نفسه، ينظر مقدمته.

18. محمد سليمان عبد الله الأشقر : معجم علوم اللغة العربية (عن الأئمة)، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ط1422،1هـ/2001م ، ينظر مقدمته .
19. المرجع نفسه، ينظر مقدمته
20. إميل بديع يعقوب :المعجم المفصل في دقائق اللغة العربية ، دار الكتب العلمية ، ط1 ،1424ه،2003م ينظر مقدمته.
21. المرجع نفسه، ينظر؛ باب الألف وما بعده.
22. مشتاق عباس معن :المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن ، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ، ط1، 1423هـ/2002م ، ينظر مقدمته.
23. المرجع نفسه ، ص4.
24. المرجع نفسه، ص18.
25. عبد العزيز حميد : وراقية المصطلح اللغوي ،مجلة الدراسات المصطلحية ، معهد الدراسات المصطلحية ،العدد الخامس 1427هـ/2006م ينظر المسرد الذي قدمه المؤلف عن قائمة المعاجم الاصطلاحية المتخصصة ،ص257.
26. عفيف عبد الرحمان :من قضايا المعجمية العربية المعاصرة ،في المعجمية العربية المعاصرة ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط1، 1407ه1987م، ص ص 376- 392.

النظام الأسري الجزائري في ظل التغير الاجتماعي

ملخص

يعتبر موضوع التغير الاجتماعي من المواضيع المهمة في حياة المجتمعات، وقد تنبهت المجتمعات إلى حقيقته فأولته أهمية كبيرة، فتزايد الاهتمام به أكثر في العصر الحديث إذ أصبح يعتبر سمة العصر، فالتغير في عالم اليوم يتخذ أهمية خاصة نظرا لسرعته، وخاصة وأنه امتد إلى نظم المجتمع ومختلف أوجه الحياة فيه.

وقد كان اختيارنا في هذا المقال إحدى هذه النظم وهو النظام الأسري، فتم التركيز على دراسة وضع النظام الأسري في ظل التغيرات الاجتماعية المعاصرة ، وخاصة بعد أن ظهر الكثير من المشكلات التي تواجه هذا النظام نتيجة للتغيرات البنائية والوظيفية التي حدثت للأسرة ، والهدف من ذلك مواجهة مشكلات التغير وتوجيهه الوجهة الإيجابية بما يفيد الأسرة حماية لها من الانعكاسات السلبية ، وحفاظا على قيمنا الأسرية .

أ. فطوم بلقبي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة المسيلة
الجزائر

مقدمة

- التحولات الهيكلية الوظيفية للأسرة (الأسرة من المؤسسة إلى الخلية الاجتماعية) :

عندما نستعرض حياة الأسرة عبر تاريخ المجتمعات الإنسانية نجد تحولاتها الوظيفية والبنائية مسايرة لتحولات المجتمع الذي تعيش فيه ، ففي المراحل التطورية الأولى للمجتمع كانت الأسرة فيها تقوم بإشباع معظم حاجات أفرادها (الصحية والاجتماعية والثقافية والدينية والعسكرية) ، لكن مع استمرار تطور المجتمع وظهور المعبد والجيش المنظم والحكومة المركزية والمدرسة والمستشفى والمصنع والمعمل –كمؤسسات- أخذت هذه المؤسسات تشارك الأسرة في العديد من الوظائف التي كانت تقوم بها ، ولم تبق لها وظيفة تنفرد بها

Résumé

Le présent article porte sur la situation du système familial au sein des changements sociaux modernes surtout après l'apparition de nombreux problèmes auxquels ce système fait face du fait des changements structuraux et fonctionnels qui ont touché la famille. En effet, cela tend à confronter les problèmes de changement et à l'orienter dans le sens positif de sorte que cela soit bénéfique à la famille afin de la protéger des répercussions négatives et de préserver nos valeurs familiales.

© جامعة قسنطينة1 ، الجزائر2013 .

سوى وظيفة تزويد المجتمع بالأعضاء الجدد ، أما باقي الوظائف التي كانت تقوم بها كالإنتاجية والدفاعية والتثقيفية والدينية والصحية فقد أخذتها مؤسسات الأنساق الهيكلية (البنائية)، فتحولت الأسرة من كونها مؤسسة اجتماعية تقوم بمعظم مهام وشؤون ووظائف المجتمع إلى خلية اجتماعية صغيرة تختلف في تركيبتها ووظائفها عن الأسرة من حيث كونها مؤسسة اجتماعية .

هذا التحول الهيكلي البنائي والوظيفي الذي أصاب الأسرة حث علماء الاجتماع إلى أن ينحتوا مصطلحات مناسبة لكل مرحلة تطورية لها ، ففي بداية مرحلتها التطورية الأولى نحتوا مصطلح المؤسسة الاجتماعية بسبب جسامة المهام والوظائف التي كانت ملقاة على عاتقها وبسبب كبر حجمها (أي عدد أعضائها الكبير)، لكن بعد أن تطورت المجتمعات وتصنعت وتحضرت تعقد هيكلها البنائي وتنوعت اختصاصاتها ومؤسساتها ، الأمر الذي أدى إلى تقلص وظائف الأسرة وتضاؤل حجمها ونقص تأثيرها على المجتمع فنحتوا إليها مصطلحا مناسبا لحجمها الصغير ووظائفها المحدودة وهو "الخلية الاجتماعية" أو "الوحدة الاجتماعية".

جدول يوضح مقارنة الأسرة كمؤسسة اجتماعية مع الأسرة كخلية اجتماعية(5)

العدد	نوع الوظيفة	الأسرة كمؤسسة اجتماعية	الأسرة كخلية اجتماعية
01	**نظام تقسيم العمل**	واضح لكافة أفراد الأسرة ومحدد لهم سلفا	مشوش ومختلط لا يضع الحدود بين مواقع وأدوار أفراد الأسرة
02	**الأدوار الاجتماعية**	المنسبة فيها أكثر من المكتسبة	المكتسبة فيها أكثر من المنسبة
03	**الوظيفة الدينية**	ملتزمة بممارسة الطقوس الدينية ومناشطه	غير ملتزمة وإن التزمت فيكون من النوع الصوري
04	**الوظيفة الاقتصادية**	إنتاجية أكثر من كونها استهلاكية	استهلاكية أكثر بكثير من كونها إنتاجية
05	**أعمال أفراد الأسرة**	حرفية وراثية	مهنية غير موروثة بل قائمة على أساس القدرة الذكائية والإبداعية
06	**الوظيفة التربوية**	تساهم بشكل مباشر وملتزم	تساهم وتلتزم بشكل سطحي وهامشي غير فعال
07	**الوظيفة الترفيهية**	تحت إشراف الوالدين والأقارب بشكل مباشر	بعيدا عن إشراف الوالدين و بشكل غير مباشر
08	**الوظيفة الوجدانية والعاطفية**	صادقة ونابعة من العمق الإنساني الأصيل	مرهونة بالظروف الشخصية للزوجين وحالتهما المزاجية
09	**الأقارب**	لهم دور فعال في حياة الأسرة	ليس لهم دور فعال في حياة الأسرة
10	**المعدات والوسائل المنزلية**	قليلة جدا وبدائية الابتكار	كثيرة ومتنوعة وذات ابتكار تقني متقدم
11	**التفكك الأسري**	لا يحصل بوفاة أحد الأبوين أو طلاق وانفصال أحدهما عن الآخر	يحصل بوفاة أحد الأبوين أو طلاق وانفصال أحدهما عن الآخر
12	**تغذية المجتمع بشريا**	بأعداد هائلة	بأعداد قليلة
13	**الحجم**	كبير	صغير

والأسرة الجزائرية كباقي الأسر في كل المجتمعات مرت بالعديد من التطورات سواء من حيث البنية أو من حيث الوظائف وكانت هذه التطورات مرتبطة بالتغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري سواء الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية...الخ.
لكن بالنظر إلى واقع الأسرة الجزائرية في الوقت الراهن يلاحظ أنه حدث تغيير كبير على بنيتها ووظائفها حيث تحولت الأسرة الجزائرية من أسرة تتصف في أغلب الأحيان ببنية تقليدية (أسرة ممتدة) خاصة في الأرياف إلى أسرة نووية، وهذا تماشيا مع التحولات الكبرى التي عرفها المجتمع الجزائري سواء في الجانب الاقتصادي، والاجتماعي، الثقافي...وغيرها.

حيث أن النمو الاقتصادي الذي عرفه المجتمع الجزائري وازدياد قاعدة التعليم وحملة الشهادات أتاح الفرص للعديد من الشباب للدخول أول مرة ميدان العمل ، ومنه مكنهم هذا من الاستقلال الاقتصادي عن أسرهم وتكوين أسر جديدة مستقلة عن الأسرة الأم ، ولم يكن هذا حكرا على الشباب فقط بل أتاح للمرأة أيضا الفرصة للدخول إلى ميدان العمل خاصة في قطاع الخدمات بعد توسع هذا القطاع حيث أصبح يشغل نسبة مرتفعة من الاقتصاد الوطني.فهذا الواقع الجديد عدل من صورة المرأة الجزائرية وقرب التفاوت بين الجنسين[6].
ونحاول الآن استعراض بعض التغيرات التي طرأت على الأسرة الجزائرية في الوقت الراهن[7].

- على الصعيد الاجتماعي :

يلاحظ أن الأسرة الجزائرية بدأت في نسج شبكة من العلاقات لم تكن موجودة في الماضي وغير مبنية على أسس تقليدية كالقرابة أو التواصل العائلي وغيرها ، بل تقوم على أساس الاختيار الحر الذي توجهه الخصائص والميول الذاتية . حيث بدأت نسبة معتبرة من المتزوجين الجدد البحث عن مساكن مستقلة وبعيدة عن أسرهما ، اجتنابا للتأثير الممارس على أحد الزوجين من طرف عائلته أما من حيث التفاعل فيبدو أنه لم يعد لدرجة القرابة دورا كبيرا في تحديد درجة التفاعل ، حيث ظهر نوع من التفاعل غير مبني على أساس القرابة بل على أساس المصلحة والحوار والهم المشترك ، كما بدأت بعض الصيحات في الارتفاع تطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة حيث تحقق جزء منها.

إضافة إلى ما سبق ذكره فإن خروج المرأة للعمل في المجتمع الجزائري، والذي كان من أسبابه صعوبة العيش في المدينة نتيجة لتزايد متطلبات العيش الرغيد وتعقد الحياة الاجتماعية دفع بالزوجة إلى أن تقوم ببعض الأعمال التي كانت حكرا على الرجل مثل السوق ، دفع مستحقات الأسرة لدى مؤسسات أخرى (الكهرباء ، الغاز ، المياه.....).

ومع خروج المرأة للعمل وقضاء حاجيات الأسرة اضطر الرجل إلى تقاسم بعض المسؤوليات الأسرية مع الزوجة والقيام ببعض الأعمال التي كانت حكرا عليها مثل القيام بأعمال المطبخ ، تنظيف البيت ورعاية الأولاد، وبتعبير آخر لم تبق مسئوليات الزوجين على حالها بل حصل تساند وتعاون بينهما ولم تعد بينهما حدود [8].

- على الصعيد التربوي :

نتيجة للتغيرات التي طرأت على الأسرة خاصة خروج المرأة للعمل لم تعد الأم تملك الوقت الكافي لرعاية أبنائها مما دفعها للاستعانة بدور الحضانة أو المربيات والخادمات في رعاية أبنائها وتنظيم أمور بيتها مع ما لهذا التوجه من آثار على تنشئة الطفل ، أما بالنسبة للتربية فلم تعد حكرا على الأسرة بل أصبح الطفل يذهب إلى المدرسة ابتداء من سن السادسة والبعض الآخر قبل هذا السن في دور الحضانة لتعلمهم القراءة والكتابة والعلوم الثقافية والتخصص بمهن متخصصة لا تستطيع الأسرة القيام بها بعد التطورات الهائلة التي أصابت الأسرة والمجتمع.

- على الصعيد الثقافي :

على هذا الصعيد يلاحظ أن الزواج بين الشباب والشابات بدأ يأخذ صورا أخرى ، حيث كان في الماضي مرتبطا ارتباطا وثيقا بالأسرة الممتدة (زواج داخلي) حيث أن الأبوين يشرفان مباشرة على اختيار الزوجة لابنهما ، أما في الوقت الراهن فبدأ العديد من الشباب يعتبرون أن الزواج شكل فعال للتعاون والتبادل بين الطرفين في كل الميادين .

وكما سبق ذكره فان اختيار الزوج في الوقت الراهن لم يعد يخضع للقواعد التقليدية، حيث أصبح ينظر إلى شغل الأهل على أنه شيء مرفوض وممقوت، فلم يعد الشباب المقبل على الزواج يولي أهمية كبيرة لرأي أهله في اختياره لشريكة حياته بل ركز على مدى الحب والتفاهم المتبادل بينهما ، وفي هذا السياق ورغم أن هذا النوع من المواقف اتجاه الزواج لم ينتشر في أوساط المجتمع الجزائري بشكل كبير، إلا أنه يعتبر تغيرا في نظرة المجتمع له، وتغير في الوعي لدى الشباب .

- على الصعيد الاقتصادي :

بعدما كانت الأسرة الجزائرية في الماضي تنتج أغلب ما يحتاجه أفرادها من مأكل وملبس وغير ذلك، وبعد التحولات البنيوية التي طرأت على هذه الأسرة وانتشار المؤسسات الإنتاجية والمصانع حيث وفرت كل ما يحتاجه الفرد، بدأت الأسرة الجزائرية تتخلى تدريجيا عن هذه الوظيفة الإنتاجية وأصبحت أسرة مستهلكة حيث تقتني كل ما تحتاجه من مأكل وملبس وأثاث وأجهزة ، وقد يكون هذا راجعا إلى خروج الزوجين إلى العمل والركون إلى ما هو سهل وتوفير الجهد .
ويلاحظ أن تطور الحياة وتعقدها جعل أفراد الأسرة يركزون على المظهر والكماليات.

وللإشارة فإن اتساع فرص العمل للزوجين وخروج كليهما للعمل أمن استقلالية اقتصادية للأسرة إضافة إلى انتشار الوعي وارتفاع المستوى العلمي لهما، ساهم في استقرار الأسرة ككل وزاد في انسجامهما.

- على الجانب الترفيهي :

فقد كانت المناشط الترفيهية والترويحية تمارس داخل نطاق الأسرة بين أعضائها وأقاربها وتحت إشراف ورعاية الأبوين بشكل مباشر، لكن مع ظهور المؤسسات الهيكلية ذهبت معظم هذه المناشط لهذه المؤسسات (باستثناء الترويح الالكتروني في مشاهدة برامج التلفزة والفيديو وسماع الأخبار والأغاني والمذياع) فالادخار النقابي والضمان الاجتماعي والصحي ووضع برامج ترفيهية وترويحية لأسر العمال والموظفين التي تمارس خارج نطاق الأسرة والمنزل وقيام شركات السفر والسياحة والطيران رحلات سياحية وترويحية ، إضافة إلى مناشط المؤسسات الفنية كالسينما والمسرح لفعاليات ترويحية خارج المنزل ، ثم النوادي الرياضية التي سحبت بعض أفراد الأسرة إلى ملاعبها وساحاتها ومشاهدة المباراة الفردية أو الفرقية أو الجماعية، والحالة متشابهة عند سباق الخيل وغيرها من المناشط الترويحية لأعضاء الأسرة، كل ذلك لم يبق للأسرة إلا الشيء البسيط مثل قراءة الجرائد والمجلات وسماع ومشاهدة الأخبار اليومية وحياكة بعض الملابس فجردتها من تكوين خبرة ترويحية أو كيفية استغلال أوقات الفراغ بشكل جماعي أو مركزي ضمن نطاق الأسرة .

- على الجانب الديني :

فقد كانت الأسرة تقوم بتوجيه وإرشاد أبنائها دينيا بالتعاون مع دور العبادة أما حاليا لم يبق لها دورا جوهريا في مهمة التثقيف الديني.

- على الجانب الصحي والاجتماعي :

فقد كانت الأسرة تقوم بالرعاية الصحية والطبية والاجتماعية للأطفال والأرامل والعجزة والمعوقين لكن الآن مع ظهور وكالات الضمان الصحي والاجتماعي ودور رعاية المسنين والمستشفيات الخاصة بالعجزة والمعوقين، فقد جردت الأسرة من المهمة الإنسانية التي لا تستطيع أية وكالة أو تنظيم تعويضها لأنها تعتمد أساسا على العناية الدافئة والرعاية العضوية التلقائية التي لا يتقاضى العاملين فيها أجورا مالية أو يعدها إحسانا أو شفقة بل بدافع مليء بالمحبة والمسؤولية والواجب الأسري أو القرابي أو معروف، فكانت الأسرة تمثل الدرع الواقي والمأوى الآمن للفرد يجد فيه العناية الإنسانية والاستجابة المباشرة والحب الصادق والمسؤولية الجماعية التي لا تستطيع المؤسسات الأخرى تعويضها بنفس النوعية لأنها تتسم بالسمة الإنسانية الطبيعية المتمتعة بروابط حميمية متماسكة تقوم بفعلها طواعية وبمحبة صادقة وصافية.

ونتيجة للتطورات التي عرفها المجتمع الجزائري على جميع الأصعدة، يلاحظ أن الأسرة تأثرت بهذه التطورات وبرزت عدة مظاهر جديدة في أوساط الأسرة الجزائرية بصفة خاصة نذكر منها:

- تأخر سن الزواج.
- تنظيم - وفي بعض الأحيان تحديد- النسل في الأسرة، حيث أصبحت الأسر تتبع هذا النهج وقد تكون لها مبرراتها الخاصة.
- تراجع فكرة تعدد الزوجات.
- الاتجاه إلى الأسرة الزواجية المبنية على الحب المتبادل.
- خروج المرأة إلى العمل.
- الابتعاد عن زواج الأقارب.

والملاحظ أنه دار جدل بين الباحثين في علم الاجتماع والأنثربلوجيا حول أثر التغيرات التي طرأت على الأسرة بصفة عامة، وعلى وظائفها بصفة خاصة ،حيث انقسموا إلى فريقين :

- فريق رأى أن التغير أدى إلى سوء التنظيم الأسري والتفكك.
- فريق آخر يرى أن التغير أدى إلى زيادة الروابط الأسرية والتماسك الأسري.

ومن أبرز أعضاء الفريق الأول: أوجبرن، سوروكين، وزيمرمان، حيث أكد أوجبرن على سبيل المثال أن الأسرة تفككت بسبب زيادة التصنيع والتطور التكنولوجي ففقدان الأسرة إلى وظائفها أدى إلى تفككها .

أما الفريق الثاني فمن أعضائه : بيرجس ، فلسوم . فبيرجس يرى أن التغير الذي حدث على الأسرة جعلها أكثر مودة وصدق في علاقتها مع بعضها البعض ، ولا يبدي بيرجس أي انزعاج من التغير الذي حصل في بناء الأسرة ووظائفها ، ولا يرى أن فقدان الوظائف أدى إلى سوء التنظيم الأسري. وهذا لا يعني أن الأسرة لا تعاني من أزمات، وهو يرى أن هذا التغير والتحول لا بد منه لمجاراة التغير على المستوى الاجتماعي، الاقتصادي،.....الخ[9].

وأجدني أتفق مع هذا الرأي والذي أيده أيضا فلسوم حيث يرى هذا الأخير أن خروج الأطفال بعيدا عن البيت والنمو المتزايد في الفردية والحرية الشخصية دليل على أن الأسرة تعمل وتصل إلى أهدافها في الحرية "إن مسالة فقدان الوظائف التي تحدث عنها أوجبرن لا تعني في الواقع تفكك الأسرة وسوء تنظيمها ، لقد أدى ذلك في رأي تالكوت بارسونز إلى زيادة تخصصها وجعلها أكثر اهتماما بأهم وظائفها الأساسية وهي التنشئة الاجتماعية للصغار" [10].

ومنه نستنتج أن الأسرة مازالت تقوم بوظائفها إلا أنه حدث تغير في الشكل و المضمون لوظائفها فتقلص أداؤها لبعض وظائفها التقليدية ولم تفقده ، وهذا نتيجة تغيرات عديدة تعرض لها المجتمع كخروج المرأة للعمل ، زيادة التخصص وتعقد المجتمع فظهرت مؤسسات اجتماعية عديدة تساعد الأسرة في أداء وظائفها وتدعمها وتكمل عملها وهذا ما أشار إليه بارسونز T.Parsons بعملية التمايز وهي ظهور وحدات متخصصة تقوم بنفس وظائف الأسرة ولكن تتخصص فيها أكثر. على عكس

فكرة وليام أوجبرن W.Ogburn الذي أقر أن الأسرة فقدت أغلب وظائفها مما جعلها مفككة وعرضة للانهيار .

وهكذا يمكن القول أن الأسرة مازالت تقوم بوظائفها و أدوارها ولكن بشكل مختلف عن قبل وهي ظهور وحدات تساعدها وتشاركها في أداء هذا العمل ، كما يرجع الدور الأساسي للأسرة وهذه المؤسسات تعتبر وحدات ثانوية و مكملة لدورها فقط ، وإلا بماذا نفسر اعتناق الأبناء المعتقدات الدينية والسياسية للآباء ، ولماذا ترجع الانحرافات والجرائم إلى دور الأسرة وليس لأي نظام آخر .

ومنه نستنتج تقلص الدور التقليدي للأسرة فيما يخص تنشئة وتربية الأبناء حيث أسندت هذه المهمة إلى مؤسسات أخرى تشارك الأسرة في أداء دورها كالمدرسة ،رياض الأطفال ،المسجد ووسائل الإعلام و التي تقوم كل منها بعملية التربية ،التعليم ،التثقيف ،التوعية ،التوجيه ،الترفيه ،فأصبحت الأسرة تشكل مع المؤسسات الاجتماعية السائدة كلا متساندا وتعمل بشكل متكامل معها لإنجاز دورها ، فأي تغير فيها يؤثر على بقية المؤسسات الأخرى ، فخضوعها لتغيرات بنائية وظيفية نتيجة الثورة الصناعية وتقدم التكنولوجيا والحياة الحضرية انعكس بدوره على المجتمع بظهور المؤسسات الاجتماعية تشارك الأسرة في بعض أدوارها في شكل بناء اجتماعي كلي متساند ومنسجم .

مشكلات الأسرة الناتجة عن التغير الاجتماعي :

ارتبطت دراسة مشكلات المجتمع الحديث والتي تعرف بالمشكلات الاجتماعية بالأسرة الحديثة، واعتبرت بأنها مشكلات أسرية من الدرجة الأولى كما يتصور علماء الاجتماع عموما، أن مظاهر التغير البنائي والوظيفي الذي يظهر في النظام الأسري له علاقة بالأنظمة الأخرى ، وهذا بالطبع لا ينفي أن نوعية المشاكل التي تظهر على هذا النظام (النظام الأسري) تتأثر ببقية التغير الوظيفي الذي يظهر على بقية الأنساق أو النظم الأخرى مثل النظم الاقتصادية والسياسية ، والتربوية،والقانونية. وعلى أية حال، نهتم حاليا بصورة موجزة بعرض أهم المشكلات التي تواجه الأسرة كنظام اجتماعي :(11).

- مشكلة الطلاق:

تعد مشكلة الطلاق من المشاكل الكبرى التي تهدد النظام الأسري والاجتماعي ككل، خاصة بعد أن أكدت كثير من المصادر الإحصائية على المستوى المجتمعي أو العالمي، بأن هناك اضطراد مستمر في معدلات الطلاق، نتيجة لمجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية وأيضا الشخصية التي ترتبط بالأزواج أنفسهم وجاءت مشكلة الطلاق نتيجة أيضا خروج المرأة إلى العمل واستقلاليتها من الناحية الاقتصادية، هذا بالإضافة إلى عدم التوافق الزواجي في مراحل ما قبل الزواج، و صعوبة اختيار شريك

الحياة الزواجية عامة. وإن كانت توضح اهتمامات علماء الاجتماع أن مشكلة الطلاق تظهر في المناطق الحضرية الصناعية نتيجة لأثر التصنيع على الأسرة، ولكن يلاحظ في المجتمعات الدينية التقليدية والريفية، ظهور مؤشرات للطلاق بصورة متزايدة خلال السنوات الأخيرة.

- مشكلة خروج المرأة للعمل

بالطبع إن عمل المرأة يعتبر نوع من النشاط الذي تقوم به المرأة إلى جانب الرجل منذ أن ظهر الإنسان على سطح الأرض، فلقد عرفت جميع المجتمعات البشرية أن للمرأة نوع من الأعمال التي تقوم بها ، وهذا ما يندرج تحت مفهوم تقسيم العمل بين الجنس البشري (الذكور والإناث) ، لكن مع ظهور المجتمع الصناعي الحديث، لم تعد المرأة تعمل داخل منزلها فقط نظرا لوجود المصانع أو الشركات التي دخلتها المرأة لتشارك الرجل في العديد من أوج النشاط البشري المختلف ، ولكن ترتب على ذلك مجموعة من المشاكل منها: استقلالية الوضع الاقتصادي للمرأة ، تباين في المراكز والأدوار والمكانة داخل الأسرة ، انهيار الوضع التقليدي لهيمنة الزوج. هذا بالإضافة إلى اختلاف ظروف الحياة العصرية نتيجة لتقيد الاتجاهات والأفكار والتصورات المرتبطة بعمل المرأة مما أدى إلى حدوث كثير من التفكك على البناءات الأسرية التقليدية.

- مشكلة انحراف الأحداث :

حقيقة، قد يعتقد البعض أن هذه المشكلة تعتبر من مشكلات المجتمع ككل، ولكني أتصور أن هذه المشكلة تكون من مشكلات الأسرة بصورة خاصة، ومشكلات المجتمع بصورة عامة. بما يترتب على عمليات التفكك في النظام الاجتماعي من مشكلات مثل حدوث الطلاق وانهيار الأسرة، تعرض الأبناء لأزمات نفسية وعاطفية واقتصادية ويستحيل على غالبية أبناء الأسر المطلقة أن تتكيف للعيش بصورة سليمة، وهذا ما يحدث بصورة خاصة في المجتمعات العربية الحديثة وزيادة مشكلات انحراف الأحداث، ولاسيما أن كثيرا من هذه المجتمعات تفتقر أساليب الرعاية الاجتماعية الشاملة مقارنة بمجتمعات الرفاهية، فطلاق الزوجين يعني في الأغلب زواج أحدهما، وتلعب زوجة الأب كثيرا من الأدوار الأسرية التي لا يتكيف معها الأبناء، ويترتب على ذلك كثيرا من المشكلات عدم التكيف مع الأسرة الجديدة و حتى مع المجتمع ككل ، ثم تفرز هذه المشكلات أعداد كثيرة من الأبناء في مجال الجريمة والانحراف بصورة عامة .

التوصيات الخاصة بمواجهة مشكلات التغير في الأسرة :

استنادا إلى ما سبق ، نقترح بعض الإجراءات يمكن اعتبارها بمثابة منافذ لمساعدة الأسرة في حفظ التوازن وتحقيق التغير المنشود والاستفادة منه وتفادي سلبياته، وتتمثل أهم هذه المقترحات فيما يلي :

- يجب أن يقوم التغير على فكر واضح وعلى تخطيط دقيق ، وهذا يقتضي المواجهة العلمية المستنيرة لما قد يتمخض عنه التغير الاجتماعي من مشكلات ومطالب واحتياجات ، وبالتالي إتباع الأسلوب العلمي في التحكم في مسيرة التغير الاجتماعي بحيث يكون تغيرا متوازنا متكاملا يفضي إلى التطور والتقدم .

- يجب أن يقابل عملية التغير الاجتماعي عملية الضبط الاجتماعي وهي العملية التي تحاول بها الأسرة عدم التمكين لأي تغير غير مرغوب فيه أن يحدث ، وهي التي يتم عن طريقها توجيه سلوك الأفراد بحيث لا ينحرف عن معايير الجماعة حتى يتحقق التوازن الاجتماعي ، وهناك نمطان أساسيان للضبط الاجتماعي أولهما الثواب أو العقاب (المادي والمعنوي) وثانيهما الإقناع .

- ضرورة مراعاة القيم والمبادئ الإسلامية والاهتمام بجعلها منطلقا لكل ما يقدم للناشئة من برامج وما ينشأ لخدمتهم ورعايتهم من مؤسسات وفي المجالات كافة التعليمية والاجتماعية والترويحية وغيرها، وكذلك الاهتمام بالتعليم ومناهجه كعامل رئيسي في التغير الاجتماعي .

- ضرورة تكيف الأسرة مع المتغيرات مع تقوية التماسك فيها والتسلح بقوة الإيمان وبالعلم ، وغرس الأسرة للإيمان والثقة في عقيدتنا وهويتنا في نفوس النشء .

- ضرورة تقوية الوازع الديني في حماية شبابنا وبناتنا فيما يتعرضون له من تغيرات أو مؤثرات وافدة ، قد تؤثر على سلوكياتهم وعقيدتهم .

- دعم وتشجيع الإنتاج الإعلامي الهادف والجاذب للمحافظة على القيم والثقافة والهوية ويكون ذلك عن طريق:

* تقويم برامج الأسرة في الإذاعة والتلفزيون وإعادة توجيهها بما يتناسب مع ظروف المرحلة الراهنة ومتطلباتها.

* تطوير البرامج الإعلامية في عالمنا العربي الإسلامي لمواجهة مشاكل التغير من خلال البرامج الإعلامية القائمة على أسس علمية.

* تنشيط دور وسائل الإعلام بما فيها البرامج التلفزيونية ومواقع الانترنت والمجلات والمناهج المدرسية والجامعية في التعامل مع الآثار السلبية للتغير الاجتماعي.

* مساهمة وسائل الإعلام في تجسيد أنماط الثقافة المجتمعية من خلال برامج تربوية تقرب وجهات نظر المؤسسات الاجتماعية بأهمية التنشئة الاجتماعية وفق متغيرات العصر.

- التكامل مع مؤسسات التنشئة الاجتماعية لإحداث التوازن بين أدوارها ووظائفها وأدوار ووظائف الأسرة .
- إجراء المزيد من الدراسات الميدانية الجادة والشاملة لهذا الموضوع وعلى المستويات كافة وخاصة الدراسات التي تبين أثر التغير الأسري على دور العديد من الأفراد في الأسرة كالأطفال والشباب والمسنين في المجتمع الجزائري.

خاتمـة

لقد حاولنا من خلال هذا البحث التطرق إلى موضوع النظام الأسري الجزائري في ظل التغير الاجتماعي، وهذا انطلاقا من رغبتنا في مساعدة الأسرة في المحافظة على توازنها والاستفادة من التغير الاجتماعي لصالحها وصالح المجتمع وحمايتها من انعكاساته السلبية.

وقد اتضح أنه باستمرار التغير والتطور، تغير بناء الأسرة ووظائفها فتقلصت وظائفها وظهرت المؤسسات والتنظيمات المختلفة تساعدها وتشاركها في أداء مهامها ، مما أثر تأثيرا أساسيا في طبيعتها ومكانتها ، ومع ذلك ما تزال الأسرة تحتفظ ببعض الوظائف ، فعلى الرغم من التغيرات التي طرأت على بنائها ووظائفها، إلا أن دورها في التنشئة الاجتماعية في ظل ظروف التغير يعد بمثابة مرتكز أساسي لانطلاق عمليات التغير والتنمية في اتجاهات إيجابية ، ولهذا ترتكز جهود الدولة والأبحاث العلمية نحو التنمية على الأسرة، فإن جانبا كبيرا من التنمية المستقبلية المستدامة يرتكز على توازن الأسرة واستقرارها لإنتاج نشأ قادر نفسيا وجسميا وثقافيا على تحمل عبئ التنمية في المستقبل .

ومنه ألا يمكن اعتبار الوظائف التي بقيت للأسرة هي الوظائف الأكثر أهمية والتصاقا بطبيعتها الحقة ؟ ألا يجوز الاعتقاد بأن هذا التغير الذي طرأ على الأسرة يحمل في ثناياه مكاسب للمجتمع من قبيل التخصص وتزايد المؤسسات والهيئات مما يخلق تمايزا وحراكا اجتماعيين الأسرة في حاجة ماسة له ؟

أليس بمقدورنا الجزم بأن التفكك الأسري الذي اعتبر انحلالا ليس إلا ضربا من التكيف لمتطلبات التغير الاجتماعي والحفاظ على التوازن المستمر للأسرة وذلك ما يعتقده تالكوت بارسونز؟

وفي الأخير يبقى هذا المقال مجرد محاولة بسيطة للفت انتباه الباحثين في علم الاجتماع إلى مواصلة المشوار في هذا الاتجاه لأننا بحاجة متزايدة على المستوى النظري والتطبيقي إلى مزيد من الدراسات الأسرية خاصة وأنها تواجه اليوم تغيرات

اجتماعية وثقافية وتكنولوجية تتزايد بسرعة، لما لهذه الدراسات من أهمية في فهم وتصحيح كثير من المقولات والمفاهيم المتعلقة بالأسرة الحديثة وتغيراتها الراهنة.

الهوامش والمراجع:

1- سناء الخولي : التغير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر ، 2003 ، ص 203 .
2- فادية عمر الجولاني: دراسات حول الأسرة العربية – تحليل اجتماعي لبناء الأسرة وتغيرات اتجاهات الأجيال – مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر، 1995، ص. ص 16 - 17 .
3- سناء الخولي :المرجع السابق ، ص. 213 .
4- المرجع نفسه ، ص. 210 .
5- معن خليل العمر: علم اجتماع الأسرة ، ط 1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، 2004 ، ص 22.
6- زهير حطب : تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية كقضاياها المعاصرة ، ط3 ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ص 210 .
7- حميدشة نبيل : الأسرة ودورها وأساليب تنشئتها للطفل ، في مجلة : البحوث والدراسات الإنسانية ، العدد الأول ، 2007، جامعة 20 أوت 1955 ، سكيكدة ، الجزائر ، ص ص 130-132.
8- معن خليل عمر : علم الاجتماع الأسرة ، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، جدة ، 2000 ، ص.18.
9- حنان عبد الحميد العناني : الطفل والأسرة والمجتمع، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن،2000 ، ص ص 56-57.
10- نفس المرجع ، ص. 57 .
11- عبد الله محمد عبد الرحمن و د/ رشاد غنيم : مدخل إلى علم الاجتماع ، ط1، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 2008 ، ص ص.188 ، 189.

جاهزية الاقتصاد الجزائري للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل الخصائص المميزة للاقتصاد الجزائري بمختلف قطاعاته وتحليل نتائج الإصلاحات التي باشرتها الحكومات الجزائرية المتعاقبة في العقدين الأخيرين، وذلك لأجل تحديد ما إذا ما كان الاقتصاد الجزائري مستعدا للانضمام إلى المنظمة العالمية للتجارة. استنتج الباحثان من خلال عناصر البحث بأن الاقتصاد الجزائري غير مستعد في الوقت الراهن لأن يكون عضوا في المنظمة وهذا بسبب أدائه الضعيف في مختلف القطاعات وبسبب فشل السياسات الاقتصادية والإصلاحات في تحقيق تغيير هيكلي للاقتصاد الجزائري والمضي به نحو التنوع.

د. ناجي بن حسين
أ. بوبكر صابة

كلية العلوم الاقتصادية، التجارية وعلوم التسيير
جامعة قسنطينة 2

مقدمة

إن علاقة الجزائر بمنظمة التجارة العالمية وقبلها الجات قديمة جدا وتعود إلى عقد الستينات من القرن المنصرم وبالتحديد سنة 1965 حين قرر الأعضاء المتعاقدون أن تستفيد الجزائر من المادة 26 الفقرة ج الخاصة بالدول التي كانت مستعمرة وبهذا أصبحت الجزائر تستفيد من القواعد التي تقرها وتجيزها هذه المادة كالاستفادة من مبدأ الدولة الأولى بالرعاية، المعاملة التفضيلية للدول النامية، حضور اجتماعات الجات بصفة ملاحظ دون أن تكون ملزمة باحترام كل قواعد و لوائح الاتفاقية، فلم تكن الجزائر ملزمة بالإعلان عن التغيير الذي يطرأ على سياستها التجارية أو الإعلان عن المقاييس التي تفرضها، أو الالتزام بتخفيضات مستمرة في الرسوم الجمركية لأنها لم تكن طرفا متعاقدا في الجات. واستمر الحال على ما هو عليه إلى غاية

Abstract

The present article aimed at analyzing the features characterizing the different sectors of the Algerian economy, as well as the results of the reforms that took place during the last two decades in order to tell whether the Algerian economy is ready to join the WTO. The authors concluded that the Algerian economy is not ready to enter into the WTO because of the bad performance of its sectors, and the failure of policies to restructure and diversify this economy.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2013.

سنة 1986 حين قرر الأعضاء المتعاقدون أن تشارك الدول غير المتعاقدة في مجريات مفاوضات جولة الأوروغواي بصفة ملاحظ شريطة الإبلاغ بنية الانخراط والتعاقد في الاتفاقية في أجل أقصاه 30 أبريل نيسان 1987 وهذا ما تم بالفعل حيث شاركت الجزائر في جولة الأوروغواي بصفة ملاحظ ووقعت على اتفاقية تأسيس منظمة التجارة العالمية بمراكش في المغرب سنة 1994.

ترسخ التوجه نحو الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية مع استمرار آثار أزمة النفط التي حدثت سنة 1986 وارتفاع حجم المديونية الخارجية التي دفعت الحكومة إلى عقد اتفاقيات مع صندوق النقد الدولي كان أولها سنة 1989 وآخرها اتفاق إعادة الهيكلة القائم على بنود توافق واشنطن الذي يعتبر إصلاح سعر الصرف، تحرير التجارة الخارجية والاندماج في النظام الاقتصادي والتجاري العالمي بمختلف أقطابه ومؤسساته الدولية من أهم مرتكزاته. بما أن الجزائر عضو في كل من الصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير فقد تبقى عليها طلب الحصول على العضوية في منظمة التجارة العالمية، وهذا بالضبط ما فعلته الحكومة سنة 1996، و بذلك بدأت مرحلة جديدة من مراحل الاقتصاد الجزائري بصفة عامة والتجارة الخارجية الجزائرية بصفة خاصة حيث شرع في تنفيذ ما اصطلح على تسميته بالإصلاحات الاقتصادية التي هدفت أساسا إلى الانتقال من الاقتصاد المخطط و الموجه إلى اقتصاد السوق، إصلاح المنظومة القانونية، حماية حقوق الملكية الفكرية، تخفيض الرسوم الجمركية ومواءمة التشريعات الجزائرية مع قواعد ومبادئ منظمة التجارة العالمية وبنود الاتفاقيات التي تغطيها من أجل الانضمام إلى هذه الأخيرة والاندماج في النظام التجاري العالمي بكل إيجابياته وسلبياته والتعامل مع البيئة الخارجية بكل مكوناتها.

الإشكالية

يهدف الباحثان من خلال هذا البحث إلى الإجابة على الإشكالية التالية:

ما مدى استعداد الاقتصاد الجزائري للانضمام إلى منظمة التجارة العالية؟

للإحاطة بالموضوع، يمكن طرح السؤالين التاليين:

- ما مدى استعداد الأعوان الاقتصاديين الجزائريين من شركات وبنوك للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية والالتزام بقواعدها ومبادئها ؟
- هل حققت الإصلاحات الاقتصادية تغييرا هيكليا في الاقتصاد الوطني الجزائري؟

الفروض

لمعالجة موضوع البحث والإجابة عن إشكاليته اعتمد الباحثان على الفرضين التاليين:

- بما أن تحرير التجارة والانضمام إلى منظمة التجارة العالمية يفيد البلدان التي أداء اقتصادياتها جيد وتتميز بهيكل إنتاجي وتصديري متنوع وباعتبار أن

الاقتصاد الجزائري اقتصاد ريعي قائم على المحروقات فإنه غير مستعد للانضمام إلى منظمة التجارة العالية؛
- القدرة التنافسية للقطاعات الاقتصادية الجزائرية لا تمكنها من المنافسة في الأسواق الوطنية والدولية.

أهمية البحث

يكتسي هذا البحث أهمية بالغة وذلك لعدة اعتبارات منها:
- مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، تعتبر منظمة التجارة العالية منظمة اقتصادية قوية والانضمام إليها سيؤثر بكل تأكيد على مختلف نواحي الحياة الاقتصادية في الجزائر، وبالتالي فمن المهم جدا بحث مدى جاهزية الاقتصاد الجزائري للانضمام إلى هذه المنظمة؛
- في ظل العولمة الاقتصادية والتدويل المستمر والمتزايد للعلاقات الاقتصادية الدولية والاتجاه نحو تحرير الاقتصاد العالمي وتحرير التجارة العالمية، زيادة حجمها وزيادة تشابك الأسواق من جهة، وفي ظل التوترات في العلاقات الاقتصادية الدولية وزيادة عدد المنازعات التجارية بين الدول الأعضاء في المنظمة وإتباعها لأساليب حمائية غير تقليدية من جهة ثانية، في ظل الآثار المحتملة لانضمام الدول النامية والتي منها الجزائر من جهة ثالثة، فإن بحث موضوع مدى جاهزية الاقتصاد الجزائري إلى الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية والعمل في بيئة دولية تتصف بعدم الاستقرار والمنازعات التجارية يعتبر ذا أهمية بالغة؛
- إن الأوضاع الحالية للاقتصاد الجزائري والتي تعود في جزء منها إلى مخلفات النظام الاقتصادي السابق والتحديات التي يفرضها النظام التجاري العالمي والبيئة الدولية تستدعي دراسة مدى جاهزية الاقتصاد الجزائري إلى الاندماج في هذا النظام؛
- يبدو البحث مهم من حيث أنه يهدف إلى دراسة خصائص الاقتصاد الجزائري، مدى استعداه للانفتاح على التجارة الخارجية ودرجة تنافسية المنتجات الجزائرية لتحديد مدى جاهزية الشركات الجزائرية على العمل في ظل النظام التجاري العالمي؛
- على عكس الأبحاث السابقة التي ركزت اهتمامها على دراسة الآثار الاقتصادية المحتملة لانضمام الجزائر إلى منظمة التجارة العالمية على الاقتصاد الجزائري فإن الدراسة الحالية تركز على دراسة درجة استعداد الاقتصاد الوطني للانضمام إلى هذه المنظمة.

أهداف البحث

يهدف الباحثان من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:

- تحليل نقاط القوة والضعف في الاقتصاد الجزائري خاصة تلك المرتبطة بالجوانب التجارية؛
- تحديد جاهزية الاقتصاد الجزائري في الوقت الراهن للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية.

منهج البحث

لدارسة موضوع البحث، الإجابة على الإشكالية السابقة واختبار صحة الفروض، اعتمد الباحثان على المنهج الوصفي التحليلي في عرض أبعاد مسألة طلب الحكومة الجزائرية الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، والسياسات الاقتصادية التي تبنتها الحكومة لتحقيق هذا الهدف، وتحليل المعطيات والمعلومات الاقتصادية ، كما اعتمد الباحثان أيضا المنهج المقارن عند الحاجة إليه لمقارنة أداء الاقتصاد الجزائري بأداء اقتصاديات البلدان الأخرى.

نطاق البحث

يدرس هذا البحث التغيرات التي حصلت في الاقتصاد الجزائري خلال العشريتين الماضيتين، أي في الفترة التي طلبت فيها الحكومة الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية. هذا عن النطاق الزمني، أما عن مجال البحث فقد ركز البحث على دراسة تطورات وخصائص الاقتصاد الجزائري بمختلف قطاعاته من زراعة، صناعة، خدمات يقدمها الأعوان الاقتصاديون، قطاع التجارة الخارجية وميزان المدفوعات بالإضافة إلى عرض وتحليل بعض المعلومات عن الاقتصاديات الأخرى للقيام بالمقارنة.

خطة البحث

لدراسة موضوع البحث والإجابة عن إشكاليته ، ارتأى الباحثان تقسيم البحث إلى ثلاثة أقسام أساسية كما يلي: القسم الأول: خصص لدراسة تطورات وخصائص قطاعات الاقتصاد الجزائري. القسم الثاني خصص لدراسة نتائج الإصلاحات الاقتصادية. وأخيرا القسم الثالث تم فيه، اختبار صحة الفروض التي قام عليها هذا البحث.

أولا: دراسة تحليلية لأداء الاقتصاد الجزائري

لدراسة الاقتصاد الجزائري لا بد من معرفة اتجاه تطور الناتج الداخلي الخام، أداء القطاع الصناعي، الزراعي والتجاري بالإضافة إلى النتائج المحققة على مستوى التجارة الخارجية، الميزان التجاري وميزان المدفوعات خلال السنوات التي تشملها هذه الدراسة وهذا من أجل معرفة أداء الاقتصاد الجزائري والخصائص التي تميز قطاعاته.

1.1 تطور الناتج الداخلي الخام

تزامن بداية تنفيذ الخطة الخماسية الثانية (1985-1989) مع حدوث الأزمة النفطية لسنة 1986 التي كان لها آثار وخيمة على الاقتصاد الجزائري حيث لم تقتصر على انخفاض الجباية البترولية التي تعتبر أهم بند من بنود الايرادات في الميزانية العامة، بل امتدت لتشمل مختلف مجالات ونواحي الاقتصاد بدءا من عجز الميزانية، مرورا بانخفاض الاستثمارات العمومية وصولا إلى ارتفاع حجم المديونية الداخلية واضطرار الحكومة إلى التمويل بالتضخم وانتهاءا بتدهور معدلات نمو الناتج الداخلي الخام وما نتج عنه من ارتفاع في نسبة البطالة وارتفاع حجم الدين الخارجي(1) حدث هذا رغم أن نسبة قطاع المحروقات إلى الناتج الداخلي الخام في عقد الثمانينات لم تتعدى 22% في أحسن الأحوال، لكن آثار الازمة كانت حادة على الاقتصاد الجزائري.

يبين الشكل رقم 1 أن اتجاه الناتج الداخلي الخام كان في أغلب سنوات الدراسة يميل إلى النمو الايجابي رغم انخفاضه بالقيمة المطلقة كما حدث سنة 1998 و 1999 نتيجة لانخفاض سعر البترول. عرفت العشرية الأولى من هذا القرن ارتفاعا في قيمة الناتج الداخلي الخام بالأسعار الجارية فارتفع من 4079 مليار سنة 2000، 11069 مليار دينار سنة 2008 وأخيرا إلى 14481 مليار دينار سنة 2011.

يمكن تفسير هذا الارتفاع الذي عرفه الناتج الداخلي الخام بتزايد نسبة[1] قطاع النفط إلى الناتج الداخلي الخام في السنوات الأخيرة فمن نسبة تقدر ب 16% سنة 1989، ارتفعت هذه الحصة إلى 30% سنة 1997، 35% سنة 2011 بعد أن وصلت إلى 45% سنة 2008. إن هذه الوضعية تعزز وترسخ تبعية الاقتصاد الجزائري إلى قطاع المحروقات الذي يعتمد في إنتاجه ومداخيله على متغيرات خارجية-أكثر منها داخلية- متمثلة في الطلب العالمي والأسعار التي تتحد في الأسواق العالمية والحصة المحددة في منظمة الأوبك وهذا بدوره يجعل الاقتصاد معرضا لهزات عنيفة نتيجة لانخفاض الطلب العالمي على النفط أو هبوط أسعاره إلى مستويات قياسية كما حدث سنة 1986. بعبارة أخرى، الاقتصاد الجزائري اقتصاد ريعي مرتكز على المحروقات(2) .

رغم بعض الآثار الجانبية الإيجابية لارتفاع أسعار البترول على تمويل برامج التنمية ومشاريع البنية التحتية (3)، إلا أن الاعتماد على مداخيل المحروقات أضعف الدوافع نحو تطوير نشاطات منتجة وخالقة للثروة والقيمة المضافة وتكون مصدرا للعملة الأجنبية، كما قلل من أهمية تطوير إيرادات أخرى للميزانية غير إيرادات الجباية البترولية (4). هذه الخصائص هي بالضبط أعراض المرض الهولندي الذي عانى منه الاقتصاد الجزائري طويلا (5).

2.1تطور القطاع الفلاحي

[1] تم احتساب النسب من طرف الباحثين بناءا على المعطيات الواردة في تقارير صندوق النقد الدولي.

رغم توفر مقومات نجاح القطاع الفلاحي في الجزائر من كبر في المساحة الزراعية التي تمثل 17% من المساحة الإجمالية، توفر السدود التي يقدر عددها ب 55 سدا، الدعم الحكومي الذي يقدر بعشرات المليارات من الدينارات سنويا، إلا أن الإنتاج الزراعي ضعيف ولا يلبي الاحتياجات الوطنية وهذا بسبب المشاكل الكثيرة التي يعاني منها. عموما، يمكن القول أن القطاع الفلاحي يمتاز بالخصائص التالية: مساحة كبيرة غير مستغلة؛ استعمال آلات قديمة وعدم القدرة على تحديثها؛ ضعف استخدام الأسمدة، المخصبات والمبيدات؛ الاعتماد على الخارج في التموين بالبذور، الأسمدة والأعلاف؛ عدم التنسيق بين مراكز البحث الزراعية والمزارعين؛ ملكية صغيرة للمزارع وغياب ثقافة استثمار فعلية؛ العجز عن تلبية الطلب المحلي؛ ضعف المساهمة في قطاع التصدير؛ عدم تنافسية المنتجات الزراعية الجزائرية مقارنة بمنتجات البلدان المجاورة.

نتيجة للعقبات السابق ذكرها والخصائص التي يتميز بها قطاع الفلاحة فإن مساهمته في الناتج الداخلي الخام تعتبر متواضعة حيث قدرت ب 250 مليار دينار سنة 1993، و 1173.7 مليار سنة 2011. خلال العشريتين الماضيتين لم تتعدى مساهمة القطاع في الناتج الداخلي الخام 11% سجلت سنة 1998 نتيجة لتحسن الظروف المناخية. ونتيجة للمعوقات السابقة أيضا فإن الإنتاج الزراعي -باستثناء الخضر، الفواكه وبعض أنواع اللحوم- عاجز عن تلبية الطلب المحلي فنسبة الاكتفاء الذاتي في الحبوب لا تتعدى 33%، 5% في الزيوت والشحوم و41% للألبان (6) ما يجعل الجزائر تعتمد على الخارج في التموين بهذه المواد. إن استيراد الجزائر لأغلب حاجياتها الأساسية من الغذاء الذي تعرف أسعاره ارتفاعا من سنة لأخرى- يجعل من الجزائر مستوردا صافيا للغذاء (7).

يظهر جليا من خلال الطرح السابق أن الجزائر تعاني من فجوة غذائية كبيرة حيث تفوق 70% في المنتجات الغذائية الأساسية كما سبق، ويتوقع أن تزداد هذه الفجوة بمعدل 2.3% سنويا ما يعني أنها تتطور نحو الأسوأ أو ربما نحو أزمة غذائية (8). لهذه الأسباب يتوجب على الحكومة الأخذ بعين الاعتبار الوضعية التي آل إليها القطاع الفلاحي عند تصميم وتنفيذ سياسات اقتصادية بشكل عام خاصة ما يتعلق منها بالتحرير، أو تخفيض الدعم لأن ذلك سيؤدي إلى عزوف الفلاحين عن العمل في مزارعهم وعزوف المستثمرين عن الاستثمار في قطاع الفلاحة ما يعزز التبعية للخارج في الغذاء كما يمكن أن يؤدي إلى اختفاء القطاع الفلاحي كما اختفت من قبله صناعات عديدة نتيجة للتحرير غير المدروس والمفاجئ للاقتصاد الجزائري.

3.1 تطور القطاع الصناعي

نظرا لأهمية القطاع الصناعي والدور الذي يمكن أن يلعبه في التنمية ورفع معدلات النمو الاقتصادي وتحقيق الاستقلالية الاقتصادية، فقد حظي باهتمام كبير لدى المسؤولين في الحكومات الجزائرية التي ركزت عليه على حساب القطاعات الأخرى

حيث اتبعت الجزائر إستراتيجية إحلال الواردات، وتبنت سياسة الصناعات المصنعة من أجل تحقيق التنمية. كانت نتيجة هذه السياسة غير مشجعة حيث فشلت في تحقيق أهدافها نتيجة لعدة أسباب منها عدم التحكم في التكنولوجيات المستعملة والتي لا تتناسب أصلا مع درجة تطور الاقتصاد الجزائري، ارتفاع تكاليف الإنتاج والاعتماد على الأجانب في كل مراحل المشروع مما عزز التبعية للخارج بدلا من تقليلها. هذه الوضعية دفعت الحكومة الجزائرية إلى القيام بإصلاحات -لتخطي الآثار السلبية التي أفرزتها السياسات السابقة- منها منح الاستقلالية المالية والإدارية للمؤسسات العمومية سنة 1988 (9) غير أن فشل هذه السياسة بدورها جعل الحكومة تتخذ قرارا حاسما وهو خصخصة[2] المؤسسات العمومية مع الإبقاء على المؤسسات ذات الطابع الاستراتيجي وذات الأهمية للاقتصاد الوطني كشركة سوناطراك (10).

عكس قطاع المحروقات الذي ما فتئت مساهمته في الناتج الداخلي الخام تتزايد من سنة لأخرى فإن حصة القطاع الصناعي في الناتج الداخلي الخام عرفت تراجعا خلال نفس الفترة حيث انخفضت من 12.9% سنة 1993 إلى 4.5 % سنة 2010 (11؛ 12). يمكن تفسير الأداء السلبي للقطاع بضعف أدائه في مجال التصدير(13)، و كذا ضعف تنافسية الصناعات الجزائرية (14) ، كما أن نسبة صادرات المنتجات ذات المحتوى التكنولوجي لم تتعدى نسبة 0.7% سنة 2007 مقارنة ب 5.3% في تونس، 8.8 في المغرب و51% في ماليزيا (15)، هذا يرجع لضعف القدرة الاستيعابية للشركات الجزائرية للتكنولوجيا وضعف تحويل التكنولوجيا عن طريق الاستثمار الأجنبي المباشر(16).

تلخيصا لما سبق، يمكن القول أن الصناعة الجزائرية تمتاز بالخصائص التالية (17؛ 18): قدرات إنتاجية غير مستغلة بالكامل نتيجة لضيق السوق الوطني وتقادم وسائل الإنتاج؛ ضعف إنتاجية عوامل الإنتاج المستعملة؛ إنتاج لا يتسم بالتنافسية؛ مساهمة ضعيفة في الصادرات خارج المحروقات؛ ضعف الهيكل الإنتاجي وضعف المحتوى التكنولوجي؛ عدم التحكم بالتكنولوجيات المستعملة؛ ضعف الإنفاق على البحث العلمي؛ صناعة كثيفة العمالة وترتكز على المنتجات الاستهلاكية؛ صناعة تركز على السوق الداخلي؛ نقص العمالة الوطنية الماهرة؛ ضعف الأقطاب الصناعية (clusters)؛ عدم مرونة الجهاز الإنتاجي؛ انفصال العملية الصناعية عن باقي العمليات الاقتصادية .

من التحليل السابق يمكن القول أن من خصائص الصناعة الجزائرية هو الأداء الضعيف للقطاع الصناعي، ضعف معدلات نموه، انخفاض نسبته إلى الناتج الداخلي الخام، تراجع حصته في الأسواق الوطنية لصالح البضائع الأجنبية المستوردة، قلة

[2]تجدر الإشارة إلى أن نتائج الخصخصة كانت محدودة حيث بلغ عدد الشركات التي تم خوصصتها في عقد التسيعينات 1111 شركة 935 منها عبارة عن شركات محلية صغيرة، و 458 شركة خلال الفترة 2001 إلى 2008. لمزيد من التفصيل يرجى الإطلاع على(Bendiff, 2008).

مساهمته في الصادرات تجعل هذا القطاع الحساس في وضعية لا تبدو في صالحه على الإطلاق حيث أصبح نتيجة لضعف القدرة والمزايا التنافسية غير قادر على المنافسة في الأسواق الوطنية فضلا عن عدم قدرته على المنافسة في الأسواق الأجنبية.

4.1 تطور قطاع الخدمات

نظرا لازدياد أهمية قطاع الخدمات من حيث زيادة مساهمته في الناتج الداخلي الخام- على المستوى العالمي- وزيادة حجم التجارة العالمية فيه، يعتبر من الضروري ومن المهم دراسة تغيرات هذا القطاع في الجزائر، درجة تطوره وإمكانية استفادته من التجارة العالمية في حالة التحرير والانضمام إلى منظمة التجارة العالمية.

عرف هذا القطاع ارتفاعا في قيمة مخرجاته بالأسعار الجارية، فحسب الإحصائيات فقد سجل حوالي 266 مليار سنة 1993، وارتفع إلى 2890 مليار سنة 2011 (19؛ 20). إن الارتفاع المسجل في قيمة الناتج الداخلي الخاص بقطاع الخدمات الذي عرفته الجزائر منذ بداية العشرية الماضية يمكن إرجاعه إلى التحرير الجزئي لهذا القطاع من طرف الحكومة. لكن ورغم الارتفاع الذي عرفه هذا القطاع من حيث القيمة المطلقة إلا أن نسبة مساهمته في الناتج الداخلي الخام لم تتجاوز 25% في أحسن الأحوال وهذا خلال فترة الدراسة الممتدة من 1990إلى 2011 مقارنة بتونس التي وصلت بها نسبة القطاع إلى الناتج الداخلي الخام 55% (21).

هذه الوضعية تبين أن قطاع الخدمات في الجزائر لم يبلغ درجة التطور والأهمية التي بلغها في اقتصادات الدول المتقدمة -وحتى الدول النامية التي أولت اهتماما كبيرا بهذا القطاع- التي تستطيع توفير الخدمات بجودة عالية، وبتكلفة معقولة عكس الوضع في الجزائر أين تقدم خدمات ذات نوعية رديئة وبتكاليف باهظة مما يجعل مقدمي الخدمات الجزائريين لا يتوفرون على مزايا نسبية وغير قادرين على المنافسة مع مقدمي الخدمات الأجانب هذا من جهة. من جهة أخرى، فإن نسبة كبيرة من قطاع الخدمات مركزة في نشاطات لا تحتاج إلى تكنولوجيات متطورة ولا إلى تقنيات عالية للقيام بها كخدمات الإيواء، الإطعام، المقاهي وتجارة التجزئة (22).

إجمالا يمكن القول أن قطاع الخدمات في الجزائر يمتاز بالخصائص التالية: ضعف المساهمة في الناتج الداخلي الخام؛ ضعف المساهمة في الصادرات غير المنظورة؛ عجز ميزان الخدمات؛ عدم استخدام التكنولوجيات بالشكل الكافي؛ عدم توسع قطاعات الخدمات التي يقدمها القطاع الخاص لتشمل كل الخدمات المشمولة باتفاقية الGATS.

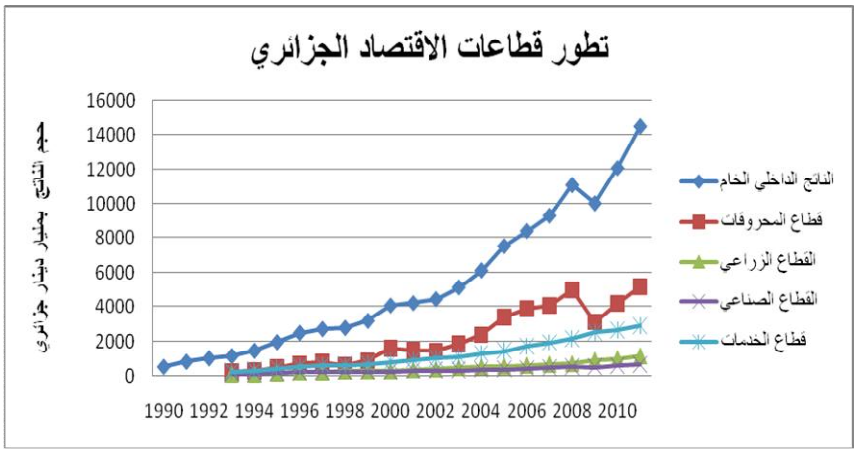

شكل رقم :1 تطور قطاعات الاقتصاد الجزائري خلال العقدين الماضيين.

المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على تقارير صندوق النقد الدولي لعدة سنوات.

5.1 تطور قطاع التجارة الخارجية

بدأت الحكومة الجزائرية مساعيها في تحرير التجارة الخارجية أواخر عقد الثمانينات من القرن الماضي وذلك بالتخفيف من بعض القيود التي كانت تفرضها على التجارة الخارجية. هذا التخفيف من القيود أدى إلى إنعاش التجارة الخارجية خلال تلك الفترة. لكن مع بداية الصعوبات التي عرفها الاقتصاد الجزائري في بداية التسعينات قامت الحكومة بإعادة فرض القيود على الأفراد والشركات الراغبة في القيام بأنشطة لها علاقة بالتجارة الخارجية والاستيراد والتصدير (23). أدى هذا القرار إلى تقليص الواردات من 9.6 مليار دولار سنة 1990 إلى 8.7 مليار دولار سنة 1993، هذا الإجراء لم يدم طويلا حيث أعادت الحكومة تحرير التجارة من القيود الجمركية وغير الجمركية ابتداء من سنة 1994 لتصبح التجارة الخارجية غير خاضعة للقيود غير الجمركية منذ 1997 (24). مع بداية تنفذ الحكومة لبعض برامجها الاقتصادية عرفت الواردات تزايدا ملحوظا، فمثلا، ارتفعت الواردات من 9.4 مليار دولار سنة 1998 إلى 12 مليار دولار سنة 2002 ثم إلى 44.8 مليار دولار سنة 2011.

لا تتعدى الصادرات خارج المحروقات نسبة 5% في أحسن الأحوال من مجمل الصادرات الجزائرية وتتمثل أساسا في صادرات المواد المعدنية كالحديد، النحاس والزئبق بينما الصادرات الزراعية والصناعية فتعتبر صادرات هامشية. فمثلا، لم تتعدى قيمة هذه الصادرات 439 مليون دولار من 11.3 مليار دولار كصادرات إجمالية سنة 1990، 507 مليون دولار من إجمالي 44.3 مليار دولار سنة 2008، تجاوزت عتبة 1 مليار دولار سنة 2009 من إجمالي 45 مليار دولار كصادرات إجمالية، ثم

انخفضت إلى أقل من 1 مليار دولار خلال السنوات التي تلت 2009 بحيث لم تتعدى 900 مليون دولار أمريكي(25).

إن التقارير والاحصائيات تبين بوضوح أن صادرات المحروقات تسيطر على إجمالي الصادرات بنسبة تصل إلى 98% وأن الصادرات الأخرى بمختلف فئاتها لا تزال هامشية وغير ذات أهمية مقارنة بإجمالي الصادرات أو بقيمة الواردات من نفس المواد وهذا يعني أن الصادرات خارج المحروقات ذات أداء ضعيف وغير قادرة على دخول الأسواق الأجنبية وإيجاد حصص فيها (26)، وهذا يرجع بدوره إلى عدة عوامل منها افتقار المنتجات الجزائرية إلى ميزة تنافسية كما سبق ذكره، عدم التحكم في التقنيات والتكنولوجيات المستعملة، ضعف القدرة على الإبداع والابتكار فالجزائر تحتل المرتبة 143 من 144 في مجال القدرة على الإبداع حسب تقرير التنافسية العالمي لسنة 2013، وكذا قلة خبرة الشركات الجزائرية في مجال النشاط الدولي للأعمال والتعرف على الحصص والفرص المتاحة في الأسواق الأجنبية حيث تحتل الشركات الجزائرية في هذا المجال المرتبة 144 من 144 (27). إذا فتركيز الصادرات الجزائرية بنسبة 95% في شكل نفط وغاز يعد من أهم مظاهر هشاشة الاقتصاد الجزائري والصفة الأكثر خطورة على الاقتصاد الوطني ذلك أنه يفتقر إلى هيكل إنتاجي وتصديري متنوع (28). من جهة أخرى فكون الاقتصاد الجزائري أحادي التصدير يصدر مادتين تتحد أسعارهما في الأسواق العالمية، وكونه يستورد أغلب حاجياته من المواد الغذائية و التجهيزات الصناعية، الآلات والخدمات المرتبطة بها، لا يجعل من مسائل تحرير التجارة والقضايا الناتجة عنها تتعلق –على الأقل لحد الآن- بجانب التصدير وإنما بجانب الاستيراد وفتح الأسواق الوطنية أمام المنتجات والمنافسة الأجنبية (29؛ 30).

1.5.1 تطور ميزان المدفوعات

خلال عقد التسعينات و باستثناء سنة 1997 عندما حقق فائضا ب 1.2 مليار دولار فقد حقق موازين سالبة طيلة تلك العشرية، لكن تغير الوضع مع بداية العشرية الأولى من هذا القرن حيث أصبح ميزان المدفوعات يحقق موازين موجبة، فقد سجل سنة 2000 فائضا ب7.5 مليار دولار، و فائضا ب 17.7 مليار دولار سنة 2006 رغم أن البنود الأخرى التي تكون ميزان المدفوعات كميزان الخدمات وميزان رأس المال حققت موازين سالبة، فبالنسبة لسنة 2006 مثلا، سجل ميزان الخدمات عجزا ب 6.7 مليار دولار وميزان رأس المال سجل عجزا ب 11.2 مليار.

هذا يقود إلى نتيجة مفادها أن ميزان المدفوعات يتأثر بشكل كبير ويتحدد بأداء الميزان التجاري الذي يعتمد على إيرادات الصادرات من المحروقات التي تتحدد

بدورها بمجموعة من العوامل سبق ذكرها وهي في معظمها عوامل خارجية ما يعني أن مؤشرا مهما من مؤشرات الوضعية الخارجية للاقتصاد الوطني يعتمد على قطاع المحروقات بشكل شبه كلي بدلا من الاعتماد على أداء الصادرات الزراعية والصناعية، تقديم الخدمات للأجانب وتدفق رؤوس الأموال. الشكل2 أدناه يبين الترابط الوثيق بين الميزان التجاري وميزان المدفوعات.

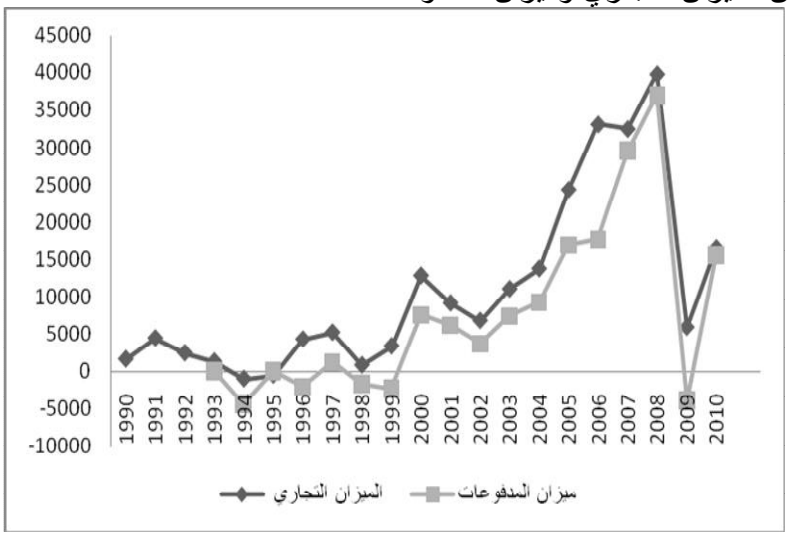

شكل 2: الميزان التجاري و ميزان المدفوعات الجزائري بمليون دولار أمريكي.

المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على إحصائيات صندوق النقد الدولي لعدة سنوات.

2.5.1 بعض المؤشرات الخاصة بالوضعية الخارجية

1.2.5.1 مؤشر تركز الصادرات

هذا المؤشر محسوب من طرف صندوق النقد العربي (2008) (31) لسنوات 1994، 2000، 2005 و 2009.

H1994= 0.96, H2000= 0.97, H2005= 0.98, H2009=.982

النتائج السابقة تبين إلى أي مدى درجة تركز الصادرات الجزائرية كبيرة وشديدة حيث بلغت 0.96 سنة 1994 و0.982 سنة 2009 وتبين أيضا أن درجة التركز ما فتئت تزداد عاما بعد عام ويستنتج من هذا أن هدف تنويع هيكل الصادرات والهيكل الإنتاجي الوطني لم يتحقق وأن درجة التبعية مافتئت تزداد وتترسخ عاما بعد آخر هي الأخرى. هذه الوضعية معاكسة تماما لأداء بعض الدول العربية التي تعرف صادراتها تنوعا كبيرا فمثلا بلغت درجة تركز صادرات الإمارات العربية المتحدة 0.442 سنة 2009

مقارنة ب.486 سجلتها سنة 2002، نفس الأمر ينطبق على المغرب محققا درجة تركز تقدر ب 0.188 سنة 2009 والأردن الذي حقق أدنى مؤشر تركز صادرات في الدول العربية حيث بلغ 0.172 سنة 2002 لينخفض إلى 0.154 سنة 2009 (32).

2.2.5.1 مؤشر الميزة النسبية للصادرات

على عكس مؤشر تركز الصادرات الذي يقيس مدى تركز صادرات بلد معين في عدد محدود من السلع فإن مؤشر الميزة النسبية للصادرات يقيس مدى تنوع السلع التي يصدرها هذا البلد. حسب منشورات صندوق النقد العربي فقد انخفض عدد السلع التي تتمتع فيها الجزائر بميزة نسبية من 4 سلع سنة 2002 إلى سلعتين فقط سنة 2009 (33). هذا المؤشر يدل بكل وضوح أن انضمام الجزائر إلى منظمة التجارة العالمية بسلعتين فقط يعني بكل تأكيد فتح السوق الوطني أمام الشركات الأجنبية والقضاء على ما تبقى من النسيج الصناعي.

إن الأداء الضعيف لقطاعات الفلاحة، الصناعة والخدمات والخصائص التي تتميز بها وضعف مساهمتها في الصادرات وجلب العملة الصعبة. إضافة إلى الأداء الضعيف للاقتصاد في مجال البنية التحتية، التعليم، الصحة، الإبداع التكنولوجي جعل الجزائر تحتل المرتبة 87 من 143 حسب تقرير مؤشر التنافسية العالمي 2012-2013 وتصنف ضمن الاقتصاديات المبنية على الموارد الطبيعية وتقاس تنافسيتها اعتمادا على هذه المواد (34). إن ترتيب الجزائر في تلك المراتب وتصنيفها في ذلك الصنف من التنافسية والتقدم الاقتصادي يعني أن الجزائر لم تبلغ بعد درجة التطور والتقدم الاقتصادي التي يسمح لها بالمنافسة في الأسواق المحلية والأسواق الدولية والاستفادة من التجارة العالمية من خلال تصدير المواد التي تعرف طلبا كبيرا ومتزايدا عليها كالمواد المصنعة، الآلات والسلع ذات المحتوى التكنولوجي التي تمثل أكثر من 69%[3] من حجم التجارة العالمية ويعني أيضا أن الجزائر لم تتمكن لحد الآن من تصنيع هذه السلع وما زالت تستوردها وهذا ما تؤكده تقارير مديرية الجمارك الجزائرية.

ثانيا: نتائج الإصلاحات السياسية والاقتصادية

باشرت الحكومة الجزائرية خلال عقد التسعينات من القرن الماضي في تنفيذ مجموعة من الإصلاحات كانت تهدف إلى التخلي عن الاقتصاد الموجه، تبني اقتصاد السوق، تحرير الاقتصاد الوطني والاندماج في الاقتصاد العالمي[4] وهذا بإشراف من الهيئات الاقتصادية الدولية في مقدمتها صندوق النقد الدولي. يهدف هذا الجزء من الدراسة إلى معرفة نتائج تلك الإصلاحات خاصة تلك التي لها علاقة بالجوانب المؤسساتية للدولة وآثارها على الاقتصاد الجزائري مثل الحكم الراشد، إصلاح

[3] حسب إحصائيات منظمة التجارة العالمية.

[4] في ظل مساعي الحكومة الجزائرية إلى الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية.

المنظومة القانونية والنظام الضريبي...الخ. تم التركيز على هذه الجوانب باعتبار أنها من أهم العوامل التي تساهم في تحقيق نمو اقتصادي وتحسن مناخ الأعمال، فقد تتساوى دولتان في إمكانياتهما الاقتصادية ولكنهما يحققان نتائج متباينة وهذا يعزى إلى جودة المؤسسات الحكومية[5].

1.2 نتائج الإصلاحات السياسية والحكم الراشد

بالرغم من أن هدف الإصلاحات المعلن في الجزائر هو تبني الحرية السياسية والاقتصادية وتوسيع قاعدة المشاركة السياسية وبالرغم من الخطوات التي قامت بها الحكومة في هذا المجال إلا أن الجزائر مازالت تصنف ضمن الدول غير المنفتحة سياسيا (35). فيما يخص مؤشر الحاكمية فالحكومة الجزائرية وبحسب تقرير البنك الدولي قد حصلت على نقاط ضعيفة في المؤشرات الفرعية التي يتكون منها هذا مؤشر(36)، بالإضافة إلى أن الجزائر تحصلت على المرتبة الأخيرة في مؤشر شفافية السياسات الحكومية سنة 2012 (37). في هذا السياق، حصلت الحكومة الجزائرية على المرتبة 129 في مؤشر ثقة الشعب بالمسؤولين الحكوميين و135 في مؤشر انتشار الرشوة (38)[6].

2.2 نتائج إصلاح المنظومة القانونية

عملت الحكومة الجزائرية منذ بدء مساعيها لتحرير الاقتصاد وتبني نظام اقتصاد السوق على تعديل منظومتها القانونية لتتناسب مع النظام الاقتصادي الجديد ولتتوافق مع مبادئ النظام الاقتصادي العالمي خاصة قواعد منظمة التجارة العالمية. في هذا السياق لا يهم في هذا البحث دراسة القوانين المعدلة أو التي تم إصدارها بقدر ما يهم هنا معرفة مدى أثرها على البيئة الاقتصادية، تحسين مناخ الأعمال والأثر على أداء الشركات. حسب مؤشر التنافسية العالمي، احتلت الجزائر المرتبة 140 من 144 في مؤشر ثقل الإجراءات القانونية والتشريعية، 123 من 144 في مؤشر استقلالية القضاء، 134 من 144 في مؤشر محاباة المسؤولين لأفراد أو شركات معينة في اتخاذ القرار (39)، 131 في مؤشر عدد الإجراءات، 131 في مؤشر آثار التشريعات على تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر (40). بالرغم من تغير منظومة القوانين المتعلقة بحقوق

[5]للمزيد من الإطلاع على دور العوامل المؤسساتية في تحسين مناخ الأعمال في الجزائر يرجى الإطلاع على (ناجي بن حسين،دراسة تحليلية لمناخ الاستثمار في الجزائر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة منتوري قسنطينة، 2007).

[6]بالرغم من أهمية هذه المؤشرات إلا أنه يجب التعامل مع نتائجها بنوع من الحذر وهذا لعدة أسباب منها أنها تدرس ظواهر غير قابلة للقياس الكمي بطبيعتها مثل الفساد وإنما تقيس مدركاتها وهنا تظهر صعوبة اختيار السلوكيات التي تعبر بالفعل عن تلك الظاهرة، إضافة إلى اختلاف تفسير نتائج تلك التقارير بين الباحثين، وأخيرا صعوبة الحكم على أداء الدول خلال فترة زمنية معينة بسبب اختلاف عدد الدول التي تغطيها تلك التقارير من سنة إلى أخرى.

الملكية الفكرية للتوافق مع اتفاقية حقوق الملكة الفكرية في منظمة التجارة العالمية (41) وإعادة هيكلة المؤسسات المكلفة بتطبيق هذه القوانين إلا أن الجزائر مازالت في ذيل الترتيب العالمي في احترام وحماية حقوق الملكية الفكرية، التطبيق الفعلي والفعال لقوانينها فحسب نفس التقرير رتبت الجزائر في المرتبة 140 من 144 وهذا ما يفسر قلة عدد براءات الاختراع المسجلة في الجزائر وعزوف الأجانب عن تسجيل اختراعاتهم فيها وتحويل التكنولوجيا إليها.

3.2 مؤشر الحرية الاقتصادية

بالرغم من تبني الحكومة الجزائرية لنهج اقتصاد السوق على الأقل نظريا، في الخطابات الرسمية وفي مراسلات الحكومة إلى الهيئات الاقتصادية الدولية كصندوق النقد الدولي، إلا أن الجزائر ما زالت تحتل مراتب متأخرة من حيث الحرية الاقتصادية وهذا بسبب أن عملية الخصخصة لم تحقق النتائج المرجوة منها ولثقل الإجراءات على النشاط الاقتصادي. رتب مؤشر الحرية الاقتصادية الذي تصدره مؤسسة heritage الجزائر في المرتبة 145 من 174 في مؤشر الحرية الاقتصادية (42).

4.2 نتائج إصلاح المنظومة البنكية

لا تزال البنوك في الجزائر وبعد أكثر من 20 سنة من إصدار قانون النقد والقرض تقدم عدد محدود من الخدمات ذات نوعية رديئة وبتكلفة عالية (43)، لا تسير بكفاءة مخاطر القروض، تفتقر إلى روح المبادرة، الموظفين لم يتأقلموا مع العمل في البيئة الجديدة ولم يتبنوا وظائف جديدة تفرضها عليهم التحولات التي يعرفها القطاع عالميا كوظيفة التسويق البنكي(44). زيادة على ما تقدم فالقطاع البنكي في الجزائر يتكون من عدد محدود جدا من البنوك العمومية تسيطر على نسبة كبيرة من المدخرات والقروض الممنوحة إلى مؤسسات عمومية ما كرس طابع احتكار القلة في هذا القطاع (45)، بالإضافة إلى أن الموظفين لا يتحكمون بالتقنيات والتكنولوجيات المستعملة (46). كما صنفت دراسة حول البنوك العربية البنوك الجزائرية ضمن فئة البنوك متوسطة التطور بينما صنفت المصارف الخليجية ضمن المصارف المتطورة (47). أما من حيث ديناميكية البنوك والنظام المصرفي ككل فالجزائر لا تزال في بدايات الطريق نحو التحدي والتطور فتقرير التنافسية العالمي رتب الجزائر في المرتبة 143 من 144 في مؤشر رصانة وتماسك البنوك (soundness of banks) ونفس الرتبة حصلت عليها البنوك الجزائرية في مؤشر توفر الخدمات المصرفية والمرتبة الأخيرة في مؤشر القدرة على تحمل التكاليف (affordability)، تحصلت البنوك الجزائرية على المرتبة 128 من 144 في مؤشر سهولة الحصول على التمويل(48).

5.2 نتائج إصلاح النظام الضريبي والجمركي

من أجل تجاوز سليبات النظام الضريبي القديم، جعل التشريعات الضريبية متوافقة مع مبادئ الحرية الاقتصادية وقواعد النظام التجاري الجديد ومن أجل تحسين مناخ الأعمال وجعله أكثر جاذبية للمستثمرين المحليين والأجانب قامت الحكومة بإطلاق جملة من الإصلاحات لتغير النظام الضريبي القديم الذي لم يعد يستجيب للتطورات الحاصلة. غير أن الأوضاع وبعد قرابة العشريتين من بدء تنفيذ الإصلاحات الضريبية لم تتغير ولم تؤد إلى تحسين النظام الضريبي ولم تحقق أهدافها كجل الإصلاحات التي أطلقتها الحكومة الجزائرية فالنظام الضريبي الجزائري مازال يتسم ببعض التعقيد وعدم الثبات وهذا بسبب التغيرات التي تطرأ على القوانين الضريبية أثناء إعداد قوانين المالية السنوية، هذا الحال جعل المستثمرين الجزائريين والأجانب لا يقدرون على تكوين فكرة واضحة عن النظام الضريبي وغير متأكدين من مناخ الاستثمار في الجزائر(49). تعتبر الضرائب في الجزائر من أهم معوقات الأعمال وهذا حسب تقرير التنافسية العالمي 2011-2012. صنف تقرير البنك العالمي الجزائر في المرتبة 170 من 185 في مؤشر سهولة دفع الضريبية (50). بالنسبة للرسوم الجمركية .

وبالرغم من انخفاض معدلها حيث أصبحت تتراوح بين 11.8-13.8% (51؛ 52) لكن النظام الجمركي الجزائري مازال لم يصل بعد إلى المستوى المطلوب ومازال أداؤه ضعيفا حيث حصلت على المرتبة 141 في مؤشر عدد وتقل الإجراءات الخاصة بالاستيراد والتصدير(53).

عرض نتائج الإصلاحات التي قامت بها الحكومة الجزائرية تبين أن أوجه التحسن في الاقتصاد الجزائري التي نتجت عن الجيل الأول من الإصلاحات اقتصرت على الجوانب النقدية والمالية والمؤشرات الاقتصادية الكلية (54؛ 55) ولم تحقق أهدافها لتقليل التبعية للخارج وفي بناء اقتصاد ذاتي متطور، متماسك وقوي (56). هذا ما تؤكد عليه تصنيفات وترتيب الجزائر في تقارير الهيئات الاقتصادية الدولية حيث تحتل ذيل الترتيب العالمي في معظم المؤشرات. بالتالي على الحكومة مراجعة سياساتها وتغيير الأساليب التي تسيير بها البلاد فهي بالرغم من أنها تعلن في كل مناسبة أنها تتبنى اختيار اقتصاد السوق إلا أن الواقع يشير إلى غير ذلك وهذا بسبب التدخل الكبير للحكومة في النشاط الاقتصادي ليس كمنظم، موجه ومشرع فقط، وإنما كمشارك أيضا في العملية الاقتصادية وهذا عن طريق البنوك والمؤسسات التي مازالت تحوز عليها.

ثالثا: اختبار صحة الفروض، نتائج الدراسة وآفاقها المستقبلية

1.3 اختبار صحة الفروض

بعد دراسة وتحليل الاقتصاد الجزائري تبين أنه حتى بعد 50 سنة من الاستقلال مازال الاقتصاد الجزائري اقتصاد ريعي يعتمد على الموارد المعدنية والنفطية والتي ستنفذ حسب بعض الدراسات بعد 30 سنة إن حافظ مستوى الاحتياطيات على حاله ولم

تكتشف حقول أخرى. إضافة إلى أن القطاع الفلاحي في الجزائر ضعيف، لا ينتج الغذاء بكميات كافية لتغطية الطلب الوطني، يعتمد على تساقط الأمطار، يستعمل وسائل تقليدية ويفتقر إلى رؤوس الأموال اللازمة بالإضافة إلى تماطل الحكومة في حل مشكلة العقار الفلاحي التي تعتبر من أهم معوقات النهوض بهذا القطاع. انخفاض المردودية، الاعتماد على الأسواق الأجنبية في التمون بالمواد الأولية، الحصول على التجهيزات اللازمة للإنتاج وصيانتها، عدم استغلال جزء كبير من الطاقة الإنتاجية، ضعف المساهمة في الناتج الداخلي الخام وفي التصدير هي خصائص القطاع الصناعي الجزائري ونفس الخصائص تقريبا تميز قطاع الخدمات.

رغم أن الإصلاحات التي اتبعتها السلطات الجزائرية نجحت في تصحيح الاختلالات التي عرفتها متغيرات الاقتصاد الكلي الجزائري كتخفيض معدل التضخم، تخفيض العجز في الميزانية، تخفيض جزئي للبطالة، إلا أن هذه الإصلاحات فشلت في إعادة هيكلة الاقتصاد الوطني، النهوض بالمؤسسات الوطنية وتحقيق درجة معقولة ومقبولة من التطور الاقتصادي والتقدم التكنولوجي والتخفيف من حدة الصعوبات التي خلفها إتباع السياسات والإجراءات التي اشترطها صندوق النقد الدولي، كما أنها لم تنجح في تغيير طبيعة الاقتصاد الوطني الريعي المبني على المحروقات الذي يعتبر هو المسيطر والمحرك للاقتصاد الجزائري، وهذا يؤكد صحة الفرض الأول.

حسب تقارير الهيئات الاقتصادية الدولية فالجزائر تحتل مؤخرة الترتيب في معظم المؤشرات الفرعية والإجمالية التي تغطيها تلك التقارير والتي تعكس الحالة السيئة للاقتصاد الجزائري وللمؤسسات الاقتصادية، وهذا يظهر صحة الفرض الثاني.

2.3 الاستنتاجات

خلاصة القول هي أنه في ظل وضعية اقتصادية داخلية كالتي يعرفها الاقتصاد الجزائي بمختلف قطاعاته، التصنيفات التي حصل عليها في مختلف تقارير الهيئات العالمية، في ظل إجماع معظم الدراسات السابقة التي عالجت مسألة طلب الحكومة الجزائرية الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية أن سلبيات الانضمام تفوق إيجابياته مع العلم أن معظم الدراسات اعتبرت قسم كبير من الإيجابيات عبارة عن الفترات الانتقالية والمعاملة التفضيلية المؤقتة الممنوحة للدول النامية، وأن سلبيات الانضمام مؤكدة الوقوع بينما إيجابياته محتملة الوقوع فإن الاقتصاد الجزائري غير مستعد حاليا للانضمام إلى هكذا منظمة والاندماج في هكذا نظام اقتصادي.

3.3 الاقتراحات

بعد هذه الدراسة حول جاهزية الاقتصاد الجزائري والظروف الاقتصادية الدولية، وبعد عرض النتائج التي توصل إليها الباحثان، يجدر بالسلطات الجزائرية التريث في مسألة طلب الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية والبقاء عضوا مراقبا فيها للاطلاع على أحدث التطورات التي تطرأ على الساحة الدولية وعلى النقاشات التي تتم بين

الدول الأعضاء إلى حين هيكلة الاقتصاد الوطني، تنويعه والوصول به إلى درجة من القوة تجعله قادرا على مواجهة سلبيات النظام التجاري والاقتصادي العالمي، إعطاء الحرية الاقتصادية للقطاع الخاص الوطني وتوفير قدر كاف من الحماية له مع عدم غلق المنافذ كلية على المنتجات الأجنبية حتى لا تعتمد الشركات الجزائرية على الحماية الحكومية، الانفتاح تدريجيا وبصورة بطيئة حتى تتعود على البيئة الدولية. على الحكومة أيضا التركيز على الصناعات ذات الكثافة العمالية العالية كصناعة النسيج لامتصاص البطالة، والتركيز كذلك على الصناعات كثيرة الاستهلاك للطاقة كصناعة الاسمنت، الأسمدة والبتروكيماويات نظرا لتوفر الطاقة في الجزائر بتكاليف منخفضة. يعتبر قطاع السياحة من بين القطاعات الواعدة أيضا لتنويع الاقتصاد الجزائري لذا يتوجب على الحكومة الجزائرية أن توليه أهمية كبيرة هو والقطاعات المرتبطة به كقطاع الصناعات التقليدية والنقل. على الحكومة أيضا تحسين المنظومة البنكية وتطوير البنوك. من المهم جدا تحسين وتطوير البنية التحتية في الجزائر وخاصة البنية التحتية الإلكترونية. للتقليل قدر الإمكان من سلبيات النظام التجاري العالمي ومواجهة تحدياته يجب على الحكومة العمل مع الدول المجاورة والدول العربية والنامية الأخرى لتفعيل تكتلاتها الإقليمية. وأخيرا يجب الانفتاح لكن بصورة متدرجة ومدروسة والاستفادة من خبرات وتجارب الدول في هذا المجال مع تعديلها بما يتناسب مع حاجة الاقتصاد الجزائري وخصوصياته دون تعريض المنتجين الجزائريين لخطر المنافسة غير المتكافئة مع منتجين أجنبيين يتمتعون بخبرات وقدرات مالية، تنظيمية، تكنولوجية وتسويقية عالية.

4.3 آفاق الأبحاث المستقبلية

نظرا لنقص المعلومات حول الاقتصاد الجزائري بالأسعار الثابتة فقد اضطر الباحثان إلى دراسة تطور الاقتصاد الجزائري بالأسعار الجارية، الباحثون مدعون لإعادة إجراء الدراسة القياسية التي تعكس التطورات الحقيقية للاقتصاد الجزائري.

الدراسات المستقبلية يمكن أن تعيد الدراسة والبحث في هذا الموضوع باستعمال معلومات مفصلة حول ملف انضمام الجزائر إلى منظمة التجارة العالمية -إن نشرت الحكومة معلومات وتقارير مفصلة حول كل جزئيات التفاوض- حتى تكون الدراسة أكثر دقة وتعكس حقيقة الموضوع وتكون الاقتراحات أكثر فعالية وقابلية للتجسد.

المراجع

1- رزيق كمال وعمور سمير. "تقييم عملية إحلال الجباية العادية محل الجباية البترولية في الجزائر". مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، مخبر العولمة واقتصاديات شمال إفريقيا، جامعة الشلف، (5)، 319-342 2008، ص ص 320-324 .

2- Mouhoubi Aissa. la vulnérabilité des pays pétroliers et les canaux de transmission des crises. Papier présenté au 4ème colloque international sur les effets de la crise financière sur les économies des pays du Nord Afrique et moyen orient, Hôtel El-Ourassi, 13 décembre.2009 , pp 14-15

3- Benabdelah Youcef. "Croissance économique et dutch disease en Algérie", Cahiers des CREAD no 75, 2006, 9-41, pp 10-11.

4- IMF. Algeria : selected issues and statistical appendix , report no 98/87, 1998, p 14

5- Chekouri Sidi Mohamed. Natural resources abundance and structural change: the Dutch disease in Algeria, paper presented at the 19th annual conference of the economic research forum " economic development under the rise of Islamist parties" held at Kuwait, Kuwait, 2013, March, 5th .

6- مبروكي الطاهر. " الأمن الغذائي في المغرب العربي". مجلة الباحث، جامعة ورقلة، (9)، 193-202، 2011، ص 202 .

7- بن تركي عز الدين." تطور المسألة الزراعية في ظل المنظومة الدولية لتجارة السلع الزراعية-أي سياسة زراعية للجزائر؟". أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الحاج لخضر. باتنة، الجزائر، 2007، ص 283 .

8- عامر عامر أحمد. "محاولة نمذجة الفجوة الغذائية في الجزائر". مجلة الباحث، جامعة ورقلة، (8)، 25-36، 2010، ص ص 31-32.

9- زوزي محمد. "استراتيجية الصناعات المصنعة والصناعة الجزائرية". مجلة الباحث، جامعة ورقلة، (8)، 167-180، 2010، ص 178.

10- داودي الطيب وماني عبد الحق. تقييم إعادة هيكلة المؤسسة العمومية الاقتصادية الجزائرية. مجلة المفكر. جامعة بسكرة، (3)، 134-154، 2008 ، ص 147.

11− Bank of Algeria. Statistical bulletin 2010, Algiers, Algeria, 2011.

12− IMF. Algeria: statistical appendix, several years

13- قسوم ميساوي الوليد. دراسة اقتصادية وقياسية للصادرات الصناعية الجزائرية مع أخذ الفترة الممتدة 1978-2006. رسالة ماجيستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير. جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر، 2008، ص 182.

14- خياري زهية وشاوي شافية. " القدرة التنافسية للصناعة التحويلية: دراسة حالة الجزائر". ورقة عمل مقدمة للملتقى الدولي الرابع حول التنافسية والاستراتيجيات التنافسية للمؤسسات الصناعية خارج قطاع المحروقات في الدول العربية، جامعة الشلف.8-9 نوفمبر، 2010، ص 19.

15- نفس المرجع ، ص 17.

16– WEF. Global competitiveness report 2011-2012, Geneva, Switzerland, 2011.

17- قوريش نصيرة. "أبعاد وتوجهات استراتيجية إنعاش الصناعة في الجزائر". مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، مخبر العولمة واقتصاديات شمال إفريقيا، جامعة الشلف،(5)، 87-106، 2008، ص 93.

18- زرقين عبود. "الاستراتيجية الملائمة للتنمية الصناعية في الجزائر". بحوث اقتصادية عربية، الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية (45)، 160-188، 2009، ص ص 165-166.

19- Bank of Algeria, 2011, op.cit.

20- IMF, several years op.cit.

21- Ministère du Développement et de la Coopération internationale. Investissiez en Tunisie, rapport no 211, 2010, p 6.

22- مياسي إكرام. "الاندماج في الاقتصاد العالمي والانعكاسات على القطاع الخاص في الجزائر". رسالة ماجيستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير. جامعة الجزائر، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2008، ص 81 .

23− World Bank. Algeria: the transition to the market economy report no 12048, Washington, USA, 1994, p 100.

24- بطاهر علي. "سياسات التحرير والإصلاح الاقتصادي في الجزائر". مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، مخبر العولمة و اقتصاديات شمال إفريقيا، جامعة الشلف (1)، 179-212، 2005، ص 196.

25- تقارير مديرية الجمارك الجزائرية لعدة سنوات

26- قسوم ميساوي الوليد، مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة.

27- WEF. Global competitiveness report 2012-2013, Geneva, Switzerland, 2013.

28- (زغيب وعيساوي، 2003، ص 92)

29- Abbas Mehdi. L'accession à l'OMC Quelles stratégies pour quelle intégration à la mondialisation ?. Note de travail no 09/08, Laboratoire d'économie de la production et de l'intégration internationale. Université Pierre Mendès, Grenoble ,France, 2009, p 5.

30- Barbet, Philippe , Souam, Saïd et Talahite, Fatiha. Enjeux et impacts du processus d'adhésion de l'Algérie à l'OMC, Document du travail no 09/05, centre d'économie de l'université Paris Nord. Paris, France, 2009, p 7.

31- صندوق النقد العربي. التقرير الاقتصادي العربي الموحد، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2008.

32- حسن جمال قاسم وإسماعيل محمد. تنافسية الصادرات السلعية في الدول العربية، صندوق النقد العربي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2012، ص 40.

33-نفس المرجع، ص 37

34-WEF, 2013, op.cit.

35- Giavazzi, Francesco and Tabellini, Guido. Economic and political liberalizations. Journal of Monetary Economics, (52), 1297–1330, 2005, p 1324.

36- World bank. The Worldwide Governance Indicators: Methodology and Analytical Issues. World Bank Policy Research Working Paper No 5430, Washington, USA, 2011, p 80.

37- WEF, 2013, op.cit.

38- WEF, 2013, Ibid.

39- WEF, 2013, op.cit.

40- WEF, 2011, op.cit.

41-Gardner. D. Stephen. Improving the legal environment for business world wide. (2006). http://www.cldp.com/

42- Heritage. Economic freedom index, the heritage foundation and the wall street journal, Washington, New York, USA, 2013, p 103

43- Saidane Dahfer, banking service in Africa, the regulatory and institutional dimension? Consolidation, privatization, human resources, and good governance, paper presented at the UNCTAD meeting on service development and trade: the regulatory and institutional dimension, 2010, March 17-19th ,p 6.

44- Yaici Farid et Lalali M. Chid, Bancarisation de l'économie, comportement des banques et contribution au développement économique, revue des économies nord Africaines, laboratoire de la globalisation et des économies nord Africaines (2), 27-66, 2005, p 32.

45- Turk-Ariss Rima. Competitive behavior in middle east and north Africa banking systems. The quarterly review of economics and finance, (49), 693-710, 2009, p 704.

46- Lachachi, Meriem. Système bancaire Algérien : Mutations et perspectives. Papier présenté au colloque sur le système bancaire Algerien et les

transformations économiques : la réalité et les défis. Université de Chelef, 2004.

47- كرين، سوزان وآخرون. "العمل المصرفي من أجل التنمية". مجلة التمويل والتنمية، صندوق النقد الدولي، 40 (1)، 26-29، 2003، ص 28.

48-WEF, 2013, op.cit.

49- قدي، عبد المجيد. النظام الجبائي الجزائري وتحديات الألفية الثالثة. ورقة مقدمة للملتقى الوطني الأول حول الاقتصاد الجزائري في الألفية الثالثة، جامعة سعد دحلب، البليدة، الجزائر، 2002، ص 10.

50-D.B. Economy profile: Algeria, Doing business report, the world bank for reconstruction and development & the international finance corporation, Washington, DC, USA, 2013, p 68.

51- Abbas Mehdi. L'accession de l'Algérie à l'OMC entre ouverture contrainte et ouverture maîtrisée. Note de travail no 09/03, Laboratoire d'économie de la production et de l'intégration internationale. Université Pierre Mendès, Grenoble,France, 2009, p 5.

52- WEF, 2013, op.cit.

53- WEF, 2013, ibid.

54- بوحفص حاكمي. "الإصلاحات والنمو الاقتصادي في شمال إفريقيا: دراسة مقارنة بين الجزائر-المغرب-تونس"، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، مخبر العولمة واقتصاديات شمال إفريقيا، جامعة الشلف (7)، 1-24، 2009، ص 8.

55- Abbas, Mehdi ,op.cit.p 6 .

56- بوحفص حاكمي، مرجع سابق، ص .22 .